AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

تجليد صالح الذكر
تلفون ٢٢٢٩٧٧

232.9
F699qA
C.1

كتاب

القول الصريح

في

سيرة يسوع المسيح

تأليف

الدكتور جورج فورد الاميركاني

28691

طُبع في المطبعة الاميركانية في بيروت ١٩٢٤

روح السيد الرب عليّ لان الرب مسحني لابشر المساكين ارسلني لاعصب منكسري القلب لانادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالاطلاق . لانادي بسنة مقبولة للرب ويوم انتقام لالهنا لاعزّي كل النائحين اش ٦١ : ١-٢

ناظرين الى رئيس الايمان ومكمله يسوع الذي من اجل السرور الموضوع امامهُ احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله . فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسهِ مثل هذه لئلاَّ تكلّوا وتخوروا في نفوسكم عب ١٢ : ٢ و٣

تاركًا لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواتهِ ١ بط ٢ : ٢١

مقدّمة

قد مرّت السنون وكرّت القرون والانسان يزداد ظلماً وتعاسةً بالنسبة الى ازدياد بعدهِ عن الكمال . فالفلسفة البشرية عجزت عن بلوغ الكمال واصلاح الحال اصلاحاً تاماً . قال سقراط الحكيم اليوناني الشهير لتلميذهِ السيبادس "ياعزيزي السيبادس اني لا استطيع ان أبيّن لك كيف تحصل على الخير الاعظم لاني لا اعلم . لكنني موقن ان الخالق محسن وانهُ بناء على احسانهِ سيرسل في الوقت المناسب معلّماً يعلّم الانسان كيف يحصل على ذلك الخير" . علّم الاختبار هذا الفيلسوف ان الناس الفاسدين طبعاً ليسوا اهلاً لاصلاح ما هو فاسد . قال الشاعر

هل يُرتجى الاصلاح من فاسدٍ فالشهد لا يُجنى من الحنظلِ

قد وضع قادة الامم شرائع لاصلاح الحال كما نقرأ عن عصر حمورابي وفلاسفة اليونان وحكماء مصر ومشترعي الرومان ومجوس فارس وبراهمة الهند وغيرهم . لكن حكمة هؤلاء كلهم اجمعين قصّرت عن بلوغ المطلوب . والشريعة الموسوية نفسها مع كونها الهية كانت قاصرة عن الاصلاح الكامل . لان القصد بها كان تعريف الانسان بخطائهِ وحثّهُ على طلب الكمال وارشادهُ الى مصدرهِ الاصلي فلم يبقَ ثمّ الاّ الواسطة الوحيدة التي عينها الله لبلوغ الانسان درجة الكمال وهي ارسال المعلم السماوي ابن محبتهِ الرب يسوع المسيح هذا قد اتى بما لا يستطيع ان يأتي مثلهُ حكيم بشري . فانهُ فضلاً عن جلال شريعتهِ وكمالها بذاتها لم يأتِ بفكرٍ او قولٍ أو عمل امرًا مخالفًا لنقطة واحدة مما أوجب على الناس حفظهُ وهذا ما قصر عنهُ كل مصلحٍ سواهُ على الاطلاق

فحاجتنا العظمى اذًا ليست الى من يعلمنا طريق الكمال بل بالاولى الى من يسير امامنا في تلك الطريق لنحتذي مثالهُ ونقتفي آثارهُ . وغير يسوع ابن مريم الكامل في ذاتهِ وصفاتهِ لم تطأ قدمهُ تلك الطريق المقدسة . وشتّان ما بين تأثير علم الكلام وعلم المثال . لان علم الكلام نظري شفهيّ اما علم المثال فحسيّ فعليّ . اذًا يسوع هو مطمح ابصار العالم الفاسد باسرهِ لاجل نيل الصلاح والسعادة ببلوغ درجة الكمال . فالامر الهام هو معرفة ما عملهُ يسوع لاجلنا وما علّمهُ وبعبارة أجلى درس حياة يسوع لنرى فيها ما قد اشرنا اليهِ . ان كل شيء تقريبًا يحتمل المبالغة الاَّ الكلام عن يسوع . فان بلاغة كل بليغ تقصر عن وصف تلك الحياة السامية الكاملة

اسعدني الحظ بالاطلاع على كتاب سيرة يسوع المسيح تأليف العالم الفاضل المدقق الدكتور جورج فورد الاميركاني فوجدتهُ سفرًا جليلاً منعمًا بالفوائد . قد توسّع فيهِ المؤلف بشرح حال الاشخاص والاماكن والاحوال المحيطة بكل حادثة من الحوادث . وقد استفدت من درس هذا السفر المفيد من اولهِ الى آخرهِ ورأيتهُ سفرًا واحدًا قد حوى عدّة اسفار . واعظم مكافأة يتوقعها المؤلف ان يكون هذا الكتاب وسيلة لاقتياد الناس الى راعي نفوسهم واسقفها يسوع رسول المحبة السماوية لننال بهِ الكمال الحقيقي والخلاص المجّاني ونتمتع معهُ بالحياة الابدية المقدسة في الامجاد السموية

نسيم الحلو

ديباجة

ليست الحاجة ام الاختراع فقط بل هي ام الجُرأة ايضًا . فالحاجة الكلية الى كتب في العربية تبحث في سيرة يسوع المسيح قد ساقتني الى الجسارة بتأليف كتابي هذا ونشرهِ . نعم ان كتبًا كثيرة عددًا وممتازة حسنًا قد أُلِّفت في هذا الموضوع الجليل في اللغات الغربية لكنني لم أُحاول الترجمة لان المُترجِم لا يؤدي المعنى الاصلي في قوتهِ وجمالهِ . ثمَّ ان ذلك الاصل لا يلائم تمامًا مطاليب المطالع الشرقي . لانهُ يكون مؤلَّفًا على النسق الغربي وفقًا لمطاليب الشعوب الغربية . فاثرت الكتابة في العربية رأسًا مع شعوري الشديد كاجنبي بعدم اهليتي لهذا العمل الخطير . لان موضوع هذا الكتاب أجلّ المواضيع واصعبها . وفي الوقت ذاتهِ هو اوفر فائدة من كل موضوع سواهُ

وليس مرمى هذا الكتاب الخصوصي تفسير الانجيل مصدر اخبار يسوع المسيح ولا استيفاء الفوائد التاريخية والفلسفية المتعلقة بهذا الموضوع . لان ذلك قد تمَّ بحولهِ تعالى في مؤلفات أُخرى على كيفية وافية بالمطلوب [1] . انما المرمى الخصوصي هو التصوير اولاً ثم التفسير بقدر ما يقتضيهِ المقام . والمقصود مساعدة القارئ على تشخيص الانسان يسوع الناصري في مخيلتهِ كما رآهُ من شاهدهُ من معاصريهِ وعلى تحصيل بعض الايضاحات المتعلقة بحقيقة شخصيتهِ مما لم يرد في رواية الانجيل لكنهُ أُثبت في اختبار القرون الموصلة بين زمانهِ وزماننا . وان

واخص هذه تفسير الانجيل للدكتور ادي (مجلد ١ و٢) واتفاق البشيرين للدكتور كلهون . والانجيل بحواشٍ للدكتور ورقيات . ومرشد الطالبين للدكتور كلهون . (وقد نقحهُ وزاد عليهِ الدكتور فانديك عند تجديد طبعهِ) وكتاب الادلة السنية وكتاب اللاهوت (في مجلدين) للدكتور أنس

بشخصهِ حاضرًا في هذا الزمان مع البشر حضورًا حقيقيًا جوهريًا روحيًا. فيفهم القارئ ما يمكن فهمهُ من سرّ عظمتهِ الفائقة وتأثيرهِ في التاريخ البشري

وقد افتتحتهُ بمقالة تمهيدية قبل المباشرة بسرد ترجمة ذلك الشخص العظيم الفريد الذي وصفهُ احد المرنمين بهذا الكلام

قم ونغم يا مرنم باسم فادينا الحبيبْ
برخيم اللحن عظم ذلك الشخص العجيبْ

ذلك السامي السجايا صاحب المجد الرفيعْ
خالق كل البرايا لطفهُ محيي الجميعْ

ابديٌّ ازليٌّ كان من قبل الجبالْ
وهو قدوسٌ زكيٌّ لابس ثوب الجلالْ

شمس برٍّ ذو جمالٍ كوكب الصبح المنيرْ
وحدهُ حاوي الكمالِ ما لهُ اصلاً نظيرْ

صيدا ايلول ١٩٢٢

جورج فورد

تمهيد

الزعامة المسيحية . فحص بيلاطس يسوع وتبرئته اياهُ . صلاح يسوع يثبت ما يقوله . الصلاح البشري يستدعي الاعتراف بالقصور . كمال يسوع . المقاومات للمذهب المسيحي . تمحيص الكتاب المقدس . القصد من هذا الكتاب . ملخص وصف شخصية يسوع . المحبة اساس الدعوة المسيحية . درجات المحبة . مقام المحبة في الدين

لما كانت العظمة الحقيقية غنيمة الغنائم فالفهيم ينادي لاجل اثباتها . لذلك يتشبث بكل إدعاء ثابت يُظهر عظمة زعيم مذهبهِ . لكنهُ يدرك أنهُ كلما عظم الادّعاء صعب اثباتهُ وهانَ افسادهُ . لذلك يجتنب كل عاقل الادعاء الفارغ خشية الفشل وتعرُّض زعيمهِ للاحتقار بدلاً من الاعتبار

المذهب المسيحي اصعب المذاهب في ما يدعيهِ لزعيمهِ . فان صحَّ هذا الادعاء اصبح لا محالة سيّد المذاهب وزعيمهُ سيّد الزعماء . اما اثبات ما يتطلبهُ هذا المذهب فيتوقف على مطالعة ترجمة حياة هذا الزعيم . وحجر زاوية هذا البحث قد وضعهُ هو في قولهِ "من ثمارهم تعرفونهم[1]" فعلى اقوال يسوع المسيح وافعالهِ ونتائج ما قال وفعل يبنى الحكم في مقدار عظمتهِ الحقيقية . وليس على ما ينعتهُ بهِ المحبون او يطعنهُ بهِ المخالفون

يوم كان يسوع معلّمًا جليليًا فقيرًا أوثقهُ خصومهُ رؤساء اليهود واحضروهُ مخفورًا مكتوفًا الى الوالي الروماني الحاذق الصارم بيلاطس البنطي طالبين الحكم عليهِ بالصلب . وبعد الفحص صرَّح هذ الوالي ببراءتهِ في قولهِ للشاكين "انا لست أجد فيهِ علَّة واحدة[2]" . فالحُّوا عليهِ اكثر حتى جدَّد الفحص ثمَّ قال . "ها انا قد فحصت قدامكم . ولم أجد في هذا الانسان علَّة ممَّا

(١) مت ٧: ٢٠ (٢) يو ١٨: ٣٨

تشتكون بهِ عليهِ . ولا هيرودس (الملك) ايضاً لاني ارسلتكم اليهِ "[١] . ثم اوصتهُ امرأتهُ بيسوع بسبب حلم المّها وسمّتهُ "ذلك البار"[٢] . ثم بعد ذلك قال ثالثةً "اني لم أجد فيهِ علّةً للموت"[٣] . ولما رضخ اخيراً بغير رضًى لطلب اليهود وسلمهُ للصلب لم يفعل الاّ بعد تقدمة أُخرى لضميرهِ المتحرك . لانهُ اخذ ماء وغسل يديهِ قدام الجميع . قائلاً اني بريءٌ من دم هذا البار . ابصروا انتم[٤]

فحص بيلاطس وكانت نتيجة فحصهِ انهُ وجد يسوع رجلاً بارًّا . وهذه النتيجة التي وصل اليها بيلاطس في نهاية حياة يسوع الارضية هي مفتاح ضروري في فاتحة درس تاريخ الشخص الذي سمّاهُ هذا الوالي الروماني وامرأتهُ "ذلك البار" . ومعلوم ان العالم الراقي باسرهِ يؤيّدهما في حكمهما في صلاح يسوع المسمّى المسيح وشهادات اليهودي والمسلم والوثني والكافر مجمعة على هذا القرار

فاين الحلّ المعقول للمشكل الدائم المتعلق بهذا الشخص ؟ وهو التوفيق بين حكم العالم المتمدن باسرهِ بصدق يسوع وحذقهِ . وبين كل ما ادّعاهُ لنفسهِ مما لا يجوز لمجرد بشر ان يدّعيهُ وكل ما فعلهُ مما لا يليق ان يفعلهُ مجرّد بشر . وكل ما قَبِل ان يقولهُ فيهِ الآخرون او يفعلوهُ لهُ مما لا يجوز ان يقال في مجرّد بشر او يُفعَل لهم

لا يختلف اثنان على ان ادعاء الانسان باكثر مما لهُ او بغير ما لهُ يكون اما من باب الخداع أو الغباوة او الاختلال العقلي او (الاسخان) وليس من مدرك مستقيم يخطر لهُ ان يتهم يسوع المسيح بانهُ دخل بابًا من هذه فكرًا او قولاً او فعلاً

ولا يخفى ان الرسل والانبياء كلما تقدموا في الصلاح زاد انكسار الروح فيهم بسبب زلاتهم او تقصيراتهم . لان التواضع من اسمى الفضائل . والاعتراف بالخطإ من اول الواجبات . والصلاح يولد الشعور الدقيق في الضمير . فكما يشمئز المتمدن من اقذار لا يبالي بها المتوحش هكذا يستغفر الصالح على امورٍ تُعدُّ

(١) لو ٢٣: ١٤ و١٥ (٢) مت ٢٧: ١٩ (٣) لو ٢٣: ٢٢ (٤) مت ٢٧: ٢٤

طفيفة عند الاقل صلاحًا . وتكون عند الاشرار محط الافتخار . ففي سيرة اعظم الانبياء والرسُل الذين ورد خبرهم في كتاب الوحي نظير موسى وداود ودانيال وبطرس وبولس ترى اعترافات مؤثرة جدًّا واسترحامًا مفرطًا . وذلك يزيد اليقين بصلاحهم الحقيقي . لان ليس بينهم من ادّعى لنفسهِ الكمال . فمخالفة يسوع لجميع الصالحين من هذا القبيل تستوجب الانتباه الكلي وتتطلب تفسيرًا مقنعًا

ولا يسهى عن البال ان الذين نعتوا يسوع بالكمال هم الذين لازموه نهارًا وليلاً صيفًا وشتاء زهاء ثلاث سنين . فتيسر لهم ان يعرفوا بواطنهُ وظواهرهُ . ولم يكونوا من المتساهلين الذين يسدلون الستار على التقصيرات والهفوات او يسكتون عنها . بل هم الذين بينما يشرحون سيرة يسوع المسيح ويؤيدون سموّ كمالهِ كانوا يفرطون في بيان سقطاتهم وتقصيراتهم كل واحد عن نفسهِ وعن زملائهِ ايضًا . وفي هذا دلالة كافية على اخلاصهم وحكمتهم واستقامتهم . ومستند كافٍ لوضع شهاداتهم ليسوع محل اليقين والاحترام

ان من غرائب التاريخ دوام المذهب المسيحي ونجاحهُ . لانهُ قاسى في كل ماضيهِ ولا يزال يقاسي امرّ المقاومات واشدها من خصومهِ الاقوياء الذين ما زالوا لا يألون جهدًا لاجل تحقيرهِ واضعافهِ بل وملاشاتهِ . لانهُ منذ يوم حاول هيرودس الملك قتل الطفل يسوع في بيت لحم الى يومنا هذا لم ينفكّ اعداء المسيحيّة العديدون المقتدرون عن محاربة الكنيسة المسيحية وتعاليمها بذات القصد الذي ساق هيرودس الى ما فعل

ولا يخفى على كل مطالع منكِر ان جميع ابواب الاعتراض على التعاليم والعقائد المسيحية فُتحت قديمًا في العصر الرسولي . وكانت تنام وتستيقظ جيلاً بعد جيل وبعضها يموت لسخافتهِ عند بيان ما يدحضهُ تمامًا . وكان انصار هذه الاعتراضات الكفريّة وزعماء هذه المقاومات يزعمون ثم يفتخرون بانهم قد هدموا اركان المسيحية واصبحت ملاشاها على الباب . مدعين ان اعتبار

كتابها المقدس قد زال . وان أهل العلم قد رفضوا أهم القضايا المدرجة فيهِ . فهذا التمحيص الصارم الذي جرى على شخص يسوع المسيح وتعاليم انجيلهِ يخوّل المؤمنين حق الاركان في صحة ما قد اجتاز هذا الامتحان وثبت

قال يسوع في صلاتهِ . "ايها الآب هذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك و يسوع المسيح الذي ارسلتهُ" (١) . وقال اعظم الرسل انهُ يحسب "كل ما في الدنيا نفاية لكي يعرف المسيح حق المعرفة" (٢) . فالكتاب الذي هذه مقدمتهُ قد كُتب ليسهّل على من يطالعهُ معرفة يسوع المسيح . لا معرفة وهميّة واهنة بل معرفة حقيقيّة راهنة . والرسول الذي صوّر بقلمهِ أجمل الصور الاربعة واوضحها التي تعلن يسوع المسيح للعالم قال في آخر كلامهِ "واما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله . ولكي تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمهِ" (٣)

فحبذا ان توصّل كل مطالع الى الايمان الشخصي الحي بهذا المخلص المنفرد عن البشر مع كونهِ ايضًا شريكًا للبشر في طبيعةٍ بشريّةٍ حقيقيةٍ . لان هذا الايمان ينيل صاحبهُ الحياة الابدية باسم ذلك الذي كتب فيهِ الرسول بولس ان الله "رفّعهُ واعطاهُ اسمًا فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممّن في السماء ومن على الارض ومَن تحت الارض و يعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب" (٤)

فخلاصة ما يقال في الشخص الجليل الذي نبدأ الآن بدرس سيرتهِ نلخصهُ في خمسة امور

الاول انهُ الزعيم الديني الممتاز حبًّا للبشر . وليس نجاح زعامتهِ في العالم حاليًا سوى نتيجة حبهِ المتفاني وحضورهِ الحقيقي الدائم مع ابناء شعبهِ

الثاني انهُ موضوع الانجيل الذي هو أعظم بشارة سمعتها آذان بشرية لانها بشارة اهتمام الله بخير الجنس البشري زمنيًا وابديًا

(١) يو ١٧ : ٣ (٢) في ٣ : ٨ — ١٠ (٣) يو ٢٠ : ٣١ (٤) في ٢ : ٩ — ١١

الثالث انهُ المخلِّص الذي لبس طبيعتنا البشرية اختياريًّا ليقترب من الناس و يتمكن من انجاز وظيفتهِ كالمخلص العمومي المحب لجميع بني آدم الساقطين

الرابع انهُ المقام من الله منذ الازل والمُرسل من الله في ملء الزمان ليعلن للبشر محبَّة الله لهم التي لا تُحدّ ولا توصف ولتتمم عمل الفداء

الخامس انهُ ابن الله المولود الوحيد الذي لا يكون الاَّ على شاكلة المولود منهُ الذي وصفهُ الرسول بالعبارة "لان الله محبَّة" (١) فكما يحب الآب البشر يحبهم كذلك ابنهُ الوحيد الذي قدَّم لحبهِ أقصى برهان في موتهِ الكفَّاري لاجل خلاص البشر . هو القدوس البارّ الحكيم الصادق الذي قال في نفسهِ "لان الآب لا يدين احدًا بل قد أعطى كل الدينونة للابن لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسلهُ" (٢)

الدعوة المسيحية ليست دعوة افتخار بحجَّة ان الشعب المسيحي أصلح من غيرهِ ولا دعوة احتقار للنحل الاخرى الدينية وشعوبها . ولا دعوة تحزُّب بغية اكثار عدد تابعي هذا المذهب بل هي دعوة حبيَّة محضة وفقًا للمبدإ الاساسي الرئيسي في النظام المسيحي الذي هو المحبة لجميع الناس. أرسل الله ابنهُ الوحيد الى العالم حبًّا لأهل العالم مع كونهم خطأة (٣). فارادتهُ تعالى هي ان "الجميع يخلصون والى معرفة الحق يقبلون" (٤). هو ليس إله قوم بل إله البشر اجمعين . والابن الذي ارسلهُ فتأنس في شخص يسوع المسيح شخص في ذاتهِ هذه المحبة الالهية المتنانية دون تمييز مذهبي . فلم ينثنِ عن اظهارها ليس نحو محبيهِ فقط بل نحو مبغضيهِ وصالبيهِ ايضًا . واورث للبشر بعدهُ هذا المبدأ . مبدأ المحبة للجميع حتى الاعداء وادرج ذلك في تعاليمهِ وأبَّدهُ في سلوكهِ . فاعلن ان المحبة هي تكميل الناموس (٥)

(١) يو٤:٨ (٢) يو ٥: ٢٢ و ٢٣ (٣) يو ٣: ١٦ (٤) اتي ٢: ٤
(٥) مت ٢٢: ٣٧ — ٤٠

سُلّم المحبة درجات ثلاث . اولاها محبة الله للانسان وثانيتها صدى ذلك في محبة الانسان لله الذي احبهُ اولاً [١] . وثالثتها ثمر الدرجتين المذكورتين في محبة الانسان لزميلهِ البشريّ ان محبًّا او مبغضًا ان قريبًا او بعيدًا اكرامًا لله الذي غمرهُ بمحبتهِ واوصاهُ بمثلها لبني جنسهِ

ولا يظن انسان ان مجرّد الامساك عن الاساءة الى الغير يُعدُّ برهان المحبة او اتمام الوصية بها . لان الوقوف عند هذه الدرجة لا يشبه المحبة الالهية التي هي القاعدة . ولا يستحق اسم محبة الاّ الانعطاف الذي يتجاوز الى التضحية في سبيل الحب . ويفرح في خدمة المحبوب دون انتظار عوض منهُ . ولا يشترط في ذلك ولو في فكرهِ مكافأة على خدمتهِ حتى ولا من الاله

تخصّص بعض النحل الدينية قدرة الاله الذي يعبدونهُ وبعضها قداستهُ وغيرهم حكمتهُ وآخرون رحمتهُ تعالى . واما المذهب المسيحي فمع مجاهرتهِ بهذه كلها يخصص فوقها ويقدّم عليها ما أتى يسوع المسيح ليعلنهُ جليًّا وهو محبتهُ تعالى الابوية التي تعمّ البشر والتي نسعى وراء ردّهم جميعًا حتى اشرّهم عن الضلال وتخليصهم من الهلاك

ولا يحق لاحد ان يسمّي مسيحيًّا ما لم يكن على هذا المشرب . مشرب المحبة لجميع الناس حتى الاشرار والاعداء . مشرب الاستعداد للخدمة والتضحية في سبيل الخير الحقيقي للآخرين . فالامر الذي يهتمّ لهُ العزّة الالهية ليس المذهب بل المشرب . وقد ورد في الانجيل ان الذي "ليس لهُ روح المسيح فذلك ليس لهُ" [٢] (اي المسيح) . فمتى انتشر واستولى هذا المبدأ الجوهري الممتاز – مبدأ المحبة المخلصة للجميع والخدومة للآخرين لاح فجر الفردوس

(١) ١ يو ٤ : ١٩ (٢) رو ٨ : ٩

الفصل الاول

مت ١: ١ – ١٧ مر ١: ١ لو ١: ١ – ٤ و ٢: ٢٢ – ٣٨
يو ١: ١ – ٥ و ٩ – ١٤ و ١٦ – ١٨

(المرصع) ف ١

مقدمات البشائر الاربع . شخصية مرقس وبشارته . شخصية لوقا وبشارته . شخصية يوحنا وبشارته . تفاقم ضلال انكار لاهوت يسوع المسيح . مقدمة بشارة يوحنا الممتازة . شخصية متى وبشارته . نسب يسوع المسيح البشري

نستقصي معظم الاخبار الحقيقية عن يسوع المسيح من اربعة مصادر تسمى اناجيل او بشائر لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا . وكلٌّ منها مستقلٌّ عن الآخر . فنبتدئ بالنظر في فاتحة كلٍّ من هذه البشائر[1] لكننا لاسباب معنوية نخرج عن ترتيبها في الانجيل . وننظر اولاً في المقدّمة التي لمرقس ثم التي للوقا ثم التي ليوحنا واخيراً للتي تأتي اولاً في الانجيل اي بشارة متى

لم يكن مرقس من رسل يسوع . ولا ذكر لاسمهِ مطلقًا في البشائر الاربع . كان اسمهُ العبراني يوحنا واسمهُ اليوناني المأخوذ عن الروماني مرقس . يُذكَر هذا الكاتب اول مرة بعد صعود يسوع ببضع سنين[2] . وكان ابن امرأة مؤمنة

---

(١) قد وضعنا تسهيلاً للمطالع كتابًا يسمّى (مرصع البشائر) فيهِ ضممنا في قالب واحد كل ما ورد في البشائر الاربع الموحى اليها . وراعينا فيهِ السَّنَق التاريخي مع ترك التكرار اللفظي . وفي آخرهِ (جداول) مفيدة جدًّا لمن يروم المطالعة . وفي دروسنا الحالية نعوّل على النصوص الواردة فيهِ ونراعي سَنَقهُ التاريخي في تتابع الحوادث مستندين هذا السَّنَق الى آراء افضل العلماء المتضلعين في هذا الفن (٢) اع ١٢: ١٢

يسوع اسمها مريم اخت برنابا اللاوي القبرصي الذي اشتهر كثيراً في التبشير[١]. وبطرس يسمّي مرقس ابنهُ[٢]. وهي تسمية حية قد تدل على ان مرقس اهتدى الى الايمان بواسطة بطرس. وقد اتفقت كتابات الآباء المسيحيين على ان مرقس كان مترجمًا لبطرس. وانهُ كتب بشارته تحت ادارة هذا الرسول الشهير. وهذا هو السبب لعدم كتابة بطرس بشارة باسمهِ

اما مقدمة بشارة مرقس التي جعلناها فاتحة الانجيل كلهِ فهي هذه. "بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله". ومنها يتبيَّن ان ترجمة يسوع هي انجيل اي بشارة مسرَّة[٣]. فهي بشارة مثلثة ظاهرة في الاسم المثلَّث الوارد في هذه الفاتحة اي يسوع ومسيح وابن الله

فالشخص الذي هذا بدء انجيلهِ يسمى يسوع (اي مخلّص) بامر الملاك الذي كرر هذا الاسم عندما بشَّر بقرب ولادتهِ. وفسَّر تخصيص هذا الاسم لهذا المولود بقولهِ "لانهُ يخلص شعبهُ من خطاياهم" فيكون خلاصهُ خلاصًا ابديًا

ويسمّى المسيح لانهُ ابن داود الموعود بهِ من زمن آدم فما بعدهُ إذ قد مسحهُ الله نبيًا[٤] وكاهنًا[٥] وملكًا[٦]. وارسلهُ الى العالم حسب تلك المواعيد الثمينة التي قدَّمها للآباء والانبياء في سلسلة متواصلة كريمة جيلاً بعد جيل

ويسمّى ابن الله بحق لانهُ لم يأخذ هذا الاسم الجليل من بشر بل من الملاك الذي بشَّر العذراء الطاهرة بانها ستلدهُ[٧]. ولما طلبت ايضاح هذا الامر المستحيل عندها حنتهُ لها جبرائيل بالتكرار. لانهُ كان ضروريًا ان يُعرَف مقامهُ الالهي الحقيقي حال ظهورهِ

---

(١) اع ٤:٣٦ و١٢:١٣ و١٤:١٢ (٢) ١ بط ٥:١٣ (٣) كلمة منقولة عن اليونانية (٤) تث ١٨:١٥ وقد اثبت بطرس ان هذا القول بشير الى يسوع اع ٢:٢٢ و ٧:٢٧ (٥) مز ١١٠:٤ وقد اثبت الرسول في عب ٥:٦ و ٧:١٧ و ٢١ ان هذا القول عن يسوع (٦) زك ٩:٩ و ١٠ ومت ٢١:٥ (٧) لو ١:٢٢ و ٣٥

وعليه فليس بين كل اخبار التاريخ البشري خبر يستحق لخبر يسوع ان يسمّى انجيلاً اي بشارة. ولا عجب ان النبي الانجيلي اشعياء السابق للمسيح بنحو سبعمئة سنة قال فيه "روح السيد الربّ عليّ لان الرب مسحني لأبشر المساكين"(١). ولا عجب ان الملاك لما أخبر رعاة بيت لحم بولادته قال "أبشركم بفرح عظيم"(٢). ففاتحة مرقس هذه تتضمن في ست كلمات ملخص كل ما هو ضروري ان نعرفه عن يسوع المسيح

اما شخصية لوقا صاحب المقدمة الثانية فهي كشخصية مرقس غير مذكورة في البشائر الاربع. لكن لنا من ترجمته لمحات في سفره الثاني اي سفر اعمال الرسل تبيّن انه رافق الرسول بولس في اسفاره التبشيرية. ثم نعلم من احدى الرسائل انه كان طبيبًا محبوبًا(٣). والظاهر انه كان من اهل العلم لان لغة كتاباته في اليونانية تمتاز فصاحة(٤)

ومقدمة بشارته رسالة وجيزة الى صديقه اليوناني ثاوفيلس المؤمن بالمسيح. بيّن فيها انه قصد في كتابتها إفادة هذا الصديق وتثبيته في ايمانه الجديد. فاكّد له انه اجتهد ليقف على الاخبار الراهنة في ترجمة يسوع المسيح. قال "قد تتبعت كل شيء من الاول بتدقيق في الامور المتيقنة عندنا لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمت به"

والبشير الثالث هو يوحنا الرسول. كان من تلاميذ يوحنا المعمدان سابقًا وأحد الشخصين اللذين سبقا الجميع في التتلمذ ليسوع(٥). وهو الذي أُطلق عليه لقب "التلميذ الذي كان يسوع يحبه"(٦). ومع انه صياد سمك لم يكن من الفقراء اذ كان لابيه زبدي سفينة وخدم(٧). وكانت امه سالومة

(١) اش ٦١: ١ (٢) لو ٢: ١٠ (٣) كو ٤: ١٤ (٤) يظن البعض انه كان احد المبشرين السبعين الذين ذكرهم في بشارته (لو ١٠: ١ – ١٢) (٥) يو ١: ٤٠
(٦) يو ٢٠: ٢ و ٢١: ٧ و ٢٠ (٧) مر ١: ٢٠

ترافق يسوع ورسله لكي تعولم من مالها[١]. إختصّه يسوع تكرارًا مع اخيه الاكبر يعقوب وسمعان بطرس بامتيازات فوق سائر الرسل[٢] وهو الذي اتكأ على صدر يسوع في العشاء الاخير[٣]. وله سلّم يسوع امه وهو على الصليب ليعتني بها[٤]. فلا يعجب من امتياز بشارته بين البشائر في الاهمية والجمال. فانها نظير اسفاره الاخرى الاربعة تفوح برائحة المحبة واللطف شأن شيخ جليل شبعان ايامًا[٥] حنكته اختباراته الممتازة ومن جملتها مصائب ليست بقليلة

كتب يوحنا بعد زملائه الثلاثة بعشرين او ثلاثين سنة بعد ان كان اليقين بناسوت يسوع الحقيقي قد رسخ وساد في افكار المؤمنين. وزال الخوف من ان يتزعزع. لكن لما كان التطرُّف دأب البشر في اكثر الامور ولا سيما في الدين قد حوّل كثيرون حتى من المسيحيين المجاهرة بناسوت يسوع المسيح الى انكار لاهوته. لذلك رأى يوحنا من الضروري ان يضمّن بشارته كثيرًا من الكلام في لاهوت يسوع اصلاحًا للخطإ الذي كان قد افسد الكنيسة

وفاتحة بشارته تعدّ من أفخر اقوال الانجيل واشهرها. ولما وقع عظيم في نفس كل محب للدين. وفيها يتذكّر الكاتب الموحى اليه بدء الخليقة وفاتحة كتاب الوحي بالقول "في البدء خلق الله السموات والارض"[٦]. فيصوّر لنا بدءًا سابقًا لذلك البدء اذ يقول "في البدء كان الكلمة ** كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان"

متى الذي كان قد سبقه في البشارة خصّ في بشارته الشعب اليهودي اهل الدين المتزل. فرجع باصل يسوع الى صلب اب الآباء عندهم اي ابرهيم وبعد متى كتب مرقس فخصّ الشعب الروماني اصحاب السيادة الوثنيين. فاهمل اصل يسوع تمامًا وابتدأ بفعله. ثم كتب لوقا وخصّ اليونان أهل

(١) يظن ان سالومة كانت اخت مريم ام يسوع (٢) مت ١٧:١ و٣٦:٢٧ ولو ٥١:٨ (٣) يو ٢٥:١٣ (٤) يو ٢٦:١٩ (٥) لانه عاش نحو مئة سنة (٦) تك ١:١

العلم فتتبّع نسب يسوع الى آدم اب البشر جميعًا . اما يوحنا ففي كتابته المتاخرة خصّ أهل الايمان اجمالاً اي الذين كانوا قد انضمّوا الى الكنيسة الجديدة المسيحية على اختلاف جنسيتهم وصبغتهم السابقة المذهبية. فلأنه كتب لاجل هؤلاء لم يكتفِ بما سبق بل عني ان يحقق لهم في فاتحة بشارته أصل يسوع ليس فقط قبل ابرهيم وقبل آدم بل منذ اعماق الازل

وفي بيان ذلك اتى باسم جديد ليسوع لم يستعملهُ غيرهُ من كتبة الانجيل سمّاهُ "الكلمة" وهو اسم مناسب جدًّا (١). لانهُ كما تُعلن الكلمة الظاهرة فكر المتكلم الغير الظاهر بدونها هكذا يُعلن شخص يسوع الظاهر في الجسد "الاله الذي يرى ولا يُرى". فيسوع قد اعلن بتصرفاتهِ قولاً وفعلاً صفاتهِ تعالى كقدرتهِ وحكمتهِ وجودتهِ وقداستهِ . فصحّ ان يكون من جملة أسمائهِ الوصفية اسم "الكلمة"

كنا نودّ ان يكون هذا الاسم الجليل ليسوع في صيغة المذكّر كما هو في الاصل اليوناني . لكن من الفعل المذكّر والضمير المذكّر ومن القول ان "الكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا ورأينا مجدهُ مجدًا كما لوحيدٍ من الآب" تحقق ان يوحنا قد حوّل اسم الكلمة عن المعنى المألوف وجعلهُ يعني شخصًا حقيقيًّا هو يسوع المسيح . ويزيد هذا التحقيق كلام هذا الكاتب نفسهِ في سفر الرؤيا (٢) .

وختم يوحنا هذه الفاتحة مؤكّدًا ان الله روح لا يُرى قط . لكن هذا الكلمة الابن الوحيد من الآب قد أعلنهُ وهو اهلٌ لذلك . لانهُ ساكن في حضن الآب فيعرفهُ حق المعرفة . ولكي يعلنهُ للبشر "صار جسدًا وحلّ بيننا" .

---

(١) اشتهر في العصر الرسولي فيلسوف يهودي من سكان الاسكندرية اسمهُ فيلو استعار اصطلاحًا من فلاسفة اليونان هو استعمال لفظة "الكلمة" بمعنى قوي لتعبر عن الفكر الالهي . ويظهر من كتاباتهِ انهم جعلوا هذا الاسم لقبًا شخصيًّا . فاستعملوهُ لاجل مسيحهم المنتظر . انظر شرح يوحنا وجه ٢٥٣ لادي (٢) رؤ ١٩: ١١—١٣ رأيت السماء مفتوحة . واذا فرس ابيض . والجالس عليهِ يدعى امينًا وصادقًا . ولهُ اسم مكتوب ليس احد يعرفهُ الاَّ هو . وهو متسربل بثوب مغموس بدم . ويدعى اسمهُ كلمة الله

وهذا الحلول يسمّى التجسّد او التأنّس[١]

اما المقدمة الرابعة فهي لكاتب نظير يوحنا احد الرسل خلافًا لمرقس ولوقا. كان في الاصل عشّارًا يهوديًا اسمهُ العبراني لاوي واسمهُ اليوناني متى. واسم ابيهِ حلفى[٢]. عملهُ في خدمة الحكومة الرومانية يستلزم انهُ كان من اصحاب المعارف ولاسيما في الامور المالية والتجارية. وكتابتهُ تبرهن سلامتهُ من السذاجة والطيش. ومن ظروف اتباعهِ يسوع التي سيأتي بيانها يتضح انهُ كان من ذوي اليسر المالي. وليس من خبر يوثق بهِ عن مصيرهِ بعد صعود يسوع

مقدّمة متى تبتدئ على هذه الصورة "كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابرهيم. ابرهيم ولد اسحق واسحق ولد يعقوب. ويعقوب ولد يهوذا واخوتهُ". ثم يلي ذكر اربعين شخصًا من رجال ونساء آخرهم "يوسف رجل مريم التي وُلد منها يسوع الذي يدعى المسيح" بينما يملّ الجاهل من مطالعة هذا الجدول يدرك العاقل اهميتهُ الفائقة. لان فيهِ ايضاحات مهمة للاصل البشري الذي منهُ تسلسل هذا الشخص العجيب الذي "صار جسدًا وحلّ بيننا" ويسوع هو الانسان الوحيد في التاريخ البشري الذي حُفظ قيد تسلسلهِ من اب البشر آدم[٣]. وهو الوحيد الذي تتوقف قيمتهُ على حفظ سلسلة اجدادهِ

ولوقا قد أورد في بشارتهِ جدولاً آخر نسبيًا يختلف بعض الاختلاف عن الذي اوردهُ متى. فنقول ان الجدولين متفقان في ان يوسف رجل مريم ام يسوع الحلقة الاخيرة فيهما. ويتفقان ايضًا في حلقات النسبة بين ابرهيم وداود. ويتفقان في اسمَي شألتئيل وزربابل في وقت سبي بابل

---

(١) التأنس افضل من التجسد لانها توضح ان "الكلمة" لما صار جسدًا اخذ لهُ ليس فقط طبيعة الانسان الجسدية بل الروحية ايضًا. فصار انسانًا كاملاً حقيقيًا نفسًا وجسدًا. لذلك نقول تأنس الابن الازلي (٢) لا يحتمل ان هذا الحلفى هو ابو يعقوب المسمى الاصغر. ويعلم كل عاقل ان كثيرين يسمون باسم واحد (٣) الذين دخلت اسماؤهم في هذا القيد نظير داود وابرهيم حفظ نسبهم بواسطة هذه السلسلة المسيحية لاجل المسيح

لكنهما يختلفان اختلافًا يفرح له ويتشبث به المتقدون[١]. ولا سيما اليهود منهم. من هذا الاختلاف ان متى يقدِّم اسماء الاجيال من يسوع راجعًا الى ابرهيم. واما لوقا فالى آدم. ويتبع متى سلسلة سليمان بن داود. اما لوقا فسلسلة ناثان بن داود. متى يجعل يوسف رجل مريم ابن يعقوب وفقًا للشرع الاصلي. ولوقا يجعله ابن هالي وفقًا للشرع الاصطلاحي. وذلك اما لكونه صهر هالي[٢] او لانه تزوج بارملة اخيه ليقيم له نسلاً[٣]. والحلقات في متى بين داود ويوسف تنقص كثيرًا عنها في لوقا. فالامر ظاهر ان بعض الحلقات متروكة لاسباب مجهولة[٤]. وان كلمة "ابن" وكلمة "وَلَد" ترادان احيانًا في هاتين السلسلتين بالمعنى الواسع نظير القول ان يسوع ابن داود ابن ابرهيم[٥]. لان متى يذكر في ايام القضاة بين راحاب وداود اربع حلقات فقط مع ان المدة ٤٥٠ سنة. ويرى كثيرون من افضل المفسرين ان الجدول في لوقا يختص بمريم والآخر في متى بيوسف لكون بيان تسلسل الاثنين ضروريًا

لكن لئلاَّ يُعزى الى هذين البشيرين في ايرادهما نسب يوسف انهما يجعلان يسوع ابنًا طبيعيًا له يستدرك هذا الخطر. فمتى بعد ان يقول في كل الحلقات السابقة فلان وَلَدَ فلانًا لا يقول كما كان ينتظر يوسف وَلَدَ

---

(١) لو كان لهذا الانتقاد مجال صائب لكان اعداء المسيحية في عصر الرسل احقوا على هذين الجدولين. لان الوسائط لتكذيبهما كانت متيسرة لديهم بوجود الجداول الاصلية محفوظة. والاعتراضات التي قدموها آنئذٍ تدل على حذق واجتهاد وتدقيق في محاولتهم افساد اليقين المسيحي. فسكوتهم عن هذا الاعتراض يؤيد صحة هذين الجدولين على رغم الاختلاف بينهما (٢) انظر عز ٦١:٢ ونح ٦٣:٧ (٣) مر ١٢:١٩ مع تث ٥:٢٥

(٤) بينما يذكر متى اربعة عشر حلقة بين داود وسبي بابل يذكر لوقا عشرين. وبين سبي بابل ويوسف يذكر متى اربعة عشر ولوقا اثنين وعشرين. نعلم من مقابلة جدول متى مع اخبار الملوك في التوراة انه ترك بين يورام وعزيا ثلاثة اسماء اي اخزيا ويوشيا وامصيا وبين يوشيا ويكنيا ترك يهوياقيم وقس على ذلك (٥) مت ١:١

يسوع بل "يوسف رجل مريم التي وُلد منها يسوع الذى يُدعى المسيح" ولوقا يقول "وهو على ما كان يُظَنُّ ابن يوسف"(١)

يُستخلص من هذين الجدولين ولا سيما من اسم راعوث الموآبية(٢) ان للفقراء وللأغراب عن الجنس الاسرائيلي حصّة في لائحة الشرف الملكي المسيحي. وايضًا من اسم راحاب التي كانت قبلاً زانية(٣) واسمَي ثامار وبثشبع ان للاشرار التائبين توبة حقيقية محلاً في هذه القائمة الشريفة مهما كان ماضيهم معيبًا. وهذا الاستنتاج يوافق مشرب المسيح الذي خصّ باعتنائهِ ضعفاء القوم وخصّ بغفرانهِ بعض البعيدين جدًّا عن الصلاح. قال "لا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى"(٤). "وابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك"(٥)

نجد محور الانجيل كلهُ في العبارة الجوهرية التي اوردها يوحنا في مقدمتهِ "كان الكلمة الله. والكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا". وكل ما ورد في مقدمات الاناجيل الاربع يتفق مع ذلك. بناء عليهِ يضيع المطالع تمامًا في فهم الانجيل وتفسيرهِ ما لم يقرّر بادئ بدء امر طبيعة الشخص الذي يخبر الانجيل بهِ. وقد عرف الرسول بطرس اهمية هذا الامر فكتب "لاننا لم نتبع خرافات مصنّعة اذ عرّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئهِ. بل قد كنّا معاينين عظمتهُ. لانهُ أخذ من الله الآب كرامةً ومجدًا اذ أقبل عليهِ صوت كهذا من المجد الاسنى. هذا هو ابني الحبيب الذي انا سررت بهِ. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء اذ كنا معهُ في الجبل المقدس"(٦)

---

(١) تنجلي اهمية بيان تسلسل يوسف من داود في كلام الملاك الذي سماهُ ابن داود. لو لم يكن يوسف من نسل داود لم تكن حاجة ان يتوجه الى بيت لحم للاكتتاب فيتمم النبوة ان يسوع يولد فيها. لان تسلسل مريم لا قيمة شرعية لهُ (٢) را ١:٢١ و ٣:٢

(٣) يش ٦:٢٥ (٤) مت ٩:١٢ (٥) لو ١٩:١٠ يجد المطالع شرحًا وافيًا في موضوع سلسلة يسوع النسبية في كتاب مرشد الطالبين صفحة ٢٣١ و٢٣٢ و٤٥٧ — ٤٦٢ وتفسير الانجيل لادي في مت صفحة ١١ و١٢ وفي لو صفحة ٥٣ واتفاق البشيرين ٦٤ — ٧٢

(٦) ٢ بط ١:١٦ — ١٨

وبما ان المصدر الوحيد لاخبار يسوع بالتفصيل هو الانجيل . وبما ان كتبة الانجيل جميعًا متفقون على القول بلاهوتهِ يستلزم الانصاف ان تفسَّر حوادث حياتهِ وفقًا للقول بلاهوتهِ . فلدى المطالعة باخلاص وامعان النظر بتدقيق تظهر صحة هذا القول او فسادهُ . فان أيَّدت تلك الحوادث قول البشيرين بلاهوتهِ يزول كل ريب في الامر . وان لم تؤيّدهُ جاز رفض هذا القول الخطير[1]

(١) يجد المطالع بحثًا خصوصيًا في اثبات لاهوت يسوع المسيح في كتيبنا الموضوع تحت عنوان "من هو يسوع المسيح"

الفصل الثاني

لو ١ : ٥ — ٢٥

(المرصع) ف ٢ (الزمان) ت ١ سنة ٦ ق م. (المكان) هيكل اورشليم

الظهورات الملاكية . زمان البشارة لزكريا وظروفها . زكريا والبصابات . هيرودس الكبير وشرورهُ . ظهور جبرائيل لزكريا . شك زكريا وقصاصهُ . حبل البصابات العجيب الكهنوتان اليهودي والمسيحي . اتمام النبوّات في المسيح . اندثار النظام الموسوي عقيب ظهور المسيح

شروق النجوم يفاجئ الجوّ دون علامات سابقة بخلاف شروق الشمس ملكة الانوار . فان انذارات الفجر تتقدّمهُ هكذا ظهور الانبياء العظام فاجأ جوّ التاريخ البشري . لم يرد خبر سابق لظهور ابرهيم او موسى او داود او ايليا . لكن ظهور سيدهم الذي من جملة القابهِ العديدة لقب شمس البر[1] لم يكن فجائيًا . لان الانذارات العديدة المليّة المتواصلة كوّنت فجرًا عجيبًا سابقًا لمجيئهِ . وفي الوقت ذاتهِ وخارجًا عن دائرة هذا الفجر كان الظلام الادبي والروحي قد بلغ اشدّهُ قُبيل مجيئهِ . فلما بزغ هذا النور السماوي الفائق جاء في حين تفاقم احتياج العالم وشوق انقيائهِ اليهِ

المقدمات النبوية القديمة السابقة لظهورهِ هي مهمة جدًّا . وتستحق ان تراجع بكل اعتناء[2] . لكن ضيق المقام يضطرنا ان نكتفي بالنبوات والادلة القريبة التي منها عُرف ان المسيح المنتظر صار على الباب

---

(١) ملا ٤ : ٢ (٢) يوافق ان يستعين المطالع بكتاب الادلة البهية لفجاز الذي يورد ثلاثين نبوة قديمة مختصة بمجيء المسيح (صفحة ١٠ — ٦١) ثم بكتاب مرشد الطالبين صفحة ٤٦٣ — ٤٨٠ والادلة السنية صفحة ٢٢٦ و٢٢٧

كانت رسل السماء الملاكية قد احتجبت تماماً عن الابصار البشرية مدة خمسمئة سنة. لكن لما قرب التأنس تواردت بعدد أوفر ومجدٍ أبهر مما حدث في كل الازمنة منذ الخلق الى الآن . تواردت لكي تنبئ بقرب احتلال ملك الملوك وربّ الارباب[1] مقاطعة الارضية احتلالاً ظاهراً بهيئة بشرية . قال الرسول "متى أدخل البكر الى العالم يقول وتسجد له كل ملائكة الله"[2] . هذا هو الذي قال عنه النبي دانيال إن "سلطانه سلطان ابدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض"[3] . فلاق ان يتقدم هذا الملك رسلٌ من امام عرشهِ السماوي يبشرون أهل العالم بقدومهِ القريب. وصوت هذه البشرى ملأ السماء واهتزّ له الجند العلوي قبلما سُمع في الارض او رنّ في آذان بني آدم

قيل في الانجيل ان الله "بذل ابنهُ الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن بهِ"[4] . وايضاً ان الله "لم يشفق على ابنهِ بل بذلهُ لاجلنا اجمعين"[5] فيؤخذ من كلمة "بذل" ان نزول الابن الوحيد من السماء حُسب خسارة على أهلها . لكن لا بدَّ من ان العواطف الالهية التي قدّمت هذه التضحية كانت متصلة منهُ تعالى الى سكان السماء اجمع . ولا ريب ان هؤلاء سرُّوا بالسعي لتخليص البشر من العبودية لابليس ومن اشراك الخطية المميتة وجميع ويلاتها ولا سيما الهلاك الابدي

سمع صدى قوي لهذا السرور السماوي في عالمنا هذا في اوائل تشرين الاول سنة ٧٤٧ من تأسيس رومية . اي قبل التاريخ المسيحي بنحو ست سنين . ويا لها من بشارة مقدّسة . سُمعت في اقدس الايام اي السبت. وفي اقدس ساعاتهِ اي ساعة تقديم صلوات الشعب لله صباحاً عند وضع البخور العطر[6] على مذبح البخور الذهبي[7] . وفي اقدس نقطة من اقدس بناية في

(١) ١ تي ٦:١٥ ورؤ ١٧:١٤ و١٩:١٦ (٢) عب ١:٦ (٣) دا ٧:١٤
(٤) يو ٣:١٦ (٥) رو ٨:٣٢ (٦) خر ٣٠:٧-١٠ (٧) خر ٣٠:٦-٦ و١ اي ٢٨:١٨

اقدس مدينة في اقدس بلدان العالم . سمعها رجل من رجال الله بينما كان يتم وراء الحجاب في قدس الهيكل عمل التبخير الذي كان اشرف كل انواع الخدمة الكهنوتية . حتى انهُ لا يتيسر لهُ هذا الشرف اكثر من مرة في حياتهِ . ومما زاد هذه البشارة قداسة كونها صلة جوهرية بين العهد القديم الموسوي والعهد الجديد المسيحي . فلا عجب من ان البشير لوقا الذي تتبع هذه الحوادث بالتدقيق يعتني بتفصيل خبر هذه البشارة الملاكية الاولى المختصة بميلاد المسيح .

فعند فجر اليوم الذي ذكرناهُ كان مجتمعاً في دار الهيكل عدد وافر من الكهنة واللاويين . دعاهم الى هذا الاجتماع صوت البوق الكبير الفضي لتوزيع فروع خدمة ذلك اليوم على نحو خمسين منهم . وكان يوزّع أهمها ولا سيما التبخير بواسطة القرعة . وكان الدور في هذا اليوم للفرقة الثامنة اي فرقة ابيا[1] . وكان لكل كاهن من الخمسين (ممن لم تسبق لهم في حياتهم خدمة التبخير الممتازة) أمل بان تصيبهُ القرعة المشتهاة . فلما أُلقيت القرعة اصابت كاهناً كهلاً اسمهُ زكريا[2] زوج امرأة عجوز نظيرهُ اسمها اليصابات[3] على اسم جدتها زوجة هرون

اتى زكريا اورشليم من قريتهِ مدينة يهوذا أو بوطة[4] لكي يأخذ دورهُ في خدمة الهيكل . ونقرأ ان هذا الكاهن وزوجتهُ اللذين لهما مقام جليل في مقدمة الانجيل "كانا بارّين امام الله" . اي ان صلاحهما لم يكن ريائياً او سطحياً بل مشهوداً لهُ من عالم الخفايا الذي لا تخدعهُ الظواهر . وانهما "كانا سالكين في جميع وصايا الرب (اي الواجبات الدينية) واحكامهِ (اي الواجبات الطقسية) بلا لوم" لذلك كانا متممين الشرط الضروري للحصول على الاكرام الالهي . وكان زوج نظيرها من النوادر بالنظر الى الظلمة السائدة

---

(١) ١ اي ٢٤ : ١٠ (٢) الله يذكر (٣) الله قسم (٤) يش ١٥ : ٥٥ و ٢١ : ١٦ انظر الحاشية في الانجيل بشواهد في لو ١ : ٣٩ واتفاق البشير بن وجه ٤٢ فهي على الغالب واقعة في نقطة جبلية في نواحي مدينة حبرون اي الخليل

من الوجهة الادبية والدينية في تلك الايام

مثال هذه الظلمة شخص حاكم البلاد اليهودية الملك هيرودس الملقب بالكبير[1] الذي ملّكهُ الامبراطور الروماني الشهير اوغسطس قيصر على البلاد اليهودية اجمالاً مكان ابيهِ انتيباتر المتوفى . وكان انتيباتر ادوميًّا اغتصب العرش اليهودي من اصحاب الحق فيهِ اي العائلة الاسمونية . واشتهر ابنهُ هيرودس بالذكاء والاقدام والقساوة والحمق والفباحة والاحتيال وبافراطهِ في سفك الدماء غدرًا . حتى عدَّ شرًّا من كل من لبس تاجًا

وحفظًا لتاجهِ المختلَس تزوَّج بابنة فاضلة وجميلة من السلالة الملكية المحقّة اسمها مريمني او مريم . ثم أحاط عرشهُ تدريجًا بخندق من دماء الامراء والاميرات اعضاء اسرتهِ واسرتها مع كثيرين من شرفاء البلاد . قصد بذلك سحق جميع الذين كان يُحتمل ان يطالبوا بحقوق الارث القديمة المقدَّسة للعائلة الداودية . ومثلهم الذين كان يُحتمل ان يشكوهُ لمولاهُ في رومية

ثم لما وُشي اليهِ ان مريمني (التي كان حبهُ لها مفرطًا جدًّا) تحاول عزلهُ لاقامة ابنها ملكًا عوضًا عنهُ أتهمها باشتراك اثيم مع صهرهِ زوج اختهِ سالومة الشريرة فقتلها . وبعد ذلك صار كالمجنون لأسفهِ على فعلهِ ولفرط حبهِ لها . ثم قتل ابنيهِ اسكندر وارستبولس خوفًا منهما بعد ان شكاهما الى القيصر لكي يأذن لهُ بقتلهما . حتى قال عنهُ القيصر محتقرًا ومازحًا انهُ يفضِّل ان يكون أحد خنازير هيرودس على ان يكون احد بنيهِ[1]

ومقابلة لهذه الفواحش رشا ضميرهُ الفاسد بمظاهرات دينية رياثية قصد

(١) اسم هيرودس كان يطلق على افراد العائلة المالكة جيلاً بعد جيل نظير اسم فرعون في مصر واسم قيصر في رومية . انظر شرح ترجمة هيرودس الكبير في مرشد الطالبين صفحة ٢٦٩ واتفاق البشيرين ٥٠ وقاموس الكتاب الجزء ٢ وجه ٤٥٨ وتفسير الانجيل لادي ١٩:١ (٢) أتى هيرودس مدينة بيروت ليلاقي فيها مولاهُ او معتمدهُ ويستحصل على المأذونية المنوَّه عنها . واما ابناءهُ فلم يسمح لهما بان يتبعاهُ لعجزهما . بل اوقفا عند نهر الدامور . ثمَّ لما ترخص لهُ بقتلهما ارجعا الى سبسطية وقتلا فيها

تمليق اليهود بذلك لانهم كانوا مستائين منهُ جدًّا . وكان يخاف لئلا يبلّغوا القيصر سيئاتهِ . فتظاهر بالتمسك الشديد بالنظام اليهودي الذي اختارهُ سياسةً . وشرع حالاً في تجديد بناء الهيكل على صورة فخيمة جدًّا . فاستغرق هذا العمل سنين كثيرة حتى انهُ في سنة ٢٦ ب م كان لهُ ٤٦ سنة يعمل بهِ (١) ولم يتم الاَّ بعد ٨٢ سنة من ذلك الحين . رغمًا عن الهمة الزائدة والنفقات الطائلة المبذولة في ذلك السبيل (٢)

بوسائط كهنة تسلط في الدين . فلا عجب من ازدياد الفساد الديني في ايامهِ . مثال ذلك ما جرى بخصوص رياسة الكهنة فان النظام اليهودي كان يقضي بان يأخذ رئيس الكهنة وظيفتهُ العظيمة الموقرة بالارث حسب التعليمات الالهية . ولا يُعزل ما دام حيًّا الاَّ باثبات قانوني لذنب ديني يكون قد اقترفهُ . أو لعجز يصيبهُ . اما هيرودس فعزل من شاء ونصب من شاء لان الرشوة لا الاهلية كانت عندهُ باب التوظيف في هذه الرتبة الرفيعة المقدسة (٣)

فهذا الحكم الدموي الظالم المتصف بالارتشاء والاحتيال والفسق والنميمة وسائر الشرور كان كصوت صارخ يعلن الفساد المستفحل في ذلك العصر (٤) فالاشخاص القليلو العدد الذين لتقواهم شابهوا زكريا والبصابات كانوا كالملح في جيلهم . وبسببهم كان يتوقف الغضب الالهي عن إبادة البشر لاجل الشرور الشاملة العظيمة

وكان هذان مع تقواهما محرومَين بركة النسل التي هي احدى البركات العظمى المعدودة علامة الرضى الالهي . ففي هذه السنين العديدة كلها منذ

(١) يو ٢ : ٢٠ (٢) لانهُ استخدم ١٠٠٠ عربة نقل والف كاهن بالبدلات الرسمية علمهم اولاً الصنائع اللازمة لكي يعملوا في اقسام البناء المقدسة التي لا يجوز دخول غير الكهنة اليها . وشغل معهم عشرة آلاف عامل في الدوائر الخارجية (٣) عين فيها مرّة ارستبولس وهو شاب في سن السابعة عشرة (٤) يوجد كتاب مفيد جدًّا مترجم عن الانكليزية عنوانهُ زمن يسوع يعتني بشرح تاريخي مفصّل لفروع هذا الفساد

اقترانهما كانت صلاتهما الحارة الصالحة تصعد يوميًا الى العزّة الالهية بطلب هذه المنحة المبتغاة

نتصوّرهما عند صعودهما السنوي مع الجمهور الى الاعياد في اورشليم يشتركان في ترنيمة المصاعد القائلة "هوذا البنون ميراث من عند الرب *** كسهام بيد جبّار هكذا ابناء الشبيبة. طوبى للذي ملأ جعبته منهم"(١). ونتصوّرهما يتذاكران كيف تكون حالتهما في ما يأتي من حياتهما وقد أمسيا طاعنين في السن. وليس لهما ذرية لاجل خدمتهما وتعزيتهما في شيخوختهما. فكيف يموتان دون ان يريا ابنًا يخلف أباهُ في الكهنوت المقدس ويحيي ذكرهُ بعد موته؟ ولماذا قضي على بارّين نظيرهما ان يتحملا تعييرات الاقرباء بسبب عقم هذه الزوجة الفاضلة(٢)

يتبين من قصتهما ان التوفيقات الزمنية لا تدل دائمًا على الرضى الالهي او على الامتياز في الصلاح. ولا يؤخذ التأخير في استجابة صلاة الانبياء دلالة على عدم استماعهِ تعالى او قبولهِ اياها. فلا بد ان تستجاب صلاتهما آجلاً او عاجلاً. وفي عين الله "الف سنة كيوم واحد بعد ما عبر وكهزيع من الليل"(٣) فلا يمكن ان تهمل عند الله صلاة حقيقية ومناسبة مهما طال عليها الزمان. كما وان الصلاة التي تستجيبها الحكمة الالهية سلبيًا لا تعدُّ مهملة. لان العاقل لا يتصوّر ان الباري سبحانهُ يتعهد ان يستجيب كل صلاة على الكيفية التي يطلبها مقدمها. اذ يكون ذلك بمثابة تسليم الحكم في الكون بيد المصلّي لا بيد المصلّى اليهِ. فظهر في أقرب وقت ان الله كان قد اعدّ لصلوات هذين التقيّين جوابًا يأتي في حينهِ ويفوق كثيرًا كل ما طلباهُ او استطاعا ان يتصوّراهُ من الحظ السعيد

لان قصة زكريا واليصابات ذات شأن لوقوعها في سلسلة المعجزات التي

(١) مز ١٢٧: ٣ — ٥ (٢) زاد عار العقم عند اليهود بسبب تقليد يسوّغ الطلاق لعلة العقم (٣) مز ٩٠: ٤

رافقت دخول المسيح الى العالم ولانها متقدّمة للعلاقة الجوهرية بين هذا المسيح و بين الولد العظيم الذي رُزقاهُ

وفاتحة هذه القصة هي وقوف هذا الكاهن الجليل داخل الستار الثقيل الذي حجبهُ عن ابصار جمهور الساجدين . وقف امام مذبح البخور يصلّي ودخان البخور ورائحتهُ الزكية يصعدان نحو السماء . فرأى بغتةً رئيس الملائكة جبرائيل العظيم واقفًا عن يمين مذبح البخور(١)

فلا عجب اذا اضطرب ووقع عليهِ خوف . لان اضطراب كل انسان عند رؤيتهِ ملاكًا من السماء امر طبعي لا تقيهِ منهُ التقوى والصلاح . لان ليس صالح الاَّ و يعرف ذاتهُ خاطئًا . فالضمير الحيّ يجعل صاحبهُ جبانًا في حضرة الاطهار . إذ يبكتهُ على اقل الهفوات كما على التقصير عن الكمال التام . و يجعلهُ يقشعرّ عند مفاجأة الملاك اياهُ . لئلاَّ يكون في ذلك شيء من المطالبة بحقوق الباري عليهِ او من مجازاتهِ على ذنوبهِ

آخر ظهور ملاكي ذُكر قبل هذا كان ظهور جبرائيل ذاتهُ من مئة نحو خمسمئة سنة . وبذات غرضهِ الحالي . وذلك لدانيال آخر الانبياء العظام قبل المسيح . ظهر كرجل "لابسًا كتانًا وحقواهُ متنطّقان بذهب اوفاز وجسمهُ كالزبرجد . ووجههُ كمنظر البرق . وعيناهُ كمصباحَي نار . وذراعاهُ ورجلاهُ كعين النحاس المصقول وصوت كلامهِ كصوت جمهور"(٢) . كان دانيال في ذلك الوقت مع شعبهِ في سبي بابل . وكان مشغولاً في الصلاة لاجل هيكل الله الخرِب في اورشليم(٣) . فرآهُ "مطارًا واعفًا" (معبى من سرعة السير)

(١) كان على بساط المبارة الذهبية الشهيرة ذات السبع شعب التي منها ضوءُهُ . وعلى يمينهِ مائدة الوجوه . وكان امامهُ وراء مذبح البخور الحجاب الثمين الجميل الذي حجب عن ابصار جميع البشر حتى الكهنة الخل المسمى قدس الاقداس المخصص لحلول المجد الالهي على ثابوت العهد الذهبي . الى هذا المحل جاز الدخول لرئيس الكهنة . وله وحدهُ مرة فقط كل سنة في يوم الكفارة لرش دم الكفارة فيهِ (٢) دا ١٠: ٥ و ٦ (٣) هذا الملاك هو احدى الحلقات الكثيرة الموصلة بين المذهبين المسيحي والمحمدي . يطلب الشرح في موضوع

فمثال دانيال في تأثير رؤيته "لم يبقَ فيَّ قوة ونضارتي تحوّلت فيَّ الى فساد ولم اضبط قوة وكنت مُسبَّخًا على وجهي الى الارض"(١) قدّم جبرائيل لدانيال آنئذٍ لغزًا تاريخيًا خفيًا يدل على زمان ظهور المسيح المنتظَر(٢). فانتداب جبرائيل في هذا الوقت لذات الغرض كان مناسبًا جدًا وفيه دليل واضح على اهتمام اهل السماء بمجيء المسيح الى العالم

أسرع الملاك لتسكين روع زكريا الذي بسكوته ترك لجبرائيل لياقةً مفتاح الكلام. فقال الملاك لا تخَفْ. ثم أعلمه بان صلاته وصلاة زوجته لاجل بركة النسل قد أُستجيبت من لدنه تعالى. مع انه بالنظر الى سنهما قد امست هذه الاستجابة مستحيلة في اعين البشر واعينهما

ثم اعطاهُ الاسم الذي يجب تسمية الصبي به متى وُلد. واعلن له عن مستقبل ابنه انه لا يسبب فرحًا وابتهاجًا لوالديه فقط. بل ايضًا لكثيرين غيرهما وانه يكون عظيمًا ليس في اعين الناس فقط بل امام الله الذي يميز العظمة الحقيقية عن الكاذبة. وعلّة عظمته تكون امتلاؤهُ من الروح القدس الالهي من اول ايام وجوده. لانه وفقًا للنظام الطبيعي الذي يربط النسل بالاهل وللقول الالهي المشير الى ذلك والموضح في الوصية الثانية من الوصايا العشر سينال مولود هذين الشيخين حتى قبل ولادته نتيجة تقواهما وصلاتهما. ويكون للرب نذيرًا عفيفًا طول حياته(٣). وينجح نجاحًا باهرًا في العمل الوحيد الذي هو محور الاهتمام الالهي في العالم اي ردّ كثيرين الى الرب الههم

زاد جبرائيل ما هو اعظم من ذلك اي ان هذا الصبي الموعود به يكون المبشّر بظهور المسيح الموعود به. فيتقدّم امامه متممًا النبوءة التي كان يتمسك بها كل يهودي تمسكًا شديدًا بان ايليا يأتي قدّام المسيح ويهيئ للرب شعبًا

الملائكة من الاتفاق وجه ٢٨ و٢٩ وقاموس الكتاب ٢٢٦ و٢٢٧ (١) دا ١٠:٧ — ٩

(٢) دا ٩:٢٢ — ٢٧ (٣) يظهر من ذكر امتناعه كليًا عن المسكرات ان عوف المسكرات حتى قليلها يعدُّ فضيلة

مستعدًّا[1]. قد بشّر ملاك في القديم اكثر من مرّة بولد سيولد للذي انتهُ البشارة. لكن امامنا المرّة الوحيدة التي فيها بشّر ملاك سلفًا بولد تكون وظيفتهُ ان يبشّر بقدوم آخر اعظم منهُ جدًّا. وذلك دليل على تفوُّق هذا الاخير على البشر كافةً

اما زكريا فلم يصدّق هذه البشارة مع انهُ سمعها من فم جبرائيل رئيس الملائكة[2] الواقف قدّام الله والمرسل منهُ تعالى لهذا الغرض الخصوصي. لان الموانع الطبيعية كانت عظيمة جدًّا. كنّا نعذرهُ بعض العذر لو كان هو أوّل من اخذ مثل هذه البشارة في مثل هذه الاحوال لكننا نلومهُ لانهُ يعلم جيدًّا ببشارةٍ نظيرها للشيخين ابرهيم وسارة. فهو وشعبهُ ونظامهُ الديني الذي قضى حياتهُ في خدمتهِ جميعهم نتيجة تلك البشارة القديمة لابرهيم[3]. فما كان لزكريا لم يكن لابرهيم مما يسهل تصديق بشارة جبرائيل

فلانهُ لم يصدّق سمع اذنيهِ ضُرب بالطرش. حتى لما اراد احد ان يكلّمهُ كان يومئُ اليهِ او يكتب لهُ. ولان فمهُ نطق بكلام الشك ضرب لسانهُ بالخرس حتى لما اراد هو ان يكلم احدًا كان يطالب بالايماء لوحًا فيكتب عليهِ وتعينت مدّة قصاصهِ هذا تسعة اشهر الى ان ينظر بعينيهِ ويسمع باذنيهِ البرهان الحسي الذي كان يطلبهُ على صدق قول الملاك[4]

وبسبب هذه المنابلة الغريبة بين الملاك وزكريا طال انحجاب الكاهن عن الجمهور المصلّي خارجًا منتظرًا الانصراف عند خروج الكاهن من وراء الستار "فتعجبوا من ابطائهِ" لكن زاد عجبهم لما خرج اليهم عاجزًا عن النطق بالبركة المفروضة عليهِ وعن إخبارهم ما هو سبب ابطائهِ. اذ صار يفهّم بالايماء

(١) مل ٤:٥ و٦ انظر ايضًا مت ١١:١٤ و١٧:١٠ — ١٣ ومر ٩:١٢ و١٣

(٢) ومعنى اسمهُ (قوة الله) (٣) تك ١٨:١٠ (٤) في قول الملاك الى اليوم الذي يكون فيهِ هذا لنا مثال استعمال كلمة يوم بمعنى واسع لان مصيبة زكريا لم تزُل عنهُ الاّ في اليوم الثامن بعد ولادة ابنهِ. وترى مثل هذا المعنى الواسع لكلمة يوم في خبر خلق العالم في ستة ايام

بقدر ما امكنهُ "ففهموا انهُ قد رأى رؤيا"

ان امانة زكريا جعلتهُ يتم خدمتهُ بدلاً من ان يعتذر بسبب مصيبتهِ الجديدة . او بسبب شوقهِ الى اعلام امرأتهِ في البيت في بوطه بهذا الخبر المهم للغاية المختصة بها اذ قيل " **ولما كملت ايام خدمتهِ** مضى الى بيتهِ "

تتصوَّر انزعاج هذه العجوز الصالحة لما استقبلت رجلها في البيت عند رجوعهِ فاقدًا قوتَي النطق والسمع . ثم دهشها عند ما كتب امامها ما اعلنهُ لهُ الملاك جبرائيل . ولا بدَّ انهُ انذرها ايضًا كتابةً ان لا تشك بهذا الكلام لئلا تقاصَّ نظيرهُ

ونقرأ ان التأثير الذي حصل لاليصابات جعلها تخفي نفسها خمسة اشهر كانت في غضونها مبتهجة باحسان الله اليها . ومتضعة لعدم استحقاقها ذلك . وشاكرة على نزع عارها بين الناس يوم يعرفون ما لا تريد الآن ان تشهرهُ من حقيقة امرها العجيب

العقل لا يسلِّم ان المعجزة الفائقة التي هي تأنس الابن الازلي تحدث الاَّ وتحاط بمعجزات أُخرى ترافقها وتثبتها . فمعجزة البشارة لزكريا ثم قصاصهُ وحبل اليصابات العجيب هي مقدمة المعجزات التي احاطت بولادة يسوع ابن مريم . فحدوثها وحفظ خبرها يسهّلان كثيرًا تصديق تلك المعجزة الاعظم التي تتبعها قريبًا

ولا شك ان كلام البشارة المشيرة الى مجيء ذاك الذي يكون ابنها مبشرًا بهِ ومعدًّا لطريقهِ والذي سماهُ الملاك "الرب" يكون قد اشغل كثيرًا افكار هذين الشيخين واحاديثها . متى يظهر واين وكيف ؟ عن قريب سيأخذان العلم بذلك ليس من الملاك جبرائيل بل من نسيبة لها سوف تصبح اشهر نساء التاريخ البشري واسعدهنَّ

ولا عجب في ان لوقا البشير يهتم بسرد قصَّة زكريا مفصَّلاً . لان هذا الكاهن الجليل مختار من الله ليكون الحلقة الموصلة بين الكهنوت القديم

الموسوي الموقت المقام من الله وبين خَلَفِهِ المقام ايضاً من الله . وهو الكهنوت الجديد المسيحي الابدي الذي رئيسهُ يسوع المسيح وافرادهُ جميع المؤمنين الحقيقيين[1] . ولان زكريا اصبح آخر كاهن يهودي نال استحساناً الهياً . لان السلسلة الهرونية دامت كاشارة سابقة الى ظهور رئيس الكهنة الاصلي الحقيقي. ثمَّ انحلَّت عند هذا الظهور

فهذا هو الذي فيهِ تمَّت النبوات النديَّة العديدة وصحَّت الرموز الكثيرة الدقيقة . وليس في التاريخ البشري شخص غيرهُ تنطبق عليهِ تلك النبوات او تلايمهُ تلك الرموز . لذلك حق الحكم بان يسوع الناصري هو ذاك الاصيل المتنبأ عنهُ والمرموز اليهِ . ويتضح لكل من يراجع توراة اليهود بامعان ان المسيح الموعود بهِ في ذلك الكتاب الموحى بهِ ليس كاحد الانبياء مجرَّد بشر بل هو شخص الهي[2]

اما الارتباط التاريخي بين العهدين الموسوي والمسيحي فيؤيِّد الارتباط المعنوي تماماً . لان النظام الموسوي مع هيكلهِ وكهنتهِ وذبائحهِ وسائر متعلقاتهِ دام سنين قليلة بعد ما أتمَّ يسوع عملهُ على الارض ثم اضمحلَّ اكثرهُ ولا يؤمل إحياء الكثير الذي تلاشى من فرائضهِ لان الاندثار المدهش الذي اصاب النظام الموسوي على اثر ظهور يسوع المسيح قد اثبت القول بان ذلك النظام كان فقط استعداداً وقتياً وتمهيداً رمزياً للذي خلفهُ . وهو باتفاق تامٍّ معهُ لكون اصلهما واحداً

فلما دمَّر الرومان عاصمة اليهود اورشليم وخربوا الهيكل معبدهم العظيم. ولما فقدت الآنية والنار المقدسة الضرورية لاجل ممارسة فروضهم الطقسية — ولما أُبطلت الذبائح اهم واجباتهم الدينية — ولما ضاعت قيودهم النسبية التي لا غنى عنها لاجل تحقيق الوظيفة الكهنوتية — ولاجل حفظ الاقوال النبوية لكي يعرف متى جاء مسيحهم هل بنوتهُ لداود حقيقية — ولما تشتت شعبهم في كل

(١) ابط ٢:٥ و٩ (٢) اش ١:٦ و٧ ومي ٥:٢

اقطار المسكونة مطروداً من ارض الميعاد ميراثهِ انتهى عند ذلك تاريخهم الشعبي وانطفأ سراجهم المذهبي

فهل يسلّم العقل بان القدير سبحانهُ يسمح باطفاء سراجٍ كهذا اوقدتهُ يدُ الالهية وأيدتهُ بالمعجزات المدهشة المكررة الاّ وتكون تلك اليد ذاتها قد ابدلتهُ بنور اسطع منهُ يقوم مقامهُ ويفوق عليهِ؟ نرى الجواب في التاريخ . لانهُ على أثر هذا الاندثار العجيب ظهر انتشار اعجب منهُ للمذهب المسيحي سريعاً في كل انحاء المعمور

ومع ان الشعب الموسوي قد تشتت . وكثير من اصطلاحاتهِ الدينية قد تضعضعت . لكن اقوال الانجيل تستدعي حفظ هذا الشعب الى اليوم الذي فيهِ يقبلون يسوع مسيحهم . ولذلك نرى الاثبات التاريخي العجيب في بقاء الشعب اليهودي مفروزاً ونشيطاً على رغم كل ما اصابهُ مما كان من دأبهِ ان يلاشيهُ تماماً

الفصل الثالث

(لو ١ : ٢٦ — ٨٠ ومت ١ : ١٨ — ٢٥)

(المرصع) ف ٢ و ٣ (الزمان) اذار الى حزيران سنة ٥ ق م. (المكان) الناصرة واليهودية

بشارة الملاك لمريم . مقام العذراء السامي . شعورها عند البشارة . حيرة يوسف . بشارة الملاك له . اخذهُ مريم الى بيته . زيارة مريم لاليصابات . سلام اليصابات . تسبحة مريم المجيدة . احوالها الخارجية الوضيعة . ولادة يوحنا . تسبحة زكريا

مضى الخريف وعبر الشتاء ودخل الربيع بكر العام الجديد[1] . ولم يحدث شيء جديد يتعلق بمجيء المسيح الموعود به . واما الفساد الموجب لمجيئه فازداد . الاّ ان ما حدث بعد زيارة جبرائيل لزكريا في اورشليم بستة اشهر يحوّل الافكار من اورشليم الارضية الى السماوية . فتتصوّر الحركة التي حدثت هناك لما علم سكانها بارسالية جديدة فُوّضت الى جبرائيل اهم كثيراً من القديمة لدانيال والحديثة لزكريا

فانهُ في الخريف السابق أُرسل هذا الرئيس الى الهيكل الفخم في العاصمة اليهودية . والآن وغرضهُ اهم من الاول بما لا يقاس ترى فالى عاصمة أفخم منها يتوجه ؟ هل الى انطاكية في الشمال او الاسكندرية في الجنوب او اثينا في الغرب او رومية وراء الكل وسيدة الجميع ؟ كلاّ . بل أُرسل ليكشف الستار عن قرية حقيرة لا ذكر لها في التاريخ لولا ظهورهُ فيها . هي قرية

---

(١) كانت السنة الدينية عند اليهود تبتدئ في نيسان

بعيدة عن المقدس واقعة في آخر البلاد شمالاً يضرب بها المثل بسبب حقارتها وربما ايضاً بسبب فسادها واسمها الناصرة[1]

زار جبرائيل في الخريف كاهناً جليلاً قضى حياةً طويلة في الخدمة الدينية بين شعب الله . وكان بارًّا ومكرَّمًا ورئيسًا بين قومهِ . فأي عظيم اعظم من هذا الكاهن يزورهُ في هذا الربيع ؟ أيزور احد الملوك والامراء او شهيرًا من الرؤساء او من الفلاسفة العلماء او المتمولين الاغنياء ؟ كلاَّ . بل زار فتاةً عذراء من بيت جماعة فقراء لا اهمية سابقة لها عند قومها فوق سائر عذارى البلاد . ولا ذكر لها قبل زيارة جبرائيل اياها الآن . ولا أهمية لها مطلقًا لولا هذه الزيارة[2] . أُرسل اليها ليبشرها ان الله قد اصطفاها في قضائهِ الازلي لكي يُدخِل الى العالم بواسطتها مخلص العالم الوحيد

أنعم الله على هذه العذراء بان البسها أعظم شرف نالتهُ امرأة في الزمان . شرف لا تساويهِ ألقاب الامراء واوسمتهم ولا تيجان الملوك وعظمتهم . لذلك هنأها جبرائيل بقولهِ "سلام لكِ ايتها المنعم عليها" . قدَّم الله باختيارهِ اياها مثالةً للجنس البشري لا يشوبها إبهام ولا يعتريها نسيان بان العظمة الحقيقية في اعتبارهِ تعالى لا تنشأ عن المركز والمحيط ولا عن الاصل والاجسام حتى ولا عن العقول السامية بل عن النفوس الطاهرة

ظاهر الخبر انها كانت منفردة في بيت ابيها لما فاجأها الملاك والقى عليها السلام . وربما كانت هذه التقية تصلي في تلك الساعة . لان اليهودي التقي كان يخلي ثلاث مرات في النهار لاجل صلاتهِ القانونية . فكانت تحية جبرائيل لهذه الصبية الفقيرة أبلغ من تحيتهِ للكاهن الموقر . اذ قال لزكريا "لا تخف يا زكريا" . اما لمريم فقال "سلامٌ لكِ ايتها المنعم عليها . مباركة

---

(١) قيل فيها "أمن الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح" (يو ١:٤٦) ومع صغرها كانت تسمَّى مدينة حسب اصطلاح تلك الايام (٢) ان اسمَي ابويها لا يعرفان الاَّ من بعض الكتابات المتأخرة التي تقول ان اسم ابيها يواكيم واسم امها حنة

انتِ في النساء". وفي الوقت ذاتهِ ظهر في كلامهِ ان الامتياز الذي نالتهُ فوق سائر النساء كان انعامًا لا استحقاقًا

اضطربت هذه العذراء الطاهرة لرؤية الملاك وتحيرت لتحيتهِ . فطمأنها حالاً كما فعل لزكريا بقولهِ لها "لا تخافي" ثم بمناداتهِ اياها باسمها مريم ايناسًا. وكرَّر بهنئتها مع اضافة خبر لم تتصورهُ ولا حلمت بهِ قبلاً . اي انها ستحبل حبلاً اعجب من حبل نسيبتها اليصابات . وتلد ابنًا بقوة الروح القدس وهي عذراء. وهذا الابن لا يكون فقط عظيمًا كابن اليصابات بل "يدعى ابن الله" ولكونها من نسل داود سيكون ابنها الخلَف الاعظم لداود كملكٍ ملكهُ ملكٌ ابديّ . ويردّ مجد سلالتها الداودية بعد انحطاطها الطويل

اهمية شخص يسوع المسيح ومجيئهِ من السماء وعملهِ في العالم ظاهرة في كون اعظم اكرام حبي كان بهبة الاله لفرد من شعبهِ برهانًا على رضاهُ الوعد بان المسيح يأتي من نسلهِ . وقد يمكن ان مريم مع انحطاط احوالها الزمنية كانت تشارك زميلاتها من نسل داود في شيء من الآمال بانها ستلد المسيح . ولا سيما لانها مخطوبة الى رجل صالح وهو ايضًا من نسل داود . فيأتيها هذا الامتياز المشتهى على اسلوب طبيعي بعد اقترانها بخطيبها يوسف . فلما اعلن لها الملاك بان حبلها يكون في الحال وقبل اقترانها المنتظر كان اضطرابها طبيعيًا وشريفًا . ورأت ان عليها ان تدافع عن عفتها الحقيقية وتستوضح من الملاك كيف يمكن تصديق قولهِ. ولا سيما لانها في حضرة الملاك تشعر بعدم استحقاقها لانعام عجيب كهذا . فكانت حشمتها اكليل فضائلها وتواضعها تاج جمالها

نحن نعلم ان الذي اصطفاها من بين الوف عذارى شعبها وهو فاحص القلوب وعالم الخفايا كان قد أسس في روحها اهلية لهذا المقام الجديد الذي رفعتهُ فوق الوصف . ثم جدَّد لها الآن انعامهُ ليتم استعدادها لان تكون الأم للطبيعة البشرية في الذي هو ايضًا ابن العلي . وهو على الدوام يؤهِّل الذين يتقيهم لما يندبهم اليهِ . فاسبغ على مريم بغزارة انعاماتهِ المتواصلة ليمكنها من

القيام بما يطلب منها في احوالها الجديدة

لم يخفف جواب الملاك شيئاً من غرابة بشارته. ولم يقرِّب للعقل البشري التصديق. لانهُ حقق لها ان حبلها يكون بفعل روح الخالق عزَّ وجلَّ. وعلى صورة مستثناة لا مثيل لها قبل او بعد. وقال لها ثانيةً ان الذي تلدُ سيدعى "ابن الله". لكن لئلا يؤخذ هذا الاسم العظيم بالمعنى المجازي الذي يسوّغ استعمالهُ لمجرَّد بشر. ولانهُ يولد من الروح القدس سمّاهُ "القدوس" وهو اسم لا يطلق مطلقاً لبشر او لملاك[1]

ان زكريا شك ببشارة الملاك لهُ. لكن مريم طلبت ايضاح طريقة اتمام الوعد الالهي فقط. فأُعطيت علامة موجبة لفرحها الكلي وهي خبر المعجزة التي حصلت لاليصابات البعيدة عنها في جانب البلاد الآخر. ثم ختم جبرائيل خطابهُ بتذكيرها ان ليس شيء غير ممكن لدى الله. وهل يعسر على من اوجد الكون من العدم ان يوجد ابناً لمريم دون أب بشري؟ ومع ان كلام الملاك لها لم يتضمن شيئاً يسهل عليها التصديق سلّمت تماماً وصدَّقت يقيناً اذ قالت والملاك منصرف "هوذا انا أمة الرب ليكن لي كقولك". سلّمت تسليماً اعمى لله. وهذا عين الحكمة وكمال الفخر بنا التسليم الاعمى للبشر يكون جهالةً وذلاً

فما اعظم ابتهاج هذه العذراء الطاهرة في هذه الساعة المباركة. ها المسيح رجاؤها ورجاء شعبها ورجاء العالم على الباب. فكيف لا تبتهج؟ وقد اختارها الله من بين جميع المؤمنات الاسرائيليات في السلالة الداودية ليولد المسيح منها فهل لابتهاجها حدّ؟

لكن ليس في الدنيا فرح كامل. فلا بدَّ من امتزاج بعض الخوف مع الابتهاج في صدرها الطاهر. يصوّر لها حذقها غيظ خطيبها وانفصالهُ عنها

(١) ورد هذا اللقب قبل ذلك اكثر من اربعين مرة لكن مطرداً كاسم الجلالة

متى ظهر سرُّها[1]. وليس لديها من وسيلة لاثبات الحقيقة التي من شأنها ان لا يصدّقها احد على الاطلاق. وان لم يضمها سريعًا الى بيتو تقع تحت عار عمومي امرّ من الموت لنفس عفيفة شريفة نظير نفسها. ولا يؤثر خبرها الصادق في من يسمع الاّ ليزيد عارها والنفور منها. لانهُ يُعدُّ من باب التجديف

ثم ان صلاحها الممتاز يضيف خوفًا آخر شريفًا. لانها ترى ذاتها غير مستحقة لهذا الامتياز الفائق. فتخاف انها تعجز عن القيام بما يستدعيهِ مقامها الجديد كوالدة المسيح. فمن اقتران عاطفتَي الابتهاج الرزين والخوف الشريف تولد فيها جمال جديد. ولا ريب انها ضاعفت التجاءها الى المراحم الالهية ليفعل لها ربها في مشكلها الجديد المضنك ما ليس في استطاعتها او استطاعة غيرها من البشر. وبذلك آل عذاب خوفها الشديد الوقتي الى زيادة اهليتها لان تكون الأم المربية لهذا الطفل العجيب.

اما خطيبها فلسنا نعلم كيفية اطلاعهِ على سرّها او وقت ذلك ولكننا نعلم انهُ وقع نظيرها في خوف عظيم بسبب خطارة كلا الامرين اللذين اضطر ان يختار بينهما. في حبهِ الصادق يودُّ من كل قلبهِ تصديق رواية مريم عن بشارة الملاك لولا الصعوبة الكلية في ذلك. واختبارهُ صفاتها الممتازة حسنًا يجعلهُ لا يظن فيها السوء وكونها خطيبتهُ يستلزم ان يحميها بكل قوّتهِ من كل كدر وضرر. فان أجرى لها أخف درجات القصاص بتركها جهارًا وكانت روايتها صادقة يظلمها ظلمًا فاحشًا

ثم اي شرف الذي ليس فوقهُ شرف يكون لهُ ان يولد في بيتهِ المسيح

---

(١) تث ٢٢: ٢٠—٢٤ ويو ٨: ٥ كان عقد الخطبة عند اليهود يتم غالبًا كتابةً وبحضور شهود ولا يحلّ الاّ بطلاق كباقي شبيهِ طلاق المتزوجة. كان الانحطاط الادبي على تمادي السنين قد جعل اليهود يهملون هذا القانون ويتساهلون مع المذنبين. لذلك قلما نفذوا فيهم قصاص القتل رجمًا المعين لخطيبة الخائنة كما للزوجة الخائنة

العظيم . ومن الوجه الآخر لانهُ "رجل بار" يحافظ فوق كل شيء على احترام الناموس الالهي والوصايا المقدسة والشرف والصيت الحسن . فما اعظم حيرتهُ واضطرابهُ . الاَّ انهُ بعد التروي الكافي ساقهُ حبهُ وشهامتهُ الى اختيار الطف درجات القصاص اذ قيل انهُ "اراد تخليتها سرًّا"

أفليس هم هذين الشخصين الشريفين معلومًا لدى ابيهما السماوي الذي لا يغفل عن اصغر الامور واحقرها في كونهِ الواسع[1] ؟ . نعم فاننا نرى مرَّة اخرى اهتمام اهل السماء باهل الايمان على الارض ضمن دائرة الاوامر الالهية . لانهُ صدر الامر الالهي لأحد الملائكة (ولعلهُ جبرائيل) ان يزور يوسف ليلاً وظهر لهُ في حلم[2] واعلن لهُ ان الذي حُبل بهِ في مريم هو من الروح القدس ولذلك فالاقتران بها حسب زعمهِ السابق اوجب من الافتراق عنها . اذًا ما كان بحسبهِ للآن عارًا عليها هو بالحقيقة اعظم فخر لها . ومثل ذلك كثير من العار الذي يتحملهُ رجال الله من قبل الذين يجهلون الحقائق

كرَّر الملاك ليوسف وصيتهُ لمريم بان يعطى ابنها متى وُلد اسم يسوع . لان الحق الاوَّل في تسمية المولود يكون للرجل . فيجب ان يعرف يوسف ايضًا ارادة الله بخصوص هذا الاسم لكي تتحقق تسمية الصبي بالاسم الذي يعلن وظيفتهُ الخصوصية ويوافقها . يسوع ويشوع اسم واحد وهو اسم قديم من اكرم الاسماء عند اليهود ومعناهُ مخلِّص . فهو اسمى الاسماء البشرية لانهُ يدل على اسمى عمل يعمل على الارض وهو تخليص البشر من خطاياهم . فالذي اسمهُ يسوع اي مخلِّص هو الطبيب الشافي الذي يخلِّص من داء الخطية الوبائي الفتَّال المستولي على جميع بني البشر

كان اليهود يحدِّثون اطفالهم في بيوتهم واولادهم في مدارسهم وجماهيرهم

(١) مت ١٠: ٢٩ و ٣٠ لا يسقط (عصفور) على الارض بدون ابيكم واما انتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة (٢) كان للاحلام اعتبار مهم عند اليهود فعدُّوا الحلم الحسن والملك الصالح والسنة المخصبة انها العلامات الثلاث الخصوصية للرضى الالهي

في مجامعهم وقرّاءهم في كتاباتهم بمسيح يأتي من سبط يهوذا ومن بيت داود يخلّصهم من مصائب هذا الدهر كالفقر والمرض والتعب والذل ومن سلطة الاعداء . وكان انتظارهم هذا محرّكًا للثورات الدموية التي كان يثيرها مُدّعاه كذبة بدافع التهوّس الوهمي او الطموح الشخصي او الطمع المادي . وكانت هذه الثورات تأتي عليهم دائمًا بالوبال . فكلام الملاك نفى هذه التخيلات الذميمة وأبان حقيقة وظيفة المسيح الموعود به وعمله . وذلك اعظم جدًّا من كل ما كانوا يتصوّرونهُ

ان البشير متى اورد وحدهُ خبر ظهور الملاك ليوسف . وكان يهتم باقناع اليهود الذين كتب لهم ان يسوع هو مسيح الانبياء ولذلك هو مسيحهم ايضًا . فأضاف الى خبرهِ شاهدًا من نبوّة اشعياء بان المسيح سيولد من عذراء وانهُ بسبب طبيعتهِ العجيبة يسمى "عمانوئيل" الذي تفسيرهُ "الله معنا"(١)

لم يطل الوقت الاّ "وفعل يوسف كما امرهُ ملاك الرب وأخذ امرأتهُ ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر"(٢) لان امر الملاك ان يفعل ذلك كان ضروريًّا في تلك الاحوال . فبناء عليهِ لم يُعرَف عند العموم والاهل الاّ ان يسوع هو ابن يوسف كما انهُ ابن مريم . وبهذا صان شرفهُ وشرف مريم ومولودها كل سني سكنهم مدينة الناصرة(٣) . فما اعظم الجائزة التي نالها هذا البارّ بسبب اختيارهِ خطيبة ذات محاسن ادبية على رغم فقرها المادي . ثم بسبب طاعتهِ للامر الالهي على رغم صعوبة هذه الطاعة دون برهان حسّي .

---

(١) اش ٧ : ١٤ اسم عمانوئيل يفيد اقتراب الله من الناس كما يفيد اسم يسوع اقتراب الناس من الله بواسطه نجاتهم من الخطية فيجوز ان يكون قول النبي عن الولادة من عذراء مشيرًا الى حادث طبيعي في حينهِ . لكن هذا لا ينافي الاشارة الاهم الى الحادث الجديد الذي اتى بهِ الملاك في كلامهِ ليوسف . فالنبوة تزيد قوةً بدلاً من ان تضعف متى تكرر اتمامها (٢) هذا قول ذو بال يستدعي الانتباه اليهِ . لانهُ بعد تسمية ابنها البكر بصعب حسبانهُ ابنها الوحيد (٣) ظهرت الحكمة الالهية في اختيار عذراء مخطوبة ليولد منها المسيح

آمن بالله كما آمن جدُّهُ ابرهيم فحُسب له برًّا. فلا شيء جزاؤهُ مكفول عند الله كالايمان به وبواعيدهِ وبمسيحهِ

"فقامت مريم في تلك الايام (١) وذهبت بسرعة" لزيارة اليصابات لترى بعينها صحة خبر الملاك عن حبلها العجيب في شيخوختها. فان صحَّ قول جبرائيل لزكريا يزيد يقينها بان قولهُ لها يصح ايضًا. فضلاً عن ذلك فهي ترغب في تهنئة اليصابات والاشتراك معها في افراحها الجديدة بسبب حظها الممتاز. ثم انها تغتنم هذه الفرصة الحسنة للاستفادة من نسيبتها بعد ان تكشف لها سرّها العميق

ولما انتهى سفر نحو خمسة ايام من الناصرة الى "مدينة يهوذا" (٢) وجدت مريم اليصابات في الشهر السادس من حبلها العجيب. وقد اشتهر امرها الآن بين قومها فزال عنها عار العقم. وبسبب المعجزة السارَّة التي حصلت لها صار لها اكرام جديد كأحد القديسين المختارين من الله وابتهاج جديد ناجم عن آمالها الجديدة. لما ألفت عليها هذه الصبية القادمة من الناصرة سلامها وعانقتها وهنأتها لما نالته من الالتفات الالهي تحرَّك في اليصابات الطفل الذي لم يولد بعد. فاتخذت ذلك دليلاً على ان هذه الزيارة الغير المنتظرة هي ممن سوف تكون والدة المسيح المنتظر. لان الروح القدس حلَّ عليها بقوة وانار عقلها واطلق لسانها "فصرخت بصوت عظيم". وفي هذا الصوت كرَّرت حرفيًا تهنئة الملاك السابقة لمريم في بيتها في الناصرة. واضافت القول "ومباركة ثمرة بطنكِ" ثم طوَّبت مريم على الايمان الذي اظهرتهُ عندما بشرها الملاك (٣)

نرى في تهنئة اليصابات لمريم تواضعًا جميلاً والهامًا روحيًا ساميًا لانها

---

(١) تفهم ان القول في تلك الايام يعني نحو الوقت الذي فيهِ زارها وبشرها الملاك جبرائيل (٢) المسافة تزيد عن مئة ميل (٣) هل كان في قولها هذا اشارة لطيفة الى تفوُّق مريم في الايمان على زكريا الذي كان قصاصهُ على عدم الايمان ضربة ثقيلة عليها كما عليهِ او اكثر

قالت "من اين لي ان تأتي ام ربي اليّ"؟ فقد انعكست آية الاحترام. اليصابات في مقامها كامرأة كاهن جليل وفي سن الشيخوخة وفي منزلة الاكرام الالهي الفائق الذي حصل لها في المعجزات المتعلقة بحبلها تقدّم الآن احتراماً كلياً لفتاة فقيرة لم يعرف لها احد بعد امتيازاً الا في حسن الصفات. ومن قولها "ام ربي" عرفنا ان هذا الاحترام لم يكن لاستحقاقٍ في مريم بل اكراماً للذي سوف تلدُ واعترافاً بمقامهِ الالهي. وهذا قول كبير جداً من فم امرأة يهودية فهيمة تقية نظير اليصابات. لا يمكن ان تقوله الاّ ويكون الروح القدس الحالّ فيها قد الهمها بهِ ولا يمكن ان يهودياً نظير لوقا البشير يلفتهُ عن لسانها ما لم تكن قد قالتهُ

وبعد ان اكملت اليصابات تسبحتها حلّ الروح القدس على مريم ايضاً فترنمت بنشيد ارتجالي يُعدُّ بين اشعار الانجيل القليلة اجملها واسماها اذ تضاهي هذه التسبحة افخر مزامير جدّها داود الشهيرة. ومنها يستدلّ ما كانت مجمّلة بهِ من الذكاء العقلي والشعور الروحي. في هذا النشيد تذكّرنا بسميّتها مريم اخت موسى التي ترنمت بنشيدة سامية بعد عبور الاسرائيليين البحر الاحمر[1]. وبالنبية دبورة في ايام القضاة التي رنمت ترنيمة شائقة بعد انتصار الاسرائيليين على الكنعانيين[2]. لكنها اشبهت بنوع خصوصي سميّة امها حنة النبية في ترنيمتها لما ولدت صموئيل بعد عقم طويل[3]. لهجة مريم في هذه الترنيمة بعيدة عن التعظُّم. فهي تشعر الآن بصغرها اكثر من قبل وتبين ان ليس هي بل الرب هو الذي قد تعظم بهذا العمل. تعترف في فاتحة ترنيمتها بأنها كغيرها تحتاج الى مخلّص. وانها قد لجأت الى الله لاجل خلاصها الشخصي. فلا يُنتظر منها ان تخلص الآخرين

يذكّرنا قولها "تعظم نفسي الرب" بجدّها داود لما رنم "باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمهُ القدوس"[4]. شعرت كما شعر داود

(١) خر ١٥: ١-٢١ (٢) قض ٥: ١-٣١ (٣) ١ صم ٢: ١-١٠ (٤) مز ١٠٣: ١

بعدم استحقاقها لهذا الانعام الالهي . وحسبت عمل الرب معها أعجب مما لو كان مع شخص ذي مقام . تذكرت المواعيد الالهية لجدّها ابرهيم ولنسلهِ الى الابد فحققت قول الملاك لها ان مولودها يملك الى الابد ولا يكون لملكهِ نهاية . علمت ان جميع الاجيال سوف تطوّبها لا لاجل ما فيها بل لاجل العجائب التي صنعها بها القدير . وقد تمّت نبوّتها هذه اتماماً فاق كثيراً اعظم تصوراتها

ليس المرمى في الانتباه الى الاحوال الخارجية في حياة العذراء المباركة حرمانها شيئاً من منزلتها السامية . بل تمجيد المولى الذي اختارها مع وضاعة منزلتها ورفعها الى اوج العظمة بانعامهِ الالهي . وهي اوّل من شعر واعترف بهذا الانعام . فقالت "ان الرب نظر الى اتضاع امتهِ لان القدير صنع لي عظائم" . وعرفت ما صرّح بهِ بعدها احد الرسل العظام لما كتب "لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية ليكون فضل القوة لله لا منّا"(١)

لم يكن بلا داعٍ كافٍ ان هذه الحادثة هي الخبر الوحيد الذي دلّ على عظمتها . لانها لم تصنع معجزة كالرسل والانبياء وغيرهم من القديسين . ولم يُذكَر لها كلام ذو شأن بعد هذا الحادث . ولا تقدّم لها اكرام خصوصي . وبعد قيامة ابنها سكت الوحي عنها تماماً الاّ في ذكر بسيط ساواها بغيرها انها كانت من ١٢٠ تلميذاً اجتمعوا لاجل الصلاة في علية صهيون(٢) فالتطوح في المبالغة الذي جرى من كثيرين في تعظيم هذه العذراء المباركة يولّد اليقين بان الروح الالهي الذي اوحى بالانجيل تعمّد السكوت عن تعظيمها بعد ولادة المسيح منها لئلا يسند ما هو وهي في هذا التعظيم الى الكتاب المقدس

يجب ان نستسلم لتأثير مثال انكار الذات في هذه الثنية حتى في ساعة اعظم ارتفاعها . اذ كان كل افتكارها في الرب وابتهاجها بما صنع واسمهُ قدوس . روح كلامها الآن هو روح خاتمة الصلاة التي علّمها اياها ابنها فيما بعد بهذا اللفظ "لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد" . واشارت ايضاً الى المبدإ

(١) ٢كو٤:٧ (٢) اع ١:١٤ و١٥

الانجيلي المعلن ان الله لا يحابي بالوجوه بل كثيرًا ما يعكس افكار البشر في معاملاتهِ . " يتزِل الاعزّاء عن الكراسي ويرفع المتضعين " يُغني الفقراء ويفقر الاغنياء . يرفض المعدودين انهم يستحقون التفاتهُ الخصوصي ويقبل الذين يُحسبون غير مستحقين . " هو اله يحفظ العهد والرحمة الى جيلٍ الاجيال للذين يتقونهُ " فيحق للكنيسة المسيحية ان تفتخر بتسبحة مريم هذه وتحسبها أنفس الترنيمات الانجيلية

ولا عجب اذا تمسكت اليصابات بمريم وهذه بتلك حتى مضى على هذه الزيارة ثلاثة اشهر . واخيرًا حان زمان اليصابات لتلد . فودّعت مريم هذَين الشيخين المحبّين التقيين ورجعت الى بيتها في الناصرة مستفيدة منتظرة يومها السعيد . الى ان اتى يوم فرح عظيم شامل في مدينة يهوذا حدث في بيت الكاهن زكريا . لان الرب عظّم رحمتهُ لامرأتهِ اليصابات . فولدت في الميعاد القانوني غلامًا . فلأنهُ غلام وولادتهُ من باب المعجزات عَظُم السرور ولاسيما بين " جيرانها واقربائها "

وبعد ان مضى على ولادة هذا الصبي سبعة ايام باشر الاهل مع رجال الدين مهمّة ختانهِ وتسميتهُ في اليوم الثامن حسب الشريعة الموسوية ويظهر انهم من الجهة الواحدة اهملوا الاب في اختيار الاسم حاسبينهُ كميت نظرًا لشيخوختهِ وطرشهِ وخرسهِ . ومن الجهة الاخرى اكرموهُ اذ قصدوا ان يحيوا ذكرهُ بعد موتهِ باعطاء اسمهِ لابنهِ الوحيد الجديد . ثم اهملوا الأُم ايضًا لانها امرأة ونافس . فقرروا بدون استشارة الوالدين اسم زكريا . فلما علمت الأُم بمقصدهم اعترضت قائلة " لا بل يسمى يوحنا ".(١) واذ لم يقنعوها بقولهم ان هذا الاسم لم يستعمل في أُسرتهم مطلقًا . سألوا الاب بالايماء . فطلب لوحًا وكتب عليهِ " اسمهُ يوحنا "(٢) لانهُ هو ايضًا مهتم اكثر من امرأتهِ بحفظ وصية

(١) اي الرب حنّان (٢) كانت وسائل الكتابة خفيفة في تلك الايام اذ كانوا يستعملون قطعة خشب يكتبون عليها بطباشير او يطلونها بشمع ويكتبون عليها او على

الملاك التي لا علم للحاضرين بانهُ قد أعلن هذا الاسم فتعجبوا من الاتفاق بين القولين

حالما أطاع زكريا امر الرب في تسمية الصبي ثمَّ وعد الملاك له بانهُ يحلّ من قصاصهِ . فانفتحت اذناهُ وانطلق لسانهُ "وبارك الله". أُعتقل فمهُ بكلام الشك وانطلق بكلام التسبيح" . اوقعت هذه المعجزة الجديدة التابعة لما سبقها خوفًا في قلوب المشاهدين لان المعجزات لم تحدث قبلاً في زمانهم ولا في زمان آبائهم ولا اجدادهم . فانتشر خبر هذه الامور بسرعة في كل نواحي اليهودية . وصارت موضوع حديث القوم في كل مكان وبات الناس يفكرون في ماذا يكون مستقبل هذا الصبي لعلهُ هو المسيح المنتظر

ثم ان الروح القدس الذي حلَّ على مريم في الحبل العجيب وأنطقها في تسبحتها المبهجة كما على اليصابات في تسبحتها ايضًا حلَّ الآن بقوة على زكريا حتى قيل انهُ "امتلأَ من الروح القدس" . فتنبأَ بترنيمة شائقة يلاحظ فيها خصوصًا ان الروح الذي حلَّ عليهِ أنطقهُ لا بتمجيل ابنهِ الذي هو موضوع ابتهاجهِ الطبيعي بل بامجاد ابن مريم الذي لم يولد بعد . ومع انهُ رأى ولادة ابنهِ الخارقة الطبيعة وسمع من الملاك انهُ يكون عظيمًا امام الله والناس علم بالوحي الالهي ان عظمة ابنهِ ناتجة عن كونهِ مقدِّمة ومبشرًا لابن مريم الذي سيكون اعظم كثيرًا من ابنهِ . فبارك الله الذي أقام هذا الاعظم فاديًا ومخلصًا في بيت داود اتمامًا لمواعيدهِ القديمة للآباء

نعم ان زكريا كسائر اليهود كان مشخّصًا المسيح في افكارهِ كمنقذ شعبهُ اسرائيل من نير اعدائهم الأُمميين "لكي يعبدوهُ بلا خوف بقداسة وبرّ جميع ايام حياتهم" . لكنهُ اشار في خاتمة قصيدتهِ الى خلاص اعظم وهو مغفرة الخطايا والى نور يضيء على جميع الجالسين في الظلمة وليس فقط على شعبهِ اليهودي فيهدي الاقدام في طريق السلام . اما الصبي يوحنا فمن ذلك الوقت وصاعدًا

لوح من رصاص بقلم من حديد يحفر الحروف

"كانت يد الرب معهُ وكان ينمو ويتقوّى بالروح وكان في البراري الى يوم ظهوره لاسرائيل"

ترينا حوادث هذا الفصل اهمية المرأة في الدين . فانها كما اشغلت في فاتحة التاريخ البشري دورًا مهمًا في شخص امنا حوّاء أشغلت أهم منهُ في فاتحة التاريخ المسيحي في شخص اليصابات ومريم اللتين امتلأتا من الروح القدس وتنبأتا بأسمى المعاني وابلغ العبارات . وكانتا الواسطة لظهور يوحنا وهو اعظم الانبياء ويسوع وهو المسيح الموعود بهِ ومخلّص العالم

الفصل الرابع

(لو ٢ : ١ – ٣٨)

(المرصع) ف ٤ (الزمان) ك ١ سنة ٥ ق م (المكان) بيت لحم

وصف اورشليم والهيكل . ولادة يسوع . ظهور الملائكة للرعاة . حوادث سهول بيت لحم . زيارة الرعاة . تقديس درجة الطفولية . ختان يسوع . تقديمهُ في الهيكل وتطهير مريم . مباركة سمعان الطفل . احتفاء النبيَّة حنة بهِ . ادلة عظمة شخصهِ

نشكر للبشير لوقا الطبيب الحبيب اهتمامهُ بتفصيل طفولية يسوع . فانهُ كتب بعد متى ومرقس واهتمَّ بما كانا قد اهملاهُ. كتب بقيادة روح الوحي وصيانتهِ لكي يحصل العالم على هذه الاخبار الجميلة . ونستنتج من تدقيقهِ فيها انهُ كاشف مريم ام يسوع ومنها وقف على الحوادث الواردة في القسم الاول من بشارتهِ لانهُ لا يمكن ان تُعرَف الاَّ من فمها اولاً

يقول ان مريم كانت في بيت يوسف كامرأتهِ مدة اشهر الحبل وان ايامها قربت لتلد وهما في وطنهما الناصرة . لكن نبوة ناطقة كتبها ميخا النبي قبل هذا الوقت بنحو سبعماية سنة تقضي ان يولد المسيح في بيت لحم بعيداً عن الناصرة[1] . وليس من دليل على ان يوسف ومريم انتبها الى هذه النبوَّة. لا بل يرجح ان ليس لهما اقل فكر ان يبرحا الناصرة في هذا الوقت

لكن السماء والارض تزولان ونقطة واحدة من قول الله لا تزول[2] . قال النبي " فتشوا في سفر الرب واقرأُوا واحدة من هذه لا تفقد * * لان فمهُ

(١) مي ٥ : ٢ (٢) مت ٥ : ١٨

هو قد أمر وروحهُ هو جمعها"(١). وقال ايضًا" كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان الى هناك *** هكذا تكون كلمتي التي تخرج من في . لا ترجع اليَّ فارغة . بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما ارسلتها له"(٢)

فاي عامل يكفي ليسوق هذين الشخصين من الناصرة الى بيت لحم محتملين مشقة سفر اربعة او خمسة ايام في اول فصل الشتاء ومريم على وشك الولادة ؟ ان الله يستخدم لاتمام مشيئتهِ ليس الملائكة فقط بل الملوك ايضًا. ألم يقل الحكيم "قلب الملك في يد الرب كجداول مياه حيثما شاء يميلهُ"(٣) فسخَّر الله آنئذٍ اعظم ملوك الارض لاتمام النبوَّة المتعلقة بهذا الامر الجزئي اي محل ولادة المسيح

هذا اوغسطس قيصر امبراطور الرومان الذي كانت سيادتهُ تمتد على أهمّ اقسام المعمور من بريطانيا شمالاً الى الحبشة جنوبًا ومن سبانيا غربًا الى العجم شرقًا . وكان تاريخ تأسيس مملكتهِ قاعدة تاريخ العالم المتمدن القديم

امر هذا الامبراطور باحصاء عمومي لرعاياهُ . ومراعاةً لمطالب الشعب اليهودي استثناهُ وسمح بان يؤخذ الاحصاء عندهم في الوطن الاصلي لكل سبط وعائلة حفظًا للأنساب التي كانت المحافظة عليها واجبًا دينيًا مقدسًا . اما في البلدان الاخرى فأحصوا النفوس في اوطانهم الحالية بقطع النظر عن الاصلية. وبما ان يوسف ومريم متمسكان شديدًا باصلها الداودي . لذلك اضطرا ان يذهبا للاحصاء الجديد في بيت لحم مدينة اجدادهما ومحل وجود القيود الداودية لقيد اسميهما بين افراد النسل الداودي

نرافقهما فكرًا في سفرهما الميمون جنوبًا في الارض المقدسة بين القرى والمدن الشهيرة في تاريخ شعبها . ولما قربا في آخر يوم من اورشليم محط فخرهم العظيم. لا بد من انهما عرَّجا اليها وزارا الهيكل الموقَّر لتأدية الفروض الدينية فيهِ . كانت هذه المدينة تغطي في عزّها مساحة نحو الف وخمسمئة دنم وكان ايضًا

(١) اش ٥٥: ١٠ و ١١ (٢) اش ٥٥: ١٠ و ١١ (٣) ام ٢١: ١

تحت الارض مساكن واسعة جدًّا (١). صوَّر المؤرخون اسواقها غاصة بكل انواع الامتعة المستجلبة من أنحاء العالم اجمع. فكانت كل الازياء ممثَّلة في هذه البقعة الصغيرة ويُسمع في شوارعها اكثر لغات العالم. وتُرى الاصطلاحات المختلفة لاكثر شعوب المسكونة في ذلك الزمان. ويذكر الكتبة ان اصناف الواردات الى هذه المدينة حوت مئة وثمانية عشر صنفًا. منها الحرير الذي لندوره وافتخار الناس به كان يباع بثقله من الذهب. وكان رطل الصوف المصبوغ باحسن صباغ ارجواني يباع بما يساوي مئتي ليرة

واما الهيكل فكادت فخامته لا توصف. وحجارته البيضاء الضخمة كانت موضوع اعجاب كل من نظرها. يقول يوسيفوس ان طول بعضها كان ١٩ ذراعًا وعرضها ٦ اذرع. وعلو اكبر ابوابه التسعة ٢٧ ذراعًا يتدلى من عتبته دالية من ذهب طول كل عنقود فيها اكثر من ذراعين. وقبة الرخامية المغشاة بصفائح من ذهب كانت تتلألأ في نور الشمس بلمعان باهر ولروقته الفسيحة كانت قائمة على ١٦٢ عمودًا علو كل منها ١٢ ذراعًا ومحيطه ٦ اذرع

استأنف هذان الكريمان سفرهما من اورشليم جنوبًا ومرًّا في طريقهما بالقصر المحصَّن على جبل الفريديس لهيرودس الكبير ملك البلاد. وهما لا يدريان شيئًا مما سينويه هذا الملك او يجريه بشأن الطفل المنتظر. ومرًّا ايضًا بضريح جدتهما الشهيرة راحيل امرأة يعقوب. وانتهيا الى المرتفع الذي تكللهُ المدينة الصغيرة مقصدهم التي نالت شهرتها الاولى قبل المسيح لكونها وطن داود اعظم رجال التاريخ الاسرائيلي بعد موسى الكليم. ثم شهرتها الثانية المضاعفة بسبب ولادة يسوع المسيح فيها (٢)

(١) لما اخذ الرومان المدينة بعد حصارهم الطويل وجدوا في هذه السراديب والقصور (السفلية) التي جثة من القتلى ما عدا الوفًا من السكان اللاجئين اليها من سيف الفاتحين (٢) تبعد بيت لحم عن اورشليم نحو ستة اميال اي اقل من ساعتين مشيًا

في مدة الالف سنة منذ العهد الداودي كان قد تفرّع وتفرّق في انحاء العالم عدد غفير من سلالة داود الملكيّة . فبعَوْدِ الكثيرين منهم في وقت واحد لاجل الاحصاء حصل ازدحام كلي في هذه البلدة الصغيرة . لذلك لم يجد يوسف ومريم محلاً لهما في الفندق العمومي . ولا قبلهما أحد في بيته . لان فقرهما الظاهر حال دون ذلك . وزد على ذلك ان اهل اليهودية كانوا يزدرون بالجليليين الذين كان يوسف ومريم منهم[1] . فيا للعجب انهُ في وطنهما الاصلي لم يجدا أقل ترحاب بل باتا في اصطبل الفندق

وبينما هما مقيمان في هذا المقرّ الحقير تمّت ايام مريم لتلد . فولدت ابنها البكر وقمطتهُ بيديها بالقليل المتيسر لديها . واضجعتهُ في المذود لعدم وجود سرير تضعهُ فيهِ . فاي فقر وذل اعظم من هذا ؟ لا بد من الملاحظة بان هذه الاحوال الوضيعة المخالفة للعظمة التي ينسبها البشريون الى يسوع تبرهن صدق مقالهم . لانهُ لا يحتمل انهم يلفقون الضدين لهذا المقدار . الاصل الحقير البشري لا يوافق المقام السامي الذي يعطى ليسوع في الانجيل حتى يجوز ان يكون الخبر مصنّعاً

فهل يمكن ان يختلق كتبة يهود مسيحاً اصلهُ الظاهر حقير كهذا الاصل ومع ذلك ينسبون اليهِ اصلاً الهيًّا ايضاً ؟ او ان يصوّروا لجماعتهم اليهود مسيحاً محضاً للايمان بهِ هو بعيد لهذه الدرجة عن دوائرهم الدينية الرسمية وعن تصوُّراتهم الراسخة وتقاليدهم المعدودة عندهم مقدسة ؟ لكنهُ يوافق القصد الالهي في التأنس لاجل اثبات الحب العجيب الذي تنازل الى هذه الدرجة بقصد تخليص الخطأة

---

(١) كان كثير من الامم ساكنين في الجليل مع انها بلاد اليهود . فكان اليهود يعدُّون الامم نجسين ويجسون الذين يخالطونهم . ولفظ الجليليين لغتهم العبرانية ميزهم عن يهود اليهودية فاحتقرهم هؤلاء ولا سيما رؤساء الدين منهم وسمّوا بلادهم جليل الامم (اش ٩ : ١)

لم يبالِ بولادة هذا الطفل سوى مريم ويوسف . بينما كان للمنشور القيصري الذي ساق هذا الجمهور الى بيت لحم تأثير عظيم في كل المعمور . واهتم له وتحدّث به جميع الناس من كبيرهم الى صغيرهم . اما اليوم فبالعكس . لان العالم كان قد نسي منشور القيصر تمامًا لولا اقترانهُ بولادة هذا الطفل وصار سؤال عموم البشر لا عن ذلك المنشور بل عن هذا المولود ومنزلهِ الوضيع . وصار تقاطر جميع المتمدنين ليس الى قصر اوغسطس بل الى مذود يسوع الذي فاق شهرةً ومقامًا أفخر معابد الاغنياء[1]

فلنتفرس في هذا المذود ونسأل هل ذلك الطفل الضعيف الفقير هو ذات الشخص الذي نراهُ الآن بعد الفي سنة موضوع عبادة اعظم ملوك الارض واغنى سكانها واشهر علمائها . فانهم يفتخرون بان يسجدوا امام صليبهِ وان ينتسبوا اليهِ وان يخضعوا لتعاليمهِ . والحق يقال اننا نرى فيهِ وهو ابن يوم واحد موضوعًا لمزيد الاحترام الحبي . لانهُ آدم الثاني داخلاً الى العالم

(١) يذكر المؤرخ يوستينوس مارتيروس الذي كتب نحو مئة سنة بعد المسيح ان يسوع وُلد في كهف والمحل المخصص الآن لذكر ولادتهِ هو كهف . والقديس الشهير العالم ايرونيموس قضى ٣٠ سنة الى وفاتهِ في الدرس والصلاة والصوم في مغارة بيت لحم وفيها ترجم الكتاب المقدس من العبرانية واليونانية الى اللاتينية وترجمتهُ هذه تسمى التوراة الفاتيكانية التي تعوّل عليها الكنائس البابوية . وقد بني على هذا الكهف كنيسة فاخرة وتزينت هذه المغارة الصغيرة بتحفٍ ملكية . وفي وسط ارضها الرخامية منزّل نجم من الفضة تذكارًا لنجم المجوس . وحول النجم يقرأ الزائر باللغة اللاتينية هذه الجملة " هنا وُلد يسوع المسيح من العذراء مريم " وستة عشر سراجًا لا يطفىء ضوءها نهارًا ولا ليلاً وفي ليلة عيد الميلاد المبارك تجري في هذه المغارة احتفالات دينية باهرة يقيمها اعظم رؤساء المذاهب المسيحية التقليدية (لتمسك رؤسائها بتقاليد كنسية اضافية خارجة عن الكتب المقدسة) ولا بد للزائر المفكر من مقابلة هذه المظاهرات الخرجية مع صورة الولادة الحقيقية فيأسف لان هيئة المحل لم تترك على اصلها الطبيعي البسيط ليرى عيانًا مثال الاتضاع العجيب الذي ابتدأ في مذود بيت لحم . فيطلق العنان لتصوراتهِ وتأثيراتهِ الروحية بدلاً من انتباه الحواس واشتغال الافكار بظواهر كهذه

كآدم الاول دون اب بشري ودون خطية او شبه خطية لكي يصلح ما افسدهُ آدم الاول بسقوطهِ ويجدد نسلاً روحيًا يُعيد الفردوس اخيرًا الى عالمنا هذا الحزين[1]

وان حوّلنا الآن نظرنا الى السماء نرى فيها اعظم حركة أُعلن لنا حدوثها . قد سبق بيان اهتمام اهل السماء بحوادث الارض وتكرّر مجيء كبير الملائكة ليبشر بقرب هذه الولادة العجيبة . لكن هذه هي المرّة الوحيدة التي فيها أُرسل الى العالم جمهور من الملائكة وسمع على الارض ترنيم الحان السماء

فمن هم الذين نالوا هذا الحظ الفريد وبهرت ابصارهم رؤية هذا الجمهور وشنّفت اسماعهم هذه الترنيمة الوحيدة السماوية التي بلغت آذان البشر ؟ ليسوا اكابر القوم ولا علماءهم ولا رؤساء الدين المتزل . لم يحظَ بذلك هيرودس الملك في قصرهِ المجاور . ولا رئيس الكهنة في الهيكل القريب الباهر . بل قد حصل هذا الشرف وهذا السرور لأشخاص تناسب احوالهم الخارجية احوال هذا المولود لكي تتم هيئة الاتضاع التي تمثّل تنازل الاله لاجل خلاص الانسان

لما تأسست الارض ووُضع حجر زاويتها "ترنمت كواكب الصبح معًا وهتف جميع بني الله "[2] . لكن هذا الهتاف والترنيم لم يطرقا آذانًا بشرية . انما لما تأسس النداء ووضع حجر زاوية الخلاص للبشر الخطأة بتأنُّس الابن الازلي سُمع فوق سهول بيت لحم هتاف ملائكة الله في آذان "رعاة متبدّين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم"

في هذه السهول التقطت قديمًا راعوث الموآبية كنّة نعمي وراء حصّادي

(١) ان في اوربا صورة كبيرة شهيرة لاحد الماهرين في فن التصوير الملون . يتخصّص فيها الطفل يسوع في المذود ومريم ويوسف واقفين يتفرسان فيهِ باعجاب . والنور يتدفق من وجه الطفل وينير وجهي ابويهِ وكل الاصطبل الذي هم فيهِ . قصد المصوّر ان يبين ان المقام والاكرام اللذين احرزهما فيما بعد يوسف ومريم ليسا الاّ مستمدّين من المقام والاكرام الاصليين الكائنين منذ الازل لهذا الطفل العجيب الذي وُلد من مريم . كما ان نور القمر مستمد من اشعة الشمس الواقعة عليهِ

(٢) اي ٣٨:٧

بوعز كبير رجال بيت لحم الذي لما رأى محاسنها اختارها زوجة له. فصارت جدّة لداود الملك ثم للمسيح. وفي هذه الحقول كان داود الملك في حداثته يرعى اغنام ابيه يسّى. وهنا قتل الاسد والدب معًا[1]. فالبشارة الاولى بولادة ابن داود أُعطيت لأُناس يمارسون حرفة داود ابيه

وبينما كان هؤلاء الرعاة ساهرين على اغنامهم وقف بهم ملاك الرب واضاء حولهم مجد الرب[2]. فيحق لهم اكثر من مريم وزكريا ان يخافوا خوفًا عظيمًا. لكن الملاك قال لهم كما قال للمذكورين "لا تخافوا" ثم قال "ها انا ابشركم بفرح عظيم". بشّر جبرائيل زكريا ثم مريم بامر مفرح جدًا سيكون قريبًا. لكن هذه البشارة اهم لان موضوعها امرٌ واقع لا امرٌ سيكون. اخبرهم ان هذا الفرح يشمل جميع شعب الله. بهذا يعرَف من هم شعب الله. هم الذين يفرحون بهذه الولادة. هذا المبشر السماوي يعلم جيدًا ان هيرودس ملك اليهود ورؤساءهم ان في الدين وان في السياسة حتى وعموم الشعب اليهودي لا يفرحون بها. فكم بالحري لو دروا في هذا الوقت بمعناها ونتائجها

اعتنى الملاك بتكرار الكلمة الجوهرية التي اعلنها لزكريا حتى انه سمّى هذا الطفل "قرن خلاص في بيت داود فتاهُ[3]. والتي قالها لمريم ثم ليوسف لما سمّاهُ "مخلصًا" وقال الآن للرعاة "وُلد لكم اليوم مخلص" وافهم الرعاة ان هذا المخلص هو من مدينة داود فهو اذًا من نسله. وانهُ المسيح. اذًا هو الموعود به من قديم. وانهُ الرب اذًا وليس مجرّد بشر. ثم اعطاهم علامة دون سؤال منهم وهي الهيئة التي يرونها عندما يجدون هذا المخلص

وحالما اكمل الملاك هذا الموضوع الخطير ظهر بغتةً "جمهور من الجند السماوي" لا لاعلان آخر بل لتثبيت الاعلان الاول. ظهروا "مسبحين الله" تسبح الله عملهم الخصوصي في السماء. ولما جاءوا الى الارض كان هذا ايضًا عملهم.

(١) ١صم ١٧: ٣٤ (٢) لعله ذات الملاك جبرائيل آتيًا قائدًا الجمهور الذي ظهر بغتةً معهُ. لان الله اله ترتيب والترتيب يستلزم القيادة (٣) لو ١: ٦٩

جوههم متجهة نحوهُ تعالى أينما كانوا وكلامهم لهُ وابتهاجهم بهِ . أفلا يجب ان نقتدي نحن بهم ؟ وقد نلنا الحظ العظيم ان كلام تسبحتهم حُفظ حرفيًّا وقد اصبح من اشهر الالفاظ كما انهُ من اسمى المعاني . قالوا . "المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرَّة" . وهذه العبارة الوجيزة تتفق مع قول الرسول ان "ملكوت الله هو برّ وسلام وفرح"(١) . لان مجد الله برّهُ اي قداستهُ . وثمر البرّ السلام والسرور

ليس للملائكة ان يمكثوا مع البشر مهما اشتهى البشر رفقتهم . فرجعوا الى السماء وكان تأثير زيارتهم ان الرعاة اسرعوا الى البلد حسب اشارة الملاك ليمتعوا اعينهم بهذا المنظر الجامع بين المجد والذل . فصاروا شهودًا للزيارة الملاكية ثم للاعلان المثبت حقيقة هذا الطفل الغير الظاهرة في شيء من احوالهِ الخارجية . فلو وُلد هذا الطفل في قصر ملكي يناسب مقامهُ الحقيقي ولو قليلاً لما كان يسمح لهولاء الرعاة في البستهم الدنيئة وهيئتهم البربرية ان يدخلوا لينظروهُ . ولكن من يردعهم عن زيارة الاصطبل ؟ جاءوا مسرعين فرأوا ما اخبرهم بهِ الملاك تمامًا واتحفوا مريم ويوسف وغيرهما ممن صادفوهُ بخبر ما حدث لهم في ذلك الليل في البرية . وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة . اما هذه الوالدة السعيدة فكان لها هذا الخبر في المنزلة الاولى من الاهمية لاثبات صحة بشارة الملاك لها بخصوص مولودها

ثم رجع الرعاة الى قطعانهم وهم يمجدون الله ويسبحونهُ كما فعل الملائكة في مسامعهم . فكان اوَّل من بشَّر بمجيء راعي اسرائيل وراعي الكنيسة العظيم رعاة أعادوا الى هذه المهنة الشريفة شيئًا من كرامتها المفقودة

في زمن يسوع كان الرعاة عند اليهود من ادنياء القوم وعدُّوا خارجين عن الدين نظير اللصوص والعشارين مع ان هذه المهنة في التاريخ المقدس بشرفت فوق سائر المهن . فهابيل ويعقوب وموسى وداود وعاموس النبي

(١) رو١٤: ١٧

كانوا جميعاً رعاة . لكننا نفضل ان نتصوّر هؤلاء الرعاة من الاتقياء رغماً عن فقرهم واضطرارهم ان يهملوا كثيراً من فروض الدين العديدة والثقيلة . لا بل يجوز الظن ايضاً بان الاغنام التي كانوا يرعونها هي المخصصة لخدمة الهيكل المعدّة للتقديم على المذبح المقدس . لان العدد اللازم للذبائح اليومية لم يكن قليلاً . واما اللازم في الاعياد الكبيرة فكان يُعدُّ بعشرات الالوف او مئاتها . فان صحّ هذا الظن نرى علاقة لطيفة بين هذه الاغنام المعدّة للذبح في الهيكل وهذا الطفل الذي سمّاهُ المعمدان "حمل الله"(١) وسماهُ يوحنا الرسول "الخروف المذبوح"(٢)

في هذا المذود اختير بدائهِ تجلّت درجة الطفولية بشرف سامٍ ومؤبّد . لانهُ بتأثير هذا المذود صار العالم المتمدن يهتم اهتماماً جديداً باطفالهِ . لان الطفل يسوع قدّس فيهِ كل سرير وكرّس الطفولية تكريساً ثابتاً . وهذا امر يذكرهُ الوالدون المفكرون في معاملة اطفالهم . فلا يقتصر اهتمامهم بهم على العاطف الطبيعي العام الذي يشمل حتى الحيوانات البكم . ولا يقف الاتقياء عند الاهتمام باطفالهم فقط بل يشملون بالحب والخدمة اطفال الآخرين ايضاً

في اليوم الثامن بعد ولادة هذا الطفل أُجري لهُ فرض الختان الذي سنّهُ الله في دور ابرهيم علامةً لافراز شعبهِ عن الامم الوثنيين حولهم . وكان ذلك الافراز لوقاية شعبهِ من عادات هولاء القوم السيئة واضاليلهم الفاسدة وامياهم الشريرة . وضعهُ الله في قالب دموي دلالة على اهمية سفك الدم لاجل المغفرة والخلاص(٣) وهذا معنى الخيط القرمزي الذي كان علامة لخلاص راحاب واهل بيتها في مدينة اريحا(٤) . ففي شخص يسوع اتصل الخيط الاحمر الدموي من السرير في بيت لحم الى الصليب في جلجثة ورُشّ من دم الصليب على السرير . هكذا يحمرّ الجوّ الشرقي محل شروق الشمس بتأثير احمرار غروبها

(١) يو ١ : ٢٩ (٢) رؤ ٥ : ١٢ (٣) عب ٩ : ٧ و ٢٢ (٤) يش ٢ : ١٨

هذه المرّة الاولى من مرّات عديدة فيها أُخضع وخضع مؤسس العهد الجديد لنرائض العهد القديم . وهذا لكي يوصل في شخصهِ العهدين كما يوصل في شخصهِ ايضاً طبيعتَي الخالق والمخلوق . وُلد "تحت الناموس"(١) لكي يطيع الناموس الالهي لان طاعتهُ قسمٌ رئيسيٌّ من عملهِ الخلاصي . وتم فريضة الختان الخارجية ليحرر شعبهُ منها ويعلّمهم ان ليس الختان في الجسد هو الذي يطلبهُ الله الآن . بل الختان في الروح (٢) . وقضي عليهِ كمخلص ان يكون تحت الآلام مثلنا . فابتدأ يشعر بهذه الآلام من اوّل اسبوع في حياتهِ الارضية

وفي ساعة ختانهِ اخذ الطفل رسميا ذلك الاسم الشريف الذي أُعطيَ بأمرٍ من السماء . وبذلك ظهر ان وظيفتهُ المخلصية ليست امرًا مبتكرًا عندهُ او عند أتباعهِ ولا ملحقًا نتج عن تصورات هولاء بل إنها امر مقرّر بالقضاء الالهي منذ البدء

مضى على هذه العائلة الصغيرة المباركة في غربتها في بيت لحم خمسة اسابيع بعد الاسبوع الاوّل فوصلوا الى ميعاد تأدية فرض آخر من الفروض المهمة ليس للولد فقط بل للوالدة ايضاً . فرَض الناموس القديم على المرأة ان تبقى تحت حكم النجاسة الطقسية اربعين يومًا بعد ان تلد ذكرًا ولا يجوز لها في غضونها ان تدخل المعبد . وعند نهاية هذه المدّة القانونية تأتي الى الكاهن بخروف حولي فيكفّر عنها فتطهر . وان لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين او فرخَي حمام (٣)

وفرض ايضاً الناموس ما يختص بالولد على هذه الصورة "تقدّم للرب كل بكر من الحيوانات الطاهرة . الذكور للرب . وكل بكر انسان من اولادك تفديهِ (٤) بخمسة شواقل على شاقل القدس وهو عشرون جيرة" .

---

(١) غل ٤:٤ (٢) رو ٢:٢٩ (٣) لا ١٢:٢-٨ يلاحظ ان مريم لم تستثنَ من هذا القانون بل قضت مدة النجاسة وادّت فروض ذلك كسائر الوالدات اليهوديات

(٤) خر ١٣:١٢ و١٣ و ٣٠:٣٤

كان الاصل ان كل بكر ذكر يكرّس لخدمة الرب في الكهنوت. انما استُبدل بأمر الرب ابكار ذكور كل الاسباط بجميع ذكور سبط لاوي . فيقدَّم عن الاولين الفداء المارّ ذكرهُ

بناء على هذين الرسمين الضروريين صعد يوسف ومريم ليقدّما الولد في الهيكل ويجريا ما يُطلَب من مريم لاجل تطهيرها حسب شريعة موسى . وبعد دفع الخمسة شواقل[1] فداء الصبي لم يبقَ لديهما ثمن الخروف الحوليّ ليقدماهُ ذبيحةً . فاضطرّا ان يستعينا بمادّة الرحمة ويستبدلاهُ بفرخَي حمام .

فاي برهان اوضح من هذا على فقرهما المدقع ؟ ان تذكّرنا من هو هذا الطفل وما هو مقدار ابتهاجها وافتخارها به نعرف انهُ لا يمكن ان يبخلا مطلقًا او يمتنعا عن تقديم الخروف المطلوب الاّ مرغمين بضائقة كليّة . وهذه الزيارة للهيكل هي الاتمام الاوّل لتلك النبوّة الواردة في خاتمة اسفار العهد القديم القائلة " ويأتي بغتةً الى هيكلهِ السيد الذي تطلبونهُ وملاك العهد الذي تسرّون بهِ "[2]

لم تنتهِ هذه الزيارة الاولى من "رب الهيكل الى هيكل الرب" دون حوادث فوق العادة تناسب وتؤيد ما سبقها من المعجزات . تعرّض ليوسف ومريم " رجلٌ بارٌ تقيٌ كان الروح القدس عليهِ ". وهو من الذين هم الاعظم انتظار مجيء المسيح الموعود بهِ " تعزية اسرائيل ". هذا الرجل الشيخ واسمهُ سمعان كان قد أُوحي اليهِ بالروح القدس انهُ يرى قبل موتهِ مسيح الرب . فشعر في ذلك النهار ان هذا الروح يجذبهُ الى الهيكل . ثم يهديهِ الى هذا الطفل . فأخذ الصبي وحملهُ على ذراعيهِ كأنهُ يقدمهُ للرب وبارك الرب وقال " الآن تُطلِق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لان عينيّ قد أبصرتا خلاصك ". ثم في خاتمة تسبحتهِ المختصرة فاقَ زكريا ومريم والبصابات ويوسف في ايضاح عمومية هذا الخلاص انهُ لجميع الشعوب وليس لليهود فقط

(١) اي نحو مئة غرش (٢) ملا ٣ : ١

اذ قال "نور اعلان للامم" وليس فقط "مجد لشعب اسرائيل"

ولما اظهر "ابواهُ" التعجب من مضمون هذه النسبحة ومن معرفة هذا الرجل مقام هذا الطفل ومستقبلهُ باركها كما يبارك الكبير الصغير. ثم كشف لأُمهِ بكلام خصوصي سرًا عميقًا ومهمًا جدًا متعلقًا بشخص المسيح وعملهِ وهو كما ان المخلص يقيم كثيرين فهو ايضًا يُسقِط كثيرين وانهُ سيكون موضوع اشد المقاومة والاضطهاد. ويسبّب كشف كثير من مكنونات القلوب وان لها كأُمهِ شركة كلية في آلامهِ حتى كأنَّ سيفًا يخترق قلبها

وبعد هذا الحادث تقدمت نبية اسمها حنة بنت فنوئيل من سبط اشير[1] كانت طاعنة في السن وقد ترمّلت قبل هذا بنحو اربع وثمانين سنة[2]. فاستعاضت عن زوجها بالتعبُّد لله. ولما رأت الطفل مع "ابويهِ" وسمعت كلام سمعان الشيخ وقفت تسبح الرب "وتكلمت عنهُ مع جميع المنتظرين فداء في اورشليم"[3] وبهذا الحادث اصبحت حنة بكر المؤمنات بيسوع بعد ولادتهِ وباكورة جيش النساء الفاضلات اللواتي في كل العصور عضدنَ خدمتهُ بخدمتهنَّ اياهم[4]. وبعد هذه الزيارة للهيكل في اورشليم عاد الثلاثة الى مدينة اجدادهم بيت لحم. وبزوال الازدحام الوقتي تيسر لهذه العائلة المباركة مقرٌ هناك غير الاصطبل

---

(١) احد الاسباط العشرة التي كانت قد تشتتت الى جهات مجهولة فضاع شعبها ولم يبقَ منها بين شعب اسرائيل الاَّ افراد (٢) يحتمل ان تشير هذه العبارة الى سنها لا الى مدة ترملها (٣) ذكر سبطها يدل على انها من اسرة ذات مقام وتقواها للعبادة الدائمة في الهيكل نهارًا وليلاً يرجح انها لم تكن من الفقيرات (٤) يلاحظ انهُ قد ذكر لزكريا ومريم واليصابات وسمعان وحنة كلام نبوي مبهج وورد كلام في وصفهم يوجب الاكرام بينما لم يذكر ليوسف شيئًا من ذلك مطلقًا. ومع ذلك فالتقليدات المسيحية تعطي يوسف دون مستند مقامًا ممتازًا فوق اكثر الرسل والقديسين وهذا من امثلة الحيدان عن النصوص الالهية وابدالها بالنصوص البشرية

الفصل الخامس

(مت ٢: ١ – ٢٣ لو ٢: ٣٩ و ٤٠)

(المرصّع) ف ٤ (الزمان) ربيع سنة ٤ ق م

(المكان) بيت لحم . مصر . الناصرة

اهتمام قوات الشر بولادة يسوع . قدوم المجوس من المشرق الى اورشليم وتأثير ذلك . النجم الذي ظهر لهم وما يتعلّق به . زيارة المجوس الطفل في بيت لحم . رجوعهم على طريق اورشليم . الهرب الى مصر وتشبيهاته . غيظ هيرودس وقتله اطفال بيت لحم . العود من مصر والاستيطان في الناصرة . الغرائب التي حفّت بطفولته . المختنون بولادته . ملء الزمان

ها قد جاء المسيح حسب المواعيد العديدة المليّة . فكيف يكون استقباله ؟ قد رأينا اهتمام جنود الصلاح السماويّة والارضيّة بهذه الولادة العجيبة . لكن الاشباح الملاكيّة المبهجة توارت عن الابصار بالنسبة الى الاشهر الماضية . وظهرت الاشباح الجهنمية المزعجة . لان جنود الشر ايضاً اهتمت لهذه الولادة

في فجر التاريخ البشري لم يُطِقْ ابليس رئيسهم ان يرى ابوَينا الاوّلين طاهرَين سعيدَين في جنّة عدن . فاحتال عليهما واستعبدهما مع نسلهما جميعاً تحت عبوديّة الخطيّة . فهل يمكن ان يسكت الآن لولادة آدم الثاني الاعظم من الاول بما لا يُقاس . أوليس هذا عدوّهُ المتندر الذي قال عنه الرسول "لاجل هذا أُظهِر ابن الله لكي ينقض اعمال ابليس .[1] حقّاً ان سكوت ابليس في هذا الوقت مستحيل . فلا بدّ من هيجان جديد في دوائر الجحيم .

ولا يحتاج هذا الرئيس الى رسل من عالم الارواح لاجراء مشيئته في املاك

---

(١) ١ يو ٣: ٨

هذا الطفل الفريد. لان عظماء القوم في البلاد هم في قبضة يدهِ يستخدمهم كما يشاء في اتمام مقاصدهِ المهلكة. ومن هو أقدر على الاعدام من الملوك؟ أوليس ملك البلاد هيرودس الكبير الشرير الظالم الدموي طائعًا تمامًا لمشيئة ملك الشياطين؟ فما حاجة ابليس الى غير عبدهِ هذا الملكي الذي يفتخر ويكتفي بهِ ليجري لهُ مرامهُ الآن؟ وبما ان أجَل هذا الملك الشرير اقترب فلذلك ابليس لا يتباطأ في استخدامهِ

وفي ذات يوم في اواخر اشهر الشتاء وقع اضطراب عظيم في اورشليم على الملك في قصرهِ وعلى الشعب في المدينة بسبب ظهور قومٍ غرباء في اورشليم آتين من المشرق كانوا على ما يرجَّح من أهل العلم والرتب الرفيعة فسمُّوا مجوسًا. ولا يُقال من اي مشرق اتوا. أمن العجم أم الهند أم بلاد العرب. ولا يقال كم كان عددهم. أإثنا عشر حسب بعض التواريخ أو ثلاثة حسب الراي الغالب. والذين يصرُّون على أنهم ثلاثة يبنون حكمهم على كون تقدماتهم ثلاثة انواع. ويحسبون انهم مثَّلوا اقسام البشر الثلاثة. اي بني سام وبني حام وبني يافث. واقسام العمر الثلاثة اي الشبوبية والرجولية والكهولة (١)

يرجَّح انهم كانوا من المهتمّين كسائر علماء عصرهم بدرس علم الفلك ومراقبة الاجرام السماوية. وقد يكونون من الذين سمعوا من اليهود المتغرّبين في بلادهم عن المسيح العظيم المنتظر. وانهم من امثلة الوثنيين الذين يقول فيهم كتبة اليهود والرومان كانوا يتوقعون ظهور شخص عظيم في بلاد اليهود.

اما اهل اورشليم فقد أَلِفوا مجيء الزائرين من كل بلدان العالم حيثما كان الشعب اليهودي مشتتًا. لان شهرة مدينتهم جعلتها مطمح ابصار الكثيرين من غير اليهود القاصدي التفرُّج والاتجار. لكن قدوم هؤلاء المجوس اوقع اضطرابًا

(١) الذي يزور مدينة كولون على نهر الرين في المانيا يرى فيها كنيسة كاتدرائية للطائفة البابوية من اشهر بنايات العالم. ويرى في خزينتها ما يعدونهُ كنزًا لا يُثمَّن اي جماجم ثلاث يدَّعون انها جماجم المجوس الثلاثة. وقد زينوها بالجواهر ويقيمون لها حينًا بعد حين

عمومياً بسبب السؤال الذي سألوهُ وغرضهم من هذه الزيارة. كان سؤالهم "اين هو المولود ملك اليهود؟ لاننا رأينا نجمهُ في المشرق واتينا لنسجد لهُ"

فهذا السؤال هيّج خوفاً عظيماً في قلوب الذين سمعوهُ بداعي ما توقعوا ان يفعلهُ الملك الشرير هيرودس متى سمع بملك جديد غيرهُ[1]. لابد ان فنون جنونهِ تتجدد بذلك. ولا يعلم احد على من تقع ضرباتهُ البربرية المهلكة. جواسيسهُ المأجورون مستعدُّون ليعلموهُ حالاً بكل ما يمسُّهُ او يهمُّهُ. فلما تبلَّغ خبر مجيء المجوس وسؤالهم هاج ايضاً خوفاً على عرشهِ وعلى حياتهِ. فجمع حالاً كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب ليعرف منهم هل في كتب الانبياء اشارة الى المحل الذي يولد فيهِ المسيح. واطاعةً لامرهِ سردوا لهُ قول النبي ميخا "اما انتِ يا بيت لحم افراتة وانتِ صغيرة ان تكوني بين الوف يهوذا فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجهُ منذ ايام الازل[2]

نتصوَّرهُ يدعو المجوس الى قصرهِ ويكرمهم مع شدة هيجان حنقهِ الداخلي عليهم بسبب غرضهم. ونعلم انهُ اخفى بهم وفحصهم ليحقق زمان ظهور النجم. ونتقدَّر انهُ كان اهانهم وعذبهم واهلكهم لامحالة لولا حذقهُ الذي اوعز اليهِ ان يستقدمهم لاهلاك المولود الجديد الذي يتهدَّد عرشهُ. فاخفى عنهم غيظهُ وارسلهم الى بيت لحم. ثمَّ بمزيد الخبث والمكر وتوصُّلاً الى غايتهِ الجهنمية اوصاهم "ان يفحصوا بالتدقيق عن الصبي" وبمنتهى الرياء قال "ومتى وجدتموهُ فاخبروني لكي آتي واسجد لهُ". فتقدَّر لنفسهِ يوماً قريباً فيهِ يأخذ من المجوس الخبر الذي طلبهُ منهم. فيذهب بنفسهِ متظاهراً بقصد السجود ويقتل الصبي وربما المجوس ايضاً الذين ازعجوهُ

كنا نود ان نعلم افكار المجوس لما بلغوا العاصمة اليهودية ووجدوا ان لا

احتمالات دينية باهرة (١) لا يغفل عن تأثير آخر لهذا السؤال وقع في قلوب القسم القليل من الشعب. لان الذين كانوا نظير سمعان الشيخ وحنة النبية ينتظرون "تعزية اسرائيل" ينتعشون لخبر المجوس اذ اعز تجدد آمالهم المبهجة (٢) مي ٥:٢

علم لاحد سكانها من الملك فما دون انهُ وُلد لهم ملك جديد . لماذا لم يأسفوا على سياحتهم ومشقاتها ونفقاتها ويعودوا على اعقابهم الى بلادهم خجلين؟ ولماذا لم ينتكروا ان نجمهم أضلهم ويندموا على ما فعلوا؟ ربما استأنسوا بقول هيرودس الكاذب انهُ يريد هو ايضاً ان يسجد لهذا المولود فتجددت آمالهم بعد وشك الانخذال لان لا داعٍ للخجل في السؤال عن شخص يريد الملك ذاتهُ ان يأتي ويسجد لهُ . فذهبوا مستعدين ان ينفعلوا ما اوصاهم وشكروا لهُ على التسهيلات التي اجراها لهم

وفي طريقهم الى بيت لحم عاد النجم الذي رأوهُ في المشرق الى الظهور ونقدمهم "حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي . ففرحوا فرحاً عظيماً جداً". فيستنتج انهم استدلّوا من النجم لما رأوهُ في بلادهم ان وجهتهم يجب ان تكون اورشليم وان النجم لم يرافقهم اليها . رأوهُ في المشرق وودّعهم هناك . ولذلك سرّهم جداً ظهورهُ الآن بعد انجابهِ

وبما ان ليس في احوال العائلة المقدسة الخارجية ولا في منظر الصبي ما يؤيّد اصلهُ العجيب ومقامهُ السماوي ترجّح ان "ابوَيهِ" لم يكونا قد اظهرا هذه الاسرار لاهل بيت لحم وانهُ لا يمكن ان يهتدي المجوس دون النجم[1] الى اي طفل من جميع اطفال بيت لحم ينبغي ان يسجدوا . فمجاء ظهور النجم ليس فقط تثبيتاً عظيماً

(١) بحث العلماء كثيراً وافوا في موضوع هذا النجم العجيب . ودقق الفلكيون في حساب الظهورات الجوية النادرة ليروا ايها يجوز اتخاذهُ تفسيراً لهذا الظهور . وعلم ان في نحو ذلك التاريخ صار اقتران في النجوم السيارة لا يحدث الاَّ مرَّة بين مئات السنين وظن بعضهم ان هذا الاقتران كان دليل المجوس . وعُلم ايضاً ان نجماً خارقاً في لمعانهِ ظهر في نحو ذلك الزمان وبقي وقتاً وجيزاً ثم اختفى . فظنهُ آخرون انهُ نجم المجوس وزعم غيرهم انهُ كان من ذوات الاذناب التي لم يرد خبر ظهور بعضها في التاريخ الاَّ مرَّة خلافاً للبعض الآخر التي لضيق حلقة دورانها تعود الى الظهور في فلكها في مواقيت معلومة . والحق يقال ان لا احد يعرف ماذا كان هذا النجم الذي جاز ان يقال عنهُ انهُ وقف فوق بيت معلوم دون غيرهِ بعد ان سار سيراً يقال انهُ كان يتقدمهم ثم وقف . انظر الشرح في تفسير ادي ٢:١ وقاموس الكتاب ١:٤١٦

لايمانهم بل ايضاً دليلاً ضرورياً الى البيت بين كل بيوت لحم الذي يجب ان يزوروهُ[1]. فلم يكن مجرَّد اعجوبة بل وسيلة ضرورية للوصول الى نتيجة مهمة. نلاحظ انهم لما دخلوا البيت الذي هداهم النجم اليهِ لم يسجدوا الاَّ للطفل. ولا يذكر انهم قدموا الاكرام لوالدتهِ. والهدايا الثمينة التي اتوا بها من بلادهم قدموها لهُ لا "لأبَوَيهِ". فقدموا مرًّا ناسب مقام هذا الطفل النبوي[2]. ولبانًا وافق مقامهُ الكهنوتي. وذهبًا لايم مقامهُ الملكي

فكم كان فرحهم برؤية هذا الطفل الذي رأوا نجمهُ اولاً في مشرقهم البعيد! وعلموا الآن انهم بدرسهم اعمال الله في الفلك بوقار واخلاص طالبين الهداية السماوية قد حصلوا على نور جديد يفوق كثيرًا الاجرام السماوية التي كانوا يرقبونها. وهذه نتيجة اهتمامهم بالدين. ومثل هذه النتيجة البهجة تكون لجميع امثالهم

ولا يظن الآن المجوس قد وعدوا الملك بانهم يجيبون طلبهُ ويخبرونهُ عن الطفل بعد ان يجدوهُ. وانهم اخبروا يوسف ومريم بما جرى بينهم وبين هيرودس. ويرجح كذلك ان يوسف ومريم بلغاهم حقيقة صفات هيرودس واعماله والتمسا منهم ان لا يلبُّوا طلبهُ لئلاَّ يسببوا هلاك الطفل الذي اتوا ليسجدوا لهُ[3]. ولكن إلتماسهما لا يكفي لحلّ المجوس من وعدهم الملك. لان هذا يستوجب امرًا من ملك الملوك. لذلك "أُوحي اليهم في حلم ان لا يرجعوا الى هيرودس. فانصرفوا في طريق أُخرى الى كورتهم"[4]

نأسف لاننا نجهل كيفية الوداع الذي جرى بين هؤلاء الثلاثة الاغنياء

---

(١) كان المرّ يستعمل في المسح وكان النبي يسوع ١ أي ١٦:٢٢ (٢) قد اتخذ الآباء الاقدمون من ايام الرسل فصاعدًا سجود المجوس دليل اعتبارهم طبيعة المسيح الالهية ولم يعدوهُ مجرَّد بشر

(٣) امنهُ قدماً مجوس الشرق راغبةً ... في نظرةٍ منهُ تحيي الروح والجسدا
شاموا بمشرقهم نجم المسيح فما ... توقفوا عن مسيرٍ يذهب الجلدا
جابوا المهامه والانجاد واخترقوا ... حزن الفيافي وداسوا الوعث والجددا
فمالنا نحن لانجري اليهِ وقد ... شمناهُ اقرب من حبل الوريد مدى

والثلاثة الفقراء الذين زاروهم واكرموهم ثمّ انصرفوا عنهم (١). وينبئنا متّى انهُ حال انصرافهم ظهر ملاك الرب ليوسف في حلم ثانٍ كما ظهر قبل هذا في الناصرة. وأمرهُ قائلاً خذ الصبي وامهُ واهرب الى مصر "وكن هناك حتى اقول لك لان هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكهُ". فلم يتباطأ يوسف في الاطاعة لهذا الامر

وكان هيرودس بالنظر الى اصلهِ الادومي من نسل عيسو كما ان يسوع من نسل يعقوب اخيهِ فاضطهاد هيرودس ليسوع مثّل تلك العداوة القديمة التي بسببها هرب يعقوب من وجه عيسو الى غربة بعيدة حفظًا لحياتهِ

ان مجيء المجوس وما فعلوهُ لا يمكن الاّ يكون اثّر في جميع سكان بيت لحم. وزاد في اعتبارهم لعائلة ربما كانوا قبلاً يزدرون بها. ولا سيما للطفل الذي عدهُ الزائرون الاشراف ملك اسرائيل الجديد فسجدوا لهُ واتحفوهُ بهدايا ذات قيمة مهمة. الاّ ان العناية الالهية لم تترك لهم مجالاً لاظهار هذا الاعتبار الجديد. اذ حال دون ذلك امر الملاك ليوسف في حلمهِ وترك هذه العائلة بيت لحم حالاً وسرًا. لان يوسف عند انصرافهِ وذهابهِ الى مصر عرف في حكمتهِ اهمية اخفاء حركاتهِ ووجهتهِ حتى عن اهل بيت لحم

ولولا هدايا المجوس الثمينة لم يكن لدى يوسف ما يقوم بنفقات هذا السفر البعيد والتغرُّب في مصر. فجاءت هذه الهدايا شاهدًا جميلاً لتدبير العناية الالهية العجيبة متى مسّت الحاجة لاتمام مشيئتهِ المقدسة

في القديم هرب الى مصر يعقوب وهو اسرائيل الاصلي مع عائلتهِ من

(١) نقول ردًا على الذين يدّعون ان زيارة المجوس كانت في غضون الاربعين يومًا قبل تقديم الطفل في الهيكل ان يوسف لا يقدر ان يؤجل امرًا الهيًا مستعجلاً كهذا بينما يزور اورشليم. ولا يقدر ان يعرّض الطفل للخطر الكبير بالذهاب الى المدينة التي هيرودس فيها. فضلاً عن ذلك فلو كان المجوس قد زاروا الطفل قبل تقديمهِ في الهيكل لم يكن من حاجة لاستعمال "والديهِ" كبش المحرقة بفرخي حمام بسبب فقرهم

جور المجاعة في ارض الميعاد . ثم بالعكس هرب نسلهُ شعب اسرائيل بكاملهِ من جور فرعون ملك مصر عائدين الى ارض الميعاد وطنهم الاصلي . والآن نرى ملك اسرائيل الحقيقي في طفوليتهِ يهرب مع عائلتهِ نظير يعقوب من ارض الميعاد الى مصر فصحَّ فيهِ الكلام النبوي "من مصر دعوت ابني" (١)

ولنعدْ بالفكر الآن الى القصر الملكي في اورشليم . فنرى هيرودس منتظرًا بفروغ صبر عود المجوس ليعرف ماذا يعمل لكي يهلك المولود ملك اليهود . ولما انتهت المدَّة المتفق عليها بينهُ وبينهم ولم يعودوا اليهِ يُرجَّح انهُ ارسل الى بيت لحم يسأل عنهم . ولما رجع رسولهُ بخبر انصرافهم على غير طريق اورشليم حسب منهم ذلك استخفافًا . فاغتاظ جدًّا وعلى الاخص لان هذا اضاع فرصتهُ للتحقيق عن اي صبي في بيت لحم يجب ان يُقتل

ولاشك في انهُ سعى اولاً ليعرف من اهل بيت لحم البيت الذي زارهُ المجوس . ولما أُخبر ان المسؤول عنهم كانوا غرباء من الجليل وانهم سافروا ليلاً الى جهةٍ مجهولة عند سكان البلد لا غرو انهُ لم يصدّق ذلك بل نسب اليهم الخداع حسب عادتهِ المشهورة في التطرُّف في اساءة الظن . وحسب ان هذا الجواب كان محافظةً على احد اولادهم . فحمي غضبهُ اكثر وقصد اولاً ان يحقّق قتل الطفل يسوع . وثانيًا ان ينتقم من اهل بلد يعتبر انهم قاوموهُ بالخداع وسببوا سخر المجوس بهِ وهو الملك العظيم . فارسل مأمورين "قتلوا جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها (لئلاَّ يكون قد تحذَّر احد فهرب الى خارج) من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققهُ من المجوس" (٢)

يرى البشير متى في هذا الحادث المريع وهذهِ الفظاعة الهيرودية اتمامًا

---

(١) هو ١١:١ (٢) يستدل البعض من هذا الكلام ان يسوع كان ابن سنتين حين زيارة المجوس . لكن جهلنا زمن ظهور النجم لهم اولاً بالنسبة الى الميلاد وجهلنا المدة التي استغرقها سفرهم الطويل يمنعنا من ان نجزم في هذا الامر

ثانيًا[1] لقول ارميا "صوت سُمع في الرامة . نوح وبكاء مرّ . راحيل تبكي على اولادها وتأبى ان تتعزّى عن اولادها . لانهم ليسوا بموجودين"[2] ولان هؤلاء ذُبحوا بسبب يسوع حسبهم البعض باكورة الشهداء المسيحيين[3]

لم يطل الوقت الاّ ونال هذا الظالم الدموي الشرير (الذي دنّس اسم ملك) عقابهُ الملائم. لانهُ مات موتًا مخيفًا في قصرهِ في مدينة اريحا معذبًا عذابات لاتوصف من خارج ومن داخل. فمن يقدر ان يتصور لسعات ضمير الشرير في ساعات الموت وخصوصًا متى طالت هذه الساعات وكانت علتهُ لا ترحمهُ بالخدر العصبي والعقلي ؟ وكان عملهُ الاخير مثالاً ملائمًا لكل حياتهِ . علم كره الشعب الشديد اياهُ فلم يُطق ان يتصوّر الفرح العمومي الذي يستولي على القوم متى بلغهم نبأ وفاتهِ . فلذلك امر ان يجتمع في العاصمة جميع رؤوس العيال المعتبرة من البلاد كلها. وان يُقتل كل من لا يطيع هذا الامر . جاعلاً سبب جمعهم الاشتراك والشعور معهُ في شدة مرضهِ . ولما حضروا حبسهم في المسرح الكبير لكي يُقتلوا جميعًا ساعة موتهِ . وبذلك تقوم مناحة عظيمة وعمومية

---

(١) عد هذا العمل من جرائمهِ الصغيرة حتى اهمل المؤرخ اليهودي يوسيفوس ذكرها بين فظائع هذا الشرير (٢) ار ٣١ : ١٥ انظر اتفاق البشيرين وجه ٥٩ شرحًا لحادث الاصلي وقد اشرنا سابقًا الى كون ضريح راحيل هو على طريق القدس الى بيت لحم

(٣) "هم جند من الصغار اصطفاهم ... ربهم قبل ان يصابوا بداء
حاملين السعوف يسدون حمدًا ... لاله السما باشجى الغناء
وبايديهم اكاليل زهر ... وبهم اثر من دم الشهداء
عمد الله جميعهم بدموع ال ... أمّ لا بل بماء تلك الدماء
فقضوا لكي بموتهم هو يحيا ... لا ليحيو من ميتة او قضاء
بل ليلقى موتًا اشدّ واشقى ... عن جميع الملا بفعل الفداء
ابن راحيل تنوح على من ... ذهبوا مع جماعة الابرياء
هي تدري بانهم في سلام ... فعلامَ الاسى ودمع البكاء"

نقلاً عن تاريخ المسيح للمرسلين الانكليز في مصر سنة ١٩١٢

في البلاد كلها يكون ظاهرها اسفًا على موته

كانت اختهُ سالومة توافقهُ وتخدمهُ في مساعيهِ الشريرة السرية بالاشتراك مع زوجها الكسيس فطلبهما هيرودس الى مخدعهِ واستحلفهما بكل تدقيق بانهما حالما يتحققان موتهُ يأمران الحرس ان يقتلوا بالسهام جميع القوم المشار اليهم. ففعلا له. واتفق ان كان ابنهُ انتيباتر آنئذٍ سجينًا بتهمة محاولة اختطاف العرش فحدث احد الايام ان هيرودس اغتاظ وقنط لشدَّة آلامهِ الجسدية وحاول الانتحار فانتشر الخبر انهُ مات. عندئذٍ طلب انتيباتر من السجان ان يطلق سبيلهُ ليستلم العرش واعدًا اياهُ بمكافأةٍ عظيمة. اما السجان فبدلاً من تلبية طلبهِ بلَّغ هذا الامر الى آل القصر الملكي فقُتل انتيباتر بامرهِ

وبعد ذلك بخمسة ايام قضى هيرودس نحبهُ وقبل ان يُعلَن موتهُ للعموم نكثت سالومة بيمينها واطلقت المسجونين ليعودوا الى بيوتهم واشغالهم. وبعد انصرافهم أُعلن خبر موت الملك وأُقيمت فرائض الحداد عليهِ من قِبل ابنهِ ارخيلاوس وارث عرشهِ[1] وفقًا الاصطلاحات الملكية. لكن السرور عمَّ البلاد قاطبةً لدرجة مضاعفة لان التخلص من جور هيرودس وشرورهِ اقترن بسلامة عظماء البلاد من مكيدتهِ المهلكة

ظن هيرودس لما قتل اطفال بيت لحم انهُ يعيش وان الصبي الذي خشي أن يتهدد عرشهُ قد قُتل. لكن بعد ايام قليلة كان هيرودس في قبرهِ والصبي يسوع حيًّا محروسًا قد عظم شأنهُ حسب ما نراهُ في هذا اليوم[2]

---

(١) كان لهيرودس عشر زوجات واولادهُ كثيرون بقي منهم لهُ بعد الذين قتلهم ثلاثة وهم ارخيلاوس وانتيباس وفيلبس. فقسم مملكتهُ بينهم قبل موتهِ واعطى ارخيلاوس النصيب الافضل اي اليهودية التي عاصمتها اورشليم ومن مدنها بيت لحم (٢) ضاع دهاء هيرودس في قتلهِ صبيان بيت لحم وجوارها لانهُ ان كان لا يصدِّق النبوءة بشان المسيح فلماذا يخاف وان كان يصدقها فكيف يفتكر ان يقاوم الله وينجح. ما اعجز كل البشر حتى الملوك عن مقاومة المقاصد الالهية

اما تغرُّب العائلة المقدسة في ارض مصر فلم يطل (١). لانهُ جاء ثالثةً ليوسف في مصر ملاك في حلم قائلاً له بالفاظهِ السابقة "قم وخذ الصبي وامهُ" لكنهُ لم يقل "اهرب" بل "اذهب". امرهُ بالرجوع الى ارض اسرائيل باطمئنان لان القاصد قتل الصبي قد مات فسمع يوسف واطاع (٢)

ولاغرابة في قصد يوسف ومريم الظاهر بأن يستوطنا في مدينة اجدادهم مدينة داود الجميلة المكرمة الواقعة على حدود المدينة المقدسة اورشليم وبقرب هيكل الله العظيم وبجانب المدارس العالية التي يلزم ان يتخرج فيها كل من قصد التقدم في المراتب الدينية. وبما ان التقدم لهذا الولد كان مطمح ابصارها. وهذه هي المدينة التي وضع الله اسمهُ فيها منذ ايام داود الملك والنبي العظيم أفلا يوافق ان يتربى فيها او في جوارها وارث داود الاعظم ؟ ولكن بما ان ملك اليهودية الجديد ارخيلاوس بن هيرودس الذي ابدى في اوّل ملكهِ مظاهرات كثيرة حسنة بقصد تأييد سلطتهِ وحفظ عرشهِ تغيَّر سريعًا واظهر من القساوة ما مائل تصرُّفات ابيهِ (٣) خاف يوسف ان يستوطن

(١) يرجح انهم استقروا في الاسكندرية حيث كان يوجد يومئذٍ نحو مليون يهودي وكان لهم كنيس او مجمع شهير. ولاتساع هذا المجمع كان لايسمع الصوت من جانب الى جانب وفي وقت الصلاة لم تكن وسيلة ليعرف الساجدون متى يجبون على صلاة المصلي الاَّ بالايماء. وكان في صدر هذا المعبد سبعون كرسيًّا مرصعة بالحجارة الكريمة لجلوس اعضاء مجمعهم السبعيني المؤلف تمثلاً بالمجمع السبعيني الاورشليمي الشهير. فتقاطر اليهود في ذلك الزمان الى القطر المصري بجاذب المحافظة والامتيازات المهمة التي نالوها هناك من الحكام من اسكندر المكدوني اولاً ثم من بوليوس قيصر. واخذت المدينة اسم الاسكندر لما كان امبراطور العالم تقريبًا وهو حسنها كثيرًا واتحفها باشهر مكتبة وُجدت في العالم القديم ولما مات فيها وضعوا جثتهُ مغموسة في عسل في تابوت من زجاج . وكانت ابواب هيكل اورشليم التسعة مصفحة بذهب وفضة على نفقة رجل واحد من اغنياء يهود الاسكندرية وهو اسكندر اخو الكاتب المشهور فيلو (٢) يلاحظ ان الاوامر الالهية بواسطة الملائكة والاحلام وردت على يوسف لا على مريم (٣) قتل في وقت واحد وفي وسط الهيكل المقدس ثلاثة آلاف رجل

تجت ظلّهِ

ويظهر ان يوسف كان في حيرته يلتجئ استرشادًا الى الصلاة. فكان الله يجيبهُ ويُنيرهُ بواسطة احلامهِ او في غضونها. وقد شعر الآن بعظم المسؤولية التي عليهِ للمحافظة على هذا الولد وحسن تربيتهِ. وفي هذه الحيرة الجديدة اتاهُ الارشاد الالهي في حلم. فرجعوا الى وطنهم الاوّل في الناصرة وسكنوا هناك. ويقول البشير ان هذا الاستيطان جاء طبقًا لقول احد الانبياء ان المسيح سيُدعى ناصريًا[1]

انفراد طفولية يسوع عن كل طفولية سواها في التاريخ يتضح لمن يتتبع قرائنها بامعان. فمنها الكلام العجيب الذي جاء اولاً في النبوات القديمة التي تأيدت على صورة مدهشة في تفاصيل الطفولية[2]. وجاء في النبوات الجديدة من ملائكة وبشر على وشك ولادتهِ. ثم في الاناشيد الممتازة لاليصابات وزكريا ومريم

ومنها الحوادث العجيبة التي ابتدأت بظهور الملاك لزكريًا وضربهِ بالخرس لعدم ايمانهِ. ثم تلا ذلك حبل اليصابات العجيب وحلّ زكريا من خرسهِ وظهور الملاك لمريم وحبلها العجيب والتعليمات الضرورية الصادقة التي وردت على يوسف في الاحلام والامر الامبراطوري بالاحصاء وحفظ القيود النسبية اليهودية وظهور الملائكة للرعاة وحوادث التقديم في الهيكل وزيارة مجوس المشرق الى غير ذلك

ومنها التنوّع العجيب في فروع الاحتفاء بولادة هذا الطفل. اولاً اشتراك

---

(١) لانجد هذا القول صريحًا في الكتابات النبوية المحفوظة لنا انما لايبعدان بعض الكتابات النبوية لم يحفظ. ويجوز ايضًا ان الاشارة في هذا القول هي الى كلام في سفر اشعياء يفيد هذا المعنى متى نظر الى الاشتقاق اللغوي العبراني نظير ما ورد في اش ١١: ١ و٢

(٢) تلك ٢٢: ١٨ ٢ صم ٧: ١٢ و١٣ مع مز ٢٢: ١١ ١ اش ٧: ١٤ و٥٣: ٢ و٣ و١٠ و١١ ر ٢١: ١٥ هو ١١: ١ لي ٥: ٢ ملا ٣: ١ و٤: ٥ و٦ ١ ع ٢: ٢٠

الملائكة ممثلو اهل السماء. ثم الكاهن ممثل خدمة الدين. ثم الرعاة ممثلو فقراء العالم. ثم مريم والبصابات ممثلتا الشابّات والعجائز. ثم المجوس ممثلو الاغنياء والعلماء والاشراف وممثلو الامم الوثنية. ثم سمعان الشيخ ممثل الاسرائيليين الاتقياء. وحنة ممثلة الانبياء. والنجم ممثل الطبيعة الغير العاقلة

يضاف ايضاً من الامور الحرية بالذكر مناسبة الوقت الذي جاء فيه هذا المولود. ليس فقط انهُ الوقت الذي اتفق مع النبوات الصريحة واللغزية المختصة بالمسيح الموعود به بل ان المناسبة ظهرت من اوجه أُخرى عديدة. صرّح الرسول بولس بذلك بعدئذٍ في قولهِ "لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنهُ مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس"(١)

لانهُ جاء في حين سلام عمومي نادر الوقوع وهو رئيس السلام(٢). وفي حين توطيد الامن العمومي وتوفير المواصلات في الداخل والخارج تسهيلاً لاسفار رسلهِ والمبشرين بانجيلهِ. وذلك بواسطة امتداد لامثيل لهُ في التاريخ لسطوة سياسية موحدة منظمة شاملة هي سطوة الامبراطورية الرومانية في عزّها. ومن محاسن هذا الحكم اطلاق الحرية التامة الدينية

وكانت افضل اللغات القديمة منتشرة مع فلسفتها البليغة في البلدان المختلفة تسهيلاً لتوزيع انجيل المسيح والتبشير بهِ في اللغة اليونانية التي كُتب الانجيل فيها. ولاسيما ان اليهود كان لهم في الشتات ترجمة توراتهم العبرانية الى اللغة اليونانية

جاء في حين تفاقم الشر في العالم ليتضح شدة احتياجهِ الى مخلص مقتدر يُقدِّم فداء كافياً ويظهر سلطة وافية ليكون المخلص العمومي للبشر اجمع

جاء في حين اتمام الوسائل الاخرى التي استعدها الاله سبحانهُ لاجل ردّ البشر عن شرورهم. وما كانت هذه الشرور الاّ لتزداد. فامتلأت صدور الاتقياء القليلي العدد يأساً جعلهم يتوقعون بفروغ صبر ظهور المسيح المخلص

(١) غل ٤:٤ (٢) اش ٩:٦

جاء في حين توغّل شعب الله المختار في التقاليد الثقيلة والتفتنات السخيفة الدينية حتى تأكّد عجز الدين المنزل ذاته عن حفظ افضل شعوب الارض من الاندثار بتأثير الفساد الديني والادبي فيظهر جليًّا الاضطرار الى ارسال المسيح حسب المواعيد لينقذ البشر من الثهوّر المؤبد في الآثام

جاء في حين نشئت الشعب اليهودي في كل المعمور . وهو شعب متمسك بالتوحيد الالهي وشدة الكره للعبادة الصنمية وباعتبار الكتاب المنزل اي التوراة . فكان يبتدأ بهم في التبشير بمجيء مسيحهم . ويستعان بمن يؤمن منهم لنشر البشارة بين الاكثرية الامية . وفي ذات الوقت كان الحكم الروماني العادل الصارم حاجزًا منيعًا افضى الى فشل رؤساء اليهود القاصدين خنق المسيحية في طفوليتها واطفاء ذكر المسيح (١)

فبناء على الامور المار ذكرها وامثالها هل من عجب ان افتتح البشير مرقس تاريخ حياة هذا المولود بقوله "بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله"؟

---

(١) يستفيد المطالع كثيرًا من مراجعة كتاب في هذا الموضوع ترجم عن الانكليزية تحت عنوان زمن يسوع . والكتاب الذي وضعهُ الكاتب تحت عنوان من هو يسوع المسيح. صفحة ٩٣—٩٦

الفصل السادس

لو ٢ : ٤١ — ٥٢

(المرصع) ف ٤ (الزمان) نيسان سنة ٨ م . (المكان) اورشليم

السكوت الغريب عن حوادث سني يسوع الاولى . النظر في طبيعته الالهية والبشرية. زيارته اورشليم وهو ابن اثنتي عشرة سنة . بقاؤه في المدينة دون علم ذويه . مريم ويوسف ينشدان عنه ويجدانه . تفسير جوابه . السكوت عن اخباره مدة ٢٩ سنة . مناسبة الناصرة لاجل نشوئه فيها .

يتوق كل مطالع الى ان يرى عملاً ولو واحداً وان يسمع قولاً ولو كلمةً لهذا الطفل العجيب . لكن ليس للعالم شيء من ذلك قبل بلوغهِ سن الاثني عشرة . لان الوحي قد أسدل ستاراً حجب عن العالم ما افتكرهُ وقالهُ وفعلهُ وما اصابهُ في تلك المدة كلها[1]

يجوز ان نحكم في بعض امورٍ أُهمل ذكرها في الكتاب . منها وضعهُ في سن السادسة في المدرسة كسائر اولاد اليهود مراعاةً لقانون الدين الذي جعل تعليم الاولاد الزاميًّا . فهو بذلك أصبح شريكًا لجمهور الاولاد في المدارس ونموذجًا لهم في الدروس والسلوك . يعرف تجاربهم ويشعر معهم فيها . لانهُ

(١) لم يرضَ مسيحيو الاجيال المظلمة عن هذا السكوت . فلفقوا اخبارًا مفصّلة مطوّلة . وألّفوا اناجيل ورسائل خرافية مركبة من قصص في طفولية يسوع تورد اقوالاً وافعالاً تلائم تصوراتهم السخيفة المضادة لنصوص الانجيل الحقيقي . ظنوا ان المعجزات التي اخترعوها تزيد في امجاد المسيح لانهم اعتمدوا على اقيستهم الصبيانية . لكنها شاهدة بجهالتها لصدق الاخبار المخالفة لها التي وردت في الانجيل الاصلي

تجرّب مثلهم فيرثي لهم . ومنها ايضاً امتيازهُ بين اترابهِ علمًا وادبًا

لنا بعد هذا السكوت الطويل حادث واحد بسيط وقول واحد وجيز وَرَد ذكرهما لتُعرَف مجانسة سني حداثتهِ لسني رجوليتهِ . وهذا الحادث وهذا القول يستلزمان النظر في حقيقة طبيعة يسوع المختلَف عليها كل الاختلاف . لان تفسيرها والحكم فيها يتوقفان على ما يقرَّر بهذا الشأن

سبق الكلام[1] في الغرائب التي حفّت بطفولتهِ ودلّت على ان لهُ مع طبيعتهِ البشرية الحقيقية طبيعةً الهية حقيقية. ومقدّمات البشائر الاربع افادت ذلك ايضاً

ولا عجب في ان كثيرين يرفضون القول في لاهوت يسوع المسيح ويستنكفون من تسميتهِ ابن الله . لان الصعوبة في هذا القول وفي هذه التسمية عظيمة جدًّا لا يزيلها الاَّ براهين قطعية وكافية[2] . ومهما كانت قوة البراهين التي يبنى عليها هذا اليقين فغير ممكن ان تزيل من هذا السرّ غموضهُ او توضح تمامًا للعقل البشري الامور الالهية التي تفوق العقل . انما يرينا درس حياة يسوع ان اكثر اخبارهِ لا تتفق مع الفرض بانهُ كان مجرّد بشر كما يزعم كثيرون . بل ان القول الوحيد الذي يفسّر هذه السيرة الفريدة تفسيرًا معقولاً وسديدًا هو القول بكونهِ ذا طبيعة الهية حقيقية وطبيعة بشرية حقيقية في الوقت الواحد[3]

---

(١) انظر ف ٣ و ٤ (٢) قد وضعنا شرحًا مستوفيًا في هذه القضية في كتيب نشرناه سابقًا تحت عنوان (من هو يسوع المسيح) (٣) قد ظهر حينًا بعد آخر منذ القديم فرق دينية تدّعي بان كان ليسوع طبيعة الهية فقط . لكن هذا القول لا يعتد بهِ في هذا الزمان . اذ يسلّم عموم الناس من علماء وبسطاء بان كان لهُ طبيعة بشرية حقيقية . فمن نتائج الضلال المشار اليهِ تسمية مريم العذراء ام الله او والدة الاله لكونها ام الذي هو ابن الله . حال كون لا علاقة لها بطبيعة يسوع المسيح الالهية . بل هي والدة الطبيعة البشرية فهو ليس الاَّ . وهذه التسمية لمريم لا تجوز قطعيًا . لان فيها انكار ازلية الله ونسبة اصلهِ تعالى الى ولادة بشرية

لو جاز تفسير حياة يسوع على صورة طبيعية لكنّا نفضّل ذلك . لاننا لا نرضى البتة ان نتشبث بقضية لاهوتية بناء على انها يتبين مذهبنا او تعليم كنيستنا او ايمان اجدادنا . او انها ما تلقّناهُ في الصغر فيصعب علينا نبذهُ في الكبر . ليس تمسكنا بهذه القضية الاّ ما قد اجبرنا عليهِ الامعان المدقق في النصوص الالهية في الكتاب المقدس مسقط الوحي الالهي .

فالكاتب الذي يقصد ان يشرح سيرة يسوع مضطرّ كل الاضطرار ان يحكم بعد درسٍ مستوفٍ ومدقق في امر طبيعتهِ قبل ان يباشر التأليف . كما وانهُ ليس من صالح المطالع ايضاً ان يؤجّل المؤلف ذلك الحكم الى ان ينتهي من درس هذه السيرة الفريدة . لان فهم اعمال يسوع وتناسيرها تتبع ماهية طبيعتهِ . ولان للمطالع الخيار غب درسهِ ان يعدل عمّا قررهُ متى اتضح لهُ انهُ كان غلطاً

نعلم انهُ في درس تاريخ غيرهِ من مشاهير العالم نظير سقراط او بوليوس قيصر يطلب المطالع بادئ بدء ان يعرف ما هو جوهري في جنسية هؤلاء ومقامهم لاجل فهم حركاتهم واقوالهم . يطلب ان يعرف سلفاً هل يطالع سيرة يوناني او روماني سيرة ملك او فيلسوف لانهُ لا يجوز ان يقيس يونانياً بقياس روماني ولا ملكاً بقياس فيلسوف والعكس بالعكس . فكل ترجمة لشهير دون استثناء تبيّن في اولها ما هو جوهري في اصل الشخص المحكى عنهُ ومقامهِ . والمؤلفات التي تتخذ الخطة الاخرى (خطة تأجيل القرار بذلك) تكون من باب الروايات لا التاريخ العلمي الجدّي . ولو بالفرض الفاسد جاز للمطالع هذا التأجيل فانهُ لا يجوز بل لا يمكن للمؤلف . لان الذي يقرّر قبل المطالعة او التأليف ان ليسوع طبيعة بشرية فقط وكان لهُ طبيعة الهية ايضاً يضيع كل فائدة تنتج عن طبيعتهِ الالهية . بينما الذي يقرّر ان لهُ ايضاً طبيعة الهية حقيقية مع طبيعةٍ بشريةٍ حقيقية ينال الفائدتين . لهذا السبب يكون الفرض الايجابي قبل المطالعة أوفر حكمةً من الفرض السلبي

وتمهيدًا لذلك نقول ان تأنس الاله في شخص يسوع اتى طبقًا لاشتهاء البشر عمومًا ان يروا الاله. بدافع هذه العاطفة الشريفة يعبد الصيني اصنامًا صنع يديه والوثني الآخر حيوانات بكماء ما حواليه. والمجوسي اجرامًا سموية تُشرف عليه. لانهم يحسبون انهم بذلك يرون الاله. ساقت هذه العاطفة بني اسرائيل (لما طال غياب موسى عنهم) ان يجملوا هرون على سبك العجل الذهبي. لانهم قالوا له "قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا" وبعد ما صنعه هتفوا قائلين "هذه آلهتك يا اسرائيل التي اصعدتك من ارض مصر"(١). وساقت موسى الى ان يصلي "أرني مجدك". فاجابه الرب "لا تقدر ان ترى وجهي. لان الانسان لا يراني ويعيش"(٢). وساقت الرسول فيلبس الى طلبه من يسوع "يا سيد أرنا الآب وكفانا". فكان جواب يسوع له منشطًا لهذه العاطفة لا موبخًا. اذ قال "انا معكم زمانًا هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس الذي رآني فقد رأى الآب"(٣). هذا التأنس اضاف الى شهادة الآذان شهادة العيون تسهيلاً لمعرفة ما يمكن ان يُعرف عن الاله

وفي خبر الخلق نقرأ ان الله بعد ما صنع جسد آدم من التراب نفخ فيه من روحه نسمة الحياة. وهذه النسمة منحته طبيعة روحية هي اساس القول الآخر ان الله خلق الانسان على صورته تعالى. ولا يُطلق هذا القول قطعيًا على طبيعة الانسان المادية. فالظاهر ان الباري عزّ وجلّ تنازل حبًا في خلقه الانسان لكي يعرف هذا بواسطة الصورة الظاهرة في الانسان شيئًا عن خالقه الذي لا يُرى. وهذا الشيء اقتران التثليث مع التوحيد. لان تحقيق وجود الازدواج في طبيعة الانسان الواحد مع حفظ وحدته هو من أهم ما يتعلله العاقل من تأمله في الانسان. فان صحّ القول في المخلوق بان الوحدة لا تنافي التعداد جاز ان يصحّ في الخالق ايضًا. فليس القول ان الانسان الواحد نفس وجسد معقولاً اكثر من القول ان الاله الواحد آب وابن وروح

(١) خر ٣٢: ١ و ٤ (٢) خر ٣٣: ١٨ و ٢٠ (٣) يو ١٤: ٨ و ٩

قدس . ففي درس اوّل اعمال يسوع واقوالهِ يظهر ما سبقنا وذكرناهُ من الاضطرار الى تقرير شكل طبيعتهِ اولاً

اما باكورة اعمال يسوع المذكورة فهي ايضًا الحادث الوحيد في سيرتهِ الذي حفظ للعالم خبرهُ من كل ما حدث لهُ مدة ٢٩ سنة . وذلك سَفَر يسوع الاول وهو في سن الاثنتي عشرة الى اورشليم . يوسف وهو راس هذه الاسرة الناصرية الصغيرة مكلف رسميًا ان يصعد الى اورشليم سنويًا في الاعياد المهمة . وعلى الاخص في عيد الفصح كبير الاعياد . ومريم كسائر النساء غير مكلفة بذلك[1] . والصبيان غير مكلفين قبل ان يدخلوا تحت "نير الناموس" في سن الاثنتي عشرة . ففي سنة ٨ م بلغ يسوع هذا السن

وفي تلك السنة وقع عيد الفصح في ٨ نيسان . الى هذا العيد اذًا صعد بهِ "ابواهُ" اول مرّة[2] . نحب ان نتصور اهتمام القافلة بالاستعداد لهذه الزيارة الاولى . زيارة هذا الولد العجيب الى المقام الديني الموقّر على جبل صهيون . ثم ان نتخيّص رحلتهم برفقة القافلة الحافلة المؤلفة من الجيران مع كثيرين من محلاّت أبعد وراء الناصرة

وكان على هذه القافلة ان تختار اما الطريق القانوني الاقرب المارّ في بلاد السامريين المكروهين . وذلك يعرضهم للاهانة والمضايقة . لان هذه كانت معاملة السامريين لليهود الصاعدين بزيارات دينية الى مدينة اورشليم . او ان تفعل فعل اليهود المتدينين وتختار المرور على الطريق الابعد الواقع شرقي الاردن . فتضطر ان تعبر هذا النهر مرّتين . وفي الحالتين يُشرف هذا الجمهور على مدينة صهيون في اليوم الرابع او الخامس

---

(١) لكنا نعلم ان النساء التقيات كنّ يرافقنَ رجالهنّ احيانًا في هذه السياحة الدينية

(٢) اشير سابقًا الى ضرورية حسبان يوسف ابا يسوع عند العموم لعدم اطلاعهم على اصلهِ العجيب . لكن بعد صعودهِ وبعد موت امهِ زال الحاجز اللائق الذي كتم هذا السر اولاً

يخال لنا اننا نسمع اناشيدهم الدينية في الطريق حسب اصطلاحهم المشهور وهم يرنمون صباحًا ومساء يومًا بعد يوم ترنيمات المصاعد[1]. ومن جملتها هذا النشيد "فرحت بالقائلين لي الى بيت الرب نذهب. تقف ارجلنا في ابوابكِ يا اورشليم. اورشليم المبنية كمدينة متصلة كلها. حيث صعدت الاسباط اسباط الرب شهادةً لاسرائيل ليحمدوا اسم الرب *** اسألوا سلامة اورشليم ليسترح محبوكِ. ليكن سلام في اسوارك راحة في قصوركِ. من أجل اخوتي واصحابي لاقولنّ سلام بكِ. من اجل بيت الرب الهنا التمس لك خيرًا *** اورشليم الجبال حولها والرب حول شعبهِ من الآن والى الدهر *** هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب الواقفين في بيت الرب في الليالي. ارفعوا ايديكم نحو القدس وباركوا الرب. يبارككَ الرب من صهيون الصانع السموات والارض. *** سلام على اسرائيل"

ان للسياحة في المحلّات الشهيرة فائدة جلّى في التثقيف العقلي وتهذيب الذوق واذخار المؤونة الفكرية. فلا ريب ان الصبي يسوع اكتسب في سياحتهِ هذه الاولى خارجًا عن وطنهِ لولدٍ لم يرَ سوى قرية الناصرة وما حولها يكون منظر اورشليم مدهشًا للغاية. ولا سيما ان اعتبرناهُ مطّلعًا على تاريخها العجيب وعالمًا بالمقاصد الالهية نحوها. فعند إشرافهِ عليها يتذكّر وهو طائر فرحًا كلام المزمور "جميل الارتفاع فرح كل الارض جبل صهيون. فرح اقاصي الشمال مدينة الملك العظيم"[1]. يوسف ومريم هما من الفقراء فلا يقدّر لهما حظ الحصول على منزل داخل المدينة إبان هذا الازدحام بل يرجَّح أنهم من الكثيرين المضطرين ان يجدوا مأواهم في اكواخ ينصبونها في جوار المدينة

ولا بد من ان يتهج هذا الصبي ابتهاجًا خصوصيًا بالهيكل الشهير الغني في التواريخ الدينية المقدسة. في دُورهِ المختلفة يرى جماهير العَبَدة

(١) مز ١٢٠—١٣٤ (انظر مرشد الطالبين وجه ١٣٨) (٢) مز ٢:٤٨

على اختلاف هيئاتهم ومشاربهم والسنتهم . وبسمع الاجواق الرسمية تعزف بالآلات الموسيقية وترنّم بالحان مطربة مردّدة مزامير جدّه داود. هنا يحظى برؤية مشاهير علماء الامة نظير هليل وغمالائيل وغيرهما من الذين كانت اقوالهم تُحترَم كأقوال الانبياء او اكثر . هنا يشاهد خدمة صفوف الكهنة ولاسيما رئيسهم العظيم . هولاء نوّاب الله تجاه الشعب ونوّاب الشعب تجاه الحضرة الالهية . وهم مخصّصون تخصيصاً مقدّساً دينيًا لخدمته تعالى وخدمة الشعب في الامور الروحية . عليهم دون غيرهم تتوقف المصالح الدينية في البلاد . وكل فرد يطلب المصالحة مع الله وغفرانًا لخطاياه كان مضطرًا ان يقدّم بواسطة هولاء الكهنة فقط الذبائح المفروضة عليه لاجل نيله هذه البركات

فيوسف ومريم ويسوع من جملة المنتظرين الآن الى خدمة هولاء الكهنة . بالطبع يقضون أيامهم في المدينة مع المعيدين ويمارسون بكل حرص وتدقيق مواقيت الصلاة القانونية في الهيكل . مع سائر الفرائض المذهبية العديدة المتعلقة بهذا العيد . ولاسيما التقدمات والذبائح . ويخال لنا ان رغبة هذا الصبي الذكي التقي كانت متجهة بالاكثر الى السبب الخصوصي الموجب لهذه الزيارة وهو فريضة الفصح المقدسة . ولا بد انه عالم بكونه هو خروف الفصح الحقيقي[1] وان كل تفاصيل هذا الرسم ترمز اليه . وان فيه تنتهي هذه السنّة التذكارية الموقرة التي مارسها شعب الله بكل تمسّك مدة الف وخمسمئة سنة[2] . فكيف لا تكون عواطفه الدينية متهيجة ابتهاجًا واشتياقًا الى الاشتراك لاوّل مرّة في فروض هذا العيد العظيم ؟[3]

لكن ما كان أبعد كل افكار الجمهور الذي اختلط به هذا الصبي النبيه عن التصوّر بان هذا هو مسيحهم الموعود به والمنتظَر . والحق انه لا يجوز ان

(١) ١ كو ٥: ٧ (٢) ان كل ما مورس منه بعد صلب المسيح كان عبثًا

(٣) انظر تفسير الانجيل متى ٢٦: ٥ اتفاق البشيرين ٥٢٩–٥٣١ ومرشد الطالبين ٤٤ وقاموس الكتاب ٣: ١٦٣٤

يعرفوا ذلك الآن لانهم لو عرفوا لما سمحوا ان يعود ويكمّل مدتهُ المعينة للاستعداد الكافي لعملهِ المقبل

يظهر انهُ كان ينفرد عن "ابويهِ" في النهار وهما لا يهتمّان لذلك لعلمهما بصفاتهِ وإركانهما التام اليهِ. فلم يلاحظا كم كان يقضي اوقاتًا في غرف التدريس الديني الملاصقة للهيكل حيث كان اعظم علمائهم يترددون ويعظون ويدرّسون. وهو الآن يهتم فوق كل شيء بالاستفادة. فلا بد من انهُ رأى لاوّل وهلة الفرق الكلي بين افكارهِ وافكارهم وكشف سطحية ديانة هولاء المعلمين. فشعر بالحاجة الى تعاليم روحية جديدة على نسق جديد. والى بيان العلاقة الجوهرية بين التقوى وملاح السيرة

واخيرًا انتهت ايام العيد. وتمّ استعداد جماعة الناصرة وجوارها للرجوع الى اوطانهم. واتفقوا على محل الملتقى وسافروا صباحًا جمهورًا ليس بقليل فلم يلاحظ احدهم حتى ولا "ابواهُ" ان الصبي لم ينضمّ اليهم. ولا عَلِمَ احدهم انهُ كان قد ذهب الى الهيكل "ليسمع المعلمين ويسألهم". كفى إركان ذويهِ اليهِ ليغنيهم عن الارتباك من عدم مشاهدتهم اياهُ في الطريق كل النهار الاوّل لكن لما لم يجدوهُ مساء بعد التفتيش عنهُ بين جمع الاقرباء والمعارف رجع "ابواهُ" الى المدينة متزعجين. وهناك لم يجداهُ في كل المحلاّت التي تصوّرا انهُ يتردد اليها[1] حتى بعد مواصلة التفتيش الجدّي عنهُ يومين

الى ان وجداهُ في اليوم الثالث في دائرة الهيكل جالسًا بين علماء امتهم الشهيرين وحاصلاً على احترامهم وتعجبهم. كانت افكارهُ متّقدة بالمواضيع الدينية الجوهرية يسأل العلماء بانشغاف ويجيب على اسئلتهم بحكمة فائقة. فلما

(١) جهل مريم حركات ابنها وعجزها عن الاهتداء اليهِ الاّ بعد العذاب وفي اليوم الثالث لا يتفقان مع المقام الذي تعطاهُ خطأً في بعض الكنائس المسيحية. كما انهُ ايضًا لا يتفق مع هذا المقام خطأها في لومها ابنها وجوابهُ على ذلك ولا قول البشير انها لم تفهم كلامهُ

دخل "ابواهُ" الى ذلك المكان الموقّر لم تمتلك مريم نفسها بل اسرعت الى توبيخهِ. قائلة "يا بنيّ لماذا فعلت بنا هكذا؟ هوذا ابوك وانا كنّا نطلبك معذّبين"(١)

لا نلوم امًّا احتدّت على ابنها في احوال كهذه الاّ اذا كان ابنها يسوع. لان معرفتها سموَّهُ العقلي والادبي كان يجب ان يوقفها عن توبيخهِ. ومن جوابهِ اياها عرفنا انها ملومة. لان جوابهُ لم يكن عذرًا عما فعل او حجّةً لترضى بان يبقى في اورشليم. اذ رجع حالاً معهما "وكان خاضعًا لهما". بل كان من باب التوبيخ اللطيف. واشعارًا لهما انهُ مع صغر سنهِ يقدّم ارادة الله على ارادة الاهل. وانهُ لا يعدّ يوسف أبًا حقيقيًّا لهُ. بل ان أباهُ هو ذلك الذي وُلد هو من روحهِ. لامها لانهُ مع علمها ان يوسف ليس اباهُ نسيا انهُ ينبغي ان يكون في ما لابيهِ الحقيقي لا في ما لابيهِ المجازي. فلو كان يوسف اباهُ لقال ما لابي السماوي تمييزًا(١)

ولا بد من القول انهُ على فرض كونهِ مجرّد بشر مولود من أب وام بشريين يُلام على ما فعل وعلى ما قال. لان الامر واضح انهُ لا يحق لولد اديب في سن الاثنتي عشرة ان يستقلّ عن والديهِ في الغربة ويسبب لهما عذابًا كهذا. ولا ان يكتم عنهما خبر قصدهِ ان ينفصل عنهما ويبقى في المدينة. وعلى الاخص لا يحق لهُ ان يجيب امهُ كما اجاب يسوع مريم بعد ان وجدتهُ في الهيكل. لانهُ بكّتها على اتمامها اقدس واجباتها الوالدية والدينية اي الاعتناء بولدها والتفتيش عنهُ. ونسب اليها الجهالة في قولهِ "ألستما تعلمان". فكاحد اولاد

(١) قول مريم "ابوك" قد سبق تفسيرهُ صفحة ٦٧. يلاحظ تسرّع مريم في التكلم في هذا المحضر عوضًا عن ترك الكلام لرجلها يوسف وهو اكبر منها سنًّا. ويتفق مع هذه الملاحظة كلام اليهود في وقت آخر لما تعجبوا من اعمالهِ فقالوا أليس هذا النجار ابن مريم مر٦: ٣ فنستنتج من الامرين انهُ في هذه السنين الاحد عشر في الناصرة في بيت يوسف كانت هي المتقدمة في تدبير البيت وفي تربية الصبي. وان امتيازها في المواهب والصفات خوّلها شهرة ممتازة ايضًا في وطنها (٢) سكوت امهِ لهذا التوبيخ اللطيف يستدعي الانتباه

البشر كان يجب ان يندم على ما سببهُ لها من التعب والهمّ . وان يُظهر لها كرامًا لائقًا ولا سيما بالنظر الى حالة والدتهِ من الضنك في هذه الساعة والمحنة الشديدة التي حصلت لها بسببهِ

ان مريم هي المصدر الوحيد لحفظ هذا الخبر ونشرهِ . وقيل عنها في الوقت ذاتهِ انها لم تفهم كلامهُ . لكنها " كانت تحفظ جميع هذه الامور في قلبها " . فلماذا تُخبر بما هو لخجلها ؟ ولماذا اهتمّ البشير والوحي الالهي بايراد هذا الخبر الذي بر بنا ولذًا لم يتم تمامًا بمقتضيات الاحترام نحو والدتهِ ؟

فاذا اعتبرنا هذا الصبي كما صوَّرهُ لنا البشيرون في اخبار طفوليتهِ انهُ ليس مجرّد بشر فتُحلّ هذه العقدة . لان الطبيعة الالهية فيهِ توجب عليهِ ان يذكّر امهُ ويوسف ايضًا عند قولها " ابوك وانا " ان يوسف ليس اباهُ . وانهُ ليس بكليتهِ تحت سيطرتهما كغيرهِ من الاولاد مع والديهم . ولذلك يجب على مريم ثم على البشير ان يخبرا بما جرى مما ينبه الافكار الى اصلهِ الالهي . وانهُ حقًا نزل من السماء ليولد من مريم . ويؤخذ من قولهِ لأمهِ " ألستما تعلمان " ان السرّ الجوهري المتعلق باصلهِ السماوي كان معلومًا عنهُ كما عند " ابويهِ "

يحق ان يحتفى كثيرًا بهذهِ الالفاظ الوجيزة من فم هذا الصبي لكونها الاولى التي حُفظ لنا ذكرها . ويُلاحَظ ان قولهُ " ينبغي ان اكون في ما لأبي " هو فاتحة تناسب كل حياتهِ في ما بعد . وهو القانون الذي اتخذهُ لنفسهِ . ولم يحد عنهُ مطلقًا في كل الزمان من اوّل سني ادراكهِ الى ان اختفى عن ابصار تلاميذهِ متممًا رسالتهُ بصعودهِ الى السماء

في كلام سليمان ابن داود صحّ المثلُ " كلام الملوك ملوك الكلام " لاننا نقرأ ان الله كلّمهُ قائلاً " هوذا اعطيتك قلبًا حكيمًا ومميزًا حتى انهُ لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك "(١) فكم بالحري يصح هذا المثل في كلام هذا الصبي المسمّى في الكتاب ملك الملوك الذي قال مرّةً مشيرًا الى ذاتهِ " ملكة

(١) ١ ملو ٣ : ١٢

التيمن *** انت من اقاصي الارض تسمع حكمة سليمان . وهوذا اعظم من سليمان ههنا"[1] . وحقًّا ليس في كل حكَم سليمان الكثيرة قول جوهري كعبارة يسوع هذه . وهو الذي قال عنهُ رسل اليهود "لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان"[2]

مرَّ على هذا الحادث نحو ثمانية عشرة سنة سكت الوحي عن اخبارها . ولم نقل سكت البشيرون لان سكوتهم لم يكن طبيعيًّا . ولا يفسرهُ الَّا انهم كانوا متنادين بروح الوحي الى هذا السكوت . واما الكتبة الغير الموحى اليهم الذين كتبوا بعدهم فاتبعوا النسق الطبيعي ولفقوا اخبارًا عديدة تتعلق حسب قولهم بتلك السنين[3]

فلماذا هذا السكوت مع ان الوسائل لمعرفة حوادث تلك السنين كانت متوفرة ؟ وجوابًا لذلك نقول ان حوادث طفوليتهِ أظهرت ملامح طبيعتهِ الالهية الضرورية لاجل صلاحيتهِ كمخلص . فصار من الضروري ان تنجب هذه الملامح مدة كافية لاجل ايضاح انسانيتهِ الحقيقية . لذلك انجب لاهوتهُ عن عشرائهِ مدة سني استعدادهِ الثلاثين . الى ان برز للخدمة بعد تتمة استعدادهِ فتجدَّدت بينات لاهوتهِ الحقيقي في ما بقي من حياتهِ بين الناس

وهذا السكوت من أهمّ براهين خطإ الذين يزعمون ان عمل يسوع الاعظم والأهم كان تقديمهُ قدوةً للناس لاجل التمثل بها . لان على هذا المبدإ كان لا يجوز حرمان العالم معرفة ما قالهُ وفعلهُ في السنين التي قضاها في العيشة العادية كأحد العامَّة يمارس مهنتهُ

لم يقصد البشيرون تدوين حوادث حياة يسوع تاريخيًّا بل قصدوا بيان كونهِ المصلح والمخلص . لذلك اكتفوا بالتاريخ الذي ابتدأ عند مباشرتهِ اعمالهُ علانية ورسميًّا بعد بلوغهِ سن الثلاثين . مع ان الاخبار التي اهملوها كانت تفيد وتلذّ العالم كثيرًا لو أُدرجَت

(١) مت ١٢ : ٤٢ (٢) يو ٧ : ٤٦ (٣) انظر الحاشية في صفحة

ومع ان الناصرة مدينة حقيرة بالنسبة الى كثير من مدن البلاد كانت تناسب من اوجه عديدة لاجل تربية الصبي ثم الشاب يسوع فيها . كانت تجتمع هناك زمر الكهنة من مساكنهم المتفرقة عندما تأتي نوبتهم ليخدموا في هيكل اورشليم فيصعدون معًا من الناصرة . والذين يتعذر عليهم الذهاب الى اورشليم يقضون اسبوع خدمتهم في الفروض الدينية في الناصرة. وبذلك كان يسوع يكتسب منهم معرفة امور كثيرة تتعلق بالدين. وكانت الناصرة على احدى الطرق السلطانية الموصلة بين الداخلية والشطوط البحرية. فكانت تمرّ فيها القوافل المسافرة الى البلاد الفينيقية والى مصر . فيرى يسوع من الحركات العمرانية ما ينتهه في احوال البشر الزمنية . ثم آل سكنهُ في قرية حقيرة في اطراف البلاد الى نموّهِ في التواضع وفي البساطة الدينية لبعدهِ عن مركز اليهود الديني حيثما كان الفساد مستفحلاً . لان الادعاآت الرياسية والغطرسة الريائية والسفسطة التقليدية والتفننات الطائفية كانت قد استولت على قوّاد الامة في عاصمة دينهم . فخنقت هذه الامور النقوى الحقيقية . وضاع من بينهم روح الدين بواسطة استعبادهم للحرف . وقد ظهرت افكار يسوع من هذا القبيل يوم زار تلك القصبة ودان اولئك الروَساء على ذلك بكلام قارص جدًّا[1]

ويظهر ان اصل يسوع السماوي كاد يبرح من افكار "ابويهِ" في سني حداثتهِ . ولا عجب لان حياتهُ كانت تسير على اسلوب اعتيادي ما خلا تفوقهُ في الصلاح . فاعتاد اهلهُ النظر اليهِ كانسان فقط[2] . وكان في هذا الاغفال خير اذ آل الى حسن تربيتهِ في الطاعة والتواضع والى اختبارهِ احوال البشر المتنوعة بواسطة اختلاطهِ بقومهِ في اطوار حياتهِ التي تدرّج فيها . ونتيجة ذلك انهُ تجرّب في كل شيء مثلنا فلو كان ابواهُ يغلطان في كثير من الاوقات الى حقيقة طبيعتهِ لاَمسيا في ارتباك دائم في معاملتهِ . ولكانا يحسبان انهُ يجب

(١) مت ٥: ٦ و٢٢: ٢٢ ومر ٧: ٧ و٨ (٢) عب ٤: ١٥

عليها الخضوع له في الرأي وان يقدما له الطاعة وليس بالعكس . وكان اذ ذاك قد تربى تربية ابعدته عن سائر البشر وافقدته الاشتراك التام في الشعور مع الاولاد والشبان والرجال

هذا ولا نشك ان يسوع كان في حداثتهِ في الناصرة متقداً حرارةً وغيرةً واشفاقاً لرؤيتهِ مصائب الناس والامم. ولذلك ندهش اكثر لصبرهِ العجيب وامتلاكهِ عواطفهُ تلك السنين كلها التي فيها كان محتجباً في الناصرة ومؤجلاً عملهُ الخطير الذي نزل من السماء لاجلهِ والذي أشغل كل افكارهِ

كان عليهِ ان يمارس يومياً بين قومهِ حرفتهُ الوضيعة لاجل الارتزاق[1] . وان يتعلم القناعة بحالتهِ الفقرية والخضوع للأكبر منهُ سناً ومقاماً . وصحة استنتاجنا ان ظواهر معيشتهِ كانت اعتيادية تماماً يؤيدها عدم ايمان اخوتهِ بهِ. وعدم امتداد صيتهِ في البلاد المجاورة . لان تثنائيل في قانا الجليل على بعد ساعات قليلة لم يسمع بهِ كل تلك السنين[2] . ولا اهل كفرناحوم وبيت صيدا الابعد قليلاً بالنسبة الى قانا . وقد تلخص تاريخ حداثتهِ في قول البشير لوقا "وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمةً وكانت نعمة الله عليهِ" . وقولهِ "واما يسوع فكان يتقدم في الحكمة (في عقلهِ) والقامة (في جسمهِ) والنعمة (في روحهِ) عند الله والناس" . فيدل هذا الكلام على انهُ تدرج في ذلك تدرجاً طبيعياً . وبذلك كان حائزاً ليس فقط على الرضى الالهي بل على الاستحسان البشري ايضاً . كانسان نتصورهُ في كل تلك المدة محباً لجميع الناس . ومستعداً لخدمتهم في كل امر حسن . ومبتعداً عن كل ما يكدرهم وصابراً على هفواتهم ومعاملاً اياهم باللطف في سيئاتهم . لم تأتِ ساعتهُ بعد التي تطلب منهُ مقاومة الشر جهاراً فتثير عليهِ حنق الاشرار . ولم ينل بعد الشهرة والاهمية التي تهيج عليهِ حسد الكبار

(١) قد اجمع الكتبة على القول بانهُ عمل في مهنة يوسف النجار ويؤيد ذلك تسمية اليهود إياهُ النجار ابن مريم (مر ٦:٣)

الفصل السابع

مت ٣: ١٧ مر ١: ٢ — ١١ لو ٣: ١ — ١٨ و ٢١ و ٢٢ يو ١: ٦ — ٨ و ١٥

(المرصّع) ف ٥ و ٦ — (الزمان) آخر سنة ٢٦ ب م
وك ٢ سنة ٢٧ ب م — (المكان) شاطئ نهر الاردن

ظهور المعمدان المتنبأ عنه. عمله في الوعظ والتعميد. اتباعهُ. المسيح الذي يعمد بالروح القدس. مجيء يسوع ليعتمد منه. رضوخ المعمدان بعد التمنع. المعنى في اعتماده. حلول الروح القدس بهيئة ظاهرة وصوت من السماء. اشتراك الثالوث الاقدس. اقنومية الروح القدس

قبلما بزغ نور الشخص العظيم الذي قال في نفسهِ "انا هو نور العالم"(١) لاحَ فجرهُ في شخص نسيبهِ يوحنا المعمدان الذي كان على شاكلتهِ لكن دونهُ كثيراً. اذ اقرَّ قائلاً "لست اهلاً ان انحني واحلَّ سيور حذائهِ"(٢). سمّاهُ يسوع "السراج الموقَد المنير"(٣). وقال فيهِ الرسول يوحنا انهُ "انسان مرسل من الله. لم يكن هو النور بل ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطتهِ"

كان هذا الفجر المبشر منتظراً بسبب النبوات التي سبقت ظهورهُ. وهو الوحيد غير المسيح الذي تُنبِّئ عنهُ قبل ظهورهِ بمئات السنين. اشار البشيرون الى نبوَّة منها وردت في كتابة اشعياء اعظم الانبياء الذين كتبوا بعد موسى(٤) واشاروا ايضاً الى كلام نبيٍّ ثانٍ بعدهُ بثلاث مئة سنة. وهو ملاخي آخر الانبياء

---

(١) يو ٨: ١٢ (٢) مر ١: ٧ (٣) يو ٥: ٣٥ (٤) اش ٤٠: ٣ — ٥ "صوت صارخ في البرية اعدُّوا طريق الرب قوّموا في القفر سبيلاً لالهنا. كل وطاء يرتفعُ وكل جبل واكمة تنخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً فيعلَن مجد الرب ويراهُ كل بشر معاً لان فم الرب تكلَّم" ويوحنا ذاتهُ اوضح انهُ المشار اليهِ في هذا القول

الذين كتبوا بالوحي . ونبوّتهُ هي الحلقة الموصلة بين العهد القديم واسفارهِ والعهد الجديد واسفارهِ[1]

بما ان مرمى الانجيل روحي لا تاريخي لا يلام البشيرون على اهمالهم كثيرًا من الاخبار التاريخية . لكن الوحي حفظ لنا مقدارًا كافيًا من الاشارات التاريخية لاجل معرفة زمن ظهور يسوع تقريبًا . وبذلك يزول كل ريب بكون ظهورهِ حادثًا حقيقيًا تاريخيًا لا خرافيًا . ثم ان هذه المعلومات التاريخية لها وقع عظيم في تأييد صدق البشيرين وصلاحية كتاباتهم سندًا لليقين المسيحي . يستحق الانتباه الى ان هذه المعلومات تأتي عرضًا لا عمدًا . وبمقابلتها مع التواريخ القديمة من مصادر اخرى يُستدَل على تاريخ الميلاد بوجه التقريب واوّل ثمر لهذه المقابلة بيان خطإ الذين وضعوا التاريخ المسيحي المصطلح عليهِ حاليًا . لان هذا التاريخ الذي ظاهرهُ يبتدىء من ميلاد المسيح ابتدأ فعلاً قبل الميلاد بنحو اربع سنين

فالبحث المختص بهذا التاريخ بحث مطوّل ودقيق . يكفينا ان نقتطف منهُ رؤوس اقلام . كان التاريخ العمومي قبل المسيح يُحسب من تأسيس مدينة رومية الذي وقع في سنة ٧٥٣ قبل ابتداء التاريخ المسيحي الحالي . والمؤرّخ اليهودي الشهير يوسيفوس يخبر بان الملك هيرودس الكبير مات في ربيع سنة ٧٥٠ والبشير متى يخبر بان يسوع وُلِد في حياة هيرودس . اذًا قبل سنة ٧٥٠ فلا يمكن ان يكون تاريخ الميلاد بعد ذلك بثلاث سنين اي في سنة ٧٥٣

(١) ملا ٣:١ و٤:٥ و٦ "هأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق امامي . ويأتي بغتةً الى هيكلهِ السيد الذي تطلبونهُ . وملاك العهد الذي تسرون بهِ . هوذا يأتي قال رب الجنود . هأنذا أرسل اليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف . فيرد قلب الآباء على الابناء وقلب الابناء على آبائهم لئلاَّ آتي واضرب الارض بلعن"

يسوع يوضح فيما بعد ان هذهِ النبوة تشير الى المعمدان في (مت ١١:١٤ و١٧:١١—١٣ ومر ٩:١٢ و١٣) والملاك فسرها عن المعمدان في كلامهِ لابيهِ زكريا . (لو ١:١٦ و١٧)

ثم ان هيرودس باشر ترميم الهيكل في السنة الثامنة عشرة لملكهِ اي بين ربيع سنة ٧٢٤ وربيع سنة ٧٢٥. فالبشير يوحنا يخبر بانهُ في بداءة خدمة يسوع وهو ابن نحو ثلاثين او احدى وثلاثين سنة حسب قول البشير لوقا كان مضى على تلك المباشرة ٤٦ سنة فان اضفنا هذه السنين الى ٧٢٤ يكون كلام اليهود ليسوع في سنة ٧٨٠ وان طرحنا من هذا التاريخ سني عمر يسوع آنئذٍ اي احدى وثلاثين سنة تصح سنة الميلاد ٧٤٩. وذلك بين اربع وخمس سنين قبل بداءة التاريخ المسيحي الحالي

هذان المثالان يدلان على كيفية الاستنتاج من مقابلة معلومات الانجيل العرضية مع التواريخ اليهودية والوثنية

اما نقط هذه المقابلة عدا ما سبق من الكلام فيهِ فهذه بعضها

١ الاكتتاب الروماني الذي ساق يوسف ومريم الى بيت لحم حتى وُلد يسوع فيها

٢ ظهور النجم للمجوس على فرض البعض ان هذا النجم لهُ دليل تاريخي فلكي

٣ ذكر ذبح الاطفال في بيت لحم بامر هيرودس. وبما ان هيرودس مات سنة ٧٥٠ ق م وذبح الاطفال حُصر في سن الاثنتين فما دون لا يمكن ان يكون يسوع قد وُلد قبل سنة ٧٤٨

٤ صلبهُ في نحو السنة الثالثة والثلاثين من عمرهِ في عهد بيلاطس البنطي الذي ابتدأ حكمهُ في اليهودية سنة ٧٧٩ اي قبل صلب المسيح بثلاث سنين

٥ صلبهُ في ايام رياسة قيافا رئيس الكهنة وقبل موت حميهِ وسلفهِ حنّان وقيافا تولى الرياسة من ٧٧١ الى ٧٨٩

٦ اخبار لوقا في تاريخ ظهور المعمدان الذي سبقت ولادتهُ ولادة يسوع بستة اشهر لانهُ ذُكر لذلك سبعة امراء تعيننا في تثبيت سنة

الميلاد على وجه التقريب [١]

وخلاصة التنقيب قد ادّت الى تقرير آخر السنة الخامسة او اوّل الرابعة قبل المسيح تاريخًا لولادتهِ . ففي اوّل السنة ٣ق.م يكون عمر يسوع سنة واحدة وفي اوّل السنة ٢٧ م يكون عمرهُ ٣٠ سنة . وهذا اتخذناهُ تاريخ اعتماد يسوع ومباشرتهِ خدمتهُ العلنية [٢]

ان لوقا وحدهُ ارّخ زمان ظهور المعمدان لكن البشيرين اجمعوا على بيان رفعة مقامهِ . تقرّر مقامهُ اولاً بواسطة تلك النبوات التي سبق ذكرها . تقرّر ايضًا بواسطة سلسلة المعجزات الممتازة التي رافقت ولادتهُ [٣] ثم بواسطة القوة الفائقة التي ظهرت فيهِ حتى جذب الامة جماهير الى وعظهِ ومعموديتهِ . لانهُ تسلّط تسلطًا روحيًا وادبيًا على الشعب وعلى رؤسائهم حتى على ملكهم الشرير هيرودس أنتيباس . فصار اليهود يتساءلون قائلين "ألعلّ هذا هو المسيح" ونال هذه السطوة دون شيء من الظواهر المجيدة التي كان اليهود يصوّرونها لمسيحهم متى جاء . ودون ان يفعل معجزة واحدة في زمانهِ [٤]

اما الذي ايّد عظمة مقام المعمدان تأييدًا صريحًا كاملاً فهو شهادات يسوع لهُ . قال عنهُ للشعب "ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا ؟ أنبيًا ؟

---

(١) الاوّل الامبراطور طيباريوس قيصر رومية الذي صار هذا الحادث في السنة الخامسة عشرة من حكمهِ . الثاني والي اليهودية بيلاطس البنطي الوطن وقد سبق ذكر تاريخ حكمهِ . الثالث رئيس الربع في مقاطعة الجليل وطن يسوع وهو هيرودس انتيباس ابن هيرودس الكبير حكم الى السنة ٧٩٢ وكان يلقب بدون حق شرعي ملكًا . الرابع رئيس الربع في المقاطعات المجاورة للجليل وهو هيرودس فيلبس اخو انتيباس الاكبر حكم الى السنة ٧٨٦ في حوران والبثنية . الخامس رئيس ربع آخر اسمهُ ليسانيوس المتولي مقاطعة ابلية لجهة الشام . السادس حنان رئيس الكهنة القديم الذي عزل قبل هذا الوقت بتسع سنين . والسابع صهرهُ قيافا خلفهُ في هذهِ الرئاسة الدينية (٢) اعظم اختلاف على التاريخ الحقيقي لظهور يسوع لا يتناول اكثر من خمس سنين . يراجع الشرح التاريخي في مرشد الطالبين صفحة ٥٧٦ طبعة ١٨٨٦ واتفاق البشيرين ٨٥ وتفسير ادي لوقا ٢٢ و٢٨

(٣) انظر ف ٢ (٤) يو ١٠ : ٤١

نعم اقول لكم وافضل من نبي *** الحق اقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء اعظم من يوحنا المعمدان "(١). كانت عظمتهُ من النوع المشار اليهِ في قول دانيال النبي "والفاهمون يضيئون كضياء الجلَد . والذين ردُّوا كثيرين الى البر كالواكب الى ابد الدهور "(٢)

ان يوحنا المعمدان يتقدَّم بروح ايليا ونشاطهِ امام ملك اسرائيل الحقيقي حبًّا واحترامًا عند قدومهِ الى مملكتهِ الارضية . كما ركض ايليا بالذات امام مركبة ملكهِ الشرير آخاب من الكرمل الى قصرهِ الملكي في يزرعيل (٣). وكان غرض يوحنَّا كغرض ايليا اي تبكيت شعب الله على حيدانهم عن شرائعهِ تعالى وعلى انقيادهم الى العادات الفاسدة التي اقتبسوها من الامم حولهم

الضمير في البشر يسوقهم جماهير ليصغوا الى الواعظ الذي يأتيهم بروح الانبياء العظام. نظير موسى الذي "قبل اقوالاً حية ليعطينا اياها "(٤) وبروح الرسول بطرس الذي كتب "ان كان يتكلم احد فكاقوال الله وان كان يخدم احد فكأنهُ من قوة يمنحها الله لكي يتمجَّد الله في كل شيء بيسوع المسيح الذي لهُ المجد والسلطان الى ابد الابدين "(٥)

الواعظ المملوّ من الروح القدس نظير المعمدان لا ينتظر الى سامعين. لانهُ لا يلتهي بالمقالات الفلسفية ولا يتكلم من نفسهِ ولا يعظ لان الوعظ حرفتهُ التي يرتزق منها او يرضي الناس بها . بل يعظ كمن يسمع في روحهِ كلام الله "فالآن اذهب وانا اكون مع فمك واعلمك ما تتكلم بهِ "(٦) وكمن يشعر مع بولس لما كتب "ويل لي ان كنت لا أبشر "(٧)

تيتم المعمدان صغيرًا وليس لهُ اخوة ولا اخوات. ولما بلغ في السن لم يتبع اباهُ في رتبة الكهنوت . لانهُ عِلم انهُ نذير لله فاتخذ البرية مسكنهُ والجراد والعسل البرّي طعامهُ وثوبًا من وبر الابل لباسهُ. والجلد منطقتهُ. والزهد بالدنيا ديدنهُ.

(١) مت ١١: ٩ و ١١ (٢) دا ١٢: ٣ (٣) ١ مل ١٨: ٤٦ (٤) اع ٧: ٣٨
(٥) ١ بط ٤: ١١ (٦) خر ٤: ١٢ (٧) ١ كو ٩: ١٦

موسى وداود وايليا قبلهُ ويسوع وبولس بعدهُ استعدُّوا في البرية لاجل اعمالهم الخطيرة . لكن يوحنا قضى سنيهِ كلها في البرية حتى ان السجن الذي قُطع فيهِ رأسهُ كان في البرية

فخالف بذلك خطة يسوع الذي قضى سنيهِ كلها بين اخوتهِ واخواتهِ ومواطنيهِ في الناصرة يتعاطى صناعتهُ بينهم ويختلط بهم كاحدهم . ثم في التجوُّل في المدن والقرى بين الجماهير المزدحمة في كل انحاء البلاد ويُلاحظ ان قصة المعمدان كقصة يسوع لخلوّ حياتهِ من الاخبار بين طفولتهِ وسن الثلاثين فالقول الوحيد الذي ورد عنهُ في هذهِ المدة كلها هو "وكانت يد الرب معهُ . واما الصبي فكان ينمو ويتقوّى بالروح . وكان في البراري الى يوم ظهورهِ لاسرائيل"(١)

ومع ان المعمدان لم يماثل يسوع في معيشتهِ الخارجية مائلهُ في التمسك التام بالامور الروحية . والاهتمام بخير الناس . والغيرة على اصلاحهم . والجُرأة في الانتصار للحق والبرّ . ومحاربة الشر على انواعهِ بين كل طبقات البشر . وكان نصير المساواة بين الناس بحطّ الرفيع منهم وينهض الوضيع . ويقوّم المعوَجّ . ويمهّد الطرق الى الصلاح ثم الى السماء . وكان نصير السلام بردّ القلوب المتباعدة بعضها الى بعض . وفي كل هذا تمّ النبوّات التي وردت بشأنهِ . ومنها ما صرّح بان موضوع كرازتهِ يكون مجيء المخلص الذي هو المسيح الرب .

وقد قرن الغفران بالتوبة في معموديتهِ بيانًا للحقيقة الجوهرية ان الغفران ليس امرًا مؤجلاً ينالهُ الخاطئ عند موتهِ او في المستقبل بعد ان يظهر حقيقة توبتهِ بالافعال الصالحة . بل هو هبة الهية تعطى حالما تتولّد في قلب الخاطئ ندامة صادقة ومخلصة تقود النادم الى الالتجاء الى الرحمن

(١) لو ١ : ٦٦ و ٨٠ اقتضت وظيفتهُ ان يباشر عملهُ الجهاري قبل ظهور المسيح بقليل ولما كان اليهودي يباشر الخدمة الدينية في نحو سن الثلاثين اقتضى ان يولد المعمدان قبل يسوع بقليل . وهكذا صار كما تبيَّن سابقًا في اخبار ولادتهما

وكان يأتيهِ المتنفذون في الدين اي الفريسيون [١] وفي السياسة اي الصدوقيون [٢]. الفريسيون (والكتبة منهم) كانوا اشد القوم تعصباً وتمسكاً بقواعد الدين ولاسيما في امر النجاسة والتعشير. يقول يوسيفوس انهم كانوا كجمعية عدد اعضائها نحو ٦٠٠٠ وكانوا اقرب للشعب من الصدوقيين والشعب ينقاد اليهم. وكانوا القواد في العصيان على الحكومة الرومانية الذي ادّى الى خراب اورشليم الاخير. واتخذوا لذواتهم اسم حبيريم او قصيديم اي الاتقياء. لكن خصومهم سموهم فريسيين (منفردين). وكانوا يتباهون كثيراً بالمظاهرات الدينية الفارغة ويدّعون رياء بالامتياز في القداسة. "وديانتهم كانت قد صارت رياء. وكثر اعتبارهم للامور الخارجية دون روح التقوى الحقيقية" [٣] الآن جماعتهم لم تخلُ من رجال ممتازين في العلم والصلاح والغيرة الحسنة نظير نيقوديموس وزعيمهم الاشهر هلّيل وحفيدهُ غمالائيل وتلميذهُ شاول الطرسوسي الذي صار بولس الرسول

اما الصدوقيون فكان بينهم وبين الفريسيين نفور قوي وخصام دائم وكانت لهم الاكثرية في المجلس السنهدريم. وفي زمن يسوع كان رؤساء الكهنة منهم. وتفوقهم في الثروة والسياسة عزّز مقامهم بين اليهود على رغم انكارهم كثيراً من جوهريات الدين. لانهم انكروا القضاء الالهي وتطرفوا في تعظيم حرية الارادة البشرية. فانكروا فعل العناية الالهية بين الناس. ووجود الارواح والملائكة والقيامة. فيجوز ان يسمّوا مادّيي عصرهم. لقّبهم خصومهم (زنديق) وهي كلمة فارسية معناها كافر فكانت افكارهم دنيوية وكان اعتبارهم للديانة اعتباراً سطحياً [٤]

صرّح المعمدان لهؤلاء المدعين الظالمين المضلين ان الاتكال الديني على مجرّد صحة المعتقد وصواب المذهب او الاعتماد على المقام الديني المعطى من

(١) قاموس الكتاب ٣:١٥٤ (٢) قاموس الكتاب ٣:٢ (٣) للدكتور بوست (٤) من مقالة للدكتور بوست

بشر باطلان. لان على رؤساء الدين دينونة اعظم ان كانوا لا يأتون باثمار تليق بالتوبة

لا بد ان الفكر المنتشر في البلاد زمئذٍ بأن ظهور المسيح قريب كان من اسباب ازدحام الجمهور حول المعمدان. ولما قال علانيةً ان المسيح قد جاء زاد الهيجان الديني في افكار العموم. فتفاطروا الى هذا المبشر اكثر فاكثر. لكنهُ لم يدارِ خاطرًا ولم يراعِ مقامًا في توبيخاتهِ القوية الصريحة على ضروب الشر المتنوعة. برهن بجرأتهِ وانصافهِ اهليتهُ للوظيفة النبوية التي لبستهُ. بمزيد انكار الذات الحّ بانهُ ليس اكثر من صوت صارخ في البرية ينطق باوامر الهية تسلّمها ليسلمها للشعب كما صرّح عنهُ في النبوة القديمة المشيرة اليهِ. ونبههم الى ان الوقت قد حان لوضع الفأس على اصل الشجرة التي لا تثمر اثمارًا صالحة. وان يد مسيحهم القادم رفشًا لتنقية بيدرهِ واحراق البطالين بنارٍ لا تُطفأ بعد جمع الصالحين الى مخزنهِ

هذا الصوت الصارخ في البرية كان صدى صوت الرعود على جبل سيناء عند انزال الشريعة الطاهرة على موسى. فحرّك الناس ليفتكروا بالنجاة. ولما رآهم المعمدان مرتعبين سألهم مؤنّبًا "من اراكم ان تهربوا من الغضب الآتي" اراهم ان النجاة لا تكون بالهرب بل باصلاح سيرتهم. وحقّق لهم ان مجرّد تسلسلهم من ابرهيم لا يخوّلهم البركات التي وعد الله نسل ابرهيم بها. لان الله قادر ان يقيم من الحجارة اولادًا لابرهيم. ولكن لا يمكنهُ ان يحسب نسلاً لابرهيم اناسًا يخالفون ابرهيم وصلاحهُ. فظهر تأثير وعظهِ في المسائل التي تقدمت لهُ لاجل الارشاد الديني من صنوف الناس المختلفة. وظهرت حكمتهُ في اجوبتهِ

انما لم يكن الارهاب ديدنهُ الوحيد. فانهُ بشرهم بالعمل الفائق الذي يقوم بهِ المسيح متى ظهر. وانهُ هو يقدر ان يعمدهم بماء للتوبة[1]. لكن هذه المعمودية ليست

(١) اردف وعظهُ بسنّة المعمودية بالماء وبذلك كما وعظ للآذان بالكلام وعظ ايضًا للاعين بالرمز المنظور

الاَّ رمزًا وتمهيدًا للمعمودية التي ينتقر اليها كل خاطئ لاجل الخلاص. وهذه هي المعمودية بالروح القدس التي يستحيل على اعظم الرسل والانبياء ان يُعمد بها. لانهُ عمل منوط بالاله وحدهُ. فلما قال ان المسيح يُعمّد بالروح القدس اعلن للناس ان يسوع المسيح حقًا هو الاله المتأنس. ولما قال ان المسيح الذي يأتي بعدهُ كان قبلهُ قدَّم برهانًا آخر بان يسوع لم يكن مجرَّد بشر

لاشك ان المعمدان مهَّد كثيرًا في اشهر خدمتهِ الجهارية طريق المسيح. لان تأثير وعظهِ كان استعدادًا داخليًا في كثيرين لاستماع تعليم يسوع وقبولهِ فيما بعد. وكان وعظهُ بان ملكوت الله قد اقترب ذات الوعظ الذي افتتح يسوع خدمتهُ بهِ

لما اختار الله هذا الرجل من النسل الكهنوتي ليهيئ طريق المخلص ويوصل بين العهدين القديم والجديد اقامهُ نبيًا لا كاهنًا. وجعلهُ الحلقة الاخيرة في سلسلة الانبياء والاولى في سلسلة المبشرين الجديدة. اختارهُ من انبياء يسوع في الجسد تكريمًا وتعزيزًا للعلاقات العائلية بين البشر. فالعائلة هي اساس المجتمع الانساني. واقدس فروعهِ. وهي اساس في الدين ايضًا. فيعدّ كل رأس عائلة كاهنها ورئيسها الديني لا الزمني فقط. فالدين في المدارس حتى في المعابد ايضًا تابع للدين في العائلة

رنَّ صوت هذا الصارخ في البرية فملأ البلاد الى اقاصيها. فجملهُ صيتهُ مهوبًا عند الجميع من الملك هيرودس انتيباس فما دون. وفي ذات يوم اتاهُ يسوع الى بيت عبرة[1] على ضفة الاردن من الناصرة على بعد سفر يوم. وهو قد اكمل السنين الثلاثين الاستعدادية. طال انحجاب حقبة امرهِ عن ابصار العالم حتى عن ذويهِ في وطنهِ بالنسبة الى عظمة عملهِ المقبل. وهكذا يطول انحجاب البذرة في الارض بحسب اهمية الشجرة التي ستكون منها ومدة دوامها

(١) وتسمى ايضًا بيت عنيا لكنها ليست التي سكنها لعازر واختاهُ قرب اورشليم

اما الآن فقد حان زمان ظهوره ومباشرته عملهُ الخلاصي . فامتزج مع الجمهور الغفير الجرار المحيط بالمعمدان في البرية . نظرهم يتقدمون ويعترفون للمعمدان بخطاياهم وينالون منهُ المعمودية بالماء اشارة الى المغفرة ثم النصائح المناسبة لكل واحد . رأى هيبة هذا النبي الجديد واحترام الجموع اياهُ وخضوعهم لهُ . وسمع لهجة سلطته الروحية في كلامهِ

حتى انهُ تقدم بنفسهِ ليطلب كغيرهِ ان يعمدهُ المعمدان . طلب المعمودية لكنهُ لم يقدّم شرطها اي الاعتراف والتوبة . فكيف يعمدهُ المعمدان ؟ لا بد من حديث يشتركان فيهِ ومن ملاحظة المعمدان ان هذا الشخص المجهول مزين بهيبة القداسة . فبدلاً من ان يطلبهُ المعمدان للتوبة اعتبرهُ اعظم منهُ واطهر . ورفض حالاً طلبهُ ان يعتمد منهُ قائلاً "انا محتاج ان اعتمد منك وانت تأتي اليّ" ؟

كان يوحنا ذا مقام رفيع لانهُ من السلالة الكهنوتية الهرونية الممتازة . ومن اليهودية اشرف اقسام الارض المقدسة . ومع ذلك لا تتعجب من كلامهِ هذا لو علم ان الذي يخاطبهُ هو المسيح الذي طالما نادى بقرب مجيئهِ واطنب في وصفهِ وتشوّق الى رؤياهُ . لكن اعترافهُ الصريح بانهُ لم يكن يعرفهُ (١) يجعلنا نعجب انهُ يصوّب كلاماً كهذا الى نجار مجهول من وطن حقير . لم يتذلل امام رؤساء البلاد حتى ولا امام الملك ذاتهِ . قد سمعنا صوتهُ بالامس للرؤساء بين الجمهور قائلاً "يا اولاد الافاعي من اراكم ان تهربوا من الغضب الآتي" ؟ فكيف يتذلل الآن امام النجار الناصري ويقول لهذا الشاب الغريب "انا

(١) كنا نظن ان هذين النسيبين في الجسد والروح صديقان وان المعمدان عرف من ابويهِ قصة ميلاد يسوع العجيبة . وانهما التقيا مرارًا في زياراتهما المفروضة لاجل حضور الاعياد في اورشليم . لذلك نستغرب كثيرًا قول المعمدان "وانا لم اكن اعرفهُ" . لعلهُ قصد بهذا القول لم اكن اعرفهُ كما هو معرفة كافية وكاملة . بمعنى كهذا قال يسوع لفيلبس بعد ان كان عاشرهُ اكثر من ثلاث سنين "انا معكم زمانًا هذهِ مدتهُ ولم تعرفني يا فيلبس" يو ١٤ : ٩

محتاج ان اعتمد منك"؟

في قولهِ هذا اظهر انهُ مع كل تقواهُ وغيرتهِ ونجاحهِ في خدمة الدين وانتصارهِ للصلاح وحياتهِ التقشفية يشعر انهُ خاطئٌ وينتظر الى من يعمدهُ هو بمعمودية التوبة. تواضعهُ برهن عظمتهُ. وقد سبق القول في ان التفوُّق في الشعور والخطئة والتصور مع الاقرار بذلك يرافق دائمًا بين البشر التفوُّق ايضًا في الصلاح. فجواب يسوع على اعتراض المعمدان كان بالرزانة والحكمة كأنهُ معلم يخاطب تلميذًا لهُ. قال "اسمح الآن لانهُ هكذا يليق بنا ان نكمّل كل برّ" (١)

لابد من الوقوف تجاه هذه العبارة لانها اوّل كلام حُفظ لنا من كلام يسوع بعد ما بلغ سن الرجولية. ولانها القول الثاني فقط من فم العزيز. من قولهِ "هكذا يليق" نعرف انهُ اعتمد لياقةً لا وجوبًا واختيارًا لا اضطرارًا. فلم يقل كما قال المعمدان "انا محتاج ان اعتمد منك" لاق ان يعضد بهذه الواسطة خدمة المعمدان. ويزيد تأثيرهُ الحسن بين الناس ويقوّي بتدوينهِ تيار القادمين اليهِ ليسمعوا وعظهُ ويطلبوا معموديتهُ. وان يمكّنهُ بذلك من تتميم هذا القسم من مرسليتهِ كمهيئ للمسيح طريقهُ

ولاق ان يقبل من يوحنا شهادةً اظهر فيما بعد اعتبارهُ اياها. لانهُ بذلك سهّل على الشعب ان يؤمنوا بهِ ان شاءوا. ولاق ان يقدم برهانًا ناطقًا لتواضعهِ الكلي لكي يسبق فعلهُ قولهُ بلزوم التواضع في رجال الله. ولاق ان يحترم سنّة المعمودية التي قصد ان يرسمها سرًّا اوليًّا من سرّي الكنيسة الى كل الاجيال يمارسهُ تابعوهُ اقتداءً بهِ مبينًا بذلك ارادتهُ في حفظ بعض الطقوس الخارجية في كنيستهِ. ولاق ان يوصل باعتمادهِ بين العهدين القديم والجديد لانهُ خضع للاوّل لكي يحوّلهُ الى صورة جديدة مسيحية. ولاق ان ينزل نفسهُ في منزلة الخطأة التائبين الطالبي الاعتماد لانهُ هو الذي "اخلى نفسهُ آخذًا صورة عبد

(١) مت ٣:١٥

صائرًا في شبه الناس . واذ وُجد في الهيئة كانسان وضع نفسهُ واطاع حتى الموت موت الصليب"[1]. فكما تنازل وهو الخالق واخذ من العذراء طبيعتهُ البشرية ومن يوسف ومريم تربيتهُ البنوية ومن مواطنيهِ معيشتهُ الزمنية تنازل فاخذ الآن من رسولهِ المتقدم معموديتهُ التمهيدية

خضع المعمدان لهذه الكلمة من يسوع "فسمح لهُ" ونزلا معًا الى النهر لكي يُعمد التلميذُ معلمهُ والعبدُ سيدهُ والخاطئُ مخلصهُ "هكذا لاق ان يكمل كل بر" . فنرى في المعمدان ان التواضع الذي رفض اولاً ان يعمد يسوع هو التواضع الذي خضع اخيرًا وعمدهُ

كان في معمودية يوحنا معنيان . اصغرهما يشير الى التطهير من الخطيئة وثانيهما واكبرهما يشير الى التخصيص لخدمة الملكوت الجديد الذي سوف يتيهُ يسوع . والى حياة جديدة يحياها المعتمد

بالمعنى الاوّل يعتمد يسوع لا شخصيًا بل نيابيًا ورمزيًا . عدّ يسوع في محل خاطئٍ لاتخاذهِ شبه جسد الخطية.[2] عند اليهود كان يمسي الطاهر نجسًا ان لمس ميتًا . فيسوع بملامستهِ جثسنا الخاطئ عُدّ خاطئًا لانهُ حسب كلام النبوّة "أُحصي مع اثمة" وعلى هذا البناء النيابي اشترك في معمودية التوبة . وبهذا المعنى قال الرسول ان الله "جعل الذي لم يعرف خطيئةً خطيئةً لاجلنا"[4]

ولكن بالمعنى الثاني يعتمد جديًا وشخصيًا . لانهُ يدخل الآن في خدمتهِ الجهارية الخلاصية في انشاء هذا الملكوت والترأس فيهِ . كان غيرهُ من المعتمدين يدخل على حياة جديدة بواسطة ما يناله . الاّ ان حياة يسوع الجديدة تقوم بما ينيلهُ للناس . في اعتمادهِ اخذ المسحة القانونية التي تطلبها وظائفهُ الثلاثة كنبي وكاهن وملك

عمد يوحنا يسوع بالماء وصعد يسوع للوقت من الماء عالمًا بما لهذه الساعة من الاهمية الفائقة في مستقبل حياتهِ الارضية ومستقبل تاريخ البشر . اما معظم

(١) في ٣:٨ و٨ (٢) رو ٨:٣ (٣) اش ٥٣:١٢ (٤) ٢كو ٥:٢١

افكارهِ فكانت متجهة الى غير هذه المعمودية . هو عالم باحتياجهِ كابن الانسان الى الاعتماد بالروح القدس الذي هو شرط ضروري في كل معمودية مسيحية ثابتة فشعر في هذه الساعة الموقرة بقرب الآب منهُ وبرضاهُ التام عنهُ . ولذلك كان امرًا طبيعيًا ان يصلي وهو صاعد من الماء بعد العماد . ومن الاستجابة التي نالها عرفنا ان صلاتهُ كانت لاجل حلول الروح القدس عليهِ بنوع خصوصي . لانهُ علم ما ظهر بعدئذٍ ان قوتهُ كابن الانسان لاجل قهر ابليس وصنع المعجزات واعلان التعاليم الالهية والقيامة من قبرهِ وتأسيس الكنيسة بعد قيامتهِ تتوقف على عمل الروح القدس فيهِ وبواسطتهِ

لما قرع باب السماء بصلاتهِ انشقّت وانفتحت لهُ . وحلَّ عليهِ الروح القدس حسب طلبهِ . وانفتحت السماء للذي بيدهِ مفاتيح ملكوت السموات "الذي يفتح ولا احد يُغلق ويغلق ولا احد يفتح"(١) فلا عجب انهُ امر تابعيهِ بعدئذٍ قائلاً "اقرعوا يفتح لكم"(٢) قبل ان علَّم الناس الصلاة بقولهِ علَّم ذلك بفعلهِ . لان حياتهُ كانت مشحونة بالصلاة . صلى لما اعتمد . ولما تجرَّب . ولما صنع المعجزات . ولما انتخب رسلهُ . ولما كسر الخبز للطعام . ولما رسم العشاء الرباني ولما تألم في بستان جثسيماني . ولما ودَّع تلاميذهُ . ولما عُلق على الصليب

ويظهر ان يوحنا كان موعودًا بعلامة بها يعرف المسيح لانهُ قال "الذي ارسلني لاعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقرًا عليهِ فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس . وانا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله"(٣) . هذا الوعد كان سببًا كافيًا لاتخاذ الروح القدس هيئة جسمية . لان المعمدان حالما شاهد تلك الهيئة الحمامية(٤) حالَّة على يسوع عرف دون ادنى ريب ان هذا هو الذي قال عنهُ سابقًا انهُ يأتي بعدهُ الذي كان قبلهُ الذي يعمد بالروح القدس

---

١ رؤ ٣:٧ (٢) مت ٧:٧ (٣) يو ١:٣٣ و٣٤ (٤) الحمامة في اصطلح المخلوقات رمزًا للقداسة

اختيرت الحمامة في ايام نوح لتعلن ظهور رؤوس الجبال الصخرية المنقذة فوق سطح المياه المهلكة التي غمرت بلدان الارض وسكانها ودمرتها . والآن اختيرت هذه الهيئة لتمثل الروح القدس المعلن ظهور صخر الدهور المنقذ فوق سطح مياه الخطيئة المهلكة التي غمرت ودمرت ولن تزال تغمر وتدمر جميع الذين لا يلجأون الى هذا الصخر لاجل الخلاص

فتمّت بهذا الحلول تلك النبوات القديمة الباهرة المعلنة ان المسيح متى جاء يحل عليهِ روح الله بنوّة[1] . لكن لا يؤخذ هذا الحلول الخصوصي دليلاً على ان الروح القدس لم يكن مالئاً قلبهُ قبلهُ حتى وقبل ولادتهِ ايضاً . لان هذه الولادة ذاتها كانت بواسطة حلول الروح القدس على والدتهِ . اما الآن فحلّ عليهِ حلولاً خصوصياً ممتازاً كمخلص عند شروعهِ بعملهِ الخلاصي

ومع حلول الروح القدس على الابن الازلي المتأنس سُمع حالاً صوت الآب مستحسناً . قيل " وكان صوت من السماء قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت " . ثم تحقيقاً لايمان المعمدان كان هذا الصوت ضرورياً لتحقيق الرؤيا وتفسيرها وهذه هي اولى المرّات الثلاث في تاريخ يسوع التي فيها سُمع صوت الله من السماء

بمجيء هذا الصوت اجتمعت الاقانيم الثلاثة في الاله الواحد على صورة جلية ومؤثرة للغاية عند تكريس المخلص . وبناء على هذا الظهور في اعتمادهِ نرى يسوع يوصي تلاميذهُ ان يعمدوا كل من يؤمن بهِ " باسم الآب والابن والروح القدس "[2]

---

(١) " يخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من اصوله . ويحل عليهِ روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة " وايضاً " روح السيد الرب عليّ . لان الرب مسحني لابشر المساكين . ارسلني لاعصب منكسري القلب لانادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالاطلاق لانادي بسنة مقبولة للرب لأعزّي كل النائحين " اش ١١ : ١ و ٦١ : ١ و ٢ (٢) تسمى المعمودية سرّاً في الكنيسة المسيحية لانها تشير الى فعل يفعلهُ روح الله القدوس في قلب المؤمن الجديد

ظهور الروح القدس متخذًا هيئة جسمية يؤيد شخصيته كذات له افعال تخص به . وكما يقال في الآب بعض ما لا يقال في الابن . وفي الابن بعض ما لا يقال في الآب . هكذا يقال في الروح القدس بعض ما لا يقال في الآب او في الابن . في فجر الخلق ظهر فعل الروح الذي كان "يرفّ على وجهِ المياه"(١) واوجد الحياة على الارض . وهو الذي يوجد في البشر حياةً جديدة روحية بعد موتهم في الذنوب والخطايا . وهو الذي بحلولهِ احيا جرثومة الكنيسة لما حلّ على ١٢٠ تلميذًا والرسل ومريم ام يسوع منهم في علية صهيون في يوم الخمسين . واهّلهم لينشروا في كل انحاء المعمور انجيل يسوع المسيح . وليجمعوا في كنيسته المنظورة شعبًا غنيًّا في الاعمال الصالحة

لا نعلم تمامًا ان كان احد غير يسوع والمعمدان رأى هذه الرؤيا السماوية او سمع هذا الصوت الالهي . لدينا امثلة امتياز المؤمنين فوق غيرهم في احوال كهذه إذ يسمع الشخص المقصود كلامًا مفهومًا او يرى رؤيا واضحة . واما غيرهُ من الحاضرين فيسمع صوتًا لا كلامًا ويرى نورًا لا شخصًا (٢)

فما اعظم ابتهاج المعمدان في هذه الساعة لانهُ بعد جدّهِ الكلي في التبشير بقرب ظهور المسيح وانتظارهِ يومًا بعد يوم وعامًا بعد عام رآهُ الآن واقفًا امامهُ وهو قد تشرف بان يعمدهُ

نرى في اعتماد يسوع تجهيزًا حربيًّا لعراك هائل اوشك ان ينفع . وعلى نتيجتهِ تتوقف صلاحيتهُ لان يكون مخلصًا للعالم

—.—

(١) تك ١ : ٢ (٢) يو ١٢ : ٢٨ و٢٩ واع ٧ : ٥٦ و٩ : ٧

الفصل الثامن

مت ٤ : ١ — ١١ ومر ١ : ١٠ و ١١ ولو ٤ : ١ — ١٣

(المرصع) ف ٦ (الزمان) ك ٢ وشباط سنة ٢٧ م.
(المكان) برية اليهودية

شخصية ابليس . الداعي تجرّب يسوع . خطة المجرّب . المقابلة بين تجرّب آدم ويسوع . صوم يسوع . التجربة الاولى . تجربة كابن الانسان . معاني هذه التجربة . التجربة الثانية ومعانيها . التجربة الثالثة ومعانيها . نتائج انتصاره على ابليس

قد سبق في خبر طفولية يسوع بيان شيء من اعمال ابليس التي ظهرت في تصرفات هيرودس الملك[1] . لكننا لم نعثر الى الآن في تاريخ يسوع على ذكر اسمه ولا على اخبار صريحة عنه . اما الآن فقد وصلنا في درسنا الى رؤية صورته بجلاء اذ تُذكر اسماؤه الثلاثة "المجرّب" و"ابليس" اي المشتكي و"الشيطان" اي العدو . ويصوّر كهاجم على يسوع آملاً بان يجعله يخطىء فلأجل ادراك خبر هجومه على يسوع يوافق ان يبتدأ بنظرة عمومية في شأنه

يتبيّن من الكتاب انه شخص حقيقي روحي مجرّد عن المادة وشرير جدًّا جدًّا . وانه رئيس ملائكة الشر الذين اشار اليهم يسوع في كلامه عن "النار الابدية المعدّة لابليس وملائكته"[2] . قيل "ان الله لم يشفق عليهم لانهم اخطأوا ولم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم . ففي سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلّمهم محروسين للقضاء . وحفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود ابدية

(١) ف ٢ (٢) مت ٢٥ : ٤١

تحت الظلام "[١]. ويسمى ايضاً "رئيس هذا العالم "[٢] "واله هذا الدهر "[٣] "ورئيس سلطان الهواء "[٤]. لانهُ بقوّة حذقهِ الفائق يتسلط على البشر تسلطاً عظيماً وغريباً جداً. واهم البراهين على كونهِ شخصاً حقيقياً مهماً ومقتدراً امر يسوع تابعيهِ ان يذكروهُ في صلاتهم مهما اختصروها ويقولوا "نجنا من الشرير "[٥]. ليس من الشر ولا من الاشرار بل من الشرير

ويتضح ايضاً من الكتاب بان هذا التسلط مقيَّد بالسماح الالهي. وان ابليس يعترف بذلك ويطلب هذا السماح ويُعطاهُ احياناً[٦]. انما القصد الالهي في هذا السماح هو حبي محض نحو الذين يجرَّبون. لان المنتصرين منهم ينالون التزكية والتقوية والتمجيد. والذي يدفع كل ريب في مزية الحب الخالص في هذا السماح هو تجرُّب يسوع حبيب الله ووحيدهِ في طبيعتهِ البشرية. لان الذي اصعدهُ الى البرية ليجرَّب من ابليس هو الروح القدس الالهي

ولا يخفى الفرق العظيم بين نوعَي التجربة. لان الاوَّل هو لاجل الامتحان الخيري بقصد التزكية والتقوية والتمجيد نظير ما فعل الله بابرهيم[٧]. وفيهِ يجد الرسول سبباً عظيماً للفرح[٨]. والثاني هو لاجل الاغواء الشرير. وفي هذا قال الرسول ذاتهُ "لا يقل احدٌ اذا جُرِّب اني أُجرَّب من قبَل الله لان الله لا يجرَّب احداً[٩]

ليس حادث بين حوادث حياة يسوع اصعب تفسيراً من حادث تجرُّبهِ. ومن جملة المصاعب التوفيق بين طهارتهِ التامة والقول بانهُ "تجرَّب في كل شيء مثلنا "[١٠]. فاين تجرُّب القدوس من تجرُّب الاثيم؟ ان ما نتيقنهُ تماماً من سمو صفات يسوع لا يدع مجالاً للظن بان تجرُّبهُ كان وهمياً او صوَرياً وهو قد أورد خبرهُ على الصورة الموجودة في الانجيل. اذ ليس

---

(١) ١بط ٥:٤ مع يهو ٦ (٢) يو ١٤:٣٠ (٣) ٢كو ٤:٤ (٤) اف ٢:٢
(٥) مت ٦:١٣ (٦) اي ١:١٢ و ٢:٦ ولو ٤:٦ و ٢٢:٣١ انظر ايضاً رؤ ٣:١١
(٧) تك ٢٢:١ (٨) يع ١:٢ (٩) يع ١:١٣ (١٠) عب ٤:١٥

آخر يعرف هذا الامر ليخبر عنهُ . ولان يسوع يترفع كثيرًا عن تصوير الوهم كأنهُ حقيقة . وعن الاخبار بحادثة لم تقع ومع شخص لا وجود لهُ . ويترفع رسلهُ عن اختلاق خبر سرّي مهم كهذا عن معلمهم وسيدهم وربهم

يكشف يسوع بيدهِ في خبر تجرُّبهِ الستار عن سرٍّ عميق من اسرار اختباراتهِ الروحية . والمحنة الشديدة التي اجتازها منفردًا تمامًا عن سائر البشر وهذا الخبر هو الوحيد بين اخبار الانجيل الذي يتوقف كشفهُ على يسوع وحدهُ . فبناء عليهِ يجب على المفسر ان يتحفّظ من الجزم في شيء يتعلق بتجرُّب يسوع الاَّ ما ذُكر صريحًا . وان يلتزم ايضًا مزيد الوقار

يريد البعض ان يعتبروا ان الشيطان ليس الاَّ خيالاً يُستخدَم للتعبير عن الشر الداخلي الذي يقود الناس الى الخطيئة . وان القول باستقلالهِ الشخصي هو من الخرافات التي لا تخلو من فائدة . لكن خبر تجرُّب يسوع يعارض هذا الرأي تمامًا . لان خلوّ قلبهِ وافكارهِ التام من كل فساد حتى جرائمهِ ومن كل ميل اثيم حتى اثرهِ يقضي بان التجربة للخطيئة لا يمكن ان تاتيهُ من داخل . باب التجربة في قلبهِ لا يمكن فتحهُ الاَّ من خارج . فيستوجب تجرُّبهُ شخصًا شيطانيًا خارجًا عنهُ (١)

قد اشرف يسوع بانتهاء سني الاستعداد على خدمتهِ الجهارية . لكن عليهِ ان يمرّ اولاً في أتون التجرُّب ليثبّت اهليتهُ ليكون المخلّص والمصلح العمومي . ولذلك يقتضي ان يصارع قائد قوات الشر ويقهرهُ ليتمّ اوّل النبوّات التي أُعطيت للبشر لما قال الله في جنة عدن لابوينا الاولين ان نسل المرأة "سيسحق راس الحية" (٢) . فعليهِ ان يذلل هذا العاتي الذي لم يذلله بشر بعد لكي يفتح

(١) انكار شخصية ابليس قديم الاصل ويُعزى الى ابليس ذاتهِ . لان الذي لا يعترف بوجودهِ لا يقاومهُ . وقد اتفق قديمًا في هذا الانكار الايكوريون بين الوثنيين والصدوقيون بين اليهود . ويتبعهم بعض النصارى . ويجد المطالع شروحًا مفيدة في مرشد الطالبين ٤٩٩–٥٠٤ وقاموس الكتاب ١: ٦٥٠–٦٥٣ انظر يو ١٣: ٢١ ورؤ ١٢: ٢

(٢) تك ٣: ١٥ مع اش ٢٧: ١ و٢ كو ١١: ٢ ورؤ ١٢: ٩

لغيرهِ باب الفوز الوحيد بهذا الخصم الجبّار . لان غلبة كل من يسلَم من مخالبهِ المهلكة لا تكون الاَّ باسم يسوع . وبقوَّة الروح الذي اصعدهُ الى برية التجربة ثم كللهُ هناك بالنصر

ان رئيس الخلاص لا يكمَّل الاَّ بالآلام (١) . ومن امرّ جرعات الآلام تسليم ذاتهِ لمصارعة هذا الشرير النجس الخبيث ممثّل كل ضروب الفساد والقباحة . ونفس يسوع الاليَّة الطاهرة لا يمكنها الاَّ وتشمئز كل الاشمئزاز من ملاصقة مجرّب كهذا ستة اسابيع متواصلة . لذلك قال الرسول انهُ "تألم مجرَّبًا" (٢)

ان يسوع خضع كابن الانسان لقوانين الحياة الارضية التي هي وضعهُ اصلاً . منها ان وراء كل جبل مرتفع واديًا منخفضًا . وعقيب كل ابتهاج عظيم انزعاجًا يضارعهُ . فارتفاع يسوع وابتهاجهُ في اعتمادهِ بالامس أبدلا سريعًا باتضاعهِ وانزعاجهِ في برية التجربة . وينبئنا ايضًا التاريخ المقدس بان الشيطان يترقب زمن ارتفاع الانسان لاجل اسقاطهِ . وبذلك يتضاعف اذى السقطة مع افتخار الذي اسقطهُ . يكفينا شاهدًا على ذلك موسى وايليا وبطرس ويهوذا الاسخريوطي . لان ابليس اسقط الاوَّل في خطية الغضب التي حرمتهُ دخول ارض الميعاد بعد عناء اربعين سنة وافقدتهُ نيل اماني حياتهِ الطويلة . وكان ذلك عند بلوغهِ اوج عظمتهِ الفائقة (٣) . والثاني نال انتصارهُ الباهر على المملكة وملكها وكهنتها على جبل الكرمل ولم يمرّ عليهِ اكثر من يوم الاَّ ورماهُ ابليس في خطية اليأس . فهرب مخذولاً الى برية سينا بعيدًا عن محل مأموريتهِ وطلب الموت لنفسهِ (٤) . والثالث ارتفع الى السماء عند ما مدحهُ يسوع بكلام بليغ . فحالاً اسقطهُ هذا العدو الروحي في خطيئة الكبرياء . فانهر سيدهُ محاولاً ان يفسد عملهُ الخلاصي . لذلك عنَّفهُ يسوع تعنيفًا لم يعامل غيرهُ بهِ قائلاً لهُ

(١) عب ٢: ١٠ (٢) عب ٢: ١٨ (٣) عدد ٢٠: ١١ و١٢
(٤) ١ ملوك ١٩: ٤

"اذهب عني يا شيطان انت معثرة لي"(١). والرابع لما استكمل سني تمتعه بالوسائل الممتازة لترقيته الروحية بمرافقته الدائمة ليسوع ثلاث سنين ونصفاً اسقطه هذا المجرب المقتدر في خطيئة الطمع الناحش الذي اغرقه في الهوّة العميقة وجعلت اسمه ان يكون لآخر الزمان مثال قساوة القلب الفائقة البربرية والخيانة الشنيعة الدنيئة

فاتخذ هذا الطاغي هذه الخطة عينها مع يسوع . رآهُ مجدّداً للغاية في حادث اعتماده . ومبتهجاً بحلول الروح القدس عليه . وبرضى الآب الممتاز المعلن بصوته من السماء . فاسرع الى الهجوم عليه باقوى تجاربه مدة اربعين يوماً املاً باسقاطه في خطيئة من الخطايا العديدة . فانه اسقط قبل هذا الوقت نسل آدم جميعاً دون استثناء. والآن يتنسم الفوز على ابن مريم ويرى ان احوال يسوع الخارجية تسهل له ذلك

لانه عندما هجم ابليس على آدم الاوّل واسقطه اوّل مرّة كان في جنة فاخرة حاوية كل اسباب السرور ودواعي التلذّذ والرفاه . وكان محيطه خالياً من كل شر او فساد . حتى ان الحيوانات على انواعها كانت اليفة وطوع امره . ولم يكن يعرف من الاتعاب ولا الاوجاع ولا الاحزان ولا الاسقام شيئاً . وهو عالم ان ليس امامه غير دوام هذا الرغد ما دام على الوضع الالهي الذي اوجده

اما الآن فان المجرّب يجد هذا النجار الجليلي آدم الثاني في برية مقفرة خالية ليس فقط من اسباب التلذّذ بل من الطعام الضروري ايضاً . تحيط به الوحوش الضارية الكامنة لافتراس كل انسان تصادفه في حماها . وحياته السابقة كانت بين جماعة كلهم خطأة وكثيرون منهم متوغلون في الشرور . فقد أَلِف رؤية المحرّمات واصوات الاثم . واعظم من ذلك انه عالم بانه ان لم يرجع عن قصده ليس امامه سوى سني التعب والشقاء والقهر والاهانة

(١) مت ١٦: ٢٣

والنشل الحاضر والآلام المبرّحة ثم موت الصليب. فكيف لا يكون اسقاطه سهلاً ومكفولاً ؟

في ايام شاول بن قيس ملك اسرائيل الاوّل اصطفّ الجيش العبراني يتوقع متلهفًا البراز الذي اصبح شهيرًا بين زعيمهم وزعيم اعدائهم الفلسطينيين. لان الحكم في اي الشعبين يُستعبَد للآخر كان متوقفًا على نتيجة هذا البراز[1]. فالراعي البيتلحمي الغلام داود بن يسّى سلّم شعبهُ من العبودية بفوزهِ على جليات الجبار الفلسطيني. فيليق ان يقف العالم باسرهِ تجاه القتال الحيوي الذي يدور الآن بين ابن داود الاعظم وقائد جنود الشر الاعظم جبار الجحيم. وان يتوقع متلهفًا نتيجة هذا البراز الذي عليهِ يتوقف الحكم في ماذا يكون نصيب البشر الابدي. لانهُ ان فاز رئيس هذا العالم عدو البشر على رئيس بيت داود مخلص البشر يكون فوزًا اعظم من فوزهِ الاوّل في جنة عدن بما لا يقاس. لان بذلك يجي تمامًا رجاء البشر بالخلاص الابدي ويمسي استعبادهم لابليس محققًا ومؤبدًا

قلنا ان رفقاء يسوع في هذه البرية هم الوحوش الضارية. ونستنتج من الكتاب ان آدم الاوّل كان قبل سقوطهِ متسلطًا عليها وليس على الحيوانات الاليفة فقط. وان عداوة الوحوش لبني آدم هي احدى نتائج سقوطهِ. فلما نقرأ ان يسوع كان مع الوحوش تتصوّرهُ يستعيد تلك السلطة. وتشخصهُ محاطًا بها نظير دانيال في جب الاسود[2] تحفظهُ هيبتهُ المقدسة من انيابها المسنونة. او ليس من شأن ازالة الخطيئة اعادة تلك السلطة المفقودة ؟[3]. أو ليس الرفق بالحيوانات من مقتضيات الدين والادب ؟

لم ياكل يسوع شيئًا مدة الاربعين يومًا والاربعين ليلةً التي قضاها في التجرُّب. فاغتنم المجرّب فرصة عيائهِ الجسدي ليفرغ قواهُ في ثلاث تجارب

(١) اصم ١٧: ٩ (٢) دا ٦: ٢٢ (٣) مر ١٦: ١٨ ولو ١٠: ١٩ وع ٢٨: ٣ — ٦ واي ٥: ٢٢ و٢٣ ومز ٩١: ١٣

قوية نهائية . كان صوم يسوع هذا امرًا عرضيًا طبيعيًا . اولاً لان البرية لا تقدم له بسهولة طعامًا . وثانيًا لانهُ مشتغل عن التفتيش عن الطعام لانصرافهِ الى الامور الروحية . ولا يرضى ان يترك البرية في طلب الطعام الاَّ بارشاد الروح الالهي الذي اصعدهُ اليها . كان مشتعلاً ابتهاجًا بتأثير حوادث عمادهِ وغيظًا بسبب مكائد مجرّبهِ الشريرة . وحماسةً من جرّاء تأمُّلاتهِ باحوال البشر التعيسة تحت العبودية لهذا الشرير . وغيرة في الافتكار بالسعي لاجل تخليصهم . فهذا الاشتغال المركَّب انساهُ احتياجاتهِ الجسدية الضرورية . فلم يشعر كثيرًا بالجوع الاَّ عند نهاية هذه المدة الطويلة . في عدد ايام هذا الصوم الطبيعي الاختياري[1] وفي محلهِ مائل كرئيس النعمة سلَفيهِ الشهيرَين موسى رئيس الناموس[2] وايليا رئيس الانبياء[3] اللذَين اختارهما الله فيما بعد ليزوراهُ من السماء على جبل التجلي[4]

في اغواء حوَّاء اتخذ ابليس صورة حيوان لانهُ اذ لم يكن لديهِ انسان يستخدمهُ . لكن حالما تسلَّط عليها ترك الحية واستخدم حوَّاء في اغواء زوجها . ومن ذلك الحين يستغني عن الحيوانات . لان الآلات البشرية متوفرة لديهِ . وللتجربة بواسطة المتزيّن منعول مضاعف . ومما سبق يتبين ان ابليس لما قصد ان يحوّل يسوع عن عزمهِ بان يكفّر بموتهِ عن خطايا العالم استخدم رسول يسوع الممتاز سمعان بطرس

قد سكت الوحي تمامًا عن بيان الصورة التي ظهر فيها ابليس ليسوع لما حاورهُ . الاَّ ان العقل يحكم بانهُ لم يظهر في هيئة شيطانية . لان ذلك يحذّر للكره والمقاومة ويعطل سعيهُ . ويترجح ظهورهُ شخصيًا بناء على ما ذكر من ان ليس في يسوع اساس داخلي للشر حتى تأتيهُ التجربة من قلبهِ . ويحتمل انهُ ظهر اولاً بهيئة شخص اعتيادي اقبل عليهِ في البرية . فان صحَّ هذا الفرض يظهر

(١) يلاحظ ان يسوع تمنع عن وضع فريضة الصوم على تلاميذهِ وتابعيهِ (مت ٩ : ١٤ ومر ٢ : ١٨ — ٢٠ (٢) خر ٣٤ : ٢٨ (٣) ١ مل ١٩ : ٨ (٤) مت ١٧ : ٣

هذا الزائر تعجبهُ من جوع يسوع الناتج عن قيادة الروح الالهي اياهُ الى هذا القفر . ثم تركهُ بدون القوت الضروري الذي يعدُّ ايجادهُ من واجبات الانسان الاولية . ثم من باب التودُّد يذكّر يسوع ان قوتهُ كابن الله تجعل سدَّ هذا الخلل امرًا سهلاً عليهِ جدًّا . لان الذي خلق الحجارة في الاصل لا يعسر عليهِ تحويلها كيف شاء . وان لم يفعل ذلك فانهُ يزرع الشك في كونهِ حقًّا ابن الله . وبما ان الآب قد اهملهُ حسب الظاهر لماذا ينتظر امرهُ ؟ لا بل يحق لهُ ان يشك في محبة الآب وان يتذمر على تدبير العناية الالهية

فنحن نسأل اليوم طبعًا ما المانع لاجابة اقتراح هذا المجرّب بان يحوّل يسوع الحجارة خبزًا لسدّ جوعهِ . وما هي الخطيئة او الخطايا التي قصد ان يولّدها في قلب يسوع . لا يصحّ الجواب ان يسوع رفض هذا الاقتراح لكونهِ صدر من الشيطان . لان يسوع لم يعترض في جوابهِ على المصدر سواء عرف في وقتهِ ان ابليس هو المتكلم او لم يعرف . اعترض على الاقتراح بقطع النظر عن مصدرهِ . فلا تُعرَف ماهية التجارب التي ذكرت في هذا الحادث الآ من شكل اعتراض يسوع واجوبتهِ على اقتراحات المجرّب . لان يسوع اخذَ اجوبتهُ من الكتاب المقدس وعليهِ بنى احكامهُ

ولما كانت كلمتهُ الاولى جوابًا "مكتوب" اعلن لمجرّبهِ وللعالم انهُ قدّم ذاتهُ للتجرُّب لا كصاحب سلطان يحق لهُ وكما اختار ان يفعل بعدئذٍ في قولهِ للناس "الحق الحق اقول لكم" . بل انهُ تجرّب كبشر محض تحت القانون والطاعة . وكمقيّد تظير سائر البشر باقوال الكتاب . وفي الوقت ذاتهِ ابان باستنادهِ على اقوال الكتاب ما هو المرجع الحقيقي في امور الدين . ومع كونهِ اقدر الناس على افحام المجرّب بالحجج الفلسفية اثبت بجوابهِ "مكتوب" ان قوّة الاحتجاج الديني توجد في ما هو مكتوب في كتاب الله لا في ما يُستنبط من الفلسفة البشرية . لان سيف الروح الماضي ذا الحدين الذي بهِ وحدهُ يقهر

الانسان عدوَّهُ الشيطان هو كلام الله[1]. ولو اتخذ يسوع في جوابهِ خطة السلطان لما افادنا ذلك مثالاً. لكنهُ اتخذ الخطة المباحة لجميع المؤمنين وبها نال فوزهُ

تمسَّك المجرَّب بكون يسوع ابن الله[2]. لان افتخارهُ يزيد كثيرًا ان تغلَّب على ابن الله. ومع حذقهِ الفائق نسي ان ابن الله لا يجوع ولا ياكل خبزًا ولا يمكن ان يجرَّب[3]. فاصلح يسوع وهمهُ ببيانهِ انهُ يقابلهُ لا كابن الله بل كابن الانسان. لم يهتم يسوع كثيرًا في كل حياتهِ بتذكير الناس انهُ ابن الله. فبينما يشير الى ذاتهِ في الانجيل كابن الله اقل من عشر مرَّات يشير نحو خمسين مرَّة الى كونهِ ابن الانسان. فلو أسندت طبيعتهُ الالهية طبيعتهُ البشرية وقت التجربة لكان ذلك بمثابة اعتراف منهُ ان الطبيعة البشرية عاجزة عن التغلُّب عليها. ولكان لا يصح القول انهُ تجرَّب مثلنا. ولا ان يكون مثالاً للناس. فهو لا يفعل في ساعة التجربة ما لا يستطيع تابعوهُ فعلهُ. وهذا سبب كافٍ لعدم تحويلهِ الحجارة خبزًا. فضلاً عن انهُ يريد ان يذوق في نفسهِ مصيبة الجوع الشديد كون هذا نصيب كثيرين من بني البشر

هذه التجربة الاولى هي الحيلة التي نجح ابليس بواسطتها لما استخدمها في اطغاء حوَّاء للتذمر على الله والاستقلال عنهُ تعالى لحرمانهِ اياها الاكل من شجرة معرفة الخير والشر. وفي اطغائهِ بني اسرائيل للتذمر عليهِ تعالى والاستقلال عنهُ بحجة الطعام والشراب. لكن يسوع ابان لهُ انهُ لا يتذمر على الآب بعلة جوعهِ. لان لهُ كلامهُ تعالى. وهذا اهم جدًّا عندهُ من الطعام الجسدي. وانهُ لا يستقل عن الآب في التدبير. ولا يسعى للتخلص من الجوع الاَّ بامرهِ. وقد ظهرت افكارهُ من هذا القبيل في غير هذا الوقت لما قال "طعامي ان اعمل مشيئة الذي ارسلني"[4]

(١) اف ٦:١٧ (٢) كرَّر الشياطين بعدئذٍ الاعتراف بذلك (٣) يع ١:١٣
(٤) يو ٤:٣٤

وقد قصد المجرّب في هذه التجربة ايضاً ان يغري يسوع على الاهتمام اولاً بخدمة ذاتهِ . فان اقنعهُ بان يفعل معجزتهُ الاولى لمنفعتهِ الشخصية يعدُّ ذلك نجاحاً عظيماً لهُ . لانهُ يعطّل عمل يسوع الخلاصي اذ يصير من الذين يعيشون لذواتهم . لكن يسوع جعل ليس اوّل معجزاتهِ فقط بل جميعها ايضاً خدمة الآخرين حتى اعداءهُ كما في حادث شفاء اذن ملخس (١) . ولم يعمل لمنفعتهِ الخصوصية ولا واحدة (٢) وقد صدق الرسول في قولهِ "لان المسيح ايضاً لم يرضِ نفسهُ" (٣) وصح فيهِ من هذا القبيل تعبير مبغضيهِ وهو على الصليب "خلّص آخرين اما نفسهُ فما يقدر ان يخلصها" (٤) . فصار هذا المبدأ قانوناً لتابعيهِ (٥) الذين وضع لهم شرطاً اولياً انكار الذات (٦) . ومن اهمّ وصاياهُ "اطلبوا اولاً ملكوت الله" (٧) وفي اقوالهِ كما في افعالهِ ضرب على الانانية بقوّة

ثم ان لهذه التجربة معنى غير المعاني الشخصية . وهو معنى يتعلق بعملهِ بين الناس كمخلص ومصلح . اراد المجرّب ان يغريهُ على تقديم الامور الجسدية على الروحية مراعاةً لمشرب الناس عموماً . فينضمّ كثيرون اليهِ لهذا السبب . ويكون نجاحهُ في الظاهر سريعاً . فرفضُ يسوع هذه الحيلة لم يكن وقتياً . لان مبدأهُ بانَ لما قال لسامعيهِ "اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الابدية" (٨) وبجوابهِ علّم البشر في كل مكان وزمان ان خدمة الارواح تتقدّم على خدمة الاجساد . وان الاحسان الحقيقي هو ما ينفع النفوس قبل الاجساد . وان الاحسان الى الجسم الفاني يقصد بهِ اولاً ان يصير مقدّمة ووسيلة للاحسان الى النفس الخالدة

ذاك الذي تجرّب مثلنا ولاجلنا وانتصر حاضرٌ معنا في كل معركة

---

(١) لو ٢٢:٥١ ذكر كل البشيرين قطع اذن ملخس . لكن الطبيب منهم اي لوقا ذكر امر الشفاء (٢) لا تستثنى معجزة الاستار في فم السمكة ان حسبت معجزة لانهُ فعلها سعةً لبطرس بعد غلطهِ (٣) رو ١٥:٣ (٤) مت ٢٧:٤٢ (٥) رو ١٤:٧ وفي ٢:٤ و ١كو ١٢:٥ و ١٠:٢٤ (٦) مت ١٦:٢٤ (٧) مت ٦:٣٣ (٨) يو ٦:٢٧

يثيرها علينا هذا الرجيم . فان انتبهنا لحضورهِ حالاً في ساعات التجربة ينيلنا نصراً كانتصارهِ على عدوّنا وعدوّهِ . فنتهلل مع الرسول مرنمين "شكرًا لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح"(١)

هذه المناوشة الاولى في هذه المعركة اسفرت عن انكسار ابليس امام يسوع . لكن ابليس لا يثني بسهولة عن مشروعهِ الخبيث . انما لفرط ذكائهِ يجدد الهجوم على صورة تخالف الاولى على خطٍّ مستقيم . فنراهُ يترك خطة البساطة ويبدلها بخطة الاحتيال . لانهُ يعلم ان كل انتصار يفتح الباب لغيرهِ ابهر منهُ . فيتظاهر الآن بالرضى التام عن تصريح يسوع انهُ تحت حكم ما هو مكتوب . ويأتيهِ بسلاح جديد مما هو مكتوب ويطالبهُ بان يفعل بموجبهِ . يسلّم ايضًا بمبدإ يسوع انهُ لا ينفصل عن الآب . فيطلب منهُ ان يتمسك بهذا الارتباط ويبرهن ذلك . ويسلّم بافضلية الامور الروحية على الجسدية فيطلب من يسوع عملاً خطيرًا خاليًا من المنافع الجسدية . لكن فيهِ تعريض الجسد لخطر مهم . عملاً يكون لهُ تأثيرٌ دينيٌّ عظيم . ويسلّم بنبذ الانانية في التمسُّك بخدمة الآخرين . فيطلبهُ لعملٍ فائدتهُ ظاهرة لعموم الشعب لانهُ يطلبهُ ليظهر لشعب الله المجتمع في دور الهيكل من رئيس الكهنة فما دون انهُ حقًّا ابن الله ليؤمنوا بهِ . والنقطة الوحيدة في تجربتهِ الاولى التي يتشبث بها في الثانية هي قولهُ "ان كنت ابن الله"

يقول الكتاب "اخذهُ ابليس وجاء بهِ الى المدينة المقدسة اورشليم واوقفهُ على جناح الهيكل وقال لهُ ان كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا الى اسفل . لانهُ مكتوب انهُ يوصي ملائكتهُ بك لكي يحفظوك وانهم على ايديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجرٍ رجلك". يجوز الظنّ بانهُ اتخذ في هذه التجربة صورة ملاك نور . وان بولس يشير الى ذلك بقولهِ "لان الشيطان نفسهُ يغير شكلهُ الى شبه ملاك نور"(٢) . وانهُ ظهر ليسوع كأحد الملائكة المشار اليهم

(١) ١كو١٥: ٥٧ (٢) ٢كو١١: ١٤

في كلام المزمور المكلفين ان يحملوهُ على ايديهم لئلا تصدم بحجرٍ رجلهُ . فعليهِ يتكفل هذا الملاك ليسوع ان يصونهُ من الاذى في كل الاحوال حتى ولو رمى بنفسهِ من هذا المرتفع . ولا سيما لانهُ يقدّم بذلك للجمهور وللعالم برهان نزولهِ من السماء من عند الله(١)

من جواب يسوع على هذه التجربة نستخلص ماهيتها . اجاب "مكتوب ايضاً لا تجرّب الرب الهك "(٢) . اذاً ما كُتب في محل من الكتاب لا يفسَّر الاَّ وفقاً لما كتب في غير هذا المحل . يقتضي ان يفسر كلام الوحي بمثلهِ . فيكون منتاج التفسير الصائب لكل آيات الكتاب ما ورد في الموضوع ذاتهِ من الآيات الاخرى مع مراعاة روح الكتاب اجمالاً . ويدل الاخبار على ان إفراد بعض الآيات المقدسة والتشبث بظاهر معناها فقط قد ادّى ويؤدي الى ضلالات كثيرة ومضرّة . فلا يجوز تحويل اقوال الله الى غير قصدها الوضعي

دعا ابليس يسوع في هذه التجربة ليستسلم لروح الافتخار بالقوّة التي لهُ فيُظهرها امام الجمهور . لكن روح الكتاب ومحوى آياتهِ غير التي اوردها ابليس هي اساس كافٍ للقول ان الله لا يسمح للانسان ان يقتحم المخاطر دون داعٍ كافٍ يوجب ذلك . لان الاتكال على حمايتهِ تعالى في ذلك الاقتحام يكون تجاسراً منكراً . فهل يجوز او يليق ان يطلب انسان من الرب تسليمهُ من اضرار تعرّض لها تطفُّلاً او افتخاراً او امتحاناً ؟ ويسوع في كل حياتهِ تجنب المخاطر الكلية الى ان اتت الساعة التي فيها وجب ان يقدّم حياتهُ ذبيحة اثم

ثم ان الوجه الآخر العمومي في هذه التجربة دعوة ابليس يسوع ليتخذ سياسة الادهاش العقلي وسيلة بها يجعل الناس ان يؤمنوا بهِ . فيعتمد على قوّة

(١) هذه التجربة التي وردت ثانية في متى وردت ثالثة في لوقا . فلا فرق بينها في الفائدة الروحية المقصودة ولا اهمية لهذا الاختلاف في السياق (٢) تث ٦:١٦

المعجزة لا على قوّة الحق . وعلى الاقناع الفكري لا على الشعور القلبي . وعلى الادهاش لا التعليم . فان حوّله عن الاهتمام بالتأثير الروحي في القلوب يكون ابليس قد حفظ سلطانهُ على الناس ولو شاهدوا من يسوع مدهشات كثيرة

اما يسوع فلم يسقط في هذه الحفرة التي حفرها له المجرّب. ومع انهُ مزمع ان يصنع معجزات كثيرة فيما بعد فانهُ لا يصنعها لاجل الادهاش. ولا كوسيلة لجذب الناس الى الايمان بهِ . بل سيصنعها تثبيتاً للذين قد آمنوا (١). فلا يبني ايمان الناس بهِ على قوتهِ بل على قوة الحق وعلى اساس صفاتهِ المقدسة والمحبة لهُ . لان مركز الدين هو القلب لا الرأس. وعبثاً يثار العقل ان لم يُمسّ القلب ايضاً. لذلك رفض يسوع كثيراً طلب اليهود ان يريهم آيات من السماء

وبعد فشل المجرّب في خطة البساطة ثم الاحتيال لجأ الى خطة الوقاحة والتفاني . فنراهُ يغيّر نوع الطلب ويدعو الى امرٍ منكَر . لكنهُ يتقدم لقاء هذا الطلب بدلاً قيمتهُ لا تقدَّر . لانهُ على كيفية نجهلها تماماً اصعدهُ الى جبل عالٍ جداً . واراهُ جميع ممالك المسكونة ومجدها في لحظةٍ من الزمان . وقال لهُ لك اعطي هذا السلطان كلهُ وهذه جميعها ومجدهنَّ لانهُ اليَّ دُفع وانا اعطيهِ لمن اريد . فان خررت وسجدت لي يكون لك الجميع (٢)

ليس في جواب يسوع على هذه التجربة اقل اشارة الى ان اقتراح ابليس كاذب ومواعيدهُ فارغة . مع ان باستطاعتهِ ان يرغم ابليس على القيام بما وعد ان شاء ذلك . بل بنى رفضهُ على جنس الطلب الذي يكلفهُ ليقدم لغير الله اكرام السجود الذي لا يجوز الاَّ لله تعالى. ويكلفهُ ان يقدم هذا السجود ريائياً لشخص لا يسجد لهُ قلبياً . وان يتخذ لاجل غاية حسنة سياسة سيئة متساهلاً مع الشر القليل لاجل الخير الجزيل . وهذه على الدوام خدمة شيطانية تخسر المتساهل ما توخّاهُ من الخير وتجلب على رأسهِ ويلاً وويلاً عقاب تساهلهِ

(١) يو ٢ : ١١ (٢) شخّص بعضهم ابليس متراءياً في هذه التجربة كشخص ملكي حدّثهُ عن حالة ممالك العالم ورغب اليهِ الاستيلاء على شعوبها ليدخلها في حوزتهِ في الايمان

ومن الوجهة العمومية كانت تطلب هذه التجربة من يسوع ان يعتمد خطة المجد العالمي في امور الدين حسب السياسة المألوفة قديمًا وحديثًا . في زمن يسوع كان رجال الدين جميعًا حتى رسلهِ ويوحنا المعمدان يشتهون ويتوقعون ملكوتًا زمنيًّا مجيدًا يقيمهُ المسيح متى جاء . فابليس تعهد ليسوع بان يسهل لهُ اتمام هذه الرغائب اليهودية السائدة عند الجميع . وفي الوقت ذاتهِ يغنيهِ عن الاتعاب والاهانات والآلام والصلب وعن الصبر طويلاً الوف السنين لتأييد سلطتهِ على البشر مكان سلطة ابليس . فينال يسوع غايتهُ السامية بسرعة وسهولة . أفلا يطمئن ابليس بالنظر الى تضحية كهذه يقدمها ان ينجح في اقتراحهِ

لا يُستبعَد ان هيئة ابليس في هذه التجربة ايضًا لم تكن هيئة شيطانية ظاهرة تولّد النفور منهُ مباشرةً والاشمئزاز من تقديم السجود لهُ . لكن وقاحة اقتراحهِ في طلبهِ من يسوع الطاهر ان يفعل امرًا منكرًا في الدين تكفي لتكشف عن حقيقة شخصهِ . لذلك قابلهُ يسوع بنفورٍ حاد . وانتهرهُ بقولهِ "اذهب ياشيطان" . ومع ذلك لم يمسك عنهُ قوّة البرهان . بل سرد لهُ عبارةً من نفس خطاب موسى الذي اقتبس منهُ سابقًا . "انهُ مكتوب للرب الهك تسجد واياهُ وحدهُ تعبد" (١)

لما امرهُ يسوع بالذهاب ولّى مخذولاً . فارقهُ لكن الى حين فقط . وحالما تقرّر فوز زعيم البر على زعيم الاثم وفرّ هذا خاسرًا ظهرت مراقبة اهل السماء لهذا العراك الفاصل الخطير . لانهُ يقال "واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمهُ" . فحالما تنقل اليهِ التهانئ السماوية على فوزهِ وبشائر الرضى الالهي الممتاز . لان الملائكة هم "ارواح مرسلة للخدمة لاجل العتيدين ان يرثوا الخلاص" (٢) فكم يكون فرحهم وافتخارهم ان يخدموا الآن ليس ورثة الخلاص بل رئيس الخلاص ورئيس الايمان ومكمّلهُ (٣)

(١) تث ٦:١٣ (٢) عب ١٤:١ (٣) عب ٢:١٢ و٣ و١٠:٣ و٩:٥

في هذه البرية صدمت يسوع انواع التجربة الثلاثة "شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظُّم المعيشة"(١). تجربة للجسد في امر الطعام. وتجربة للعقل في امر اعجاب الناس. وتجربة للنفس في امر المجد العالمي. وفي هذه كلها تجرَّب مثلنا لكي يرثي لضعفاتنا ويعين المجرَّبين. وبها تزكّى وتقوّى وتمجّد. وشهد له ابليس شهادة ضمنية قوية لكونهِ في حذقهِ الفائق لم يدعهُ اولاً لامور في حدّ ذاتها رديئة او كريهة. اتاهُ اولاً بتجارب ظاهرها شريف حتى بعد ان يسقط فيها يجذبهُ تدريجًا الى ما وراءها من المنكرات

وهذا التجرُّب في البرية بعدّ اعتماد يسوع الثالث بعد اعتمادهِ بالماء ثم بالروح القدس وهو اعتمادهُ بالنار وبقي عليهِ اعتماد آخر هو الاعتماد بالدم على الصليب

في آدم الاوّل تمثّل الجنس البشري كلهُ. فلما تجرَّب سقط وهوى مع نسلهِ كافةً الى الجحيم. وفي آدم الثاني تمثّل الجنس البشري ثانيةً. فلما تجرَّب ثبت ليُصعد جنسهُ معهُ الى النعيم. بسقوط آدم الاوّل تحوّلت جنة عدن الى برية. وبثبات آدم الثاني تحوّل البرية جنةً. برية الشر الى جنة البر. برية الخصام الى جنة السلام. برية السخط الالهي والدينونة الابدية الى جنة الرضى الالهي والرحمة والحياة الابدية. برية العداوة لله الى جنة البنوّة لله. وبرية اليأس والهلاك الى جنة الرجاء والخلاص

بفوز يسوع على ابليس في هذا التجرُّب تمّ استعدادهُ الشخصي. ونال حق المباشرة بالعمل الذي لاجلهِ جاء الى العالم. فماذا يا ترى يكون عملهُ الاوّل بين الناس في وظيفتهِ الجديدة كالمخلّص والمصلح العمومي للعالم اجمع

(١) يو ٢:١٦

الفصل التاسع

(يو ١:١٩ – ٥١)

(المرصع) ف ٦ (الزمان) شباط سنة ٢٧ م

(المكان) عند ضفة الاردن

عود يسوع من البرية الى مقر المعمدان. النسك. وفد الفريسيين وشهادة المعمدان. انحطاط الكهنوت وتقدم الكتبة والفريسيين. شهادة المعمدان الثانية. تلمذا يسوع الاولان. حمل الله. جماله الشخصي. تجديد تلاميذ آخرين. شهادة نثنائيل الاولى. شهادة يسوع الاولى لنفسهِ

ان عمل يسوع الاوّل بعد استعدادهِ الطويل والكافي ظهر سريعًا باتخاذهِ تلاميذ يلازمونهُ لكي يعلمهم مبادئ ملكوتهِ الجديد ويدربهم في حياة جديدة روحية. وهؤلاء سينوبون عنهُ بعد صعودهِ الى السماء في نشر هذا الملكوت في العالم. فحالما انتهت محاربتهُ المؤلمة التي اسفرت عن فوزهِ التام على خصمهِ الشرير عاد من ساحة محنتهِ الى ساحة مسحتهِ في بيت عبرة مقرّ المعمدان حيث ودّعهُ منذ بضعة اسابيع. يعد هذا المكان على ضفة الاردن مقدسًا لان فيهِ نال اولاً تلك القوة الكافية الروحية التي بها حاز ذلك الظفر المجيد

ولابد انهُ وجد هناك فرحًا بعد عنائهِ وعيائهِ الشديدين. لان الانضمام الى الجماهير الملتفّة حول النبي الصالح الغيور والمصلح الشهير ينعش روحهُ. لانهُ فاق المعمدان في حبهِ للناس وفي رغبتهِ في الامتزاج معهم على رغم ما في ذلك من التعب والذل والخسران. الروح الالهي الذي قاد يوحنا الى السكن في البرية كناسك لم يسمح لهُ ان يبقى منفردًا عن الناس بل ساق

الجماهير اليه الى البرية . وهذا الروح بعد ان قاد يسوع وقتيًا الى الانفراد في البرية ارجعهُ الى امتزاج دائم مع البشر كل مدة وجودهِ على الارض الاَّ في بعض ليالي انفرادهِ لاجل الصلاة . ليس في قدوة يسوع او في تعليمهِ ما يؤيد الزعم بان الانفراد عن الناس طويلاً فضيلة . فالنسك ليس في حد ذاتهِ من دلائل التقوى ولا من مقوياتهِ بل هو في الغالب من دلائل الانحطاط الادبي والروحي ويزيد هذا الانحطاط بدلاً من ازالتهِ . لان الانفراد في النسك يخالف روح الوصية الرئيسية بمحبة القريب كالنفس . وهي وصية أيَّد يسوع عظمتها وضرورتها

وقبل وصول يسوع الى بيت عبرة كان قد سبقهُ وفد فريسي مؤلف من كهنة ولاويين قادمين من اورشليم . لم يأتوا كثيرهم ليظهروا توبة او ليسمعوا وعظ النبي الشهير ويقبلوا معموديتهُ . بل ليمتحنوهُ وان امكن ليزعزعوا نفوذهُ ويوقفوهُ عن عملهِ باسم السلطة الدينية في البلاد . فسألوهُ اولاً "من انت" ؟ اننا موعودون بمجيء المسيح . هل انت هو ؟" فاعترف ولم ينكر واقرَّ اني لست انا المسيح" . ثم قالوا نحن موعودون ايضًا بمجيء ايليَّا فهل انت هو ؟قال "لا" . نعم انهُ مرسل اتمامًا للنبوة بمجيء ايليَّا[1] واتى بروح ايليا . لكنهُ ليس ايليا حرفيًا كما يقصد السائلون بسؤالهم . فقال "لا" . ثم سألوهُ ثالثةً نحن موعودون بنبي مثل موسى فهل انت هو ؟[2] قال ايضًا "لا" . فسألوهُ رابعةً "من انت لنعطي جوابًا للذين ارسلونا . ماذا تقول عن نفسك؟" فاجابهم ما معناهُ انهُ شخص لا اهمية لهُ كالاشخاص الذين سمّوهم . اذ ليس هو الاَّ صوت والصوت وقتي يُسمع ثم يزول

ان يوحنا فتح بتواضعهِ بابًا لهؤلاء الخبثاء موافقًا لمقاصدهم السيئة . فسألوهُ خامسةً ما بالهُ يعمّد ما دام ليس احد هؤلاء المعترف بمقامهم عند الامة اليهودية . قصدوا ان يخيفوهُ ويسكتوهُ . لكنهُ اجابهم بجرأة مبينًا ان لارساليتهِ اهمية

(١) ملاخي ٤ : ٥ (٢) تث ١٨ : ١٥

كبرى تتبع اهمية الشخص الذي اتى هو ليعدّ طريقه. واكّد لهم انه رغمًا عن شهرته الطائرة وتقاطر الجماهير اليه لا يصلح ان يكون احقر خدمة هذا القائم في وسطهم والمجهول عندهم . ولما كانت افكار هؤلاء الفريسيين عالية لم يتنبهوا ليسألوهُ عن هذا الشخص الجديد المتفوّق على المعمدان بهذا المقدار فرجعوا خائبين مخذولين

اشبه انخذال هؤلاء الكهنة ورصفائهم اللاويين حالة قومهم في ذلك الزمان. لان مقام الكهنوت كان قد انحط كثيرًا بالنسبة الى الزمان السابق وذلك لاسباب ظاهرة ومعقولة . الاوّل كثرة عددهم . يقال في التلمود [1] ان عدد الكهنة الساكنين في اورشليم وحدها كان ٢٤ الفًا . وفي اريحا ١٢ الفًا ما خلا عددًا وافرًا في المدن الكهنوتية الاثنتي عشرة الواقع اكثرها بالقرب من اورشليم . وبذلك امست حصة كل كاهن في خدمة الهيكل وايراداته جزئية

وهذه الزيادة كانت رغمًا عن التضييقات التي سيجوا بها الكهنوت . لانهُ لم يبح الاّ لبني هرون من سبط لاوي الترشّح للكهنوت . ومن هؤلاء رُفض كل من وُجد فيهِ عيب من العيوب الكثيرة المانعة للكهنوت. وكان عدد هذه العيوب الجسدية مئة واربعين علّة. اما الانتظام في هذا السلك فكان هكذا. يحضر المترشح اولاً امام المجمع الكبير ويقدّم البينات الكافية انهُ من نسل هرون . فان وُجدت بيناتهُ ناقصة يُعاد الى بيتهِ لابسًا ثوبًا اسود علامة الرفض والعار. وان قُبلت يباشر بفحص جسمهِ بتدقيق . فان وُجد سالمًا من المئة والاربعين عيبًا ألبس الثوب الابيض الكهنوتي واخذ يتدرّج في الرتب الكهنوتية

السبب الثاني لانحطاط الكهنوت كان تصرفات الكهنة اجمالاً ولاسيما عظماءهم مع الشعب وقد بالغ المؤرّخ اليهودي الشهير يوسيفوس في بيان مظالم رؤساء الكهنة ومفاسدهم

وزد على ذلك سببًا آخر مهمًّا لسقوط مقام الكهنة . وهو التغيير الجوهري

(١) وهو كتاب يقدسهُ اليهود المتعصبون فيجعلونهُ معادلاً التوراة او يفوقها

الذي صار في الهيكل بواسطة خرابهِ المكرَّر . فانهُ حينما كان في الهيكل كل ما وُضع فيهِ اصلاً عند ما بناهُ سليمان من المواد المقدسة كان الكهنوت محترمًا غاية الاحترام . اما في الايام التي نحن في صددها فكان قد فُقد منهُ اهم تلك المواد. لذلك نقصت كثيرًا قيمة الكهنوت . من ذلك تابوت العهد الفخم الذي كان المجد الالهي حينًا بعد حين يحلّ بين الكروبيم على غطائهِ . وما كان ضمنهُ واوجب توقيرهُ الفائق اي لوحا الحجر المكتوب عليهما باصبع الله وصاياهُ العشر. وقسط المنّ السماوي الذي كان لا يتلف ولا يفسد جيلاً بعد جيل. وعصا هرون التي افرخت وسفر الشريعة الذي كتبهُ موسى . وفُقد ايضًا الزيت المقدس. ودهن المسحة الاصلي . والنار المقدسة التي كان بانطفائها يُعرف ان الله قد ترك شعبهُ وان خراب هيكلهِ صار على الباب

بناء على ما سبق ذكرهُ زاد اعتناء المتدينين بين اليهود بدرس الكتب المقدسة وغيرها من كتبهم الدينية . فأخذ تدريجًا المتضلعون منهم (اي الكتبة) مقام الكهنة ورافق انحطاط هؤلاء ارتفاع اولئك واصبح الكتبة اصحاب الرتبة السامية في اعين الشعب والماسكين بيدهم الحل والربط في الدين . واخذوا يؤيدون هذا التعظيم بتعاليمهم . قيل في احد كتب اليهود[1] "يجب احترام المعلم فوق احترام الاب لان الاب كالابن مدين للمعلم" . وفي كتاب آخر[2] ان الاب اتى بالابن الى هذا العالم اما المعلم فيأتي بهِ الى العالم الآتي بتعليمهِ اياهُ الحكمة"

وكان انحطاط الكهنوت الموسوي واخذ الكتبة كرامة الكهنة استعدادًا حسنًا لظهور المرموز اليهِ بذلك الكهنوت والذي قال عنهُ داود "اقسم الرب ولن يندم انت كاهن الى الابد مدعوًّا من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق"[3] وجاء هذا الانحطاط طبقًا للقضاء الالهي الذي حكم على الكهنوت الارضي بالاضمحلال في ذلك الزمان بناء على افول قمرهِ تجاه بزوغ شمس ذلك

(١) كتاب كركوت ٩:٦ (٢) بابا مرايا ١١:٢ (٣) عب ٥: ١٠ و٧: ٢١

الكاهن الاصلي الوحيد الذي كان الكهنوت اليهودي رمزاً وقنياً اليهِ . ولا يخفى ان العهد الجديد لم ينقض العمل الكهنوتي بل رفعهُ ووسّعهُ وعمّمهُ . لان العهدين القديم والجديد اي الموسوي والمسيحي هما جزآن جوهريان من نظامٍ واحد . والجديد ختم يؤيد القديم كما تؤيد رجولية الانسان طفوليتهُ

اما الموجب لذكر زيارة الوفد الكهنوتي للمعمدان والفائدة من ذلك كان شهادة المعمدان الصريحة الاولى ليسوع في جوابهِ للوفد . وهذه الشهادة مقدّمة مهمة لزيارة يسوع اياهُ بعد انصراف الوفد

وقد اشير في فاتحة هذا الفصل الى قصد يسوع الخصوصي في هذه الزيارة. فنراهُ يباشر حالاً اتمام هذا القصد اذ يحق لهُ في انتخاب تلاميذ يلازمونهُ ان يحصد من زرع المعمدان . لان هذا قد اقامهُ الله خصيصاً ليهيئ طريق المسيح. ولاسيما ان تلاميذ المعمدان قد تأسسوا في المبادئ الروحية التي كانت مهملة تماماً عند غيرهِ من معلمي الدين في عصرهِ

فاستقبل المعمدان ضيفهُ الكريم بشهادة جديدة حال قدومهِ من برية التجربة. واذ كان واقفاً بين الجموع نظرهُ يسوع قادماً فاشار اليهِ وقال للذين حولهُ "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" . ثم كرّر قولهُ للوفد من تصغير نفسهِ وتعظيم يسوع . واقرّانهُ لم يكن يعرف يسوع قبل ان حلّ الروح القدس عليهِ في المعمودية . وتذكر الصوت من السماء لما عمّدهُ فختم كلامهُ بقولهِ "وانا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله"

ان شهادة يوحنا الاولى امام الوفد لم تُكسب يسوع تلاميذ . ولا هذه الثانية امام الجمهور مع انها اصرح من الاولى . لكن في الغد لما كان واقفاً مع اثنين من تلاميذهِ نظر الى يسوع ماشياً وشهد لهُ ثالثةً بقولهِ "هوذا حمل الله" . وكان احد هذين اندراوس من مدينة بيت صيدا الواقعة على راس بحر طبرية الشمالي في كورة الجليل. فيكون قد اتى من محل بعيد ليلتصق بالمعمدان. اما الثاني فكان بلا شك الكاتب الوحيد لهذا الخبر وهو يوحنا بن زبدي

وسالومة وهو ايضاً من بيت صيدا. ولا نعلم ماذا سمعا سابقاً من معلمها المعمدان عن يسوع الاَّ انهُ يرجَّح انهما سمعا شهادتهِ المار ذكرها وربما التي ادَّاها للوفد ايضاً

اما تسمية المعمدان يسوع حمل الله فكانت مؤيدة بقول اشعياء النبي "تذلَّل ولم يفتح فاهُ كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة امام جازيها ولم يفتح فاهُ"(١) ان يوحنا كان ابن كاهن وعمل الكاهن الخصوصي ذبح الحملان في الهيكل. والشرط في الذبيحة ان تكون سالمةً من كل عيب. فيوحنا بتسميتهِ يسوع حمل الله يشهد بسلامتهِ من كل عيب

وبما ان هذا الناسك الشهير والواعظ القدير ملؤ من الروح يعلم جيداً ان الذبائح الحيوانية في الهيكل لم تكن الاَّ رمزاً الى الذبيحة الحقيقية الاصلية الوحيدة التي هي "حمل الله" المذبوح حسب القصد الالهي من قبل تأسيس العالم(٢) وانها لا تصلح لرفع الخطايا بل هذا هو فعل ذبيحة حمل الله(٣)

ظهر تأثير هذه الشهادة الثالثة في ان اندراوس ويوحنا سارا حالاً وراء يسوع في طريقهِ بكل احترام دون ان يتعرضا لهُ بشيء الى ان شعر بمرافقتهما اياهُ. فالتفت وسألهما ماذا تطلبان؟ ان يسوع يسأل كل شخص يتظاهر باتباعهِ ماذا تطلب؟ ومطاليب تابعيهِ تختلف كثيراً وعليهِ تختلف ايضاً معاملة يسوع اياهم فانهُ قال لبعضهم انتم تطلبونني *** لانكم اكلتم من الخبز وشبعتم(٤) فلم يقبلهم تلاميذ لهُ

اما جواب اندراوس ويوحنا فكان باحترام وتحفظ كأنهما يريدان في وقت آخر مناسب ان يأتيا ليسمعا كلامهُ ويتعلَّما منهُ فقالا "يا معلم(٥) اين تمكث؟" لكن يسوع لم يرضَ ان يخبرهما ويصبر عليهما لوقت آخر. اذ اراد ان يعلمهما ان المطلوب من كل واحد ان يتعبهُ حالاً. لانهُ رفض دائماً الذين

(١) اش ٥٣:٧ انظر ايضاً ار ١١:١٩ (٢) رؤ ١٣:٨ (٣) عب ١٠:٤و٩:١٣
(٤) يو ٦:٢٦ (٥) من اشرف الالقاب عندهم

قصدوا ان يتبعوهُ آجلاً والزمهم ان يتبعوهُ عاجلاً والاَّ فانهُ لا يقبلهم . فقال لهذَين "تعاليا وانظرا". ولما اطاعاهُ ابقاهما عندهُ ذلك اليوم . وهذا لا يزال الترتيب الالهي اي ان الانسان يتخذ الدين لا لمجرد شهادة غيرهِ بل لاختبارهِ الشخصي. فعليهِ ان يأتي وينظر حسب قول داود "ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب" (١)

نتج عن هذه الزيارة المخصصة ليسوع في مبيتهِ تحويل تام لمجرى حياة هذَين الزائرين . فان اندراوس لم يشتهر كثيرًا فيما بعد . بل كان اعظم اعمالهِ ما فعلهُ في ذلك الوقت اذ اتى بأخيهِ سمعان الى يسوع . ويظهر ان سمعان كان رفيقهُ في معية المعمدان فنتش عنهُ اندراوس. ولما وجدهُ اخبرهُ عن كنز لا يثمن قد اهتدى اليهِ مع رفيقهِ يوحنا اذ قال "وجدنا مسيَّا"

تتضمن هاتان الكلمتان طريق الخلاص كلهُ . من وجد مسيَّا شخصيًّا فقد وجد كل شيءٍ . فلا يحتاج الى غيرهِ . هذا هو الذي قال عنهُ النبي داود "الرب راعيَّ فلا يعوزني شيءٌ" هو "الطريق والحق والحياة". فمن وجد هذهِ الثلاثة وجد الكل . ولم يكتفِ اندراوس بالقول بل اردفهُ بالفعل فجاء باخيهِ الى يسوع . وكل من وجد مسيَّا حقًّا يُسرع في دعوة الآخرين والانمان بهم اليهِ مبتدئًا بالاقربين كما جاء اندراوس باخيهِ سمعان. وكان ليسوع النصيب الاوفر من الذكاء الطبيعي الذي يسمى في الرسالة تمييز الارواح (٢) وفوق ذلك إلهام الهي فعرف سمعان حالما رآهُ لا بل قبلما رآهُ. وعلم مزاياهُ ومواهبهُ ومستقبلهُ فاعطاهُ في هذه المقابلة الاولى اسمًا جديدًا بطرس (في اليوناني) او صفا (في الارامي) وكلاهما معناهُ صخرة وهذا اسم لا يستحقهُ الاَّ بعد ان يحل عليهِ الروح القدس فتظهر فيهِ المواهب التي تؤهلهُ لهذا الاسم . وقد دوَّن يوحنا في بشارتهِ هذه الحوادث بعد وقوعها بنحو ستين سنة لما رأى ان البشيرين الآخرين اهملوها. وكان يعرِّف عن ذاتهِ بقولهِ "التلميذ الآخر". ولم يشر في كل بشارتهِ الى ذاتهِ الاَّ هذه المرة وفي

(١) مز ٣٤: ٨ (٢) ١ كو ١٢: ١٠

وقت العشاء الاخير. في والحوادث المتعلقة بصلب يسوع وقيامته. ولا يصرّح باسمه مطلقًا . وكان ليوحنا اخ اكبر منهُ اسمهُ يعقوب كان ممتازًا بين الرسل . ومع ذلك لا يذكرهُ اخوهُ في بشارته . ولا يذكر مريم ام يسوع باسمها ويُحتمل ان يعقوب كان مع يوحنا وانهُ تبع يسوع في هذا الوقت ويوحنا لم يذكرهُ . او ان يعقوب بقي في البيت مع ابيهِ والاجرى يدبّر معيشة العائلة بينما ذهب اخوهُ الاصغر يوحنا ليتعلم التعليم الجديد من المعمدان

قال البشير ان التلميذين "اتيا ونظرا" . وماذا نظرا؟ نظرا ابن يمكث كما طلبا . الاّ انهما نظرا عن قرب شخصًا لم يعرفاهُ سابقًا ولم يتصوّرا مثلهُ . نظرا شخصًا لم يرَ العالم مثيلاً لهُ في الكمالات العقلية والادبية والروحية . وقد خاض الكتبة الاقدمون في موضوع هيئة يسوع الخارجية الذي لا سبيل للجزم القطعي فيهِ واختلفوا في هل كان ذا جمال جسدي . اما في النبوات فتوجد بعض آيات اتخذها قومٌ دليلاً على ان من جملة اتضاع يسوع اتخاذهُ هيئة خارجية حقيرة تسبب ازدراء الناس اياهُ . منها قول اشعياء "كان منظرهُ كذا مفسدًا اكثر من الرجل وصورتهُ اكثر من بني آدم" (١) ثم آيات أُخرى تفيد عكس ذلك . منها قول داود النبي "انت ابرع جمالاً من بني البشر" (٢) وقول سليمان "حبيبي *** معلم بين ربوة *** كلهُ مشتهيات (؟)

(١) اش ٥٢:١٤ نرى هذا الراي في كتابات جستينوس مارتيروس واكليمنضوس الاسكندري وترتوليانس واوريجنوس وباسيليوس وكيرلس . لكن ليس بينهم من رأى او ادّعى انهُ رأى او استشهد بقول من رأى يسوع ولذلك يُرتاب بآرائهم (٢) مز ٤٥:٢

(٣) نش ٥:١٠ و١٦ من الكتبة القدماء الذين يرتأون ان يسوع كان ذا جمال طبيعي في القامة والمحيا غريغوريوس وابريثيموس واسابيوس الذي يدعي انهُ رأى صورًا اعتبرها حقيقية مأخوذة عن شخص يسوع في حياتهِ. وينسب هذه الرسوم الى مصورين من الامم الذين لما آمنوا بيسوع لم يمنعهم التعصب اليهودي ضد الصوَر والتماثيل من رسم معلمهم ويوحنا فم الذهب يقول ان الآب السماوي اسبغ على يسوع من الجمال الشخصي ما يعد سيلاً بينما يعد جمال غيرهِ كقطرات فقط . وهذا رأي اوغسطينوس ايضًا ويعضدهُ العقل السليم

اما نحن فنستصوب الشعار الموضوع في بعض الحوانيت والبيوت . "ان الله جميل ويحب الجمال" . وهذا يتفق مع قول داود النبي "واحدة سألت من من الرب واياها التمس ان اسكن في بيت الرب كل ايام حياتي لكي انظر الى جمال الرب"[1] . ولا ريب مطلقاً في ان جمال الهيئة هو الوضع الالهي في الخلق. وان ما يخالف الجمال هو نتيجة الخطيئة ويُعَد خللاً . والاهتمام بجمال الهيئة هو من الواجبات. وكل من يخدم الجمال في اعماله ومصطنعاته يقدم لجنسه خدمة تُذكر فتُشكر

نعم قد تطرّف بعض الاقدمين واخصّهم اليونان في اعتبار الجمال الخارجي. فتوصلوا الى عبادته عبادةً دينية وادّى ذلك طبعاً الى الفساد نظير كل عبادة باطلة . لكن اهتمامهم بالجمال رقّاهم كثيراً وخلّد ذكرهم بين افضل الاقوام التي قامت في التاريخ البشري

فيحق لنا ان ننسب جمالاً في القامة والمحيّا الى الذي حُبل به من الروح القدس في رحم عذراء طاهرة اختارها الله من بين الوف العذارى في اسرائيل لتلد الهيكل الجسدي المعيّن منهُ تعالى لتتحد به اللاهوت المقدس . ويقوّي هذا الظن ما نعلمهُ من العلاقة الكلية بين النفس والجسد التي تجعلنا نتوقع ظهور جمال خارجي يقابل الجمال الداخلي في هذا الانسان البريّ من كل خطيئة وهيبتهُ الشخصية التي أثّرت في حوادث عديدة على الناس حتى على اعدائهِ ايضاً تعضد الرأي بانهُ كان ذا جمال جسدي

ان مقاومي بولس الرسول عيّروهُ واضعفوا تأثيرهُ بحجة حقارة هيئتهِ الخارجية[2] . فلو كان في يسوع شيء من ذلك لالتجأ خصومهُ الاشداء الى هذا النوع من التعيير كما عيّروهُ بانواع اخرى[3]

---

(١) مز ٢٧: ٤ (٢) ٢ كو ١٠: ١٠ (٣) يجب ان لا ننسى ان ليس بين الصور التي تمثل يسوع والتي لا تحصى واحدة يعوّل عليها انها حقيقية لانها بلا استثناء تخيلات مصوريها لا غير . يقول التقليد ان البشير لوقا كان مصوراً وبناء على ذلك تولدت ظنون

اطلنا النظر في هذا البحث في جمال يسوع لاعتقادنا بان جاذب جمالهِ الشخصي الممتاز كان من العوامل التي جذبت اليهِ تلميذيهِ الاولين اندراوس ويوحنا وجعلتهُ يتسلط على افكار الذين دعاهم في ما بعد . حتى كانوا يتركون كل شيء ويتبعونهُ . هذا مع تكرار اعترافنا انهُ لا يجوز الجزم القطعي في هذا الامر

معلوم ان سمعان انضمَّ حالاً الى اندراوس ويوحنا فنجح يسوع في ضم هؤلاء الثلاثة اليهِ كتلاميذ[1] . وبذلك تمَّ قصدهُ في زيارتهِ بيت عبرة . واستعد ليذهب الى وطنهِ في الجليل في اليوم الثاني . ولكن قبل سفرهِ اتخذ تلميذاً رابعاً اسمهُ فيلبُّس وهو ايضاً نظير الاولين من بيت صيداء . الذين سبق ذكرهم طلبوا يسوع فوجدوهُ . اما فيلبس فيسوع وجدهُ ودعاهُ قائلاً اتبعني . فان القاعدة العمومية في الدين هي "اطلبوا تجدوا" [2] وتطلبونني فتجدونني اذ

خرافية نسبت الى بعض صور يسوع القديمة انها عمل هذا البشير . واشتهرت خرافة اخرى من هذا النوع يرى الزائر تأثيرها في مخف كنيسة القديس بطرس في رومية الفخر الكنائس البابوية في العالم (وهي ملاصقة للفاتيكان اي القصر البابوي) هناك منديل مصوَّر عليهِ وجه يدَّعون انهُ ذلك الوجه البديع الذي نحن في صددهِ . ويقولون انهُ بينما كان يسوع حاملاً صليبهُ في شوارع اورشليم ووجههُ مدمى من اكليل الشوك على جبينهِ ولطم العسكر على وجههِ نظرت ذلك امرأة مؤمنة اسمها فيرونيكا من باب بيتها فخرجت اليهِ وناولتهُ منديلاً ليمسح بهِ الدم عن وجههِ وانها بعد ان استردتهُ وجدت على المنديل هيئة وجه يسوع مطبوعة عليهِ فحُفظ هذا المنديل بكل احترام الى هذا اليوم . ان القصص الخرافية والآثار الناتجة عنها ليست فقط خالية من الفائدة بل هي مضرَّة في الدين . ان الله سبحانهُ بحكمتهِ الفائقة قصد ان تمحى كل الآثار المقدسة التي قد تؤدي الى التطرُّف في اعتبارها اعتباراً يقارب العبادة ولذلك يرتاب في صحة كل ما يقال عن وجود شيء منها . فان محل ولادة يسوع وتاريخ ولادتهِ ومحل صلبهِ وصليبهُ ومحل دفنهِ وكل المحلات التي شرَّفها والادوات التي استعملها او لمسها لم يحفظ لها اثر اكيد . وان كان لقليلها بعض الصحة يجب ان تعد اجمالاً تصورات وهمية او اخبار خرافية (١) ان لم نضف اليهم يعقوب ونقول اربعة لان عدم ذكر مجيء يعقوب الى يسوع في وقت آخر يجعلنا نرجح انهُ اتى مع اخيهِ في هذا الوقت

(٢) مت ٧:٧

تطلبوني بكل قلبكم" (١) . لكن هذه القاعدة شواذ وفيلبس كان نظير متى من هذا القواذ . فصح فيهما قول النبي "وجدت من الذين لم يطلبوني" (٢)

ان الغيرة التي ظهرت في اندراوس ظهرت حالاً في فيلبس لانهُ وجد رجلاً يُظن انهُ كان صديقًا خصوصيًا لهُ اسمهُ نثنائيل من قانا الجليل فاخبرهُ عن يسوع . وقال لهُ انهُ هو الذي اخبر عنهُ موسى في اسفارهِ المسماة عندهم الناموس وكتب عنهُ الانبياء بعد موسى وانهُ ابن يوسف من الناصرة (٣) دلَّ جواب نثنائيل على عدم تصديقهِ هذا الخبر بناء على ان المسيح لا يمكن ان يكون من الناصرة اما لحقارتها او لان صيتها كان رديئًا بسبب شرور اهلها. فاعترض على فيلبس بقولهِ "أمن الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح" ؟

فلم يشأ اندراوس ان يحاجَّهُ في الامر علمًا منهُ ان مقابلة يسوع تفوق كل برهان آخر وتغني عن ذلك . وكثيرًا ما يكون الجدال في المعتقدات الدينية فارغًا واحيانًا مضرًا . افضل برهان في فم المؤمن هو جواب فيلبس لنثنائيل "تعالَ وانظر" . الروح الذي تكلَّم في يسوع لما قال للتلميذين "تعاليا وانظرا" تكلم في فيلبس بذات اللفظ . فلم يرفض نثنائيل هذه الدعوة او يحتج بلزوم براهين عقلية تسندها ولذلك اظهر حكمة بسبب ثقتهِ في مدارك فيلبس واستقامتهِ ورضي ان يأتي وينظر يسوع بنفسهِ

كفى علم يسوع بالخفايا ليعلم تاريخ هذا الرجل وصفاتهِ دون مقابلة سابقة بينهما او سماع خبر عنهُ من انسان . فبينما هو آتٍ مع فيلبس لمقابلة يسوع قال للذين معهُ "هوذا اسرائيلي حقًا لا غش فيهِ" (٤) ولما تعجب نثنائيل من هذه الشهادة الممتازة من غريب سأل "من اين تعرفني"؟ فاظهر لهُ يسوع انهُ كان

---

(١) ار ٢٩:١٣ (٢) اش ٦٥:١ (٣) قد سبق الكلام عن الاسباب الموجبة لرضى يسوع واهلهِ ان يسمى ابن يوسف (٤) تك ٢٢:٣٢ الخ اعطى الله ليعقوب حفيد ابرهيم اسم اسرائيل اي مجاهد مع الله وقادر جزاء جهادهِ في الصلاة عند محاضة يبوق . فالاسرائيلي الحقيقي هو الذي صفاتهُ تشبه صفات رجل الله في القديم

يراهُ ببصر غير طبيعي قبل ان دعاهُ فيلبس اذ كان تحت التينة ولربما كان مشغولاً هناك بالصلاة والتأملات الروحية بعيدًا عن مراقبة الناس وظانًا ان لاحد يدري بهِ . بنى نثنائيل حالاً على كلام فيلبس له فآمن للوقت ايمانًا كاملاً وقال ليسوع "يا معلم انت ابن الله انت ملك اسرائيل" قد يكون ان نثنائيل سمع سابقًا اما باذنيهِ او من آخرين بشهادة المعمدان ليسوع انهُ ابن الله فاعاد شهادة معلمهِ الاوّل . اما تسمية يسوع "ملك اسرائيل" فهو اوّل من لفظ بها

فاجاب يسوع على هذه الشهادة المعتبرة بقولهِ "سوف ترى اعظم من هذا" . سوف ترى انت وغيرك من الآن ان السماء قد فتحت للبشر بعد ان كانت الخطيئة قد اغلقتها في وجوههم. وترون انني انا كابن الانسان موصل بين الارض والسماء وبواسطتي تُرسل الملائكة من السماء لخدمة البشر وتحمل الملائكة الى السماء صلاة المؤمنين ثم ارواحهم متى انتهت حياتهم على الارض. وتأتي الملائكة لخدمتي كابن الانسان ايضًا عند الاقتضاء

لنا من الصوت السماوي ثم من فم المعمدان ثم من فم نثنائيل شهادة مثلثة بكون يسوع ابن الله . اما الآن فلنا لاوّل مرّة شهادة من فم يسوع ذاتهِ بانهُ ابن الانسان اي "ابن آدم" .وهذا الاسم ليس مقصورًا على يسوع بل تلقب بهِ انبياء قبلهُ ولاسيما حزقيال . لكن يسوع لم يستصغرهُ على ذاتهِ بل افتخر بهِ[1] ومع ذلك مدح نثنائيل لانهُ آمن بهِ انهُ "ابن الله وملك اسرائيل" فهل يمدحهُ على كذب او خرافة او وهم او مبالغة ويقبل كلامًا هو كفرٌ مالم يكن صدقًا ؟ وكيف يقبل لقب ملك اسرائيل ان كان مجرّد بشر ابن يوسف ومريم

فلنا في كلام يسوع لنثنائيل شهادتهُ الاولى لنفسهِ بكلام لايجوز لنبي او رسول او بشر آخر ان يقولهُ عن نفسهِ . لان ما يقولهُ انسان فهيم ومستقيم عن نفسهِ يُعد مهمًا جدًّا لاجل معرفة حقيقة شخصهِ . ولهذا قال يسوع مرّة (وكل

(١) ف ٨

ما قالهُ كان صدقًا)" وان كنت اشهد لنفسي فشهادتي حق لاني اعلم من اين اتيت والى اين اذهب "(١) فلا يمكن ان انسانًا كيسوع يشهد لنفسهِ شهادة غير صحيحة لان استقامتهُ تحميهِ من استعمال الخداع وفهمهُ يحميهِ من الانقياد للاوهام. وكل من يقول عن ذاتهِ قولاً غير حقيقي اما ان يكون قاصرًا في مداركهِ او مختل في آدابهِ .لان الشريف يأبى ان ينسب الآخرون اليهِ فوق ما يحق لهُ من الفضيلة او المقدرة او المقام . فكم بالحري اذًا يأبى كليًا ان يدّعي لنفسهِ ما يخالف الحقيقة ؟

علم رؤساء اليهود الحاذقون اهمية ما يقولهُ الرجل الفهيم والمستقيم نظير المعمدان عن نفسهِ فارسلوا اليهِ مع ذلك الوفد الذي مرَّ ذكرهُ يسألونهُ "من انت ؟ماذا تقول عن نفسك ؟"فلا تنسَ ان هذا الرجل الكبير قال عن نفسهِ في جوابهِ اقل مما يحق لهُ من المقام والفضيلة والمقدرة. والمعمدان لا يعتبرهُ احد اصلح او افهم او اصدق من يسوع الذي فاق جميع الناس في الذكاء والصدق والتواضع . واقوالهُ اصح الاقوال في العالم . وكان يدقق في الواجبات الادبية تدقيقًا زائدًا ويعد امورًا كثيرة مباحة عند جميع رجال الدين سواهُ انها خطيئة . ولذلك نعلق على ما يقولهُ يسوع عن نفسهِ في هذا الوقت كما في غيرهِ اهمية عظمى

والامر واضح انهُ لو قال غير يسوع عن نفسهِ ما قالهُ يسوع لما نال من اذكياء البشر وانقيائهم سوى التقبيح والتحقير والرذل. قال احد المحدثين استخفافًا في حديث مع الكاتب الانكليزي الشهير الحاذق كارليل "انا استطيع ان اقول عن نفسي ما قالهُ يسوع عن نفسهِ" انا والآب واحد "فاجابهُ كارليل "نعم لكن العالم صدّق يسوع في قولهِ اما انت فمن يصدّقك ؟"

(١) يو ٨: ١٤

الفصل العاشر

(يو ٢ : ١ — ١٢)

(المرصع) ف ٧ (الزمان) شباط سنة ٢٧ م (المكان) قانا الجليل

شرح في المعجزات اجمالاً . العرس في قانا الجليل . مشرب يسوع في الافراح . مداخلة مريم امهِ . معجزتهُ الاولى تحويل الماء خمرًا . ادلة صدق هذه المعجزة . النظر في استعمال الخمر . تكريمهُ الزواج . مقام مريم امهِ . اخوتهُ في الجسد

أتمَّ يسوع باعتمادهِ ونجربتهِ وانتخاب تلاميذهِ الملازمين استعدادهُ لخدمتهِ الجهارية . ثم افتتح هذه الخدمة بمعجزتهِ الاولى . وقد أكمل خبرها متى ومرقس ولوقا واوردهُ يوحنا فقط

من المعلوم الاختلاف الكلي حتى بين أهل اليقين المسيحي على حقيقة المعجزات عمومًا (١) . اننا من الذين يتمسكون بانهُ لا يجوز ان يسمى حادث ما معجزةً طالما يسوغ ان يكون لهُ تفسير طبيعي . ونتج التهوُّر الخرافي الذي يميل الى اكثار المعجزات والعجائب . الاَّ ان تصديق حدوث المعجزات قد زاد احتمالاً بالنظر الى ما توصل اليهِ الانسان في هذا الزمان من التسلط على النواميس الطبيعية لكي يحوّلها عن مجاريها المألوفة و يستخدمها لاجل نتائج مدهشة جدًّا . لان تفوُّق علماء هذا العصر على رجال العصور المظلمة الماضية في هذا التسلط وفي احداث غرائب كانت تعدّ معجزات لولا وقوعها فعلاً امرٌ ظاهر وعجيب . فاذا كان المخلوق يصنع احيانًا ما يفوق العقل فهل يستصعب

---

(١) قد اطلت الشرح في هذه القضية في الكتيب (من هو يسوع المسيح) صفحة ٤٤ — ٥٢

ان يفعل الخالق كما يشاء بالنواميس التي سنها . فالاكتشافات والاختراعات التي تتجدد وتزداد حينًا بعد آخر تخدم اليقين بحدوث المعجزات الالهية حينًا بعد حين وتجعلها معقولة

وليست معقولة فقط بل ضرورية ايضًا . لانها برهانٌ ناطقٌ حسّي لوجود خالق متسلط على خليقتهِ . وللبرهان الحسي اهمية كبرى . والمعجزات (والوحي من اعظمها) ضرورية ايضًا لانها من أفعل الوسائل التي بها يعلن الاله للانسان ما يريد ان يعرفهُ الانسان عن الذات الالهية وارادتهِ تعالى

لا يقال ان اثبات معجزات يسوع ضروري لتأييد عظمتهِ . ولم ينسب البشيرون اليهِ فعل المعجزات قطعيًا في كل سني حياتهِ قبلما باشر خدمتهُ التبشيرية عند بلوغهِ سن الثلاثين . وفي ذلك دليل مهم على صدق اخبارهم. لكن متى صدّقنا حدوث معجزات فعلها انبياء ورسل بقوّة الهية منحت لهم نصدّق بالاحرى ان صاحب القوّة الاصلي اي الاله المتأنس متى ظهر بين الناس يفعل معجزات بقوّتهِ الذاتية يمتاز فيها على كل من فعلها سواهُ

ومن الامور الحرية بالذكر في معجزات يسوع انها كانت معجزات رحمة لامعجزات نقمة . ولم يفعل سوى اثنتين نتج عنهما اذًى وخسارة مادية وذلك قصد التربية الادبية . ولم يفعل معجزات مطلقًا لاجل منفعتهِ الذاتية (١) . ولا لاجل الادهاش ولا لاجل جذب الناس الى الايمان بهِ . بل لاجل تثبيت الذين آمنوا . لانهُ كان يرفض طلب اليهود بان يريهم آيات لكي يؤمنوا. وفي معجزتهِ هذه الاولى قيل انهُ بفعلها أظهر مجدهُ فآمن بهِ تلاميذهُ (٢). وفي كل معجزاتهِ معنى عميق ومرمى روحي . فبواسطتها كان يُعلن كثيرًا مما يهمّ اعلانهُ من افكارهِ الداخلية ومبادئهِ وتعاليمهِ السامية وسجاياهُ الفائقة حمالاً وقداسةً

(١) انظر ف ٨ اما حادث الاستار في فم السمكة لاعطاء الجزية فان حُسب معجزةً يُعد احسانًا لبطرس لتخليصهِ من المشكل الذي اوجدهُ جهلهُ مت ١٧:٢٤—٢٧

(٢) اي تقوّى ايمانهم حال كونهم كانوا مؤمنين انظر ايضًا لو ١٦:٢٩ و٢١ ويو ٢٠:٣٠

ثم ان كثيرًا من حركاتهِ واسفارهِ لم يُعرَف لولا خبر معجزاتهِ . من امثلة ذلك سفرهُ الى نواحي صور وصيدا الذي ورد في قصة معجزتهِ هناك. ومقدار حنوهِ نحو الناس عمومًا الموضَّح في معجزات الشفاء واشباع الالوف . وسلطانهُ على مغفرة الخطايا الذي بان في معجزة شفاء المفلوج في كفرناحوم ونحو ذلك . فلو حذِف من اخبارهِ قسم المعجزات والمباحث المتعلقة بها لضاع القسم الاكبر من انجيلهِ . وتعطلت سائر الاخبار لعدم معرفتنا صادقها من كاذبها . فضلاً عن ذلك فان معجزاتهِ اثبتت صدق مدعاهُ انهُ نزل من السماء . وقد شعر المخلصون بذلك في زمانهِ حتى وخصومهُ روَّساء اليهود (١)

ان من المعجزات التي ليس لها تفسير طبيعي مطلقًا معجزة يسوع الاولى (٢) التي حدثت في قرية قانا الجليل وطن تلميذهِ الجديد نثنائيل الذي فاق كل زملائهِ في صراحة شهادتهِ ليسوع وقوتها (٣) . ونستنتج ان هذا التلميذ في غيرتهِ الجديدة دعا سيدُهُ الجديد ورفقاءهُ في الايمان ليضيفوهُ كما فعل متى لما آمن (٤) وكما فعلت ليدية في ايام الرسل (٥)

وفي اثناء هذه الزيارة لقانا (٦) حدث فيها عرس دُعي اليهِ يسوع وامهُ واخوتهُ وتلاميذهُ من مدينة الناصرة على بعد نحو ساعتين على المشاة (٧) . ولا

(١) يو ٣:٢ و ٢١:٩ (٢) قدَّم البشير يوحنا فائدة جلى بقولهِ مع هذه المعجزة "هذه هي بداءة الآيات التي فعلها يسوع" ثم بقولهِ في وقت آخر "هذه ايضًا آية ثانية صنعها يسوع (يو ٤:٥٤) بهاتين العبارتين نفى كل الاخبار القديمة والحديثة التي تنسب الى يسوع معجزات في سني طفوليتهِ وحداثتهِ انظر ف ٦ صفحة ١ (٣) يو ١:٤٩ (٤) لو ٥:٣٩

(٥) اع ١٦:١٥ (٦) خربة قانا وتسمى للآن قانا الجليل هي غير قانا بقرب مدينة صور (يش ١٩:٢٨) وموقعها لجهة الشمال الشرقي عن الناصرة. واسمها واثارها باقية الى هذا اليوم وقد وقع بعض المفسرين في الخطا القديم الذي وضعتهُ التقاليد السطحية بتعيين قرية كفركنا انها قانا الجليل . فنتج عنهُ اقامة معابد ومزارات هناك مخصصة تذكارًا لهذه المعجزة الاولى التي صنعها يسوع (انظر تفسير الانجيل لادي ٢:٢٧٣) (٧) نستدل من بعض تفاصيل الخبر ان اهل العرس كانوا اتباء او اصدقاء خصوصيين لعائلة يسوع ومن جملة التقاليد القديمة ان هذا العرس كان لراوي هذا الخبر يوحنا الحبيب اخي يعقوب . حتى انهم قالوا انهُ

يستبعد ان تلاميذ يسوع يتوقعون عدم قبولهِ هذه الدعوة . بل ينتظر منهم ان يكونوا على مشرب معلمهم الاوّل المعمدان . وانهم يتصوّرون ان يسوع يتبع خطة المعمدان وسلفهِ العظيم ايليا . ويتنحّى عن الافراح العالمية ملتزماً طريقة النسك والتنشف . ولربما ينتكرون ان رجلاً كبيراً من رجال الدين كيسوع يترفّع عن الامتزاج مع المحتفلين في العرس . لان في ايام العرس السبعة لا بد ان يتغلب مهرجان الافراح على الصبغة الدينية التي البسوها للاعراس (١) . وهذه الصبغة جعلتهم يفرضون على العروسين قضاء اليوم السابق للعرس في الصلاة والصوم والاعتراف بخطاياهما . وكان يُطلب من العروس ان تحضّر كفنين تهدي منهما كفناً لعريسها . فيرتدي بهذا الرداء سنوياً في يومي راس السنة والكفارة

لكن لا يسوغ للمخلص العمومي ان يتبع خطة سلفهِ المعمدان من هذا القبيل ممثّلاً من الدين الوجه العبوس العابس ومنادياً بالوعيد للخطأة . بل

لما رأى هذه المعجزة آمن بيسوع ايماناً تاماً فترك عروسه وتبعهُ . ومع ضعف الاساس التاريخي لهذا القول قد ورد ايضاً في كتابات المسلمين . اما الخرافات السخيفة التي البسوها للاعراس فهذه مثالها . قالوا ان رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل وقفا شهيدين في عرس آدم وحوّاء . ورغم لما جوق من الملائكة وان الخالق ذاته اعطى البركة على كأس الخمر التي شرباها

(١) اما توقير العرس فكانوا يالغون فيهِ . رووا ان الملك هيرودس اغريباس لما التقى بموكب عرس وقف وانتظر حتى مرّ . وكان على من يلتقي بموكب عرس ان ينضم اليهِ . وان التقى بهِ موكب دفن يتقدم موكب العرس عليهِ فيقف موكب الدفن ليمر موكب العرس . وهذه العادة تخالف قول الشاعر العربي

واذا الجنازة والعروس تلاقيا ورأيت دمع نوائحٍ يترقرقُ
سكت الذي تبع العروس مهنئاً وغدا الذي تبع الجنازة ينطقُ

ويروون ايضاً ان ايزابل ملكة اسرائيل وزوجة آخاب الفينيقية كانت تصفق بيديها لكل موكب عرس يمرّ امامها وتنضمّ ماشية الى كل موكب دفن . ولذلك لما اكلت الكلاب جثتها (٢ مل ٩ : ٣٥ و٣٦) كوفئت على ذلك بان الكلاب لم تاكل يديها ويحتمل من كلام نشيد الانشاد (٦ : ١١) انهم كانوا يضعون اكليلاً على راس العروس

يُطلب منهُ ان يظهر اشتراكهُ مع جميع اصناف البشر في احوالهم المختلفة وليس فقط في أتراحهم بل ايضاً في افراحهم . إنما ضمن الصلاح الكامل . لانهُ أتى ليمثّل محبة الله لجميع الناس . فعليهِ ان يفضّل تمثيل الوجه الرضي البشوش منادياً بالوعود وهو صاحب البشارة المفرّحة وموضوعها[١] . وعليهِ ان يكمّل صورة الدين بتأييد مبدإ الالفة والمؤانسة والافراح الجسدية الشريفة رمز الفرح الروحي الذي هو من اركان ملكوتهِ[٢]

فيوحنا مثّل الصرامة الدينية . ويسوع مثّل بالاكثر اللطف الديني . يوحنا ساق الناس الى التوبة . ويسوع دعاهم اليها . يوحنا أتى لا ياكل ولا يشرب . ويسوع أتى ياكل ويشرب ويقبل الدعوات للولائم وان تقام لهُ الولائم الخصوصية . يوحنا لبس الجلد ووبر الابل . ويسوع لبس اثواباً كانت موضوع طمع العسكر الروماني الذي صلبهُ . يوحنا قال في مقدمة وعظهِ " يا اولاد الافاعي من اراكم ان تهربوا من الغضب الآتي[٣] " ويسوع ابتدأ وعظهُ بقولهِ " طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات "[٤] . فتلاميذ يسوع اخذوا حالاً مثالتهم الاولى في المشرب الجديد لمعلمهم الجديد لما لبّى الدعوة الى العرس في قانا

وفي اثناء العرس فرغت الخمر[٥] فعلمت مريم ام يسوع بذلك بسبب مداخلتها مع اهل العرس . لكن المدعوين حتى رئيس المتكإ المسؤول لم يعلموا فانتدبتهُ للعمل بقولها " ليس لهم خمر " وذلك إما لان آمالها بهِ تجدّدت بواسطة الاخبار الجديدة عمّا حدث لهُ على ضفّة الاردن فقصدت ان تستنزّهُ لكي يُري الناس مقدرة تليق بما تعلمهُ هي عن اصلهِ ومقامهِ . او لانها حسبت مجيئهُ مع زمرة تلاميذهِ سبّب فروغ الخمر . او لان روح الافتخار الوالدي

(١) لو ٢ : ١٠ و ١٤ (٢) رو ١٤ : ١٧ (٣) مت ٣ : ٧ (٤) مت ٥ : ٣

(٥) نجهل سبب هذا الفشل لأهل العرس

الطبيعي جعلها تحسب ان تعظيم ابنها ينيلها هي ايضاً عظمةً "[1]. او بدافع آخر نجهلهُ نحن

فمن شكل جواب يسوع لها عُلم بان في كلامها تعرُّضاً في غير محلهِ اذ قال لها " مالي ولكِ يا امرأة لم تأتِ ساعتي بعد "[2]. لان يسوع عالم انها تحتاج الى مثالة ثانية مؤثرة يدخلها شيء من القساوة حتى تفهم جيداً شأنهُ الجديد واختباراتهِ الجديدة والتغيير الكلي في علاقاتهِ العائلية[3]. فكلامهُ كان بمثابة فاصل جديد بينهُ وبينها. كما انهُ فاصل بين ماضيهِ ومستقبلهِ. اذ يقصد ان يعلمها عدم المداخلة في اعمالهِ ويبيّن لها في قولهِ " مالي ولكِ " انها ليست بعد امهُ كما كانت في الماضي. وليست ارادتها قانونهُ. وايضاحاً لذلك قال لها يا امرأة بدلاً من يا أُمي[4]. قبل هذا الوقت كان يجوز ان يتعلم منها ويأتمر بامرها. لكن الآن عليها ان تتعلم هي منهُ. وان تأخذ كل الحذر من ان تلمّح أقل تلميح بانهُ يفتقر الى ارشاد بشري كأنهُ قاصر في معرفة الواجب او مقصّر في ايفائهِ. ولاشيء من التخيير في قولهِ لاننا نسمعهُ يناديها يا امرأة في ساعة أعظم حنانهِ عليها واكرامهِ اياها[5]

فما اعظم الفرق في القصد بين قول الشياطين ليسوع كرهاً لهُ " ما لنا ولك " وقول يسوع لأمهِ " ما لي ولكِ " حباً ليكشف لها بذلك حقيقة وظيفتهِ المخلصية

في هذا الحادث افاد يسوع العالم ان السلطة العائلية في معاملة البالغين والراشدين لا تتناول الامور الدينية. وان للعمل المفيد وقت ملائم ووقت

(١) هذا تفسير الواعظ الشهير بين الاباء الاقدمين القديس يوحنا ذم الذهب

(٢) صدق يوحنا فم الذهب في قولهِ (لم تتهمهُ امهُ بعد لكن لكونها امهُ ظنت ان لها عليهِ حقاً كسائر الامهات وان تأمرهُ في كل شيء مع انهُ يجب عليها ان توقرهُ وتمجد لهُ كربها)

(٣) كانت المثالة الاولى من هذا النوع توبيخهُ اياها في الهيكل وهو ابن اثني عشرة سنة انظر ف ٧ (٤) لا احد من اتباعهِ فيما بعد سماهُ ابن مريم لكن خصومهُ قالوا مرةً تحقيراً لهُ " أليس هذا ابن مريم " (٥) يو ٢:١٩ ٢٦

غير ملائم . فيسوع مستعدّ ان يعمل ما تطلبهُ مريم دون ان تطلب منهُ . لكنهُ لا يعملهُ الاّ في الوقت الملائم . وهذا الوقت يعرفهُ هو لا مريم . لذلك قال لها "لم تأتِ ساعتي بعد" (١) . فاظهرت مريم رفعتها الادبية بقبولها هذا التوبيخ اللطيف من ابنها وتسليمها لهُ بكل رزانة واحترامها اياهُ الذي ظهر عندما أمرت الخدام "مهما قال لكم فافعلوهُ"

يسوع عالم ان الوقت قد حان ليبتدئ بفعل المعجزات . ومهمتهُ تستدعي ان يظهر ببراهين حسية مرسليتهُ السماوية وسلطتهُ الالهية . ليعلم الناس ولاسيما تلاميذهُ ان انضاعهُ اختياري لا اضطراري . وان يثبّت ايمان الذين تبعوهُ حديثًا . وان يرمي صيتًا بين العموم يكفي ليجذب اليهِ الجماهير لكي يُسمعهم تعاليمهُ ويدعوهم للخلاص بالايمان بهِ . وان يُظهر محبتهُ للجميع ومحبة الآب الذي ارسلهُ . اما ساعتهُ لاجل فعل المعجزة فلا تأتي الاّ بعد ظهور العجز البشري الذي يبتدئ عندهُ العون الالهي

كان في دار اهل هذا العرس ستة اجران حجر يسع كلٌّ منها نحو ثماني جرار ماء اعتيادية . وبسبب عدد المدعوين الذين تمموا قبل الدخول الغسلات اليهودية المطلوبة قد فرغت او كادت تفرغ من مائها (٢) . ولما انت ساعة يسوع ليصنع معجزتهُ الاولى امر الخدام ان يملأوا هذه الاجران ماء . فملأوها حسب امرهِ "الى فوق" . ثمّ أمر ان يستقوا منها ويقدموا لرئيس المتكإ (٣) فامتثلوا . ولما ذاقها الرئيس شهد للجودة الممتازة في هذه الخمر المقدمة

(١) قد ورد تكرارًا في كلام يسوع استعمال هذه العبارة عن اتيان ساعتهِ او عدمهِ . وفي كل ذلك عبرة مهمة (٢) زاد كثيرًا عن الاعتدال تفنن اليهود في الغسلات الطقسية المتعلقة بالاكل والشرب فكانت الآنية لهذه الغسلات مهيأة دائمًا . وفي الولائم كان يقتضي اكثار هذه الآنية ولو بالاستعارة من الجيران . وغسل الآنية فقط يشغل ثلاثين فصلاً في كتاب المشنه . وبين الشروح الكثيرة في انواع الغسلات كانوا يقولون "من يكثر من الماء في غسلاتهِ يكثر من المال في اشغالهِ" (٣) كان اهل العرس يتخيرون شخصًا من عددهم ليتولى ادارة العرس مع وليمتهِ . وكان اصحاب العرس يتبرعون

اخيراً[1]. وادّى شهادتهُ جهاراً بعد ان نادى العريس وشكرهُ لمخالفتهِ العوائد السارية بتقديمهِ خمراً اجود مما شربوا اولاً

كان قصد يسوع ان يخلّص اصحاب العرس في ساعة افراحهم من الكدر والعار بسبب فروغ الخمر في غضون الوليمة. وان يفعل ذلك على كيفية معجزة ناطقة غير قابلة الشك والتأويل اذ قصد ان يقدّم خمراً. فاختار آنية ماء لا آنية خمر دفعاً للريب بان آثار خمر سابقة تكون قد حوّلت الماء بتأثير طبيعي. او مخت الماء قليلاً من طعم الخمر. واختارها فارغة ليتحقق اكثر ان ما فيها هو ماء صرف. واختارها كبيرة حذراً من الظن انهُ يمكن استحضار خمر من الخارج يكفي لتملئتها. وامر ان يملأها ليس اتباعهُ هو بل خدام العرس دفعاً لكل ظن بان اعوانهُ استعملوا حيلة تعظيماً لهُ. وامر ان يملأوها الى فوق لكي لا يبقى محل للقول ان خمراً اضيفت الى الماء بعد ان وضعهُ الخدام

على هذه الكيفية كان شهوداً لحقيقة المعجزة عدد كافٍ من اهل القرية اي الخدم الذين لم يعرفوهُ قبلاً وليسوا من اتباعهِ او انسبائهِ فلا يُظن انهم يتواطئون معهُ في خدعة. بقي ناقصاً لتأييد عظمة هذه المعجزة شهادة كافية لجودة الخمر لكي لا يقال ان التصوُّر ولّد التصديق. وان ما شربوهُ لم يكن خمراً حقيقةً. فهذه الشهادة أدّاها افضل شاهد وهو رئيس المتكإ اذ نبّه بكلامهِ جمهور الحاضرين. فلما تناقلت الالسن شهادة الخدام عن مصدر هذه الخمر الجديدة عرف الجميع المعجزة الحقيقية التي صنعها يسوع. وبذلك "اظهر مجدهُ فآمن بهِ تلاميذهُ"[2]

لخدمة في العرس ويسمون خدّاماً ("دياكنوس" اي شمامسة)

(١) لا موجب للظن ان الماء كلهُ تحوّل خمراً وهو ما يساوي نحو خمسين جرّة. اذ يكفي ان تحوّل الكمية التي استقوها من الابار ان (٢) في قول البشير انهُ "أظهر مجدهُ" بدلاً من القول اظهر مجد الله اشارة واضحة الى مقامهِ الذي لا ينسب لمجرّد بشر

والذي اخبر بهذه المعجزة هو الذي قال في يسوع "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان". فلا عجب اذا كان الذي يحوّل اعتياديًا في عروق الكرمة ثم في الاوعية المعهودة ماء الى خمر على اسلوب طبيعي يكون له الحق والمقدرة على ذات الفعل لكن على كيفية جديدة خارقة العادة

بشهادة ثلاث حواس اي البصر والذوق والشم أُثبت صدق هذه المعجزة الاولى. ولا سبيل لغير الحواس في تحقيق اي معجزة كانت. ولهذا يعترَض بحق على الادعاء باستحالة الخبز الى جسد والخمر الى دم في السر المقدس المسيحي. لان الحواس لا توافق على ذلك. وخالق الحواس يحافظ على صدق شهادتها والمطالبون بهذه الاستحالة يدّعون ان هذه المعجزة الفائقة التي تنقضها الحواس تتكرّر مرات بلا عدد في اماكن بلا عدد خلافًا لسائر المعجزات. فلهذين السببين مع غيرهما يتطلب تصديق هذا الادعاء نصًا صريحًا في كتاب الوحي مما لا يحتمل تفسيرًا آخر او تأويلاً لمعنى مجازي. ولا ريب ان الله لو قصد ان يصدّق الناس القول بالاستحالة المومى اليها لجعل الحواس تشهد بصدقها

تحويل يسوع الماء خمرًا يماثل اعماله الدائمة. فهو الذي يحوّل الحسن الى احسن والثمين الى اثمن. حوّل عهد الناموس القديم الى عهد النعمة الجديد[1] وحوّل الرموز الوقتية الى الحقائق الاصلية كما يحوّل المعمودية بالماء الى المعمودية بالروح القدس وكلمة الارشاد الديني البسيطة الى خمر الخلاص الابدي في قلوب سامعيها

ومن جملة الامور التي تبيّن لنا تدريجًا ان يسوع ليس قدوةً للبشر فيها لكونه ليس مجرّد بشر موافقته على استعمال الخمر وتقديمه خمرًا للعرس. لان الذي سوّغ له ذلك علمه بالخفايا. فلا يكون في عمله قدوةً الاّ لكل من يعلم علمه. ثم ان تغيير احوال العالم يغيّر الوجه الادبي في استعمال المسكرات. فما

(١) موسى حوّل الماء بمعجزة لكنه حوّله دمًا وفقًا للناموس القديم القاسي. اما يسوع فحوّل الماء خمرًا وفقًا لناموس النعمة الجديد

نعلمهُ عن يسوع وعن مبادئهِ وتصرفاتهِ يجعلنا نجزم بانهُ لو كان في استعمال الخمر التي صنعها ضرر في حينهِ لكان مستحيلاً ان يصنعها لهم [١]. لانهُ متى كان التلذُّذ بما هو في حد ذاتهِ جائز يحوِّل عثرةً للآخرين يصير هذا التلذُّذ محرَّمًا [٢]

يُلاحَظ ان اوَّل اعمال يسوع الجهارية كان انهُ قدَّس وتوَّج بالرضى سنَّة الزيجة التي هي اقدم النظامات البشرية . وهو سنَّها في جنة عدن [٣] حين كان ابوانا الاولان في حالة القداسة التامة وكل نظام سواهُ سنَّ بعد سقوطها

ولأسباب غنيَّة عن البيان [٤] لم يدخل هو في هذا الارتباط الشريف . فلذلك كان لتكريمهِ الزواج بحضورهِ هذه الحفلة اهميَّة مضاعفة . اذ اثبت فعلاً في قانا الجليل ما قالهُ بعدهُ رسولهُ وهو "ليكن الزواج مكرَّمًا عند كل واحد" [٥] . وبذلك حذَّر الناس سلفًا من الوهم المضرّ المستولي على الكثيرين بان الزواج هو من باب التساهل مع الضعف البشري وقد سنَّ لاجل ردع الناس عن الرذيلة . وان في الامتناع عن الزواج فضيلة . فنتج عن هذا الظن الفاسد تحقير الزواج وتكريم التبتُّل . وعمل يسوع يدحض هذا الظن كما يدحضهُ قول الله لآدم وحوَّاء قبل السقوط "وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الارض" [٦] .

يحذِّرنا بولس البتول بين الرسل من محاولة منع الناس عن الزواج [٧] . ومن الغريب ان البعض من الوجه الواحد يرقُّون الزواج ويكرِّمونهُ فوق ما هو مكتوب في الانجيل فيجعلونهُ سرًّا من اسرار الكنيسة . ومن الوجه الآخر يحقرونهُ بتعظيم ضدِّهِ اي التبتل ويفرضون على خليقة بطرس ان يخالف

(١) نعلم من التواريخ ان انتشار المسكر كان كثيرًا بين الوثنيين وقليلاً بين اليهود
(٢) رو١٤: ٢١ و١ كو٨: ١٣ (٣) نقول "هو" بناء على الكلام في يو١: ١-٣
(٤) يكفي سببًا اقتران الطبيعتين في شخصهِ الواحد (٥) عب ١٣: ٤
(٦) تك ١: ٢٨ (٧) ١ كو٩: ٥ و١ تي ٤: ٣

خطة بطرس المتزوّج . ويحرمون رؤساء الكنيسة المقدسة وقد يسيها من احد اسرارها . ويسمون النذر بالامتناع عن الزواج نذر العفّة . كأن الزواج مخالف لهذه الفضيلة الثمينة . والحال ان الزواج من اعظم دعائم العفّة

يفيدنا جواب يسوع ان المقام المعطى لمريم ام يسوع عند البعض مقام وهمي لا حقيقي . ومن ينسب الى آخر مقاماً لا حقّ له فيه يهينه . وكل عاقل يشمئز من الذين يحاولون اعطاءه عظمةً لا تحقّ له . فمريم المباركة لا يمكن ان ترضى قطعيًا بان ينسب الناس اليها عظمة غير ثابتة من قول الانجيل . هي أجلّ من ان تقبل الاكرام الوهمي . والذين يتمنّعون عن المبالغة في اكرامها هم محبوها وانصارها . وليس الذين يتطرفون الى الاوهام في هذا الاكرام

اما في امر شفاعتها فنقول اذا كان يسوع وهو في حال الاتضاع وفي اوّل خدمته لم يقبل مداخلتها في امر بسيط كتدبير الخمر في عرس فكيف يجوز الظن ان مداخلتها تكون مقبولةً الآن بينما هو على كرسي المجد عن يمين الآب (وذلك في اهمّ الامور اي خلاص النفوس الابدي) لو فرضنا أنها تريد ان تتداخل . وليتأكد كل واحد اننا لا نقصد مطلقًا في هذا الكلام تخفيض شيء من التكريم اللائق والواجب لوالدة مخلصنا يسوع المسيح . ولا نقصد الاّ التحذير من خطإ التطرف في ذلك . اذ لا علاقة لها مطلقًا في غير ناسوت يسوع المسيح . ابنها بالجسد وليس كابن الله قطعيًا . فالخطأ يولّد الخطأ وهلمّ جرًا . لان ما من نوع يولّد الاّ من نوعه[1]

كان حضور يسوع هذا العرس مقدمة جميلة لحضوره كل عرس يقام بين المؤمنين . لان هؤلاء يذكرون قول الانجيل ان الزواج ينبغي ان يكون في الرب[2] وسوف يحتفل في آخر الايام بعرس هذا العظيم الذي حوّل الماء خمرًا في عرس قانا الجليل عندما يجلس هذا العريس السماوي على عرشه الملكي[3] . وتكون العروس كل جماعة المؤمنين الذين يؤلفون كنيسته المحبوبة

(١) انظر الحاشية ف ٦ صفحة ٧٣ (٢) ١ كو ٧ : ٣٩ (٣) مز ٤٥ : ٦ مع عب ١ : ٨

المختارة[١]. ولا يدوم هذا العرس الروحي سبعة ايام فقط بل الى ما لانهاية له. فطوبى للمدعوين الى عشاء عرس الخروف[٢]

واكرام الزواج يتبعهُ اكرام العلاقات العائلية. فالاسباب في احوال يسوع وتلاميذهِ التي اضطرتهم الى بعض الاهمال في علاقاتهم العائلية كانت داعيًا لاظهار يسوع اعتبارهُ اياها في فاتحة خدمتهِ حذرًا من ظن التلاميذ وغيرهم انهُ لا يهتم بها فهي غير مهمة. ويؤيد يسوع المقام الرفيع الذي لهذه العلاقات الثنوية. وفي الوقت ذاتهِ يقدم عليها العلاقات الروحية الاولية الاسمى والاقدس والاهمّ التي تربط النفوس بالههما وبالمسيح مخلصها وبأولاد الله الروحيين

واظهارًا لمحافظتهِ على العلاقات العائلية بعد كلامهِ لأمهِ نراهُ يرافق امهُ واخوتهُ في زيارة الى كفرناحوم على شاطئ بحر طبرية. وقد نبّه اهلهُ الى انهُ يقصد ان يتصرّف لا كابن مريم بل في صفتهِ العمومية كابن الانسان الذي هو ايضًا ابن الله. وهذا لا يجعلهُ ينسى اخوتهُ في الجسد الذين يأتي ذكرهم الآن لاوّل مرّة

قد كثر البحث واشتد الخلاف في معنى القول "اخوتهُ". ونحن نعلم ان ليس المقصود اخوتهُ في الايمان. لان الانجيل يصرّح انهم لم يكونوا يؤمنون بهِ[٣] فهم اذًا اخوتهُ بمعنى جسدي. ويجوز احيانًا اتخاذ هذا الاسم للانسباء الاقربين نظير اولاد العم وعلى الاخص اذا كانوا قد تيتموا وتربوا في العائلة عينها. ويجوز كذلك اطلاق اسم اخوة على اولاد ليوسف من زواجٍ سابق

لكن الامر الاهمّ في هذه القضية ان لا يجزم احد بدون مستند في الكتاب جزمًا قطعيًا بكون مريم لم تلد غير يسوع. ومع ان هذا الزعم يجوز لا يلام الذي يقول خلافًا لذلك. لانهُ لا يمكن ان يترك الوحي امرًا دينيًا يجب التشبث بهِ بدون التصريح الكافي لاجل بناء اليقين والتعليم عليهِ

(١) اف ٥: ٢٢-٣٢ (٢) رؤ ١٩: ٩ (٣) يو ٧: ٥

والامر الثاني المهم هو ان نعلم بان هذه القضية ليست جوهرية في الدين فلا حاجة الى الجزم فيها لا سلبيًا ولا ايجابيًا. لكن الذين يتخذون هؤلاء الاخوة انهم اولاد مريم بعد يسوع لهم بعض الاستناد في كلام الانجيل بينما ليس لاضدادهم ادنى مستند فيه

والامر الثالث الذي يجب ان لا يبرح من الفكر هو ان التشبث بكون اخوة يسوع ليسوا اولاد مريم ناتج عن التشبث ببتوليتها الدائمة[1] وهذا التشبث ناتج عن خطإ المبالغة في عظمتها . ويؤول الى تخفيض مقام الزواج وهو خطأ مضرّ جدًا

لم تطل ايام هذه الزيارة لان واجبات يسوع المذهبية كيهودي تقيّ تدعوهُ مع تلاميذهِ للذهاب الى العاصمة لتأدية الفروض الدينية في عيد الفصح

(١) هذه العقيدة تولدت تدريجًا في الكنيسة المسيحية بعد زمان الرسل . يوجد في الانجيل اربعة عشر ذكرًا لاخوة يسوع وذلك في البشائر الاربع واعمال الرسل وفي بعض الرسائل . وذكرت اخواته دون تسميتهنّ وذكرت اسماء اخوته الاربعة يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا . وقيل عن مريم انها امرأة يوسف وسمي يسوع "ابنها البكر" . فان كنا لانأخذ هذه الدلائل اساسًا للجزم بانكار بتولية مريم فكم بالحري تمنعنا عن الجزم بتلك البتولية

الفصل الحادي عشر

(يو ٢: ١٣ – ٢٥)

(المرصّع) ف ٧ (الزمان) ١١ – ١٧ نيسان سنة ٢٧م

(المكان) اورشليم

الخلل الديني في زمن يسوع . ابتداء عمله كمصلح في كبار القوم . طردهُ الباعة من الهيكل . خدمتهُ الاولى في اورشليم . اعتراضات الرؤساء . الغضب الذي يكون فضيلة . نتيجة الاستخفاف الديني . تعمق حب المال . علمهُ بخفيات الناس

لا نعلم كم مرة زار يسوع الهيكل غير الاولى التي ورد خبرها في الانجيل وهو في سن الثانية عشرة[1] . لان الواجب المذهبي كان يقضي عليهِ في هذه السنين الثمانية عشرة الاخيرة التي قضاها في الناصرة ان يصعد الى اورشليم[2] مرّة على الاقل كل سنة . وذلك في عيد الفصح

قيل عن لوط لما كان في وسط شرور سدوم "اذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذّب يوماً فيوماً نفسهُ البارّة بالافعال الاثيمة"[3] فتتصوّر ذلك العذاب في نفس يسوع البارّة لما كان يطّلع على الشرور في هذه الزيارات

كان يرى في رحلاتهِ الاعتناء الكلي العمومي في التصليحات والتنظيفات في القرى والطرق والمعابر والجسور والينابيع والآبار استعداداً لمرور قوافل المعيدين . ومراعاةً للفروض الطقسية وحذراً من النجاسات على انواعها . ومثل

(١) انظر ف ٧ (٢) علو اورشليم ٨٠٠ متر فوق سطح البحر ولهذا جعلت الناس يعبرون عن الذهاب اليها بالصعود (٣) ٢ بط ٢: ٨

ذلك تبييض القبور . ولا سيما قبور مشاهيرهم . وكان يشاهد في اورشليم وهيكلها تظاهرًا زائدًا في التديّن وفسادًا عموميًا دينيًا وادبيًا مرافقًا لكل ذلك حتى في الاماكن والاوقات والاشخاص المكرسين لخدمة الله . كانت نتيجة هذا الفساد استيلاء الروح العالمي على رؤساء الدين. فجعلهم يتداخلون في السياسة. وبذلك اعطوا الحكام الوثنيين سيطرةً على امور الدين الالهي المنزل المقدّس. وامست الرياسة الروحية بيد العاتي والراشي والفاسق ومتملّق الحكام. وبانت اشغال رؤساء الدين سياسية اكثر منها دينية فمتى ترأست السياسة وهي الجارية على الديانة وهي السيدة يهوي بيت الدين الى الخراب

فلا بد ان يهتم يسوع كمصلح عظيم باصلاح الدوائر الدينية اولاً. فابتدأ بالهيكل الذي هو بيته لانه بيت ابيه . كانت الذبائح الاضطرارية اليومية في الهيكل كثيرة . حتى كانت في عيد الفصح تبلغ عشرات الالوف[1]. لان اليهود المشتتين في كل انحاء العالم كانوا ينتظرون ان يتناطروا الى اورشليم في هذا العيد ليقدموا ذبائحهم من اغنام وماعز وابقار وطيور. فاوجب هذا التجمهر بان تكون دار الهيكل الخارجية فسيحة جدًا

وكان مفروضًا ايضًا على كل يهودي ان يقدم نقدًا للخزانة المقدسة على الاقل نصف شاقل من شواقل الهيكل[2]. ولا يُقبل نوع آخر من النقود . ففضى هذا القانون على القادمين الى العيد من مقاطعات مختلفة ان يستبدلوا اصناف النقود المتنوعة الموجودة بيدهم بشواقل الهيكل

ثم لما كان يأتي اورشليم كثيرون من الامم الذين آمنوا باله اسرائيل دون ان يتهوّدوا بالاختتان كان محرّمًا عليهم ان يدخلوا الهيكل الرسمي . فخصصوا لهم دارًا اخرى فسيحة خارجية يجتمع فيها الساجدون من غير اليهود سميت "دار الامم". ثم تحولت تدريجًا الى ساحة تجارية. لان رئيس الكهنة كان يؤجر

(١) يقول المؤرخ اليهودي الشهير يوسيفوس ان العدد كان يزيد على مئتي الف

(٢) خر ٣٠: ١١—١٦ قيمة الشاقل ثلاثة ارباع الريال المجيدي القديم

محلات فيها لباعة حيوانات الذبائح للصيارفة[1] سدًّا لمطامعهم. وكانت الاقذار والروائح الكريهة والكلام البذيء والخداع والظلم والطمع والضجيج تدنس المعبد المقدس. فلا بد من ان انبياء الامة كانوا يشمئزون ويثنون بسبب تدنيس هيكلهم لاجل منفعة مالية للرؤساء وحاشيتهم

اما اشمئزاز يسوع في كل زيارة فمن يقدر ان يتصوره؟ واذ كانت ساعته لم تأتِ بعد لمباشرة عمله الاصلاحي كان التزامه الصبر والسكوت صعبًا عليه في تمسكه الشديد بالصلاح التام. في كرهه القلبي لكل شكل من الآثام. وغيرته الوقّادة على الشرف الالهي وعلى توقير كل ما يتعلق بعبادته تعالى. فحذقه الممتاز جعله يرى كل ما يُرى ويدري بما لا يُرى[2] ايضًا من انواع هذا الفساد السائد

اما الآن فقد جاء العيد الاوّل بعد دخوله في وظيفته المخلصية. وصار له الحق التام ان يظهر ذاته كمصلح رسمي مقام من الله لهذا العمل. ويحق له ان يبتدئ بمقاومة اولياء الامور في شرورهم جهارًا. جاء الوقت ليفح علنًا الازدراء بروح الدين تحت ملي الاعتناء بحروفه. لانه لا يقدر ان يكون مخلّصًا ما لم يكن مصلحًا ايضًا. لان خلاصه هو الخلاص من الخطيئة. هو يسمع انين البشر المحزن بسبب ويلاتهم المتنوعة. وقلبه الرقيق يرثي ويردد سؤال النبي الحزين "أليس بلسان في جلعاد ام ليس هناك طبيب"[3] ولا يخفى عليه الجواب الذي ورد في قول نبي آخر "نظرت ولم يكن معين وتحيرت اذ لم يكن عاضد."[4] وبما انه يهتم كل الاهتمام في اراحة البشر من ويلاتهم يهتم بازالة الشرور التي تسبب هذه الويلات ونتائجها في الدارين

لهذا لاق ان يبتدئ بعمله الاصلاحي في اهم المراكز الدينية واعظمها.

---

(١) علامة ما انصل اليه الصيارفة في المنكرات انهم حسبوا محرومين من الحقوق المدنية نظير العشارين ورفضت شهادتهم في المحاكمات (٢) يو ٢:٢٥ (٣) ار ٨:٢٢
(٤) اش ٦٣:٥

ولا يخفى ان هذه الخطة تولّد في قلوب المتقدمين في امته والمتمسكين بتقاليدها بغضةً شديدة لشخصه ولتعاليمه. ومع انهُ عالم ان هذهِ البغضة ستدوم وتزداد الى ان يفوزوا حسب الظاهر بعد سنين بنيل مأربهم اذ يعلقونهُ ويميتونهُ على الصليب اخذ يزرع الآن البذار الذي ستكون غلتهُ الصلب

قصد ان يقدم ذاتهُ للامة في مركز الدين وامام رؤساء الدين كمسيحهم الموعود "رجاء اسرائيل"(١). لانهُ "جاء الى خاصتهِ"(٢). الى "خراف بيت اسرائيل الضالّة"(٣). فان قبلوهُ راعيهم الحقيقي "لا يعوزهم شيء. لانهُ في مراعٍ خضرٍ يربضهم والى مياهِ الراحة يوردهم"(٤). كراعٍ صالح يعلم ما هو لخيرهم اذ يقصد قبل كل شيء ان يحررهم من عبودية عدوّ نفوسهم ومن سلطة خطاياهم. فلذلك جعل الاصلاح خطوتهُ الاولى

ويعلم جيدًا ان لا قوة للشعب على اجراء الاصلاح لو قصدوا ذلك. لان رئيسي الكهنة حنّان وصهرهُ قيافا كانا مع عائلتيهما مكروهَين عند العموم بسبب فظائعهما المشهورة. ولا وسيلة للعموم لنزع هذه الرتبة السامية عنهما واعطائها لمن يستحقها

وبما ان يسوع مخلص عمومي يُطلب منهُ ان يعامل طرَفي القوم اي الرؤساء الاغنياء المتقدرين والفقراء البسطاء المزدرى بهم. فان تقسّى على الضعفاء وتساهل مع الاقوياء بحذو الحذو المألوف. لكن التساهل مع الاقوياء لا يعد لطفًا. ولا الصرامة في معاملة الضعفاء بسالةً. فيسوع فاق لطفًا في مسايرة البسطاء في معجزتهِ الاولى في عرس قانا الجليل. وسنراهُ يفوق بسالةً في مقاومة العظماء في عملهِ الاوّل في قصبة الامة

في عمل يسوع كمخلص مصلح يُشترط ان يُظهر كرهًا شديدًا للخطيئة على انواعها. قال داود في المسيح قولاً كرّرهُ الرسول بعدهُ "احببت البرّ وابغضتَ الاثم. من اجل ذلك مسحك الله الهك بدهن الابتهاج اكثر من

(١) اع ٢٨: ٢٠ (٢) يو ١: ١١ (٣) مت ١٠: ٦ (٤) مز ٢٣: ١ و ٢

رفقائك"[١]. البغضة تطلب ابادة غريمها وليس اجتنابهُ فقط. فبمجرد اجتناب الشر لا يصير مصلحًا ولا يوجد اصلاحًا. واعظم السرور هو ما يتخذ الدين ستارًا له. بهذا النوع ابتدأ يسوع في عملهِ الاصلاحي

اختيارهُ رؤساء الدين اولاً كان عين الحكمة. اذ لا اصلاح للرعية الاَّ بعد اصلاح رعاتها ولا صحة للجسم ما دام رأسهُ معتلاً. ولا نصير للجيش ما دام قائدهُ مختلاً[٢] وكان اهتمام يسوع ايضًا بتربية تلاميذهِ الجدد الملازمين لهُ في المبادئ النويمة. فمن اهم هذه المبادئ المقاومة العنيفة لكل خلل في الدوائر الدينية. ويعلم هؤلاء الرؤساء الكلام النبوي المشير الى المسيح القائل انهُ "يأتي بغتةً الى هيكلهِ السيد الذي تطلبونهُ وملاك العهد الذي تسرُّون بهِ هوذا يأتي قال رب الجنود. ومن يحتمل يوم مجيئهِ؟ ومن يثبت عند ظهورهِ؟ لانهُ مثل نار المحّص ومثل اشنان القصّار. فيجلس محّصًا ومنقيًا للفضة فينقي بني لاوي ويصفّيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر"[٣].

"ويأتي مشتهى كل الامم فأملأُ هذا البيت مجدًا قال رب الجنود"[٤]

فاتباعًا لهذه النبوة ظهر يسوع بغتةً في هيكلهِ كمحّص وباشر تطهيرهُ بيانًا لاستعدادهِ ان يطهّر هياكل الله الحقيقية التي هي قلوب البشر. اتى مستعدًا ولم يبطئ بعملهِ. صنع سوطًا من حبال وطرد من الهيكل كل ما لا حق لهُ هناك. لم يستعمل العنف مع الباعة والصيارفة او يطردهم. لانهُ يريد ان يعرفوا ان غضبهُ ليس موجهًا ضد اشخاصهم. بل ضد اعمالهم المغايرة. طرد المواشي وقلب موائد الصيارفة. لان ليس من يد تفعل ذلك غير يدهِ. لكنهُ لم يفلت الحمام الذي اذا طار لا يعود بل قال لاصحابها "ارفعوا هذه من ههنا". ثم خاطب الجميع قائلاً لا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة

---

(١) مز ٤٥: ٧ مع عب ١: ٩ (٢) صدق الشاعر في قولهِ

واذا رأيت الراس وهو مهشم ايقنت منهُ مهشم الاعضاء (٣) ملا ٣: ١—٣

(٤) حج ٢: ٧

فمن هو هذا الذي يفرز ذاتهُ عن شعب الله جميعًا ويقول "بيت ابي"؟ وهل تكلم هكذا في كل الزمان نبي او رسول او ملاك من السماء؟ ومَن هذا الذي في محضر الجم الغفير الذي غصَّت بهِ دور الهيكل يغيّر العوائد التي أَلفوها وينكر على العَبدَة تلك التسهيلات التي طالما استعانوا بها في "دار الامم" لوجود حاجاتهم فيها. ويضطرهم الى الخروج الى شوارع المدينة للحصول عليها؟. ومن هو هذا الذي يستنزل عن رؤساء الدين في الدائرة المخصصة لسلطتهم. وينقض الحقوق التي اجروها بدارهم للباعة والصيارف؟ باي حق يطرد بعنف ابقار هؤلاء واغنامهم ويشوّش حساباتهم وترتيب دراهمهم؟ وكيف يخسّرهم الارباح التي اباحها الرؤساء لهم في هذا الموسم المهم؟ ولماذا يستهين بهذه الرياسة المؤيدة من الامة اليهودية باسرها والحكومة الرومانية بعظمتها؟

وكيف يستطيع ان يقوم بعمل كهذا بينما الكهنة واللاويون وهم عصابة قوية يحومون مئات في ممارسة خدمتهم بملابسهم الرسمية؟ أليس ان رئيسهم الاعظم قد خوّل هؤلاء المطرودين حق هذا الاتجار الذي عطلهُ يسوع؟ فضلاً عما تحت طلب هذا الرئيس من الجنود الرومانية الموقوفة لتأييد تلك السلطة وحفظ نظام الهيكل

ان يسوع الشاب الذي يكاد ان يكون مجهولاً. لان هذا ظهورهُ الاوّل امام الجماهير. وهيئتهُ فقرية ورفقاؤهُ جليليون قليلون محتقرون. فكيف يجسر ان يقدُم على عمل كهذا؟ بل كيف يُفلح فيهِ ان اقدم عليهِ؟ والجواب ان ضمائر القوم تعينهُ على النلاح. لان الخاطئ جبان تجاه الناس وتجاه ضميرهِ بينما البارّ جريء. قال الحكيم "الشرير يهرب ولا طارد. اما الصديقون فكشبل ثبيت"(٢) فضمير الفريقين (اي الرؤساء وتجارهم) كان نصيرًا لعملهِ وقيّد

(١) هذه المرّة الوحيدة التي ذُكر فيها ليسوع عمل جسدي عنيف. لان طرد عدد عظيم من الحيوانات دون مساعدة ليس بين (٢) ام ٢٨: ١

الذين لولا ذلك لكانوا يقاومون شديداً . فلما انتهرهم كآمر ذي سلطان قائلاً "ارفعوا هذه من ههنا . لا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة" ذلّوا امامهُ

وقد اعانهُ ايضاً شهادة المعمدان التي تقدمت للرؤساء بواسطة الوفد الذي ارسلوهُ اليهِ [1] . ولربما بلغهم خبر المعجزات في قانا [2] التي تؤيد تلك الشهادة . ثم ان اليقظة الجديدة القوية التي نتجت عن خدمة المعمدان اعدّت افكار كثيرين للاعمال الاصلاحية فينتظران الرؤساء يحسبون حساباً للانتباه بين شعبهم وان كانوا قليلين الذين تمرمروا من تصرفاتهم المغايرة

فاسباب كهذه مهدت السبيل للسبب الاعظم الذي يعزى اليهِ فلاح يسوع المستغرب في مقاومتهِ الاولى لفساد الرؤساء . وهذا السبب هو هيبة القداسة فيهِ المقرونة باظهارهِ تفرُّدهُ عن جميع البشر في علاقتهِ مع الله لما قال لهم "بيت ابي" وان لبسالة القداسة هيبة لا تقدَّر

اكتفى الرؤساء في هذا الوقت ان يقاوموا بالكلام . وحجوهُ بان لا يحق لهُ ان يعارضهم في سلطانهم على الهيكل ومتعلقاتهِ ما لم يكن نبيّاً او مرسلاً من الله . وان كان كذلك فعليهِ ان يثبت رسالتهُ الالهية بمعجزة خصوصية جديدة امامهم تضطرهم الى الاعتراف بسلطانهِ الديني . لكن يسوع لم يرضخ لطلب هؤلاء الاشرار بان يرجع اليهم الحكم فيما اذا كان لهُ حق ان يفعل ذلك الاَّ انهُ لم يترك لهم حجة بسكوتهِ . فاعطاهم جواباً نبويّاً عميقاً حيّرهم وضاعف غيظهم عليهِ اذ اجابهم بلغزٍ معناهُ ان شخصهُ معجزة كافية واعظم المعجزات . وان ارادوا ان يعرفوا ذلك فليقتلوهُ وهو يقوم من الموت بعد ثلاثة ايام . قال "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة ايام اقيمهُ"

قال الرسول بولس في وعظهِ امام فلاسفة اليونان الوثنيين في قصبة بلادهم مقابلاً بين اصنامهم والاله الحقيقي "الاله الذي خلق العالم وكل ما فيهِ

(١) ف ٩ (٢) ف ١٠

هذا اذ هو رب السماء والارض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالايادي. ولا يخدم بايدي الناس كأنه محتاج الى شيء اذ هو يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء[1] ثم قال ايضاً للمؤمنين "أما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم[2]. ام لستم تعلمون ان جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم[3]. فان جازت تسمية اجساد المؤمنين وهم خطأة هياكل الله كم بالحري نصح هذه التسمية في جسد يسوع الطاهر. لان الهيكل هو المحل المخصص لحلول الاله فيهِ. وفي شخص يسوع "حل ملء اللاهوت جسدياً[4]"

ولولا غلاظة قلوب هؤلاء المتفيهقين في درس كلام انبيائهم لفطنوا لما كتبهُ اشعياء "ابن البيت الذي تبنون لي واين مكان راحتي *** الى هذا انظر. الى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي"[5]. وقد فسّر استفانوس هذا الكلام بقولهِ "العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الايادي"[6] فهاجوا عند هذا الجواب الذي لم يفهموهُ اذ حسب الرؤساء قولهُ "انقضوا هذا الهيكل" تجاسراً كفرياً وجنوناً. كيف يدعوهم هذا المعلم الجديد وهو يهودي لينقضوا هيكل الله المقدس الذي هو فخر الامة الاعظم؟ ومن هو هذا الذي يدّعي بانهُ قادر ان يبني مثلهُ بثلاثة ايام ان نقضوهُ؟ فان هيرودس الملك مع كل غناهُ وسطوتهِ واجتهادهِ الزائد لاجل ترميمهِ وتحسينهِ فقط وبعد عمل متواصل مدة ست واربعين سنة[7] لم يقدر ان يكمل ذلك فكيف يقيمهُ جديداً هذا الشاب الفقير الجليلي في ثلاثة ايام؟

كان كلام يسوع هذا غامضاً على تلاميذهِ فلم يفهموا قصدهُ الاَّ بعد ان نقض اليهود هيكل جسدهِ بصلبهِ واقامهُ هو في اليوم الثالث. حينئذٍ فعل هذا القول فعلهُ المقصود وثبّت ايمانهم بسيدهم الذي كانت امتهم قد رفضتهُ. وعلموا

(١) اع ١٧: ٢٤ و٢٥ (٢) ١ كو ٣: ١٦ (٣) ١ كو ٦: ١٩ (٤) كو ٢: ٩
(٥) اش ٦٦: ١ و٢ (٦) اع ٧: ٤٨ (٧) ينبئنا التاريخ ان تجديد الهيكل المشار اليهِ لم يتم الاَّ بعد هذا الكلام بنحو ثمانية وعشرين سنة

ان جرأته في مقاومة رؤساء الامة اتت اتماماً للقول النبوي "لان غيرة بيتك اكلتني . وتعييرات معيريك وقعت عليّ" (١)

اما تأثير جواب يسوع في الرؤساء فدام طويلاً حتى جعلوهُ بعد سنين حجة شكواهم عليهِ لكي يميتوهُ (٢). ولما تم انتقامهم ورأوهُ معلقاً على الصليب عيروهُ بهِ (٣). ولما طلبوا من الوالي حرساً يوضع على قبرهِ لمنع قيامتهِ بنوا طلبهم على هذا الكلام الذي اوقد في صدورهم نار البغضة المميتة التي التهمتهُ اخيراً بتعليقهِ على الصليب. (٤) وبذلك صحّ ان غيرتهُ على بيت ابيهِ اكلتهُ . وكان يسوع عالماً بان تأثير هذا التطهير سيزول قريباً وترجع الامور الى مجراها القديم . لاننا سنراهُ مضطراً الى تكرار هذا التطهير في مثل هذا العيد بعد ثلاث سنين. لكن لم يوقفهُ ذلك العلم عن العمل المطلوب . لان اختفاء تأثير العمل الحسن لا يعطّل حسنهُ ولا يضيع اجرهُ

ولما كان هذا الحادث هو الاوّل الذي اظهر فيهِ يسوع غضباً يحق لنا ان نسأل عن اتفاق هذا الغضب مع القول بكمالهِ الادبي. والجواب ان الغيظ قد يكون فضيلةً كما قد يكون اللطف عكسها . اذ يشترط في الغيظ الفاضل ان يخلو من كل غاية نفسية . ومن كل حركة مستهجنة . ويشترط في اللطف الفاضل ان يخلو من الجبن والركاكة والمحاباة . وقد سبق الكلام في ضرورية بغضة الاثم وهذه تستدعي الغيظ والحدة والعنف في بعض الاحوال . ولهذا رأينا يسوع يحتدم غيظاً على تدنيس الاقداس . فالاقداس هي الاشياء الظاهرة التي تمثل امور الاله القدوس للحواس البشرية . فاسم الله وبيتهُ ويومهُ وكلامهُ ورجالهُ هي اقداس وتحترم اكراماً للقدوس الذي تمثلهُ . وكل من يستخف بشيء منها يحل عليهِ غضب الخروف (٥) كما حلّ في هذا الحادث على الذين استباحوا لانفسهم تدنيس الهيكل

(١) مز ٦٩: ٩ (٢) مت ٢٦: ٦١ (٣) مت ٢٧: ٤٤ (٤) مت ٢٧: ٦٣
(٥) رؤ ٦: ١٦

واحتدّ غيظ يسوع ايضًا على حب المال الذي هو حسب قول الرسول اصل لكل الشرور [١] فشرّ تدنيس الاقداس الذي نحن في صددهِ نتج عن هذا الاصل. وفي قول يسوع "لا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة" اوضح ان الربح التجاري كان قد حلّ في قلوبهم محل الحب الالهي. كأنهُ يقول لهم ما قالهُ بعدئذٍ "لا تقدرون ان تخدموا الله والمال" [٢] ويزيد عليهِ هذا الكلام. ان فعلكم يبرهن انكم تخدمون المال لا الله وشر اثمار حب المال هو تدنيس الاقداس الذي يسخر الدين لاجل ارباحهِ التجارية [٣] فالتجارة التي قضى عليها يسوع هي في حد ذاتها جائزة لا بل ايضًا واجبة. وحب المال في حد ذاتهِ كذلك. لكن الظروف حوّلت هذه التجارة الى الحرام. لان تفضيل المال على الواجب الديني يحوّل حب المال الى عبادة الاوثان [٤]

ان يسوع انتصر في هذا العراك مع رؤساء اليهود (ومع الطاغي الخفي العظيم الذي تُعزى اليهِ كل الشرور) ومع انهُ رفض ان يصنع عند طلبهم معجزة باشر في اورشليم معجزاتهِ الخيرية "فآمن كثيرون باسمهِ". كنا نفرح لهذا الايمان لولا قول البشير "ان يسوع لم يأتمنهم على نفسهِ لانهُ كان يعرف الجميع". ومن هذا بان ان ايمانهم كان عقليًا فقط لا روحيًا قلبيًا. فهم كالارض الخفيفة التي لا يدوم فيها الزرع كثيرًا بل متى احتدّت عليهِ حرارة شمس الاضطهاد وطال الزمان يجف ويبيس [٥] فبعض هؤلاء الذين آمنوا سيرتدّون متى اضطهدهم قومهم لاجل ايمانهم. والبعض متى تيقّنوا ان ليس لتابعي يسوع منافع زمنية وليس من غرضهِ انشاء ملكوت يهودي سياسي وجاهٍ عالمي اما الروحانيون منهم فيتراوحون بين الشك واليقين كما سنرى في الذي هو موضوع الفصل التالي

ان يوحنا الرسول وحدهُ ترك لنا خبر ما جرى في زيارة يسوع هذه

(١) اتي ٦: ١٠ (٢) مت ٦: ٢٤ (٣) انظر كلام بولس القوي في شر حب المال ١ تي ٦: ٩ (٤) كو ٣: ٥ (٥) مت ١٣: ٥ و٦ و٢٠ و٢١

لاورشليم في عيد الفصح الاوّل بعد مباشرة خدمتهِ العلنية . وهو يقدّم شهادةً ليسوع لم تُعطَ الاّ لهُ ولا تصح في غيرهِ من البشر لما قال "لم يكن محتاجًا ان يشهد احد عن الانسان لانهُ علم ما في الانسان" . وهذا القول مما لم يرد مثلهُ في نبي او رسول

ومن هذا نفهم جيدًا ان يسوع كان ذا حذاقة طبيعية ممتازة ترفع مداركهُ فوق مدارك معاصريهِ . وان اقتران الطبيعة الالهية بالطبيعة الانسانية زاد كثيرًا هذا الادراك وهو تفسير كافٍ لمعرفتهِ قلوب الجميع وخفياتهم . فمعرفة كهذه ان كانت لانسان خاطئ تعطيهِ قوّة هائلة للاضرار . اما يسوع فلكمالهِ لا يمكن ان يستخدمها الاّ للافادة . وسنرى خيرًا عظيمًا حصل من معرفتهِ اسرار القلوب

الفصل الثاني عشر

مت ٤:١٢ مر ١:١٤ لو ٤:١٤ يو ٣:١ — ٤:٤

(المرصع) ف ٧و٨ (الزمان) نيسان الى ك ١ سنة ٢٧ م.
(المكان) اورشليم. اليهودية

زيارة الرئيس نيقوديموس يسوع. خطاب يسوع الاول وموضوعهُ الولادة الثانية. ملكوت الله حياة داخليه. القضايا الجوهرية في هذا الخطاب. المعمودية. انصرافهُ من اورشليم والتعميد بواسطة تلاميذهِ. الجدال في التطهير. تلاميذ المعمدان. يسوع عريس الكنيسة. شهادة المعمدان الرابعة. سجن هيرودس اياهُ. انصراف يسوع من اليهودية

من جملة الذين علم يسوع ما في قلوبهم دون مخبر شخص نال فوق شهرتهِ في زمانهِ شهرةً افضل واوسع بواسطة يسوع. اسمهُ نيقوديموس[1] ورتبتهُ "معلم في اسرائيل" "ورئيس لليهود" "ومشير" اي عضوٌ في "السنهدريم" مجلسهم

(١) ذكر كتبة اليهود شخصاً بهذا الاسم مع ذكر اسم ابيهِ وقالوا انهُ احد ثلاثة هم اغنى رجال اورشليم. وان المهر الذي نقد ابنتهُ بهِ عند زواجها كان مليون ريال ذهباً. وقيل ايضاً انهُ افتقر تماماً وصارت ابنتهُ هذه تعيش بالتسوُّل. لا بل كانت لشدة جوعها تلتقط من بين اقذار ازقة المدينة حبيبات الشعير وغير ذلك لاجل الطعام. وقالوا انهُ عاش الى ما بعد خراب اورشليم

اما التقاليد المسيحية فتقول انهُ بعد قيامة يسوع اشهر ايمانهُ بهِ واعتمد بيد بطرس ويوحنا ولهذا السبب عزلهُ اليهود من مجلسهم وجلدوهُ وطردوهُ من المدينة. لكن الاستاذ الشهير غمالائيل (استاذ بولس الرسول) كان نسيبهُ فانتصر لهُ وضمهُ الى بيتهِ في احدى القرى المجاورة حيث بقي الى حين موتهِ ودُفن باكرام مسيحي بجانب قبر استفانوس الشهيد المسيحي الاوَّل

الملي الكبير المؤلف من سبعين عالمًا . فمع انهُ احد الرؤساء الذين حدث بينهم وبين يسوع الاصطدام المشار اليهِ في الفصل السابق لم يكن على شاكلة زملائهِ . لانهُ مهما انحطَّ كبار القوم دينيًّا وادبيًّا لا بد من وجود افراد انقياء بينهم مثل نيقوديموس الذي يستنتج انهُ سرَّ قلبيًّا بعمل يسوع لما طهَّر الهيكل (١)

لم يكن يسوع كباقي الناس مسوقًا من الظروف في ما يقولهُ او يفعلهُ . بل كان يسوق الظروف لتأتي بما يقصدهُ . وكان لهُ ساعة معينة لكل اعمالهِ واعمال معينة لكل ساعاتهِ . وقد انت الساعة ليزيد ايضاحًا في كونهِ مخلصًا عموميًّا . فكما اظهر اهتمامهُ في ما مضى بصغار القوم وافلح بينهم يظهر في هذه الساعة اهتمامهُ بكبار القوم ويفلح بينهم ايضًا . حق لهُ ان يهتم اولاً بالبسطاء والفقراء لان الشهامة والرحمة تقضيان بذلك ولان هؤلاء يؤلفون الاكثرية العظيمة في البشر (٢) . ولكن لا بد لهُ من الاهتمام بالجانب الآخر المعدود الاعلى لانهُ مخلّص الاغنياء والعلماء ايضًا

فنيقوديموس شخص مهمّ في ترجمة يسوع لانهُ الباكورة بين قوّاد الامة الذين اثَّر فيهم تعليم يسوع الديني . وكما لم سبب بزيارتهِ خطاب يسوع الديني الاوّل (٣) . ولا بد ان يكون موضوع هذا الخطاب مبدأً اوليًّا في الدين .

---

(١) وربما بعض زملائهِ ايضًا لانهُ قال ليسوع "نعلم" بصيغة الجمع

(٢) يجب الحذر من المبالغة في وصف تلاميذ يسوع الاولين ورسلهِ بالفقر والسذاجة مع ان بعضهم صيادي سمك كانوا اصحاب سفن للصيد ولهم اجرى يشتغلون معهم . نعم لم يكونوا من علماء عصرهم لكن كلامهم وكتاباتهم وتأثيرهم تبرهن على ان معارفهم لم تكن قليلة . ولا يخفى ان اليهود كانوا يكرمون الاعمال اليدوية وكان فرض على الوالدين ان يعلموا اولادهم حرفًا صناعية مهما كانوا اغنياء لربما يفتقرون اليها يومًا ما

(٣) قد مضى نحو ثلاثة اشهر مذ باشر باعتمادهِ خدمتهُ الجهارية . فضلاً عن السنين الثلاثين السابقة . ومع ذلك فان كل ما حفظ للعالم من اقوالهِ الى الوقت الذي وصلنا اليهِ يجمع في كلمات تشغل سبعة او ثمانية اسطر في الانجيل وتلفظ في دقيقة واحدة وهي نحو ١١٦ كلمة ١٢ في زيارتهِ الاولى اورشليم و١٠ عند تعمدهِ و٣ عند تجربتهِ (ما خلا كلمات موسى التي اقتبسها في اجوبتهِ للمجرّب) و١٢ للذين تبعوهُ عند الاردن . و٤٤ الى

نتصوّر يسوع وتلاميذهُ الذين اتوا معهُ من كفرناحوم[١] في جلسة مسائية مع اهل البيت الذي كانوا فيهِ ضيوفاً[٢]. ثم الحركة القوية بينهم عندما دخل هذا الرئيس بغتةً بهيئتهِ الطبيعية وبملابسهِ الفاخرة. لانهُ كفريسي يكون من الذين يعرّضون عصائبهم ويعظمون اهداب ثيابهم[٣] وكان يقابَل اينما مرّ في شوارع المدينة ودور الهيكل حتى وفي دوائر الحكومة بالاكرام الممتاز. لانهُ جامع في شخصهِ الغنى والعلم والرتبة والسيادة والصلاح والشيخوخة. فكيف لا يحتفى بهِ وقد شرّف هذا المحل البسيط في ساعة لا ينتظر من مثلهِ زيارة؟ ولكن مجيئهُ لا يخلو من الارهاب لانهُ فريسي وعضو في المجلس الاعلى. وقد بغت يسوع وجماعتهُ على اثر تطهيرهِ الهيكل واغاظتهِ الرؤساء بذلك

نتصوّر وقوف الجميع احتراماً عند دخول هذا الرئيس وانتظار يسوع ورفقائهِ ليفتح الزائر الكريم الحديث ويعلن غاية مجيئهِ المستغرَب. فلما تكلم هذا الشيخ اظهر اولاً احترامهُ الشخصي ليسوع. ومع ان يسوع كان شاباً ولا يزال مجهولاً في البلاد وغير متخرّج في مدرسة من مدارسهم وجليلي ومن الناصرة استهلّ نيقوديموس كلامهُ "يا معلم" (ربي) الذي هو اعلى لقب ديني عند اليهود. ويعطى لخرّيجي مدارسهم العالية اللاهوتية. فالاعتراف بهذا اللقب الشريف لشاب لم يتخرّج في تلك المدارس لابل لم يدخلها لم يكن منتظراً من هذا الرئيس الفريسي. وتلا ذلك اعترافهُ "نعلم انك قد اتيت من الله معلماً." رفعهُ كثيراً فوق الربيين بين قومهِ الذين لم يأتوا من الله بل اخذوا تلك الرتبة من الروساء ومدارسهم. ثم دعم يقينهُ بالبرهان. لانهُ كعالِم

تثنائيل و١٨ في عرس قانا الجليل و١٧ عند طردهِ الباعة من الهيكل

(١) الانجيل لا يذكر الوقت او الظروف المتعلقة بانضمام يهوذا الاسخريوطي الى التلاميذ. لكن لكونهِ من اليهودية خلافاً لزملائهِ يظنّ انهُ انضمّ الى يسوع في وقت زيارتهِ هذه لمقاطعة اليهودية (٢) لا يستبعد انهُ كان في احدى القرى خارجاً نظير بيت عنيا

(٣) مت ٢٣: ٥

لا يسلم الاّ لحجة قوية . اذ قال "لان ليس احد يقدر ان يعمل هذه الآيات التي انت تعمل ان لم يكن الله معهُ"

فمن هذا يلاحظ ان نيقوديموس كان على شاكلة سمعان الشيخ "بارًّا تقيًّا ينتظر تعزية اسرائيل"(١). (اي مجيء المسيح). وانهُ أتى ليتحقق هل هذا المعلم الجديد هو المسيح ام لا. غير انهُ يُستدلّ من جواب يسوع انهُ كان معتدًّا بنفسهِ ومتكلاً على صلاحهِ لاجل الخلاص . وعلى كونهِ ابن ابرهيم ومن افراد الشعب المختار وكمتمّم فرائض النظام الموسوي بكل تدقيق . وكغني ليس في المال فقط بل في الاعمال الصالحة ايضًا. وكضليع في الشرائع الالهية والمباحث الدينية ينتظر ان يسبق الجميع الى ملكوت السموات . وان رفعة مقامهِ في مجلس ملتهِ وكرامتهُ بين شعبهِ تكون مقدّمة لمقامٍ سامٍ في مجلس القديسين في السماء . فما أكثر الذين في كل جيل يتكلون نظير نيقوديموس على المعارف الدينية والفرائض المذهبية والحسنات الخارجية لاجل الخلاص

لكن ايها الرجل الكبير سل ضميرك لماذا جئت ليلاً لزيارة هذا المعلم الذي تقول عنهُ انهُ اتى من الله معلمًا. أليس ذلك جبنًا منك؟ فأين عظمتك؟ أليس حياء ايضًا؟ فأين استقامتك؟ ان نيقوديموس خاف ان يشهر ميلهُ الى يسوع لانهُ يعلم جيدًا ما لابد ان يقاسيهُ ان فعل . لان اقل ما يصيبهُ العزل من وظيفتهِ والسقوط من اعتبار قومهِ. ألم يرَ بالامس في زملائهِ هيجان البغض ليسوع في دار الهيكل وفي الائتمار عليهِ الذي نرجّح وقوعهُ في مجلسهِ . ثم انهُ يستحي ان يعرَف عنهُ انهُ أتى ليستفيد من هذا الشاب الجليلي العامي . وهو أحد رؤساء العلم . ولخوفهِ وحيائهِ أتى ليلاً(٢)

لا شك ان نيقوديموس علم فيما بعد جسامة خسارتهِ لكونهِ لم يطرح

(١) لو ٢:٢٥ (٢) لم يذكر بشير غير يوحنا هذا الشخص . وقد ذكرهُ ثلاث مرّات يكرّر في كل منها انهُ اتى ليلاً فيستدلّ ان في مجيئهِ ليلاً معنى خصوصيًا يجب الانتباه اليهِ

كبرياءهُ وخوفهُ جانباً وينضمّ كتلميذ الى هذه الزمرة الصغيرة . لان مواهبهُ واحوالهُ كانت تؤهلهُ لعملٍ ممتاز ومقامٍ رفيع بين مؤسسي الكنيسة المسيحية . فلو ظهر جميع الذين نظيرهُ يتخذون ستار الليل غطاء ليقينهم الحقيقي ويخفونهُ خوفاً او تكبُّراً او حياء ما كان اعظم الجيش الذي يؤلفونهُ

نرجح ان نيقوديموس حسب انهُ اكرم يسوع كثيراً بكلامهِ وانتظر منهُ شكراً واعترافاً بذلك . ولاشك ان تلاميذ يسوع افتخروا واستبشروا بهذه الشهادة . لكن يسوع كطبيب روحي امين لا يفتكر الاَّ بالاعتلال الروحي في زائرهِ المعتبَر . لذلك قصد ان يجرحهُ لكي يستخرج الاوهام ويضع في الجرح الدواء المناسب . فالخطوة الاولى في تخليص النفوس هي هدم الاركان الباطلة التي يبنى عليها رجاء الخلاص . ويسوع شقّ دفعةً واحدةً بسيف فمهِ كل العلاقات التي علَّق بها نيقوديموس رجاءهُ الوهمي بالخلاص . ولم يكترث باكرامهِ اياهُ بل اجابهُ "الحق الحق[1] اقول لك ان كان احد لا يولد من فوق لا يقدر ان يرى ملكوت الله" كأنهُ يقول لهُ "لانك لم تولد من فوق فانت لا تقدر ان ترى ملكوت الله" . ان نيقوديموس لا يجهل موضوع الولادة الثانية لانهُ موجود في التوراة . لكن اليهود فسّروا انهُ يختص بالوثنيين الذين لا يخلصون ان لم يتهوَّدوا ويختتنوا ويحفظوا سائر الفرائض اليهودية وبما ان كل يهودي حاصل على ذلك فلا يحتاج الى الولادة الثانية[2] . لذلك حار نيقوديموس في امرهِ . فاجاب بكلام ظهر منهُ ليس فقط الشك الشديد بصدق كلام يسوع بل انهُ أخذ الكلام ايضاً في الولادة بالمعنى الجسدي

تنبأ اشعياء عن يسوع انهُ "لا يقصف قصبة مرضوضة ولا يطفئ فتيلة

(١) كلمة "الحق" في المترجمة في بعض الآيات آمين والمعنى واحد . وهذه المرَّة الاولى من مرَّات كثيرة بدأ يسوع بها مكرَّرة في تصريحاتهِ تنبيهاً لسامعيهِ الى قضايا ذات اهمية ممتازة (٢) تطرَّفوا في هذا التفسير الى ان قالوا ان هذه الولادة الجديدة تتناول ليس القلب فقط بل الجسد ايضاً فتمنح كل العلاقات السابقة حتى النسبية منها . لذلك تعد الاخت حتى والام كانها غريبتين عن الامي الذي يتهوَّد . فلا يحلّ ولو تزوَّج باحداها

خامدة "(١). وقد صحت هذه النبوَّة في اعتناء يسوع بان يُري في هذا الرجل جرثومة ايمانهِ الجديد . فانهُ لا يؤنبهُ على غلاظة قلبهِ وتنسيرهِ الحرفي للتعليم الروحي . بل يؤيد كلامهُ الاوَّل بالتكرار ويدخل مع الاعادة شيئًا من التفسير مبينًا ان هذه الولادة من فوق هي ولادة من الماء والروح . يشير بالماء الى التوبة التي كان ماء المعمودية رمزًا اليها وختمًا لها. ويعني بالروح الروح القدس الذي هو الفاعل في "الميلاد الثاني". فعمل الروح القدس في التطهير الداخلي وعلامتهُ في التطهير الخارجي بماء المعمودية يصيّر ما يسمّى الموت للخطية والحياة الجديدة للبرّ(٢). ولا يرث ملكوت السموات الاَّ اولاد الله . ولا سبيل للبنوَّة لله الاَّ بالولادة منهُ . والولادة منهُ لا تكون الاَّ روحية. لان "المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح"

يسوع يعلم ان الفلسفة العقلية لا تقبل هذا القول لانها لا تدركهُ . ويعلم الحقيقة التي صرَّح بها رسولهُ بولس فيما بعد . "لان الروح (لم يقل العقل) يفحص كل شيء حتى اعماق الله. لان من من الناس يعرف امور الانسان الاَّ روح الانسان الذي فيهِ . هكذا ايضًا امور الله لا يعرفها احد الاَّ روح الله". "الانسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لانهُ عندهُ جهالة ولا يقدر ان يعرفهُ لانهُ انما يحكم فيهِ روحيًا"(٣). فيسوع لا يلوم نيقوديموس لعدم ادراكهِ حقيقة الولادة الثانية التي هي سرٌّ روحي . لكنهُ يذكّرهُ بانهُ يسلم تمامًا بامور اخرى طبيعية اعتيادية لا يفهمها . فيوافق ان يقبل ويسلّم ايضًا بامور روحية لا يدركها . اناهُ شاهدًا على ذلك بالريح التي "تهبُّ حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من اين تأتي ولا الى اين تذهب" وختم بقولهِ "هكذا كل من وُلد من الروح"(٤)

---

(١) اش ٤٣:٢ ومت ١٢:٣٠ (٢) رو ٦:١١ و١ بط ٢:٢٤ (٣) ١ كو ٢:١٠ و١١ و١٤

(٤) في قولهِ لا تتعجبوا اني قلت لكم ينبغي ان تولدوا وليس "ان تولد" افرز ذاتهُ عن سائر البشر كمن لا يصح فيهِ هذا القول ولا يطلب منهُ العمل . فلا يوجد في كلام يسوع

واذ لم تنقشع بهذا الكلام غيوم الشكوك عن افكار نيقوديموس قال "كيف يمكن ان يكون هذا؟" كرجل علم يطلب زيادة الايضاح . فحوّل يسوع شكوكهُ الى بركة فائقة للعالم على الدوام . اشعرهُ اولاً بقصورهِ بتوبيخ لطيف اذ قال لهُ "انت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا؟" ثمَّ القى عليهِ وعلى السامعين ذلك الخطاب الذي لا يثمَّن الذي من ضمنهِ تلك الآية الذهبية التي اتفق العالم انها أمّ آيات الكتاب واجملها وهي "لانهُ هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنهُ الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن بهِ بل تكون لهُ الحياة الابدية"

في اوّل الخطاب يثبت حقهُ ان يتكلم بسلطان في الامور السموية لانهُ يتكلم بما يعلم ويشهد بما رأى . "وليس احد صعد الى السماء الاَّ الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء"(١) . اذاً كلامهُ في وجوب "الولادة من فوق" يجب تصديقهُ مهما كان غامضاً اذ هو جوهري واساسهُ ان قلب الانسان الخاطىء الطبيعي يُعدُّ ميتاً في الذنوب والخطايا(٢) . وهذا موت روحي حقيقي . اما اهل السماء فاحياء روحيًّا ولا محل للاموات بين الاحياء . ولا تناسب بين الطبيعة الساقطة والسماء الطاهرة . ولو فُرِضَ دخول صاحب الطبيعة الساقطة الى السماء لا يجد هناك ما يلذُّ لهُ لان كل ملذاتهِ جسدية . فهو ذاتهُ لا يرضى البقاء هناك . كما لا يرضى ذلك اهل السماء الذين يكرهون الطبيعة الفاسدة كرهاً اشد من كره الاحياء للجثث البالية

فالدين حسب تعليم يسوع هو اصلاً داخلي لا خارجي . هو عطية الحياة من الله اولاً ثم بعد ذلك الاثمار الناتجة عن هذه العطية . والانتقال من حال الطبيعة الى حال النعمة هو وحدهُ الذي يفتح الباب للانتقال من حال النعمة الى المجد الابدي . لذلك يقتضي ان تتغير عقولنا بالاستنارة وعواطفنا

ما يشملهُ مع البشر الخطأة في شيء . قابل كلام النبي كلنا (لا كلكم) كنعم ضللنا

(١) لا نعتذر في كتابنا هذا لعدم التعمق في تفسير الآيات الغامضة لان التفاسير التي يطلبها المطالع يجدها بسهولة في كتب التفسير (٢) اف ٢:١

بالتقديس وارادتنا بالتجديد وسيرتنا بالاصلاح والاَّ فلا نرى المنازل السماوية فمهما تكررت على المسامع هذه الحقيقة الاساسية الاولية الجوهرية لا يقال "كفى"

هذا التغيير هو الذي يجعل المتجدد يقول مع بولس "استطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني"(١) اذ بالتجديد يستطيع ما كان قبلهُ مستحيلاً. من هذه المستحيلات محبة العدوّ وتكريس الذات لخدمة الانفس وبذل الحياة لاجل الغرباء والتلذُّذ الداخلي بالصلاة الانفرادية والمواضيع الروحية . ثم اعلن يسوع ان النور الذي أتى بهِ للناس ليس مقبولاً عندهم اجمالاً . وسبب هذه الغرابة هو ان اعمالهم اعمال الظلام . مما لا يوافق ان يُعرَّض للنور ويكشف للنظر. بينما فاعلو الصلاح يحبون النور ولا يخشون نتيجة كشف النقاب عن اعمالهم

في هذه المحاورة الدينية الاولى المذكورة نجد تصريحًا كافيًا لاعظم اركان الدين المسيحي . فيهِ نرى يسوع كابن الانسان وفي الوقت ذاتهِ كابن الله الوحيد . ونرى ذكرًا للاقانيم الثلاثة في الاله الواحد تأييدًا لحقيقة التثليث في الله مع التوحيد . واعلان عمل يسوع النبوي والكهنوتي والملكي

يحتاج البشر الى انبياء لاجل الانباء والتفسير . والى كهنة لاجل الانابة والتكفير . ثم الى ملوك لاجل الحكم والتدبير . وهذه الوظائف الثلاث تفي بالحاجات البشرية الدينية كافةً . فيسوع المسيح يجمعها في شخصهِ الواحد . ولم يشغلها شخص واحد في التاريخ الاسرائيلي . لان الانبياء والكهنة والملوك كانوا جميعًا يرمزون اليهِ . كانوا يُخصَّصون بعلامة المسحة المقدسة(٢) ويسمَّون احيانًا مسحاء . فجاء مسيح الله(٣) متممًا الى آخر الزمان ما كان يطلب من هؤلاء قبل مجيئهِ

فهو النبي الذي يخبر بالسمويات ويكشف عن الصفات والمشيئة الالهية وتفسيرها(٤) وعن خفيَّات القلب البشري(٥) . ولا يزال هو المعلم الذي بروحهِ

(١) في ٤:١٣ (٢) تذكر المسحة النبوية في ١ ملوك ١٩:١٦ والكهنوتية في لاويين ٤:٣ والملكية في ١ صم ١٠:١٦ و٦ (٣) مز ٢:٢ و٦ وأش ٦١:١ (٤) يو ١:١٨ (٥) يو ٢:٢٤ و٢٥

يعلّم البشر كل الامور الضرورية لخيرهم[١]

وهو الذي ينوب عن البشر ككاهن اذ قدّم نفسهُ ذبيحة اثم بدلاً عنهم وكفّر عن خطاياهم في صفتهِ كحمل الله . لكي لا يهلك كل من يؤمن بهِ . فعل ذلك برفعهِ على الصليب كما رفع موسى الحية في البرية[٢] . ويصرح بالغفران الكامل الحالي المجاني لكل نفس بمفردها اذ تتوب . ويقدم كشفيع عند الآب السماوي طلبات المؤمنين مشفوعة بوساطتهِ

وهو يتسلط حبيًّا كملك على قلوب المؤمنين ويدبّر امورهم ويقهر اعداءهم ويورثهم معهُ ملكوتًا روحيًّا ابديًّا . فلو لم يكن هو الملك لانهُ ابن الله لما طلب ان يؤمن الناس بهِ للخلاص . بل طلب كالانبياء ان يؤمن الناس بالله . وفي مقامهِ هذا النبوي الكهنوتي الملكي يجري الآن في العالم بدلاً عن معجزاتهِ المادية (كالتي فعلها وهو ظاهر بين الناس) معجزات جديدة روحية اعظم جدًّا من تلك

عاد نيقوديموس الى بيتهِ والى محلهِ في المجلس الكبير وحرم نفسهُ فوائد اتباع يسوع جهارًا . لكننا نعلم انهُ دام ميالاً الى هذا المعلم الذي اعلن لهُ التعليم الجديد وانتصر لهُ احيانًا في المجلس ذاتهِ . لكن كان انتصارهُ خفيفًا عقيمًا عاد عليهِ بالخجل والسكوت[٣]

ان يوسف ومريم لم يجدا عند ولادة يسوع قبولاً في بيت لحم وطنهما الاصلي . ويسوع ذاتهُ لم يجد قبولاً الآن في الهيكل بيتهِ ولا في اورشليم مدينتهِ . ومع انهُ ظهر امام الشعب كمصلح كما في تطهير الهيكل . وكمعلم كما في حديثهِ مع نيقوديموس . وكمخلّص الهي كما في المعجزات التي صنعها امام الجميع[٤] . فان خاصتهُ لم تقبلهُ في هذه المرّة الاولى التي جاءهم فيها . لكن رفضهم اياهُ لم يثنهِ عن عملهِ . بل يجعلهُ يغيّر مركز العمل . فينتقل من اورشليم ليمثل نوعًا

(١) يو ١٤: ٢٦ و١٦: ٣ و١٤ (٢) عد ٢١: ٩ (٣) يو ٧: ٥٠—٥٢
(٤) ٢: ٢٤ و٢٥ ذكرت هذه اجماليًّا بدون تفاصيلها

جديداً من خدمتهِ كمخلص عمومي لكل اصناف البشر

المعمدان لا يزال ناجحًا في وعظهِ وتعميدهِ . والجماهير تتقاطر اليهِ الى "عين نون بقرب سالِيم" حيث كثرة المياه سهلت لهُ قبول الكثيرين الطالبين معموديتهُ[1] . فاستحسن يسوع ان يماثلهُ في العمل واتخذ موقعًا مجهولاً الآن[2] للوعظ والتعميد . ولكون القسم الاهم من تلاميذهِ هم تلاميذ المعمدان سابقًا فهم يشتركون في هذا العمل المألوف برغبة واستعداد

في هذا الوقت ظهر رأي يسوع في امر الفرائض الخارجية في نظامهِ الجديد والمعمودية من اهمها. والمعمدان ذاتهُ نبَّه افكار الجميع الى ان معموديتهُ بالماء هي ثانوية . وان الذي يأتي بعدهُ اعظم منهُ . لانهُ يعمد ليس بالماء بل بالروح القدس. والآن نرى يسوع يهتم بالوعظ بالدرجة الاولى لا بالمعمودية بالماء . ولهذا لم يعمّد هو بيدهِ بل بواسطة تلاميذهِ[3]

في النظام المسيحي تعطى الاهمية الاولى للتعليم الديني وللشعور الداخلي الذي هو فعل الروح القدس لا للفرائض الخارجية ولو كانت من اسرار الكنيسة كالمعمودية . فالوعظ يقدَّم حتى على ممارسة الاسرار. فهنيئًا لكل من يحصل على شرف مهنة الواعظ الذي يقيمهُ الروح الالهي ويعضدهُ في وعظهِ فيبرهن تأثيرهُ انهُ مقام من الله وليس فقط من الناس

اما اقامة يسوع في اليهودية فطالت بضعة اشهر وفي خلالها حدث جدال في موضوع التطهير بين بعض اليهود وبعض تلاميذ المعمدان. ويظهر ان الاولين عيّروا هؤلاء بكثرة الذين أتوا الى يسوع وتلاميذهِ ليسمعوا وعظهُ ويعتمدوا بدلاً من الذهاب الى معلمهم المعمدان . او انهم تباحثوا ايضًا

---

(١) لزوم المياه الكافية لاجل الناس وبهائمهم يفسر ذكر البشير المياه الكثيرة دون الاستنتاج ان التعميد كان بالتغطيس . ويرجحون ان عين نون كانت على حدود السامرة ولربما ضمنها (٢) نعلم انهُ كان في اليهودية (٣) نرى مثل هذه الملاحظة في خدمة الرسول بولس (١ كو ١: ١٤)

في المقابلة بين التطهير الخارجي المعظم عند اليهود والتطهير الداخلي المعظم عند المعمدان

هيجت هذه المباحثة غيرة تلاميذ المعمدان على مقام رئيسهم. فشكوا له هذا الامر وقالوا أليس هو اقدم واشهر من يسوع. وقد خدمه خدمة جلّى بشهادته المكررة القوية وبتعميده اياهُ وباعطائه اياهُ نخبة تلاميذه. فكيف يزاحمهُ يسوع الآن في عمله وعلى مقامه؟ فلم تصادف شكواهم قبولاً عند معلمهم المعمدان. بل اراهم غلطهم وبرهن لهم ان المواهب والتوفيقات هي من الله. فليست موضوعاً للحسد او التذمر عند الذين تنقص لهم. وذكرهم انهُ اعلن لهم سابقًا صريحًا وتكرارًا تفوُّق يسوع العظيم عليه وانهُ هو ليس الاَّ مرسلاً امامهُ

وابان لهم مقام يسوع بواسطة تشبيه جميل. شبَّه جماعة المؤمنين بعروس[1] عريسها يسوع المسيح وهو اي المعمدان صديق العريس ليس الاَّ. ففي العرس تكون الكرامة كلها للعريس وليس لصديقه اهمية تذكر. نعم له الحصَّة الكبرى في الفرح متى سمع صوت العريس صديقه. فهو (اي المعمدان) لم يجرم هذا السرور لانهُ سمع صوت هذا العريس. وبما ان العرس قد ابتدأ فاهمية صديق العريس الذي هيأ له طريقهُ تنقص واما اهمية العريس فتزيد. وهذا ما يريدهُ صديقهُ الامين المخلص. والمعمدان يعلم ويفرح انهُ كما يضمحل نور القمر متى بزغ نور الشمس تضمحل عظمتهُ امام عظمة الذي دلَّ هو عليه انهُ "حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم"

وأفهمهم ان هذا العريس ليس من الارض نظيرهُ ونظير سائر الانبياء بل هو من السماء. فيتكلم عن السمويات لا تلاًّ بل رأسًا كما رأى وسمع قبل نزوله من السماء. له من روح الله ما لا حدَّ له فمن يقبل شهادتهُ يختم ان الله صادق. ولكن واأسفاه انهُ لقلة عدد الذين يقبلون شهادتهُ جاز ان يقال

(١) ترى تشبيه شعب الله بالعروس في اش ٦٢: ٥ وار ٢: ٢ واف ٥: ٢٢ — ٣٢ ورؤ ٢١: ٢ و ٩ و ٢٢: ١٧

مبالغةً "وليس احد يقبلها". لان يسوع يسمّى عريس الكنيسة يستحيل ان يكون لهُ شريك من رسل او انبياء او قديسين او ملائكة لانهُ ليس نظيرهم مخلوقًا بل هو الابن الذي سمع المعمدان عند ما عيدهُ الصوت الالهي المنادي "هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت". فلهذا الابن الوحيد قد دفع الآب كل شيء[1] لفرط محبتهِ اياهُ واعتمادهِ عليهِ حتى ان ايمان البشر بهذا الابن هو شرط الحياة الابدية والخلاص . وغضب الله الدائم هو نصيب كل من يتأخر عن الايمان بهذا الابن

هذه هي الشهادة الرابعة الناطقة ادّاها المعمدان ليسوع . لكنها الاولى في القيمة لما تحويهِ من دلائل التواضع والشهامة والاخلاص والمودّة والنيّرة الروحية . ولاغروَ اذا شهد لهُ يسوع بعدئذٍ "انهُ لم يقم بين المولودين من النساء اعظم منهُ" وانهُ اعظم من نبي" ظهرت طويتهُ النادرة الجمال في كلمتهِ "ينبغي ان ذلك يزيد وانني أنا انقص". لكن واأسفاه ان هذه الشهادة صارت كمقدمة لسجن هذا التقي الغيور[2]. فليست المصائب ميزان الاستحقاق ولا دليل الاغضاء الالهي

ولا يُظَن ان عمل هيرودس في القاء القبض على هذا الصارخ في البرية وزجهِ في السجن نجم فقط عن غيظهِ منهُ لاجل توبيخهِ اياهُ على شرورهِ . لان المعمدان معدود عند الشعب كنبي وانتصار الشعب لانبيائهم كان من دأبهِ ان يوقف هيرودس عن فعل كهذا . لكن الروّساء لغيظهم على المعمدان بسبب توبيخهِ اياهم وحسدهم اياهُ على تعلق الشعب بهِ وافقوا هيرودس في غيظهِ وحثّوهُ على الانتقام منهُ

فلما زجّ هيرودس المعمدان في السجن وهاج حسد الفريسيين ابتعد يسوع عن مركز الروّساء في اليهودية . وانصرف الى الجليل نظير كل حركاتهِ

(١) قال يسوع عن نفسهِ بعدئذٍ مثل هذا القول (متى ١١: ١٨)

(٢) انظر الخبر مفصلاً في ف ٣٦

"بقوة الروح". اذ لم تأتِ ساعة بعد ليسلّم الى اعدائهِ ويقدّم ذاتهُ ذبيحة. فهو يسير بموجب الوصية التي سلمها لتابعيهِ بعدئذٍ "متى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا الى الاخرى. ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجًا *** من تلك المدينة" (١). فنراهُ في هذا السفر قد انتقل من اهمال اليهود خاصتهِ الى ترحاب السامريين خصومهِ

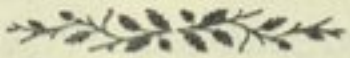

(١) مت ١٠: ٢٣ و ٢٤

الفصل الثالث عشر

(يو ٤: ٥ – ٤٢)

(المرصّع) ف ٨ (الزمان) ك ١ سنة ٢٧م
(المكان) سوخار في السامرة

اليهود والسامريون. مرور يسوع في السامرة وجلوسهُ على بئر يعقوب. مجيء الامرأة السامرية لتستقي. توقير النساء. اهتمام يسوع بهذه الخاطئة. تأثير التعليم المسيحي في ترقية النساء. محاورتهُ مع هذه السامرية عن ماء الحياة الذي يعطيهِ هو. روحانية الله والعبادة الحقيقية. ايمان المرأة بهِ وبكلامهِ وغيرها على مواطنيها. كلامهُ مع تلاميذهِ في الطعام الخفي. الحصاد الروحي في سوخار. حوادث الآبار في الكتاب

بما ان تربية الرسل من اهم مقاصد يسوع تراهُ يُجيزهم في ظروف متنوعة ليوسع دائرة افكارهم ونطاق اختبارهم. فمن المسائل الاولية هدم التعصّب المذهبي واقناعهم بان ملكوت السموات ليس محصوراً في نسل ابرهيم

وكانت الطريق الاسهل والاقرب الموصلة بين اليهودية في الجنوب وعاصمتها اورشليم وبين الجليل وطن يسوع في الشمال هي الغربية التي تمرُّ في السامرة الفاصلة بين اليهودية والجليل. ولان يسوع اختارها قيل "كان لابد لهُ ان يجتاز السامرة"

وكان البغض المتبادل بين اليهود والسامريين قد ازداد بسبب العلاقات الطبيعية التي تربطهما لان عداوة الانسباء امرُّ العداوات. فكان اليهود يتنجسون من السامريين باعتبار انهم وثنيون فلا يجالسونهم ولا يكالمونهم ولا يمرُّون في بلادهم الاّ مضطرّين. وكانت المنازعات التحزبية بين الشعبين كثيرة الوقوع

حتى صار اسم سامري عند اليهود اعظم ما يعيّرون به[١]. واذ اراد يسوع ان ينزع هذا الروح من قلوب تلاميذهِ ويلقي في طريقهِ بذارًا روحيًا بين الغرباء عن شعب اسرائيل اختار[٢] اجتياز السامرة وسافر على الطريق السلطانية التي تمرّ في مدينة شكيم[٣] في الوادي بين جبلَي عيبال وجرزيم[٤]

وكان على الطريق العام في هذا الوادي وجنوبي هذه المدينة بئر يعقوب التي اشتهرت بسبب ما حدث هناك[٥] عند مرور يسوع عليها. فانهُ وصل في رحلتهِ اليها نحو الظهر وكان شهر كانون الاوّل على ما يُرجَّح. واذ كان متعبًا جلس على خرزة البئر بينما ارسل تلاميذهُ الى سوخار ليبتاعوا طعامًا لهُ ولهم[٦]. ونستنتج من هذا ان يسوع مع فقرهِ وفقر رفقائهِ لم يعتمد على الضيافات ولا على الاستعطاء لاجل معيشتهم. بل على الشراء بالمال الذي كان يقدّمهُ لهُ مريدوهُ حبًا واكرامًا. وكان يُسلِّم المالية لاحد تلاميذهِ[٧]

في هذه الساعة نراهُ يختبر الاعياء والجوع والعطش لمائلنا في هذه الضيقات فيقدر ان يرثي للمصابين بها. ورب سائلٍ يقول لماذا لم يوجد طعامًا لهُ ولهم بمعجزة؟ فنجيب ان الوسائط الطبيعية كافية فلا لزوم لمعجزة. وكما سبق القول انهُ لا يفعل مطلقًا معجزة لاجل اعالة ذاتهِ او منفعتهِ الشخصية[٨] فلما جاع في برية التجربة ولم يكن من وسائط طبيعية لسد جوعهِ لم يصنع معجزة

(١) يو ٨: ٤٨ (٢) انظر ف ٦ وجه ٧٦ (٣) في شكيم اشترى يعقوب حقيد ابرهيم من بني حموراي شكيم حقلاً بمئة قسيطة تك ٣٣: ١٩ وفيهِ دفنت عظام يوسف عند عود الاسرائيليين من عبودية مصر فصارت لبني يوسف ملكًا يش ٢٤: ٣٢ ويرى الآن المزار المخصص تذكارًا لهذا المدفن الذي ربما ليس هو المحل الاصلي الحقيقي

(٤) تث ١١: ٢٩ و٢٧: ١٢ ويش ٨: ٣٠ و٣٣ (٥) قيل ان يعقوب هو الذي حفرها بقرب الضيعة التي وهبها ليوسف ابنهِ. وان مدينة سوخار كانت بقربها. ويظن ان خربة عسكر هي في موقع سوخار. وبناء على وجود ينابيع ماء في جوارها سُئل لماذا حفر يعقوب بئرًا عنها قيل ان ملأها الردم خمسة وثلاثين مترًا. فاجاب المفسرون انهُ فعل ذلك ليوجد ماء في ملكهِ ليسقي مواشيهِ منها دون معترض (٦) ليست سوخار على الطريق العام (٧) يو ١٣: ٦ (٨) ف ١٠

لكن الملائكة جاءت وخدمته (١)

وبينما كان ينتظر عود تلاميذه جاءت امرأة سامرية من المدينة المجاورة لتملأ جرّتها من هذه البئر اما لاعتبار مائها مقدسًا فتفضله على الماء الاقرب أو لسبب آخر نجهله (٢). ولا ريب انها اشمأزّت لما رأت عند البئر يهوديًا. ولا سيما لان هيئته ولباسه يدلّان على انه معلم دين وامثالهم المنطرفون في كره السامريين واحتقارهم. حقًا ان الفواصل المهمة بين يسوع وهذه المرأة تستدعي النظر. اولاً هي امرأة سامرية وهو معلم دين يهودي. شعبها مزيج من اليهود والوثنيين (٣) واشد نزاع في العالم بين الشعوب هو النزاع الديني واقربها بعضًا لبعض نسبًا ابعدها ادبًا عند وقوع النزاع

ان اليهود رفضوا اشتراك السامريين معهم عند ترميم الهيكل بعد رجوعهم من سبي بابل وعاملوهم بالخشونة. فانتقامًا منهم دنّس السامريون الهيكل بعظام الموتى. فاتسع الخرق بين الشعبين كثيرًا ورُفض السامريون من هيكل اورشليم. فاختاروا موقعًا لعبادتهم على قنّة جبل جرزيم. قالوا انه اقدس من هيكل اورشليم لكونه اقدم في التاريخ المقدس واستندوا في قولهم على آيات من الكتاب (٤) وزادوا على ذلك ان ابرهيم اتى باسحق الى هذا الجبل ليقدمه ذبيحة للرب (٥)

---

(١) مت ٤:١١ ف ٨ (٢) هل كان اختيارها ساعة الظهر للاستقاء بخلاف العوائد لكونها مكروهة عند اهل بلدها بسبب صفاتها السيئة ففضلت الابتعاد عن الناس والانفراد في اشغالها حذرًا من التعيير؟ (٣) ٢ مل ١٧:٢٤:٤١ وعزرا ص٤. المرشد ٤١٢ قاموس الكتاب ١:٥٢١—٥٢٦ ادي في يوحنا ٤:١ (٤) تث ٢٧:٤ وتك ١٢:٦ و٧ و١٢:٤ و٢٢:١٨ و٣٠ (٥) عاصمة السامريين مدينة السامرة التي رممها هيرودس الكبير وسماها سبسطية على اسم مولاه اوغسطس قيصر في اليونانية. بناها اصلاً عمري ملك اسرائيل في نحو سنة ٩٠٠ ق.م ١ مل ١٦:٢٢:٢٤ وهي الآن قرية حقيرة تسمى سبسطية قد عثر مؤخرًا اهل العلم بالحفريات فيها للتوصل الى آثار تاريخية مهمة. والبقية الوحيدة من هذا الشعب هي بضع مئات من النفوس مستوطنون في نابلس ويحافظون اشد المحافظة على نظامهم

الفاصل الثاني انها امرأة ونعلم كم هو احتقار رجال اليهود ولاسيما معلمي الدين بينهم لجنس النساء اذ كانوا يأنفون ان يكلموا امرأة امام اعين الناس ولو كانت زوجة او اختًا . وكان من جملة صلاتهم شكر العزة الالهية لانهم وُلدوا ذكورًا لا إناثًا . فكم يكون احتقارهم لنساء السامريين خصومهم

الفاصل الثالث انها امرأة ساقطة فاي شيء يقدر ان يوفق بين هذا المعلم اليهودي الجليل المهوب الصالح وهذه التعيسة التي قضت حياتها في الآثام ولاتزال مقيدة بها . فبالنظر الى هذه الفواصل يصح القول انها اشمأزّت لما رأت يسوع جالسًا على البئر التي قصدتها من محلها البعيد . ولم تتصوّر مطلقًا انهُ يكلمها كما وانها لاتريد ان تكلمهُ . لكن في نظر المخلص العمومي نفس السامري عزيزة كنفس اليهودي . لانهُ هو الخالق والمخلص والديان للجميع . والسامري المتجدد لا تنقص فائدتهُ في العالم عن فائدة اليهودي المتجدد . فلا فرق عند يسوع بين محب ومبغض في رغبتهِ في تخليص نفوس الجميع . لا يشارك رجال شعبهِ في احتقار النساء . لان احترام النساء من الفضائل المهمة ويولّد الفضيلة . الرذيلة هي بنت احتقار النساء . اذ يؤدّي هذا الاحتقار الى فساد والفساد يوجب الحجاب . والحجاب الجبري الذي هو ضد الطبيعة ليس دواء ناجعًا للفساد . لابل قد برهن الاختبار ان هذا الحجاب حاجز يقف في وجه الفضائل ولا يوقف تيّار الفساد الادبي الخفي . الحرية الشريفة التربية ضمن التوانين الادبية هي اسلم عاقبة واجزل منفعة من الانفصال الزائد والحجاب الصارم . النعل المطلوب هو للدين في القلوب والناموس في العقول والتهذيب في العادات

والعفة الحقيقية التي تستحق الاعتبار والتشبه بها ليست عفّة النسّاك ورافضي

القديم وعلى انفرادهم من سائر الشعوب . ونظامهم يرفض اسفار التوراة اليهودية والمسيحية ما عدا اسفار موسى الخمسة . وقد حُفظت عندهم نسخة منها تُعد عند اهل العلم من اهم مصادر معرفة التوراة الحقيقية . وعلى رغم اندثار الهيكل الفخم الذي بنوهُ على جبل جرزيم لا يزالون يحافظون على اعتبار موقعهِ وتقديم الفروض الدينية على اطلالهِ كما في القديم

الزواج . قد يكون هؤلاء ابعد الناس عن العفة الحقيقية التي تكون في الذين يمتزجون بعضهم مع البعض على صورة شريفة ولائقة سالمة من كل شائبة ليس في التصرُّفات فقط بل ايضاً في الافكار الداخلية تحت مراقبة عين الله البصيرة واحكام الناموس الادبي الداخلي. فالعفيف هو من يراهُ الله عفيفاً. وهذا بالطبع يراهُ الناس ايضاً عفيفاً. لكن قد يحسب الناس عفيفاً من يراهُ الله عكس ذلك

ان المخلص مطالب بجميع البشر فبالنساء كما بالرجال. ولهذا لا يمكنهُ ان يصرف نظرهُ عن هذه السامرية لكونها امرأة . هو ليس كالمعدان الناسك متقيِّد بكثير من تقاليد شعبهِ . فلم يأنف مقابلة النساء وسمح لهنَّ ان يتبعنهُ ويكرمنهُ ويتقدَّمن لهُ من اموالهنَّ . فالحادث الذي نحن في صددهِ هو الذي ظهر فيهِ اهتمام يسوع بالهدي الديني بين النساء . وكما اسرع ابليس في اسقاط حوَّاء في بداءة التاريخ البشري اسرع يسوع في بدء خدمتهِ في انهاض بناتها.

ولا يمكن انهاضهنَّ بواسطة التحقير بل بواسطة التكريم . فالقاعدة المسيحية في اكرام النساء لا يدخل ضمنها تسلُّط النساء على الرجال . فان اعطاء النساء التقدُّم على الرجال في المعاملات الانسية هو من باب الشهامة التي تقضي على الاقوى ان يقدم الاضعف

ان سنَّة المسيح ليست كسنَّة تنازع البقاء التي تقضي بأن يبتلع القوي الضعيف . فيهلك الضعيف ويسلم القوي . بل القاعدة المرعية الآن عند جميع الشعوب الراقية ظاهرة في المعاملات عند وقوع الخطر . متى امست البواخر في خطر الغرق ترى الرجال الاقوياء يضعون النساء والاولاد اولاً في قوارب النجاة . وان هلك من الركاب احد يهلك الاقوياء لا الضعفاء . اما سنة تنازع البقاء فلا اثر لها في الشرائع الادبية ولا صدى في الاعلانات الالهية للتدريب في الاعمال البشرية . ومن امتيازات التعليم المسيحي تأثيرهُ في ترقية النساء ماديًّا وادبيًّا وروحيًّا . فانهُ بواسطة ولادة يسوع من مريم قد امَّحى العار الذي لبس جنس النساء بسبب سقوط حوَّاء

اولاً قبل آدم في جنة عدن[١]. وفي كل سني خدمتهِ وعند صليبهِ كما عند قيامتهِ اكرم النساء وقد ثبت انهنَّ سبقنَ الرجال في الغيرة الدينية والامانة نحو المخلص

قد سبق القول ان هذه السامرية امرأة ساقطة. فكيف يرضى ان يجالسها او يباحثها او يعيرها اقل التفات؟ قال الرسول "اية خلطة للبر والاثم؟ واية شركة للنور مع الظلمة؟ واية اتفاق للمسيح مع بليعال؟"[٢] لكننا نعلم مشرب يسوع من كلامهِ في بيت زكا العشار بعد ذلك انهُ "جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك"[٣]. وقال ايضاً في بيت متى العشار "لاني لم آتِ لادعو ابرارًا بل خطاةً الى التوبة"[٤] فحجة الذي يحضر امام الطبيب مرضهُ لا صحتهُ. واهتمام الطبيب ينصرف الى المرضى لا الى الاصحاء.[٥] ثم الى اصحاب العلل المميتة قبل البسيطة

ان يسوع اظهر اهتمامهُ بخلاص الشبان والفقراء والبسطاء في زمرة الذين دعاهم للتلمذة فتبعوهُ. ثم اهتمَّ بعد ذلك بخلاص شيخ غني عالم صالح اي نيقوديموس. وهؤلاء جميعًا من شعب اسرائيل. فبقي عليهِ ان يظهر اهتمامهُ بخلاص شخص يمثل النساء واسافل القوم والذين ليسوا من شعب اسرائيل. فبواسطة هذه السامرية تمكن من اعلان قيمة النفس الخالدة حتى بعد توغلها بالآثام. وانهُ قادر ان يخلص الى التمام حتى شرَّ الخطأة

لم يبالِ يسوع بهذه الفواصل بل فتح الحديث معها بطلبهِ منها ان تسقيهُ[٦]. والذي ساقهُ الى هذا الطلب ليس عطشهُ الى الماء بل عطشهُ الى تخليص هذه النفس الهالكة. وهذا الطلب من معلم يهودي فيهِ رائحة التنازل والاكرام لها كأنهُ يفتقر الى ما تستطيع هي ان تعطيهُ. فاعطى بذلك مثالة اولى في كيفية صيد

---

(١) انظر ١ تي ٢: ١٣ و١٤ (٢) ٢ كو ٦: ١٤ و١٥ (٣) لو ١٩: ١٠

(٤) مت ٩: ١٣ (٥) مت ٩: ١٢ (٦) لا يسميها البشير لكن التقاليد سمتها فوتينا وذكرت اسماء اولادها

النفوس. اما هي فاجابت بشيء من الخشونة كما ينتظر من امرأة نظيرها وقالت "كيف تطلب مني لتشرب وانت يهودي وانا امرأة سامرية"؟ عند ذلك غيّر لهجته ليشعرها بمقامه الحقيقي وانه ليس مفتقراً اليها بل هي مفتقرة اليه. لانه يعطيها "عطية الله" ان طلبت منه. هذه العطية اشبه بالماء الحي اي ماء النبع الجاري لا الحفير[1] لما اظهرت مع التعجب عدم ادراك معناهُ. زاد على قولهِ ان هذا الماء بخلاف الذي تطلبهُ من بئر يعقوب يروي ارواء ابديًا وينبع الى حياة ابدية. فكانت نتيجة هذا التشويق انها طلبت من الذي قال لها اولاً اسقيني ان يسقيها هو من هذا الماء العجيب

لكن من الشروط الاولى الجازمة في خلاص النفس ايقاظ الضمير ليشعر الخاطئ باحتياجهِ الى مخلص ويقدم توبة صادقة. لذلك نرى هذا الطبيب يجرحها كما جرح نيقوديموس تمهيداً للشفاء. وكيفية الجرح اعلنت مهارة الطبيب. اذ طلب منها ان تدعو زوجها كأنهُ يريد ان يشركهُ معها في عطية الله. فلما اعترفت ان ليس لها زوج كشف لها بسوع علمهُ بسيرتها المعيبة الماضية وحالتها الاثيمة الحاضرة. وان لطفهُ ليس ناتجًا عن جهلهِ ما كان من شأنهِ ان يجلب عليها اشد المذمة واتم التحقير. وهذه مثالة ثانية قدمها في كيفية صيد النفوس. وان كانت النفوس لا تصاد غالبًا بالنجوم المرّعلى عيوبها. لكن عدوّ الانفس دائمًا سهران. فلما رآها ابتدأت تستسلم لهذا المخلص لجأ الى احدى حيلهِ الشهيرة وقصد ان يلهيها بالجدال المذهبي القائم بين اليهود والسامريين في امر محالّ العبادة. فقادها الى الحجة التي خدعت وتخدع الملايين اي حجة تسلسل اليقين الديني من السلَف الى الخلَف. وبموجب هذه الحجة يكفي الانسان ما كان عليهِ اسلافهُ من امر الدين. لكن قد تولّد الايمان في قلبها بعد ايقاظ ضميرها. فرأت في هذا الغريب اليهودي نبيًا حسب

١ انظر مز ٣٦:٣٢ و٨:٣٦ واش ١:٥٥ و١٤:٣ و١٠:٤٩ وحز ١:٤٧ و٩ ونش ١٥:٤ وزك ١٤:١٢ و٨:١٤ ويوء ٢٥:٦ و٢٧:٧ و٢٨

ذكرها. ويقولها "ارى انك نبي" فتحت باباً جديداً ليسوع ليكشف لها حقائق الدين

فمن على هذا المنبر اي حافة بئر في البرية وامام شخص واحد فقط هو امرأة ذات تاريخ قبيح وهي نصف وثنية لفظ عظة من اشهر عظاته يعادل سموُّها اختصارها اذ اعلن فيها ان القداسة ليست في المساجد وما فيها من الآنية المكرسة بل في القلوب. وان بمجيئه قد زال الزمان الذي فيه تُحصر عبادة الله في محلاَّت خصوصية يتوجب على الناس ان يحجُّوا اليها من بعيد ليندموا فيها ذبائحهم وتقدماتهم. فان الالهة الوثنية الكاذبة مقيدة في اماكن خصوصية. لكن الاله الوحيد الحقيقي هو روح ومالئ الوجود فلا يوجد في مكان دون غيره. ولا يتوقَّف رضاهُ على المكان الذي يُسجد له فيه بل على الروح الذي في الساجدين. ولانهُ روح فهو يقبل الذين يسجدون له بالروح والحق في اي مكانٍ كان. ولا يقبل غير هؤلاء ولو سجدوا في اقدس الاماكن. فقد حان الزمان الذي تنبأ عنهُ ملاخي لما قال "في كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لان اسمي عظيم بين الامم" (١)

ومع ان هذا لا ينفي تخصيص محلاَّت للعبادة وتوقيرها اللائق لان هذا واجب ديني. لكنهُ ينفي التطرُّف في نسبة القداسة الى هذه المحلاَّت. وينفي العقائد الخرافية التي تجعل الناس يستمدُّون البركة من مصادر مادية نظير آثار القديسين والمواد في اسرار الكنيسة وملامسة الاشخاص والابنية الممتازة في الدين

فلما جرَّد يسوع هذه القداسة الخصوصية الممتازة عن اورشليم (٢) نفاها طبعاً عن كل مكان سواها. لان دين الاله الذي هو روح لا يكون الاَّ روحيًّا. فلا يتألف بالدرجة الاولى من فرائض خارجية بل من عواطف داخلية

(١) ملا ١: ١١ (٢) التي هي مقدس للموسوي والمسيحي والمحمدي جميعاً

فهذا التصريح اوضح للسامرية ان باب القبول عند الله مفتوح لكل من يسجد له بالروح والحق. وهذا القبول يتناول الذين هم نظيرها لا يقبلون في هيكل اورشليم لانهم ليسوا يهوداً. والذين كانت سيرتهم الماضية معيبة. فالتغيير الذي حصل في قلبها جعلها تشتهي مجيء المسيح ليخبر بكل ما يقتضي ان يعرفه الناس من امر الدين. قال يسوع في وقت آخر ان من له سيعطى ويزاد وهنا المرأة لما افتحت قلبها لنور الحق زادها نوراً في الحال وشرّفها باعلان لم يمنحه للرؤساء ولا لنيقوديموس الموالي له ولا لرفقائه التلاميذ. وبناء على طلبها المسيح قال لها "انا الذي اكلمكِ هو" ولم يقُل يسوع قبل الآن لاحد انه المسيح. اما هذه السامرية فيحق انه المسيح لانها اعترفت انه نبي والنبي الحقيقي لا يكون الاّ صادقاً

ومن شدة ابتهاجها بانها قد رأت المسيح وسمعت كلامه وآمنت به تركت جرتها عند البئر واسرعت الى سوخار لتبشّر مواطنيها. ولكن مَن يبالي بكلام امرأة مثلها مكروهة وهل يمكن ان يظهر المسيح ذاته لمثلها اولاً؟ ومع ذلك نرى فعلاً انه كان لكلامها تأثير نستنتج منه ان التغيير في قلبها فعل في تغيير هيئتها ولهجتها وحركاتها حتى كما عرفت ذاتها امرأة ظهرت جيدة للآخرين. فأخذوا لشهادتها اعتباراً لما قالت لاهل المدينة "هلُمّوا انظروا انساناً قال لي كل ما فعلت ألعلّ هذا هو المسيح". لانها حسبت جسارة لا تليق بمثلها لو جزمت امام الذين هم اعرف واصلح منها ان هذا هو المسيح فهي تطلب منهم ان يحكموا في الامر بعد ان يروهُ ويسمعوهُ. فقد ادّت شهادتها وتركت النتيجة لافكار السامعين وضمائرهم. وبذلك قدّمت مثالة مفيدة في الارشاد الديني

ان قوة التبشير الديني هي بالاكثر في الشهادة لا في النصيحة والمبشر الفهيم يقول كما قال صاحب المزمور "ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب"(١)

(١) مز ٣٤: ٨

ولما ودّع يسوع رسله عند صعوده اوضح لهم ان وظيفتهم الخصوصية هي "ان يكونوا شهوداً له الى اقصى الارض [١]" فالتأثير العجيب الذي رافق تبشيرهم حالاً نتج عن حفظهم هذه الوصية واهتمامهم بهذه الشهادة [٢]. وكل عاقل يستخرج من الشهادة التي يعطاها النصيحة التي تحويها فتاتيه النصيحة قوية. لكن النصيحة بدون الشهادة تكون ضعيفة. ولهذا زال افتخار هذه الامرأة ببئر يعقوب في وجه اهتمامها بماء الحياة الذي ابتدأت تعرف قيمته. وصار فيها ينبوع ينبع الى حياة ابدية ليروي الآخرين ايضاً

اذ لم يكن احد من تلاميذ يسوع حاضراً اثناء المحاورة بينه وبين السامرية يكون البشير يوحنا المخبر بها قد اخذ الخبر اما من يسوع او من المرأة. ولكنه يخبر عن تعجّبهم وتعجّب رفقائه لما عادوا من سوخار بالطعام الذي مضوا ليبتاعوه. تعجبوا لانهم رأوا معلمهم يحادث امرأة غريبة سامرية حديثاً جدياً. ورأوا انفعالها الشديد لما تركت جرتها واسرعت الى المدينة كأنه لغرض مهم جداً. فلا تستغرب تعجبهم بل نمدحهم لانهم حافظوا على اللياقة والاحترام ولم يقل احدهم "ماذا تطلب او لماذا تتكلم معها". ولما بسطوا الطعام الذي اتوا به ولم يتقدم يسوع عليه كما انتظروا قالوا له "يا معلم كل". وكما تعجبوا من حديثه مع المرأة تعجبوا ايضاً لانه لم ياكل. وزاد عجبهم عند جوابه "لي طعام لآكل استم تعرفونه انتم"

ان يسوع كلّم نيقوديموس سابقاً عن الحياة الجديدة بالولادة من فوق فلم يفهم. وكلّم السامرية عن الماء الحي المحيي فلم تفهم. والآن كلّم تلاميذه عن الطعام الخفي المشبع فلم يفهموا. بل سألوا بعضهم بعضاً ألعل احداً اتاه بطعام في غيابهم. هل هذه السامرية؟ فاسرع يسوع لازالة حيرتهم وافهمهم انه لا يشبع من الخبز البائد بل من عمل مشيئة الآب الذي ارسله. كلام وجيه جداً اثبته ومثّله في سلوكه كل ايام حياته تماماً [٣]

(١) اع ١:٨ (٢) اع ٤:٢٣ و٢٦:٢٢ (٣) قال احد اللاهوتيين "وصل يسوع

اثر كلام المرأة في اهالي سوخار "فخرجوا من المدينة واتوا اليهِ". وبينما هم قادمون رآهم يسوع عن بعد فخاطب تلاميذهُ بكلام آخر مجازي. قال انهُ يرى الحقول قد ابيضَّت للحصاد مع انهُ كان باقيًا للحصاد المألوف اربعة اشهر(١). عنى بذلك ان جمهور القادمين الذين عرفهم مستعدين لقبول بشارة الخلاص هو تلك الحقول المبيضَّة. وفرح بهم لانهم باكورة الحصاد الاكبر الذي بين الامم. ولانهم اتوا لايجاذية معجزات الشفاء ولامنافع اخرى سطحية اوزمنية بل لكي يروا المسيح ويسمعوا تعاليمهُ. ولانهم ثمر تعبهِ على هذه المرأة الخاطئة التي اتى بها الى الخلاص بالتوبة والايمان

"فآمن بهِ من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة***
وآمن بهِ اكثر جدًا بسبب كلامهِ بعد حضورهم اليهِ فسألوهُ ان يمكث عندهم. فصح بذلك قول النبي "اصغيت الى الذين لم يسألوا. وُجدتُ من الذين لم يطلبوني قلت هأنذا لأُمة لم تُسمَّ باسمي"(٢). فخالف يسوع تقاليد أُمتهِ واضطر تلاميذهُ ان يماثلوهُ. ومكث عندهم يومين. وكان هذا الحصاد مقدمة لحصاد آخر عظيم في تلك البلاد في زمان الرسل(٣). اخذ يسوع من هؤلاء الاطفال في الايمان المولودين من أُمة غريبة جزاء لايثمَّن على تعبهِ بينهم. لان شهادتهم لهُ امتازت صراحةً اذ قالوا "نؤمن لاننا نحن قد سمعنا ونعلم ان هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم"

فما اكرم تلك البئر التي اتيح لها ان تربح الجسم البشري الحالَّ فيهِ الاقنوم الثاني الابن الازلي الذي هو في حضن الآب. وما اعذبها ايضًا لان هذه المرأة الهالكة الجاهلة الماء الحي قصدتها طالبة ارواء عطشها الجسدي

الى البئر معيَّن وعطشانًا وجائعًا. فلما رأى فرصة لعمل الخير نسي تعبهُ وعطشهُ وجوعهُ ووجد في عمل مشيئة ابيهِ واتمام عملهِ راحة وريًّا وشبعًا

(١) حصاد الشعير يبتدئ في تلك الجهات في اواخر نيسان (٣) اش ٦٥: ١
(٢) اع ٨: ٥—٢٥

موقتًا فوجدت هناك مسبًا الذي اعطاها ماء حيًا ينبع الى حياة ابدية . قد ظهر ملاك الرب عند بئر لحي رُئي[١] ثم عند بئر اخرى في برية بئر سبع[٢] لتلك المسكينة هاجر المطرودة مع ابنها وخلصها من الهلاك . وعلى بئر سبع قطع ابرهيم عهدًا وقدّم ذبائح[٣] وعلى بئر حاران استجيبت صلاة لعازر عبد ابرهيم الامين فوجد رفقة زوجةً لسيدِ اسحق.[٤] ولكن ابن هذه الآبار من بئر سوخار التي اتخذها يسوع منبرًا حيث لفظ تلك العظة الجوهرية عن روحانية الله وماء الحياة ونالت عندها هذه السامرية ومواطنوها خلاصًا ابديًا

(١) تك ١٦: ١٤ (٢) تك ٢١: ١٤ و ١٩ (٣) تك ٢١: ٢٨—٣٢ (٤) تك ٢٤: ١١—٢٠

الفصل الرابع عشر

(مت ٤: ١٢ – ١٧ مر ١: ١٤ و ١٥ ولو ٤: ١٤ – ٣١)
(يو ٤: ٤٣ – ٥٤)

(المرصع) ف ٩ (الزمان) ك ١ سنة ٢٧ وك ٢ سنة ٢٨ م.
(المكان) الناصرة – قانا – كفرناحوم

جولان يسوع الاول في الجليل وكلامهُ الاول في التبشير . شفاؤهُ ابن خادم الملك في كفرناحوم . ايمان خادم الملك وبيتهِ . عودهُ الى الناصرة حيث قدّم عظتهُ الاولى امام جمهور . تعجب أهل وطنهِ ثم غيظهم ومحاولتهم قتلهُ . انتقالهُ من الناصرة وسكنهُ في كفرناحوم

بعد ترحب السامريين بيسوع والثمار التي حصدها في اليومين في سوخار استأنف سفرهُ الى الجليل ليباشر هناك خدمتهُ الدينية[1] . وكانت الناصرة وطنهُ ضمن كورة الجليل لكنها لا تلائم كمركز لهذه الخدمة . لان القول المأثور وان لم يكن مطرداً هو ان العموم لا يوقرون المألوف كثيراً والغرباء يكرمون الانسان اكثر من الاقرباء

(١) مقاطعة الجليل هي القسم الشمالي من الارض المقدسة وتمتد من نهر الاردن شرقاً الى سهل بتولمايس (عكا) غرباً ومن دان (قرب بانياس) شمالاً الى جبل السامرة والكرمل جنوباً وتنقسم الى قسمين شمالي وجنوبي وحدودها تشتمل على انصبة اربعة اسباط من بني اسرائيل وهم يساكر وزبولون واشير ونفتالي . واعظم مدنها الناصرة وقانا وطبريّة . وهذه البلاد كانت موطن المسيح ومحل اكثر اعمالهِ وقلما ذكرت البشائر الثلاث الاولى من الحوادث غير ما صنع فيها .

ويسوع نفسهُ شهد "ان ليس لنبي كرامة في وطنهِ". وهذا القول لا يفيد ان مواطنيهِ في الناصرة رأوا فيهِ عيوبًا منعتهم عن اكرامهِ التام. ولو ظهر اقل سبب للانتقاد عليهِ من الوجه الادبي لكان كتبة الانجيل اشاروا اليهِ كما اشاروا الى عيوبهم وعيوب بعضهم بعضًا وكما فعل كتبة التوراة في اخبار الانبياء. وهذا الصدق في الاسفار المقدسة هو من أهم ادلة الوحي الالهي فيها

تجوّل يسوع في الجليل فوجد قبولاً سطحيًا عند الاهالي لان كثيرين منهم كانوا قد عاينوا ما فعل في اورشليم في العيد منذ ثمانية او تسعة اشهر. وشاهدوا نجاحهُ في طردهِ الباعة من الهيكل. ثمّ معجزات الشفاء هناك. وسمعوا بمعجزتهِ الاولى في قانا الجليل. وعلموا بانتشار صيتهِ في الاشهر التي علّم فيها وعمّد في اليهودية بعد العيد

اما يسوع فلم يفتتح خدمتهُ في الجليل بالمعجزات. بل كان يكرز في مجامعهم بالخبر السارّ اي ببشارة ملكوت الله. ولم تكن لهجة كرازتهِ لهجة التخويف والتوبيخ بل لهجة المخلص المحب الذي اتى من السماء ليعلن محبة الله للخطأة ويؤسس ملكوتًا يؤلّف من البر والسلام والفرح. فكان مجدًا من الجميع رغمًا عن علمهم باصلهِ الفقري

وقد اشار بوعظهِ الى اكمال الزمان بالنسبة الى النبوات القديمة التي تختص بظهور المسيح[1]. وهو "ملء الزمان" الذي ذكرهُ الرسول[2]. وبذلك اتفق وعظهُ مع وعظ المعمدان "قد اقترب ملكوت السموات فتوبوا وآمنوا بالانجيل". اي بالبشارة بمجيء المسيح ملك هذا الملكوت

واعاد زيارتهُ لقانا الجليل وطن تلميذهِ نثنائيل ومحل معجزتهِ الاولى منذ سنة[3] حيث صنع معجزتهُ الثانية المذكورة في الكتاب. نقول هنا وليس هنا. لانهُ وهو في قانا شفى انسانًا في كفرناحوم على بعد يوم كامل. وكيفية ذلك

(١) نظير التي في دانيال ٩: ٢٤-٢٧ (٢) غل ٤: ٤ وأف ١: ١٠

(٣) انظر ف ١٠

انهُ اتى اليهِ ذات يوم الى قانا خادم للملك هيرودس انتيباس متوطن في كفرناحوم التي تبعد ساعات قليلة عن طبريَّة عاصمة مولاه[١]. ومع ان يسوع لم يصنع معجزة شفاء في الجليل الى الآن لما اشتد مرض ابن هذا الرجل واشرف على الموت وفرغت كل الوسائط لشفائهِ افتكر بيسوع واستعلم عن محل وجودهِ. فلما عرف انهُ في قانا صعد اليهِ وطلب منهُ ان ينزل معهُ الى كفرناحوم ويشفي ابنهُ[٢]

وبما ان خادم الملك يكون مرعي الجانب ومعتادًا ان يحصل على مطاليبهِ بسهولة تصوَّر ان يسوع يلبي طلبهُ حالاً بكل احترام ويحسبهُ شرفًا عظيمًا ان يُدعى من رجل مثلهُ لينزل ويشفي ابنهُ. وانهُ يتمنى فرصة كهذه ليظهر فيها قوتهُ العجيبة. اما افكار يسوع فليست هكذا. ولا يدع مجالاً لوهم كهذا. بل قاد الرجل لاجل خيرهِ الى التذلل وانكسار القلب. لان لمثل هؤلاء البركات الالهية[٣]. وقصد ايضًا ان يعزّز مقامهُ كممثل الاله العظيم وان كانت احوالهُ الخارجية خالية من امارات العظمة فردعهُ قليلاً في جوابهِ "لا تؤمنون ان لم تروا آيات وعجائب"[٤]. اي انهُ لا يريد الايمان المسبب عن رؤية العجائب بل الذي يأتي نتيجة ما يرونهُ فيهِ ويسمعونهُ منهُ من التعليم والصفات والاعمال الحسنة الطبيعية

اما خادم الملك فلم يأتهِ صبر على هذا الكلام. لان ابنهُ كان مشرفًا على الموت. فالحَّ عليهِ قائلاً "يا سيد انزل قبل ان يموت ابني". فاستجاب يسوع جوهر طلبهِ لا حرفيتهُ. لم ينزل معهُ لكنهُ شفى ابنهُ[٥]. وبدلاً من الذهاب معهُ

(١) ظنَّ بعض الكتبة المسيحيين ان خادم الملك هذا هو خوزي وكيل او خازن الملك الذي كانت امرأتهُ يونا من النساء الامينات الموسرات اللواتي تبعنَ يسوع وخدمنهُ من مالهنَّ (لو ٨: ٣) (٢) القول في الصعود والنزول يؤيد صحة الرواية. لان قانا مرتفعة فوق الجبال وكفرناحوم منخفضة على شاطئ البحر (٣) مز ٥١: ١٧

(٤) لو كان خبر المعجزات وهمًا او تلفيقًا لما امكن ان يأتي المخبر بعبارة كهذه. لانهُ كان يصوّر يسوع راغبًا ومسرعًا في فعل المعجزة المطلوبة (٥) لا يقال عن يسوع انهُ

قال لهُ " اذهب ابنك حيّ." فآمن الاب ايمانًا عجيبًا بان يسوع يقدر ان يشفي شخصًا عن بعد دون لمسهِ او مكالمتهِ او رؤيتهِ . فنزل الى بيتهِ . وبينما هو بعد في الطريق لاقاهُ عبيدُ المسرعون اليهِ الى قانا وبشروهُ بشفاء ابنهِ النجائي في كفرناحوم . ولما دقّق في الاستعلام منهم ليتحقق العلاقة بين كلام يسوع وشفاء الصبي اتضح لهُ ان ابنهُ شُفي " في تلك الساعة التي قال لهُ فيها يسوع ان ابنك حيّ". فزاد بذلك ايمانهُ بيسوع وشاركهُ كل اهل بيتهِ في ايمانهِ الجديد . لانهُ متى كان التأثير الديني قويًا لا بد ان يتجاوز من المؤمن الى اعضاء اسرتهِ

تحوّلت مصيبة هذا الرجل في مرض ابنهِ الشديد الى بركة روحيّة عظيمة جدًّا . ومن قلب مصيبتهِ خرج خلاص ابدي لهُ ولأهل بيتهِ . الآب السماوي في حكمتهِ وحبهِ يريد ان نأتي كل المصائب بالبركات

ثم عاد يسوع من قانا الى الناصرة بعد غيابهِ عنها على ما يظهر نحو سنة وربع . وقد جرت في هذه الاشهر القليلة حوادث جعلت تغييرًا ظاهرًا في هيئتهِ وحركاتهِ . فيراهُ مواطنوهُ كأنهُ شخص جديد . ولانهم قد سمعوا خبر معجزاتهِ في محلّات اخرى توقعوا ان يفعل مثلها واكثر منها في بلدهِ وبين الاقرباء والاصدقاء . اما هو فكما علمنا لا يهتم اولاً بالمعجزات بل بالتعليم . فقدّم عظتهُ الاولى امام جمهور في مجمعهم في يوم سبت . قال البشير انهُ " دخل المجمع حسب عادتهِ" . لان زياراتهِ للمجمع في بلدهِ مدة نحو ثلاثين سنة تعد بالالوف[1] . ولما دخل المجمع رأى الهيئة المألوفة وسمع الصلاة القانونية . لكن

ذهب من بلد ليشفي عليلاً في بلد اخرى . ويذكر الكتاب انهُ توجه مرتين الى بيت غير الذي كان فيهِ لاجل الشفاء (١) لا ذكر للجامع في العهد القديم . بل لخيمة الاجتماع والهيكل ولكن في السبي اصطلحوا على بناء معابد سموها مجامع ولما رجعوا من السبي حافظوا على هذا الاصطلاح . فبنوا في كل بلد مجمعًا او كنيسًا بشرط ان يكون فيهِ على الاقل عشرة رجال من اهل اليسر يتألف منهم مجلس ملي (بطليم) ويتفرّغ مجانًا لادارة اشغال الجماعة الدينية

لما جاء وقت القراءة من الاسفار النبويَّة وقف اعلانًا لاستعدادهِ ان يقرأ ان سمح له رئيس المجمع . فباشارة من هذا دفع الخادم اليهِ الدرج المقدّس الذي فيهِ سفر اشعياء النبي[1] . نرجح ان الفصل الذي فتحهُ وقرأهُ هو الذي كان معيّنًا لذلك اليوم وان ملاءمة الفصل لمقصدهِ كان من تدبير العناية الالهية

فحوى هذا الفصل قصد المسيح من مجيئهِ وطبيعة ملكوتهِ الذي نادى باقترابهِ منهم . واشار اولاً الى المسحة التي تعطيهِ لقب المسيح . لان الله مسحهُ نبيًّا وكاهنًا وملكًا[2] . فوظيفتهُ كالمسيح هي ان يبشر المساكين ببشارة مضمونها شفاء المنكسري القلوب واطلاق المأسورين وفتح اعين العمي وتحرير المسحقين والكرازة بسنة الرب المقبولة[3]

وكانت عند سامعيهِ سنة الرب المقبولة هي سنة اليوبيل التي تعود كل خمسين سنة مرَّة . وربما اتفق وقوعها في تلك السنة . فاطلاق المأسورين وتحرير المسحقين عند سامعيهِ التخلص من النير الروماني والعبودية لملك وثني اما عند يسوع فسنة الرب المقبولة ليست سنة واحدة من كل خمسين سنة بل هي تشمل كل السنين

---

(١) كان هذا الدرج من الرق الطويل ملفَّفًا على اسطوانتين الواحدة في اولهِ والاخرى في آخرهِ وكل ما نشرت الواحدة طويت الاخرى وبذلك حُفظ مكان القراءة من مرَّة الى اخرى (٢) انظر ف ١٢ (٣) اش ٦١ : ١ و ٢ تختلف الالفاظ في رواية لوقا عنها في التوراة لانهُ كتب في اليونانية فاقتبس الآيات من الترجمة اليونانية السبعينية الشائعة بومئذٍ بين اليهود بينما التوراة مترجمة عن الاصل العبراني . وهذا يجعل فرقًا في اللفظ مع حفظ المعنى . كتبت الترجمة السبعينية في الاسكندرية نحو ٢٨٠ ق م . لما زاد عدد اليهود في القطر المصري واهملوا تدريجًا لغتهم الاصلية العبرانية افتقروا الى توراة في اللغة المألوفة عندهم اي اليونانية . لذلك ترجم علماؤهم التوراة من العبرانية الى اليونانية ولكن دون تدقيق تام . وهذه الترجمة هي التي عوَّل عليها المسيحيون في زمن الرسل لانها كانت في لغة يفهمونها جيدًا . وقد استنبط اليهود خرافة متعلقة بهذه الترجمة وهي انهُ تعيَّن سبعون عالمًا للترجمة وحُصر كل منهم في غرفة منفردًا الى ان أتمَّ الكتاب كلهُ ولما تقابلت تلك الترجمات وُجدت كلها بالحرف الواحد فعُدَّت ترجمة منزلة بالهام الهي (انظر المرشد ١١٥)

والنير الذي أتى ليخلصهم منهُ ليس نيرًا سياسيًا زمنيًا بل نير ابليس الذي بسببهِ وُضع عليهم ايضًا نير الرومان . فاظهروا جهلاً كليًا في صرف افكارهم وآمالهم الى خلاص جسدي يأتي بهِ مسيحهم . لان عبيد ابليس لا يمكن ان يسلموا من العبودية الجسدية اذ هي نتيجة العبودية الروحية لابليس . فان انقذهم مسيحهم من نير زمني معلوم لا بد ان يقعوا تحت نير آخر أمرّ منهُ . واذ كان يسوع يعلم هذا جيدًا أتى ليخلصهم من نير ابليس اولاً . فان قبلوهُ يخلصهم ايضًا من نير الرومان ومن كل نير غير نيرهِ الهيّن ومن كل حمل الاّ حملهِ الخفيف

كان الاصطلاح عند اليهود ان القارئ الذي يقصد ان يشرح الفصل الذي قرأهُ يعلن ذلك بجلوسهِ امام الجمهور عند فروغهِ من القراءة . فلما طوى يسوع السفر وسلمهُ للخادم جلس فتحوّلت اليهِ ابصار الجمهور . وبما انهُ ابن بلدتهم يعرفونهُ جميعًا شخصيًا ويعتبرونهُ ويودّونهُ بناء على امتيازهِ في الصفات الحسنة والاعمال الصالحة . وقد زاد هذا الاعتبار بسبب سماعهم عنهُ الامور الكثيرة العظيمة مدة غيابهِ

فلا عجب انهُ لما اعطى علامة استعدادهِ للوعظ امامهم "كانت عيونهم شاخصة اليهِ" فابتدأ وعظهُ بقولهِ "اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم" . بهذا الكلام قدّم ذاتهُ لهم كمسيحهم وفي الوقت ذاتهِ لاشى كل آمالهم الزمنية ان قبلوهُ كمسيح . ثم استطرق في كلامهِ المؤثر "وكان الجميع يشهدون لهُ ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمهِ ويقولون "أليس هذا ابن يوسف"

من القول "كلمات النعمة" عرفنا نسق وعظهِ . اي ان تعليمهُ كان كالماء البارد للظمآن . وانهُ اهتم ان يعظ بالبشارة بملكوت جديد روحي بهيج ظهر في هذه الساعة في قوّة خطابهِ ليس فقط ثمر اختباراتهِ الجديدة الاخيرة بل ايضًا ثمر سني الاستعداد الطويلة في ذلك المحيط عينهِ

كان يسوع عالمًا بان افكار الجمهور لا تزال بعيدة عن افكارهِ وان

شهادتهم لكلمات النعمة من فمهِ هي سطحية. وانهم تائقون الى الملكوت الزمني والمنافع المادية والمجد العالمي والاندهاش بمعجزاتهِ. فأتاهم اولاً بمثلَين من الامثال الدارجة بيانًا لمعرفتهِ افكارهم اذ قال "على كل حال تقولون لي هذا المثل ايها الطبيب اشفِ نفسك". يعني ان وطنك الناصرة احق من قانا الجليل ومن كفرناحوم فلماذا لا يتمتع بمعجزاتك المدهشة والخير الناتج عنها. لكن الى الآن لم نرَ منك معجزة. ثم اشار الى المثل الثاني "ليس نبي مقبولاً في وطنهِ" يعني خذ وعظك للذين يجهلون اصلك الحقير ولا تنتظر منّا خضوعًا لتعاليمك الجديدة

ولكي يُظهر امانتهُ نحو نفوسهم ونحو الحق الثمين قصد ان يبطل اتكالهم على علاقتهم الخارجية بابرهيم كأن هذه تحقق لهم الرضى الالهي والقبول في الملكوت. وان يزيل وهمهم بان الله لا يهتم الاَّ بهم بين البشر. فاتاهم بشاهدين لا يمكنهم الرد عليهما. الاوَّل في تاريخ نبيهم العظيم ايليا الذي لما هرب من غضب شعبهِ اسرائيل وملكهم لجأ الى ارملة وثنية فينيقية التي اظهرت شهامةً وكرمًا ومروءةً وايمانًا لم يوجد مثلها في اسرائيل. والثاني في ايام خَلَفهِ النبي اليشع الذي لم يُشفِ احدًا من اليهود بني شعبهِ المصابين بمرض البرص المميت بل شفى رجلاً اميًا (سريانيًا) من دمشق. فاذًا لا يعتني الله بشعب اسرائيل فقط بل بجميع خلائقهِ والامم ايضًا. وانهُ تعالى يفضّل الامي على الاسرائيلي متى كان هذا ابعد من ذاك عن الايمان القلبي والطاعة لهُ تعالى

فهذا الكلام أيقظ العواطف الفاسدة الكامنة قبلاً في قلوبهم. وتجدَّد فيهم روح الحسد للقرى الاخرى التي رأت معجزاتهِ واستنتجوا انهُ يحتقرهم. فهاج كدرهم مما لاحظوهُ بان يسوع لا يقصد تخويلهم الفوائد الزمنية التي يرومونها. وتحرَّك الادعاء الديني المتجرف. والنفور من تعليم يسوع بان الامم قد يفضلون عليهم عند الله. مع انهم يعدونهم ككلاب لا نصيب لهم في الرضى الالهي وملكوتهِ. "فامتلأ غضبًا جميع الذين في المجمع وقاموا واخرجوهُ

خارج المدينة وجاءوا بهِ الى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليهِ حتى يطرحوهُ الى اسفل "(١). وهنا تمّ القول بنوع خصوصي انهُ "جاء الى خاصتهِ وخاصتهُ لم تقبلهُ(٢)" وقول النبي انهُ يكون محذولاً ومحتقراً من الناس(٣)

من يعلم كيف كانت عواطف اهلهِ لما كان الجمهور في المجمع صاغيًا وشاخصًا اليهِ ومتعجبًا من كلامهِ ؟ ألم تكن تلك الساعة عندهم ساعة ابتهاج وافتخار ؟ أو لم يحلموا بخير عظيم زمني سوف ينالونهُ بسبب علاقتهم مع شخص ذي اقتدار واعتبار كهذا ؟ وان كان حقًّا هو المسيح أفلا يكون لكل افراد عائلتهِ النصيب الاوفر من العزّ والنلاح في ملكوتهِ

لكن لما تغيّرت لهجتهُ وتوقف سرور الجمهور بهِ لابد أنهم استاءوا من كلامهِ وخطأوهُ ولاسيما لانهم قدّروا العواقب وادركوا ان الشعب في غيظهِ على يسوع يجعل لاهلهِ قسمًا من الغيظ والاهانة . فما اهول تلك الساعة عليهم حين رأوهُ في قبضة الجمهور الهائج المزبد المنهي لاعدامهِ . "اما يسوع فجاز في وسطهم ومضى" لانهُ التى على هذا الجمهور الشائط غيظًا عليهِ هيبتهُ الطاهرة فغلّت ايديهم عن اطاعة كيدهم

"ثم أتى وسكن في كفرناحوم" تاركًا الناصرة وشأنها حاليًا . فبئس قومًا ضاع فيهم تأثير نحو ثلاثين سنة قضاها يسوع بينهم بكمال ادبهِ وغيرة دينية ومحبة للجميع . ونهاهم بتأثير خطاب واحد يخالف ذوقهم ومشتهاهم يثيرون غارة فوضوية ويلقون عليهِ ايدي اثيمة ويحبونهُ بغوغاء بقصد اهلاكهِ . فما امرّ التعصب الاعمى المذهبي . وما اكثر الفظائع التي ارتكبها الناس حينًا بعد آخر تحت ستار غيرة الدين . اما يسوع فهيأ افكار تلاميذهِ لمقابلة معاملة كهذه اذ

---

(١) الناصرة مبنية على صخر اكمة يحيط بها آكام ارفع منها . وعند قفة تلك الاكمة شفرٌ على كل شفير منها نحو ثلاثين او اربعين قدمًا . (ادي في لوقا ٦١) وكان اصطلاح الرجم عندهم انهم يطرحون الشخص اولاً عن مرتفع لعلهُ يموت من جرّاء السقوط قبل رجمهِ ٢ اي ١٣:٢٥ (٢) يو ١:١١ (٣) اش ٣:٥٣

قال لهم في وقت آخر " تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم انهُ يقدِّم خدمة لله "(١)

نشخص ايضًا حزن قلب يسوع الرقيق على عشراء عمرهِ واقربائهِ واصدقائهِ هناك . لانهم طرحوا عنهم بشارة النعمة ورفضوا مخلصهم الوحيد . ألم يبكِ على الناصرة عند تركهِ اياها كما بكى بعدئذٍ على اورشليم ؟ وكيف لانحزن معهُ اذ نراهُ تاركًا وطنهُ تركًا نهائيًا بعد كل اتعابهِ فيهِ وبعد تأثير قدوتهِ وكلامهِ بين قومهِ دون ان يأخذ منهم على ما يظهر تلميذًا واحدًا حتى ولا من اخوتهِ في بيتهِ الى ذلك الحين

النعمة التي رفضتها الناصرة انتقلت الى كفرناحوم . وكان ذلك تسهيلاً لعمل يسوع التبشيري . ولانتشار صيتهِ . وتعظيم شهرتهِ . ومن هنهُ ولصيقتها بيت صيدا تلمذ عديدين صاروا الاشهر والاعظم بين رسلهِ(٢)

موقع كفرناحوم على شاطئ البحر زادها موافقةً كمركز لعمل يسوع . لان السفن كانت تسهل عليهِ كثيرًا الانتقال من مكان الى آخر . وزادت مناسبتها

(١) يو ١٦ : ٢ (٢) كفرناحوم كانت مدينة مهمة على شاطئ بحر الجليل وأكبر المدن العشر التي كانت تزين شواطئ هذهِ البحيرة الخالية الآن من المدن ما عدا طبرية . وكانت كفرناحوم مركزًا للحكومة ولجباية المكوس لانها واقعة على الطريق العمومية الموصلة بين الداخلية والسواحل البحرية ومدينة اورشليم والبلاد المصرية وعلى حدود مقاطعة الجليل الشمالية . لا يُعرف موقعها بالتأكيد الآن لكن يرجح انهُ في التل الذي تشغلهُ اطلال تسمى تحوم على الشاطئ الشمالي من هذا البحر وغربي مصب نهر الاردن فيهِ . كان العنصر الامي فيها أقوى منهُ في مدن الجنوب نظير الناصرة . ولذلك كانت الحركة التجارية والصناعية اقوى والتعصب المذهبي اضعف . وبالنظر لموقعها البحري كان صيد الاسماك فرعًا مهمًا من عمرانها التجاري . وتجارة السمك المقدَّد من هذا البحر كانت تشغل سوقًا خصوصيًا في اورشليم التي كان احد ابوابها يسمى باب السمك (نح ٣ : ٣) ويزعم المفسرون ان زبدي وابنيهِ يعقوب ويوحنا رسولي يسوع كان لهم في اورشليم محل تجاري يوردون اليهِ الاسماك من هذا البحر وانهم كانوا من اهل اليسر . ويعضد هذا الرأي قول احدهما يوحنا انهُ كان معروفًا عند رئيس الكهنة يو ١٨ : ١٥

ايضًا بسبب الذين انضمُّوا اليهِ كتلاميذ من سكانها ومن بيت صيداء. بعضهم على ضفة الاردن وغيرهم بعد ذلك نظير خادم الملك وعائلتهِ

كانت مدة استيطان يسوع في كفرناحوم على ما يظهر سنة ونصفًا ويذكر في خلالها خروجهُ منها للتبشير ثم عودهُ اليها تسع مرّات. وكان قد زارها مع أُمهِ واخوتهِ قبل هذا الوقت بنحو سنة وقبل ذهابهِ الاوّل الى اورشليم[1]. ويذكر البشير متى في اجتهاده المعهود لاجل تطبيق النبوات على حوادث حياة يسوع ان اتخاذهُ اياها مركزًا لسكنهِ أتى تتميمًا للنبوّة الواردة في اشعياء المعلنة شروق النور على هذه المقاطعة المظلمة التي سكانها "جالسون في كورة الموت وظلالهِ"[2]

يسرُّنا ان نتصور الاستقبال الذي حصل ليسوع في هذه المدينة بمناسبة انتقالهِ اليها. ونخص من المترحبين بهِ عائلة خادم الملك الذين لا يكون ايمانهم الجديد بهِ الاَّ حارًّا وشكرهم اياهُ كثيرًا. وكم يكون فرح الولد الذي شفاهُ وهو مشرف على الموت بان يرى اول مرَّة مخلصهُ الزمني والروحي ليشكرهُ على رحمتهِ الفائقة نحوهُ. ولا بد انهُ كان لهذه العائلة جمهور كبير من المحبين والاصدقاء الذين اشتركوا معهم في الاحتفاء بتزيل كفرناحوم الجديد. لا بل نتصوَّر انهم عملوا لهُ ترحابًا عموميًّا بفضل تلك المعجزة التي زاد تأثيرها عليهم كون يسوع فعلها عن بعد

يظهر ان عائلة يسوع ارتحلت ايضًا من الناصرة وسكنت في كفرناحوم. ولا غرابة في ذلك لان سكنهم في الناصرة يعرّضهم للاهانات بسببهِ. وشرف العائلة يوجب عليهم ان ينتصروا لهُ ويتركوا جماعةً تطرفوا في كرههِ واضطهادهِ ولكن بما انهم لم يؤمنوا بهِ يجوز ان يكونوا قد استاءوا منهُ لتسببهِ تركهم بيوتهم واملاكهم واشغالهم في الناصرة

ان صدق الاستنتاج بان سكنهُ في كفرناحوم لم يكن مع عائلتهِ بل في بيت

(١) يو ٢: ١٢ (٢) اش ٩: ١ و ٢

تلميذِ الغيور سمعان بطرس [1] يسهل تمكينهُ هذا التلميذ في ايمانهِ الجديد وتعليمهُ وتدريبهُ استعدادًا للقيادة المهمة المعدَّة لهُ فيما بعد . وينجم ايضًا عن اختيارهِ السكن في بيت بطرس ايضاح انفصالهِ الشخصي عن انسبائهِ ليتفرَّغ لعلاقاتهِ الجديدة مع الذين تبعوهُ كتلاميذ ومع العموم كمخلص العالم

———

(١) يتفق القول ان اندراوس وبطرس كانا من بيت صيدا مع القول ان بيت بطرس كان في كفرناحوم على فرض انهُ انتقل اليها بداعي انضمامهِ الى يسوع او ان بيت صيدا كانت حسب زعم البعض حارةً من كفرناحوم او ميناها البحري . او انهُ تزوَّج من كفرناحوم وسكن فيها لكنهُ بقي يحسب من بيت صيدا

الفصل الخامس عشر

(مت ٤: ١٨–٢٥ و٨: ١٤–١٧ مر ١: ١٦–٣٩ لو ٤: ٣٢–٤٤)

(المرصع) ف ٩ و١٠ (الزمان) اذار سنة ٢٨ م

(المكان) كفرناحوم

دعوة يسوع اندراوس وبطرس ويوحنا. حكم الدين على العلاقات العائلية. اخراجهُ روحًا نجسًا وهو يعظ في كفرناحوم. السكن الشيطاني في زمن يسوع. شفاء حماة بطرس. حوادث الازدحام والشفاء. شهادة الشياطين له. العلاقة بين الخطايا والامراض. مفعول الايمان في شفاء الامراض. اختلاء يسوع للصلاة وجولانهُ للتبشير والشفاء

باستيطان يسوع على شواطئ بحر الجليل[1] ابتدأت الحوادث التي ألبست هذه البحيرة الصغيرة شهرةً واسعة زادها جمال موقعها. واذا شبّهنا نهر الاردن بخاتم من لُجين يزين وسطهُ هذا الحجر الكريم من الياقوت الازرق. وتحيط بهِ الجبال كأنها خفراؤهُ وعند سفوحها تتقبّل المروج الخضراء قبلات امواجهِ. اما اجمل زيناتهِ فهي تلك الحوادث الخطيرة التي خلّد ذكرها "انجيل يسوع المسيح ابن الله"[2]. قال احد الشعراء

"بحر الجليل أيا عديم مثالِ ... فوق البسيطة في سنىً وجلالِ
رَسَمت عليك يد القدير العالي ... آيات حسنٍ فائقٍ وجمالِ
يُعيي المبالغ وصفها بمقالِ
بحر الجليل ايا رواء الصادي ... يامنهل الوُرّاد والقصّادِ

---

(١) بحر الجليل هو البحر الذي يمر فيهِ نهر الاردن وهو القسم الشرقي لبلاد الجليل ويسمى ايضًا جنيسارت (لو ٥: ١) وكنّارة (عد ٣٤: ١١ وتث ٣: ١٧) وكنيروت (يش ١٢: ٣) وبحر طبرية (يو ٦: ١) طولهُ نحو ١٢ ميلاً وعرضهُ ستة اميال ومعظم عمقهِ ١٦٥ قدمًا (ادي ٥: ١) (٢) مر ١: ١

من ذا يفيك المدح بالانشادِ من سائر السيّاح والروّادِ
يا بهجة الازمان والاجيالِ (١)

رأى يسوع في ذات يوم وهو يمشي على شاطئ هذا البحر تلاميذهُ الاربعة الاولين . اندراوس واخوهُ سمعان بطرس ويعقوب ويوحنا اخوه يشتغلون في صيد السمك . وكان الاخوان الاولان يطرحان شبكة في البحر اما من سفينتهما أو من على الشاطئ . وكان الاخوان الآخران مع ابيهما زبدي والاجرى في سفينتهم يصلحان الشباك بعد الصيد . فأتى الى الاولين ودعاهما ليعلمهما صيدًا افضل واكثر ضرورةً وهو صيد الناس بشباك الانجيل لاجل تخليصهم من بحر الهلاك . وايصالهم الى شاطئ السلام . ثم مشى واتى الى الاخوين الآخرين وقدّم لهما الدعوة ذاتها

فلبّوا حالاً جميعًا هذه الدعوة وتبعوهُ تاركين الاب والاجرى والسفينتين والشباك والمهنة اي كل شيء . نعم تبعوهُ سابقًا بالقلب والايمان ورافقوهُ في بعض رحلاتهِ . لكن من الآن فصاعدًا كانوا ملازمين لهُ

وكان أراهم في اليهودية والسامرة امثلة في اصطياد النفوس . لكنهُ قصد الآن ان يحوّلهم عن اشغالهم الزمنية ليتمكن من تعليمهم وتدريبهم في هذه المهنة الجديدة اكثر فاكثر . ظهر جليًا بعد صعودهِ نجاحهُ في هذا القصد عند ما خلّفهُ هؤلاء في صيد النفوس وايّد عملهم الباهر رؤية النبي الذي قال في الصيادين على شاطئ النهر الخارج من تحت عتبة بيت المقدس "يكون سمكهم على انواعهِ كسمك البحر العظيم كثيرًا جدًّا" (٢)

في القول ان ابني زبدي تركا اباهما في السفينة وتبعا يسوع لنا الحلقة الاولى في السلسلة المؤلفة من الذين اطاعوا و يطيعون امر يسوع بتركهم الاهل عند الاقتضاء لكي يتبعوهُ . ولكن لا يحق دينيًا ولا اديبًا لانسان هو مجرّد بشر ان

(١) من موشح للنفس اسعد عبدالله الراسي نشر في النشرة الاسبوعية
(٢) حز ٤٧: ١٠

يطلب من الناس ان يفضّلوهُ على اهلهم الذين تربطهم بهم العلاقات المتينة التي هي وضع الهي وبسوع المتمسك بالناموس الالهي لا يمكنهُ ان يحتقر الوصية الخامسة التي تأمر باكرام الوالدين كمجرّد بشر لا يقدر ان يطلب من ابنَي زبدي ترك ابيهما لاجلهِ .ولم يخالف ابنا زبدي هذه الوصية الاّ ليقينهما ان لبسوع حقوقًا الهية تقدّم على الحقوق البشرية كافة حتى اقدسها .وبما انهُ واضع هذا الناموس يقدر ان يجوّزهُ كما يشاء

ان ابرهيم خليل الله ترك وطنهُ الاصلي في اور الكلدانيين واهلهُ هناك إجابةً للدعوة الالهية . فتولد من صلبهِ شعب الله المختار اسرائيل . وصار يسمّى اب المؤمنين . اذ قال لهُ الله "فيك وفي نسلك تتبارك جميع قبائل الارض"(١)

وترك موسى اجابةً لدعوة الله قصور الفراعنة والبنوة الملكية والراحة والرفاه والعلوم والغنى(٢) والمجد ليقود هذا الشعب وينظمهُ ويسلّم الشريعة الالهية الطاهرة التي منها النظام الشهير والعهد القديم الذي هو اساس في الدين

وترك ايضًا هؤلاء التلاميذ الاربعة مهنتهم وبيوتهم واهلهم ليتبعوا هذا المعلم الفقير المحتقر آنئذٍ فتأسست منهم ومن رفقائهم القليلين الضعفاء الكنيسة المسيحية والنظام المسيحي الجديد الروحي الذي غيّر هيئة العالم وعتّق كل نظام سواهُ

قد جاء في الكتاب ان الله اختار داود عبدهُ واخذهُ من حظائر الغنم *** واتى بهِ ليرعى شعبهُ واسرائيل ميراثهُ(٣) والآن نرى يسوع يختار اندراوس وسمعان ويعقوب ويوحنا من بين صيادي السمك ليرقيهم الى درجة الرسولية المؤيدة الشرف والثواب ويجعلهم واسطة لمعجزات عديدة في

(١) تك ١٢:٣ (٢) عب ١١:٢٤–٢٦ (٣) مز ٧٨:٧٠ و٧١

حياتهم ولمعجزات روحية عامة اكثر واعظم منها جدًّا هي نتيجة الانجيل الذي كتبوهُ (١)

وبعد ان دعاهم تبعوهُ الى المدينة بصفة جديدة كمعلم دين يلازمهُ اشخاص من اتباعهِ يؤلفون واياهُ عائلة جديدة برأسها هو ويباشر تربيتهم . حتى وهو يعظ ويعلّم العموم في السبوت كان تعليمهم اولاً مرماهُ الخصوصي

الذين حضروا وعظهُ في مجمع كفرناحوم "بهتوا" . ومع انهم سمعوا وعّاظًا كثيرين وشهيرين قبلاً كان هؤلاء جميعًا يسندون اقوالهم الى اقوال العظماء من اسلافهم . ويمتازون بحسن الذاكرة والاعتناء في حفظ كلام أئمتهم الاقدمين عن ظهر القلب فكانوا يكثرون من سردهِ على مسامع الجمهور . وعلى هذا بنى الجمهور افتخارهُ بهم ومدحهُ اياهم

اما الآن فقد ظهر واعظ جديد لا يبالي بالعلوم المألوفة ولا الفلسفة ولا اقوال اولئك المشاهير . وبدلاً من ان يقول "قال الربي الفلاني" كان يقول "الحق الحق اقول لكم" . وان اعاد كلامًا قديمًا كان يصيّرهُ جديدًا في معناهُ وتأثيرهِ . وفي تفسير التوراة كان يريهم روح التعليم وليس حرفهُ فقط (٢)

وكان من جملة المجتمعين للعبادة في احد السبوت شخص "بهِ روح نجس" (٣) هذا الرجل المصاب بالحلول الشيطاني سمع الوعظ . ويظهر ان التأثير الروحي ابتدأ في قلبهِ . فهاج الشيطان الساكن فيهِ وجعلهُ يصرخ بصوت عظيم قائلاً "آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري . أتيت لتهلكنا . انا اعرفك من انت قدوس الله" . فظهر روح العداوة الشيطاني في قولهِ "ما لنا ولك" . واستعمال صيغة الجمع يدل على ان المتكلم يشعر ان فيهِ آخر

---

(١) في كل اللوائح في البشائر واعمال الرسل الحاوية اسماء الرسل تأتي اسماء هؤلاء الاربعة اولاً . وثلاثة منهم (بترك اندراوس) يتزعم يسوع مرارًا فوق سائر الرسل

(٢) لا يزال يلاحظ هذا الفرق في الوعظ والوعاظ (٣) لم يسمّ الشخص شيطانًا . بل قيل فقط ان "بهِ شيطانًا"

ينطقهُ وفي القول "اتيت لتهلكنا" اعتراف بسطوة يسوع عليهِ وعلى الشيطان الحالّ فيهِ. والقول الآخر "اعرفك من انت" يدل على معرفة عجيبة ليست لهذا الرجل البسيط بل للشيطان الذي طبعاً يفوق كثيراً اعرف البشر في المعارف العقلية

هجم ابليس على يسوع في انفرادهِ في البرية. وهجم ايضاً في تهييج اهالي الناصرة عليهِ وبقي هو مختفياً. اما الآن فهجم على هذا المعلم الجديد هجومهُ الأوّل العلني. ولم يرضَ ان يسكت بينما كان يسوع يُظهر الحقائق الروحية ويشرح طريق الخلاص وينادي بملكوت الله ويوضّح شروط الدخول فيهِ. هو عالم ان يسوع قد جاء لكي يحاربهُ وينقض اعمالهُ ويدمّر ملكوتهُ الفاسد ويسحق رأسهُ فكيف يمكنهُ ان يسكت

لربما نستغرب شهادتهُ الصريحة ليسوع بانهُ "قدوس الله" لعلها كانت النتيجة الاولى من سطوة يسوع عليهِ والثانية طردهُ من هذا الرجل. وبما ان لشهادة العدو قيمة مضاعفة اراد يسوع ان يُري الجمهور ان الشيطان ايضاً مضطرٌ ان يشهد لهُ. وهذه شهادة الشيطان الاولى ليسوع امام الناس ولكنها ليست الاخيرة[1]. حالما ادّى المصاب هذه الشهادة المعتبرة انتهر يسوع الشيطان قائلاً "اخرس واخرج منهُ" فاصبح الجمهور كلهُ منتظراً ليرى ماذا يحدث. ففي الحال "صرع الشيطان الرجل وصاح بصوت عظيم وخرج منهُ ولم يضرّهُ شيئاً" فلا عجب اذا "وقعت دهشة على الجميع وتحيروا كلهم" وظهرت في ذلك الكنيس الموقّر حركة لم تحدث فيهِ قبلاً. وصاروا يتساءلون من هو هذا الشخص المقتدر الذي اتى ليسكن بينهم. وما هو هذا التعليم الجديد المقرون بمعجزات كهذهِ. ومن اين حصل ابن النجار على سلطة تمكنهُ من ان

(١) سنرى ان رداءة الرؤساء وبغضهم يسوع جعلهم يتخذون شهادة الشياطين له حجة لاتهامهِ انهُ يخرج الشياطين بواسطة اتحادهِ مع رئيس الشياطين بعلزبول (مت ١٢: ٢٤)

يُطاع من الارواح الشريرة [١]

ان يسوع اثبت في معجزتهِ الاولى [٢] سلطتهُ على النواميس الطبيعية. وفي الثانية سلطتهُ على الامراض الجسدية [٣] . وفي هذه الثالثة اعلن سلطتهُ على القوات الشيطانية . وهذه القوات الثلاث في العلاقات البشرية تبرهن مناسبة هذه الانواع الثلاثة من المعجزات في بداءة خدمتهِ بيانًا لاهليتهِ ان يكون مخلصًا للبشر بكل معاني الكلمة

تطاير سريعًا هذا الخبر عن اوّل واقعة علنية حدثت بين "رئيس بيت داود" "ورئيس هذا العالم" فيها ذلّل الاوّل الثاني وقهرهُ . "فخرج صيت عنهُ للوقت في كل الكورة المحيطة بالجليل" . في البرية دافع يسوع عن نفسهِ في محاربتهِ ابليس . وهنا في كفرناحوم دافع عن غيرهِ وابان لتلاميذهِ الجدد ولابليس ذاتهِ ولسكان الجليل ولكل اجيال البشر انهُ قادر ان يقهر ابليس ليس في صدرهِ هو فقط بل ايضًا في صدور الآخرين . هذه كانت من اعظم المثائل الخيرية الممكن اعطاؤها لبني البشر في كل زمان

لا يسعنا السكوت تجاه هذا الحادث الغريب دون طلب بعض الايضاح في امر السكن الشيطاني الذي يُذكر كثيرًا في ايام يسوع وبعدهُ كأنهُ من اهم الامور . والمرجّح ان الشيطان بمناسبة مجيء المسيح مخلصًا الى العالم ضاعف قوّتهُ وتسلّط على البشر فوق المعتاد . ولم يكن ذلك الاّ سماحًا من البارئ لتكون غلبة يسوع عليهِ ابهج ونتيجتها اعظم [٤] . ولان الشيطان يعرف قيمة القوى

---

(١) نرى في عدم الاعتراض على هذا العمل في السبت المقدس دليلًا على ان التعصب المذهبي كان في الجليل اخف منهُ في اليهودية (٢) تحويل الماء خمرًا (٣) شفاء ابن خادم الملك (٤) يجوز ان هذه الحركة الشيطانية ظهرت فقط في المحيط الذي كان يسوع فيهِ . وسميت هذه الارواح احيانًا شياطين (مت ١٠: ٨) واحيانًا ارواح شريرة (اع ١٩: ١٢) واحيانًا ارواح نجسة (مر ٥: ٢) وكان يرافق السكن الشيطاني اعراض مختلفة كالخرس (مت ٩: ٣٢ ولو ١١: ١٤) والعمى (مت ١٢: ٢٢) والجنون (مر ٥: ٢) والصرع (لو ٩: ٣٩)

العقلية في الانسان كان الجنون رفيقًا قانونيًا للاستيلاء الشيطاني الخصوصي. وكثيرًا ما كان المصاب يُسمّى مجنونًا فقط. فهل كان ما يسميه الانجيل الاحتلال الشيطاني هو مجرّد الاختلال العقلي المسمى الآن جنونًا؟

كان يجوز هذا التفسير لو كان يسوع من الذين ينقادون الى الخرافات الجارية. اولو كان من الذين يتساهلون في الاوهام الدينية ويستخدمونها لاغراض يعدُّونها حسنة. ممكن ان ينسب هذا الى بشرٍ قاصرٍ في الفهم او في الاستقامة لكن ليس ليسوع. فلما نسمعهُ يخاطب الشيطان كشخص غير الشخص الذي يحضر امامهُ ويقول "اخرج منهُ يا ايها الروح النجس" "اخرس واخرج منهُ" نعلم ان عاقلاً ومستقيمًا كيسوع لا يمكن ان يقول اقوالاً تُشبّه بالخزعبلات الصبيانية اذا كانت الاصابة هي مرض الجنون المعهود. ولو كان كلام الشخص الذي بهِ شيطان كلام اختلال عقلي فقط لما كان يشهد المجنون شهادات عجيبة بامور لم يعرفها احد في ذلك الوقت. ولا يوجد في شفاء الجنون ما يشبه الصرع والآلام المرافقة لاخراج الشياطين

ويلاحظ ايضًا ان اخراج الشياطين كان كفرع خصوصي من اعمال يسوع ورسلهِ مستقلٍّ عن شفاء الامراض. بناء على اسباب كهذهِ مع اعترافنا بالصعوبة الكلية في هذا الامر لا مناص لنا من القول ان هذا النوع من الاصابات التي يسميها الانجيل ليس "شفاء" بل "اخراج شياطين" لا يجوز حسبانهُ مجرّد مرض الجنون المألوف

ثم خرج يسوع ومن معهُ من الكنيس وجاءوا توًّا الى بيت سمعان بطرس. اما لانهُ كان ساكنًا هناك او ان بطرس دعاهُ ليضيفهُ اظهارًا لامتنانهِ للشرف الذي ألبسهُ اياهُ بدعوتهِ ان يصير صيّاد الناس وان يلازمهُ كتلميذ دائم. ولربما اشترك مع عاطف الشكر عاطف الامل ايضًا ان معلمهُ وسيدهُ يُظهر في بيتهِ قوة الشفاء التي اظهرها في بيت خادم الملك منذ عهد قريب في هذه المدينة؟ اذ كانت حماتهُ مريضة في بيتهِ "وقد اخذتها حمّى شديدة". يظهر

ان بطرس لم يرَ من اللياقة ان يكلف يسوع في امرها. لكنهُ وُجد من ينوب عنهُ. "فاخبروهُ عنها وسألوهُ من اجلها". لا نعلم بأي كلام انتهر الحمى لكنهُ "اقامها من فراشها ماسكًا بيدها فتركتها الحمّى حالاً". وكان شفاؤها معجزة مزدوجة لان الضعف الكلي الذي يتولد من حمّى شديدة زال بغتةً حتى امكنها ان تمارس حالاً شغل البيت. وبذلك صارت مقدمة النساء اللواتي تبرعنَ في خدمة يسوع بعد شروعهِ في وظيفتهِ[1]

فانتشر سريعًا في كل البلد خبر ما فعلهُ يسوع عند ضحى ذلك السبت في شفاء حماة سمعان بعد اخراج الشيطان في الكنيس امام عيون العموم فانتظر اهل المدينة الى ما بعد غروب الشمس احترامًا لنظام السبت. ثم اتوا بمرضاهم طالبين الشفاء من هذا القادم العجيب الذي قد استوطن عندهم. وظاهر الخبر هو انهُ لم يبقَ في كفرناحوم عليل. "لان جميع الذين كان عندهم سقماء بامراض مختلفة قدموهم اليهِ فوضع يديهِ على كل واحد منهم وشفاهم". فما اعظم ذلك السبت اذ "كانت المدينة كلها مجتمعة على باب بيت" سمعان بن يونا الصياد[2]

يخص البشيرون في سرد هذا الخبر المصابين بالسكن الشيطاني الذين كان عددهم وافرًا. ويظهر انهُ لم يضع يدهُ على هؤلاء كما فعل في سائر الامراض لانهُ يقول ان الشياطين كانت تخرج بكلمة. في الكنيس قال للشيطان "اخرس" بعد ان شهد لهُ انهُ "قدوس الله". وفي المساء زادت شهادات الشياطين لهُ قوةً ووضوحًا. اذ انهم كانوا يصرخون قائلين "انت المسيح ابن الله". فانتهرهم يسوع "ولم يدعهم يتكلمون لانهم عرفوهُ انهُ المسيح". فلما رأى

---

(١) من الاتفاق الغريب قول يوسيفوس ان الحميات الخبيثة كانت كثيرة في كفرناحوم بسبب المستنقعات حولها التي افسدت المناخ (٢) ان ما فعلهُ عن يسوع يجعل الظن معقولاً انهُ اتخذ بيت رسولهِ الاوّل منزلاً لهُ في كفرناحوم اذ بذلك تيسر لهُ ان يربي ويدرب هذا الرسول بتدقيق اكثر

اهل المدينة ان الشياطين تسميه المسيح وابن الله أما شعروا انه مستحيل على الابالسة ان تعظّم كذبًا الشخص الذي يطردها او ليسوا هم كشعب الله اولى بتأدية شهادة كهذه ؟

ما اجمل صورة هذا الحسن واقفًا عند باب البيت في اوّل ساعات الليل يمدّ يدهُ اللطيفة ليمسّ كل عليل يتقدم اليه . فقد برهن بذلك اشتراكهُ القلبي في مصائب هؤلاء المساكين. وابان لهم ان القوة للشفاء هي فيه وان فعلها يتصل اليهم منه على طريق انامله متحولاً في طريقه الى انواع الصحة المطلوبة على اشكالها حسب الاقتضاء. وبهذا العمل افهمهم (ان شاءوا ان يفهموا) ان امراضهم الروحية قابلة ايضًا الشفاء . وانه قادر على هذه كما على تلك . ومستعدّ لشفائها جميعًا ان طلبوا ذلك منه. حقًّا قال عنه النبي "احزاننا حملها واوجاعنا تحمّلها" (١)

هذه بداءة اشتغال يسوع بخدمته الطويلة في شفاء الامراض ونؤكد انه في كل اعماله الشفائية كان ينظر اولاً الى العلاقة المتحتمة بين الخطيئة والامراض. لان الجنس واحد اذ المرض خلل في الاجسام وافساد الوضع الاصلي الالهي الحسن . والخطيئة خلل في النفوس . وكان قصد يسوع الخصوصي بيان استعداده ومقدرته على منح الشفاء للنفوس من داء الخطيئة . لانه اتى " ليخلص شعبهُ من خطاياهم "(٢) . وظهر " كحمل الله الذي يرفع خطية العالم "(٣) . نزل من السماء لينال به كل من اراد مغفرة الخطايا. وطالما الامراض هي في الاصل نتيجة الخطيئة صار من الضروري ان الذي يحارب الخطيئة يحارب نتائجها ايضًا وان لا يتغاضى عن الفرع في مطاردته الاصل . علِم ان الناس يحتاجون الى ما يشوقهم لطلب الشفاء الروحي لان الخطيئة تميت الشعور الروحي. فقصد ايقاظ الناس بواسطة معجزات الشفاء وتذكيرهم بلذة الشفاء الاهم . ثم ان محبة للبشر الذين اتى ليخلصهم قادهُ الى الاشفاق عليهم في مصائبهم كافة والى تقديم كل اسباب

(١) اش ٥٣ : ٤ (٢) مت ١ : ٢١ (٣) يو ١ : ٢٩

الراحة والسرور للجميع على قدر الامكان

فكل من فيه روح المسيح يهتم في تخفيف ويلات بني جنسه والامراض اعظمها . والروح المسيحي يقود الاطباء الى مخاطرات كلية بحياتهم وتضحية اوقاتهم واموالهم لاجل اكتشاف اسباب الامراض ثم معالجتها . لانهم يحسبون محاربة الامراض مجانسة لمحاربة الخطيئة . ويعتبرون الاهتمام بخير البشر الجسدي فعلاً ضرورياً مع الاهتمام بخيرهم الروحي . الروح المسيحي يقود الشعب المسيحي احياناً الى انشاء المستشفيات والملاجئ على انواعها التي لا وجود لها في العالم القديم او الحديث الاَّ في البلاد المسيحية او التي انشأ فيها اولاً المسيحيون فرع الاحسان هذا

"يسوع المسيح هو هو امساً واليوم والى الابد"[1] . لذلك يهتم الآن بامراض البشر ويريد تخفيفها . وكما كان يشفي المرضى في اماكن لم يكن حاضراً فيها جسدياً يفعل الآن . ويريد ان يأتيه الآن كل مريض طالباً منه الشفاء وان يحسب الطبيب الذي يُستدعى للعيادة مأموراً منه . والعلاج الذي يستعمله مرسلاً منه . وان يُشكر على نيل الشفاء كانه هو الطبيب الاصلي وان الشفاء هبة منه . قال الرسول "أمريض احد بينكم فليدعُ شيوخ الكنيسة فيصلّوا عليه ويدهنوهُ بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمهُ"[2] . في الامراض يحسب المؤمن ان يسوع هو الطبيب الماهر الشهير وان الطبيب البشري هو كالمرّض الذي يأخذ تعليماته من الطبيب ويعامل العليل بموجبها . فمهما كان اتكالنا على الطبيب والمرّض عظيماً وشكرنا لهما عند النهوض من المرض وافراً يكون الاتكال الاعظم والشكر الاوفر للطبيب الذي درّجهما استجابةً لاستغاثتنا به

رأينا يسوع محاطاً بالجماهير انما الازدحام الدائم لا يوافقه . فلا يستغني مطلقاً عن الاختلاء مع الآب السماوي . ولذلك "في الصبح باكراً جداً لما صار

(١) عب ١٣ : ٨ (٢) يع ٥ : ١٤ و ١٥

النهار قام وخرج ومضى الى موضع خلاء وكان يصلي هناك" كانت خدمة للناس تسوقهُ الى الصلاة لله لانهُ بواسطة الاختلاء مع الآب يتأهَّل لعملهِ اليومي الخطير بين الناس . كانت صلاتهُ لله تقودهُ الى خدمة الناس حبًّا لله فيعود من صلاتهِ الى اعمالهِ بنشاط جديد وفرح مضاعف . حياة كلها صلاة تفتقد الآخرين خدمة المصلي . وحياة كلها خدمة تفتقد نفس العامل ما يحتاج اليهِ من الفوائد الروحية التي بها يقدر ان يخدم الآخرين الخدمة العظمى والاسمى . فمع طهارة يسوع التامة وقوتهِ الفائقة وكل كمالاتهِ كانت طبيعتهُ البشرية تحتاج الى الصلاة . وكانت هذه لذتهُ العظمى لا بل تنفسهُ الروحي الضروري الدائم. فمن اهم فروع الاستفادة من يسوع والاقتداء بهِ فرع صلاتهِ الانفرادية

لكن لم يرضَ الجمهور ولا تلاميذ يسوع الجدد باختلائهِ هذا . فشرع بالتفتيش عنهُ بطرس والذين معهُ. ولما وجدوهُ قالوا لهُ "ان الجميع يطلبونك. وامسكوهُ لئلاَّ يذهب عنهم ايضًا ". اما هو فلم يسلِّم لانسان حتى الحكم في كيفية حركاتهِ بل كان يتبع دائمًا هدي الروح الذي حلَّ عليهِ عند اعتمادهِ . فبينما يتمثل لطلب الناس تلطُّفًا يستقلُّ عنهم ويخالف طلبهم. ولهذا قال "ينبغي ان أُبشر المدن الأُخر بملكوت الله . لنذهب الى القرى المجاورة لاكرز هناك ايضًا لاني لهذا قد أُرسلت"

فشرع من ذلك الوقت بخطة جديدة خلافًا لعادة الشرقيين من معلمين ورؤساء في الدين وهولاء يتبعون خطة المعدان اذ يتخذون مراكز يستقبلون الناس فيها . والذي لا يقصدهم لابراهم ولا يسمعهم . اما خطة يسوع فكانت على قاعدة "لان ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك"[1] وخصَّ مقاطعة الجليل وطنهُ في جولاتهِ هذا الاوَّل . وقد اشار البشير

(١) لو ١٩: ١٠ الغلط العظيم الذي وقعت فيهِ الكنيسة المسيحية في اكثر الاجيال والاماكن هو تركها خطة يسوع التي تقضي بطلب الضالين والتفتيش عنهم واكتفاؤها بالشعب

الى انواع عملهِ الثلاثة في هذا الجولان . اولاً الكرازة ببشارة الملكوت كما رأيناهُ يفعل في اليهودية . ثانيًا محاربة ابليس وتحرير الناس من سكنهِ فيهم كما فعل في مجمع كفرناحوم صباح ذلك السبت الشهير . ثالثًا "شفاء كل مرض وكل ضعف في الشعب" كما فعل في مساء ذلك السبت عينهِ

اما هذا الشافي فجعل ذاتهُ شريكًا للبشر في آلامهم . وصفهُ النبي اشعياء بكلام هذه ترجمتهُ في النسخة اليونانية. "هو اخذ اسقامنا وحمل امراضنا"[1] . وقال فيهِ الرسول "انهُ مع كونهِ ابنًا تعلم الطاعة مما تألَّم بهِ"[2] "وتكمل بالآلام"[3] "وكان ينبغي ان يشبه اخوتهُ في كل شيء لكي يكون رحيمًا *** لانهُ في ما هو قد تألم مجربًا يقدر ان يعين المجربين"[4] . فيرجح انهُ اخذ نصيبهُ من عذابات الامراض في سنيهِ السابقة في الناصرة . لان سني خدمتهِ العلنية لم تفسح لهُ مجالاً ليتفرَّغ لاختبار الامراض . وبما ان الانجيل قد سكت عن كل ما حدث منهُ ولهُ في تلك السنين لايكون عدم ذكر وقوعهِ في مرض منافيًا للظن بانهُ اخذ نصيبهُ من ذلك . ولا تكون سلامتهُ من الخطيئة موجبًا لسلامتهِ من المرض الذي يُعدّ من نتائج الخطيئة . لانهُ تحمل كل نتائج الخطيئة حتى الدينونة بسببها لكن دون شيء من ادناسها . لانهُ وضع نفسهُ مقام الخاطىء[5] لكي يكفّر عنهُ ويفتديهُ من لعنة الناموس[6]

—.—

الموجود فيها ومن يتسلسل منهم مع ترك الاشرار لشرهم كأن لا مسؤولية على الكنيسة من اجلهم (١) مت ٨: ١٧ مع اش ٥٣: ٤ (٢) عب ٥: ٨ (٣) عب ٢: ١٠
(٤) عب ٢: ١٧و١٨ (٥) ٢كو ٥: ٢١ (٦) غل ٣: ١٣

الفصل السادس عشر

مت ٨: ١ – ٤ و ٩: ١ – ٨ مر ١: ٤٠ – ٢: ١٢ لو ٥: ١ – ٢٦

(المرصع) ف ١٠ (الزمان) اذار سنة ٢٨ م
(المكان) الجليل . بحر طبرية

البرص وتطهير مصاب به. اهانة يسوع لمذهب اليهودي . معاملة الابرص عند اليهود عجيبة صيد السمك . ترك التلاميذ الاربعة صيد السمك واتباعهم يسوع . شفاء مفلوج . غفران الخطايا . اتهام الرؤساء اياهُ بالتجديف وجوابهُ على ذلك

بين كل انواع المرض التي قيل ان يسوع شفى منها فاق عدد الذين شفاهم من مرض البرص اي الجذام المعروف ايضاً باسم الداء الكبير . وقد خُصَّ هذا المرض من قديم الزمان رمزاً للخطيئة ونجاستها[1] . حتى سمي الشفاء منهُ تطهيراً . وخُصَّ ايضاً لاجل اعلان غضب الله على المخالفين في حوادث شتى[2] . وبين كل ما ذكر في كتب اليهود الطبية من ادوية ومعالجات للامراض كافةً لا ذكر لعلاج هذا المرض . لانهم تأكدوا انهُ عديم الشفاء الاَّ بمعجزة الهية . وظهر اعتقادهم هذا جلياً في جواب ملك اسرائيل في زمن اليشع في قصة نعمان السرياني[3] . لذلك كان هذا المرض هو الوحيد الذي يقضي على المصاب به ان يُفرَز عن جميع الناس حتى عن اهل بيتهِ[4] . وان دخل بلداً يجازى باربعين جلدة . وكان يُعدّ المصاب كأنهُ ميت[5] فيتنجس

(١) لا ١٣: ٢ و ٤٤ و ٤٥ (٢) مريم اخت موسى عد ١٢: ١٠ وجيحزي ٢ مل ٥: ٢٧ والملك عزيا ٢ مل ١٥: ٥ (٣) ٢ مل ٥: ٧ و ١٥ (٤) عد ٥: ٢ (٥) عد ١٢: ١٢

من يلمسهُ كما لو لمس جثة ميت. حتى ان الابرص كان مجبوراً ان يمارس فرض الحداد نظير تمزيق ثيابهِ والكشف عن راسهِ وتغطية فمهِ وترك الاغتسال وما اشبه. وعليهِ ان يحذّر كل انسان من الدنو منهُ بصراخهِ الدائم "نجس نجس". وهو المرض الوحيد الوراثي الذي كان ينتقل من الوالدين الى الاولاد[1]. وان أُصيب انسان بهِ او بما يشتبه بهِ انهُ برص ثم تحققت سلامتهُ منهُ فيما بعد كان يتوجب عليهِ استحصال شهادة كهنوتية بهذه السلامة[2]

لا يقدر ان يفهم قصة يسوع الاَّ من يتذكر انهُ كان يهودياً بحتاً امينا. وُلد في اعرق نقطة من البلاد اليهودية ومن انقى واشرف نسل يهودي. لان الظاهر انهُ اقترن في شخصهِ السلالتان الملكية والكهنوتية. وصرّح انهُ لم يُرسل الاَّ الى خراف بيت اسرائيل الضالة. فحصر خدمتهُ (الاَّ الجزئي منها) في الارض اليهودية ومع الشعب اليهودي. ولم ينتخب رسولاً من الاثني عشر الاَّ يهودياً. وامتثل حتى ساعة صلبهِ لكل الرسوم اليهودية الجوهرية. فلم يتخذ اسماً جديداً خارجاً عن اسمائهم. ولم يقم معبداً او ينظّم شعباً منفصلاً عنهم. لم يكتب كتاباً ليزيد على كتبهم او يخالفها. وقبل لقب ملك اليهود عند محاكمتهِ[3] فوُضع عنواناً فوق راسهِ على صليبهِ[4]. وهذه الحقيقة تحملنا على اجلال الاسم اليهودي وعلى محبة الشعب اليهودي وعلى توقير شريعة اليهود وتواريخهم وعلى الاقرار بالدَّين الذي لا تقدّر قيمتهُ الذي للمذهب اليهودي على المذهب المسيحي بل على العالم اجمع

كان يسوع يوماً في احدى المدن فاتاهُ رجل مصاب بهذا المرض على رغم الموانع المنيعة التي تحول دون مجيئهِ. ولا بد ان يشتت اقتحامهُ جمهور الحاضرين حذراً من التنجّس من هذا المنفي. لان هيئتهُ الكئيبة توجب

(١) ٢مل ٥:٢٧ و٢اصم ٣:٢٩ (٢) اما انتشار هذا المرض منذ القديم فيتضح من لو ٤:٢٧ و٢مل ٧:٣—١١ ونظراً لاهمية هذا الداء ومعاملتهِ كرمز لخطيئة نجد ان ١١٦ عدداً في التوراة خصّصت لشرحهِ (٣) مت ٢٧:١١ (٤) يو ١٩:١٩ و٢٠

الاقشعرار . ورأسهُ المحلوق مكشوف وثيابهُ ممزّقة تمزيقًا رسميًّا وصوتهُ الاجشّ من تأثير المرض في حنجرتهِ يصرخ تحذيرًا للجميع "نجس نجس نجس". ووجههُ مبشع من هربان انفهِ واذنيهِ وشفتيهِ وجفنيهِ لانهُ حسب قول البشير مملوءٌ برصًا(١)

"فلما رأى هذا الابرص يسوع خرّ على وجههِ وسجد لهُ" يا ايها التعيس في الظاهر انت بالحق سعيد. لان روح الله الهمك ان تسجد لهذا الرجل الذي دعوتهُ "يا سيد". لم يسبقك الى هذا السجود الاَّ المجوس من المشرق الذين سجدوا لهُ في طفوليتهِ. اما بعدك فيقتدي بك ملايين الملايين من صفوف البشر كافة من ادناها الى اعلاها

ولكن كيف قبل يسوع هذا السجود؟ لم يبرح بعد من آذاننا صوتهُ الرهيب في برية التجربة لما طرد ابليس من امامهِ بقولهِ لهُ "مكتوب للرب الهك تسجد واياهُ وحدهُ تعبد"(٢). ورسلهُ حتى وملائكتهُ يوقفون بحدّة سجود الناس لهم لانهُ لا يجوز(٣). فهل هم اصلح منهُ واكثر غيرة على حقوق الذي وحدهُ يحق لهُ السجود؟ ألا يضطرنا الامر ان نرى في قبولهِ هذا السجود الاوّل الذي تقدّم لهُ بعد ظهورهِ دليلاً كافيًا انهُ يعلم ان لهُ حقوقًا الهية؟

(١) مما يستحق الذكر في هذا المرض هو ان ميكروبهُ الذي صار اكتشافهُ في سنة ١٨٧١ يعيش طويلاً. وقد وجدوهُ حيًّا بعد عشر سنين في قطعة جلد مغلفة في ورقة كانت لانسان مصاب. وقد يدوم في الجسم الحي اربعين سنة ومعدّل دوامهِ يحسب ١٨ سنة. وقد حاول علماء الطب والبكتيريولوجيا ادخال هذا الميكروب في جسم احد الحيوانات لاجل الامتحانات الطبية. فلم يتمكنوا من ذلك كأنهُ لا يعيش الاَّ في الجسم الانساني. تقرأ في التاريخ ان هذا الداء قد انتشر في اوربا انتشارًا هائلاً في القرون المتوسطة اي بين ١١٠٠ و١٥٠٠ مسيحية حتى بُني في تلك القارة تسعة عشر الف مأوى وفي انكلترا وحدها ١٩٢ لاجل افراز البرص فيها. واصطلحوا في ذلك الوقت على معاملة الابرص كميت وكانوا يقيمون عليهِ فرض الجنازة ويضعون على رجليهِ نراباً كاليت ويجعلونهُ يخلع ثيابهُ في الكنيسة ويتركها فيها ويلبس ثوبًا اسود ثم يطرد منها ولا يعود يجوز لهُ الحضور فيها

(٢) مت ٤:١٠ (٣) اع ١٠:٢٥ و٢٦ و١٤:١٢ و١٥ ورؤ ١٩:١٠

يدهشنا ايمان هذا البائس ونحار في امرهِ كيف تولد فيهِ هذا الايمان. كان لسان حال المصابين الذين لجأوا الى يسوع كقول أب الولد في قيصرية فيلبس "ان كنت تستطيع شيئًا فتحنّن علينا واعنّا"(١) مع ان علمهم لم تكن بعيدة عن الرجاء كعلة هذا الرجل الذي قال "يا سيد ان اردت تقدر ان تطهرني". حكم لنفسهِ دون ادنى ريب بمقدرة يسوع على هذا العمل الذي لا يقدر عليهِ الاَّ الاله. لكنهُ لتواضعهِ ولياقتهِ لم يجسر ان يحكم هل يشاء يسوع او لا يشاء ان يشفيهُ. ومع شدة حاجتهِ احترم حرية ارادة يسوع فاستحق الاكرام على ذلك والالتفات الى امرهِ

وبناء على ما ظهر منهُ لم يرَ يسوع موجبًا لامتحانهِ بتأجيل الاستجابة الى حين كما امتحن غيرهُ. بل لاشى ارتيابهُ حالاً بخصوص ارادتهِ ان يشفيهُ. ولاسيما لكونهِ يريد ان يعلن بمعاملتهِ لرمز الخطيئة انهُ لا يؤجل دقيقة واحدة طلب من يروم الشفاء من خطاياهُ والخلاص بمغفرتها. يهمنا ان نلاحظ ان ما دفع يسوع لتطهير هذا الابرص لم يكن لحاجة العليل لانهُ لم يكن لجوجًا. ولا حب الافتخار وطلب الصيت. لانهُ اوصاهُ ان لا يخبر بالمعجزة. فعل لانهُ تحنن. واظهارًا لحنانهِ "مدَّ يدهُ ولمسهُ" تقربًا منهُ(٢). وكيهودي فعل ما كان محرَّمًا عند اليهود لما لمس هذا الابرص

نرى في لمس يسوع هذا الابرص امورًا هامة. كافأهُ يسوع على ايمانهِ العجيب في بابهِ اذ طيَّب قلبهُ باقترابهِ ولمسهِ اياهُ بعد سني نفيهِ واجتناب الجميع (حتى اهلهِ) اياهُ وبعد عذاباتهِ المتنوعة في المرض الشنيع. كان التنجُّس من الابرص امرًا رمزيًا. ولان يسوع أتى ليتمّ الرموز ثم يلغي ما يتمّهُ ألغى بلمسهِ هذا الابرص سنّة التنجُّس من البرص. ألغى رمزًا ووضع مكانهُ رمزًا جديدًا.

(١) مر ١:٤٠ (٢) بما ان بشارة متى موجهة الى اليهود بالاكثر لا يذكر فيها معجزة ليسوع قبل هذه التي لها علاقة خصوصية بالنظام الموسوي. لكنها وردت ايضًا في بشارتي مرقس ولوقا

وهو اللمس. أخذ على نفسهِ نجاسة الابرص لكي يعطي الابرص بذلك طهارةً. فكان هذا رمزًا الى عملهِ الفدائي الذي استوجب ان يرسل الله ابنهُ في شبه جسد الخطيئة[1]. "ويجعل الذي لم يعرف خطيئة خطيئةً لنصير نحن برَّ الله فيهِ"[2]

واعلن ايضًا ان الارادة الالهية هي ما صرَّح الله بهِ لشعبهِ في قولهِ "اني اريد رحمةً لا ذبيحة"[3]. ولأن شريعة المحبة للقريب كالنفس تقضي بلمسهِ لا تقف في وجه ذلك شريعة التنجُّس. فخالف شيئًا من حرف الناموس احترامًا واتمامًا لروحهِ اي المحبة والاشفاق. واظهر ان اهتمامهُ ينصرف الى التنجس الداخلي قبل الخارجي واكثر منهُ. وفوق ذلك اقتضى ان يوضح ويؤيد سلطانهُ كصاحب الشريعة واصلها كما في قولهِ بعد ذلك "ان ابن الانسان رب السبت ايضًا"[4]. فهو يتمّ الشرائع ويلغيها او يؤيدها كما يشاء. ولكونهِ يهوديًا حقيقيًا امينًا وضع عنقهُ اختياريًا تحت نير النظام الموسوي. ولكن اظهر في اكثر اقوالهِ واعمالهِ ما يميزهُ عن سائر البشر في حين مماثلتهِ اياهم في كل ما يوافق او يجوز. فابتهج هذا المسكين بلمسهِ ثم زادهُ ابتهاجًا وملأ قلبهُ وفمهُ شكرًا لما ازال ريبهُ بخصوص ارادتهِ ان يشفيهُ بقولهِ "اريد فاطهر". هاتان الكلمتان صيَّرتاهُ انسانًا جديدًا في الخارج وفي الداخل

رأى يسوع ان في انتشار هذا الخبر ضررٌ. وان الرجل هائج ابتهاجًا وراغب في نشرهِ. فانتهرهُ وارسلهُ[5] للوقت واوصاهُ "لا تقل لأحد شيئًا". والسبب لذلك كون يسوع قد تنجَّس في اعين العموم بلمسهِ الابرص. وهذا الخبر يعيق عملهُ ان شاع كثيرًا. والسبب الآخر هو قصد يسوع ان لا يزيد الازدحام الذي يقف في وجه عملهِ الاهمّ في الكرازة والتعليم[6]

(١) رو ٨:٣ (٢) ٢كو ٥:٢١ (٣) هو ٦:٦ (٤) مر ٢:٢٨

(٥) الكلمة اليونانية اقوى من هذه وتدل على شيء من العنف لاجل اقناعهِ ان يطيع

(٦) القديس يوحنا فم الذهب يفسر ان يسوع قصد في هذه المرَّة كما في غيرها ان يحضَّ الذين شفاهم على التأمل بسكوت ووقار في مراحم الله الفائقة نحوهم. وان يجنبهم من الكبرياء فيما اذا ادهشوا الكثيرين بما حدث لهم وحصلوا بذلك على شهرة

ومن الواجب على هذا الرجل اليهودي ان يخضع دون تردُّد للنظام الموسوي. فالحّ عليهِ يسوع ان يسرع بالذهاب الى الكهنة في اورشليم لكي يحصل على الشهادة التي تعلن براءتهُ وتعيدهُ الى كامل حقوقهِ بين شعبهِ. ومع ان هذا الامر ليس سهلاً ولا بسيطاً كان لا بدَّ منهُ. وقد يكون سبب آخر مختص بالرجل. هو يفتقر كلياً الى شهادة الكهنة في اورشليم. ففي كرههم يسوع قد يمسكون عن هذا المسكين الشهادة اللازمة متى سمعوا ان شفاءهُ كان من يسوع. فقال لهُ اذهب أرِ نفسك (اي ذاتك) للكاهن[1]. اما هذا

(١) بياناً لصحة قول بطرس في وعظهِ لما سمَّى الفرائض اليهودية "نيرٍ لم يستطع اباؤنا ولا نحن ان نحملهُ" (اع ١٥: ١٠) يوافق ان نبين تفاصيل الغرض المتضمن في القول "ارِ نفسك للكاهن". فيكون مثالاً تقاس عليهِ الفرائض الاخرى الثقيلة التي ازالها انجيل يسوع المسيح ابن الله. يضطر هذا المسكين ان يسافر مسافة بضعة ايام الى اورشليم ويبيت خارج المدينة. ثم يرسل يطلب كاهناً يخرج اليهِ ويحلق شعرهُ تماماً. (لانهُ ان بقي ولو شعرة يفسد العمل) ثمَّ يذبح عصفوراً ويصفي دمهُ في ماء في صحن صغير خزفي ويرش من الدم على عصفور ثانٍ حي. ثمَّ يطلق هذا الطير الى البرية. ويستعمل في الرش خشب ارز مربوطاً مع قرمز وباقة زوفا. وبعد فحص الكاهن كل جسمهِ بالتدقيق يستحمّ ويغسل ثيابهُ العتيقة في ماء جارٍ ويلبس ثياباً جديدة. ثم في اليوم الثامن يفحصهُ الكاهن ثانيةً ويقص الشعر الذي نبت جديداً ويستحمّ ثانيةً ويتحفظ كل التحفظ من التنجس بشيء حتى يجوز لهُ الدخول الى الهيكل في الصباح التالي ليتم التطهير ان وجد سالماً من البرص. ثم في الهيكل يقدم ثلاثة حملان حولية ذكرين واثنى. ويقف خارجاً. ثم يأخذ الكاهن حملاً ويوجههُ الى الجهات الاربع. ويأخذ صحناً من الزيت فيلوّح بهِ ايضاً الى الجهات الاربع. ثم يقود الحمل الى الرجل فيضع يديهِ على راس الحمل ويعترف بخطاياهُ ويقدمهُ ذبيحة عن خطيئتهِ. فيذبحهُ كاهنان في الجانب الشمالي من المذبح. ويتلقى احدهما الدم في طست والثاني في يدهِ. فالذي يأخذ الدم بالطست يرشهُ على المذبح. والذي يأخذهُ بيدهِ يذهب الى الرجل ويضع من الدم على اذنهِ وعلى ابهام يدهِ اليمنى وابهام رجلهِ اليمنى. ثم يأخذ احد الكهنة زيتاً من الصحن ويسكبهُ في يد الكاهن الآخر اليسرى وهذا يرش منهُ باصبع يمينهِ سبع مرات لجهة قدس الاقداس. ثم يدهن بزيت اجزاء جسم الرجل التي دُهنت اولاً بدم. ويسكب ما بقي من الزيت على راسهِ. وبعد هذا يدخل الرجل الى دار الهيكل ومنها الى دار الكهنة. وهنا يذبح الشاة بعد ان يضع الرجل

المجهول الاسم فسبّب بعدم امتثالهِ لامر شافيهِ انزعاجًا للمفضل عليهِ لانهُ سبّب ازدياد الازدحام. قال البشير "خرج وابتدأ ينادي كثيرًا ويذيع الخبر. فاجتمع جموع كثيرة حتى لم يعد يقدر يدخل مدينةً ظاهرًا بل كان خارجًا في مواضع خالية يعتزل في البراري ويصلّي"

في هذه الاوان عاد تلاميذهُ الى صيد السمك. وفي احدى الليالي التي قضاها كلها بطرس وشريكاهُ يعقوب ويوحنا وربما اخوهُ اندراوس ايضًا في الصيد ولم ينالوا الاَّ الفشل. فرجعوا صباحًا الى الشاطىء خائبين وارسوا. ثمَّ غسلوا الشباك حسب عادتهم على البر. وما لبثوا الاَّ قليلاً حتى حصل ازدحام مفرح حول معلمهم على هذا الشاطىء. وكان مفرِحًا لان رغبة الجمهور في استماع "كلمة الله" صيّرتهُ من البهج المناظر في الدنيا اي جمهور ملتئم ليسمع كلمة الله

وتسهيلاً للسكوت بين الجمهور ولايصال الصوت الى السامعين جعل يسوع منبرهُ سفينة تلميذهِ سمعان بطرس. صعد بطرس اليها معهُ وجعلهُ يبعد قليلاً عن البر ثمَّ جلس وابتدأ بوعظهِ. ومع انهُ حفظ لنا بعض كلامهِ عن منبر بئر سوخار. لم تُحفظ لنا كلمة واحدة من درر كلامهِ عن ظهر السفينة بل كان وعظهُ تمهيدًا فقط لمعجزة جديدة من نوع جديد(١)

يهتمُّ يسوع لفشل اختصائهِ في الصيد في الليل الذي مرَّ لانهُ يريد ان

يديهِ على راسها ويوضع من الدم على قرون المذبح ويسكب الباقي عند اسفلهِ. ثم يفعل الكاهن مثل ذلك بالحمل الثالث ذبيحة محرقة. ويحرق على المذبح الاجزاء القانونية كالشحم وغيرهِ كرائحة زكية لله. ثمَّ يوتى بقدمة من الدقيق والزيت فيوضع منها جزء على المذبح ويأخذ الكاهنان ما بقي منها. وما لم يحرق من لحم الحملان الثلاثة. وبلفظان الكلمة الجوهرية المحيية التي لاجلها تحمَّل الرجل هذه المشقة فيقول "أنت طاهر"

(١) لايذكر هذه المعجزة الاَّ لوقا. على ان البعض يزعمون ان معجزة نظيرها قد وقعت في وقت آخر في ذات هذه البحيرة وان الاختلاف بين الخبرين في التفصيل لا يلغي ذلك ومع انهُ لايجوز الجزم القطعي في الامر فاننا نرجح ان الخبرين هما عن حادثتين (يو ٢١)

يعينهم في تحصيل معيشتهم وبالاكثر ان يحوِّل مصيبتهم الى بركة اذ يعلّمهم مثالة اخرى في سلطانهِ على الكائنات تثبيتاً لايمانهم . فلما فرغ من الكلام امر تلميذهُ صاحب السفينة ان يبعد الى العمق ويجدد الصيد . وكان هذا الامر صعباً على بطرس اولاً . لانهُ غسل الشباك وأعدّها لاجل تجديد الصيد في الليل المقبل . فان طرحها الآن ولم يفلح يتحمّل تعباً ليس بقليل . ثم بما انهُ صياد ماهر ويسوع نجار فثقيل على طبعهِ ان يأخذ منهُ تعليمات الصيد . ولاسيما ان قانون الصيد هناك ان يكون ليلاً وقلما يرجى من صيد النهار . واختبارهُ في الليل الفائت أكّد لهُ ان الاسماك غير موجودة الآن في تلك البقعة . لذلك اعترض اولاً . ثمّ عاد فامتثل امر يسوع فحصل حالاً على جزاء تسليمهِ حتى صار خطرٌ على الشباك ان تتمزّق لكثرة السمك فيها . فاستعان بشريكيهِ ابني زبدي ومن معهما في السفينة الثانية فملأوا السفينتين "حتى أخذتا في الغرق"

"فاعترتهم دهشة" لهذا الامر العجيب . اما بطرس فاضاع بعض رشدهِ لشدة انفعالهِ لانهُ لما سجد عند ركبتي سيدهِ قال "اخرج من سفينتي يا رب لاني رجل خاطئ" . فتتصوّرهُ مدفوعاً الى هذا الطلب الغريب من خجلهِ بسبب اعتراضهِ اولاً ومن ارتعابهِ لوجود شخص في سفينتهِ قادر ان يعرف جميع سيئاتهِ ويجازيهِ عليها . دفعهُ ايضاً التواضع ليحسب سفينتهُ حقيرة عن ان تشرّف بشخص نظير يسوع . الخاطئ يرتعب دائماً من رؤية القدوس . فلما رأى بطرس شيئاً جديداً من امجاد هذا القدوس ارتعب واضاع خوفهُ صوابهُ حتى قال ما قال . ولأن طلبهُ المغاير كان مشفوعاً بسبب شريف جداً وهو الشعور بالخطإ لم يوبّخ عليهِ . فبطرس لم يكن يعرف يسوع بعد كما هو . وظن انهُ يريد الابتعاد عن الخطأة . وهذا الوهم في الخطأة عموماً يزرعهُ ابليس في عقولهم

لكن يسوع بحكمتهِ ومحبتهِ رفض طلب بطرس . وهذه خطتهُ دائماً عندما

يطلب منهُ المؤمنون في صلاتهم اموراً ليست للخير . فاستجاب طلب بطرس بعكسهِ . لان بطرس طلب ان يبعد يسوع . اما يسوع فاقترب منهُ اكثر . لانهُ نظر الى الصواب في قلب بطرس لا الى الخطإ في صورة كلامهِ . وطمأنهُ حالاً بقولهِ " لاتخف " . ثم بتأكيدهِ لهُ انهُ معيّن منهُ لاصطياد الناس . وهذا شغل اشرف واعظم كثيراً من مهنتهِ السابقة . وهي المهنة التي يريدها يسوع لكل فرد من تابعيهِ حسب مقدرتهِ واختلاف احوالهِ . ولما جاءوا بالسفينتين الى البر تركوا (اي الاربعة الذين دعاهم سابقاً) كل شيء وتبعوهُ . تركوا صيد السمك في وقت نجاحهم ومعظم ارباحهم فيهِ

بعد هذا عاد يسوع من شاطئ البحر ودخل بيتاً وصار يعلّم كما علّم سابقاً في الهيكل وعلى البئر وفي المجمع وعلى ظهر السفينة . فكثر الازدحام حولهُ حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب وكان يخاطبهم بالكلمة"[1] . وحضر بين هذا الجم الغفير " فريسيون ومعلمون للناموس " . كان هؤلاء المعتبرون من متوظفي الدين قادمين من مدن وقرى عديدة في مقاطعتي اليهودية والجليل حتى ومن اورشليم بقصد استماع كلام يسوع ورؤية معجزاتهِ . فتصوّرهم جالسين في مقام الاكرام في صدر المحل بجانب المعلم الشهير الذي اتوا ليراقبوهُ وامام عيون هؤلاء جرت آياتهُ في السقماء الذين اتوا اليهِ لان " كانت قوة الرب لشفائهم "

وبعد هنيهة شعر الجمع بحركة غير اعتيادية في اطرافهِ احدثها رجال حاملون مفلوجاً على فراش يطلبون فتح طريق بين الجمهور ليصلوا الى يسوع . لكن حب الذات لم يسمح للواقفين ان يفسحوا لهذا المسكين . لان كثيرين كانوا قد أتوا قبلهُ وهم منتظرون فرصة ليصلوا الى هذا الطبيب العجيب لاجل الشفاء لهم او لذويهم . فاستنبط هولاء طريقاً مستغربة للوصول

(١) ان كان البيت بيت سمعان بطرس نقدر ان نتصوّر ارتباك حماتهِ التي شفاها يسوع بسبب هذا الاحتشاد الكثير

اليهِ . استدلُّوا على محل جلوسهِ في البيت . وثقبوا السقف فوق رأسهِ ودلُّوا الفراش من بين الاجرّ الى الوسط قدامهُ . فيا لهُ من منظر مدهش يستلفت ابصار الجمع الغفير ويشغل احاديثهم ولاسيما هؤلاء الغرباء الاكابر . امام يسوع وامامهم الآن فراش نزل بينهم بحمل مفلوجًا قد اخرسهُ فالجهُ دون مس سمعهِ . لاصوت ولاحركة ولا مطالب الاَّ حالتهُ المحزنة

كان يسوع منفردًا عن سائر المعلمين في اهتمامهِ باحوال الناس الداخلية قبل الخارجية . ولعلمهِ الخفايا والاسرار كان يمكنهُ ان يوفق كلامهُ واعمالهُ تمامًا لمقتضيات هذه الاحوال الداخلية . فابتدأ مع هذا العليل بالشفاء الداخلي اذ قال لهُ اولاً "ثق يا بنيَّ"(١) مغفورة لك خطاياك". نستنتج من هذا انهُ رأى في قلب هذا الشاب توبةً عن خطايا ربما كانت حديثة الوقوع(٢) وسابقة لاصابتهِ بالفالج خطايا كان يحسب فالجهُ قصاصًا لها . فكان مهتمًّا غاية الاهتمام بغفرانها مع اهتمامهِ بالشفاء الجسدي . نتصوَّرهُ من جملة الذين سمعوا تعليم يسوع سابقًا واستفادوا منهُ . فعند وقوع هذه المصيبة الكبيرة تعلق قلبهُ بهذا المعلم املاً بخلاص روحي وجسدي معًا

والايمان القوي الذي اظهرهُ مقدموهُ الاربعة كان سببًا عظيمًا اضافيًّا لميل يسوع الى مساعدتهِ . اذ نابوا بذلك عن المفلوج الذي منعهُ خرسهُ عن ابراز ما في قلبهِ من التوبة والايمان . فان كنا قد اصبنا في ما شخصناهُ يكون هذا المفلوج وهو بعد تحت سلطة الفالج قد امتلأ تعزية وفرحًا روحيًّا حال سمعهِ كلمة يسوع المعلنة ان خطاياهُ مغفورة . فكانت نتيجة مصيبتهِ العظيمة انها انتهت بهِ الى الذي يخلصهُ من المصيبة الاعظم جدًّا اي حمل خطاياهُ

يؤيد صحة تشخيصنا علمنا ان يسوع لا يلفظ بالغفران الاَّ لمن هو اهل

(١) دلَّت هذه الكلمة على كونهِ شابًّا (٢) على فرض انهُ من سكان كفرناحوم لان يسوع كان قد نظف من عهدٍ قريب مدينة كفرناحوم من الامراض لو ٤: ٤٠

للغفران بسبب شعورهِ الروحي . فمع ان الجمهور لم يكن اقلّ احتياجًا من المفلوج الى غفران الخطايا وكانت رغبة يسوع في تقديم الغفران للفريقين متساويةً لا نراهُ يطرح عليهم غفرانهُ كما طرحهُ على المفلوج . وذلك لعدم استعدادهم الداخلي . قبل ان يسوع يستقبل التائب وبيدهِ الواحدة هبة الغفران وفي الثانية القداسة . فلا يعطي احداهما بدون الاخرى ايضًا . لسان حال هذا الشاب وهو بعد في مرضهِ وخطاياهُ مغفورة كلام النبي "هوذا للسلامة قد تحوّلت لي المرارة وانت تعلقت بنفسي من وهدة الهلاك . فانك طرحت وراء ظهرك كل خطاياي"[1] ولا بد انهُ رنّم في قلبهِ مع داود النبي "طوبى للذي غُفر إثمهُ وسترت خطيئتهُ . طوبى لرجل لا يحسب لهُ الرب خطيئة"[2] . طوباهُ لان الله يرافق غفرانهُ بسائر بركاتهِ وليس كالذي تبرئهُ المحاكم المدنية . يعطي الله مع غفرانهِ مواعيد لا تثمّن ونعمة فائضة ثم المجد الابدي

باثبات يسوع حقهُ ان يمنح الغفران اثبت لنفسهِ مقامًا فوق سائر البشر . أثّر هذا كثيرًا في الذين رأوا وسمعوا ما حدث . فلم ينسَ بطرس فيما بعد عمل يسوع الغفراني . اذ نسمعهُ يصرّح بهِ امام المجمع الكبير في اورشليم الذي التأم لاجل محاكمتهِ بقولهِ "هذا رفّعهُ الله بيمينهِ رئيسًا ومخلّصًا ليعطي اسرائيل التوبة وغفران الخطايا"[3]

اشبه شفاء هذا الرجل الجسدي شفاءهُ الروحي في ان حمل السرير لم يكن شرطًا سابقًا لنيل الشفاء بل نتيجة لهُ والصلاح ليس شرطًا سابقًا لنيل الغفران بل هو نتيجة الغفران المجاني وثمرهُ

واشبههُ ايضًا في كون شفاء النفس قد منح حالاً . وليس غفران الخطايا وعدًا بامر مؤجل يحصل عليهِ الخاطئ بعد موتهِ او عندهُ . او بعد اظهارهِ

(١) اش ٣٨: ١٧ (٢) مز ٣٢: ١ و ٢ (٣) اع ٥: ٣١

استخفافًا . اذ يعطى حالاً عند الطلب المخلص القلبي الحارّ من انسان يفهم ماذا يطلب . يستطيع المخلص ان يفعل ذلك حالاً لانهُ يعلم طويّة الانسان الداخلية . فلا يحتاج كما يحتاج البشر الى وقت لاجل تحقيق استعداد الخاطىء للغفران

واشبههُ كذلك في ان يسوع لم يمنح المفلوج جزءًا فقط من الصحة ثم يتركهُ ليسترجع العافية تدريجًا ويطلب من الاربعة الذين اتوا بهِ ان يحملوا لهُ الفراش ليعود الى بيتهِ من حيث أتوا . لكنهُ اعطاهُ صحة كاملة دفعةً واحدةً واعطاهُ ايضًا غفرانًا كاملاً عن جميع خطاياهُ دفعةً واحدة . فكل ما يعملهُ يسوع يعملهُ كاملاً . لو بقي اقل شيء من الخطيئة بدون غفران اوجب ذلك هلاك النفس كما لو بقيت الخطيئة كلها . ولذلك لا يغفر الله الاَّ غفرانًا كاملاً . لا يمكن لصاحب سفينة اخترقتها ثقوب عديدة ان يصلح بعضها ويترك ولو واحدًا منها لان ثقبًا واحدًا يغرق السفينة نظير المثقة

اما الروَساء الزائرون الجالسون مع يسوع فلم يعترفوا لهُ الاَّ بالحقوق التي لمعلم بشري وليس بينها حق مغفرة الخطايا . فالذي يتخذ لنفسهِ حقوقًا الهية يُعدّ مجدِّفًا . ولذلك حكموا على يسوع في افكارهم انهُ مجدّف وعليهِ يكون شرّ الناس ويستحق شرّ عقاب اي الرجم حسب نصوص ناموسهم واصطلاح تاريخهم (١) . فاهتم يسوع ان يقدّم لهم براهين انهُ اكثر من معلم بشري واذ ذاك لا يكون منحهُ الغفران تجديفًا واوّل برهان قدمهُ في اعلانهِ لهم ما هي افكارهم التي لم يظهروها لاحد . وبذلك اتمّ نبوّة نبيهم بالمسيح انهُ " يحل عليهِ روح الرب روح الحكمة والفهم *** فلا يقضي بحسب نظر عينيهِ ولا يحكم بحسب سمع اذنيهِ " (٢)

ثم اشار الى برهان آخر تكلم عنهُ لكي يتأملوا فيهِ قبل ان يقدمهُ لهم فعلاً

(١) لا ٢٤: ١٦ (٢) اش ١١: ٢ و ٣

اي القوة لشفاء هذا المفلوج . لان الفالج متى رسخ وطال يكون غير قابل الشفاء . لكن ان شفي تظهر النتيجة حالاً . فلا يقدر الانسان ان يقول كذباً للمفلوج "قم احمل سريرك وامشِ" لان كذبهُ يظهر للحال . اما القول "مغفورة لك خطاياك" فسهل ان يقولهُ اي كذّابٍ شاء . لان لا واسطة ظاهرة لتكذيبهِ ولهذا السبب يُعدّ القول "مغفورة لك خطاياك" اسهل من القول "قم احمل سريرك وامشِ" فالذي يقدر ان يقول هذا القول الاخير ويصدق فيهِ لا يمكن ان يقول القول الاوّل الاّ صدقًا . وهذا كان احتجاج يسوع لدى ضمائر مناظريهِ . وابان لهم ان سلطانهُ على غفران الخطايا حقهُ على الارض كابن الانسان لانهُ ابن الله ايضًا . ثم ليثبّت قولهُ بفعلهِ قال للمفلوج "قم احمل سريرك واذهب الى بيتك"

ما اعظم حراجة الموقف الآن بعد هذا الامر الصريح للمفلوج . هل ينجح هذا الآمر في امرهِ العجيب او يفشل ؟ كيف اشرأبت اعناق الواقفين بعيدًا وكيف تصوّبت جميع الابصار نحو سرير المفلوج . وكيف تضاربت آمال الحاضرين من محبين ومبغضين بينما استولى على الجميع سكوت كسكوت القبر انتظارًا . ثمّ كيف اهتزّ هذا الجمهور كشخص واحد عند ارتعاش المطروح على هذا السرير وعند نهوضهِ وعند قيامهِ في لحيظةٍ صحيحًا قويًا . وعند رفعهِ سريرهُ على كتفهِ ومشيهِ امامهم . ما كان اعظم هياج مواطنيهِ المجتمعين وابتهاج الذين اتوا بهِ الى يسوع

فالذين لم يفسحوا لحاملهِ لاجل المرور في دخولهِ تسابقوا الآن للتفسح في خروجهِ . والسرير الذي حملهُ وهو داخل وكان دليل سقمهِ صار محمولاً منهُ وهو خارج وكان دليل شفائهِ التام . فما اقوى العبارة التي وُضعت لبيان شفائهِ "في الحال قام امامهم وحمل ما كان مضطجعًا عليهِ وخرج قدّام الكل ومضى الى بيتهِ وهو يمجد الله"

أثر في هذا المسكين ليس فقط شفاؤه بل بالاحرى غفران خطاياهُ وكم كان التصريح بذلك مؤثرًا ايضًا في الجمهور اذ نقرأ انهم "تعجبوا وبهتوا وتحيروا مما رأوا وانهم مجدوا الله الذي اعطى الناس سلطانًا مثل هذا . فامتلأوا خوفًا قائلين اننا قد رأينا اليوم عجائب . ما رأينا مثل هذا قط"

الفصل السابع عشر

(مت ٩:٩–١٧ مر ٢:١٤–٢٢ لو ٥:٢٧–٣٩)

(المرصّع) ف ١١ (الزمان) نيسان سنة ٢٨م

(المكان) كفرناحوم

دعوة متى . العشارون واعداء يسوع بهم . قصد يسوع في التفتيش عن الضالين. بحثه في الصوم . الاصول في الصوم الحقيقي . تشبيه يسوع بالعريس العتيق والجديد. التطرف في الطقوس

خرج يسوع واتباعهُ من هذا البيت الذي تكرس في تاريخ كل الازمان بواسطة ثقب سقفهِ لانزال هذا المفلوج . ثم بانالتهِ غفرانًا وشفاءً في وقت واحد . ورجع وإياهم الى شاطئ البحر حيث اتى اليهِ كل الجمع فعلمهم . ومرّ اخيرًا في الطريق السلطانية الموصلة بين بلاد الشمال وبلاد الجنوب حيث يمر المسافرون افرادًا وقوافل بين دمشق ومحيطها والمشرق وراءها وبين اورشليم ومحيطها ومصر وراءها . ولما وصل الى محل الجباية حيث يأخذ مأمورو الحكومة الرومانية المكوس على البضاعة المنقولة من بلاد الى بلاد وقف مقابل كوخ احد هؤلاء المأمورين وبعد السلام ناداهُ قائلاً "اتبعني"

لم يكن باطن هذا الامر بسيطًا كظاهرهِ . لانهُ كان في ظروف هذا المدعو الجديد ما ينفر منهُ جميع الذين بمعية يسوع . ومع انهُ ابن بلدهم كفرناحوم واسمهُ متى اي "عطية الله" واسمهُ العبراني لاوي يعلن انهُ من العائلة الشريفة الكهنوتية ومع انهُ من اصحاب المعارف[1] ومن اهل اليسر المالي[2]

(١) كما يتضح من البشارة التي كتبها (٢) كما يتضح من الوليمة الكبيرة التي اولمها ليسوع

كان من صنف العشارين المرذول المحتقر. وهذا يكفي لاشمئزاز كل محب ولشمانة كل مبغض ليسوع ان لبّى متى العشار دعوته وانضم الى تابعيه الاخصّاء.

لنا في هذه الدعوة شاهد جديد على عظمة يسوع المبنية على استقلاله عن الآراء السائدة عند الجميع في ايامه. وهذا الشاهد يتفق اتفاقًا جميلاً مع القول بالوهيته. لان البشر يجارون لنفيهم في افكارهم. ألم يقل الرب لشعبه "لان افكاري ليست افكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب"[1]. فمخالفة افكار يسوع ومبادئه لافكار معاصريه ومبادئهم دليل على انه "ليس من الارض أرضي"

ان العنف في المعاملة والطمع والغدر في المحاسبة جعل اليهود العشّارون في خدمة الحكومة الرومانية مكروهين من العموم. وكان الشعب اليهودي كما انه لا يزال شديد التمسك الى درجة متناهية بكل ما تدخله صبغة دينية. كانت تربيته وتاريخه تعلّمانه ان الله ملكه الحقيقي. وان كل نير سياسي وثني هو اساسيًا اهانة لدينهم واحتقار لالههم. لذلك كان تذمّرهم من النير الروماني يستند على غيرتهم المذهبية وكانوا يستحرمون تأدية الاموال لحكومة وثنية فلا يؤدّونها الاّ مرغمين[2]. فنتج عن ذلك ان كل يهودي تقي محافظ على تقاليد مذهبه كان يأبى الاستخدام عند الرومان لاجل اغتصاب هذه الاموال من اخوته اليهود

فكان الرؤساء والمتقدمون بين اليهود يمقتون العشار ويحرمونه الحقوق المدنية ولا يقبلون شهادته في المحاكم. وكان يعدّ في صنف المرابين والمقامرين واللصوص والقتلة والزناة والوثنيين. وبالاجمال مع جميع الذين كانوا يهملون الواجبات الادبية والفروض الطقسية. كان يحرّم طلب الاحسان منه ومخالطته لاسيّما وقت الطعام. كانوا يشبّهون العشارين بين سكان المدن بالوحوش الضارية بين الحيوانات. نتج عن كل هذا ان الادنياء فقط كانوا يقتحمون هذا العار والطرد والاحتقار والحرمان من المقام الديني بين

ربهم. فلذلك زاد تدريجًا التحقير والكره المنوَّه بهما. نخ ايضًا ما هو اهم اي ان الذين لدناءتهم كانوا يقبلون كل هذه النتائج لابد ان يزدادوا بفعلها دناءةً شيئًا فشيئًا حتى صار على التمادي تحقيرهم حكمًا عادلاً الاَّ ما ندر. كيف اذًا يدعو يسوع عشارًا ليكون تلميذًا ملازمًا ثم رسولاً عنده

المخلص العمومي الذي تهمهُ كل اصناف البشر وطبقاتهم لا يقدر ان يماثل الرؤساء والمتدينين في اغضائهم عن العدد الكبير من اليهود الذين دخلوا بالاختيار او بالتسلسل في صف العشارين. لا بل ان روح المروءة يضطرهُ ان يعوّض بالتفاتهِ الخصوصي على جماعة يحتقرهم الآخرون. هذا ما نراهُ في دعوة يسوع لهذا العشار ان يتبعهُ. معلمو الدين اي صف الكتبة والفريسيين هم الطرف الاعلى اي الرؤوس. والعشارون هم الطرف الادنى اي الاقدام في الهيئة الاجتماعية. فمن هؤلاء الآخرين اختار يسوع رسولاً اما من اولئك الاولين فلم يختَرْ احدًا. خالف الراي الذي كان يحتقر ويكره الذين يجبون اموال حكومة اجنبية ظالمة وعلَّم انهُ يجب ان يعطى ما لقيصر لقيصر

في فكر يسوع الثاقب ورأيهِ الصائب كانت زلاَّت معلمي الدين تفوق كثيرًا زلاَّت العشارين في الجسامة وفي استحقاقها الدينونة. هو صرَّح مرارًا وتكرارًا وجهارًا بهذا الحكم العادل. لو كان الفريسيون يتنجسون من الخطيئة كما كانوا يتنجسون من المعدودين عندهم خطأة لكانوا سلموا من دينونتهِ المخيفة. حسب النظام الالهي يُحسب الخطأة الذين يشعرون ويعترفون بخطاياهم اقرب الى ملكوت الله من المتظاهرين رياء بالتدين. لذلك تنسم يسوع الخبر الاعظم من العشارين المرفوضين من قِبَل ارباب الدين وليس من رافضيهم هولاء

سبق خبر فعل يسوع الاوَّل مع شخص من الطبقة السفلى لما بشَّر السامرية وقادها الى التوبة والايمان. فيفعل الآن فعلهُ الثاني من هذا النوع في دعوتهِ متى العشار وادخالهِ الى ملكوتهِ الروحي. فاوضح ان رداءة العشارين

في جنبهم لينالوا التفاتًا ممتازًا منهُ . لانهُ كطبيب لا يطلب الاصحاء بل المرضى . ومخلص الفريسيين هو ايضًا مخلّص العشارين . حتى انهُ قال مرّةً لرؤساء الكهنة وشيوخ الشعب "الحق الحق اقول لكم ان العشارين والزواني يسبقونكم الى ملكوت الله. لان يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا بهِ واما العشارون والزواني فآمنوا بهِ"(١) بهذا الكلام اظهر يسوع ان نصيب المعدمين كان نصيبهُ ايضًا اي رفض الرؤساء الغير تائبين اياهُ وتمسُّك الاشرار التائبين بهِ

لا نظن ان هذه بداءة معرفة متى بن حلفى(٢) بيسوع . نرجح انهُ كان قد سمع وعظهُ تكرارًا ومال الى تعاليمهِ وانهُ رأى معجزاتهِ وآمن بهِ ايمانًا بسيطًا نظير كثيرين غيرهِ . لذلك نقدّر انهُ ابتدأ يأنف وظيفتهُ الدنيئة ويشتهي تركها . وان يسوع بالنظر الى هذا الاستعداد السابق عرفهُ اهلاً لهذه الدعوة فدعاهُ حتى ترك كل شيء وقام وتبعهُ(٣) . لم يقدم عذرًا من الاعذار المتوفرة لديهِ . بل خنق آفة الطمع المستولية عليهِ حتى الآن. فظهر فعل النعمة فيهِ بتحويل اميال يهودي وعشار عن حب المال الى حب تضحية المال ومعهُ كل شيء لاجل يسوع

لم يكتفِ متى بخسارة وظيفتهِ وارباحها لاجل التتلمذ ليسوع بل اضاف على ذلك انهُ "صنع ضيافة كبيرة في بيتهِ ليسوع" . ودعا الى هذه معهُ كثيرين من قومهِ العشارين والخطاة لان غيرهم لا يلبُّون دعوة عشار . لا بد انهُ قصد في ذلك فتح الباب لهم ليستنيروا كما استنار . وهذا دأب كل مستنير . هو الوحيد بين الرسل الذي ذُكر لهُ عمل كهذا(٤) اظهر بهِ امتنانهُ الزائد ليسوع

(١) مت ٢١: ٣١ و٣٢ (٢) كان يعقوب الرسول المسمى الصغير الذي تبع يسوع فيما بعد هو ايضًا ابن حلفى . لكن لا موجب لحسبانهِ اخًا لمتى لاتفاق اسم الوالد . نعلم كثرة تكرار الاسم الواحد عند اليهود حتى انهُ بين اثني عشر رسولاً ليسوع وُجد اثنان باسم سمعان واثنان باسم يعقوب واثنان باسم يهوذا (٣) لا يمنع هذا القول من انهُ يكون اولاً رتب اشغال مأمور بهِ لاجل تسليمها قانونيًا لخلفهِ (٤) يحتمل ان تثاديل (برثولماوس) فعل ذلك . (انظر ف ١٠)

لتنازلهِ ان يدعوهُ كتلميذ ملازم مخلصًا اياهُ من ورطة الآثام. قدّر متى هذه الدعوة حق قدرها. علم ان من ضمنها مخالفة يسوع العوائد القديمة السائدة واغاظتهُ بذلك رؤساء الدين والغيورين فيهِ. علم ان الخسارة التي تحملها هو في تركهِ كل شيء لا تقاس بما ربحهُ عوضًا عن تلك الخسارة. كيف اذًا لو عرف آنئذٍ بروح النبوة حظهُ الوافر على مرّ السنين اذ تصير بشارتهُ فاتحة الانجيل ويخلّد اسمهُ فوق اسماء معاصريهِ من ملوك وعلماء واغنياء. وانهُ يربح بواسطة انجيلهِ نفوسًا بلا عدد يكون هو هاديهم الى الملكوت السماوي. هذا وكل من يترك منكرات هذا العالم حتى وخيراتهِ وملذاتهِ لاجل اتباع هذا المعلم السماوي وخدمتهِ لا بد من ان ينال ربحًا جزيلاً ايضًا

اظهر متى صدق نقواهُ الجديدة في ان صار فكرهُ ماذا يُعطي لا ماذا يُعطى. ترى البعض يميلون الى اعتبار ذواتهم مفضلين على الكنيسة في انضمامهم اليها ويتطلبون مقابل ذلك منافع زمنية. يماثلون بطرس الذي في احدى سقطاتهِ الكثيرة قال ليسوع "ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا؟"(١) بينما يجب ان يعتبروا الكنيسة مفضلة عليهم بقبولها اياهم وانهُ يطلب منهم ان يقدموا للكنيسة قسمًا مهمًّا من خيراتهم الزمنية اظهارًا لشكرهم.

يذكر متى في بشارتهِ دعوة يسوع اياهُ لكنهُ اظهر تواضعهُ بعدم ذكرهِ انهُ ترك كل شيء وتبعهُ او انهُ صنع ضيافة كبيرة لهُ. لوقا فقط يخبر بذلك. ثم بينما مرقس في قائمة الرسل(٢) ولوقا في قائمتهِ(٣) يحتفظان ولا يسميانهِ متى العشار هو يسمي ذاتهُ في قائمتهِ(٤) بهذا الاسم المحتقر كأنهُ يتعمّد ان ينسب الفخر ليسوع الذي تنازل وضمّ عشارًا الى عدد رسلهِ

يقول المثل الدارج في كل لغات الشرق والغرب "ان الطيور على اشكالها تقعُ". فالفريسيون نظروا الى يسوع بعين الاحتقار لاختيارهِ مخالطة الادنياء

(١) مت ١٩: ٢٧ (٢) مر ٣: ١٤—١٩ (٣) لو ٦: ١٤—١٦ واع ١: ١٣
(٤) مت ١٠: ٢—٤

ومجالسهم ومؤاكلتهم . لكن هذا المثل يصحّ فقط في من يعاشر الاشرار لان ذلك يلذّ له لارتباطهِ معهم في المبادئ والمشرب. ومثل هذا لاحقّ له ان يتستر وراء قدوة يسوع الذي عاشرهم على رغم اميالهِ ومشربهِ ومبادئهِ المعاكسة لهم ليغيّرهم ويهديهم الى النور السماوي

قبل يسوع دعوة متى للضيافة الكبيرة في بيتهِ . وبذلك هدم جداراً متيناً فاصلاً بين رتبة ورتبة أو طبقة وطبقة من الناس واعلن بأن "الله لا يقبل الوجوه بل في كل أُمة الذي يتقيهِ ويصنع البر مقبول عندهُ"(١). مبدأ المساواة في الحقوق والكرامة عند الله بين غني وفقير وعالم وبسيط وملك وعبد وطبقات البشر كافة لم يكن معروفاً في ذلك الزمان . بل صرّح بهِ يسوع اولاً واورثهُ للعالم اثمن كنز

من يمعن النظر يرى العجب في هذا الاجتماع الغريب في بيت متى بين طرَفَي النقيض. على الجانب الواحد نرى يسوع الذي سُمّي "القدوس" قبل ولادتهِ والذي اضطرّ ان يشهد له حتى الشياطين بقولهم "نعرفك من انت قدوس الله" . وهو الكامل الذي يكره حتى اخف درجات الدنس والشر والخطيئة على انواعها كرهاً لا يوصف . وهو المنحدر من السماء الطاهرة. ثم على الجانب الآخر نرى زمرة العشارين والخطأة . فكيف يمتزج هذان الفريقان؟ لنا الجواب في كلام يسوع الذي لاجلهِ ذكر الرواة هذه الضيافة

تذمر الكتبة والفريسيون لان يسوع قبل دعوة متى واشترك في وليمتهِ. لا مانع عندهم من ان يجلس عشارون على مائدة عشار . لكنهم عيّروا هذا المعلم الديني الشهير على ذلك. اشمأزّوا من امتزاجهِ مع هذا الجمهور الدني المحتقر. فلم يشاءوا السكوت . لما شفى المفلوج في بيت آخر في هذه المدينة بكّتهم وايكمهم على اعتراضهم الفكري . لذلك لم يجسروا ان يعلنوا افكارهم ويهجموا عليهِ باعتراضاتهم الآن خوفاً من فشل شرّاً من الاوّل . فصوّبوا افكارهم نحو

(١) اع ١٠: ٣٤ و٣٥

الرسل وقالوا "ما بال معلمكم يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة" ثم "لماذا انتم تأكلون وتشربون مع العشارين والخطاة ؟"

لم يصبر يسوع على الرسل ليجاوبوا بل اسرع هو في الجواب . علم ان هولاء غير مستعدين بعد ليتدموا جوابًا كافيًا في امرٍ عظيم الاهمية كهذا . لانهُ يتعلق بقصدهِ الرئيسي في تركهِ السماء وظهورهِ متأنسًا في العالم. ففي جوابهِ أعلن وظيفتهُ الروحية التي كانت اعمالهُ الظاهرة رمزًا وايضاحًا لها . كان يشفي الاجسام ليوضح للناس انهُ طبيب الانفس . فكما انهم رأوا اهتمامهُ بالسقماء في معجزات الشفاء يقتضي ان يعرفوا اهتمامهُ بالخطأة لاجل شفاء انفسهم من الخطيئة . في هذا الكلام يعلن لاوّل مرّة انهُ هو الطبيب الروحاني [1] فكما يعلمون ان الطبيب لا يقصد في ممارسة وظيفتهِ الاصحاء بل المرضى . يجب ان يعلموا ايضًا ان المخلص يقصد في ممارسة وظيفتهِ ليس الابرار بل الخطأة. لا يعالج طبيب سقيمًا يدّعي السلامة من المرض وكذلك لا يخلّص مخلص خاطئًا يدعي السلامة من الخطيئة . وهذا ما كان يدّعيهِ هولاء المتدينون ظاهرًا والمفتخرون بانهم معلمو الدين . لو كانوا حقًّا ابرارًا كما يدّعون لكانوا يفرحون بان يروا منهُ اهتمامًا بالضالين ليهديهم الى الصراط المستقيم . ولكانوا يدركون ان امتزاج الطبيب مع السقماء فخرٌ لهُ لا عيب. ولا يدلّ على انهُ على شكلهم ومشتركًا في اسقامهم

في الوقت ذاتهِ نصح لهم ان يتعلموا ما هو مكتوب عندهم وهو قول الله "اني اريد رحمةً لا ذبيحة" [2]. الذبيحة خير للذات والرحمة خير للآخرين. فان

---

(١) مهنة الطبيب زادت عندهم شرفًا واهمية بالنظر الى مقام الاطباء . لانهم كانوا حسب اصطلاح تلك الايام كهنة الشعب ومشرعيهم ايضًا . اساس هذا التشبيه موجود في اول تاريخ بني اسرائيل في بداءة رحلتهم من عبودية مصر الى ارض الميعاد (خر ١٥: ٢٦) ومز ١٠٣: ٣ ومز ١٤٧: ٣ وار ١٧: ١٤ واش ٣٠: ٢٦ (٢) هو ٦: ٦ استعمل هذا الشاهد مرّة ثانية في مت ١٢: ٧

تُرك احدهما يريد الله ان يُترك الخير للذات . الذبيحة قد يقدمها شرير لانها عمل خارجي لكن الرحمة لا تنتج الاَّ عن شعور صالح داخلي . الذبيحة قد تكون مكرهة للعزة الالهية[1] اما الرحمة فلا تكون الاَّ مرضية لديهِ. فالداخلي يُقدَّم دائمًا وابدًا على الخارجي[2]. حفظ طقوس الدين التي امر الله بها يكون بعد حفظ روح الدين الذي امر بهِ ايضًا . المعترضون على يسوع اهملوا الروح الذي هو الجوهر وتمسكوا بالطقس الذي هو العرض . هذه المثالة الضرورية جدًّا في كل زمان ومكان لم ينفك يسوع عن تكرارها والتشديد بحفظها. وليست حاجتنا اليها اليوم باقل من حاجة القوم في ذلك الزمان[3]

اظهر بقولهِ لهم "لم آتِ لادعوا ابرارًا بل خطاةً الى التوبة" اهمية التوبة في عينيهِ. وما هذه التوبة التي يدعو اليها؟ اولاً هي شعور الانسان بفظاعة الخطيئة وبانهُ خاطئٌ. ثانيًا. الاسف الشديد على ما مضى من خطاياه. ثالثًا. العزم الحقيقي بتركها في المستقبل . رابعًا. الالتجاء الى مانح الغفران الالهي وتقديم شعائر التوبة لهُ تعالى والاستعانة بنعمتهِ لاجل الثبات فيها

بما ان يسوع سدَّد تمامًا اعتراض الفريسيين على التفافهِ الى العشارين فتشوا عن اعتراض جديد يمسكونهُ بهِ. ومع الاسف نرى بجانبهم في هجمتهم هذه عليهِ اناسًا من تلاميذ المعمدان . عجبًا كيف ينضمُّون الى خصوم الشخص الذي هو سيد سيدهم حسب تصريح سيدهم. وكيف لم يستفيدوا من تعليم معلمهم الذي كان جلّ قصدهِ هديهم الى يسوع . اغتمُّوا لتفوُّق يسوع عليهِ اذ هو لم يفعل معجزة. ظنوا ان امانتهم لهُ تقضي عليهم ان يصغروا قيمة الذي خلَّصهُ ثم

(١) ام ١٥: ٨ و ٢١: ٢٨ و واش ١: ١١ وار ٦: ٢٠ وعا ٥: ٢٢ (٢) اما هذا الشعور الداخلي فلا بد ان تُثمر في عمل خارجي لمنفعة الناس . في تخصيصهِ تعالى الذبيحة بين كل الطقوس التي امر بحفظها نراهُ يختارها هم كل مواد النظام الموسوي ويفضل الرحمة عليها

(٣) ما امرّ تبكيت هذا الشاب الغيار الذي لم يدخل مدرسة عالية عندهم اذ يقول لهؤلاء وهم معلمو الناموس وقواد الشعب واصحاب السلطة بينهم "اذهبوا وتعلموا" كيف يهيجون غيظًا ويلتهبون حقدًا عليهِ

فائدة في اعتبار القوم. فان رأوا في يسوع ما يخالف مبادئ معلمهم يزكونه ويخطئون يسوع [١]. وجدوا في قضية الصوم جامعاً بينهم وبين الفريسيين وفاصلاً بينهم وبين يسوع. فانتقدوا مع اولئك اهمالهُ واهمال تلاميذهِ فروض الصوم. يظهر ان اعتراضهم هذا تقدَّم وهم في بيت متى بعد الوليمة اذ صار الجمهور يتزايد ليسمع تعليم يسوع ويرى اعمالهُ

كان الصوم امراً عظيماً عند اليهود كما هو الآن عند كثيرين غيرهم. طلب منهم النظام المنزل ان يصوموا يوماً واحداً في السنة وهو يوم الكفارة [٢] اما هم فلتوهمهم ان مجرَّد الصوم يرضي الله زادوا اصواماً جديدة سنوية عديدة مبتدئين بذلك في سبي بابل [٣] حتى اتصلوا الى انهم فرضوا على انفسهم صوم يومين في كل اسبوع على مدار السنة [٤]. نستنتج من جواب يسوع ان الله ترك امر الصوم اختيارياً وتابعاً للظروف التي تقضي بهِ [٥]. أبان لهم ان لا محل للصوم الاَّ في الاحوال الملائمة. اي انهُ لا يناسب تعيين اصوام في اوقات معلومة تحفظ على سبيل الفرض سواء كانت الظروف تدعو الى الصوم ام لا. كثيراً ما كانت اصوام شعب الله قديماً مكرهة لهُ على ما عرفنا من كتابات الانبياء [٦]

الصوم المقبول هو الصوم الطبيعي الناتج عن حزن حقيقي والدالّ عليهِ. نرى الحزين يهمل الطعام لان الطبيعة تنفر من التلذُّذ في حالة الحزن ولان الجسم لا تشغالهُ بانفعالات الحزن غير مستعد للهضم الطبيعي. وكما ان الفرح يعين الهضم فالحزن يعيقهُ. تذليل الجسم دون تذلل الروح باطل. سنسمع

(١) هؤلاء نظموا بعدئذٍ حرباً باسم معلمهم دام طويلاً وحاول حفظ تفوق معلمهم على يسوع ورفض تعاليم يسوع الجديدة (٢) لا ٢٣:٢٧—٢٩ (٣) يؤ ٣:١٥

(٤) لنا في الكتاب امثلة الاصوام الاختيارية لاسباب خصوصية. ١صم ١:٧ وعز ١٠ و٦ ونح ٤:١ وذا ١٠:١-٣ واع ١٠:٣٠ و١٤:٢٣ (٥) انظر كتيباً بحث في حقيقة الصلاة والصيام للقس ادوردز فورد طبع ثانية سنة ١٨٧٤. انظر قاموس الكتاب ٣:٢١

(٦) اش ٥٨:٣—٧ وار ١٤:١٢

يسوع قريبًا على الجبل يحذّر الناس من الصوم الافتخاري والتظاهر فيه ويبين ان الصوم الاكثر قبولاً لديهِ تعالى هو الذي لا يعلم بهِ الاَّ الله والصائم (١)

في جواب يسوع الذي نحن في صددهِ يُظهر ان لتلاميذ المعمدان موجبًا للصوم بما ان رئيسهم قد أُخذ عنهم وهو مطروح ظلمًا في سجن مظلم. لكن ليس لتلاميذ يسوع هذا الموجب لان رئيسهم معهم. في الوقت ذاتهِ اشار يسوع الى يوم مقبل عليهم حين يُرفع عنهم عريسهم (اي رئيسهم) فينوحون ويبكون ويصومون حينئذٍ (٢)

في هذا الحديث يذكّر سامعيهِ من تلاميذ المعمدان ان معلمهم شبههُ بالعريس (٣). هو العريس وتلاميذهُ هم "بنو العرس" فكيف ينتظران بنو العرس ينوحون ويصومون هذا اقوى كلام يمكن استخدامهُ للتعبير عن الاتحاد الكلي الكائن بين يسوع وشعبهِ المؤمن (٤)

تشبه العلاقة والنسبة بين يسوع وبين نفوس جميع المؤمنين بهِ ايمانًا حقيقيًا حيًا علاقة العريس مع العروس من اوجه عديدة. هو يحبهم حبًا شديدًا حتى الموت (٥) والى الابد (٦). هو يجعل اتحادًا تامًا بينهُ وبينهم فيصيرون معهُ واحدًا

(١) ف ٣٠ (٢) يوحنا هو البشير الوحيد الذي يستعمل او يعيد هذه العبارة من اقوال يسوع المعبرة عن موتهِ "بالرفع" (يو ٣: ١٤ و ٨: ٢٨ و ١٢ و ٣٤) نرى في هذا تلميحًا الى العنف والقساوة في اخذ اليهود يسوع للصليب كما اشار النبي في قولهِ "من الضغطة ومن الدينونة أُخذ" (اش ٥٣: ٨). نعم انهُ سلم ذاتهُ لمعاملة الصلب بارادتهِ الحرّة وبمشورة الله المختومة وعلمهِ السابق لكن ذلك لم يمنع ما اتى في ثنية هذه الآية في وعظ بطرس اذ قال لصالبي يسوع بايدي أثمة صلبتموهُ وقتلتموهُ (اع ٢: ٢٣)

(٣) يو ٣: ٢٩ وف ١٢ لم يكن هذا التشبيه بعيدًا عن افكار اليهود "لان اساسهُ موجود في كتابة انبيائهم كانوا يقرأون "كفرح العريس بالعروس يفرح بك الهك" (اش ٦٢: ٥). لان بعلكِ هو صانعكِ رب الجنود اسمهُ (اش ٥٤: ٥) انظر ايضًا هو ١٧: ٢ و ١٩ و ٢٠ رؤ ١٩: ٧ و ٩ ونشيد الانشاد بتمامهِ ومز ٤٥ (٤) اف ٥: ٢٢ — ٣٢ رؤ ٢١: ٢ و ٩

(٥) غل ٢: ٢٠ واف ٥: ٢٥ (٦) يو ١٣: ١

اذ هم في المسيح والمسيح فيهم[١]. وهم الجسد الذي هو رأسهُ[٢] هو يفي جميع ديونهم للعزّة الالهية ويقوم بكافة احتياجاتهم اليومية. هو يشترك معهم في كل مصائبهم ويتحمل كل همومهم[٣] ويرثي لكل ضعفاتهم[٤] ويصبر على كل زلاتهم ويطيل اناتهُ على كل اهاناتهم اياهُ[٥] ولا يتركهم مطلقاً. هو يعتبر ما يفعلهُ احد بهم من الخير والشر كانهُ فعل بهِ[٦]. المجد الذي اعطاهُ الآب قبل خلق العالم هو مستعد ان يهبهُ لهم يوماً ما.[٧] وحيث يكون هو يريد ان يكونوا هم ايضاً[٨]. هذه العلاقة الشريفة الفائقة هي النتيجة السعيدة للايمان بهِ وثمر الانضمام اليهِ

في هذا التشبيه او المثل اعلن يسوع قصدهُ لجهة فريضة الصوم. لكنهُ لم يكتفِ بذلك اذ لهُ قصد ايضاً لجهة سائر الفرائض الموسوية. فقدم لسامعيهِ مثلَين آخرَين بياناً للنسبة بين النظام اليهودي القديم ونظامهِ هو الجديد. يظهر انهُ كان يوجّه كلامهُ على الاخص الى تلاميذ المعمدان لكونهم يزعمون ان الجديد الذي اتى بهِ يسوع يضاف فقط الى القديم الذي اتى بهِ موسى بدلاً من ان يخلفهُ. فيبقى القديم محفوظاً. هذا زعم معلمهم ايضاً. ويعتبرون ان يسوع وتلاميذهُ يجب عليهم ان يمارسوا كل الطقوس اليهودية

فابان لهم ان الجديد القوي اذا تعلّق على القديم البالي يتلفهُ وهو لا يعود ينفع شيئاً. لذلك يحكم ان "ليس احد يخيط رقعة من قطعة او من ثوب جديد على ثوب عتيق" اي ليس احد ممن لهُ حكمة ولو بسيطة يفعل ذلك. ايضاً لا يضع الفهيم السلافة اي الخمر الجديدة في زقاق عتيقة لان نتيجة ذلك تكون كالاولى وبالاً جديداً اي اتلاف الغلاف والمغلف وضياع كل فائدة. الثوب غلاف يكتسي بهِ الانسان والزقاق غلاف يغلّف بهِ الخمر. تعليم السيد هنا

(١) يو ١٧: ٢١ و ٢٣ (٢) اف ١: ٢٢ و ٢٣ (٣) مت ٨: ١٧ (٤) عب ٤: ١٥ (٥) مر ١٤: ١١ ولو ٢٢: ٦١ (٦) مت ٢٥: ٤٠ — ٤٥
(٧) يو ١٧: ٢٢ (٨) يو ١٧: ٢٤

هو ان الغلاف متى خدم زمانهُ وعتق يكون الحكم فيهِ الابدال لا الترقيع . هذا لا يعيب العتيق الذي يكون قد اتمَّ القصد في وضعهِ فيشيخ كما تشيخ النبوة الصادقة عند اتمامها

بهذا التشبيه اللطيف أبان يسوع الحقيقة المهمة التي هي ان النظام الطقسي الموسوي كان قد خدم زمانهُ وعتق . بحيث ليس حكمهُ الاصلاح بل الابدال بنظام جديد يخلفهُ . اخص ما يعنيهِ في ذلك هو الفرائض الخارجية التي هي بمثابة غلاف الدين . ان قصد انسان ان يحضر عرسًا وكان ثوبهُ عتيقًا معيبًا في شيء ليس عليهِ ان يصلحهُ برقعة جديدة بل ان يأتي بثوب جديد . وكذلك ان قصد احد سامعيهِ من تلاميذ المعمدان او الفريسيين ان يتبع هذا العريس السماوي عليهِ بثوب جديد اي فرائض جديدة كالمعمودية بدلاً من الختان والعشاء الرباني بدلاً من عشاء الفصح والقسوسية بدلاً من الكهنوت وتقديس اليوم الاوَّل بدلاً من السابع والكنيسة بدلاً من الهيكل ومنبر الوعظ بدلاً من مذبح المحرقة

في المثل الثاني كانهُ يقول ايضًا الذي يقبل تعليمي الجديد عليهِ ان يقبلهُ في قلب جديد مولود ولادة جديدة من الروح الالهي[1]. ختم خطابهُ بقولهِ "ليس احد اذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد . لانهُ يقول العتيق اطيب" . مرادهُ في هذا يظهر لتلاميذ المعمدان فهمهُ انهم يتمسكون طبيعيًا بالقديم . لان هذه

(١) تفسيرنا هذا بان القلب المتجدد هو الزق الجديد الذي يستدعيهِ احتمال ضغط الخمر الجديدة اي التعليم الجديد المسيحي القوي هو تفسير القديس باسيليوس . يفسر القديس اوغسطينوس ان هذا القول صدق بالاكثر في يوم الخمسين لما حلت الخمر الجديدة اي انسكاب الروح القدس بقوة في الزقاق الجديدة اي الرسل المتجددين بالولادة من فوق . ويلاحظ ان قول الخصوم والمنتقدين ان هولاء الرسل "كانوا قد امتلأوا سلافة" يأتي طبقًا لهذا التفسير . فسَّر بعضهم ان الزقاق العتيقة هي الفريسيون والزقاق الجديدة هي الرسل

عادة البشر . وهو لا يستغرب الامران اقتضى لهم وقت لاجل التروي والبحث ليقفوا على تفوّق الجديد على العتيق. لنا هنا انموذج للتصرّف مع الذين نقصد انارتهم بنورٍ جديد . يجب ان لا نستعمل القساوة والالحاح الزائد . بل نقدّر الصعوبات التي تعارض اقتناعهم بافضلية الجديد

الفصل الثامن عشر

(يو ٥ : ١ - ٤٧)

(المرصع) ف ١١ (الزمان) نيسان سنة ٣٨ م.
(المكان) اورشليم

تعليم يسوع في امر السبت. ثقل نير اليهود المتعلق بالسبت. شفاء المقعد عند بركة بيت حسدا. القضاء الالهي وحرية الانسان. اعتراض اليهود وجوابه على ذلك. وحدة الآب والابن. الحياة بالابن

في نحو هذا الوقت ذهب يسوع الى اورشليم وكان ذهابهُ بداعي حضور أحد الاعياد الكبرى وعلى الارجح عيد الفصح[1]. ومن جملة ما قصدهُ التعمُّد لمصادمة الفريسيين في موضوع السبت. للعاقل لمحة من روح النبوَّة ومقدار نظرهِ الى المستقبل يتبع درجة ذكائهِ. وقد نال مشاهير التاريخ سطوتهم بتفوُّقهم في تقدير الامور المستقبلة

---

(١) على الحكم في هذه القضية يتوقف الحكم في عدد سني خدمة يسوع. ولا يُعرف هذا العدد الاَّ من كلام يوحنا وحدهُ في اعياد الفصح السنوية التي مرَّت على يسوع لان زملاءهُ الثلاثة لا يشيرون الاَّ الى فصح يسوع الاخير

تبعت الترجمة اليسوعية العربية بعض النسخ اليونانية القديمة التي يقرأ فيها "عيد اليهود الذي يعني الفصح" واغلب الذين لا يرتأونهُ عيد الفصح يزعمون انهُ كان عيد الفوريم. لكن هذا العيد كان ذا صبغة عالمية اكثر منها دينية. ولم يكن من الاعياد التي كان يطلب رسميًّا من اليهود الصعود الى اورشليم فيها. بل كان تذكارًا لخلاص اليهود المدرج خبرهُ في سفر استير. يجد المطالع شرحًا مستوفيًا في هل كان هذا العيد الذي نحن في صدد عيد الفصح او غيرهُ في اتفاق البشيرين وجه ١٤٤ و١٤٥

اننا نعلم ان يسوع كان لهُ فوق ذكائهِ البشري معرفة فائقة بالمستقبل وكل ما يكنُّهُ من خفيات الامور . ولا نقدر ان نفهم تاريخهُ ان حسبناهُ مسوقًا كغيرهِ من البشر بما يصادفهُ ويفاجئهُ من الصعوبات . والمقاومات التي اصابتهُ لم تفجعهُ . بل كان هو يقدم عليها كل مدة حياتهِ كما فعل في امر صلبهِ اخيرًا . من دعائم عظمتهِ كابن الانسان اتخاذهُ خطة الهجوم على المصاعب والمتاعب لا خطة الدفاع . مثال ذلك انهُ علم من البدء من هو الذي سيسلمهُ بينما لم يعرف ذلك شخص آخر حتى ولا المسلِّم ذاتهُ . فنعتبر انهُ فتح عمدًا بواسطة شفائهِ عليلاً في السبت بابًا لاشهار مبادئهِ الجديدة المتعلقة بالسبت

يكفي سببًا لحضور يسوع هذا العيد ملازمة تلاميذهِ اياهُ . اذ جميعهم مضطرُّون الى الذهاب لتقديم الذبائح هناك كالواسطة الوحيدة آنئذٍ لنيل الغفران الالهي . لكننا نستنتج ايضًا ان يسوع الذي دقق في حفظ الناموس الموسوي ولاسيما الجوهري منهُ اشترك مع الشعب في تقديم الذبائح القانونية كغيرهِ . نبني هذا الاستنتاج على معرفتنا انهُ اشترك في ذبيحة الفصح الاخير ثمَّ على كون خصومهِ الذين انتقدوا اهمالهُ الغسلات والفرائض السبتية وغيرها لم يذكروا بين شكاويهم اهمالهُ أهمَّ الامور اي الذبائح . لكننا نرى ليسوع داعيًا اعظم هو سنوح فرصة ثمينة لا يمكنهُ ان يفوتها لاجل نشر مبادئ ملكوتهِ .

لابد لهُ من ان يجدد للرؤساء والشعب فرصة كافية ليسمعوهُ ثمَّ يقبلوهُ ويدخلوا ملكوت الله العمومي الروحي الابدي . فيتحدون معهُ في اصلاح الامة وتحويل غضب الله عنها وفي تخليصها من ظالميها وفي ايقاف تشتيتها وخراب مدينتهم وهيكلهم . واذ ذاك لا يكتفي بان يقدِّم الفروض الدينية المناسبة للعيد في هيكل الله وينصرف . بل يدبر وسائط تضطرُّ هؤلاء الرؤساء ان يسمعوا كلامهُ وتصريحاتهِ بانهُ مسيحهم

يسوع اوَّل ما ظهر كمصلح قصد ان يبتدئ في الاصلاح ببيت ابيهِ فطهَّر الهيكل في زيارتهِ الاولى الرسمية قبل هذا الوقت بسنة . والآن يكرِّر

عملة الاصلاحي لكن يوم ابيهِ الذي هو موضوع احدى الوصايا العشر . والذين دنسوا بيت ابيهِ بعلة الطمع هم الذين دنّسوا ايضًا يومهُ بتفتنهم في الفرائض المرسومة لحفظهِ . قد سنّ الله شريعة السبت لخير الانسان الجسدي والروحي . لكن الذي قدّسهُ الله نجّعهُ الانسان . هذا النير الذي وضعهُ البارئ على الانسان كان لاجل صيانتهِ من الجروح في جرّ هموم الحياة . كان خفيفًا يسهّل الصعب ويخفف الثقيل . اما رؤساء الدين فلم يتركوهُ على وضعهِ الالهي بل اخذوا يزيدون ثقلهُ جيلاً بعد جيل بوصاياهم البشرية وتفتناتهم السخيفة[1] . فصار لثقلهِ يجرح ولا يعين

لم يخطىء يسوع في قولهِ للرؤساء في أيامهِ . "أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم"[2] . لان التطرّف يولّد الفساد وقيود الوصايا الالهية كافية دون ان يزيد عليها البشر . الامر ظاهر انهم تاهوا تمامًا عن معنى الوصية وفوائدها . يسوع اراد ان ينشل هذا الوضع الالهي المفيد والجوهرة الجميلة من اوحال الوهم والخطإ وينظفها ويسلمها للبشر ليتباركوا بها . استياء يسوع من نظام السبت الذي وضعهُ الرؤساء كان رفقًا بالشعب الذي أمسى تحت نير قال عنهُ صدقًا بطرس الرسول "لم يستطع آباؤنا ولا نحن ان نحملهُ"[3] . فاصرّ على الاعمال الخيرية في السبوت حتى ذُكر لهُ سبع معجزات فعلها في السبوت وزكّى الذين عملوا فيها اعمالاً تقتضيها الرحمة والضرورة

---

(١) تُنسب الى احد مشاهير زعمائهم في العلم والتدين الحاخام شمعي انهُ كان يشتغل كل الاسبوع في الافتكار كيف يسلم من مخالفة احدى هذه الشرائع المتطفلة التي سيجوا بها السبت المقدس . كان من جملة تفاصيل شريعة السبت عندهم تحريم الامور الآتي ذكرها . لبس شرائط غير محاطة بالثوب وذلك لوضع ثقلها على الثوب فلا يحسب لابسها حاملها . وحمل الخياط ابرة خارجًا عن محلهِ في آخر يوم الجمعة لئلا يدخل عليهِ السبت وهو حاملها . وكتابة أكثر من حرف واحد من حروف الهجاء . ونقل الدجاجة شريطًا على رجلها . وبقاء السراج مضيئًا كي يشتعل . وتنقيط الزيت في المكبس

(٢) مت ١٥: ٦

(٣) اع ١٥: ١٠

وضع السبت لاجل غايات اربع اوّلها الاستراحة من الاعمال العادية لاجل خير الاجسام والعقول . هذا الاضطرار هو اقوى ما يكون في العاملين بالاشغال الشاقّة . ثانيها الاشتغال بالعبادة فوق سائر الايام . ثالثها التوسع في اعمال الرحمة . ورابعها التذكر الدائم بالسبت السماوي والراحة الابدية للنفوس الخالصة امام عرش الله . يباح في السبت من الاعمال العادية ما كان ضروريًّا اي لا يصح تسيفهُ قبل السبت او تأجيلهُ بعدهُ

انتهى يسوع موقعًا لاجل اتمام غايتهِ بيت حسدا عند محل الضان[1] . يوجد نبع فوار في جوار المدينة المقدسة . الى هذا اليوم يفور وينسب الى مياهو عندما تفور فاعلية شفائية . أوجب تردد الناس بكثرة الى هذا المحل بقصد الشفاء في ذلك الزمان بناء خمسة اروقة حول هذه البركة ليأوي اليها الشفاء الطالبون الاستفادة من هذه المياه عند فورانها الطبيعي[2]

جاء يسوع في يوم سبت (ولعلهُ سبت العيد) الى هذه الاروقة ورأى فيها "مضطجعًا جمهورًا كثيرًا من مرضى وعمي وعرج وعسم يتوقعون تحريك الماء" . من بين هذا الجمهور التعيس المحزن انتخب شخصًا واحدًا متقدمًا في السن ليشفيهُ فيتبارك السبت المقدس بفعل الرحمة فيهِ . نستنتج ان الشيء الذي امتاز بهِ هذا العليل حتى خصّهُ يسوع بالشفاء كان صعوبة امرهِ لكبر

---

(١) ترجمت الكلمة اليونانية باب الضان لكن نرجح صواب الترجمة اعلاهُ وان موقع البركة لم يكن على احد ابواب المدينة (٢) الذين يزعمون ان حركة هذه المياه كانت طبيعية يستندون في ذلك على بعض نسخ الانجيل القديمة . هذه لا تذكر سببًا عجيبًا لتحريك الماء في هذه البركة . اما الترجمات الجارية بين المسيحيين فمسنودة الى نسخ اخرى تستحق الاعتبار هذه تنسب تحريك الماء الى فعل ملاك . يفهم البعض ان المقصود في القول في تحريك الملاك الماء هو ان هذا كان الاعتقاد العمومي في ذلك الزمان وان البشير اوردهُ على سبيل الرواية . فالمطالع مخيّر بين التفسيرين . لان لا علاقة للامر بعمل يسوع او بكلامهِ ويجوز القولان . انما نعيد قولنا السابق ان التفسير الطبيعي يجب تفضيلهُ كل ما جاز اختيارهُ

سنو ولمرور ثماني وثلاثين سنة على مرضهِ . لا نظن انهُ وُجد غيرهُ بينهم قضى مثل ذلك في المرض . نستنتج ايضًا ان يسوع رآهُ موضوعًا مناسبًا لمنح الشفاء لكونهِ يعلم ان مرضهُ هذا اتاهُ نتيجة اثم او آثام خصوصية كان قد ارتكبها[1] . فيسهل منحهُ شفاء روحيًا ايضًا مع شفائهِ الجسدي . رأى فيهِ الشرط الجازم لاجل منحهِ يد المساعدة وهو اليأس . ان لم ييأس الانسان في امرهِ وعلى الاخص في امر خلاص نفسهِ بدون المسيح لا يمكن ان يمد لهُ المسيح يد المساعدة او يخلصهُ .

وقف يسوع فوق هذا الرجل المضطجع على فراشهِ وتفرَّس فيهِ وسألهُ سؤالاً ظاهرهُ بسيط يُعرَف منهُ اهتمام هذا المعلم الغريب القادم من الجليل بخير هذا العليل الذي يجهلهُ . قال لهُ "أتريد ان تبرأ؟" كان يمكن ان يستخفَّ الرجل بهذا السؤال الفضولي من غريب . لكنهُ احترم يسوع وكشف لهُ حالاً امرهُ . لا بد من ان يتأثر بصرهُ من هيئة يسوع وسمعهُ من صوتهِ فاحترمهُ في جوابهِ "يا سيد ليس لي انسان يلقيني في البركة متى تحرَّك الماء بل بينما أنا آتٍ ينزل قدامي آخر" . علق يسوع امر الشفاء على ارادة هذا العليل . هو يوقف دائمًا وابدًا امر خلاص النفس على ارادة الخاطئ . يقول لهُ "أتريد ان تخلص" قد اعلن الله صريحًا انهُ هو يريد خلاص الجميع[1] مع ذلك باقٍ على الخاطئ ان يريد والاَّ فالخلاص لا يتمّ

لم يتيسر بعد لبشر حتى ولا لأرقاهم علمًا او اوفرهم تقوى توفيق حقيقة القضاء الالهي مع حقيقة حرية الانسان الحقيقية . افضل التفاسير الفلسفية واللاهوتية قاصرة عن ازالة هذا المشكل بالتمام . هذا التوفيق من الاسرار التي نتوقع استعلانها في الحياة الآتية . إنما الامران المتناقضان حسب الظاهر ثابتان

(١) قال لهُ بعدئذٍ "لا تخطئ ايضًا لئلا يكون لك اشرّ"

(٢) حز ١٨: ٢٣ و٣٣: ١١ ويو ٣: ١٦ و١ تيمو ٢: ٤ و٢ بط ٣: ٩ و١ تي ٢: ٤

مؤيدان في الكتب المقدسة وفي تأليف أصلح فلاسفة الدهور وفي ضمير البشر عمومًا واختباراتهم

حرية الانسان لا تقوم بالاكثر بحرية العمل بل بحرية القصد . مثال ذلك . انهُ متى رأى الانسان امامهُ مالاً لغيرهِ هو حرٌّ تمامًا ان يقصد ويريد السرقة او ان لا يقصدها ويريدها . ولكن قد تكون حرية تناوُل هذا المال ليست لهُ لوجود شهود يمنعونهُ او لاسباب اخرى . لو كان للانسان حرية تامة في العمل لكانت حريتهُ تصادم حرية البارئ . لا بل حتى بالنسبة الى البشر ليس الانسان حرًّا تمامًا في اعمالهِ . فكيف تكون حريتهُ بالنسبة الى الاله اكثر ؟ قيد الانسان في العمل لا ينافي الحرية الحقيقية اي حرية الارادة التي هي الاصل والأهم في الاحكام الادبية . والاحكام الالهية تبنى بالاكثر على قصد الانسان لا على عملهِ . في هذا القصد ليس الانسان مسيَّرًا بل مخيَّرًا

جواب المقعد سؤال يسوع هذا يفيد ان مرضهُ ثقيل لدرجة انهُ في هذه السنين كلها لم يمكنهُ ان يسبق الآخرين في النزول من الرواق الى البركة عند تحريك الماء . وايضًا انهُ منفرد لا معين لهُ يقدِّم لهُ هذه الخدمة الضرورية . لو عرف هذا المسكين ان يسوع قَصَدهُ لكون "ليس لهُ انسان" وان افتقارهُ حظهُ ويأسهُ حجتهُ عند المخلص لتغيرت لهجتهُ من اليأس الى الرجاء[1] . لا يزال هذا المخلص يطلب ويخلص من يشعر ويعترف ان ليس لهُ انسان آخر . يكرِّر ابن داود على كل خاطئ قول داود "لا تتكلوا *** على ابن آدم حيث لا خلاص عندهُ"[2]

لكن وجود هذا الانسان في هذا المحل دلَّ على طلبهِ الشفاء . فلماذا يسألهُ يسوع "أتريد ؟" لان ارادتهُ كانت قد أمست سقيمة كجسمهِ بسبب تكرار الفشل ومرور السنين . كان يقتضي انهاض قوة الارادة فتشترك مع قوة الشافي . عليهِ ان ينتفض من خمولهِ المعتاد . مثل ذلك امر الخاطئ الذي

(١) مز ٧٢ : ١٢ (٢) مز ١٤٦ : ٣

يلازم فروض الدين الخارجية . يُظهر بذلك انهُ من طالبي الخلاص من الخطيئة . لكن يخشى ان تكرار الفشل في مقاومتهِ للخطيئة بسبب سلطتها عليهِ ومرور السنين دون تغيير يسببان خمولاً في ارادتهِ وفتوراً في طلب الخلاص من الخطيئة . فيقتضي ان يسمع يسوع يسألهُ "أتريد ؟" سؤال يسوع هذا هو في محلهِ ايضاً نظراً لكثرة الذين لا يريدون هذا الخلاص . وهو لا يمكن ان يمنحهُ الاَّ لمن يريد من كل قلبهِ هذه الهبة التي لا تثمَّن

كان هذا الرجل مشخصاً لنفسهِ كيفية الشفاء الذي يطلبهُ فاتاهُ على صورة تخالف تصوُّراتهِ كل المخالفة . كان يوجه نظرهُ وامياله واشواقهُ نحو البركة التي منها توقع الشفاء عند تحريك الماء بواسطة ملاك حسب زعمهِ. لكن أتاهُ ذاك الذي كل الملائكة تفعل امرهُ عند سماع صوت كلامهِ [1] ومنحهُ شفاء لم يكن يحلم بمثلهِ

كنا لا نستغرب الامر لو أجابهُ المتعد لما سمع امرهُ "قم احمل سريرك وامشِ" أتمني انت وانزلني الى البركة وقت تحريك الماء وحينئذٍ احمل سريري وامشي. ان كنت حقًّا تشفق عليَّ وترثي لحالتي انتظر معي هنا تحريك الماء وكن انت الصديق لوقت الضيق الذي طالما نقت لمجيئهِ ولم يأتِ . لكننا نمدحهُ لانهُ لم يتقيَّد بظنونهِ وتصوُّراتهِ المتعلقة بالشفاء . ومنهُ نتعلم ان نأخذ المعرفة اللازمة في شروط الخلاص وكيفيتهِ من تعاليم يسوع وليس من تصوراتنا السابقة ولا من اقراننا

لما كان الشفاء من الامراض رمزاً للخلاص من الخطيئة لا يؤجَّل يسوع شفاء هذا الرجل وان كان الوقت سبتًا . فالخلاص ايضاً لا يؤجَّل. واليوم المقدس هو افضل يوم لاتمامهِ . بقولهِ للرجل "قم" يقول تحرَّك افعل ما بطاقتك ان تفعلهُ والاَّ فلا شفاء لك . يقول مثل ذلك للخاطئ "تيقن ان الذي يأمرك أن تأتي اليهِ يعطيك القوة الكافية لذلك . انت تستطيع ان

(١) مز ١٠٣: ٢٠

تدرس الكتاب الالهي تستطيع ان تجثو مصليًا . تستطيع ان تواظب على الاجتماعات في المعبد . تستطيع ان تسترشد من الذين تعتبرهم مرشدين. فقُمْ. تحرَّك روحيًا"

أحيا يسوع بروحهِ عند امرهِ رجاء جديدًا في هذا اليائس . فشعر بنشاط جديد في عضلاتهِ عندما تحرَّك وحالاً برئ وحمل سريرهُ ومشى . بقولهِ للرجل احمل سريرك اوجب عليهِ ان يبرهن شفاءهُ الحالي المجاني الكامل بعمل ظاهر يجد شافيهُ . عليهِ ان يخرِّب الآن مرقدهُ الذي أَلِفَهُ هذه السنين الطوال . ولا يترك بابًا مفتوحًا للعود اليهِ كأنهُ يشك في حقيقة شفائهِ ودوامهِ . وان يخرج ليمارس الاعمال المفيدة لهُ ولغيرهِ . مثل هذا يقولهُ المخلص للخاطئ امحُ ما تستطيع آثار خطاياك بعد نيلك الغفران الحالي المجاني الكامل واخرج بعد حصولك على الخلاص لتمارس الاعمال الروحية المفيدة لك ولغيرك. بدلاً من ان تُحمَل احمل . بدلاً من ان تُخدَم اخدِم . قدِّم بعملك برهان خلاصك . أعلن عزمك التام ان لا تعود الى حياتك القديمة الاثيمة

بقولهِ للرجل امشِ يبين لهُ انهُ لا يكفي مجرَّد الشفاء بل عليهِ ان يترك محل الشفاء ويقصد محل الاصحاء واعمالهم . عليهِ ان يخرج بين الناس ويريهم ما عمل بهِ يسوع . على الخاطئ الذي يخلصهُ يسوع ان يترك عشرتهُ القديمة الفاسدة اولاً ويطلب عشرة الانقياء ليتقوَّى في الايمان . عليهِ ايضًا ان يظهر للعموم بكلامهِ وافعالهِ التغير المهم الذي حصل فيهِ ويمجد بذلك مخلصهُ. الذي حوَّل اروقة بيت حسدا الى محل اظهار القوة الالهية للشفاء صوت يسوع المسموع . والذي يحوِّل محل الصلاة الى محل الخلاص اسماع صوت يسوع شخصيًا فيهِ

مهما كان هذا الرجل بسيطًا لا بد ان يعرف ان حمل فراشهِ الى بيتهِ يوم السبت هو من المحرَّمات. لكن هكذا أمر شافيهِ. فالذي يهب الشفاء بقوَّة الهية لا بد ان يكون لهُ حق الامر ويجب ان يطاع . والذي يهب الصحة يحق لهُ

ان يأمر كيف نستخدم الصحة الجديدة. لذلك اسرع حالاً ليجمع ما كان مضطجعًا عليهِ. نصوّر لذواتنا الحركة الغير الاعتيادية بين هذا الجمهور المؤلف من السقماء على اختلاف عللهم عند رؤيتهم نهوض رفيقهم وحركاتهِ وهم يعرفون جيدًا يأسهُ التام السابق. نتصوّر التهنئات التي انسكبت على راسهِ والادعية الخيرية على راس المحسن اليهِ. نتصوّر ايضًا ان كل شخص بين هذا الجمهور صار يؤمل ان يوجّه هذا المعلم الغريب التفاتهُ اليهِ ليشفيهُ. وان الجميع صاروا يصرخون اليهِ مستنجدين. ولا يعني سكوت البشير يوحنا عن شفاء غيرهِ ان يسوع لم يشفِ آنئذٍ الاَّ هذا المقعد

لا عجب ان هذا في انذهالهِ لزوال علتهِ فجأةً وتمامًا وفي اشتغال فكرهِ في حركات الذين حولهُ وكلامهم وفي افتكارهِ في مستقبلهِ نسي ان يهتم بالشخص الذي ابرأهُ ليعرف من ومن اين هو. وماذا جعلهُ يتحنن عليهِ. لما أفاق على خطإ اهمالهِ كان يسوع قد "اختفى اذ كان في الموضع جمع". كثيرون هم الذين نظيرهُ يكتفون بعمل يسوع لاجلهم ولا يهتمون لمعرفة شخصهِ ليقدموا لهُ الشكر الواجب لاجل خلاصهِ

يسوع اعتزل المكان لانهُ لا يقصد ان ينتشر صيت معجزاتهِ في اليهودية في هذا الوقت. اذ لا يريد ان يمكث فيها. ولان يزيد حسد الرؤساء اياهُ. "لان ساعتهُ لم تأتِ بعد"[1] لو صرّح لهم بانهُ مسيحهم لقوّى في مريديهِ هناك المطامع الزمنية التي علقوها على مجيء مسيحهم. فتجنب إتخاذ هذا الاسم لنفسهِ في ذلك الوقت مكتفيًا بالاشارة الموجودة في قولهِ لهم "لو كنتم تصدّقون موسى لكنتم تصدّقونني لانهُ كتب عني"

بناء على التدقيق الزائد والصارم في حفظ السبت أحدث مرور هذا الكهل في الازقة حاملاً فراشهُ حركة ليست بقليلة لغرابة منظرهِ هكذا. فحالاً اعترضهُ في سيرهِ بعض رؤساء ملتهِ يحجّونهُ بان عملهُ هذا لا يحل[2]. مع ارتعابهِ

(١) يو ٢:٤ (٢) نح ١٣:١٩ وار ١٧:٢١ و٢٢

من تلويم رؤسائهِ اياهُ أجاب ان الذي ابرأهُ قال لهُ ان يفعل هكذا . فكيف لا يطيع من لهُ هذا السلطان . اما هم فلخبثهم واجتهادهم في اهلاك يسوع لم يحفلوا بشفائهِ او يهنئوهُ عليهِ. بل اهتموا ان يعرفوا من الذي استبدَّ في وصاياهم ونظامهم . لم يتناول بصرهم العقلي ما كان جميلاً في عمل يسوع هذا . ولا ما كان موجباً للسرور في حالة هذا الرجل الذي هو من رعيتهم . لان التعصب المذهبي الاعمى كان قد غشّى ابصارهم . سبق القول انهم اعتادوا ان يفضّلوا حرف الشريعة المقدسة على روحها وطقوسها على معانيها . تمسكهم بتفاصيل صغيرة من توابع الوصايا واهمالهم خلاصة الوصايا كلها ومجموعها اي المحبة لله والمحبة للناس جعلاهم لا ينظرون الاَّ الى الخلل الذي حصل في طقوسهم . فاستياؤهم من هذا الخلل الطفيف اعمى عيونهم عن رؤية الخير الجزيل الذي حصل لهذا المسكين . لعلهم عرفوا ان يسوع هو الذي شفاهُ. لان ليس شخص آخر موجود في البلاد يستطيع مثل ذلك . فلم يهتموا ان يسألوا الرجل من هو الانسان الذي شفاك بل فقط "من هو الانسان الذي قال لك احمل سريرك وامشِ"؟

لما لم يحصلوا على جواب منهُ لجهلهِ من هو الذي شفاهُ تركوهُ . لكن يسوع لم يتركهُ. "وجدهُ في الهيكل". نرجّح ان عمل الشفاء كان صباح السبت وان هذا الرجل بعد نقلهِ فراشهُ الى البيت أسرع من بيتهِ الى الهيكل ليتمم فروضهُ الدينية التي حرمها هذه السنين الطوال ويقدّم ذبائح الشكر وتقدماتهِ. وان يسوع وجدهُ هناك في ذات النهار . ثم القى خطابهُ في موضوع السبت في ذلك السبت وامام جمهور لا يحتشد الاَّ في سبت العيد . لما وجدهُ قال لهُ "ها أنت قد برئت فلا تخطىء ايضاً لئلا يكون لك أشرّ". مجرّد العذاب لا يجلب التوبة ولا يطفئ الاميال الشريرة. فعذاب هذا الرجل كل هذه السنين لا يكفل اجتنابهُ الخطيئة فيما بعد . ولذلك اقتضى ان نصح لهُ ان يحذّر من الرجوع اليها

عرف الرجل عند ذلك اسم شافيهِ . فحالاً اخبر الرؤساء . ان كان عالمًا ببغضهم يسوع يستحق اشد الملامة لاجل تسليمهِ اياهم سلاحًا جديدًا يقاومون يسوع بهِ . لان البشير يقول " لهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون ان يقتلوهُ لانهُ عمل هذا في سبت ". لكن لربما كان الرجل بسيطًا لا يدري بمقاصد الرؤساء وبحسب ذاتهِ ملزومًا ان يقدّم لهم الافادة التي طلبوها منهُ أو انهُ ظن ان الرؤساء متى عرفوا من شفاهُ يفرحون بهِ ويشكرونهُ ويستفيدون منهُ . لما طرد الرؤساء يسوع من الهيكل (١) ونبهوهُ على تدنيس السبت اجابهم بقولهِ " ابي يعمل حتى الآن وانا اعمل ". عمل الله في الطبيعة والعناية والنعمة عمل متواصل لا ينقطع . هو لا يحتاج الى راحة وعملهُ لا يحتمل الانقطاع . علاقة الابن مع الآب تجعلهُ يعمل كما يعمل الآب لذلك نرى ان اعمال يسوع متواصلة واقعة في السبوت كما في سائر الايام

مرّة اخرى نلاحظ افرازهُ ذاتهُ في قولهِ " ابي " بالمفرد معلنًا جليًا انهُ ابن الله الوحيد . " من اجل هذا كان اليهود يطلبون اكثر ان يقتلوهُ لانهُ لم ينقض السبت فقط بل قال ايضًا ان الله ابوهُ معادلاً نفسهُ بالله ". وردت تكرارًا تسمية البشر ابناء الله . ولكن مطلقًا ليس على صورة تتطلب معادلتهم بالله . لذلك حقّ لهؤلاء ان يعدّوا كلام يسوع تجديفًا ويفكروا بجازاتهِ القانونية بالاعدام كمجدّف . في زيارتهِ السابقة هاج عليهِ اصحاب المراتب لمطامعهم العالمية في التجارة ضمن دار الهيكل . اما الآن فزاد بغضهم مرارة واتقد لهيب غيظهم بحجة الغيرة على شرف الاله والدين . في المرّة الاولى يحتمل ان المتدينين الصالحين استحسنوا عملهُ الاصلاحي لكونهِ لم يخالف سنّة من سننهم . واما في هذه المرّة فلكونهِ مسّ ما كانوا يعدّونهُ اهم الفرائض جمعاء بتعديهِ

(١) كما يستنتج من القول اعلاهُ كانوا يطردونهُ كما طرد هو الباعة منهُ في العيد السابق

حسب زعمهم على السبت المقدس والوصية الرابعة من الوصايا العشر فلا يقدر حتى هولاء ان يسامحوهُ

نحن مدينون لهذه المقاومة مع كونها عدائية ومميتة . لانها جعلت يسوع يتلفظ بخطاب من اهمّ خطبهِ . في هذا الخطاب اعلن جهارًا لاوّل مرّة امام جمهور حقيقة طبيعتهِ الالهية وعلاقتهُ مع الآب . في زيارتهِ الاولى للهيكل كولد اشار بقولهِ " ينبغي ان اكون في ما لابي " الى هذه العلاقة امام امهِ ويوسف ولربما امام المعلمين الذين كانوا يحاورونهُ[1] . في زيارتهِ الثانية عندما طهّر الهيكل (وهي الاولى بعد ظهورهِ كمخلّص) اشار ايضًا الى هذه العلاقة امام الجمع الحاضر بقولهِ " لاتجعلوا بيت ابي بيت تجارة[2] . لكنهُ الآن يشرحها باستيفاء يناسب اهمية هذا الموضوع عندهُ . جاء ليعلن الآب للبشر ولذلك جاز ان يقول فيما بعد لفيلبس ورفقائهِ " الذي رآني فقد رأى الآب "[3] لم يهتم بامر كما اهتم بحفظ علاقتهِ البنوية مع الآب تمام الحفظ . ولم يوضح امرًا كما اوضح كونهُ لا يفعل مشيئتهُ بل مشيئة الآب الذي أرسلهُ

ها خصوم يسوع يتهمونهُ الآن بانهُ " يعادل نفسهُ بالله " . ان كان نبيًّا فقط او مجرّد بشر أو احد المخلوقين فهو مضطرّ حكمةً وادبًا ودينًا ان يرفض هذه التهمة . مضطرٌّ حكمةً لانها تجلب عليهِ غضب العموم وبغضتهم اياهُ وتجعلهُ تحت خطر كلي على حياتهِ بدون موجب حقيقي . مضطرّ ادبًا لان من يقبل على نفسهِ بدون اعتراض ملامة بناء على ادعائهِ بما ليس لهُ يكون ساقطًا ادبيًّا اذ لا يحافظ على ما هو أثمن كنز بشري اي الشرف وحسن الصيت . ومضطرّ دينًا لاجل المحافظة على مقام الاله وشرفهِ لان لا شريك[4] لهُ فلا يجوز مطلقًا سكوت يسوع لهذه التهمة ما لم يعرف ذاتهُ بالحقيقة معادلاً لله

---

(١) لو ٢ : ٤٩ (٢) يو ٢ : ١٦ (٣) يو ١٤ : ٩ (٤) نجد مطبوعًا على النقود العربية القديمة هذه العبارة الجوهرية " لا اله الاّ الله وحدهُ لا شريك لهُ "

لكننا نرى انهُ ليس فقط لم يرفض هذه التهمة . بل لم يرضَ السكوت عندها لئلا يعدّ سكوتهُ خضوعًا وتسليمًا وتصديقًا على اعتراضهم . بهم ان يؤيد لا ان ينكر هذه التهمة . لذلك يزيد كثيرًا على كلامهِ الاوّل بهذا المعنى . قال "لان مهما عمل الآب يعملهُ الابن كذلك. لان الآب يحب الابن ويريهِ جميع ما هو يعملهُ. وكما ان الآب يقيم الاموات ويحيي كذلك الابن ايضًا يحيي من يشاء . لان الآب قد اعطى كل الدينونة للابن لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي ارسلهُ . وكما ان الآب لهُ حياة في ذاتهِ كذلك اعطى الابن ايضًا ان تكون لهُ حياة في ذاتهِ . واعطاهُ سلطانًا ان يدين ايضًا"

لو كان هذا ادعاء فارغًا او زعمًا وهميًّا لما اهتمّ يسوع ان يردف هذه الاقوال باقوال تبيّن خضوعهُ التام للآب مع معادلتهِ اياهُ في الطبيعة الالهية بناء عليهِ قال ايضًا في بيان خضوعه للآب هذا الكلام "الحق الحق اقول لكم لا يقدر الابن ان يعمل من نفسهِ شيئًا الاّ ما ينظر الآب يعمل . وانا لا اقدر ان افعل من نفسي شيئًا لاني لا اطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي ارسلني والاعمال التي اعطاني الآب لاكملها تشهد ان الآب قد ارسلني لان ابي اعظم مني"(١) . تأييدًا لادعائهِ بالبنوّة الوحيدة لله على صورة لا تصح لبشر يستشهد خمسة شهود . اوّلهم المعمدان الذي يرجح انهم كانوا قد سمعوا شهادتهُ ان يسوع ابن الله(٢) استشهد بالمعمدان لانهم لا يستطيعون الشك بصدق شهادتهِ ولا الرد على كلامهِ فذكرها تسهيلاً لايمانهم . اما هو فلا يبالي بشهادة من انسان . استشهد ثانيًا بما هو اعظم اي باعمالهِ . واحد كبار روّسائهم اعترف

(١) في طبيعتَي الانسان الواحد يقترن الامتياز مع المعادلة فلو نطق جسد الانسان وقال نفسي اعظم مني يفهم المقصود . ولعل هذه المقابلة تسهل فهم قول يسوع ابي اعظم مني هذه المقابلة تطلق على الاقنومين في الاله الواحد (٢) يو ١:١٨ و٣٤

بتبانة هذه الشهادة ليسوع[1]. ثم استشهد بمن لاتقابل عظمتهُ مع عظمة غيرهِ. وهو الآب ذاتهُ. فهم لتوغلهم في الشرور لم يسمعوا صوتهُ ولا ابصروا هيئتهُ كما سمع وابصر هو. أتاهم بشاهد رابع هو كتبهم المقدسة قال "فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حياة ابدية وهي التي تشهد لي"[2]. ثم بشاهد خامس هو زعيمهم موسى قال "لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لانهُ هو كتب عني. فان كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي". يصرّح ايضًا في هذا الخطاب ما هو عملهُ المزدوج الموكول اليهِ من قِبَل الآب اي الإحياء والإهلاك[3]

صرّح بان الهلاك نتيجة ارادة الانسان "لاتريدون ان تأتوا اليّ لتكون لكم حياة". لكن لئلا يظن سامعوهُ انهُ يدعي بالطبيعة الالهية فقط (كما كان يفعل لو كان خادعًا او مخدوعًا) فهو يصرّح بناسوتهِ ايضًا في قولهِ "اعطاهُ الآب سلطانًا ان يدين ايضًا لانهُ ابن الانسان. في آخر خطابهِ يبكتهم على عدم اكتراثهم للمجد الذي يأتي من الله للمستحقين ذلك وعلى اهتمامهم بالمجد العالمي الذي يأتيهم من الناس دون نظر الى الاستحقاق

تعتبر زيارة اورشليم هذه انها الحد الفاصل النهائي بين قسمَي حياة يسوع اذ انهُ فيها تثبتت عداوة الروَساء الظاهرة وقصدهم ان يميتوهُ. بناء عليهِ تحوّلت خدمتهُ الجدية الى الجليل[4]. برفض الروَساء يسوع قد حكموا على انفسهم باعظم خسارة عليهم وعلى بلادهم يمكن ان تُصوَّر. وذلك بسبب عزم يسوع ان يتركهم في ضلالهم بعدئذٍ. لانهُ "لم يُرد ان يتردّد في اليهودية

(١) يو ٣:٣ (٢) يو ٥:٣٩ (٣) عن الإحياء يقول "من يسمع كلامي فلهُ حياة ابدية وقد انتقل من الموت الى الحياة وتاتي ساعة وهي الآن حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون" وعن الاهلاك او الدينونة يقول. "الآب لايدين احدًا بل قد اعطى كل الدينونة للابن من يسمع كلامي لا يأتي الى دينونة كما اسمع ادين ودينونتي عادلة (٤) هذه الخدمة تشغل السواد الاعظم من اخبار البشيرين الثلاثة غير يوحنا

لان اليهود كانوا يطلبون ان يقتلوه (١) قال احد الكتبة " من الآن فصاعداً لاملائة ولاأمان لابن داود في مدينة داود ولم يعُد البيت الارضي لأبيهِ مفتوحاً لوعظ الابن الازلي "

(١) يو ٧ : ١

الفصل التاسع عشر

(مت ٤:٢٤-٢٥ و١٠:٢-٤ و١٢:١-٢١ مر ٢:٢٣-٣:٦ لو ٦:١-١٩)

(المرصع) ف ١١ و١٢ (الزمان) نيسان السنة ٢٨
(المكان) طريق الجليل

قطف السنابل في السبت . وضع السبت واصول حفظهِ . شفاء ذي اليد اليابسة . الهيرودسيون . تمسك الشعب يسوع وتكثيرهُ الشفاء . شهادة الشياطين له. اختيارهُ اثني عشر رسولاً

بعد ما ترك يسوع وتلاميذهُ اورشليم نجدهم مع رفقاء من الفريسيين المراقبين له في البرية بين الحقول المزروعة . وكان الوقت فصل الربيع والقمح مفركاً[1] . واذ جاع التلاميذ "ابتدأوا يقطفون السنابل وهم سائرون ويفركونها بايديهم ويأكلون" . وهذا الفعل جائز بحسب الاصطلاح ونصّ النظام الموسوي[2] . لكن تفتّنات النهي المتعلقة بالسبت تناولت هذا العمل البسيط . اذ علّلوا ان القطف يعدّ نوعاً من الحصاد والحصاد في السبت ممنوع . وان الفرك هو من نوع الدراس ودراس الاغلال في السبت ممنوع . لذلك عدّوا هذا العمل مخالفاً لاحدى وصايا الله العشر المعظمة التي كُتبت

---

(١) في اليوم المسمى عندهم السبت الثاني بعد الاوّل تختلف التفاسير في هذا السبت . ان القديس ابيفانيوس سأل القديس غريغوريوس تفسيرهُ فأجاب سأفسر لك هذا القول في الكنيسة اذ لا يكون لك سبيل لتقديم اعتراض قانوني على تفسيري . نحن نتبع الذين يعدّون "السبت الاوّل" انهُ الواقع بعد الفصح "والسبت الثاني هو الذي يلي هذا السبت الاوّل فيكون بعد الفصح بخمسة عشر يوماً (٢) تث ٢٣:٢٥

باصبع الله على لوحَي حجر في الجبل المقدس . ثم تسلَّمت لموسى كليم الله بين الرعود والبروق ودخان النار المخيفة بيانًا لاهميتها وتاكيدًا لتوقيرها . ولان وصية السبت هي الوحيدة بين العشر التي تختص بالطقوس الخارجية فاق اعتناء هؤلاء الطقسيين بها على اعتنائهم بما بقي من الوصايا. وتوصَّلوا الى مبالغات غريبة في النهي عن العمل فيهِ فوق كل ما ورد في الكتاب[1]

انتظر الفريسيون ليروا هل ينتهر هذا المعلم الديني تلاميذهُ على هذه المخالفة . فيسوع لانهُ لا يؤيِّد هذه التفنُّنات الباطلة في امر السبت ترقَّب فرصة لايضاح حقيقة السبت وقصد بذلك افادة سامعيهِ ولاسيما تلاميذهُ . ثم افادة العدد الذي لا يُحصى من الذين يقرأُون ويسمعون نصريحاتهِ على تعادي الاجيال . لكنهُ يفضل ان ينتظر اولاً انتقاد خصومهِ . فحصلت هذه الفرصة لما ابتدأُوا بتصويب اعتراضهم الى التلاميذ ثم اليهِ مدَّعين ان هذا الفعل لا يحلّ في السبت

لم يترك يسوع لتلاميذهِ مجاوبة الفريسيين ودفع الملامة عنهم . بل اخذ يزكيهم في ما فعلوا . في امور اخرى حتى امر التعميد كان يتكل عليهم . لكن اهمية التعليم كانت تزيد كثيرًا في نظرهِ على اهمية الطقوس. فحفظ بيده هذه الخدمة طالما هو معهم . وفي هذا الامر عبرة لكل عاقل. نرى ايضًا انهُ كان يريد ان لا يستقل او ينفصل عن التاريخ اليهودي والنظام الاسرائيلي. بل ان يسند اقوالهُ واعمالهُ اليهما كلما امكنهُ . لكن لانهُ علم ان اعتراض الفريسيين لم ينتج عن اخلاص نحو الشريعة الالهية بل عن كره لشخصهِ ولمبادئهِ وعن عنفوان وتعظُّم استحسن ابكامهم لا محاولة افادتهم او اقناعهم

لذلك اخذ يحجهم بما ورد في التوراة التي كانوا يفتخرون كثيرًا بمعرفتهم الدقيقة في نصوصها . فابتدأ بتوبيخهم لانهم لم يتذكروا فعل داود نبيهم وملكهم وزعيمهم

(١) خر ٣٠:١٠ و ٣٥:٣ و ٣ وعد ١٥:٣٢ — ٣٦ قد سبق الكلام في بعض هذه المبالغات في ف ١٨

الاعظم بعد موسى[1]. في الحادث الذي اشار اليهِ خالف داود شريعة الهيكل في استسلامهِ لشريعة الرحمة "لما جاع هو والذين معهُ". فان كان الرب لم يبكّت داود على ذلك جاز لابن داود الاعظم ان يسمح لتابعيهِ ان يقطفوا فريكًا ويأكلوهُ في السبت

ثم استشهد بحادث ثانٍ كان يتجدَّد كل سبت امام عيونهم باوامر الهية وليس كالاوَّل بمجرَّد استحسان رجل من رجال الله . ولذلك فهو اقوى جدًّا. قال "او ما قرأتم في التوراة ان الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم ابرياء". يدنسون السبت اولاً بايقاد النار لاجل الذبائح.[2] ثانيًا بمضاعفة اشغالهم يوم السبت[3]. فاذًا العمل الذي هو من باب الخدمة الدينية لا يوافق فقط ان يمارس في السبوت بل ان يضاعف ايضًا

زاد يسوع على هذا الاحتجاج بيان سلطتهِ الدينية . لانهُ اعظم من الهيكل بل هو رب الهيكل[4] فان كانت عظمة الهيكل تجيز تدنيس السبت بالاعمال في خدمتهِ فكم بالحري يحق لرب الهيكل ان يجيز ذلك . لان رب الهيكل يكون رب السبت ايضًا . وهو ذات الهيكل[5] الذي "يحلُّ فيهِ كل ملء اللاهوت جسديًّا"[6] وفيهِ تقدَّم العبادة الحقيقية لله لانهُ الوسيط بين الله والناس[7] فما دام الهيكل اعظم من السبت فكم بالحري رب الهيكل . حتى وان غير رب الهيكل اعظم من السبت . "لان السبت وُضع لاجل الانسان لا الانسان لاجل

---

(١) ١ صم ٢١: ١ — ٦ عرفنا من ذكر كون خبز التقدمة سخنًا في ذلك اليوم وهو يدل كل سبت ان عمل داود هذا كان في سبت . في خبر داود نقرأ ان اسم الكاهن آنئذٍ كان اخيمالك بينما يسوع يسميهِ ابياثار الذي كان ابن اخيمالك فاما ان يسوع ذكر ابياثار لشهرتهِ فوق ابيهِ لكونهِ رئيس الكهنة مدة حياة داود كملك او ان ابياثار شارك اباهُ في الوظيفة كما شارك قيافا حماهُ حنان في زمان يسوع . او ان اخيمالك كان الذي اعطى داود خبز التقدمة لكن الرياسة كانت آنئذٍ لابنهِ ابياثار . لم ينقل ان ابياثار اعطاهُ الخبز لكن فقط ان ذلك كان في ايام ابياثار (٢) انظر خر ٣٥: ٣ (٣) عدد ٢٨: ٩ و١٠

(٤) ملا ٣: ١ (٥) يو ٢: ١٩ (٦) كو ٢: ٩ (٧) ١ تي ٢: ٥ .

السبت" فالسبت والهيكل وُضعا لخدمة الانسان ومنفعتهِ. فيسوع كرب السبت بكرمهُ وبثبتهُ. وفي الوقت ذاتهِ يوسعهُ ويحررهُ من القيود التي قيَّدهُ بها الفريسيُّون. فلو كان مجرَّد بشر لما حق لهُ ان يسمي ذاتهُ رب السبت

نستنتج من عبارات عديدة في الانجيل ان يسوع استعمل سلطانهُ كرب السبت ونقلهُ من اليوم السابع في الاسبوع الى اليوم الاوَّل فسُمِّي يوم الرب. وضع نظام يوم الراحة في كل اسبوع لخير الانسان فيدوم ما دام الانسان. المقصود تخصيصهُ لاعمال الضرورة والرحمة والعبادة. طالما يُكرَّس لله يوم من كل سبعة ايام تكريسًا ممتازًا تتم غاية الوصية الالهية. فابدال اليوم السابع بالاول لا يكون قد اجراهُ الرسل الاَّ باشارة من يسوع او بالهام من روحهِ القدوس. ولا يخالف هذا الابدال قطعيًّا روح الوضع الالهي وقصدهُ. نحسب ان الله وضع في عهدهِ القديم اليوم السابع حافظًا لعهدهِ الجديد يومًا اشرف منهُ هو الاوَّل في الاسبوع. وكما كان السبت الاوَّل اليهودي تذكارًا ضروريًّا للعمل الالهي في الخلق وكما يسمِّي في الكتاب استراحة الخالق في اليوم السابع كذلك يكون السبت الجديد المسيحي تحويل موضوع التذكار الى ما هو اعظم من فعل الخلق. وهو عمل الفداء الذي تمَّ بقيامة الفادي في اليوم الاوَّل. ولذلك نسمِّي يوم الرب. وهو تذكار ايضًا للعمل العظيم في يوم الخمسين لما تأسست الكنيسة المسيحية في يوم الرب بواسطة انسكاب الروح القدس العجيب في علية صهيون[1]. ولا يقدر احد ان يصف او يدرك مقدار فوائد السبت المسيحي في تاريخ تمدُّن العالم من زمن يسوع الى الآن. ولا ان يشخِّص الاضرار التي تنجم عن اهمالهِ

نتيجة تعليم يسوع في هذا الامر هي ان الوصية الاولى والعظمى التي اي المحبة لله لا يمكن ان تعارض الثانية التي هي مثلها اي المحبة للناس. فلا يمكن برض

(١) انظر مرشد الطالبين وجه ٤٥ لاجل بيان ان يوم الخمسين في تلك السنة وقع في يوم الاحد

الاله ان يحفظ سمتهُ على صورة فيها قساوة نحو الناس . لذلك ذكرهم بالقول النبوي القديم "اني اريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله اكثر من المحرقات" (١) . وقال لهم انهُ لو علموا معنى هذا القول لما حكموا على تلاميذهِ الابرياء . من عهد قريب حج يسوع معارضيهِ بهذه الآية عينها (٢) . والآن يكرّرها لانهُ رأى انهم لم يحفظوها بعد

لم يطُل الوقت حتى اعطى يسوع المثالة الثالثة في هذه السلسلة المتصلة في موضوع السبت . واعطاها كالسابقتين في يوم السبت . اعطى الاولى في الهيكل والثانية في الحقول وهذه الثالثة في مجمع (٣) . عُرف عنهُ انهُ لا يرى عليلاً الاَّ ويودُّ شفاءهُ ولا يراهُ عليل الاَّ ويسترحم منهُ شفاءه . في هذا السبت وهو يعلّم في هذا المجمع لاحظ الكتبة والفريسيون الحاضرون انساناً بين الجمع يدهُ يابسة (٤) . حالاً توجهت افكارهم نحو هذا الشخص وارادوا شفاءهُ لا شفقةً عليهِ بل ليجدوا علّة على يسوع تمكنهم من تقديم شكاية رسمية عليهِ للمجلس الاعلى . فحسب الظاهر سبقوا يسوع في الاهتمام بهذا العليل لما سألوهُ هل يحل "الابراء في السبوت"

لكونهم غير مخلصين لم يحترم سؤالهم ليجيب عليهِ . لكنهُ بعد ان اوقف العليل في الوسط ليظهر للجميع انهُ لا يهاب مقاومتهِ ولا يخشى مقاومتهم طرح عليهم سؤالاً لاجل ابكامهم . سألهم اي هو اكثر موافقة للقصد الالهي في وضع السبت فعل الخير وتخليص نفس فيهِ او فعل الشر واهلاك نفس . كأنهُ يقول أنا اقصد تخليص هذا الرجل في يوم السبت . وهذا فعل خيري بينما انتم قاصدون قتلي في هذا اليوم وهذا فعل شرّ . فأيٌّ منا يُعدّ حافظاً لوصية السبت وايٌّ مخالفاً ؟ ذكّرهم ان ليس بينهم انسان لا ينشل في السبت خروفاً لهُ سقط في حفرة . فكم بالحري يجب ان ينشل من هو افضل جدًّا من

(١) هو ٦:٦ (٢) في وليمة متى مت ١٢:٩ (٣) ترجح انهُ في مدينة كفرناحوم .
(٤) لوقا كطبيب يدقق بقولهِ انها كانت اليد اليمنى

الخروف. كان مقرّرًا حتى عند الفريسيين ان من يهمل فعلاً خيريًا مطلوبًا منهُ وهو يستطيعهُ يكون قد فعل شرًّا ومن يتأخر عن تخليص نفس وهو قادر ان يخلصها يكون قد اهلكها . فيسوع بسؤالهِ هذا دانهم ديّنونة لم يستطيعوا الاعتراض عليها

انتظر جوابهم لكنهم "سكتوا". ولا عجب . وفي هذا السكوت بيان سطوتهِ الادبية . لكن ليس لهم ضمير حي ينبههم الى غلطهم و يبكتهم على غلاظة قلوبهم ليعترفوا بذلك ويحبوا ان تجري الرحمة على هذا المسكين . فحالتهم هذه تضطر يسوع كمصلح الى الغضب وكمخلص الى الحزن "فنظر حولهُ الى جميعهم بغضب على غلاظة قلوبهم. الغضب في الحزن بجوهرهِ والحزن في الغضب بقدسهِ وبجعلهِ فضيلة سامية. قال الرسول "اغضبوا ولا تخطئوا"[1] كثيرًا ما نقرأ في الكتاب عن الغضب الالهي وليس في الاله الاَّ ما هو فضيلة وكمال

قد سبق القول ان الغضب في محلهِ يكون فضيلة لا رذيلة . ما كان في يسوع غضبًا على هؤلاء المعتزّين في كبريائهم كان حنانًا على ذي اليد اليابسة . فشفاهُ بكلمتين فقط. وبهذا الشفاء العجيب اثبت صحة مُدّعاهُ انهُ رب السبت. شفاهُ بقولهِ "مُدّ يدك ". كان يخشى ان يجيبهُ جوابًا طبيعيًا و يقول "اني عاجز عن ذلك. فلو كنت قادرًا على مد يدي لاستغنيت عن احسانك". لكنهُ آمن والاَّ فما حاول ما كان قبلاً مستحيلاً عليهِ . على ايمانهِ يُمدح بينما كان عاجزًا عن عملٍ يُمدح لاجلهِ. لم يعطهِ يسوع شفاء جزئيًا بل كاملاً "عادت يدهُ صحيحة كالاخرى" ولا يعطي يسوع غفرانًا جزئيًا بل كاملاً لكل من يلتجئ اليهِ

نرى فيهِ وفي ابرائهِ مثالاً صادقًا للخاطئ والخلاص . العمل الذي شفاهُ لم يكن عملهُ بل عمل يسوع . لكن عمل يسوع لا يشفيهِ ما لم يؤمن بذلك العامل وبعملهِ . هكذا العمل الذي يخلص الخاطئ هو عمل يسوع لاعمالنا . انما

(١) اف ٤: ٢٦

تتوقف نتيجة عمل يسوع في خلاص الخاطئ على ايمان هذا الخاطئ بشخص هذا المخلص وبخلاصه

في هذه الحلقات الثلاث المتعلقة بالسبت اوضح يسوع مبدأهُ الجوهري الذي اشار اليه بعدئذٍ في قوله "الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحياة" والذي اوضحه رسوله في قوله "لان الحرف يقتل ولكن الروح يحيي" (١)

اختفى حالاً هذا الرجل وذكرهُ . ليس كذلك امر الكتبة والفريسيين الذين ابكمهم يسوع بقوله اولاً ثم بالاكثر بفعله . يقول البشير انهم "امتلأوا حمقًا وصاروا يتكالمون في ما بينهم ماذا يفعلون بيسوع . هم مستعدُّون بحجة المحافظة على الوصية الرابعة ان يضحّوا لحمقهم الوصية السادسة القائلة لا تقتل. افكارهم نحو يسوع ومعاملتهم اياهُ تجانس افكار اهل العالم ومعاملاتهم في جميع الاجيال لرجال الله الممتازين . فالانبياء والرسل والشهداء والمصلحون قد عانوا جميعًا ما قاساهُ يسوع جزاء لغيرته الوقّادة ونقواهُ الممتازة . لا تخلق المراقبة العدائية من فائدة للصالحين لانها تزيدهم حرصًا على حسن السيرة والسريرة وتزيد جلاء الشهادة بفضائلهم التي تزكيها هذه المراقبة الشديدة

حمق الفريسيين في هذا الحادث رفع الستار عن الهيرودسيين الذين نراهم لاوّل مرة في هذا الوقت. ونراهم متفقين مع خصومهم الفريسيين في المؤامرة على يسوع لاجل اهلاكهِ . باعتبار هؤلاء هو "مفسد الامة ومجدف ومضلّ وسامري فيه شيطان وعشير العشارين والخطأة ناقض الهيكل والناموس". اتفق مع كره الفريسيين يسوع من الوجه الديني كره الهيرودسيين اياهُ من الوجه السياسي. لان الرابط الاول والمبدأ الاهم عند هؤلاء كان صون عرش بيت هيرودس . فان كان يسوع ابن داود وارث العرش اليهودي يكون عدوًّا لدودًا طبيعيًّا لمختلس هذا العرش اي هيرودس. فيجلو للفريقين

(١) يو٦: ٦٣ و ٢ كو٣: ٦

قتل مسيحهم ولا ترك الخطايا التي جاء ليخلصهم منها

لان هذا الاتفاق الاثيم مجلبة لخطر جديد على يسوع انصرف من هناك مع تلاميذهِ الى البحر. وليس في هذا الانصراف شيء من العدول عن الخطة التي تأنيو بالبغض المميت . ولا يتخذ بغض رؤساء الشعب ومحاولتهم قتله حجة ليتوقف عن الامتزاج مع الجماهير الملتمسة اغاثته . بل بعكس ذلك دام يخدم جميع الذين استنجدوا بهِ لاجل تخفيف مصائبهم . ودام يطيل اناتهُ على غليظي القلوب بدلاً من ان ينزل عليهم قصاصات يستحقونها . ودام يدعو شعب الله المختار للايمان بالابن الذي ارسلهُ. لم تعكر كل مكايد اعدائهِ بحر حبهِ . فبينما ازدادت عداوة الرؤساء وضوحًا وشدةً ووقاحةً ازداد ايضًا تمسك الشعب بهِ رسوخًا وشهرةً وامتدادًا . التفت الجموع الكثيرة حولهُ آتيةً ليس فقط من الجليل واليهودية بل ايضًا من ابعد البلاد اي من ادومية وساحل صور وصيدا وعبر الاردن (اي بيرية) فشفاهم جميعًا

في هذا التجمهر " في موضع سهل " ظهر ان قسمًا من الجمع أقبل على يسوع لاجل استماع تعليمهِ ما عدا الكثيرين الذين جاءوا لاجل الشفاء . ظهر ايضًا من امر الشياطين الذين كان يخرجهم من "المعذبين من ارواح نجسة " انهم ليس فقط عرفوهُ بل شهدوا لهُ . لا نعتبر انهم أدّوا ليسوع شهادتهم القوية بقولهم وهم ساجدون لهُ " انك انت ابن الله " الاّ مكرهين على ذلك بقوة الهية اي بسطوة يسوع . ألم يوضح يسوع في اوقات اخرى استحالة مساعدة الشيطان اياهُ برضاهُ والاّ فتخرب مملكتهُ ؟. لكن يسوع لا يستند على شهادة الشياطين ليرغب في دوامها او تكرارها كثيرًا . يقبل شيئًا منها لفائدة تأثيرها في الشعب لعلمهم ان الشياطين لم تؤدِّ في الزمان شهادات كهذه لغيرهِ من انبيائهم . اذًا هو منفرد عنهم وممتاز عليهم . لان الشياطين يتفوقون في معرفة الحقائق . لذلك نرى يسوع بعد سماحهِ للارواح النجسة بتأدية هذه الشهادة يعود يسكتهم وينتهرهم . لا يخفاهُ ان افكار الرؤساء الشريرة الجاهلة قد تستخدم هذه

الشهادات سنداً لاتهامهم اياهُ انهُ كان يخرج الشياطين برئيسهم بعل زبول

كذلك نرى ان الجمهور كان يتهافت عليهِ "ليلمسهُ". كل الجمع طلبوا ان يلمسوهُ لان "قوة كانت تخرج منهُ وتشفي الجميع". حتى اضطران يأمر تلاميذهُ بان "تلازمهُ سفينة صغيرة لسبب الجمع كي لا يزحموهُ". والقوة التي كانت تخرج منهُ بواسطة لمس المصابين اياهُ كانت توثّر فيهِ بخروجها (١).

كان يفتقر هو ليغني غيرهُ ويتعب ويضعف ليريح ويقوي الآخرين. قاعدة التعويض والموازنة في الكون تقضي بان ما نقصد ان نربحَ الآخرين بهِ نتحمّل نحن بسببهِ خسارة. يُطلب منا ان نبذل ونضحّي ما عندنا ان قصدنا ان نكسب ونفيد الآخرين. وفي ذلك نجد نحن خيرنا الاعظم

نحوّل النظر الآن عن هذا التجمهر الوقتي وهذه المعجزات الوقتية الى عمل من نوع آخر هو بين اعمال يسوع من اعظمها في سموّهِ وتأثيرهِ ودوامهِ. قال مرة "خرجت من عند الآب وقد اتيت الى العالم. وايضاً اترك العالم واذهب الى الآب. وانا معكم زماناً يسيراً بعد ثم اذهب الى الذي ارسلني" (٢) يعلم ان ما يعملهُ قبل انصرافهِ جسدياً من العالم هو المقدمة والاساس فقط. فمن يقوم بعدهُ بالقسم الاعظم من هذا العمل الفائق خطورة؟. وبالنظر الى هذه الخطورة يستحيل وجود من يقوم بذلك بقوتهِ. ولذلك فهو يبقى العامل فيهم ومعهم بعد انجابهِ عنهم وعن البشر جميعاً

سيكون عملهم شفاء الامراض واخراج الشياطين باسمهِ وبث التعاليم الجديدة وتنظيم جمهور المؤمنين الجديد وتدوين حقائق الدين لاجل توريثها للاجيال التي بعدهم. يحول دون اختيارهِ عظماء العالم كبرياؤهم لئلاّ ينسبوا الى انفسهم وينسب العالم اليهم القسم الاعظم من النجاح ولا يتمجّد الله كما يجب. اصاب الرسول في قولهِ "لنا هذا الكنز في اوانٍ خزفية ليكون فضل القوة لله لا منّا" (٣). لذلك نراهُ يختار رجالاً من المعدودين ضعفاء وجهلاء ويصيّرهم

(١) لو ٨: ٤٦ (٢) يو ١٦: ٢٨ و ٢٢: ٧ (٣) ٢ كو ٤: ٧

اكفاء. وكانت النتيجة انهم قد فاقوا سائر عظماء العالم في حسن تأثيرهم. اسرع في انتخابهم في اوائل سني خدمتهِ ليتمكن من تربيتهم قبل صعودهِ

وُجد بين تلاميذهِ اشخاص قد قضوا في رفقتهِ وقتاً كافياً ليختبروهُ ك برسخ ايمانهم بهِ ويختبروا انفسهم هل هم مستعدون ان يثبتوا في التلمذة لهُ ويحتملوا المحن والصعوبات والمقاومات التي ستتبع هذا الثبات. فمن هؤلاء يعيّن رسلهُ واحتراماً للوضع الالهي في صيرورة اسباط شعبهِ القديم اثني عشر احب ان يجعل رسلهُ اثني عشر ايضاً. راعى بذلك اصلهُ اليهودي وقصدهُ ان يكمل الناموس القديم لا ان ينقضهُ. وان يمكّن الارتباط بين العهد القديم ونظامهِ والعهد الجديد ونظامهِ لا ان يحلهُ. عرف اهمية هذا العمل الجديد وصعوبتهُ فخرج ليصلي وقضى الليل كلهُ في الصلاة. كان هذا الليل المضني لقواهُ الجسدية كزرع بان حصادهُ في ثمار هؤلاء الرسل في قدوتهم وافعالهم وكتاباتهم التي ملأت الارض. وهذا الحصاد يتجدد ويتزايد جيلاً بعد جيل لمجد الله ومسيحهِ وفخر الذين سماهم رسلاً

قال البشير ولما كان النهار صعد الى الجبل ودعا تلاميذهُ الذين ارادهم فذهبوا اليهِ واختار واقام منهم اثني عشر ليكونوا معهُ وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم "سلطان على شفاء الامراض واخراج الشياطين". سماهم رسلاً لكونهم مرسلين منهُ ليعملوا باسمهِ لا باسمهم. قال لهم بعد ئذٍ "كما ارسلني الآب ارسلكم انا"(١). اقامهم قبل صعودهِ بمدة كافية لينسيهم كثيراً مما رضعوهُ مع الحليب وتلقنوهُ في مدارسهم في الصغر وتعلموهُ من رؤسائهم في الكبر من الآراء المضلة والعوائد الذميمة وليشبعهم من الغذاء الجديد الروحي الذي هو التعاليم الالهية الصحيحة وليفهمهم روح التعاليم القديمة الحقيقي

نصحبهُ بافكارنا وهو ينظر حولهُ بعد جلوسهِ بنظرة الحب الممتاز والرضى. لان ليس بين محيطهِ الاَّ الذين دعاهم. نصغي الى هذا السيد الذي يزين جلالهُ

(١) يو ٢٠: ٢١

شبابُه بينما يوضح لهؤلاء حقيقة مشروعهِ الخطير وسمو مقاصدِهِ الحبيبة وعظم المسؤولية التي سيضعها على عاتق الذين سينتقيهم من بينهم . لكن ماذا تكون افكار سامعيهِ ؟ أليس لكل فرد منهم شوق مع امل ان يكون من المنتخبين لِما في ذلك من برهان ثقة معلمهِ بهِ ومن اسباب مصاحبتهِ الدائمة والحصول على ارشاداتهِ الخصوصية ثم على خدمة ممتازة ؟ كيف تشتغل عواطفهم عند ما يبتدئ يسمي رسولاً بعد آخر وكيف يلتفت الجميع الى الذي يسمّى بنظرة التطويب وربما بقليل من الحسد الطبيعي !

اقدم سمعان بن يونا ونشاطهُ وغيرتهُ مع تاريخ تلمذةِ ليسوع كانت اسبابًا كافية لتعطيهِ الاسم الاوّل في كلٍّ من قوائم الرسل الاربعة التي حُفظت لنا (١) فنستنتج ان يسوع سمّاهُ اولاً في هذا الانتخاب . وانهُ دعاهُ باسمهِ الجديد بطرس الذي يدفع الالتباس بينهُ وبين سمعان الثاني بين الرسل . ثم تلي تسمية اخيهِ اندراوس - اول كل من تبع يسوع بعد ظهورهِ - واوّل مبشر مسيحي في التاريخ . لانهُ هو الذي اتى باخيهِ الى يسوع . لكن ليس لهُ ذكر مهمٌّ في الانجيل بعد هذا . ثم يسمّي يسوع الاخوَين يعقوب ويوحنا ابنَي زبدي وسالومة شريكَي الاولَين في الوطن والمهنة . نرى اكبرهما يعقوب متقدمًا في الكنيسة بعد صعود يسوع حتى انتقاهُ هيرودس اغريباس بعد نحو خمسة عشرة سنة اوّل ضحية يقدمها ارضاء لكيد اعداء المسيحية رؤساء اليهود . واما الاصغر يوحنا فعاش كثيرًا وخدم الكنائس خدمات جلّى طويلاً بعد ان رقد كل زملائهِ في قبورهم . مناسبة وضع هؤلاء الاربعة في مقدمة الرسل غنية عن البيان لانهم باكورة الذين تبعوهُ يوم كان لا يزال مجهولاً بين الناس

بين افراد الهيئة المجتمعة اقام شخصين آخرين كانا رفيقين لهؤلاء الاربعة

(١) مت ١٠: ٢ — ٤ مر ٣: ١٦ — ١٩ ولو ٦: ١٤ — ١٦ واع ١: ١٣ انظر الاتفاق وجه ١٥ و١٥٩

في التلمذة الاوّل على ضفة الاردن وهما فيلبس ونثنائيل[1]. ولم يرد ذكر فيلبس بعد انتخابهِ الاّ في بشارة يوحنا[2]. واسم نثنائيل لم يرد في قوائم الرسل. لكن نجد في كلٍّ منها اسم برثولماوس ملاصقًا لاسم فيلبس. وقد اتفق المفسرون بعد البحث الكافي على اعتبار برثلماوس انهُ نثنائيل[3]. بتسمية هؤلاء الستة تم تنظيم نصف الهيئة الرسولية وكلهم من تلاميذ المعمدان سابقًا. وكان التصاقهم بذلك النبي المصلح الصارم برهانًا كافيًا على حسن استعدادهم الديني. فلا بد من ان انتخابهم جميعًا كان منتظرًا ومستصوبًا من التلاميذ الآخرين الحاضرين. اما الاسم السابع فموجب لبعض الريب. لانهُ العشار متى او لاوي. قد سبق خبر دعوة يسوع اياهُ[4]. فهل يصلح رسولاً؟ بناء على مواهبهِ العقلية والروحية يصلح. ولانهُ يمثل بين الرسل الحقيقة ان كثيرًا ما هو مرفوض من الناس يكون مكرمًا عند الله. فيكون مثال دائم لقوة النعمة التي تصيّر عشّارًا دنيئًا رسولاً ممتازًا رفيق متى في التسمية هو توما الذي لا نعرف عن ماضيهِ شيئًا بخلاف السبعة الذين تعينوا قبلهُ[5]. يليهِ في التسمية يعقوب ثانٍ لُقّبَ بيعقوب الاصغر او الصغير. ظنّهُ البعض أخًا لمتى لان اسم ابي الاثنين حلفى. لكن ينفي هذا الظن عدم ضمّ الاسمين كانضمام بطرس واندراوس ويعقوب مع يوحنا[6]

ثم انتخب يسوع رجلاً نستغرب تعيينهُ لسبب هو عكس سبب استغراب تعيين متى. كان متى عند الرومان واحد مأموريهم وبالنتيجة مكروهًا ومحتقرًا من أمتهِ. اما سمعان الغيور فكان عدوّ الرومان وعضو جمعية غايتها قلب حكومتهم[7]. فلذلك كان مكرّمًا عند امتهِ. استحسن يسوع ان يضمّ الى

(١) انظر ف ٩ (٢) يو ٦: ٥ و ١٢: ٢١ و ١٤: ٨ هو غير فيلبس المذكور في اعمال الرسل (٣) برثولماوس العبراني يعني ابن فهذا الرسول هو ابن تلماوس (٤) انظر ف ١٧ (٥) البشير يوحنا يلقبهُ بالتوأم كأنهُ احد توأمين (٦) لُقّبَ بالغيور بيانًا لكونهِ من الحزب السياسي الحامل هذا الاسم وهو الحزب المتظاهر بمقاومة الحكومة الرومانية والادارة الهيرودية (٧) يشبه ما يسمى في هذه الايام حزب النيهلست

صف الرسل رجلاً من هذا الصنف ايضاً. وبذلك اظهر شجاعتهُ الادبية وقصدهُ ان يمثل رسلهُ مشارب وطباع ومقاطعات وحرف مختلفة. الرسول الحادي عشر ايضاً لهُ اسمان. "لبّاوس الملقب تداوس" ايضاً "يهوذا اخا يعقوب بن حلفى"

آخر الرسل كان من مقاطعة اليهودية بينما كان الآخرون من الجليل. اسمهُ يهوذا سمعان الاسخريوطي لان وطنهُ قرية قريوت[1]. كما انهُ منفرد عن زملائهِ الاحد عشر في الوطن هو منفردٌ ايضاً في الخيانة لانهُ يوصف في كل القوائم بذكر جريمتهِ الفائقة قباحةً اذ يسمّى يهوذا الاسخريوطي الذي اسلمهُ. لا نتجاسران نجزم في الاسباب التي دعت يسوع لاختيار شخص رسولاً عرفهُ منذ البداءة انهُ يخونهُ[2]. وان الجوهر الديني الذي يؤهلهُ للرسولية ليس فيهِ. يجوز ان يسوع قصد اتمام النبوات وتسهيل المقاصد الالهية فاختارهُ. يجوز ايضاً انهُ قصد ان يعطي مثالاً يعلم الناس ان لا ينفكوا عن خدمة الاشرار الدينية لعلهم يربحونهم للصلاح. ومثالاً لكون افعل الوسائل الروحية لا بد ان تفشل مع البعض. او انهُ انتخبهُ كي يتضح لهُ انهُ بلا عذر في خيانتهِ الفظيعة بعد الوسائط الفائقة التي تقدمت لهُ لاجل اصلاحهِ قد يمكن انهُ لم يكن شريرًا لما تبع يسوع اولما تعين رسولاً وانهُ كان من الذين يبتدئون حسناً وباخلاص. لكن لعدم اتكالهم على النعمة الالهية التي وحدها تحفظ من السقوط ينقادون بعد حين الى الاهواء الشريرة اما تسليم الصندوق لهذا السراق فقد يكون عمل التلاميذ الذي تركهُ لهم يسوع وانهم عيّنوهُ لما وجدوهُ صاحب اقدام على العمل وبراعة في الحساب

عند نهاية هذا الانتخاب لا بد ان يسوع سرّح نظرهُ الثاقب الى الامام ورأى بروح النبوة ما يكون من امر هؤلاء الرسل. رأى ضعفاتهم وسقطاتهم ورأى ايضاً غيرتهم ونشاطهم ونهوضهم من السقطات وغلبتهم على الصعوبات

(١) يش ١٥ ٢٥ (٢) يو ٦: ٦٤

والمقاومات ورأى تأثير تبشيرهم في حياتهم وتأثير كتاباتهم ومؤسساتهم بعد مماتهم. ثم رآهم مكللين بالمجد الفائق بين الشهداء عن يمين العرش الالهي جالسين على "كراسي يدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر"(١)

نقطة واحدة سوداء تشوّه هذا المشهد ويتنهد لها هذا المخلص المحب وهي هيئة الرسول الذي بسبب دناءته أُدرج اسمهُ في ذيل كل قائمة. يعلم يسوع جيدًا انهُ بعد كل الوسائط الممتازة التي يجريها سيدهُ لاجلهِ سيزداد رياء وقساوةً ورداءةً حتى انهُ بعد خيانتهِ الهائلة يذهب في طريق الانتحار المفجع الى مكانهِ في "الظلمة الخارجية حيث دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ". قد رأينا الآن خاتمة الانتحاب وسنرى فاتحة الاستعداد الذي يليهِ

(١) متى ١٩: ٢٨

الفصل العشرون

(مت ٥: ١ – ٧: ٢٩ لو ٦: ٢٠–٤٩)

(المرصع) ف ١٢ (الزمان) صيف السنة ٢٨
(المكان) الجليل – قرب كفرناحوم

الوعظ على الجبل . صفات ابناء الملكوت . تاثيرهم كالملح والنور . تثبيت نظام الملكوت . ايضاح روح الناموس . الصدقة . الصلاة مع الصلاة الربانية . الصوم . الكنز الباقي . عناية الله . النهي عن دينونة الآخرين . فاعلية الصلاة . القاعدة الذهبية . من ثمارهم تعرفونهم . العاقل والجاهل

اهمّ ما في الرسامة اعطاء تعليمات تبين ماهية العمل الداعي للرسامة . عمل الرسل الاعظم سيكون التعليم الديني كما كان الوعظ من اعظم اقسام عمل سيدهم . فيقتضي ان يُعطَوا اولاً المثائل الكافية لذلك . بناء عليهِ اردف يسوع انتخابهم بموعظة عمومية فريدة وافية شاملة ابدية تُعتبَر قاعدة المواعظ وخلاصة الدين . وتسمّى "الوعظ على الجبل"[1] . وهي اهمُّ واكمل ما ورد من عظاتهِ كما انها الاكثر شيوعًا عند العموم والاقرب قبولاً عند اضداد المسيحية من سائر خطب يسوع . وقد اشغل شرحها المجلدات العديدة

هذه الموعظة هي بمثابة دستور الملكوت الروحي الجديد الذي انشأهُ يسوع على اساس النظام القديم الالهي الذي أُنزل على موسى والانبياء وجاء يسوع

---

(١) القاها يسوع في محل مرتفع بقرب كفرناحوم . قد اتفق اكثر المفسرين على حسبانهِ الجبل المعروف حاليًا باسم "قرون حطين" وهو بجهة الشرقية الشمالية من مدينة طبرية

لا لينقضه بل ليكمله . في هذا الملكوت يسوع هو الملك الذي انبأ الله به قبلاً بفم نبيهِ داود " اما انا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي "(١) . فلا بدّ له من منشور خصوصي يسلمهُ لسفرائهِ الرسل معلنًا فيهِ ما هو جديد في نظام هذا الملكوت وما هو المعنى الجديد لما حُفظ فيهِ من النظام القديم . فالملك الذي عيّنهم بؤيدهم بقوة خصوصية عجيبة تمكنهم من القيام بمهمتهم المتنوّعة العجيبة

فقبل الاصغاء الى كلام هذا المعلم الشهير يوافق ان نقف قليلاً لنشخّص الظروف الخارجية المتعلقة بهذه العظة . ليس كما أُعطيت الشريعة القديمة تُعطى الآن الجديدة . تلك أُعطيت على جبل سيناء الاجرد بصوت اله غير منظور ومحفوفة بالبروق والرعود والزلازل ولهيب النار المخيفة بينما حُرّم على كل حيّ سوى موسى الكليم الدنوّ من هذا الجبل تحت قصاص الموت رجمًا . اما هذه فعلى جبل حطين الانيس في وسط المروج الخضراء وبين تغريد العصافير الالينة وشعشعة الازهار الجميلة . والصوت صوت الاله متأنسًا متسربلاً بالطبيعة البشرية محاطًا بتلاميذهِ ووراءهم جمهور من الذين تجمهروا من كل الانحاء لاجل استماع كلامهِ

قال اليهود في تقاليدهم انهُ متى ظهر المسيح يقف على شاطئ البحر عند مدينة يافا (مرفأ اورشليم) ويأمر البحر ان يسلّم ما فيهِ من الكنوز . فعند امرهِ يقذف البحر امام قدميهِ الجواهر الثمينة الكثيرة والكنوز التي دُفنت في قعرهِ . فيلبس المسيح تابعيهِ الالبسة الفاخرة والحجارة الكريمة ويطعمهم منا سماويًا يفوق حلاوةً ولذّةً المن الذي اكلهُ آباؤهم اربعين سنة في البرية . هذا تصوير وهمي لمجيء مسيح وهمي

أفلم تكن الهيئة الحقيقية التي نحن بصددها أجمل واكمل ؟ هل من جواهر في قعر البحر تساوي جواهر التعليم الروحي الجوهري ؟ هل من حلل فاخرة

(١) مز ٢:٦

قابل حلل الخصال الحميدة المكنى عنها في وعظهِ والظاهرة في مثالهِ ؟ هل في الامر للبحر ان يقدّم ما فيهِ سطوةٌ وهيبةٌ كالتي في الامر للشياطين ان تخرج من الناس وللموتى ان تحيا وفي القول المانح غفران الخطايا في الحال لتابعيهِ التائبين ؟

لاريب في ان ليست كل درر تعاليمهِ جديدة في مسامع البشر. كان قد سبق عند اليهود كثير وعند الامم قليل من التعاليم المشابهة لها. لكن هذه السابقة كانت لجسم آدم الجميل اوّل ما جُبل من التراب وقبل ان قام حيًّا بيننا تعاليم يسوع اشبه بجسم آدم بعد ان نفخ فيهِ الخالق نسمة الحياة

صعد يسوع الى الجبل "ولما جلس تقدّم اليهِ تلاميذهُ ففتح فاهُ وعلمهم قائلاً طوبى". نفس الشريعة القديمة كان ظاهرًا في القول "ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل بهِ"(١). وفي اللعنات الصريحة المنصلة التي نودي بها على جبل عيبال(٢). اما الشريعة الجديدة فقد أُعلن روحها في الآية الشهيرة "لانهُ هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنهُ الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن بهِ بل تكون لهُ الحياة الابدية"(٣) فلاق ان يكون استهلال شريعة ابن داود كلمة "طوبى". وهي الكلمة التي استهلّ بها جدُّهُ داود في مزاميرهِ الفائقة في الشهرة والجمال(٤)

افتتح يسوع وعظهُ لا بالوصايا والوعيد بل بالتهنئة والمواعيد. أتى من عند الآب لكي يرد للبشر سعادةً فقدوها بسبب الخطيئة. فجعل الفرح من أهمّ اركان ملكوتهِ(٥). هذا الفرح الحالي الذي نفحهُ هو الزهر الذي ثمرهُ الناضج يكون السعادة الابدية. جمع في كلمة طوبى التهنئة والفرح والسعادة. لانهُ يتكلم عن الطوبى الحقيقية لا الوهمية. ففي يومنا هذا نرى ان مبادىء ملكوتهِ الجديد قد رسخت في العالم. وانها تتسلط تدريجًا قرنًا بعد قرن من يوم

(١) غل ٣: ١٠ (٢) تث ٢٧: ١٢—٢٦ (٣) يو ٣: ١٦ (٤) مز ١: ١
(٥) رو ١٤: ١٧

ظهورها الى الآن على رغم ما اصابها من الانحطاط وما يصيبها من الاهمال . فقد اجمع عقلاء البشر وعلماؤهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم بان شريعة المسيح أسمى كل ما ظهر من الشرائع في تاريخ الاديان ولو من الوجه الادبي فقط[1]

نرى في سلسلة التطويبات التي انت في مقدمة هذه العظة امرًا يجب الانتباه الخصوصي اليهِ وهو ما أتى قديمًا في القول الالهي "لان افكاري ليست افكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب"[2]. فمن اوّل اعمال يسوع كمصلح نقض الآراء الدينية الباطلة السائدة في ذلك الزمان ونفي الخطإ في تعاليم رؤساء الدين اليهودي في زمانهِ

الطوبى الاولى نصيب الذين لم شرف الرعوية في الملكوت المسمى بحق ملكوت السموات . فهذه الحجة للتطويب يصدّقها سامعوهُ جميعًا . لانهم يحسبون ان في مقدمة هذه الرعوية رؤساء الدين من كهنة وكتبة وفريسيين اي الاغنياء في الاكرام الديني . لهولاء يكون القول الاوّل والمنفعة الكبرى في الملكوت الزمني المجيد الذي يقيمهُ المسيح متى جاء . لكن حسب راي يسوع يكون ملكوت السموات ليس لاولئك وامثالهم بل للمساكين بالروح. لان هؤلاء هم الذين يملكون مع المسيح[3]. كان قد استشهد يسوع في عظتهِ الشهيرة المختصرة في الناصرة بالنبوّة القائلة فيهِ "الرب مسحني لأُبشّر المساكين"[4] واعطى للمعمدان السجين اليائس كعلامة كونهِ المسيح ان في خدمتهِ اليومية "المساكين يبشرون"[5]. فبغاية المناسبة خصّص تطويبهُ الاول للمساكين

---

(١) "قال الدكتور روبرتصون في شرح هذه العظة ان مختصر هذه المبادىء الادبية كان لهُ تأثير عظيم في ذلك الوقت . ولم يزل اليوم يفوق كل الاقيسة البشرية الادبية . فتعجب الناس من ذلك الخطاب والعالم لم يزل يتعجب" (الحوادث المهمة وجه٤٨)

(٢) اش ٥٥:٨ (٣) ٢ تي ٣:١٢ ورؤ ٥:١٠ و٢٠:٦ و٢٢:٥ (٤) اش ٦١:١

(٥) مت ١١:٥

"فتح فاهُ وقال طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات"

الطوبى الثانية اعطاها للذين يتمتعون بتعزيات الحياة في وسط مصائبها ويضحكون بعد البكاء. فسامعوهُ لا يخالفونهُ في هذا القول لكنهم يخصصون هذه التعزيات للاغنياء في الرجال الذين يستعيضون عن المصائب بعضد ذويهم واكرامهم اياهم. ويتعزّون بكثرة الاصدقاء. اما هو فخصصها للباكين الآن وللذين يحزنون على ما فيهم وفي مَن حولهم من الاثم والخطإ. وما في العالم الآتي للهالكين من الويل والشقاء. التعزية الالهية هي للذين قد عُفي عن اثمهم وقد قبلوا من يد الرب ضعفين عن كل خطاياهم"(١)

الطوبى الثالثة هي للذين يرثون الارض. نعم ومن هم؟ حسب راي سامعيهِ هم اصحاب النفوذ الذين بدهائهم يتسيطرون على البشر وبهارتهم يوسعون املاكهم ويزيدون ثروتهم. أليس هؤلاء هم الذين يرثون الارض؟ اما حسب راي يسوع فالذين يرثون الارض هم الودعاء. في ملكوت يسوع ليس المهوب بل المحبوب هو الذي يرث الارض. رأى هذه الحقيقة داود النبي فقال "بعد قليل لا يكون الشرير. تطّلع في مكانهِ فلا يكون. اما الودعاء فيرثون الارض ويتلذّذون في كثرة السلامة"(٢)

الطوبى الرابعة هي نصيب الشباعى. هنا ايضًا اتفاق بين يسوع وسامعيهِ. لكن من هم الشباعى؟ عند سامعيهِ هم الاغنياء في المال الذين لا يشتهون امرًا الاّ ومالهم يأتيهم بهِ. هم الذين لا يعرفون من الجوع الاّ اسمهُ. انما حسب رأي يسوع هم الذين لا يبالون بالغنى المادي ولا يشتهون كثيرًا خيرات هذا العالم. بل يجوعون ويعطشون الى البر السماوي لاجل نفوسهم ولاجل من حولهم. في ملكوت يسوع هؤلاء هم الذين يشبعون. ألم يقُل سبحانهُ قديمًا "هكذا قال السيد الرب هوذا عبيدي يأكلون وانتم تجوعون. هوذا عبيدي يشربون وانتم تعطشون"(٣)

(١) اش ٤٠: ١ و٢ (٢) مز ٣٧: ١٠ و١١ (٣) اش ٦٥: ١

الطوبى الخامسة خصّها للرحومين . للذين ينالون من الله الرحمة ومن الناس المراعاة . لكن هل هم الاغنياء في السلطان اي الملوك والحكام المرعيو الجانب السالمون من المظالم حسب ظن سامعيهِ ؟ وهل هم الذين بسطوتهم يرغمون الناس على مراعاتهم ؟ وبقوّتهم يخدمون المصالح الدينية الخارجية ؟ وبذلك يكسبون عند الله ايضاً المراعاة ؟ يسوع يقول ان الذين يُرحمون هم اللطفاء لا المتجبّرون . هم الذين يراعون الناس لا الذين يراعيهم الناس . هم الذين يخضعون للآخرين لا الذين يخضعونهم . في ملكوتهِ يُرحم لا العتاة بل الرحماء . قال الحكيم سليمان "الرجل الرحيم يُحسن الى نفسهِ"(١) وقال ابوهُ داود "مع الرحيم تكون رحيماً"(٢)

السبب المعطى للطوبى السادسة هو اصعب الكل وابعدها عن التصديق. قال "طوبى للذين يعاينون الله". أليس هذا مستحيلاً في هذه الدنيا ؟ أليس أنهُ هو العلي الذي يرى ولا يُرى ؟ ألم يقل يسوع ذاتهُ سابقاً "الله لم يرهُ احد قط ؟"(٣) مع كل ذلك نعلم ان اشتهاء الانسان معاينة الله امرٌ فطريٌ واشرف ما هو فطري في الانسان

حسب تصوّرات الذين خاطبهم يسوع ان كان احد البشر يعاين الله في هذه الدنيا او في الاخرة يكون ذلك الحظ للاغنياء في العلم ولاسيما المتعمقين في الدروس اللاهوتية . فيكون لهولاء النيرة الكافية ليروا من الامور الالهية ما لا يراهُ غيرهم . انما حسب رأي يسوع ليس هؤلاء بل انقياء القلب يعاينون الله . لانقياء العين بل انقياء القلب . العين التي تستطيع رؤية الله ليست العقل الذكي بل القلب النقي . قال داود النبي "الرب عادل ويحب العدل المستقيم يبصر وجههُ *** . من يصعد الى جبل الرب ومن يقوم في موضع قدسهِ ؟ الطاهر اليدين والنقي القلب"(٤)

(١) أم ١١:١٧ (٢) ٢صم ٢٢:٢٦ ومز ١٨:٢٥ (٣) يو ١:١٨
(٤) مز ١١:٧ و٢٤:٣ و٤

اما الطوبى السابعة فهي للذين يُدعَون ابناء الله . لا خلاف في هذا . انما لا يُدعَون ابناء الله الاّ لانهم فعلاً ابناء الله . فمَن هم ؟ حسب زعم عموم سامعي هذا الواعظ هم ابناء ابرهيم سلالة النسل المختار الداخلون بالاختتان في عدد شعب الله بني اسرائيل . هم الذين يقصدون اثارة الحرب على الرومان لاجل تحرير الأمة المقدسة من نيرهم حتى لا يكون عليهم مَلِك الاّ الله . هم الذين يقصدون ايضاً محاربة الشعوب الاخرى لكي يكرهوهم بالسيف على اتباع الدين الحق وترك العبادات الوثنية ويجعلوهم خدّاماً عند شعب الله الخاص الاصلي. لكن حسب رأي يسوع هم الذين يصنعون في العالم سلاماً لا حرباً. لان السلام هو من اركان ملكوته الرئيسية[1] . هم الذين يصنعون سلاماً مع الله بالاطاعة وسلاماً مع الناس بالمحبة . قيل في الانجيل "جاء يسوع لكي يخلق فينا انساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً"[2] *** وثمر البر يزرع في السلام من الذين يفعلون السلام"[3]

اخيراً يكرّر يسوع الطوبى للذين لهم ملكوت السموات . في اعتبار سامعيه ملكوت السموات مُعَدّ للاغنياء في التدشين الخارجي . للذين يكثرون من الاصوام والصلوات والحسنات على شرط ان يكونوا من الجنس المختار الاسرائيلي . يعتقدون ان مسيحهم متى جاء يجعل الذي كان مجدُ كنور النجم يصبح كنور القمر . والذي كان مجدُ كنور القمر يصبح كنور الشمس[4] . ويعود مجد الشعب الاسرائيلي الى اضعاف اضعاف ما كان عليه في افخر ايام عزّهم . هذا ملكوت السموات الذي يحلمون به وهؤلاء هم الذين يكون الملكوت لهم ويستفيدون منه . لكن حسب رأي يسوع ملكوت السموات للمطرودين من اجل البر . اولئك الذين لكونهم مساكين بالروح وحزانى ووداعاء وجياع وعطاش ورقيقي الشعور وانقياء القلب ومسالمين لا يعتبرهم العالم بل يحتقرهم

(١) رو ١٤:١٧ (٢) اف ٢:١٥ (٣) يع ٣:١٨ (٤) انظر اش ٣٠:٢٦

ويجتنبهم ويخرجهم من دوائره . لهولاء يعوّض ملك الملكوت الجديد باعطائه اياهم ملكوت السموات

هذه هي سلسلة التطويبات العمومية . لم نجد فيها حتى ولا حلقة واحدة من الثمانية تختص بالطقوس المذهبية او تتناول شيئًا من الفرائض الدينية الخارجية . وخلاصتها ان مسكين العالم هو غني الملكوت والحزين هو المتعزّي والباكي هو الضاحك . الخاضع للناس هو الحاكم في الناس . الجوعان هو الشبعان . المُعطي هو الذي يُعطى . البسيط القلب هو الفهيم . صانع السلام لاصانع الحرب هو ابن الملك وهو المنصور . المطرود من وطنه هو صاحب الوطن الثابت

تُعتبَر هذه التطويبات كفأس ضرب يسوع بها اصول شجرة الآمال العالمية المتعلقة بمجيء المسيح وملكوته . ما قاله لليهود خصوصًا في ذلك اليوم يقوله للجميع على الدوام وهو ان الطوبى الحقيقية الدائمة لا تتوقف على الامور الخارجية الدينية ولا على النجاح المادي والزمني بل على الامور الداخلية الروحية والنجاح الابدي . لما كلّم نيقوديموس كان موضوعهُ روحانية الملكوت . ولما كلّم المرأة السامرية كان موضوعهُ روحانية الله وملكوته . وفي وعظه على الجبل لا يزال هذا الموضوع شاغله الاوّل . والحاجة الى هذا التعليم ليست اقل في يومنا هذا مما كانت في تلك الايام . يشاهد اليوم في كل المذاهب كثير من استيلاء المجد العالمي على ارباب الدين ومعلميه . ومن ترويج المقاييس المادية لا الروحية في الدوائر الدينية

كانت هذه التطويبات كمقدّمة عموميّة لخطاب في صيغة المخاطَب . وفي هذه الصيغة كلّم يسوع الذين انتخبهم في هذا الوقت رسلاً . فتجاسر بحبك كلام التفسير مع كلام الانجيل الاصلي وحفظ صيغة المخاطَب فيه . فبينما يكون كل الكلام حسب الظاهر كلام يسوع نذكّر المطالع بان كلام يسوع الاصلي موجود امامهُ في الانجيل . فيمكنهُ فصل التفسير عن المتن بسهولة . فالاصلي هو الموحى

يو الثابت . والتفسير هو الاضافة التي للطالع الخيار في قبولها او رفضها

نشخّص يسوع بقول للرسل قد تولدت فيكم مبدئيًا الصفات التي بنيتُ عليها التطويبات . وذلك يجعلكم ممقوتين من قومكم الذين ربيتم بينهم . فاقول لكم طوباكم انتم متى عاملوكم على الكيفية التي شرحتها الآن . فمتى طردوكم واهانوكم وعيروكم وافرزوكم من اجل البر ومن اجل ابن الانسان لا تحزنوا ولا تتكدّروا بل افرحوا وتهللوا. اولاً لان اجركم في السماء لقاء ذلك يكون عظيمًا . ثم لانكم بذلك تماثلون الانبياء الاقدمين فتشتركون في شرفهم الدائم

لاني اقول لكم انتم ملح الارض وانتم نور العالم. ورفض العالم اياكم لا يفسد ملوحتكم ولا يخفي نوركم . كما ينعل الملح في الطعام الذي يمتصّهُ فعلاً لا يقاوَم تفعلون انتم فعلاً قويًا اصلاحيًا وان كان خفيًا حتى في القوم الذين يقصدون افتراسكم . وكما ان طبيعة النور هي الانتشار فلا يقبل الحصر حيث ينشأ هكذا لا بد ان تضيء فضائلكم التي هي اثمار الروح القدس فيكم . فيرى الناس اعمالكم الحسنة . ولكن ليس لتمجيدكم انتم بل لتمجيد ابيكم الذي في السموات . وكما ان السراج لا يوقَد لكي ينظر الناس اليهِ بل لكي ينظروا بواسطتهِ شيئًا آخر أهمّ منهُ . هكذا تكونون انتم . لان لا قيمة للملح في حد ذاتهِ بل في فعلهِ ولا قيمة للسراج الاّ في فعلهِ . ولا قيمة لكم كتلاميذي الاّ وتملحون وتنيرون . وقد اقتكم لاجل هذا الفعل ليس بين شعب اسرائيل فقط بل انتم ملح الارض باسرها ونور العالم كلهِ . في شخصكم قبل تعليمكم واكثر منهُ يظهر الملح والنور لان الشخص الحي ينعل ما لا ينعلهُ مجرّد التعليم

لا تتوهموا ان تعاليمي الجديدة تستخف بالكتاب الالهي الذي بين ايديكم لان زوال السماء والارض أيسر من زوال ادنى نقطة من نقطهِ الاّ بعد ان تتم. اني اقصد اثبات الناموس المنزّل على موسى والانبياء لا الغاءهُ . أبدل منهُ ما

هو وقتي بعد ان اكمله[١]. أتيت لانقض اعمال ابليس [٢] وليس ناموس الله واقوال الانبياء. فالناموس لا يزول الاّ كما يزول البزر في الزهر ثم في الثمر الذي زُرع البزر لاجلهِ. الناموس في يد الكتبة والفريسيين لا يثمر بالصلاح فهو كبزر الفاكهة الذي لا يوكل. وان "لم يزد بركم على برّهم لن تدخلوا ملكوت السموات"[٣]. بدلاً من ان أعفي الناس من مطاليب الناموس جئت لأُبين لهم عظمها فوق ما كانوا يتصوّرون

فاقول ان الوصية التي تنهى عن القتل تنهى ايضاً عن الغضب والنميمة والبغض[٤]. صلاتكم وقرابينكم لا تُقبَل بمجرّد امتناعكم عن القتل ما لم تمتنعوا ايضاً عمّا يتضمنهُ روح الوصية قبل حروفها

تعلمتم ان تتركوا ذبيحة القصح قدام المذبح وتتوقفوا عن تقديمها لكي ترجعوا وتنزعوا من بيوتكم خميرًا غفلتم عنهُ. وانا اعلمكم ان ترجعوا وتستغفروا ممن قد اسأتم اليهِ قبل تقديمكم صلاةً لله. الوصية التي تتخذونها نهيًا عن الزنا هي تشمل ايضاً الافكار الشهوانية والاميال الفاسدة لا العمل فقط. حتى لفتة الخطيئة تدخل تحت هذا النهي[٥]. لا تنسوا انهُ خير لكم ان تخسروا أثمن ما عندكم ولو

---

(١) قام يسوع بقولهِ هذا اذ اطاع الناموس كلهُ واتمّ كل ما اشارت اليهِ رموزهُ ونبأ عنهُ الانبياء وعلى الاخص قد ناب عن الخطأة في احتمال القصاص المتوجب عليهم بسبب مخالفتهم الناموس. اكمله بايضاح مضمونهِ ايضاحًا جديدًا روحيًا وبتصويرهِ اياهُ بنعمتهِ في القلوب وليس فقط في الاذهان وباعطائهِ للمؤمنين قوةً جديدةً لاجل حفظهِ

(٢) ايو ٣:٨ (٣) "هي ملكوت السموات لانهُ هو النازل من السماء وروحهُ كروح السماء ويحبهُ كل الذين في السماء ولان وقايتهُ ووسائط نجاحهِ من السماء ولانهُ يقود الى السماء" (ادي في مت وجه ٥٦) (٤) ايو ٣:١٥

(٥) كل فعل او قول او فكر الذي يعيبنا لو علم بهِ خصومنا او من نوقرهُ من اصدقائنا فهذا ولو لم يعلموا بهِ كان معيبًا وحرامًا. ليس ان كل مخفي معيب. لو أُوتمن انسان على سرّ شريف يكون كتمانهُ فخرًا لا عارًا لهُ. توجد امور يقضي الناموس واللياقة باجرائها في الخفاء لكن لا يعاب فاعلها متى علم الناس بانهُ فعلها. من امثلة ذلك الصلاة التي امر يسوع ان تقام في الخفاء

كان احد اعضاء جسدكم حتى العين اجلها واعزّها من ان تخسروا الرضى الالهي الذي هو حياتكم وسماؤكم . وان تجلبوا عليكم الدينونة الالهية التي هي موتكم وجحيمكم(١)

عندكم الوصية التي توجب عليكم القيام بحلفكم . اما انا فاقول لكم ليس فقط لا تحلفوا كذبًا . بل ايضًا لا تحلفوا صدقًا . انزعوا من حديثكم كل يمين مهما كان بسيطًا وصادقًا(٢) . الحلف في الحديث لا محل له الآ ليبيّن ان بعض هذا الحديث صادق فيؤيد باليمين وبعضهُ غير صادق فيترك دون يمين . الصادق الوقور يكتفي بقول "نعم نعم ولا لا" عالمًا ان "ما زاد على ذلك فهو من الشرير"

ايضًا تعودتم تحليل الانتقام استنادًا على النظام الموسوي الذي يقول "عينٌ بعين وسنٌّ بسنّ" . لكن هذا القول قاعدة العلاقات المدنية الرسمية لا الشخصية . فانا أجعل لكم تعليمًا جديدًا اي نزع روح الانتقام ممّن يسيء اليكم . تمنع الاحكام المدنية الانتقامات الشخصية وتوكل الى الحكام تربية المذنبين وردعهم . فالاحكام الدينية تمنع الانتقام على قاعدة القول الرسولي "لا تنتقموا لانفسكم ايها الاحباء *** لانهُ مكتوب لي النقمة انا أُجازي يقول الرب"(٣) فالتنازل عن حقوقكم الشخصية لمن يقصد ان يسلبها منكم افضل من الخصام لاجلها

انتم تظنون انهُ جائز لكم ان تبغضوا الذي يبغضكم والذي يعاديكم تعادونهُ . لكن روح الناموس الداخلي هو روح واضع الناموس الذي يُشرق شمسهُ وينزل مطرهُ على اعدائهِ كما على اولادهِ . فان عاديتم من عاداكم واحسنتم فقط الى الذين يحسنون اليكم لا تكونون افضل من عبدة الاصنام والكفرة .

---

(١) سيأتي الكلام في ما قالهُ يسوع عن قلع العين وقطع اليد في قرينة كرّر فيها هذا الكلام مشددًا انظر ف ٢١ (٢) لا يقصد النهي عن الحلف الرسمي الموقر في اظهار الحق لدى المراكز الرسمية (٣) رو ١٢: ١٩

فلا تقابلوا شرًّا بشرّ . ان احسنتم الى من يسيء اليكم تخمدون جذوة العداوة وتطفئون لهيب البغض[1] . اتخذوا الكمالات الالهية قاعدة حياتكم فتكونون حقًّا (وليس فقط اسمًا) اولادًا للآب السماوي . ولكن اعلموا ان كل الوصايا تُحفظ في القلب حفظًا روحيًّا قبل حفظها حرفيًّا في الخارج . والاَّ فحفظها الخارجي لا يُعتبر عند الله

نظام الملكوت الجديد الذي ادخلتكم فيه لا يُلغي الفروض الدينية الموحى بها من الله كالصدقة المتجهة نحو القريب . والصلاة المتجهة نحو الله . والصوم المتجه نحو الذات . لكن يُشترط في هذه الفرائض ان لا تُحفظ على عيون الناس فقط . او تُؤخذ وسيلة لاجل الافتخار والتعظُّم . ولاكرام الآخرين اياكم . وآلة للرياء الكريه . فان كنتم لا تتصدقون وتصلُّون وتصومون في الخفاء كمل لله فقط . وان حفظتم هذه الفرائض لانها مفروضة عليكم من رؤساء الدين وليس تبرُّعًا لا تحسب عند الله صدقاتكم وصلواتكم واصوامكم الجهارية كشيء . لانكم اذ ذاك لا تكونون الاَّ مرائين[2] . لا تشبهوا بمعلمي الدين ورؤسائه عندكم . لانهم مراؤون واصطلاحاتهم في هذه الامور فاسدة كتواياهم ومكروهة عند الله . لا تنقادوا الى ضلالة الامم كما قد انقاد رؤساؤكم . فيتوهمون ان مجرَّد تكرار الصلاة تسرّ الاله الذي يصلُّون اليه

وبما ان الصلاة هي اهمّ فرائض الدين فلكي تعرفوا روح الصلاة المقبولة ومضمونها ونسقها أُعطيكم أُنموذجًا تقيسون به صلاتكم على الدوام . فصلُّوا

---

(١) قال يسوع في هذا الصدد "من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر ايضًا" . رأى البعض صعوبة في تفسير هذه الآية لكن الصعوبة وهمية . يسوع نفسه لما لطمه عند المحاكمة "واحد من الخدام" لم يحوّل الخد الثاني بل وبخ الضارب وقال له "لماذا تضربني" (يو ١٨ : ٢٢) القصد في كلام يسوع هو كأنه يقول " فضل ان تحوّل للضارب خدك الثاني من ان تعامله بالمثل " (٢) المرائي في الاصل اليوناني هو الذي يمثل الروايات في المرح . اي انه يظاهر بهيئة خلاف هيئته الحقيقية لاجل ارضاء الذين ينظرونه ويسمعونه . فالمرائي في الدين هو الذي يتظاهر بالدين على عيون الناس بغير ما هو في قلبه

انتم هكذا "ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك . ليأتِ ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السما كذلك على الارض . خبزنا كفافنا اعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين الينا . ولا تدخلنا في تجربة . لكن نجنا من الشرير . لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد . آمين"

ان امعنتم النظر تلاحظون في هذا الانموذج المختصر ان روح المصلّي يكون روح البنوّة لله . لانهُ يخاطب الله كأب ويعظّم المحبة المتبادلة بين هذا الآب السماوي واولادهِ . ويعظّم ايضاً اطاعة هؤلاء لهُ . واتكالهم عليهِ لاجل احتياجاتهم على انواعها . ويعظّم العلاقة المتبادلة بين اولادهِ حتى ما يريدهُ المصلّي لنفسهِ يريدهُ للآخرين ايضاً . لان روح البنوّة لله يستلزم روح الاخوّة للناس . فيصلي المسيحي لا "ابي بل ابانا" . ولا يطلب غفران الآب اياهُ الاَّ ويقدّم لاخوتهِ غفرانهُ على سيئاتهم لنحوهِ . فاقصد ان اعلمكم جيداً هذه الحقيقة اي ابوّة الله للبشر واخوّة البشر بعضهم لبعض . لان هذه الحقيقة الجوهرية قد اهملها معلمو الدين ولم يوضحها كما يجب احد في ما مضى

وترون في هذه الصلاة مع روح الدالة البنوية وروح المحبة الاخوية روح العبادة التقوية . وكل ما يُعلن اللهُ للناس يُعدُّ اسمهُ ويوقَّر . لان يومهُ وكتابهُ وبيتهُ ورجالهُ (خدمة الدين) وكنيستهُ (شعبهُ المختار) كلها مقدّسة بسبب نسبتها اليهِ تعالى فتوقَّر . وضعت لكم في هذه الصلاة ذكراً للشرير بطلب النجاة منهُ . هذا الطلب هو بمثابة اعتراف بقوّتهِ العظيمة وسطوتهِ على البشر وبان لا نجاة منهُ لاحد الاَّ بقوّة الهية تنقذهم . واعلنت لكم جليًّا في خاتمة هذه الصلاة كما في فاتحتها ان على المصلّي ان يقدّم امور الله على امورهِ . لان الله هو الكل وفي الكل . فلهُ وحدهُ الملك والقوّة والمجد

اعلمكم في هذه الصورة نسق الاختصار والبساطة في الصلاة . لان روح البنوّة والاُخوّة والعبادة فيها تقضي بذلك . ولكوني لم ادخل بعد على وظيفتي الشناعية لم اضع اسمي فيها مع انهُ بعد صعودي تقدّمون صلاتكم الى الآب

باسمي . ولم اذكر فيها الروح القدس لانهُ لم يعطَ بعد للناس على كيفية تستطيعون الآن ان تفهموا ما يقال فيهِ[1]

واحذّركم كل التحذير من حب المال . واذكّركم ان كنوز العالم فانية والباقية هي الكنوز السماوية . فان اكثر الانسان من هذه تعلّق قلبهُ بالسماء لا بالارض . فبذلك يتسهل لهُ الصلاح . واما ان ساد في قلبهِ حب المال يستحيل عليهِ ان يحب الله كما يجب . والكنز في السماء هو ثمر ما يعملهُ ويبذلهُ الانسان في سبيل خير الناس حبًّا بالله

لانكم نور العالم يستنير بكم غيركم من البشر كما يستنير الجسم بواسطة العين الصحيحة . فان فقدتم انتم الصلاح كم بالحري يفقدهُ الذين ليس لهم وسائط الصلاح نظيركم . من جملة الانارة المطلوبة منكم الاتكال التام على الآب السماوي في امر حاجياتكم الزمنية . عنايتهُ تعالى بمخلوقاتهِ واضحة في طيور السماء التي ترفرف وتغرّد فوق رؤوسكم وفي الازهار التي تزهو تحت اقدامكم . فكيف لا يعتني في الذين خلقوا على صورتهِ تعالى وهم اولادهُ ؟ فان كل ما في الجو من فوق وكل ما على الارض من اسفل يشهد فعلاً لعنايتهِ تعالى بما قد خلق وما دام يعتني بادناها كيف يمكن انهُ يهمل اسماها الذي وهب الجسد العجيب لا يخل بالكسوة الزهية والذي وهب الحياة الثمينة لا يتأخر عن تقديم القوت الرخيص لاجل حفظها . الاهتمام بالحاجيات الجسدية واجب مقدس لا يُعفى الانسان منهُ . لكن الشرط فيهِ ان يكون خاضعًا للاتكال الحي على عناية الآب السماوي بحيث لا يكون اهتمامًا مضنكًا . وان يكون ثانويًّا بعد الاهتمام بالامور الروحية لا قبلها ولا فوقها . ومع ذلك كلهِ فاذا يتنع الانسان اهتمامهُ منفردًا عن

(١) يو ٧ : ٣٩ الاختلاف في حروف هذه الصلاة في بشارة متى عنها في بشارة لوقا وعدم الاشارة مطلقًا لاستعمالها في الكنيسة الرسولية فيما بعد وكلمة يسوع "صلوا هكذا" هي اسباب كافية للقول ان يسوع لم يضع هذه الصورة قانونًا حرفيًا لصلاة تابعيهِ بل كنموذج يوفقون معهُ صلواتهم

العناية الالهية . فاذًا ملجأكم في الدرجة الاولى هذه العناية لا اهتمامكم انتم . وكيف تفوقون على غير المؤمنين ان كان اهتمامكم في الدنيويات كاهتمام هؤلاء؟ فاني انصح لكم اعظم نصيحة عندي واجلاها "اطلبوا اولاً ملكوت الله وبرّهُ وهذه كلها تزاد لكم"

ثم اوصيكم ان لا تكونوا من الناس الذين يدينون بعضهم بعضًا . حتى وليس الدين فقط بل الحكمة ايضًا تنهى هذا النهي . لانهُ على الغالب يُعامَل الانسان من الآخرين كما يعاملهم . فالذي يكشف عيوب الناس تكشف الناس عيوبهُ وهلمَّ جرًّا . الميّال الى دينونة الآخرين يكون مدفوعًا من الافتخار والانتقام فيُذَم على الامرين . ويرجَّح انهُ يظلم في الحالتين . لانهُ يرى عيوب الآخرين لا كما هي بل مجسَّمة . ويرى عيوبهُ هو لا كما هي بل مصغرة . والمعاب لا يصلح مصلحًا للاقل عيبًا منهُ فيصح القول "يا مرائي اخرج اولاً الخشبة من عينك وحينئذٍ تبصر جيدًا ان تخرج القذى الذي في عين اخيك"

اوصيكم بالحكمة والتمييز في مخاطباتكم الدينية لئلا تعرّضوا كلامكم على غير جدوى للهزء والاحتقار . فتكونون كمن "يعطي قدسهُ للكلاب ويطرح دررهُ قدام الخنازير" . يجب ان تكون مناسبة بين التعاليم والمقام الذي نقدّم فيهِ واحوال السامعين . واحقق لكم استعداد الآب السماوي لاستماع صلواتكم واستجابتها . ان كان الاب البشري وهو خاطئ لا يتخلى عن طلب اولادهِ خيرًا ويُخلِص في ما يمنحهُ كيف يمكن ان يتخلى الآب السماوي الكامل عن تفرّعات طالبيهِ . او يهب غير ما هو خير حقيقي ؟ واوّل ما يريد ان يهبهُ هو الروح القدس للذين يطلبونهُ

واسلمكم ايضًا القاعدة المسماة الذهبية التي لا يمكن المبالغة في جمالها ومفعولها فهي تحلّ جميع العقد الادبية للذين يراعونها . وتلك الحيرات المتنوعة المختصة بالواجبات الشخصية . وتغني عن الوف الوصايا المنفصلة لانها تفضّل عليها . هذه القاعدة هي "كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضًا بهم .

لان هذا هو الناموس والانبياء". نعم قد ورد في اقوال القدماء ما يقارب هذا القول ويظن البعض ان هذه القاعدة تكفي لتحيط بالواجب الديني تمامًا. لربما كان زعمهم يصح على فرض انهُ لا يوجد إله. لكن بما ان الله موجود لا يكون القيام بالواجب نحو الناس الاَّ القسم الاصغر في الدين. لان الاعظم هو القيام بالواجب لنحوهِ تعالى

اني اضع امامكم طريقين يسير جميع الناس في احداها. فالاولى ضيقة في بدايتها رحبة في نهايتها. والثانية بالعكس رحبة في بدايتها ثم ضيقة جدًّا في نهايتها. فانصح لكم ان تختاروا الأُولى التي تأتي بالضيق في هذه الدنيا وبالمجد في الآخرة. ولا تقتدوا باكثر البشر. لانهم يفعلون بالعكس فيختارون ما هو راحة حاليَّة غاضين النظر عن العذاب الابدي

وانبهكم الى العلاقة بين الشجر والثمر التي تستلزم ان يكون الثمر من جنس الشجر. فاعمال الانسان لا تكون الاَّ تابعة لحالة قلبهِ الداخلية. يجوز ان يدَّعي انسان انهُ نبي مرسل من الله وانهُ يتكلم بكلام الانبياء. لكن على تمادي الايام لا بد ان تبرهن اعمالهُ صدق مدَّعاهُ او كذبهُ. يجوز ان يلبس الذئب جلد الحمل. لكنهُ لا يستطيع ان يفعل افعال الحمل. بل لا بد ان تثمر طبيعتهُ في اعمالهِ. ولا بد ايضًا من القطع والالقاء في النار لكل من ثمرهُ ردي. ولا يوقف هذا القطع احتجاج الذين يستترون تحت ثوب الرياء متظاهرين بالتدين ومتكلين على حسناتهم الخارجية مع اهمالهم الوصايا الالهية التي لا تروق لهم او التي تخالف اغراضهم. قد يكونون من الذين تنبأوا باسمي وصنعوا قوات كثيرة حتى اخراج الشياطين باسمي وهم يعترفون بي بافواههم وينادونني "يا رب يا رب". لكنهم لم يفعلوا ارادة ابي الذي في السموات. فساجيب على استنجادهم في يوم الدين "اني لم اعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الاثم"

وفي الختام اقدم لكم تشبيهًا مفيدًا جدًّا. لان الذي يعرف مشيئة الله ويعملها يشبَّه بالذي يضع اساس بيتهِ على الصخر. والذي يعرف ولا يعمل بالذي

يبني بيته على اساس رملي بجانب مجرى ماء. فما دام الجوّ صافيًا والارياح ساكنة يظهر ان هذا الاخير هو الحكيم لانهُ سَلِمَ من مشقة الحفر ونفقاتهِ. فيهنئ نفسهُ ويهنئهُ الآخرون. ولكن صفاء الجو وسكون الريح لا يدومان الى الابد. فمتى جاء النوء يظهر جليًا ايُّ كان الحكيم وايُّ يسلم بناؤهُ. الذي يعرف ولا يعمل يتلذّذ حاليًا بملذات الدنيا ويجتنب المصاعب في سبيل البرّ. لكن متى هبّت ارياح يوم الدين ونزل مطر الغضب الالهي وجاءت انهار عذاب الضمير وحدث سيل ارسال الخطأة الى مكانهم في الهلاك "وصدم" كل ذلك هذا الشخص يسقط حالاً ويبكي خرابهُ عظيمًا. بينما الاوّل لا يسقط حتى "ولا يتزعزع لانهُ مؤسس على صخر"

لا عجب انهُ "لما اكمل يسوع هذه الاقوال بهتت الجموع من تعليمهِ. لانهُ كان يعلمهم كمن لهُ سلطان وليس كالكتبة". كل من يتأمل بدقة واخلاص في نظام الملكوت الروحي هذا وفي قوة المطاليب الالهية من الانسان ييأس من استطاعتهِ ان يحفظ هذا الناموس ويؤدي هذه المطاليب. هذا اليأس هو الخطوة الاولى في الخلاص. لانهُ يحوّل الانسان عن الاتكال الباطل على الخلاص بالاعمال. ويقودهُ بقوّة الى المخلص الوحيد الذي جعل الايمان الحي الحقيقي هو شرط الخلاص الكافي والوحيد

الفصل الحادي والعشرون

(مت ٨: ٥ – ١٣ و ١١: ٢ – ٣٠ لو ٨: ١ – ٣٥)

(المرصّع) ف ١٣ (الزمان) صيف السنة ٢٨م
(المكان) كفرناحوم . نايين . الجليل

ابراؤهُ غلام قائد المئة . اصول الشفاعة . يأتون من المشارق والمغارب . اقامة ابن ارملة نايين . اصطلاحات اليهود في المآتم . ارسالية المعمدان الاخيرة . الشكوك في الدين . جواب يسوع بالافعال لا بالاقوال . تعظيم يسوع المعمدان . وبخهُ المدن الثلاث . دعوتهُ المتعبين

كنا نتوقّع ان يطلب يسوع الاعتزال قليلاً لاجل الاستراحة بعد صلاة استغرقت الليل ووعظ استغرق النهار وعمل استغرق اعظم قوى العقل والروح . وهو اختيار الاثني عشر رسولاً . ثم القاء العظة الوافية التي لخصناها . لكنهُ لا يعرف الكلل ولا يعتريهِ المَلَل في خدمة البشر . قال انهُ اتى ليخدِم لا ليُخدَم . وهو الوحيد الذي لم يخالف فعلهُ قولهُ مطلقًا . قال فيهِ سامعوهُ انهُ تكلم كمن لهُ سلطان . وقول السلطان يتبعهُ فعل السلطان . لم يتلُ وعظهُ الاَّ وتجددت معجزاتهُ . دخل مدينة كفرناحوم مرافقًا بجموع كثيرة . فاستقبلهُ وفد من معتبري اليهود من اصحاب الوظائف الدينية "يطلبون اليهِ باجتهاد" بالنيابة عن الحاكم العسكري ان يشفي عبدهُ المريض المطروح "مفلوجًا متعذبًا جدًّا ومشرفًا على الموت. وكان عزيزًا عندهُ". سمّاهُ غلامهُ وهي كلمة تُستعمل في اليونانية عن الابن ايضًا. من كلامهِ واهتمامهِ بعبدهِ عرفنا مزايا

هذا الجندي الشريفة . لان في ذلك الزمان كان العبد محتقراً مهاناً الى درجة قصوى عند أغلب الاسياد

كان ظن هذا القائد الروماني معقولاً ان يسوع المعلم اليهودي ينقاد الى طلب رؤساء ملتهِ في المدينة . فاستنجد بهم . وبذلك ظهر ان علاقة هولاء مع يسوع كانت لا تزال حسنة بخلاف الامر مع زملائهم في اليهودية . فامتثل الرؤساء طلب هذا القائد بناء على حسن علاقاتهم معهُ ايضاً . فتمكن من ملازمة غلامهِ في اشد ساعات الخطر . لما حضر وفدهم امام يسوع قالوا لهُ عن الذي كلفهم للانابة عنهُ " بنى لنا المجمع ويحب امتنا ويستحق ان يُفعَل لهُ هذا " (١) . لا يُلام هذا الوثني على ظنهِ بانهُ يحتاج الى شفعاء لدى يسوع لاجل تحقيق آمالهِ . لم يكن يعلم ان يسوع اعرف جداً من هولاء الشفعاء بهِ وبغلامهِ وبكل ظروفها . ولا علمَ ان محبة هؤلاء لهُ ليست الاَّ جزءاً لا يذكر من محبة يسوع لهُ . ولذلك لم يعلم ان مداخلة هؤلاء الشفعاء كانت فضولية تماماً . وفي يومنا هذا ليس من ملاك او قديس ان كان على الارض او في السماء اعرف بنا او اقرب الينا او احنّ نحونا من يسوع المسيح ذاتهِ لكي يصلح شفيعاً بدلاً من يسوع . او لكي يعينهُ في الشفاعة بنا (٢) . ومنزلة يسوع المسيح عند الآب السماوي الذي عيَّنهُ شفيعاً وحيداً وكافياً لا تترك مجالاً لغيرهِ ليجلس بجانبهِ او يشاركهُ في الشفاعة (٣)

---

(١) يظن ان آثار هذا المجمع اكتشفت حديثاً في حفريات تخوم . فهي من الرخام الابيض ومزينة بالنقوش . اما تعريف هذا البناء بأل فيدل على التفوّق لان المظنون ان مدينة نظير كفرناحوم لا تقتصر على مجمع واحد ما دام ورد في اخبارهم انهُ كان في اورشليم ٤٠٠ مجمع . قول لوقا انهُ فحص بتدقيق وعلمنا انهُ كتب تاريخاً اكثر من متى يجعلنا نتبع قول لوقا وننسب الى كلام متى المعنى الاستعاري اي ان مجيء الوفد بعد كمجيء الرجل . رأينا مثال ذلك في بشارة يوحنا لانهُ يقول مرَّة ان يسوع كان يُعمد ثم يقول صريحاً ان يسوع لم يكن يُعمد بل تلاميذهُ (يو ٣ : ٢٢ مع ٤ : ٢) (٢) شفاعة يسوع عند الآب تُبنى على ما انفرد فيهِ عن سائر البشر من عمل الفداء الكفاري (٣) ١ تي ٢ : ٥

الذين يستشفعون ملائكة او قديسين لا يتجهون الى ان ما في اقدس القديسين واعظمهم من اللطف والاشفاق وحب الانسانية والعطف على البؤساء ليس الاَّ قطرة فقط مما في يسوع من هذه العواطف الشريفة . فهم كالذين يطلبون ان يستضيئوا بسراج في رابعة النهار

ولا يتنبهون الى ان بُعد هؤلاء الذين يستشفعونهم عنهم هو كبعد السماء عن الارض بينما يسوع هو الذي قال صدقًا "ها أنا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر"(١). فهم كالذين يصرخون لشخص بعيد جدًّا عنهم ليكلّم شخصًا آخر بجانبهم ماسكًا بيدهم ومتبسمًا بوجههم

ولا يتنبهون الى عجز هؤلاء القديسين عن معرفة اسرارهم وظروفهم ومطاليبهم مع علم يسوع التام بهذه كلها . فهم كالذين يلجأون في اشد الامراض ألمًا وخطرًا الى تلميذ طبي في بلدة بعيدة بينما استاذ هذا التلميذ وهو امهر الاطباء في العالم واشهرهم جالس بجانب سرير العليل

لا يتنبهون الى البون الشاسع بين مقام هؤلاء القديسين حتى اعظمهم وبين وحيد الآب الذي اتاهُ ذلك الصوت من السماء قائلاً "انت ابني الحبيب الذي بهِ سررت". فهم كالذين وهم في محضر الملك بدعوةٍ حية منهُ ينادون الحارس على الباب ليستعطف الملك لاجلهم

لا يتنبهون الى ان ليس قديس من القديسين قد اعطى برهانًا لحيّ ايام او سؤالهِ عنهم بينما يسوع قد جاء من السماء وتأنّس وعلّم وخدم وتألم واحتمل ومات وقام وصعد الى السماء وجلس عن يمين الله ليشفع في المؤمنين . وكل ذلك حبًّا لهم . فهم كالولد الذي في الشدائد والمخاطر يحيد عن أمٍّ جامعة في شخصها كل الكمالات وقد احتملت في تربيتهِ اعظم المشقات ليتمسك بخادمة البيت بدلاً عنها . يجوز ان يؤخذ رفض يسوع تداخل والدتهِ وقت عرس قانا الجليل شاهدًا مؤثرًا لهذه الحقيقة المتعلقة باستشفاع القديسين في امور

(١) متى ٢٨: ٢٠

الدين . وبذلك أعلم الناس في كل الاجيال ان لا محل ولا حاجة الى هذا الاستشفاع .

كان المرضى يُحملون اعتيادياً الى محل وجود يسوع . اما في هذا الحادث وافق يسوع الناس على عوائدهم في تمييز كبار القوم . فرضي ان يعامل هذا القائد معاملة ممتازة ولا سيما لانهُ امي وغريب الوطن . فتوجه مع هؤلاء المعتبرين الى بيت العليل . لكن المخبرون باقترابهِ سبقوهُ . فكلف صاحب البيت بعض الاصدقاء الملازمين ليلاقوا يسوع و يظهروا لهُ احترامات القلبية وايمانهُ بمقدرتهِ . وان ينوبوا عنهُ بالقول " يا سيد لا تتعب . لاني لست مستحقاً ان تدخل تحت سقفي . لذلك لم احسب ذاتي اهلاً ان آتي اليك . لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي " . قولهُ بتواضع واخلاص " لست احسب نفسي اهلاً " هو افضل برهان لاهليتهِ (١) . نعني الاستحقاق الذاتي هو المقدمة الضرورية لكل من يطلب معونة يسوع وخلاصهُ

يظهر ان هذا الرجل ظن ان يسوع يفعل معهُ كما فعل مع مواطنهِ ورصيفهِ خادم الملك من عهد نحو سنة ونصف فيشفي غلامهُ عن بعد بكلمة (٢) .

وتيقن ان ليسوع ذات السلطة على الطبيعة والامراض التي لهُ هو على انفار الجند والخدم الذين تحت امرهِ والتي لآمريهِ عليهِ ايضاً . فاستعار هذا التشبيه الجميل الدال على شهامتهِ وحذقهِ . يُذكر ليسوع التعجب مرتان فقط . تعجب مرةً من عدم الايمان (٣) . وتعجب الآن من عظم الايمان والحكمة والتواضع واللياقة في هذا الوثني . فالتفت الى الجمع الذي يتبعهُ وقال " الحق اقول لكم لم أجد ولا في اسرائيل ايماناً بمقدار هذا " . ولم يبال بما قد يحدثهُ هذا

(١) نفى عن نفسهِ قول الشيوخ انهُ مستحق ولعلمهِ ان اليهودي يتنجس ان دخل بيت وثني قصد ان يريح يسوع من هذا المحظور (٢) انظر ف ٩ قد توهم البعض ان قصة خادم الملك في يوحنا وقصة قائد المئة في متى ولوقا روايتان لحادث واحد . لكن لان الفواصل اكثر من الجوامع نعتبرها حادثتين مستقلتين (٣) مر ٦ : ٦ (ف ٢٥)

من الاسباط في سامعيهِ من اليهود . ثم صرّح بان القبول عند الله لا يتوقّف على الاصل . قال " اقول لكم ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابرهيم واسحق و يعقوب في ملكوت السموات . واما بنو الملكوت فيُطرحون خارجًا الى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الاسنان "(١). في هذه المرّة ايضًا اعطى برهانًا واضحًا على كونهِ ليس مولود عصرهِ ولا ثمر الجنس البشري المجرّد . لان افكارهُ مستقلّة تمامًا عن الآراء السائدة بين قومهِ وفي زمانهِ بل مضادّة لها على خطٍّ مستقيم. وفي نفيهِ كفاءة الاصل اليهودي حجةً للقبول عند الله

ثم ارسل جوابهُ للقائد دون ان يدخل بيتهُ . قائلاً " كما آمنت ليكن لك " . " فبرأ غلامهُ في تلك الساعة . ورجع المرسلون الى البيت فوجدوا العبد المريض قد صح " . فرح يسوع لرؤيتهِ في هذا الجندي الروماني باكورة الوثنيين(٢) الذين سوف يؤمنون بالذي رفضتهُ أُمتهُ الخاصّة . وليس انها رفضتهُ فقط زمان ظهورهِ وجولانهِ في اراضيها بل لا تزال مصرّة على رفضهِ الى الآن بعد ان صار ثلث العالم يجاهر بالايمان بهِ ويفتخر بان يسمّى باسمهِ

وفي اليوم التالي سافر يسوع من مدينتهِ الى جهة الجنوب مارًّا بسفح جبل الطور . ثم مرَّ بمدينة عين دور التي تذكّرهُ وتلاميذهُ بالحادثة الغريبة التي جرت فيها قديمًا في ايام شاول بن قيس ملك اسرائيل الاوّل(٣) . وبعد سفر يوم طويل اقترب من مدينة نايين(٤) . واذا ملاك الموت قد ساق جمهور المدينة لملاقاة الجمهور التابع رب الحياة . لان الخارجين من نايين كانوا يحملون على نعشٍ جثة شابٍّ وحيد لأُمهِ وهي ارملة . لا يُصوَّر حزن مفرط

(١) يشار في عبارة الاتكاء مع ابرهيم واسحق ويعقوب الى التقاليد اليهودية التي كانت تقول ان المسيح متى جاء يصنع وليمة عظيمة لشعب اسرائيل يحضرها الآباء والانبياء الاقدمون ولا يُقبل فيها الاَّ اولاد ابرهيم حسب الجسد (٢) لان المرأة السامرية ومواطنيها لم يكونوا وثنيين تمامًا (٣) ١ صم ٢٨: ٧ (٤) هي الآن قرية حقيرة فقيرة بقرب جبل الطور

كحزن أمٍّ هذه احوالها. لذلك تحرّك لحزنها كل سكان المدينة وخرجوا معها ليدفنوا وحيدها على رجاء القيامة. فالتقوا بذاك الذي هو القيامة والحياة. ذاك الذي من امامهِ يهرب ليس الموت فقط بل ايضًا الذي لهُ سلطان الموت اي ابليس (١)

يمكن ان نشخص هذا الروح الشرير راكبًا على النعش وهو غير منظور منتحرًا بانتصارهِ في افتراسهِ هذا الشاب. وان نتصوّر حمنهُ عند رؤيتهِ من بعيد قدوم جمهور عظيم منقادًا الى خصمهِ الخصوصي يسوع الذي انتصر عليهِ في كل عراك معهُ حتى الآن. ألم يصرّ باسنانهِ بغيظ عقيم في الماضي كلما طرد يسوع شيطانًا من مصاب؟ ولربما طمأن ذاتهُ في هذا الحادث الجديد بناء على كون يسوع لم يخطف منهُ الى الآن فريسة الموت. فهو لا يزال منتصرًا في هذا الباب

كانت المؤاساة في المآتم من اقدس الواجبات عند اليهود وتُثيب من يمارسها. وحسب اصطلاح ذلك الوقت كان على يسوع والجمهور الذي معهُ ان يفسحوا لمرور موكب الدفن ثم ينضمّون اليهِ. لكن يسوع صادم هذا الموكب واوقفهُ (٢). وبما اننا نعلم ان بكاء اهل الميت ومَن معهم يتجدد ويقوى كلما التقوا باشخاص آخرين. فبملتقى هذين الجمهورين تحدث مناظر واصوات مؤثرة جدًا. فلما رأى الرب هذه المسكينة تحنّن عليها وقال لها لا تبكي. ولم يطلب منها الكف عن البكاء كأمرٍ ممنوع او مستهجن. لان الدموع من العطايا الالهية. وقد تكون بركة عظيمة. ففي الظروف الموجبة اليها تفرّج ألم الاحزان وتخمد نيرانها. واي شيء اشرف من الدموع التي تسيل حبًّا للغير والعبرات التي يذرفها الانسان على معاصيهِ وذنوبهِ وزلّاتهِ؟ والحق

(١) عب ٢: ١٤ (٢) كان الاصطلاح في الجليل ان النساء يمشين قدام النعش بناء على كون الامرأة قد ادخلت الى العالم الخطيئة التي نتيجها الموت

انهُ يُبكى على الذي لا يبكي بكاء رزيناً معتدلاً عند وقوع ما يُوجب البكاء. وقصد يسوع ايقاف بكاء هذه الارملة باعطائهِ اياها سبباً كافياً لذلك. "فتقدَّم ولمس النعش فوقف الحاملون". قدَّس لمس يسوع نعشاً كان يُنجِّس كل من يلمسهُ. وامتلكت هيبة يسوع كبار هولاء القوم مع صغارهم فخضعوا واوقفوا الموكب بانتظار ما يريدهُ هو

كان قد أُعلن موت هذا الشاب في نايين بصوت البوق[1]. اما الآن وعلى هذا الطريق سيُسمع صوت الذي قال امسًا على مسمع من الرؤساء والجمهور في اورشليم "الحق اقول لكم انهُ تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون[2]. الآن يُثبت قولهُ الغريب بفعلهِ العجيب. فنادى الميت بقولهِ "أيها الشاب لك اقول قم". كالصاعقة وقع هذا الصوت على السامعين. نعم قد سمعوا هذا المعلم ينتهر الارواح النجسة فتخضع لصوتهِ ورأوهُ عند ما امر الامراض ان تولي فولَّت. وسمعهُ تلاميذهُ ينتهر النوء فاطاع. لكنهم لم يتصوَّروا قط او يحلموا ان هذا الصوت يُطرح على ارواح ولَّت الى الابدية. فترجع الى قيودها الجسدية بعد تحريرها منها وعلى جثة خامدة فتعود الى الحياة. اعلمتهم نواميسهم بقيامة بعض الموتى في القديم بواسطة الانبياء العظام. ولكن ذلك بعد مصارعة قوية بالصلاة لله واستعمال وسائط دلَّت على صعوبة كلية في الامر. وكانوا يجرون ذلك في السر كأنهم يخشون الفشل. ثم ان تسعماية سنة قد مرَّت على الشعب المختار دون تجديد حوادث القيامة. فلا يخطر مطلقاً على بال الجمهور ان ذلك يُعاد امام عيونهم. ولكن هنا انسان يكلم الموت بصوت سلطان. ويأمر لا كالانبياء بصوت عبدٍ يستغيث. فاي تجاسر هذا بل اي كفر بل اي جنون؟

لكن الحكم يكون للنتيجة. فها "جلس الشاب وابتدأ يتكلم". ما اعظم

(١) كان يستعمل عند اليهود البوق كالجرس الآن عند المسيحيين

(٢) يو ٥:٢٥

دهشة هو لما فتح عينيهِ ورأى ذاتهُ على محمل محاطًا بجمهور من الناشين ورأى كآبة الوالدة التي هو وحيدها! ولما طرق اذنيهِ صوت الرثاء والنحيب واسمهُ موضوع ذلك! ثم كم زاد عجبهُ لما رأى رجلاً غريبًا واقفًا بجانبهِ لامسًا نعشهُ! رجلاً ظاهرة على محياهُ امارات الذكاء المفرط والرزانة النادرة مع الطهارة السماوية واللطف يتدفق منهُ كالنهر من ينبوعهِ. كنا نشتهي ان نعلم ماذا حفظهُ هذا الشاب عند رجوعهِ من عالم الاموات مما رآهُ وسمعهُ في الهاوية التي نزل اليها وقضى فيها تلك الاوينات

لم يقصد يسوع ازالة الموت من العالم. هذا الحكم الالهي لا يُلغى ولو توقّف احيانًا. ولا قصد ادهاش القوم واظهار سلطانهِ. بل كان مدفوعًا لصنع هذه المعجزة من حنانهِ على هذه المسكينة. ان من اعمال ابليس العدائية ليس فقط اسقاط البشر تحت حكم الموت بل ايضًا تنشيف ينابيع الحنان والاشفاق. فكانت رأفة يسوع نحو هذه المسكينة نقضًا مهمًّا لاعمال ابليس. وحالما عاد ابنها الى الحياة دفعهُ الى أمهِ. كأنهُ يقول لها بهذا الفعل "ترين الآن لماذا نهيتكِ عن البكاء". فاللطف والاشفاق مزيتان لا تنفصلان عن كل تلميذ حقيقي ليسوع قد تعلّم منهُ ويقصد ان يسلك في خطواتهِ. وروح المسيح نطق في رسولهِ في الوصية "فرحًا مع الفرحين وبكاء مع الباكين" (١)

رأينا خادم الملك في كفرناحوم يؤمن هو واهل بيتهِ بتأثير شفاء يسوع ابنهُ من مرض خطر. فلا تُستبعد ذات النتيجة في الارملة وابنها. بل نتصوّر انهما اصبحا شاهدَين امينَين ليسوع المخلص وخميرة الايمان في مدينة نايين التي على رغم حنانهما قد اصبحت شهيرة بسببهما. وهذا الحادث الخطير ضاعف صيت يسوع الطائر في البلاد. فكانت النتيجة حسب قول البشير ان "اخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبيٌّ عظيم وافتقد الله شعبهُ. وخرج هذا الخبر عنهُ في كل اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة" (٢)

(١) رو ١٢: ١٥ (٢) اي الجليل

كان يوحنا المعمدان لا يزال منذ اكثر من سنة سجينًا في قلعة مخيروس[1]. الا ان حبسهُ لم يمنع تردُّد تلاميذهِ عليهِ. فأخبروهُ بمعجزات يسوع المتكاثرة. ولاسيما باعجبها واجدِّها اقامة الشاب الميت. اخبروهُ ايضًا كيف تتبع الجماهير يسوع وتدهش لاقوالهِ وافعالهِ. قد برهن المعمدان في الماضي عظم اعتبارهِ وشدة حبهِ ليسوع. وقدم لهُ خدمة عظيمة جدًّا ومتنوعة فهو لا يرتاب في حب يسوع لهُ. والآن لا يقدر ان يرتاب في مقدرتهِ الفائقة. فكيف لا يسأل يسوع عنهُ في سجنهِ هذه الاشهر الطويلة؟ أليس المسيح الموعود بهِ نصير المظلوم فاي ظلم افظع من الذي اصابهُ ليس فقط على رغم صلاحهِ بل بسبب صلاحهِ وغيرتهِ على الصلاح؟ فكيف لا يجد لهُ نسيبهُ وحبيبهُ بعد خدماتهِ لهُ يدُ القدرة لينشلهُ من هذا الضيق والخطر ولو اقتضى لذلك معجزة؟

لو كان يوحنا كسائر معاصريهِ منتظرًا ان يكون ملكوت المسيح زمنيًا محاطًا بالمجد وكافلاً النجاح العالمي لكل الداخلين فيهِ لا بدَّ من سؤالهِ "اين هذا الملكوت الذي بشرت انا باقترابهِ؟" واين صفات المحبة والرأفة والغيرة على مَن لهُ التي ينتظر ظهورها في المسيح ملك هذا الملكوت؟. ثم ان المعمدان قد يرتاب بعض الريب في شأن يسوع لمخالفتهِ اساليب الحياة التقشفية التي اتخذها هو لنفسهِ قانونًا اقتداء باسلافهِ الانبياء. فما دام المعمدان بشرًا تحت السقوط لا عجب استولى عليهِ الشك والقنوط احيانًا في مرارة ظروفهِ المتغيرة وبعد كل ما كان لهُ قبل هذه السنة من الحرية والسطوة والعظمة. ويصعب جدًّا على رجل في عزّ قوتهِ ان يُقيَّد بلا عمل عقيب سنين كلها عمل بهمة ونشاط. ففي ذات يوم خار عزمهُ وفرغ صبرهُ. فارسل اثنين من تلاميذهِ الامناء الى يسوع ليسألاهُ ان كان هو حقًّا المسيح الموعود بهِ او ان المسيح الحقيقي سيأتي بعدهُ

نستنتج من خطة يسوع[2] ان سؤال المعمدان نتج عن شكوك حقيقية بلام عليها بالنظر الى كل ما كان قد رآهُ وسمعهُ وشهد بهِ في برية الاردن.

(١) في بيرية (٢) ولا سيما قولهُ للرسولين "طوبى لمن لا يعثر فيَّ"

فتكون هذه زلةً وان كانت وحيدةً ذُكرت لرجل الله هذا العظيم كما ذُكر لغيرهِ من الانبياء والرسل زلّات . لكن " الصديق يسقط سبع مرات ويقوم "(١) فشكوك المعمدان ساقتهُ الى يسوع لا الى تركهِ . يوجد احيانًا تظاهر رياني بالشكوك الدينية بدافع عنفوان الادعاء او لاجل غايات نفسانية مع كون المتظاهرين بها لا يعتقدون بصحة احتجاجاتهم . دينونة هؤلاء ظاهرة . وتتولّد احيانًا شكوك ليست رياثية لكنها ناتجة عن تمسُّك اصحابها بما ينهى الدين عنهُ. فشرُّ هذه ظاهر ايضًا . لا يمكن اهتداء هؤلاء الى الحقيقة ما لم يتركوا اولاً تشبثهم بالمنكرات سواء كانت علنية او خفية

اما الشكوك الناتجة عن قلّة المعرفة فقط فالامل قوي بزوالها بواسطة الدرس والسؤال وطلب الهداية الالهية وعمل الواجب الحاضر في حينهِ بكل امانة واخلاص . والشكوك نظير شكوك المعمدان التي هي مزيج من المحبة والغيرة والتواضع مع شيء من الخوف والميل الطبيعي الى التنوط فانها تقارب الفضيلة . ولابد من ان تكون نتيجتها اخيرًا انقشاع غيوم الشكوك وبزوغ شمس اليقين التام

زعم البعض ان المعمدان لم يشكّ بل قصد ان يأخذ رسولاهُ من يسوع جوابًا مقنعًا لهم على هذا السؤال الجوهري يفيد سائر تلاميذهِ . على هذا الفرض نرى في اهتمام المعمدان هذا في آخر خدمتهِ وهو اسير ما رأيناهُ في اوّل خدمتهِ وهو حرٌّ في اوج النجاح اي السعي الحثيث الجدي في هدي الناس الى ذاك الاعظم منهُ الذي اتى بعدهُ

شاء الآب في حكمتهِ وحبهِ ان يموت المعمدان شهيدًا اذ بذلك يحصل على مجد مضاعف في ابديتهِ ويعطي كنيسة المسيح مثالاً مؤثرًا للجرأة الدينية التي لا تهاب انسانًا ولو ملكًا في اتباع الاوامر الالهية . ومثالاً للمجاهرة بالدين الحق ومبادئهِ . فلم يقُد الروح الالهي يسوع لينقذ المعمدان من ضيقهِ

(١) ام ٢٤: ١٦

فضّل يسوع ان يجيب على سؤال المعمدان بالافعال قبل الاقوال "ففي تلك الساعة شفى كثيرين من امراض وادواء وارواح شريرة ووهب البصر لعميان كثيرين" (١) وبعد هذا البرهان النظري الوافي بانهُ المسيح افهم الرسولين ان يُبلّغا مرسلها الكريم خبر ما رأياهُ وسمعاهُ من معجزاتهِ وتعاليمهِ. خصّ بالذكر علامةً روحيةً هي ان شخصاً قد احرز شهرةً واظهر سلطاناً بهذا المقدار ثم يعتني بتبشير المساكين لايمكن الاّ ان يكون المسيح. ألم يعطِ النبي العظيم هذه العلامة في قولهِ "يزداد البائسون فرحاً بالرب ويبتهج مساكين الناس بقدوس اسرائيل" (٢) "وايضاً الرب مسحني لأبشر المساكين" (٣)

اعلن يسوع في اسلوب جوابهِ اهمية العمل كالبرهان القاطع لمزايا الشخص. فان كان هو المسيح حقاً يتضح ذلك من اعمالهِ اكثر من اقوالهِ. ولكن لئلاّ يُؤخذ سكوتهُ ثم كيفية جوابهِ ثم تخلّيهِ عن انقاذ المعمدان دليلاً على عدم اعتبارهِ لهذا الشهم الغيور المعتبر عند الشعب انهُ من انبياء الله اسرع فبالغ في مدحهِ حالما انصرف رسولا المعمدان راجعين اليهِ. لم يشاء ان يبلغ مديحهُ هذا آذان المعمدان لئلاّ يظن انهُ فقط من باب التعزية او الترضية او التمليق. ولان المدح في غياب الممدوح تكون قيمتهُ مضاعفة

ذكّر الجمهور بايام معظم نجاح المعمدان حين كان بعض سامعيهِ بين الجماهير المتقاطرة اليهِ في البرية تاركين الاوطان والاشغال وطالبين ان يسمعوهُ ويعتمدوا منهُ (٤) سألهم هل وجدوهُ آنئذٍ رجلاً متقلباً تزعزعهُ المخاوف

---

(١) لوقا الطبيب المدقق يذكر الادواء ثم الارواح الشريرة على حدة كأن هذه ليست كما يزعم البعض مجرّد داء صرعي كالجنون او "النقطة" (٢) اش ٢٩:١٩

(٣) اش ٦١:١ ينسب البعض ان يوحنا قصد بارساليتهِ تحميس يسوع لينقذهُ من سجنهِ لكن المعمدان يترفّع عن ارسال سؤال كهذا على سبيل حيلة لاجل هذه الغاية

(٤) مت ٣:٥ ومر ١:٥

او المطامع فيشبّه بقصبة تحركها الريح فيُعذَرون في عدم قبولهم تعليمهُ أليس في ثباتهِ وعزمهِ وحزمهِ سبب وجودهِ في ذلك السجن المخيف ؟ اذًا لا يجوز اتخاذ سؤالهِ بواسطة رسولَيهِ اساسًا للحكم بانهُ رجل ضعيف ومتقلّب

سألهم ايضًا ان كانوا وجدوهُ رجلاً محبًّا للذات يطلب التنعم والرفاه حتى يروا بين كلامهِ وسلوكهِ تناقضًا يعذر مَن لا يتبع ارشاداتهِ . ألم يجدوا بخلاف ذلك انهُ سالك في منتهى انكار الذات والانصباب على خدمة الله بواسطة خدمة البشر ؟

فان اعتبروهُ نبيًّا فقد اصابوا العلَم . لكنهُ ايضًا اعظم من نبي . لان لاموسى بتعليمهِ الشريعة للشعب بعد اخراجهم من عبودية مصر ولا ايليا بمقاومتهِ عبادة البعل وصنعهِ المعجزات المدهشة ولا داود برعايتهِ شعب اسرائيل كملك اربعين سنة واعطائهِ العالم مزاميرهُ الشهيرة قد خدموا العالم خدمة جوهرية كخدمة المعمدان لما هيأ الطريق للمسيح الموعود بهِ ثم دلّ الناس عليهِ

ان صحّ قول من كتب "الخلق عيال الله واحبهم اليهِ انفعهم لعيالهِ" يكون المعمدان من احب الناس اليهِ تعالى . وتؤيّد ذلك شهادة يسوع اذ قال "الحق اقول لكم انهُ بين المولودين من النساء ليس نبيٌّ اعظم من يوحنا المعمدان" وفي ثنمّة قولهِ "ولكن الاصغر في ملكوت السموات اعظم منهُ" ما يصعب الجزم في تفسيرهِ . ولا نرى تفسيرًا اقرب من ان ادنى مركز في العهد الجديد يُعدّ حظًّا اعظم من ارفع مركز في العهد القديم

ثم وبخ يسوع الرؤساء لانهم من الناس الذين يصح فيهم القول ان "الاولين يكونون آخرين" . فبدلاً من ان يكونوا في مقدمة المستفيدين من خدمة المعمدان في الوعظ والتعميد بسبب معارفهم ووظيفتهم "رفضوا مشورة الله من جهة انفسهم غير معتمدين منهُ" . بينما العشارون المحتقرون "برّروا الله معتمدين بمعموديةِ يوحنا" . اظهر لهم ان الدخول في ملكوتهِ لا يكون

دون صعوبة . وان المعمدان هو ايليا المزمع ان يأتي [١] . وان اعتذارهم لعدم انقيادهم الى هذا النبي العظيم مخالف لاعتذارهم لرفضهم الانضمام اليهِ . [٢]
انتقد رؤساء اليهود المعمدان لابتعادهِ عن الناس ولاختيارهِ المعيشة التقشفية قائلين ان "بهِ شيطان" فرفضوهُ . ثم انتقدوا يسوع لاقترابهِ من الناس واختيارهِ العيشة الطبيعية مشتركًا معهم في افراحهم واتراحهم . فقالوا عنهُ "هوذا انسان اكول وشريب خمر محبٌّ للعشارين والخطأة" فرفضوهُ ايضًا. واثبتوا بذلك على ذواتهم عدم الاخلاص والاستقامة في المحبين . واوضحوا انهُ لا يؤمَّل ظهور الحكمة الحقيقية وتركيتها الاَّ في اهلها الحقيقيين

مع دينونتهِ الرؤساء لان خطيئتهم تزيد بسبب وسائط المعرفة والتقوى . الجاهزة لديهم "وبخّ المدن التي صُنعت فيها اكثر قواتهِ لانها لم تتب" .ونعلم من تاريخ الانجيل انهُ صنع في كفرناحوم وطنهِ الجديد قوات اكثر من غيرها. لكن اشرك معها جارتيها كورزين [٣] التي لا ذكر آخر لها مطلقًا في الكتاب . وبيت صيدا [٤] التي لم يذكر الانجيل آية واحدة صنعها فيها . فالتي يقول الآن انهُ صنعها في هاتين المدينتين ولم يرد ذكرها هي من جملة الكثير المتروك المشار اليهِ في قول البشير يوحنا [٥]

الانسان الذي تتوفر لديهِ وسائط التقدم الديني لا يطوّب ما لم تنفعل فيهِ فعلها المطلوب. فان لم تفعلهُ تكون هذه الوسائط سببًا لدينونة مخيفة اكثر بالنسبة الى الذين ليس لهم وسائط نظيرهُ . يبرهن الاختبار ايضًا ان هذه الوسائط تسبّب في قلوب الذين يستهينون بها ازدياد قساوة القلب فوق الذين لم يحصلوا عليها . قدّم يسوع شاهدًا على ذلك اشرّ مدن العالم واقبحها

---

(١) ملا٤:٥ (٢) نجد في كل الاجيال ان الذين يحقدون ضد الحقائق الدينية يتنقلون من احتجاج الى عكسهِ (٣) توجد قرية قديمة في تلك الناحية تسمى كرازة يظن انها بقية كورزين التي يخبر القديس ابرونيموس عن خرابها قبل سنة ٤٠٠ ب م
(٤) انظر ف ٩ (٥) يو ٢١:٢٥

آنئذٍ في عباداتها الوثنية وتصرفاتها الفاسدة . قابلها ومع هذه المدن الثلاث اليهودية التي صُنع فيها اكثر قواتهِ . قال انهُ لو صُنعت في صور وصيداء الفينيقيتين وسدوم الكنعانية الآيات المصنوعة في كفرناحوم وبيت صيدا وكورزين لظهر تأثيرها في اهالي تلك المدن القديمة الوثنية ولقدموا توبة "بالمسوح والرماد" . كما كان قد ميّز كفرناحوم في الوسائط ميّزها ايضًا في الدينونة "انتِ المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية" . ففي يوم الدين "يكون لاشر مدن العالم الوثني حالة اكثر احتمالاً" مما لمدن شعب الله الخاصّ التي لا تتوب

انتقل يسوع بعد ذلك من مكالمة الناس الى مكالمة الله [1] . ثم من كلام الدينونة الى كلام الحنان الفائق . صلاتهُ الوجيزة في هذه الساعة كانت شكرًا لله لانهُ قد اختار ان يمجد اسمهُ بواسطة الصغار والمحتقرين لا الكبار والمعتبرين . الادعاء هو آفة العلماء ويغلق في وجههم الباب الموصل الى المعارف الروحية . حتى قال الرسول صدقًا "ليس كثيرون حكماء حسب الجسد *** بل اختار الله جهّال العالم ليخزي الحكماء" [2] . وبعد صلاتهِ نطق بما لا يصحّ لمجرّد بشر ان ينطق بهِ . قال "كل شيء قد دُفع اليّ من ابي وليس احد يعرف الابن الاّ الآب ولا احد يعرف الآب الاّ الابن ومن اراد الابن ان يُعلن لهُ" . هو قد اتى من السماء جاعلاً غرضهُ الخصوصي اعلان الآب للبشر ولا واسطة لبشر ليعرف الله الاّ بنظرهِ الى ابن الله الوحيد الذي خبّر [3]

يضطر احيانًا الطبيب ولاسيما الجرّاح الى علاجات عنيفة ومؤلمة . لكنهُ

---

(١) هذه هي المرّة الوحيدة التي فيها خاطب الآب بالتفخيم "رب السماء والارض" . لانهُ في غير هذه الصلاة كان يقتصر على الخطاب البسيط "ايها الآب"

(٢) ١ كو ١ : ٢٦ و ٢٧ نقرأ في كتابات اليهود انهم كانوا يقولون في عيد الفصح في عباداتهم "نحن جميعًا حكماء وكلنا نعرف الناموس" لم يتنبهوا الى قول المزمور "من افواه الاطفال امسست حمدًا" (مز ٨ : ٢) (٣) يو ١ : ١٨

يسوع في تسكين الألم وتقديم المليّنات التي ترجّ الجسم بعد الانزعاج. فيكون اجتماع العنف والعطف فيهِ برهان كمالهِ في حرفتهِ. فمن بينات كمال يسوع الادبي اجتماع هذَين الضدَّين كلٌّ في محلهِ. يرى فيهِ منتهى العنف في الظروف الموجبة لذلك. ومنتهى العطف في الظروف المؤذنة بذلك. يذكرنا بقول الرسول "هوذا لطف الله وصرامتهُ"[1]. فبعد عباراتهِ المؤلمة التي كان مضطرًّا اليها ولا يتلفظ بها الاَّ متألمًا في استعمالها غيَّر تمامًا لهجتهُ وقال قولهُ الشهير في منتهى الطلاوة والتأثير. هاجت فيهِ عاطفة الاشفاق على سامعيهِ المثقلين بعبءِ خطايا مخيفة تورطهم في اليأس والحاملين ايضًا اثقالاً لا يُحتمل من الفرائض الناموسية الزائفة[2]. فنادى بصوت الحنو الفائق "تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا أُريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني. لاني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحةً لنفوسكم. لان نيري هيّن وحملي خفيف"

لا نفصلُ عن معنى النير الذي يدعو يسوع الى حملهِ. في المعنى الحرفي النير هو الواسطة لراحة الثور في جرّ الاثقال. ارغمهُ على سحب الحمل بدون نير فتكون النتيجة جروح وقروح وفشل. ضع على عنقهِ النير فيسهل عملهُ المطلوب. يسوع يقدم للمتعبين النير الذي حَمَلهُ هو في اتعاب حياتهِ الارضية. فسهّل لهُ عملهُ وهو نير الوداعة[3]. في دعوتهِ هذه الحبية ينصح لجميع المتعبين والثقيلي الاحمال ان يحملوا نير الوداعة فيجدون في وسط الاتعاب وعلى رغمها راحةً لنفوسهم. "لان نيرهُ هين وحملهُ خفيف". الكبرياء ام الاكدار والوداعة ام الراحة والانشراح "طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض"[4] لم يتهِ صوت دعوتهِ هذه لجميع المتعبين الاَّ وسُمع صداهُ في ما عملتهُ امرأة خاطئة لبّت هذه الدعوة كما سيظهر في القريب العاجل

(١) رو ١١: ٢٢ (٢) اع ١٥: ١٠ (٣) "احملوا نيري عليكم لاني وديع"
(٤) مت ٥: ٥

الفصل الثاني والعشرون

مت ١٢: ٢٢ – ٥٠ مر ٣: ١٩ – ٣٥ لو ٧: ٣٦ – ٨: ٣ و ١٩ – ٢١

(المرصع) ف ١٤ (الزمان) خريف السنة ٢٨ م
(المكان) الجليل

دعوة سمعان الفريسي يسوع . دهن امرأة تائبة قدميه بالطيب . مثل المديونين والمحبة ثمر المغفرة . خدمة النساء وفضيلة العطاء . اتيان اهله ليمسكوه كمختل . شفاؤه اعمى اخرس مجنون . اتهام الفريسيين اياه بالاشتراك مع الشيطان . دينونة الفريسيين لاجل التجديف على الروح القدس وتعريف هذا التجديف . الاصلاح يبتدئ في القلب قبل العمل . طلب الفريسيين آية . اعطاؤه اياهم آية يونان النبي . اقرباء يسوع الحقيقيون

دُعي يسوع يومًا من فريسي اسمهُ سمعان [1] ليتناول الطعام على مائدته مع أُناس آخرين فلبى الدعوة . نجهل قصد سمعان في هذه الدعوة لاننا نجهل صفاته . قد يكون قصدهُ بسيطًا لكي يكرم انسانًا شهيرًا ويرى اعماله ويسمع اقواله . وقد يكون خبيثًا لكي يخدم افكار زملائه فريسيي اليهودية ويصطاد يسوع . اما قصد يسوع في دعوته فلا يصعب الحكم فيه . لاننا نعلم صفاته ومبادئه . يبرهن بهذا القبول عدم حقدهِ على خصومه مع كونهم يقصدون اهلاكهُ . ويبرهن غيرته الوقادة انهُ يغتنم كل فرصة لصيد النفوس سواء كانت من ادنياء القوم او عظمائهم

مع اعتبار سمعان يسوع بالنظر الى معجزاته وانتشار صيته كنبي يزدري

---

(١) مع عدم ذكر وطنه يرجح انهُ كان ساكنًا في احدى مدن الجليل

يو بعض الازدراء بالنظر الى اصلو المهود . والى عدم تخرُّجهِ في احدى مدارسهم العالية . والى كينية معيشتو الفقرية وعدم مرافقتو بمظاهر التفخيم . ويحقرهُ من الوجه الديني لعدم امتثالو العوائد والتقاليد الفرّيسية . لذلك لم يتنازل ليقدم ليسوع الاحترام والخدمة كجاري العادة في الضيافات. ويظهر انهُ حسب مجرَّد دعوتو شرفًا كافيًا لهذا الناصري . خُصَّ بالذكر حادث جرى اثناء اتكاء يسوع على مائدة سمعان . لانهُ يُعلن فتح باب التوبة واسعًا لشرّ الناس

انتشر في المدينة خبر قبول يسوع دعوة سمعان وربما انتشر ايضًا خبر تقصير سمعان في اكرامو الواجب . فتحمَّست لذلك "امرأة في المدينة كانت خاطئة". لم تتحمَّل معاملة التحقير لهذا المعلم الفاضل والنبي المحسن . فقصدت ان تعوّض عن ذلك التقصير في اكرامهِ. "فجاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميو من ورائو". لانها عالمة بمقامها الدنيء في اعين المجتمعين وشاعرة بثقل خطاياها الماضية. فلم تجسر ان تتقدم لتسكب على راسو هذا الطيب الثمين. فاستبدلت رأسهُ بقدميو . ألا يحق لنا ان نعتبرها من المتعبين والثقيلي الاحمال الذين سمعوا دعوتهُ السامية منذ ساعاتٍ قليلةٍ . وانها قبلت هذه الدعوة وانت اليو بالتوبة والايمان ؟ تراها واقفة وراءهُ تدهن قدميو بالطيب. لكن اطيب من الطيب دموع توبتها السخية التي تتساقط وتمتزج مع الطيب . لان بعضها محرقة بسبب ماضيها المعيب . وبعضها مفرحة بسبب شكرها لاجل الغفران الجديد الذي فيو وجدت راحةً لنفسها . فعملها هذا الاكرامي مألوف عند الناظرين . لكن الغير المألوف رؤية امرأة شريرة تذرف دموع التوبة امام عيونهم مع الاحترام الفائق الذي جعلها تمسح قدمي هذا المعلم باعزّ ما لديها اي شعرها . ولذلك لا يستبعد ان نسب الحاضرون حركاتها الى فعل الخمرة نظرًا لما يعهدونهُ منها[1]. لم يدركوا انها فعلت فعل المستعطي المتذلل ثم

(١) انهم عالي الكاهن حنة والدة النبي صموئيل بهمة من هذا النوع (١صم ١: ١٣)

المحسن اليه الشكور في تقبيل قدمي من قادها الى التوبة والخلاص

سمعان كفريسي يجتنب كليًّا "العشارين والخطأة". ولذلك يكون استياؤه عظيمًا من دخول هذه المرأة جهارًا الى بيته ثمَّ من عملها فيه. لكنه يُدح لانه لازم السكوت. وافكار يسوع كمخلِّص من الخطيئة بعيدة جدًّا عن افكار سمعان. لان هذا زعم وهو تحت حكم النياسات الفريسية ان يسوع سمح لهذه المرأة في ما عملت لجهلهِ صفاتها وظنهِ انها صالحة. فان كان يجهل صفاتها لا يُعتبر نبيًّا. هذا الحكم حصَّله سمعان لنفسهِ بنفسهِ. لكنه احترم يسوع بسكوتهِ وبسوع احترمهُ في أُسلوب كلامهِ

مثَّل له بمديونين عاجزين عن الايفاء. على احدهما خمسون دينارًا وعلى الآخر خمسمئة. وسأل ايهما يحب المدين اكثر متى سامحهما بالدَّين كلهِ. فاجاب سمعان "اظن الذي سامحهُ بالاكثر". فصدَّق يسوع جوابهُ. ثم التفت الى المرأة واظهر لسمعان انهُ كان يشير اليها في السؤال عن المديونين. قابل دموعها التي سكبتها على رجليهِ ونشفتها بشعر راسها بالماء الذي لم يقدمهُ سمعان لغسلها. وقابل قبلاتها قدميهِ بالتي لم يطبعها سمعان على وجنتيهِ. وقابل الطيب الثمين الذي سكبتهُ بالزيت الرخيص الذي بخل بهِ سمعان عليهِ. وفسَّر قصدها الشريف اي طلب المغفرة منهُ على خطاياها الجسيمة. وقصدهُ الاشرف اي تطمينها بان هذا الطلب قد أُستجيب. فشكرها الحبي للذي منح الغفران يتبع شعورها بعظم آثامها. واما سمعان فلأنهُ لم يشعر بعظم آثامهِ لم يشعر ايضًا بالشكر الحبي نظيرها ولم يفهم شعورها

قول يسوع "قد غُفرت خطاياها الكثيرة لانها احبَّت كثيرًا" يؤخذ مع المثل الذي اوضح فيهِ لسمعان ان الخاطئ يحب كثيرًا لانهُ غُفر لهُ كثيرًا. فلا يستنتج ان المحبة تسبق المغفرة وتكون سببها بل عكس ذلك هو الصحيح. في القولين ليس المقصود ان الذي يحب كثيرًا يُغفر لهُ لانهُ أحبَّ بل ان الذي يُغفَر لهُ كثيرًا يحبُّ كثيرًا لانهُ غُفر لهُ الكثير. بعد هذا التفسير ولكي يعلم كل

السامعين قصّة هذه المرأة قال لها "مغفورة لكِ خطاياكِ". ولما علم ان الحاضرين كرّروا فكرًا المذمة التي ذمّهُ بها أهل كفرناحوم قبلهم لما غفر خطايا المفلوج صرف المرأة بقولهِ لها "ايمانكِ قد خلصكِ اذهبي بسلام"(١). شعور هذه المرأة المجهولة الاسم والوطن عندنا بان خطاياها الكثيرة قد غُفرت سيكون افضل حاجز بينها وبين العود الى حياتها السابقة الاثيمة. لان الذي ينال حقًا غفران خطاياهُ يجتهد ان لا يجدّد ما قد غُفر لهُ. وفعل يسوع في ردّها الى الصلاح يُعدّ من معجزاتهِ الروحية المهمة

كما يفتخر انصار الطبيب الماهر بالحوادث الشهيرة المثبتة مهارتهُ يفتخر البشيرون في بيان حادث نظير هذا اثباتًا لقدرة يسوع ونجاحهِ في ردّ شرّ الناس عن ضلال طريقهم وادخالهم الى ملكوتهِ ملكوت البر والسلام والفرح(٢). نعترف باسفٍ لا مزيد عليهِ ان امثال هذه المرأة في الشرور كثيرون في كل عصر وفي جميع البلدان. ونفتخر بفرح لا مزيد عليهِ لوجود من هو قادر ومستعد ان يخلّص امثالها كما خلّصها في الدارَين. ومتى كان روح المسيح في شعبهِ يسعى تابعوهُ سعيهُ الجدّي في تخليص الشاردات بدلاً من تركهنّ فريسةً لعدوّ البشر. قال الكتاب "رابح النفوس حكيم"(٣). وايضًا "من ردّ خاطئًا عن ضلال طريقهِ يخلّص نفسًا من الموت ويستر كثرة من الخطايا"(٤)

استأنف يسوع جولاتهُ من مدينة الى مدينة ولم يحتقر القرى الصغيرة ايضًا. اعتنى البشير المدقّق لوقا ان يفيد العالم في امر معيشة يسوع ورفقائهِ التلاميذ من رسل وغيرهم في جولاتهم. قد تبرهن انهُ لا يفتقر الى الخدمة المادية لو قصد ان يستخدم قوتهُ على فعل المعجزات. على اننا قد تعلمنا انهُ لا يفعل معجزة لاجل احد ما الاّ بعد العجز الطبيعي. وعند ذلك فحسب القول

(١) تخطّى. ظن البعض انها مريم المجدلية (٢) رو ١٤: ١٧ (٣) ام ١١: ٣٠
(٤) يع ٥: ٢٠

السابق لا ينعلها لمنفعتهِ الشخصية . فضلاً عن ذلك يهتم بتربية تابعيهِ على العطاء والخدمة المادية لرجال الدين تنشيطاً لعلمهم . لان التمرين في العطاء للغايات الدينية هو من أهمّ فروع النمو الروحي . فترى يسوع يعلّم تلاميذهُ الذين يستطيعون اعالة الآخرين ان يعولوهُ مع رسلهِ التاركين اشغالهم علّة معيشتهم

من جملة الذين مرّ بهم نساء كثيرات كنّ يخدمنهُ من اموالهنّ . يخص الانجيل منهنّ بالذكر في هذا الوقت "يونا امرأة خوزي وكيل هيرودس"(١) "وسوسنّة"(٢) "ومريم المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين"(٣) وفي وقت آخر يضيف اليهنّ اثنتين من أمهات الرسل اي سالومة خالة يسوع امرأة زبدي وام يعقوب ويوحنا ومريم امرأة حلفى ام يعقوب الاصغر(٤) . لا نغفل عن روح الغيرة وانكار الذات في تركهنّ اوطانهنّ ويبوتهنّ لاجل هذه الخدمة . ولا عن الصعوبات الكلّية في مشقّات التغرّب والسفر والتعييرات الثقيلة من روسائهنّ ومواطنيهنّ فوق انفاق اموالهنّ . نريد ان ننبهنّ حقهنّ في الاكرام وعلى الاخص ان نقتفي آثارهنّ في ما فعلنَ

كان التعاقب المتبادل بين اسباب السرور واسباب الكدر ظاهراً في تاريخ يسوع كغيرهِ من البشر كافةً . فرح برجوع الخاطئة الى التوبة ثمّ بالخدمة الحبية السخية التي اهمرنا اليها . لكن عقب هذا الفرح كدر صدر من الذين كان يجب ويتنظر ان يكونوا اعظم خدَمةٍ لسرورهِ . لانهُ لما زاد الازدحام عليهِ وعلى من معهُ حتى انهم "لم يقدروا ولا على اكل الخبز" سمع "اقرباؤهُ" (اي عائلتهُ في كفرناحوم ولربما في الناصرة ايضاً) بذلك . "فخرجوا ليمسكوهُ لانهم قالوا انهُ مختلّ" وليس اخوتهُ فقط الذين "لم يؤمنوا بهِ" فعلوا ذلك . بل ان امهُ ايضاً انقادت الى هذا الرأي الوخيم . هم المخطئون

(١) يظن ان هذا هو "خادم الملك" الذي شفى يسوع ابنهُ (يو ٤ : ٤٦ – ٥٣)

(٢) التي لا ذكر آخر لها فلا نعلم عنها شيئاً (٣) قريتها المجدل كانت على شاطئ بحر طبرية بقرب كفرناحوم لجهة الجنوب (٤) مت ٢٧ : ٥٦

وليس هو . ليس الغيور في الدين هو المختلّ بل الفاتر في الدين . وكثيرًا ما تعدّ الغيرة جنونًا عند الفاترين كما عند كارهي الدين . اي مرارة حزن لم تولد في قلب يسوع المحب عند مجيء امه واخوته لالقاء القبض ثم الحجز عليه كمختلّ . لكنهم " لم يقدروا ان يصلوا اليه لسبب الجمع "

بينما هم ينتظرون ان يتسهل لهم هذا الوصول أُتي اليه بمسكين مجنون اعمى واخرس . فلما شفاهُ شفاء تامًّا من العلل الثلاث تهيج الجمهور املاً وصار يتساءل عن هذا المحسن المقتدر لعلهُ مسيحهم ابن داود . اما الفريسيون والكتبة الذين نزلوا من اورشليم بقصد مراقبته ومقاومته فلم يسعهم السكوت تجاه امال الحب والاحترام التي بدأت تظهر في الجمهور . فاستعانوا بسطوتهم الرياسية المعهودة لردع الجمهور عن يسوع بحكمهم عليه انهُ آلة في يد " بعلزبول[1] رئيس الشياطين " . هذا الحكم اذاعوهُ بين القوم على غير مسمع من يسوع . لكن يسوع اوضح لهم مرّة اخرى طبيعتهُ السماوية في علمه الخفايا دون ان يرى او يسمع . فدعاهم اليه وابتدأ يفنّد حكمهم الشرير

فاعترف بان للشيطان مملكة بين البشر . وسألهم كيف يمكن الشيطان ان يساعد من يقاومهُ ويعضد من يخطف من يدهِ سلطتهُ على البشر . لو فعل ذلك لسقطت لا محالة مملكتهُ . يكون ذلك انقسام في البيت الواحد والانقسام مقدّمة الخراب . ليست الشركة مع بعلزبول لهُ بل لهم لانهم يفعلون فعل بعلزبول في مقاومة من جاء مخلصًا . واما ان كانت القوّة التي تخرج الشياطين هي قوة بعلزبول فباي قوّة يستعين الذين من قومهم يدّعون انهم يخرجون شياطين ايضًا[2] اذًا ابناء الذين حكموا عليه يدينونهم على هذا الحكم .

---

(١) احد آلهة الفلسطينيين كان اسمهُ بعلزبوب اي اله الذبان (٢ ملو ١ : ٢ و ٣ و ٦) فبدل اليهود الباء باللام اهانةً لان بعلزبول يعني اله القذر (٢) اما ان ادعاءهم فارغ فظاهر من التجاء الناس الى يسوع لاجل اخراج الشياطين . ودهشهم في نجاحه ما لا يكون لو كان غيرهُ يفعل ايضًا ذات الفعل مت ٩ : ٣٣ انظر اع ١٩ : ١٣

الواقع هو عكس حكمهم لان ما نسبوهُ الى بعلزبول هو فعل روح الله الذي ظهر ليعلن قدوم ملكوتهِ الجديد . يستحيل ان يدخل يسوع بفعلهِ الى بيت الشيطان ويخرج منهُ شيطانًا ما لم يقيّد اولاً بقوتهِ رئيس الشياطين . فكيف يكون شريكهُ ؟

الفريسيون لعمام الروحي لم يتنبهوا الاَّ الى وجهة القوة في معجزات يسوع . وكل من يعترف بوجود الشيطان يُعزي اليهِ قوَّة فائقة . اما المرمى الروحي ووجهة الرحمة في هذه المعجزات الامر الذي لا يمكن ان يُعزى الى الشيطان فاغفلوهُ . لم يفطنوا الى ما هو ظاهر كعين الشمس وهو ان طبيعة الشيطان وكل اعمالهِ منافية تمامًا لاعمال الرحمة والخير . فما اعظم عماهم الذي نسب الى الشيطان هذه الاعمال الخيرية

ثم اثبت يسوع ان في الدين لا يمكن اتخاذ خطة الحياد . كل انسان يكون اما معينًا او خصمًا للمخلص . قال "من ليس معي فهو عليَّ ومن لا يجمع معي فهو يفرّق" . نعلم انهُ في وقت آخر قال "لان من ليس علينا فهو معنا"(١) ويُظَنّ لاول وهلة ان بين القولين تناقضًا . لكن هذا الثاني كالاوّل ينفي الحياد ايضًا . وهذا هو القصد فيهما . اما الاختلاف في الصورة فهو تابع لاختلاف الظروف في الوقتين . كأنهُ في الصورة الثانية يقول "من ليس معي ظاهرًا واسمًا ولكنهُ يعمل اعمالي فهذا احسبهُ معي . وفي الصورة الاولى يقول ان الذي لا يعمل اعمالي فهو ليس معي ولو تظاهر بذلك . وكل من لا يعمل أعمالي يعمل اعمال عدوي فهو لا يجمع معي بل يفرّق . لان الجميع هم اصلاً في خدمة عدوي ابليس . ولا يكونون قد تركوا خدمتهُ الطبيعية فيهم الاَّ بانتقالهم عمدًا الى خدمتي . في العالم الروحي مملكتان فقط . والحرب بينهما لا بدأ ولا تنتهي . لا صلح ولا هدنة بين هذين الضدّين . مملكة الله (مملكة النور والحق والبر)

(١) مر ٩ : ٤٠ انظر ايضًا لو ١١ : ٢٣

ومملكة الشيطان (مملكة الظلمة والبطل والاثم) . وخطة الحياد فيها مستحيلة على كل انسان

يسوع لم يفعل معجزاته الاَّ بقوَّة الروح القدس الذي لم يُعطَ له بالكيل بل بفيضان . وكان هذا الروح دائمًا يقود ويقوّي الانسان يسوع المسيح . ردَّ يسوع برواق الاحتجاج والبرهان عمَّا يخصُّهُ في اتهام الرؤساء اياهُ خبثًا . اما عمَّا يخص الروح القدس الذي اهانوهُ اذ نسبوا فعلهُ الى بعلزبول فيسوع يدافع بغضب مقدَّس . هو مستعد ان يبيّن للرؤساء انهُ لا يهابهم بل يدينهم علنًا على إضلالهم الشعب اضلالاً شرًّا من سمّ الافاعي ومجلبةً لهلاكهم الابدي . هؤلاء الرؤساء الذين حكموا على يسوع لما صرَّح بمغفرة الخطايا حكمًا ظالمًا بانهُ جدَّف يثبت يسوع الآن عليهم حكمًا عادلاً بانهم جدَّفوا في ما افتكروهُ ولفظوا بهِ بعضهم لبعض في امر اخراج الشياطين

في قلب حكمهِ هذا الصارم على الرؤساء ضمَّن اعظم تعزية لعالم الخطأة وهي ان الغفران الالهي يشمل جميع الخطايا مهما كان جرمها متى تقدَّمت عنها توبة حقيقية مع ايمان . لم يبقَ لأعظم الخطأة عذر عظم آثامهِ ليعيقهُ عن الخلاص من خطاياهُ ونتائجها . ولم يبقَ موجب لليأس لاي خاطئ تفاقمت شرورهُ ثمَّ أحب ان يقدّم التوبة ويطلب الغفران . كلام يسوع هذا المعزّي هو تأييد قويٌّ للكلام النبوي " هلمَّ نتحاجج يقول الرب . ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيَضُّ كالثلج وان كانت حمراء كالدوديّ تصير كالصوف "(١)

لكن يسوع اظهر لهؤلاء الرؤساء وللعالم ان نوعًا واحدًا من الخطايا يستثنى من الرجاء بان يُغفر . وهو النوع الذي ارتكبوهُ هم في تهمتهم هذه . قال " الحق اقول لكم ان جميع الخطايا تُغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدفونها . ولكن من جدَّف على الروح القدس فليس لهُ مغفرة الى الابد . بل هو مستوجب دينونة ابدية " يجوز الاستنتاج ان هذه الخطيئة الوحيدة

(١) اش ١:١٨

لا تغتفر لان التوبة عنها مستحيلة . ولان التوبة الحقيقية هي بفعل هذا الروح القدس . فالذي باهانته الروح القدس يمنع فعلهُ فيهِ بحرم نفسهُ الواسطة الوحيدة للتوبة وللغفران الذي يتبعها

في هذه القضية غموض لم ينقشع في التفاسير . يستنتج من هذا الغموض انهُ لا يهمّ كثيراً ان يعلم الناس تماماً ما هو التجديف على الروح القدس . يهمّ كلام يسوع لاجل الاحترام الواجب للروح القدس والتحفُّظ من ان يهان . فالذي يهتم لئلا يكون قد ارتكب ما لا يُغتفر لهُ فذلك برهان قطعي انهُ لم يفعل. لان الذي حقًّا جدَّف على الروح القدس يفقد تماماً الشعور الروحي. والرجاء بغفرانهِ مفقود . لان الرجاء بتوبتهِ مفقود لعدم مبالاتهِ كليًّا بهذه الامور . اذ ان ضميرهُ "موسوم" . هذا لا يكون الاَّ في الذين حصلوا على نورٍ كافٍ للخلاص فرفضوهُ تعمُّداً واصرُّوا على اختيار الظلمة الى ان تركهم الروح الالهي لقساوة قلوبهم . في كلام يسوع هذا عن التجديف على الروح القدس ودرجة شرّ ذلك اثبات لحقيقة شخصية ذلك الروح واثبات ايضاً لحقيقة التثليث في الله

يتوهم البعض ان باب الخلاص يبقى مفتوحاً بعد الموت فيمكن استعمال وسائط لتخليص نفوس الذين يموتون في خطاياهم دون توبة وغفران قبل موتهم . يتمسك هؤلاء تحقيقاً لمعتقدهم بكلمة يسوع لليهود "لن يُغفَرَ لهُ لا في هذا العالم ولا في الآتي" كأن الغفران يُعطى في العالم الآتي وليس في هذا فقط. لكن هذا التفسير خطأ والاستنتاج المذكور ضلال . القصد في هذه العبارة قوَّة النفي لا غير

نبَّه يسوع افكار سامعيهِ الى ان الكلام ثمر الافكار ولا يصلح الكلام الاَّ وتُصلح اولاً الافكار . افكار الرؤساء الشريرة الكاذبة لا تقدر ان تأتي بكلام صالح . فهم يستحقون اللقب الذي رشقهم بهِ المعمدان في ايام سطوتهِ ويكررهُ يسوع بتسميتهم "اولاد الافاعي" . كان سمهم موروثاً فهو لهذا السبب اصعب

وارداً . في هذه القرينة لفظ بحكمة هي جوهرة ثمينة . قال "من فضلة القلب يتكلم الفم" . وعلّم حتى ان الكلمة الواحدة البطالة يجري عليها الحساب يوم الدين . لانها تكفي للدلالة على حالة القلب التي هي الاساس الحقيقي للدينونة

توبيخهُ الشديد لهؤلاء الكتبة والفريسيين لم يوقفهم عن الطلب بان يريهم آيةً . يتنازلون لهُ لكي يريهم اعجوبة يتفرجون عليها . فهذه الوقاحة منهم استحقت توبيخاً جديداً مرًّا . قال "جيل شرير وفاسق يطلب آيةً . ولا تعطى لهُ الاَّ آية يونان النبي" . الجيل فاسق لان الفسق الحقيقي الاصلي هو الابتعاد القلبي عن حب الله والتمسك بحب غيرهِ كالعالم . والفسق المتعارف بين الناس هو رمز لذلك (١) . يتظاهرون كأنهم مستعدون ان يؤمنوا بيسوع ان اشبعهم آيات . حال كون الآيات التي شاهدوها تزيد عما يقتضي لاثبات كونهِ مسيحهم ولايوجب عليهم الايمان بهِ . امثالهم كثيرون في كل الاجيال . هؤلاء يعتذرون في رفضهم الدين بما يسمونهُ النقص في البينات بينما الواقع هو انهم لا يريدون ان يؤمنوا ولا يؤمنون واو زادت البراهين اضعافًا

أحالهم على آية يونان النبي المألوفة جيدًا عندهم . لان فيها اشارة نبوية الى قصد ان يمكث في القبر ثلاثة ايام وثلاث ليال (٢) . كل ما نعرفهُ في يسوع يكذّب الزعم انهُ يتخذ خرافةً لاجل تمثيل عملهِ الخطير الوقور في موتهِ الفدائي . اذًا قصة يونان والحوت ليست خرافة . والاَّ فكان يسوع يعرض عنها . علّق يسوع على حادثة يونان تعليقًا مهمًّا . لكنهُ ليس عادلاً ما لم تكن قصة يونان حقيقية . ابان ان رجال نينوى الوثنيين يفضّلون يوم الدين عند الله كما تفضّل

(١) اش ٥٧: ٣ وحز ١٦: ١٥ وهو ٢: ١ (٢) مت ١٢: ٤٠ اما المشكل في الثلاثة ايام والثلاث ليال فقد بالغ فيهِ المنتقدون . يستحق الانتباه الى كون المنتقدين الاولين الحاذقين الذين لم يتركوا حجة لتفنيد التعليم المسيحي لم يدخلوا هذا الاعتراض بين حججهم . فالاصطلاح اليهودي لجاز ان تحسب المدة بين آخر يوم الجمعة واوّل يوم الاحد ثلاثة ايام وثلاث ليال .

ايضًا ملكة التيمن الوثنية على هؤلاء المدّعين انهم رجال الله. لان اهل نينوى تابوا عند مناداة يونان. ولان ملكة التيمن الوثنية آمنت بسليمان وقصدته من بعيد. بينما الذي هو اعظم جدًا من يونان حتى ومن سليمان ظهر لهم وكلمهم بكلام الحكمة السماوية ولم يؤمنوا بهِ

شبّه ذلك "الجيل الشرير الفاسق" برجل خرج منهُ شيطان كان ساكنًا فيهِ ثم عاد اليهِ مرافقًا بسبعة ارواح أُخر شرًا منهُ. فهم على زمان المعمدان ذهبوا اليهِ وقدّموا توبةً عن خطاياهم وقبلوا تعميدهُ. لكنهم لانهم لم يؤمنوا بيسوع ويقبلوا روحهُ القدوس ليسكن فيهم ابقوا قلوبهم فارغة فعادت اليهم شرورهم القديمة متجددة اضعافًا. اكّد ان اواخر الجيل الشرير الذي كان يكلمهُ تصير شرًا من اوائلهِ. صحت نبوتهُ هذه. لان شرورهم زادت حتى لما طفح كأسها أتاهم زمن الخراب الهائل والعذاب المخيف الذي سمّاهُ يسوع بعد حين "ضيق عظيم لم يكن مثلهُ منذ ابتداء العالم الى الآن ولن يكون"(١)

اما فائدة العالم من هذا المثل فهي ان مجرّد ترك الشرور يكون عبثًا ما لم يملأ الانسان مكانها بالخيرات التي هي ضد تلك الشرور. والاّ فتعود الشرور القديمة مرافقة بشرور جديدة الى القلب الذي طردها. لان فراغ القلب مستحيل. ما لم يحلّ روح الله ويسكن القلب الذي يُطرَد الشيطان منهُ يرجع الشيطان متنشطًا اكثر ويتلك ذلك القلب امتلاكًا مضاعفًا. والعود الى الخطيئة شرّ جدًا من ارتكابها اولاً

لعل القارئ قد نسي انهُ بينما يسوع يلقي هذا الخطاب على الجمهور المزدحم حولهُ لا يزال اقرباؤهُ واقفين على طرف الجمع يترقبون الفرصة لاجل القاء القبض ثم الحجز عليهِ كمختلّ. درجة الحماسة والتفاني التي يحسبها الناس نشاطًا ويمدحونها كحكمة في جمع المال او مقاومة الخصوم او خدمة المعارف يعدونها جنونًا في خدمة الدين والاصلاح(٢). فلما منع الازدحام اقرباءهُ من

(١) مت ٢٤: ٢١ (٢) اع ٢٦: ٢٤ و٢٥

الوصول اليهِ كلّفوا بعض الواقفين ان يبلّغوا اليهِ القول "هوذا امك واخوتك واقفون خارجًا يريدون ان يروك طالبين ان يكلموك". ان خرج ليكلمهم خارجًا يتسهل لهم اخذهُ معهم ولو قسرًا لكي يستعملوا الوسائط اللازمة لعلهُ يُشفى من هذا الاختلال العقلي الذي اتهموهُ بهِ ظلمًا وجهالةً

فتح ليسوع بهذا الطلب باب مناسب ليعلّم اهلهُ ثم تلاميذهُ ثم جمهور سامعيهِ امورًا جوهرية يؤمل رسوخها في اذهانهم بسبب تعلقها بهذا الحادث الظاهر للعيان. علّمهم انهُ ليس من هذا العالم. فلا يُعدّ احد البشر أمًا حقيقية او اخوة حقيقيين لهُ كغيرهِ من البشر. العلاقة الوقتية الجسدية مع اهل بيتهِ قد زالت. وحلّت محلها العلاقة الدائمة الروحية. هذه تربطهُ مستقلة عن الروابط الجسدية مع كل الذين يتحدون بهِ اتحادًا روحيًا. أعلن كل هذا في سؤالهِ للذي كلمهُ "من هي أمي ومن هم اخوتي؟ ثمّ مدّ يدهُ نحو تلاميذهِ (من رجال ونساء) وقال ها أمي واخوتي. أمي واخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها. لان من يصنع مشيئة ابي الذي في السموات هو أخي واختي وامي"

محبة يسوع لهذه الام واحترامهُ اياها ومحبتهُ لاخوتهِ حسب الجسد لا تكون الاّ اشدّ وانقى من محبة اي انسان كان لذويهِ. هو مثال الكمال في هذا الامر كما في غيرهِ. لكن امانتهُ وحبهُ لانسبائهِ هؤلاء تخضع كل الخضوع لامانتهِ وحبهِ للآب الذي أرسلهُ. ولذلك تخضع ايضًا للمحبة الروحية التي تربط اولاد هذا الآب الروحيين معهُ كاخوة حقيقيين. ظهر في جوابهِ ان كل الذين يعملون مشيئة الآب يكونون أقرب البشر اليهِ واعزّهم عندهُ

كم تكون تعزية رسلهِ من تأثير هذا الكلام في ايام الاضطهاد المرّ الذي سيقاسونهُ من مبغضيهم. وحدة يسوع مع كل من يعمل مشيئة الآب السماوي تجعلهُ يثيب كل من يصنع معهم خيرًا ويعاقب كل من يصنع معهم شرًا حتى

ومن يتغاضى عن فعل الخير لاجلهم[1]. يقول لهم النبي "لان من يمسكم يمسّ حدقة عينهِ[2]"

فبدلاً من ان ينقاد يسوع الى اهلهِ في غاينهم الحاضرة الناتجة عن الحب البشري الطبيعي مع قصر البصر الروحي خرج من البيت وجلس عند البحر وابتدأ يسرد سلسلة امثال تبيّن ماهية ملكوت السموات

(١) مت ٢٥: ٤٠ و٤٥ (٢) زك ٢: ٨

الفصل الثالث والعشرون

(مت ١٣:١–٥٣ مر ٤:١ – ٣٤ لو ٨:٤ –١٨)

(المرصع) ف ١٥ (الزمان) خريف السنة ٢٨
(المكان) شاطىء بحر الجليل

مثل الزارع واقسام سامعي الكلمة . مثل زوان الحقل . مثل نموّ الزرع الخفي . مثل حبة الخردل وازدياد الملكوت . مثل الخميرة ومفعول اهل الملكوت . تفسير مثل الزوان . مثل الكنز المخفى . مثل اللؤلؤة الحسنة . مثل الشبكة . الاصول الصحيحة في تفسير الامثال

تقضّى على يسوع عشرون شهرًا في التعليم الجهاري في اليهودية والسامرة ولاسيما في الجليل . لكنهُ لم يجد الاَّ القليلين ينقادون الى تعاليمهِ الروحية او يدركونها مع انهُ كان يعلّم باساليب جلية . فاستحسن ان يحيد عن التعليم الصريح والكلام اللطيف . ظهر في الفصل السابق اتخاذهُ خطة الصرامة في كشف الستار عن الضلال والرياء والمكر باشباعهِ خصومهُ توبيخًا مرًّا . ونراهُ الآن يستبدل التعليم الصريح بالتعليم الغامض المسبوك في قالب الامثال . وهذه الخطة الجديدة تفصل بعض الفصل بين الذين يتبعونهُ باخلاص فيمتحنهم ويمرّنهم وبين الذين يتبعونهُ لغايات نفسانية فتظهر هذه الغايات . ولهذه الامثال فائدة ايضًا لغيلظي القلوب بين سامعيهِ . لانها تعطيهم صورًا تُحفظ في ذاكرتهم وان كانوا لا يدركون معناها . فمتى استناقوا فيما بعد من غفلتهم الروحية يبصرون نورها

فلما انتقل من البيت الى شاطئ البحر ابتدأ يسرد سلسلة امثال كانت مُقدِّمة لعدد عظيم من القوالب الجديدة التي وعى فيها تعاليمه الجوهرية. واشتهرت في كل العالم لجمال صورتها وجوهرها. لان نسبة الامثال الى الحقائق الروحية كنسبة الغلاف الى البزرة. في الابتداء يخفي الغلاف الجرثومة التي يحفظها. لكن لابد من يوم فيه ينشق الغلاف فتظهر الجرثومة الكامنة فيه. هكذا الامثال ايضًا تفعل فعلاً مزدوجًا. لانها تعلن الحق لمحبّي النور وتحجبه عن محبّي الظلام. فتصير لهولاء رائحة موت لموت ولاولئك رائحة حياة لحياة (١). لذلك تشبّه ايضًا بعمود السحاب الذي رافق بني اسرائيل اربعين سنة بعد خروجهم من مصر الى حين دخولهم ارض كنعان. فكان يضيء على شعب الله وفي الوقت ذاته يظلم على اعدائهم (٢)

الارض وما فيها وضُعت خيالاً للسماء وما فيها. فالارضيات في الوقت الواحد تعلن السماويات وتخفيها. والحقائق الروحية الغير المنظورة هي الاصل. وعلى هذا الاصل بنى الخالق الموجودات المنظورة. كان يسوع يستشهد بهذه لكي يُعبّر بها عن تلك. وكان لذات شخص يسوع التأثير المزدوج المتناقض. فناسوته كان خيالاً للاهوته وفي الوقت الواحد كان يعلنه ويخفيه وينيره ويغمضه. هكذا في امثاله كان ينتقي حقيقة روحية ثم يبين خيالها في الموجودات المادية. كان يختار لاجل تصوير الامور الدينية امورًا دنيوية تناسبها. فصح في امثاله قول الحكيم "تفاح من ذهب في مصوغ من فضة كلمة مقولة في محلها" (٣)

تمتاز امثال يسوع في انها لم توضع للتعليم الادبي المحض بل للروحي. وفي خلوّها من فروض خيالية كالنطق للحيوان والتنثّل للنبات والحركة للجماد وما شاكل ذلك. لان كل تفاصيلها مطابقة للنواميس الطبيعية. وذكر الحيوانات فيها نادر. وتمتاز ايضًا في وقارها لاجتنابها كل اشارة هزلية كالتي تدخل

(١) ٢ كو ٢: ١٦ (٢) خر ١٤: ١٩ و ٢٠ (٣) ام ٢٥: ١١

كثيرًا في الامثال الجارية . لان مرمى امثال يسوع كان تقرير امور ملكوت السموات

في المثل الاوّل المُسمّى مثل الزارع قسم يسوع سامعي كلام ملكوته الى اربعة اقسام. قسم يسمعون باذانهم فقط ولا يعون في اذهانهم . وذلك اما لالتهائهم بامور اخرى اولقساوة قلوبهم من جراء انصبابهم السابق على المعاصي (١). وهولاء يكونون كانهم لم يسمعوا . وعدم استفادتهم تظهر سريعًا. لانهم لم يذوقوا من لذة هذا الطعام الروحي شيئًا . شبّه يسوع هؤلاء ببذار يقع على الطريق فيداس ويخطفهُ الطائر باقرب وقت فلا يأتي بثمر

اما القسم الثاني من سامعي التعليم فهم الذين يفهمونهُ ويقبلونهُ بفرح. لكن فرحهم سطحي ووقتي . وهؤلاء لم يحسبوا حساب النفقة (٢). ولم يستعدّوا لاحتمال المقاومات الداخلية والخارجية التي تترصّد لكل محبي كلام الله (٣). لذلك عند وقوع الضيقات يرتدّون عمّا كانوا اولاً يتباهون ويفرحون بهِ . يُشبّه يسوع هؤلاء بالزرع الذي يقع على الارض الخفيفة التي قعرها صخر. هذا الزرع ينبت سريعًا لعدم عمق التربة . ثم يجف عند وقوع حرارة الشمس عليهِ فلا يأتي بثمر

القسم الثالث هم الذين يفهمون التعليم ويقبلونهُ بفرح ويثبتون في وجهِ المقاومات غير متزعزعين من جراء الاضطهادات والخسائر التي تنتج عنها . لكن عنادهم الطبيعي يخدم ثباتهم ويعدّون ذواتهم شهداء الدين فلا يأتون بثمر. اي لا يمجدون الله ولا يفيدون الناس . لانهم منهمكون بامور الدنيا . ان كانوا من الفقراء فهمّهم عوزهم او من الاغنياء فهمّهم مقتنياتهم واشغالهم الكثيرة (٤). يشبّههم المعلم السماوي بالزرع الذي ينمو جيدًا وتظهر فيهِ للناظرين كل علامات الإثمار ولا يُعرف عدم إثمارهِ إلاّ يوم الحصاد اذ

(١) وقد يكون عدم فهمهم راجعًا الى تقصير في المتكلم (٢) لو ١٤:٢٨
(٣) ٢ تي ٣:١٢ (٤) اتي ٦:٩ و ١

تكون السنابل فارغة لان الاشواك والاعشاب البرية تغلبت على الزرع وخنقته فلم يثمر

القسم الرابع والاخير من سامعي التعليم الالهي هم السالمون من العلل التي مرَّ ذكرها. هؤلاء يطلبون اولاً ملكوت الله وبرَّهُ. فلا يلتهون عنهُ بامور العالم اغنياء كانوا ام فقراء. ولذلك لا يبالون بالاضطهادات والضيقات بل "يحسبونهُ كل فرح عندما يقعون في تجارب متنوعة"(١). ويفتخرون بضيقاتهم(٢). وبالطبع يفهمون جيداً ما يسمعونهُ فيأتون بثمر كثير لمجد الله وخير الناس. اما إثمار هؤلاء فيكون على درجات متفاوتة تبع المواهب والفرص المتنوعة وموافقة الاحوال التي يوجدون فيها. فشبَّه يسوع هؤلاء بالزرع في الارض الجيدة الذي يثمر ثلاثين ضعفاً وبعضهُ ستين وغيرهُ مئة. فيسوع بتفسيرهِ هذا المثل اعطى مفتاحاً يُعين كثيراً على تفسير سائر الامثال التي وردت بلا تفسير. لما ابتدأ بالمثل نبَّه السامعين بقولهِ "اسمعوا هوذا الزارع قد خرج ليزرع". ولما انتهى المثل نبَّههم ثانية بندائهِ "من لهُ اذنان للسمع فليسمع"

اما مثلهُ الثاني فبناهُ على كون العدو ابليس يُدخِل في ملكوت يسوع الخارجي اي الكنيسة اناساً ليسوا من شعب الله الاَّ ظاهراً. وهؤلاء ايضاً لا يعرفهم الناس في اول امرهم. فلما تظهر عليهم تدريجاً دلائل حقيقتهم. يقصد رجال الله ان يفرزوهم ويخرجوهم عن الكنيسة المسيحية. لكن عمل الافراز والإخراج محفوفٌ بالخطر. لان مدبري الكنيسة لا يعلمون ما في القلوب. فقد يخرجون بطرساً تائباً هو تلميذ حقيقي مع سعيهم في اخراج انخريوطيٍّ خائنٍ فاقدٍ كل الصفات المسيحية. ولذلك يُطلب من قوَّاد شعب الله التأني الكافي قبل طرد الضعفاء والساقطين لئلاَّ يُخطئ حكمهم فيُظلمون

(١) يع ١: ٢ (٢) ٢ كو ٨: ١-٩ و ١٠

ضمّن يسوع هذا التعليم في مثل زوان الحقل . هو كابن الانسان يشبّه ذاتهُ بانسان زرع في حقلهِ[١] زرعًا جيدًا[٢] . ثم يشبّه عدوّهُ ابليس بانسان آخر مبغض زرع في ذات الحقل زوانًا[٣] . ويشبّه الملائكة بالحصادين ويوم الدين بيوم الحصاد . ويختم تفسيرهُ هذا المثل بقولهِ " كما يجمع الزوان ويُحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هذا العالم . يُرسل ابن الانسان ملائكتهُ[٤] فيجمعون من ملكوتهِ[٥] جميع المعاثر وفاعلي الاثم ويطرحونهم في اتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الاسنان . حينئذٍ يضيء الابرار كالشمس في ملكوت ابيهم . من لهُ اذنان للسمع فليسمع "

قدّم مثلاً ثالثًا دون تفسيرهِ وبناهُ على الحقيقة ان النموّ في ملكوتهِ الروحي على الارض امرٌ طبيعي لا بد منهُ . وانهُ يأتي تدريجًا لا فجأةً . وان هذا النمو يكون لهُ اصل سرّي غامض يعجز جميع البشر عن فهمهِ وتفسيرهِ .

ولما كان الوقت الذي يتكلم فيهِ اوّل فصل الشتاء وكان عمل الزرّاع منتشرًا حولهم صاغ لهم مثلاً رابعًا زراعيًا لاظهار حقيقة ضعف ملكوتهِ في العالم عند انشائهِ ثم عظمتهِ اخيرًا بواسطة نموّ خارجي مهم حتى تمكنهُ عظمتهُ من خدمة الناس خدمات جلّى . فشبّه ملكوتهُ بحبّة الخردل اصغر جميع البزور التي يزرعها الانسان . لكنها تنمو شيئًا فشيئًا الى ان تصير اكبر البقول بل شجرة تأوي اليها طيور السماء للاستفادة منها . بزر الخردل يناسب تشبيهًا للملكوت الجديد الذي ادخلهُ يسوع بالنظر الى صغر حجمهِ ولاستعمالهِ دواء في الامراض ولانصافهِ بشيء من القساوة المؤلمة . ولان مفعولهُ في الشفاء يتوقف على سحقهِ كما توقف قوة المخلص للخلاص على سحقهِ على الصليب

---

(١) الذي هو العالم (٢) هو بنو الملكوت (٣) اي بنو الشرير
(٤) اذًا الملائكة خاصتهُ وخدامهُ ورهبنو امرهِ (٥) اذًا هو صاحب الملكوت

المثل الخامس الذي على ما يرجَّح قدَّمهُ في هذا الوقت وعن ظهر السفينة مبني على ثلاث حقائق مهمة. الاولى ان انماء الملكوت لا يكون بواسطة الازدياد الخارجي كنموّ الجماد بل بواسطة المفعول الداخلي كنموّ الحي. ونجاح كنيسة المسيح لا يتوقف على اسباب خارجة عنها بل على الاسباب التي ضمنها. فالسطوة السياسية والثروة المادية وسائر ما يشاكلها لا تُنمي كنيسة المسيح الحقيقية الاَّ قليلاً ونادرًا. لا بل كثيرًا ما توقف هذه ذلك النمو. مع انها قد تنمي جماعات ظاهرة تسمَّى خطأً كنيسة المسيح. لا ينمي الكنيسة الاَّ اعضاؤُها الذين يحصلون على قوة الهية تحل فيهم

والحقيقة الثانية هي ان في طبيعة ملكوت الله على الارض ما يعطيهِ الغلبة التامة اخيرًا. فيملأ الارض كلها وفقًا للنبوات الكثيرة المعلنة ذلك[1] وللقول الرسولي ان خميرة صغيرة تخمّر العجنة كلها[2]

والحقيقة الثالثة هي ان الدين الحقيقي من طبيعتهِ ان يخترق كل دقائق حياة المؤمن ويتملك فيها. فيكون جسمهُ وعقلهُ وروحهُ كليًّا تحت سطوة تأثير الدين الذي في قلبهِ. يمثل يسوع هذه الحقائق بالخميرة التي "خبأتها امرأة في ثلاثة اكيال دقيق حتى اختمر الجميع"[3] فيصح تشبيه فعل المسيح في ملكوتهِ بفعل الخمير لكونهِ خفيًّا ومتزايدًا ويتوقف على وضعهِ في قلب الذي يُطلب تخميرهُ. ولكونهِ من جنسهِ ايضًا اي ان المسيح المخلص يتخذ لنفسهِ طبيعة البشر الذين اتى ليخلصهم[4]. وخلاص البشر لا يتم بواسطة الملائكة بل بواسطة الناس

(١) نظير مز ٧٢: ١٦ (٢) ١ كو ٥: ٦ (٣) يتشبث بعض المفسرين بجعل التشبيه بالخميرة تشبيهًا سيئًا لكون الخميرة من المجنبات في النظام القديم ويشار اليها في الرسائل كامر يجب نزعهُ لانهُ على الغالب من رموز الفساد. لكن القديس اوغستينوس يردّ على هذا الراي بقولهِ انهُ يجوز اتخاذ الرمز الواحد بمعنيين متضادين ويستشهد بكون رمز الاسد مخصص للمسيح يُستعمل ايضًا في الانجيل لابليس. والقديس اغناطيوس يزيد على هذا ان لنا في الكتاب خميرًا جديدًا وخميرًا عتيقًا (٤) رو ٨: ٢

هذا بعض ما حُفظ لنا من مجموع الامثال الدرّية التي القاها يسوع على الجمهور المحتشد على شاطئ البحيرة في ذلك النهار . لان البشير يقول " وبامثال كثيرة مثل هذه كان يكلمهم حسبما كانوا يستطيعون ان يسمعوا . وبدون مثل لم يكن يكلمهم . لكي يتمّ ما قيل بالنبي القائل سافتح بامثال فمي وانطق بمكتومات منذ تأسيس العالم " (١)

بعد ان تركوا البحر وعادوا الى البيت سألهُ تلاميذهُ عن سبب اتخاذهِ هذا الاسلوب الجديد في الوعظ الذي لغموضهِ يتطلب تفسيرًا . فاجابهم انهُ تعمّد الاغماض عن الذين برفضهم النور الذي لهم فقدوا كل حق بان يُزاد لهم (٢) . ولما سألوهُ تفسير مثل الزارع وبخهم بقولهِ " أما تعلمون هذا المثل فكيف تعرفون جميع الامثال ؟ فاني الحق اقول لكم ان انبياء وابرارًا كثيرين اشتهوا ان يروا ما انتم ترون ولم يروا وان يسمعوا ما انتم تسمعون ولم يسمعوا " (٣)

مع اسف يسوع على غباوة تلاميذهِ احتملهم وفسّر لهم مثلَين تسهيلاً لفهمهم غيرها . من مثلَي الزارع والزوان وحدهما كان يتوهّم ان نجاح الملكوت يكون قليلاً . ففي مثلَي حبة الخردل والخميرة نقيض لهذا الوهم وبشارة بنجاح باهر لهذا الملكوت الذي نشأ في ضعف واحتقار

في البيت زاد يسوع ثلاثة امثال اخرى . اراد ان يبيّن ان ملكوتهُ ذو قيمة تفوق كل شيء في العالم . حتى لو ضحّى الانسان كل شيء لاجلهِ يكون في ذلك حكيمًا . اراد ايضًا ان يبين ان البعض وان لم يفتشوا عن كنز الدين

---

(١) مز ٧٨ : ٢ (٢) ابوا ان يفتحوا عيونهم لئلاَّ يبصروا الحق ويقادوا الى التوبة واصلاح السيرة . فالذي اتوهُ اولاً عمدًا واختيارًا وقع عليهم بعد ذلك اجبارًا واضطرارًا قصاصًا لهم . هذا نتيجة تغميضهم الاختياري وسد آذانهم الارادي . فان الله ديان عادل . فتركهم في الظلمة التي اختاروها والجهل الذي رضوهُ لكي يدوموا في الظلمة والعصيان الى الابد (اري في مت وجه ١٨٠) (٣) انظر القول في ١ بط ١ : ١٠—١٢

الحق يعثرون عليهِ كأنهُ عَرَضًا بينما يشتغلون في امور اخرى كما حدث لشاول الطرسوسي في طريق دمشق . مثّل ذلك بانسان وجد كنزًا في حقل انسان آخر. فذهب وباع كل مقتنياتهِ واشترى الحقل ليحصل على هذا الكنز

لكن ليس هذا العثور العرضي هو القانون . بل السعي الجدّي وراء هذا الكنز . فالذي في تنقيبهِ بين مذاهب العالم يعثر على ملكوت يسوع الروحي ينسى كل ما سواهُ ويبذل كل نفيس وغالٍ ليتمسك بهِ. واظهارًا لهذه الحقيقة قدّم يسوع مثل انسان تاجر "يطلب لآلئَ حسنة .فلما وجد لؤلؤة كثيرة الثمن مضى وباع كل مالهُ واشتراها"

ختم يسوع سلسلة امثالهِ في هذا اليوم بمثل يشير الى انقضاء العالم حين يفرز الديان الالهي الاشرار من بين الابرار بواسطة الملائكة. ويطرح الاشرار في اتون النار حيث يكون البكاء وصرير الاسنان . فلا يطمئن الخاطئُ نفسهُ بان التساهل الالهي في عدم قصاصهِ سريعًا يدوم الى الابد . بل عليهِ ان ينتبه الآن . وايضاحًا لهذه الحقيقة قدّم مثل الشبكة المطروحة في البحر التي تجمع من كل نوع . "فلما امتلأت اصعدوها على الشاطئ وجلسوا وجمعوا الجياد الى اوعية .واما الارديا فطرحوها خارجًا"

لما سأل يسوع تلاميذهُ "أفهمتم هذا كلهُ"؟ واجابوهُ "نعم" . قال لهم ان المتعلم في امور الملكوت عليهِ ان "يُخرج من كنزهِ جُددًا وعتقاء". العتقاء هي اقوال الكتاب والجُدد هي الفوائد المستخرجة منها التي تستدعي الدرس المدقق لاجل الوقوف على معانيها المقصودة (١)

ان لتفسير الامثال الصحيح قواعد اولها ان ليس لكل تفاصيل المثل

(١) هذه الامثال الثانية مقدمة لغيرها بحيث يبلغ عدد امثال يسوع المكتوبة نحو الثلاثين في اكثر الاحصاءات وبعضهم ابلغ عددها الى تسعة وخمسين اذ يطلقون على التشبيهات البسيطة ايضًا اسم مثل (انظر الجدول في ذيل هذا الكتاب)

معانٍ روحية خصوصية مقصودة في الوضع الاصلي . كثيرًا ما تهوّر المفسرون لنسيانهم هذه القاعدة . مثال ذلك تفسير البعض ان عدد المالكين والخالصين متساوٍ لان عدد الحكيمات والجاهلات في مثل العشر عذارى متساوٍ

القاعدة الثانية ان القصد الرئيسي الذي وُضع المثل لاجلهِ هو مفتاح تفسيرهِ الذي عليهِ يجب تطبيق سائر تفاصيلهِ . والاهتداء الى هذا القصد يُطلب من القرينة السابقة واللاحقة للمثل (١)

القاعدة الثالثة لا يجوز ان يُؤخذ مثل اساسًا لحقيقة دينية يتوقف اثباتها على تفسيرٍ ما لهذا المثل

ولما اكمل يسوع هذه الامثال انتقل من هناك . وتقدم من التعليم بالكلام الى التعليم بالافعال . يذكر الانجيل مرارًا عنهُ بما هو خفيٌّ عن الناس جميعًا ولا يذكر غير مرّةً فقط تحديد علمهِ كابن الانسان (٢) . لذلك نتصوّرهُ مدفوعًا في حركاتهِ بعلمهِ السابق بالحوادث التي ستصادفهُ في طريقهِ . والى نتائجها التي هي تحت سلطانهِ فيحوّل شرها الى خير عظيم . احوال رسلهِ في المستقبل ستكون حرجة للغاية . لان التصاقهم بهِ سيقضي عليهم ان يتركوا التعاليم والعوائد الدينية التي شبّوا عليها فتمكنت فيهم وصارت عندهم اعزّ من الحياة وان يجاهروا في وجه الاضطهادات المرّة بحقيقة لاهوت يسوع ومجيئهِ من السماء وان يستشهدوا لاجلها . فهم في حاجة خصوصية الى استيفاء البرهان بواسطة المعجزات على انواعها . يحتاجون الى ما يثبتهم في الاتكال على يسوع لاجل الوقاية والنجاة في اضطهادهم ومصارعتهم مع فرعَي الشر اي المصائب والتجارب

يريد ان يبرهن في هذه الساعات القليلة انهُ سلطان الكون . وان بهِ

---

١ القديس ايريناوس خطأ الغنوسيين الذين خالفوا هذه القاعدة وشبههم بانسان يفكك قطعات الفسيفساء المركب منها صورة ملك ويجعل لذات هذه القطعات وضعًا جديدًا تخرج منهُ صورة كلب (٢) مر ١٢: ٢٢

قابضة على القوات الطبيعية الهائلة. وان تلاميذهُ عند وقوعهم في شدّة من جرّاء شيء من هذه عليهم بالالتجاء اليهِ والاتكال عليهِ . ويريد ايضًا ان يبرهن انهُ متسلط على الشياطين في حركاتهم بين البشر. ومع انهُ يترك للشياطين كما للبشر الحرية التامة في ارادتهم ومقاصدهم الداخلية يضع لافعالهم حدًّا حتى ليس كل ما يريدونهُ يسمح لهم ان يفعلوهُ. ولذلك علّم تلاميذهُ ان يصلّوا "نجّنا من الشرير" وهي طلبة ضرورية جدًّا وذات مفعول عظيم بالنظر الى سلطانهِ على قوات الشر حسب القاعدة التي ذكرناها

الفصل الرابع والعشرون

(مت ٨: ١٨ و٢٣ – ٢٤ مر ٤: ٣٥ – ٥: ٢٠ لو ٨: ٢٢ – ٣٩)

(المرصع) ف ١٦ (الزمان) خريف السنة ٢٨ م.
(المكان) بحر الجليل

سلطان يسوع على الطبيعة والمصائب. المقابلة بين يسوع ويونان في النوم. تسكينه النوء في بحر الجليل. سلطانه على الشياطين والتجارب الداخلية. اخراج الشياطين من مجنونين في جدرة. اهلاك قطيع الخنازير. غلط اهل جدرة الجسيم. انواع الطلب وانواع الاستجابة

شبّه شاعر الوحي الشهير الشمس بالعروس الجبّار في قولهِ هي مثل "العروس الخارج من حجلتهِ يبتهج مثل الجبّار للسباق في الطريق"(١). فنستعير عبارة داود لنشبه بها ابنهُ "شمس البر الذي اشرق والشفاء في اجنحتهِ"(٢). هو يخرج الآن كالعروس الجبار وكالأسد الذي من سبط يهوذا أصل داود(٣) لمقاتلة جبّارين مهلكين كما سنرى

لما نسمعهُ يقول لتلاميذهِ عقيب تقديم تلك الامثال المفيدة "لنجتز الى عبر البحيرة" يحق لنا ان نتوسع في تفسير مقاصدهِ في هذا السفر. وان لا نحصر تلك المقاصد في ما يحوجهُ اليهِ الإعياء الجسدي بعد مشقات متراكمة. بل ان ننسب اليهِ ايضًا قصد مصادمة القوات الطبيعية والشيطانية التي سوف تحاربهُ

(١) مز ١٩: ٥ (٢) مل ٤: ٢ اي كلهُ شفاء حتى اطراف اجنحتهِ (٣) رؤ ٥: ٥

كان النهار قد مال ودنا المساء . فصرفوا الجمع "واخذوهُ كما كان في السفينة" (التي كانت تلازمهُ[1]) واقلعوا قاصدين شاطئ بحر الجليل الشرقي ورافقتهم سفن اخرى صغيرة . ففي سيرهم تحت جناح الليل نام يسوع على وسادة في مؤخَّر السفينة . ذُكر عنهُ انهُ جاع وعطش وحزن وتعب وتنهد وبكى وانتحب . ولكن لم يُذكر مطلقًا انهُ ضحك او مرض او خاف . ولم يُذكر انهُ نام الاَّ في هذا الحادث . نام كابن الانسان . فاعطى بذلك برهانًا قاطعًا على صدق بشريتهِ . اما بالنظر الى طبيعتهِ الالهية لم يزل كلام داود صادقًا في قولهِ . "لا ينعس ولا ينام حافظ اسرائيل"[2] . لا بل على رغم هذا النوم الجسدي هو ساهر على رفقائهِ في السفينة وهم يسيّرونها ويلاحظون علامات النوء النازل عليهم من بين الجبال المحيطة بهذه البحيرة

قضوا اكثر اوقاتهم على هذا البحر . وقد قابلوا انواءً عديدة في مياههِ . فترام الآن يهيئون القلوع والمجاذيف وكلما يلزم استعدادًا لما قد يطرأ عليهم في النوء الهاجم[3]

لم يطل الوقت حتى غطَّت الامواج السفينة وصارت تمتلئ ماءً فصاروا في خطر . وهذا الخطر ذو بال بالنظر الى ركاب هذه السفينة . سَلِمت قديمًا من ذلك الطوفان الهائل في ايام نوح سفينة كانت تقلّ ثمانية اشخاص هم عائلة ذلك الرجل الصالح وجرثومة الجنس البشري الوحيدة الفريد في تاريخ العالم . فهل تسلم الآن الجرثومة الوحيدة للكنيسة المسيحية في العالم وهي يسوع ورسلهُ في هذه السفينة على بحر الجليل ؟ فليست اهمية سلامة يسوع وتلاميذهِ بطرس

(١) مر ٤: ٣٦ (٢) مز ١٢١: ٤ (٣) تهيج الانواء الشديدة بغتة على هذه البحيرة لان موقعها المنخفض كثيرًا عن الجبال والسهول حولها يولد فيها الحرّ الزائد نهارًا . ثم تأتي الرياح الباردة من على تلك المرتفعات ليلاً وتنسرب في الاودية العميقة العديدة التي تنتهي في هذه البحيرة فتصطدم فجأةً الرياح الباردة مع الهواء الحار فتحدث العواصف التي يشير كل الكتبة اليها

ويعقوب ويوحنا ورفقائهم اقلّ من اهمية سلامة نوح وبنيهِ سام وحام ويافث

نرى في هذا النوء القوات المهلكة تتخذ نوم يسوع فرصةً لتحاول اهلاكهُ واهلاك تابعيهِ . فتشخّص هؤلاء الصيادين وحركاتهم العنيفة في مقاومة العاصفة ونسمع صياحهم فوق هدير الريح وتلاطم الامواج وهم يصرخون الواحد الى الآخر بما هو جارٍ معهُ وما يطلب كل واحد من الآخران يعملهُ . ننظر كيف يترنحون من ملاطمة الامواج . ثم يكبُّون في محاربة هذه القوات المضنكة في ظلام الليل الدامس . ويعيون في تفريغ المياه من قعر السفينة . لان السفينة في البحر الهائج يمكن ان تسلم . ولكن متى صار البحر الهائج في داخلها لا يمكن ان تسلم[1] . كما ان الانسان الذي يهيج حولهُ نوء شرور العالم يستطيع ان يسلم من الهلاك . لكن يستحيل عليهِ ان يسلم متى هاج نوء الشر في قلبهِ . لا يُغرق النوء الذي في المحيط بل الذي في النفوس . يصحّ هذا القول في الكنيسة اجمالاً كما يصحّ في افرادها . لان الاشرار حولها لا يمكن ان يفنوها . لكن يهدمها الاشرار الذين فيها

فهل خطر للرسل ان المسيح وهو نائم "حرز حريز" بقي السفينة ومن فيها من كل اذى وبلا ريب ؟ لا نظن . لان الخوف جبار يضعضع الرشد ويشتت الايمان متى كان ضعيفًا . تقصتهم الثقة بيسوع وهو نائم كما تنقصنا نحن الثقة بيسوع وهو غائب عن الابصار . وقد يكون انهم لاحظوا اقتراب النوء قبل ان اقلعوا من البر . وان الحاج يسوع بان يسافروا بعد محاولتهم البقاء في الميناء فتح لهم باب التلوم . فكيف لا يزال نائمًا على رغم عجيج النوء وضجيج النوتية ؟ كيف لا يبالي بهذا الخطر الفائق المحيط بهم

قد يمكن ان يسوع قصد في هذا النوم حتى بعد اشتداد النوء امتحان ايمانهم[2] . في البداءة امسكهم عن ايقاظهِ حبهم واحترامهم وكونهم لا ينتظرون

(١) يجد المطالع في سفر المزامير وصفًا بليغًا لتأثير الانواء (مز ١٠٧ : ٢٣-٢٢)

(٢) كما فعل لما تأخر عن الذهاب الى بيت عنيا ليشفي صديقهُ لعازر

منهُ مساعدة في تدبير السفينة . لكنهم بعد ان افرغوا كل ما عندهم من الوسائل لا يسعهم الاَّ ويوقظوهُ . ألا يحق لهم ان يستأنسوا بهِ في الخطر الشديد ؟ أَولا ينتظر منهُ ان يقدّم لله صلاةً فعّالةً تنقذهم من هذا الخطر ؟ فأيقظوهُ . لكن بكلام دلَّ على ضعضعة رشدهم بسبب ارتعابهم . صاحوا في اذنيهِ " يا معلم يا معلم أما يهمُّك اننا نهلك "؟ هل نسوا سريعًا ما تعلموهُ عن مقام يسوع الالهي وقدرتهِ الفائقة حتى ظنوا في جهالتهم انهُ يجهل وقوع اقل ضرر لسفينة تقلّ الذي عرفوهُ ربًّا حقيقيًّا ؟ ايقظوهُ فقام الذي " يجمع كندٍ امواه اليمّ يجعل اللجج في اهراء "[1] . القائل " انا الذي وضعت الرمل تخومًا للبحر فريضةً ابدية لا يتعداها . فتتلاطم ولا تستطيع وتعجُّ امواجهُ ولا تتجاوزها "[2]

لما استيقظ هذا السيد النائم رأى نوئين الواحد في البحيرة والآخر في صدور رسلهِ . فاهتمَّ لهذا اكثر من ذاك . انما بلطفهِ ابتدأ بتوبيخ النوء البحري بينما كان الرسل اولى بالتوبيخ . يعلم انهم لا يستفيدون بالتوبيخ الاَّ بعد ان يسكن النوء فسكّنهُ اولاً . تكلم سلطان البحار وقال للبحر " اسكت . إبكم " . ليس كما ضرب موسى البحر بعصاهُ بامر الرب فخضع . بل بمجرّد كلمتهِ كآمر اخضعهُ لانهُ هو " المتنطّق بالقدرة المهدئ عجيج البحار عجيج امواجها وضجيج الامم "[3] . نحن نشهد لهُ فنقول قول المرنمّ " من مثلك قوي*** ومتسلط على كبرياء البحر عند ارتفاع لججهِ انت تسكنها[4] . " صوت الرب على المياه *** الرب فوق المياه الكثيرة "[5] . فالذي ينتهر الآن بحر طبرية هو الذي انتهر قديمًا بحر سوف فيبس " وسيرهم في اللجج كالبرية "[6] . تسلط آنئذٍ على البحر الاحمر خدمةً لجماعة خائفيهِ . فيسكّن الآن هيجان بحر الجليل لمرور رسلهِ

(١) مز ٣٣: ٧ (٢) ار ٥: ٢٢ (٣) مز ٦٥: ٧ (٤) مز ٨٩: ٨ و ٩
(٥) مز ٢٩: ٣ (٦) مز ١٠٦: ٩ قال المرنم
" بالامر سكنت البحور والريح يا جبار فانت سلطان الدهور تقضي بما تختار "

فيه. لانه كما ان الخراف لا تعرف ولا تطيع الاّ صوت راعيها . كذلك الرياح والامواج لا تعرف ولا تطيع الاّ صوت باريها . اطاعة لصوت الذي هو الكلمة وكل شيء به كان سكنت الريح وصار هدوء عظيم. ولم يكن هذا الهدوء التجائي طبيعيًا . لان قانون الموج ان يزول تدريجًا بعد زوال الريح. فكانت هذه معجزة مزدوجة

نعلم ان السر في الحياة اليومية هو كالسر في تلك السفينة المعذبة . اي ان السلامة للاشخاص وللكنيسة في وسط انواء الحياة تقوم بوجود يسوع المسيح ساكنًا في القلوب وسائرًا مع كنيسته لينتهر قوات الشر ويوجد الهدوء والظفر

علمنا ان العاصف الذي استط البيت واهلك جميع اولاد ايوب الصديق كان عمل ابليس بسماح الهي[1] . ولهذا يمكن الظن ان كانت له يدًا في هذا النوء في البحيرة . فنرى في تسكينه النوء محاربة خفية بين "رئيس بيت داود" "ورئيس هذا العالم" . ويجوز ايضًا ان يُعزى الى هذا الشرير الذي ادخل الخطيئة الى العالم في جنة عدن كثيرٌ من الخلل الموجود في العالم حتى في الامور الطبيعية . ولا نعجب اذا سمح الخالق عزّ وجلّ لابليس بنفوذ عظيم في الروحيات ان يسمح له ايضًا بمثله في الماديات . ولعل هذا ما قصدهُ الرسول بولس في قوله "ان الخليقة أُخضعت للبطل ولكن ليس طوعًا"[2]

شبه يسوع ذاته في وقت آخر ليونان النبي . ونومهُ في السفينة يذكّرنا بنوم يونان ايضًا في السفينة اثناء نوء شديد[3] . اما الفرق بينهما فظاهر وعظيم. لان يونان نام وهو هارب من الاوامر الالهية ورفض ان يخدم الناس بتبشيرهم بكلمة الرب . يسوع نام بعد اتمام المشيئة الالهية وتنانيه واعيائه في خدمة الناس وتبشيرهم . يونان سبّب هيجان النوء . ويسوع سبّب تسكينهُ . جلب وجود يونان في السفينة خطرًا عليها وعلى من فيها . ووجود يسوع في السفينة ازال الخطر وحقق سلامة السفينة ومن فيها . واخيرًا كان خروج يونان من

(١) اي ١:١٢ (٢) رو ٨:٢٠ (٣) يون ١:٥

السفينة شرطًا لسكون النوّ . وبقاء يسوع في السفينة كان شرطًا لذلك

ولنا في تسكين يسوع هذا النوّ لمحة من القصد الالهي بان يعيد الى الانسان بواسطة عملهِ الفدائي واتحاد الانسان الروحي مع الله كثيرًا من هذه السلطة على الطبيعة التي فقدها بسقوطهِ . نرى هذا يتمّ فعلاً على نوعين . اولاً باستطاعة المؤمن ان يقابل مخاطر القوات الطبيعية واضرارها دون ارتعاب . وثانيًا بواسطة رقيّهِ العقلي والادبي اذ يستولي على كثير من هذه القوات ويتلافى اضرارها ويستخدم منافعها . ولنا في كل يوم شواهد ما للانسان الساقط من السلطة على الموجودات على انواعها . يتسلط على البخار بسفنهِ واسلاكهِ . وعلى الانهار بجنائرهِ وسدودهِ . يسخّر الرياح والمياه واشعة الشمس والنار والكهرباء والصخور والتراب والمعادن في جوف الارض العميق في خدمة مقاصده . على انواع لا تُحصى تخضع لهُ الطبيعة . فلا عجب اذا خضعت خضوعًا ممتازًا للانسان الكامل الذي مثّل في شخصهِ خالق الكون ذاتهُ . فلهُ على الطبيعة سلطة غير محدودة

الريح من خارج البحر مثّلت المصائب الخارجية التي تنقضّ على الانسان ومنها القوى الطبيعية المهلكة للاجساد . والتموّج من داخل البحر مثّل التجارب الداخلية التي تهيج في نفس الانسان . وهي القوى الشيطانية المهلكة للنفوس . ففي تسكين يسوع هذا النوء المزدوج بالمعجزة المزدوجة أعلن استعدادهُ ان يفعل فعلاً مزدوجًا في سفينة حياة الانسان التي تخبط في بحر هذا الدهر . وهو الذي يعطي الفوز على نوعَي البلايا والسلامة من شرّها . فالمصائب والتجارب هي كبوتقة الصائغ التي لا تحوّل الذهب نحاسًا ولا النحاس ذهبًا بل تظهر الحقيقة وتزيل الالتباس وتزيد الذهب جلاءً وانفصالاً عن النحاس . هكذا التجارب لا تصيّر الصالح طالحًا ولا الطالح صالحًا . لكنها تُظهر الحقيقة وتكشف عن طلاح الطالح وتزيدهُ . وعن صلاح الصالح وتزيدهُ . زعمُ الانسان بان المصائب تولّد آثامًا لم تكن فيهِ زعمٌ فاسد . كما ان الشمس لا تضع

زرعًا في الارض لكنها تنعش زرعًا حيًّا وتيبس زرعًا ميتًا هكذا المصائب . فلا ينصرف سعي العاقل بالاكثر الى اجتنابها بل الى تربية الصلاح في نفسهِ . وما يصحُّ في الافراد يصحُّ في المجتمع ايضًا . شبَّه المسيحيون الاقدمون الكنيسة بالسفينة بالنظر الى ما يتنزل عليها من النوازل وما تنالهُ من الانقاذ والاستفادة. فيجب ان لا تيأس متى خاضت لجج المياه العميقة الهائجة(١)

بعد ان خاف الرسل من النوء عادوا فخافوا من الذي سكَّنهُ . خوفهم من خطر عظيم عقبهُ خوفهم من شخص اعظم . فتعجب يسوع من عدم ايمانهم . ثم تعجبوا هم من عملهِ الموجب لايمانهم . غيرتهُ على سلامة رسلهِ وراحتهم وسرورهم ظاهرة . لكنها لم تمنع حدوث النوء . فغيرتهُ الدائمة على شعبهِ وكنيستهِ ظاهرة واكيدة . لكنها لا تنفي المصائب . مع كونهِ برافقهم في سفينة حياتهم اليومية لايمنع عنهم وقوع الخطر . انما يمنع وقوع الضرر كما قال داود "لا يلاقيك شر" . فيجب ان لا نقع في غلط ذلك التلميذ الذي قال لهُ "أما يهمك اننا نهلك" لان سماحهُ بان تأتينا المصائب لا يعني انهُ لا يبالي(٢)

اقترن في الوقت الواحد بيان سلطان يسوع الالهي الفائق واعيائهُ الجسدي الذي سبَّب نومهُ كأحد البشر الضعفاء(٣) . وكل من يعتبر يسوع حكيمًا ومستنيرًا يتحقق انهُ مستحيل ان يترك رسلهُ يتوهمون ان تسكين النوء كان بامرهِ بينما هو تسكين طبيعي(٤)

(١) اش ٤٣: ١ ونا ١: ٤ و٥ شبَّه حزقيال النبي المالك ايضًا بالسفينة في كلامهِ عن صور في عزها (٢) لا يصح دائمًا قول المرنم "ينقذ الله سريعًا . آله من كل ضيق"

(٣) هل يمكن ان كتبة يلقون او يتوهمون ان لهُ لاهوتًا ينسبون اليهِ ايضًا الاعياء . يظهر في هذا الخبر صدق المخبرين لانهم يوضحون تقصيرانهم والتوبيخ الشديد الذي استحقوهُ وناولوهُ . ولانهم حفظوا الصورة الطبيعية في كل تفاصيل القصة وحصروا المعجزة في النقطة الجوهرية عند القول "اسكت . ابكم" (٤) "هذه المعجزة المحسوسة كانت رمزًا لتلك المعجزة الاسمى الروحية التي يفعلها يسوع في كل الاجيال اذ يأمر بتسكين روع النفوس في كل اضطرابات الحياة ويخضع لامرهِ جميع القوات التي تقاوم تقدم ملكوتهِ في العالم"
(اوغسطس تياندر)

اما النوء الثاني الذي كان في صدور تلاميذهِ فسكّنهُ يسوع بتوبيخ لطيف قال "ما بالكم خائفين هكذا يا قليلي الايمان ؟ كيف لا ايمان لكم" ؟ أظهر سلطانهُ في معالجة مثال المصائب الخارجية لكنهُ أهم كثيرًا ان يظهرهُ في معالجة مثال التجارب الداخلية الاشدّ خطرًا . فانهُ يوقّف النوعين متى شاء وكان في ذلك خير . لان السماح بالتجارب كالسماح بالمصائب ليس الاَّ للخير . تذكر قول الرسول "الله امين الذي لا يدعكم تجرَّبون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة ايضًا المنفذ لتستطيعوا ان تحتملوا"(١)

حدث بعد تسكين النوء امرٌ يحوّل الفكر من افعال يسوع الى افعال خصمهِ ابليس الذي لم يسكت عن يسوع كل مدة وجودهِ ظاهرًا بين الناس. فتعويضًا على فشلهِ في محاولتهِ التسلط على يسوع ضاعف آنئذٍ سلطانهُ على بعض البشر ليستخدمهم في مقاومة خصمهِ العظيم

ومن جملة آلاتهِ البشرية آنئذٍ رجلان يطوفان البرية في كورة الجرجسيين(٢) في المحل الذي قصد يسوع ان ينزل فيهِ من السفينة . واذ رأى هذان قدوم سفينة مجيء من مأواهما في المدافن الصخرية. لانهما كانا قد قطعا بجنونهما الطرقات في تلك الناحية كلها على العابرين. ويرجح انهما قصدا الفتك بالقادمين فيها وعلى الاخص بيسوع لانهما عرفاهُ . فأتيا يصرخان بهيئتهما المكربة ملطخين بدمائهما لانهما كانا يجرّحان ذواتهما بالحجارة . عند ذلك امر يسوع الارواح النجسة الحالة فيهما ان تخرج منهما . فصاحا للوقت بكلام بعضهُ شيطاني وبعضهُ رحماني مما دلَّ على سطوة يسوع عليهما . قائلين "ما لنا ولك

(١) ١كو ١٠: ١٣ (٢) هذه الكورة هي في مقاطعة بيرية التي عاصمتها جدرة المعروفة الآن باسم (ام قيس) الواقعة الى الجنوب الشرقي من بحر طبرية . وكان القسم الاكبر من السكان وثنيين مع كون البلاد لليهود. وقد سبق الكلام عن الاحتلال الشيطاني الخصوصي في زمن يسوع تحت اسم "ديمون" الذي كان يسبب الجنون وعن معرفة الشياطين يسوع وشهادتهم الممتازة له (انظر ف١٥)

يا يسوع ابن الله العلي. أجئت الى هنا قبل الوقت لتعذبنا" (١)

حصر البشير مرقس هذا الخبر في أشهر هذين الرجلين واورده منفصلاً. بعد انتهار يسوع الارواح الشريرة الحالّة في هذا الرجل وفي رفيقهِ ركض هذا وسجد لهُ صارخًا "استحلفك بالله ان لا تعذبني". الفعل الاوّل لأمر يسوع الشياطين ان تخرج كان تعذيبًا للمسكون. لان الشيطان لا يخرج من انسان الا ويصرعهُ ويؤلمهُ. ولذلك كان المسكون يخاف ويطلب التخلّص من الآلام. وفعلهُ الثاني كان تعذيبًا للشيطان لان لذتهُ هي في تعذيب الانسان واهلاكهِ. وعذابهُ يكون بنزع فريستهِ من بين مخالبهِ. فالساكن والمسكون يصرخان "لا تعذبنا"

يا لها من صورة مؤثرة على شاطىء هذا البحر. يسوع واقف مكلل بهيبة القداسة المقترنة بالسلطان والحنان. ووراءهُ الرسل وهيئتهم تدل على الاضطراب الشديد الذي اضنكهم في الليل الغابر. وعلى اضطراب جديد من هجوم هذين الشخصين عليهم في هذا الوعر وجهلهم ماذا يصير من امرها. ومع اضطرابهم ترى في وجوههم ملامح الشفقة على هذا المعذّب بالارواح النجسة. وامامهم هذا الشخص البربري الجاثي في عريهِ وجروحهِ امام سيدهم بهيئة الاضطراب ايضًا من فعل الشيطان الذي صرعهُ قبل خروجهِ. ومع هذا الاضطراب يمتزج في هيئتهِ شيء من آمال المستنجد بشخص يعرفهُ قادرًا على تخليصهِ من شقائهِ

سؤال يسوع "ما اسمك"، أظهر له باجلى بيان صعوبة امرهِ الغير الاعتيادية. اجابة المجنون صدقًا "اسمي لجئون. لان شياطين كثيرة دخلت فيهِ" (٢)

---

(١) يعلم الشياطين ان الساعة لم تاتِ بالمداخلة مع البشر هو الى حين والى درجة محدودة

(٢) لجئون هو اسم الفرقة الكبيرة العسكرية عند الرومان وهذا المجنون يعرف جيدًا

جورهم

لما عجز رئيس الشياطين عن اضرار يسوع راسًا بواسطة هذين المجنونين دبّر حيلة اخرى قصد بها تهييج سكان تلك الكورة ضد يسوع. فعلّم الارواح الشريرة الحالّة في هذا الشخص ان تطلب من يسوع بلجاجة ان لا يامرهم بالذهاب الى الهاوية. بل ان يسمح لهم بالدخول في قطيع كبير من الخنازير نحو الذين كان يرعى "عند الجبال بعيدًا عنهم"

الارواح نجسة والخنازير على شكلها. فيسوع لا ينكر الملايمة في هذا الطلب وبما ان الخنازير محرّمة عند اليهود ففنيتها برهان غلبة الطمع على الدين في اصحابها الذين يرجح كونهم يهودًا. فسمح يسوع ان يتاصّوا باتلاف هذه الفنية المحرّمة. ولا سيما لانهُ يحصل بذلك برهان حسي بان الاحتلال الشيطاني حقيقي وبان الشفاء من هذا الاحتلال كان حقيقيًا ودائمًا (١). ويأخذ الجميع مثالاً لشر عاقبة الاستعباد للشيطان. وبرهانًا لسلطان يسوع على الخيرات الزمنية فيتصرّف بها حسب حكمتهِ. لان الذي سمح بهذه الخسارة على اصحاب الخنازير هو المالك الاصلي الحقيقي (٢). أوليس عنايتهُ الصمدانية تسمح كل يوم بمثل ذلك في العالم حتى بين خائفيهِ ايضًا؟ فكل تقي يقول لربهِ ان كل ما تعطيني اقبلهُ بشكر وكل ما تأخذهُ مني أسلمهُ برضى وكلما لا يأتيني استغني عنهُ دون تذمّر قائلاً "الرب اعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركًا" (٣)

قال يسوع للارواح "امضوا فخرجت ودخلت في الخنازير. واذا قطيع الخنازير كلهُ قد اندفع من على الجرف الى البحيرة واختنق في المياه". رعاة الخنازير مطالبون تجاه مستأجريهم فانذهلوا من هذا الامر الغريب الذي حدث امام عيونهم. واستولى عليهم الخوف كما استولى على المسافرين مع يسوع لما سكّن النوء. فهربوا واذاعوا في طريقهم بين الضياع وفي المدينة خبر ما

(١) لعل يسوع حكم ايضًا ان بهذا السماح يسهل خروج الارواح من الانسان دون زيادة في تعذيبهِ (٢) مز ٢٤: ١ (٣) اي ١: ٢١

حدث للمجنونين وللخنازير. فهرع العموم قاصدين محل هذا الحادث الغريب وعند وصولهم راوا في جثث الخنازير حالاً برهان صحة رواية الرعاة . وزاد دهشهم عند رؤيتهم مواطنهم المشهور في جنونه وفظائعه " لابسًا وعاقلاً وجالسًا عند قدمي يسوع " يسمع تعليمه في موضوع ملكوت السموات الذي دخله جديدًا اذ آمن بالملك الروحي الذي نجّاهُ

فاعتراهم الخوف ايضًا لوجود شخص بينهم صاحب سلطان كهذا مستعد لاستخدام سلطانه في مقاومة البطل ولو مهما أدّى الى الخسائر المادية . ومن منهم يؤمن على ممتلكاته ان اتلف له يسوع كل ما داخله محرّم نظير قطيع الخنازير ؟ فهل ابتهجوا بظهور خصم ابليس القوي والقادر ان يقيّدهُ ويخلّص الناس من الاستعباد له ؟ وهل امتلأوا سرورًا وشكرًا لانه فعل ذلك لاجل مواطنهم ؟ وهل حسبوا خسارتهم الخنازير طفيفة بالنسبة الى الربح في شفاء مجنونهم ؟ كلاّ . لان الشيطان نجح فيهم بمكيدته. فنفروا من هذا المفضل التدبير " وطلبوا اليه ان ينصرف ويمضي عن تخومهم" . وكان اولى بهم ان يفعلوا فعل سامريي مدينة سوخار ويطلبوا اليه ان يدخل مدينتهم ويمكث عندهم ليظهروا امتنانهم من احسانه ويستفيدوا من تعاليمه . اما يسوع فاستجاب طلبتهم وانصرف ودخل السفينة ليعود الى الجليل . طردوهُ كما طرد فرعون موسى بقوله " اذهب عني . احترز لا ترَ وجهي ايضًا انك يوم ترى وجهي تموت "(١) . فموسى اطاع وكان الخير له في ذهابه وهو المطرود والويل لطارده . هكذا امر يسوع والجدريين

لكن ماذا يفعل هذا الرجل الذي شفي ؟ هل يطلب العود الى بيته واملاكه واشغاله ليستعيض عن الزمان الطويل الذي فيه كان ليس فقط بطّالاً بل مخرّبًا . لو كان شفاؤهُ جسديًا فقط لفعل ذلك. لكن قاعدة يسوع ان لا يشفي جسدًا الاّ ويشفي معه نفسًا اهمّ منه بما لا يقاس . فظهر الشفاء

(١) خر ١٠: ٢٨

الروحي في هذا المجنون من طلبهِ الى يسوع "ان يكون معهُ"

هذا الطلب الرابع الذي نقدّم ليسوع في هذا الحادث . الاوّل طلب جهالة لا مزيد عليها . وهو طلب المجنون من يسوع "ان لا يعذبهُ". فكون اجابة هذا الطلب اعظم اذية للطالب الجاهل صالحهُ الحقيقي لا يمكن الاّ ويرفضهُ يسوع حبًّا لهُ . والثاني طلب الشياطين ان يأذن لهم بالدخول في الخنازير . فاستجاب يسوع هذا الطلب لان فوائد الاستجابة اكثر من اضرارها . الطلب الثالث كان من اهل الكورة بان ينصرف يسوع عنهم . فاستجاب يسوع هذا الطلب ايضًا مع كونهِ لضررهم لانهم ليسوا مجانين. ولانهم بعد هذا البرهان الظاهر امام عيونهم بانهُ يقدر ان يخلصهم من سلطة الشيطان "احبوا الظلمة اكثر من النور لان اعمالهم كانت شريرة"(١). فهو لا يرغم احدًا لقبولهِ والايمان بهِ ولا يزور الاّ الذين يريدونهُ ولا يخلّص الاّ طالبي الخلاص

الطلب الاخير هو الطلب الوحيد الصالح . ومع ذلك رفضهُ يسوع لصالح اعظم . لانهُ يفضل دائمًا الاصلح على الصالح. جيد ان يكون هذا المتجدد مع يسوع كما طلب . لكن يسوع يحتاج الى مبشرين في تلك الكورة من اهلها — مبشرين يتكلمون عن اختبار عما فعل بهم يسوع . وهذا الرجل يحتاج الى عمل يقوّيهِ في ايمانهِ وسلوكهِ . ولا شيء ينشّط المؤمن الحديث مثل الاقرار العلني بمراحم الرب في الخلاص . بناء على اسباب كهذه لم يدعهُ يسوع ان يبقى معهُ بل صرفهُ قائلاً "اذهب وارجع الى بيتك والى اهلك واخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك" . واطاعةً لهذا الامر مضى وابتدأ ينادي في المدينة كلها وفي العشر المدن فتعجب الجميع"

جاء خبر ما فعلهُ يسوع بهولاء الطالبين شاهدًا لقولنا السابق ان صلاة الشرير لا تؤول الاّ الى خرابهِ وان اهمال صلاة الصالح لا تؤول الاّ الى خيرهِ

(١) يو ٣: ١٩

ولا يعلم الاَّ العليم الحكيم المدبّر امور المؤمنين كثرة المراحم التي تأتيهم بعكس ما يطلبونهُ

ولنا في هذا المجنون مثال صادق للخاطئ . حقًّا ان الخطيئة جنون النفس وليس الجنون المعروف سوى خيالاً ورمزًا الى الجنون الحقيقي المهم المؤبد . وهو الخطيئة فنفسٌ مجنون جدرة القبور النجسة مسكنًا على البيوت النظيفة الصحية المرتبة وكان علة إضرار ذاتهِ مع كل من لاصقهُ او مرَّ بهِ . كان يجتنب معاشرة الاصحاء ويختار عشراء من المجانين نظيرهُ مع وحوش البرية . ويقول للمخلص الوحيد "مالي ولك" . لم يظهر مخلص من جنون الخطيئة ومن نتائجها في الدنيا والآخرة الاَّ هذا الذي خلّص مجنون جدرة في ذلك اليوم من جنونهِ واسبابهِ ونتائجهِ

اذا فرضنا ان يسوع قصد الاستراحة بذهابهِ في السفينة الى العبر نجد انهُ حُرِمها بسبب توحش الجدريين . فرجع الى وطنهِ في كفرناحوم . ومع ان يسوع تركهم حسب الظاهر لكن المحب لا يترك ولو رُفض . فيسوع مستعد ان يزور بلادهم بعد حين وان يرسل لهم قبل زيارتهِ سبعين مبشرًا في وقت واحد ليطوفوا في تلك البلاد ويبشروا بمجيئهِ وملكوتهِ . لذلك اهتمَّ ان يبقى هذا الشاهد الجديد مبشرًا في تلك الناحية استعدادًا لذلك اليوم المقبل

الفصل الخامس والعشرون

(مت ٩:١ و ٩:١٨–١١:١ و ١٣:٥٤–٥٨ مر ٥:٢١–٤٣ و ٦:١–١٣)
لو ٨:٤٠ – ٩:٦

(المرصَّع) ف ١٦ و ١٧ (الزمان) ٨ ك ١ السنة ٢٨ م
(المكان) كفرناحوم . الناصرة . الجليل

اقامة ابنة يايرس من الموت . شفاء نازفة الدم . فتح اعين اعميين . شفاء اخرس مجنون . الرفض الثاني في الناصرة . الجولان الثالث في الجليل . ارسال الاثني عشر للتبشير

لم تُفلح مقاومة الرؤساء في ايقاف تيَّار شهرة يسوع . فاصبح الآن اشهر شخص في البلاد كلها . وصارت كل حركاتهِ وسفراتهِ معلومة عند الجميع وكان محور الاحاديث كما انهُ مقصد كل مستغيث . لذلك لم تدنُ سفينتهُ من البر حتى كان جمهورٌ واقفًا ينتظرهُ على الشاطئ . وحال نزولهِ من السفينة اخذ حسب عادتهِ يكلمهم

في ذلك اليوم كان في بيت يايرس كبير القوم في كفرناحوم ورئيس مجمعهم فراش تشغلهُ وحيدتهُ وعمرها اثنتا عشرة سنة وهي في حالة النزاع محاطة بالعائلة والمقرَّبين الغاصّين بالبكاء شعورًا مع الوالدين في مصيبتهم الجسيمة . ولم تنجح معالجات الاطباء ولا خدمة الاقرباء ولا تضرُّعات الاحبَّاء . ولم يبقَ رجاء الاَّ بالالتجاء الى الناصري الشهير المستوطن بينهم

يرجَّح ان هذا الرئيس قاد سابقًا الوفد الذي طلب من يسوع الذهاب

الى بيت قائد المئة ليشفي عبدهُ [١] وكان هذا الطلب مستثنى لاننا لاحظنا سابقًا ان يسوع لم يذهب غالبًا الى البيوت لشفاء المرضى فيها . ولهذا استعظم قائد المئة الامر وقال انهُ غير مستحق ان يدخل يسوع تحت سقفهِ . فشفى يسوع الغلام دون دخول البيت . فلا بد ان يستصعب يايرس الذهاب الى يسوع ليطلب مجيئهُ الى بيتهِ . ويستصعب ايضًا مفارقة وحيدتهِ في حالتها هذه ولا يؤمَّل ان يسوع يأتي الى بيتهِ لو ارسل لهُ آخر . ولا يمكن اخذ الابنة في درجة الخطر الى يسوع

فاسرع بذاتهِ الى الشاطئ "ووقع عند قدمَي يسوع وسجد لهُ" فما كان اعظم دهش الحاضرين عند رؤيتهم رئيسهم متذللاً بهذا المقدار امام النجار الناصري الفقير الذي هو رفيقٌ للعشارين والخطأة ومحتقرٌ عند الفريسيين قومهِ . غير ان ما عرفهُ يايرس واهل كفرناحوم عن فضائل نزيلهم الجديد وفضلهِ يفسّر شيئًا من هذا الاحترام الغير المنتظر . مصيبة هذا الرئيس الشديدة ذلّلتهُ . وساقتهُ الى القدير فاتّخذ لهُ باب الفرج . وتحوّلت مصيبتهُ الى بركة اعظم [٢] . كان يستطيع يايرس ان يقول فيما بعد مع نبيّهِ داود "قبل ان أُذلل انا ضللت . خير لي اني تذللت لكي اتعلم فرائضك" [٣]

صبر عليهِ يسوع الى ان "طلب اليهِ كثيرًا" ووصف حالة ابنتهِ واظهر من الايمان ما اكتفى بهِ يسوع . لانهُ قال "ابنتي الصغيرة على آخر نسمة لينك تأتي وتضع يدك عليها لتشفى . تعالَ وضعْ يدك عليها فتحيا" . يستحيل ان يتغاضى يسوع عن طلب كهذا مقرون بايمان . لان الايمان هو كالدلو الوحيد لسحب الانسان ماء الحياة من آبار الخلاص . الايمان هو كالعين الوحيدة التي بها يرى الانسان طريق السماء ليسير فيهِ . الايمان هو كاليد

(١) ف ٢١ (٢) يسوع لم ينهَ هذا الرئيس عن السجود لهُ ولا رفعهُ عن الارض كما كان يجب عليهِ لو كان بشرًا محضًا فنعم المصيبة التي تسوق المصاب الى المعين الالهي

(٣) مز ١١٩: ٦٧ و ٨١

الوحيدة التي بها يتناول الانسان خبز الحياة ليحيا بهِ "لان البار بالايمان يحيا" (١)

فمضى يسوع معهُ هو وتلاميذهُ وتبعهُ جمع كثير زادهُ مقام يايرس وشعور اهل المدينة وتأثرهم من سجودهِ علنًا ليسوع على شاطىء البحر . فلماذا لم يأمر يسوع بالشفاء عن بُعد كما فعل مرتين (٢) قبلاً ؟ ألايكون في ذلك معجزة ابهج وموجبًا اقوى لايمان الجمهور واهل المدينة والبلاد بهِ ؟ ربما كان ذلك لان يسوع علم ما لم يعلمهُ يايرس او غيرهُ من الحاضرين . وذلك ان الابنة قد ماتت فعلاً بعد خروج ابيها من البيت . فصار العمل المطلوب اصعب جدًّا وبما ان رئيس المجمع معدود عدوهُ الطبيعي ففي ذهابهِ معهُ يُظهر لهُ مُراعاة ممتازة. ويقدّم بذلك مثالاً معتبرًا لمحبة العدو . وبما ان يايرس اتمّ الشروط الاربعة اللازمة لنيل بركات الخلاص نال طلبهُ وذهب يسوع معهُ الى بيتهِ . وهذه الشروط هي الاتيان اليهِ والاتضاع امامهُ والحرارة في الطلب منهُ والايمان الحي بهِ

"وفيما كان يسوع منطلقًا زحمتهُ الجموع" واذ لايمكن للمحاط بازدحام كهذا ان يُسرع في السير فلا ريب ان يايرس استاء من هذا البطء لان الدقائق كانت عندهُ كالساعات لابل كالايام. وزادهُ استياء وقوف يسوع في الطريق ووقوف الجمهور معهُ بسبب امرأة مسكينة . غير ان ما سبّب استياءهُ عاد عليهِ بالبركة في تقوية ايمانهِ واحياء رجائهِ

هذه المرأة المجهولة الاسم والوطن كانت قد قضت اثنتي عشرة سنة في مرض اضنكها المًا ونجلاً لانهُ من دواعي التنجّس الطقسي عند قومها التي تحرمها كثيرًا من التمتعات الدينية . فضلاً عن مصائب المرضى العمومية نظير تحمّلها هذه السنين كلها علاجات عديدة ومتنوعة بعضها كريهة ومؤلمة للغاية .

(١) غل ٣: ١١ (٢) مرّة مع ابن وكيل هيرودس واخرى مع غلام قائد المئة

فبذلت في هذا السبيل كل مالها اطاعةً لمطاليب الدجالين المسمين اطباء[1].
فلا نستغرب قول البشير انها لم تنتفع شيئًا بل صارت الى حال ٍ اردأ

لاسبيل لهذه المسكينة لتستعين على انفراد لاجل الشفاء. ولا تسح لها حشمتها ان تستعين جهارًا في امر داء كدائها. فما الحيلة؟ اجتمعت قوة ايمانها بيسوع مع شدة حاجتها اليهِ. فقالت في نفسها يكفيني لمس ثيابهِ فقط. ولي ملء اليقين ان ذلك ينيلني الشفاء دون ازعاج المعلم والتعرُّض لملاحظة الجمهور. ولانها لم تتوقَّف كالكثيرين عند الفكر الحسن والقول الصائب نالت منيتها. ولم يكن الازدحام مانعًا لها بل اقتربت الى وراء هذا الشافي ولمست هدب ثوبهِ[2] وللحال علمت بشفائها الفجائي على صورة لم تكن تتوقعها.

ومع ان عملها لم يخلُ من اعتقاد خرافي بان النداسة والقوة تحلاَّن في المادة وتخرجان منها تُمدَحُ على ايمانها اكثر مما تلام على اوهامها. ولكن اللوم كل اللوم على مروِّجي الاوهام لغاياتهم النفسانية. اما يسوع فلم يمسك عن هذه المرأة فائدة الايمان بسبب وهمها العرضي

---

(١) في بعض الكتابات القديمة قوائم العلاجات المعينة للادواء المختلفة. منها يرى المطالع ان اكثرها قاسٍ جدًّا لا يؤمَّل منهُ سوى العذاب المفرط. لانهُ لم يوجد في ذلك العصر اطباء قانونيون. لذلك نقرأ في التلمود "ان افضل الاطباء مُعد لجهنم". وشاع عندهم هذا القول "ان الطبيب شرٌّ من اللص. لان هذا يأخذ اما مالك او حياتك بينما ذاك يأخذ حياتك ومالك معًا" (٢) يلاحظ ان يسوع جارى القوم في العوائد التي لاضرر من ممارستها. فكان لباسهُ على ما يرجح كلباس معلمي الدين عند اليهود امتثالاً للتعليمات القديمة التي منها "كلم بني اسرائيل وقل لهم ان يصنعوا لهم اهدابًا في اذيال ثيابهم في اجيالهم ويجعلوا على هدب الذيل عصابة من اسمانجوني. فتكون لكم هدبًا فتروها وتذكرون كل وصايا الرب ... لكي تذكروا وتعملوا كل وصاياي وتكونوا مقدسين لالهكم" (عد ١٥: ٣٨ — ٤٠) ايضًا "اعمل لنفسك جدائل على اربعة اطراف ثوبك" (تث ٢٢: ١٢) نتيجة هذه الوصايا كانت مظاهرات فارغة بين الفريسيين حتى ويخهم يسوع بقولهِ "كل اعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس فيعرضون عصائبهم ويعظمون اهداب ثيابهم" (مت ٢٣: ٥)

هذه المرأة انت من ورائهِ فلم يرَها ولم تلمس شخصهُ. فتوهمت انهُ لا يدري بما فعلتهُ. لكن لانهُ عالم الخفايا اوقف السير وقال "من لمس ثيابي"؟ فظن الجميع حتى رسلهُ انهُ سأل استعلامًا. ولكن قصدهُ كان استنطاق المسؤول كما في سؤال الرب قايين بعد قتلهِ اخاهُ "اين هابيل اخوك؟". كان للمرأة قبل شفائها سببٌ كافٍ للتستر فزاد بسؤال يسوع ثم بانتباه الجمهور كلهِ الى ما حدث ثم بكونها سرقت الشفاء دون استئذان الشافي

واذ نظر يسوع حولهُ كأنهُ يستفهم من الجميع كثر الذين انكروا ولم يعترف احد. اما بطرس المتسرّع في الكلام فناب عن زملائهِ في مؤاخذة يسوع مذكّرًا اياهُ ان الازدحام جعل الكثيرين يلمسون ثيابهُ. لكن يسوع لم يسأل عن اللمس البسيط بل عن لمس الايمان اذ لا شيء يهمهُ كالايمان فايمانها هو الذي ميّزها عن الكثيرين غيرها من الذين كانوا نظيرها يطلبون الشفاء. ومجرّد لمس هدب ثوب يسوع مقرونًا بالايمان كان باب الخلاص لها بينما معاشرة يسوع ومساكنتهِ ثلاث سنين دون ايمان لم تأتِ بهذه النتيجة الجوهرية للاخر يوملي بل زادتهُ دينونةً

قصد يسوع بهذه المعجزة كعادتهِ شفاء جسديًا وروحيًا. وان يظهر الشفاء الروحي كالجسدي لفائدة المرأة ذاتها والرسل وبابرس الذي ينال تقوية ايمانهِ ومثالة الاعتراف بفضل الشافي. قال الكتاب "القلب يؤمَن بهِ للبر والفم يُعترَف بهِ للخلاص"[1]. فعلى هذه المرأة ان تحمل صليبها اكرامًا لشافيها. وان تعترف بقدرتهِ وفضلهِ لاجل صالحها الروحي. لذلك نظر يسوع الى الوراء وتطلع فيها مبينًا انهُ عرفها. فارتعبت خوفًا اذ لا تعرف يسوع ولطفهُ وحبهُ للناس وخافت من القصاص على عمل لا حقّ لها فيهِ. او على الاقل من توبيخ صارم امام الجمهور. واذ لم يعُدْ يمكنها الاَّ الاعتراف العلني تقدمت وسجدت لهُ واعترفت بعلتها المخجلة اولاً. ثم بما فعلتهُ خفيةً

(١) رو ١٠: ١٠

وبالشفاء العجيب الذي نالته . فكلمها حالاً بكلام ملؤهُ العطف والرحمة قائلاً "ثقي يا ابنة ايمانكِ قد شفاكِ . اذهبي بسلام وكوني صحيحة من دائكِ"

لم يفرغ يسوع من هذا الكلام حتى وقعت على راس يايرس الضربة القاضية على رجائهِ . لان رسول سوء جاءهُ من بيتهِ يقول "ابنتك ماتت . لماذا تتعب المعلم بعد ؟" أفلا يأسف على تذللهِ ليسوع او يندم على خروجهِ من بيتهِ وغيابهِ ساعة احتضار وحيدتهِ ؟ . أَوَلا يتوقع شماتة زملائهِ الفريسيين لكرههم هذا الناصري الذي لا يخضع لهم ؟ ولكن يسوع استدرك هذا التأثير السيّئ وطيّب خاطرهُ بقولهِ لهُ "لا تخف . آمن فقط فهي تُشفى"

ولنذهب الآن بالفكر الى بيت الحزن فنرى ان جماعة عند موت الابنة في غياب ابيها باشروا بالفروض المطلوبة في حوادث الموت التي من جملتها استئجار مزمّرين ونادبات[1] . وقام صياح الاهل والمحبين مصحوبًا بنتف الشعر واللطم على الصدور وتمزيق الملابس وذرّ الرماد على الرؤوس . لان الابنة كانت وحيدة والبيت كبيرًا والعائلة معدودة الخاطر[2]

فلما وصل يسوع والاب والجمع الى البيت امر يسوع ان يبقى رسلهُ مع الجمهور خارجًا ما عدا بطرس ويعقوب ويوحنا الذين ابتدأ يميزهم فوق رفقائهم فادخلهم معهُ ليكونوا شهودًا للمعجزة العظيمة وترك التسعة خارجًا ايناسًا للجمع الذي لم يسمح لهُ بالدخول . وعند دخولهِ الدار تكدّر من الضجيج والبكاء

(١) ار ٩:١٧ (٢) انفر بيت كان عليهِ ان يستدعي مزمرين ونادبة واحدة . وكانوا يستعملون شرب الخمر مع الندب . يقال ان اليونان والرومان قصدوا بالصياح فوق الجثة اما ان يمسكوا الروح عن مفارقة الجسد او ان يوقظوا الميت من سباتهِ ان كان موتهُ غير حقيقي

والنوح وموبخ القائمين بها [١] وسعى لإزيل اوهامهم في امر الموت الجسدي بارجاعهِ روحًا الى جسدها بعد الموت . وشبّه الموت بالنوم بالنظر الى القيامة العتيدة .

لما دخل قال للمجتمعين " لماذا تضجون وتبكون ؟ تنحّوا . لا تبكوا . فان الصبية لم تمت لكنها نائمة " . فاستهزأ الحضور بهِ ولا سيما النائحون المأجورون . وضحكوا عليهِ لعدم معرفتهِ الفرق بين النائم والمائت [٢] . فلم يرضَ ان يشاهد هؤلاء المستهزئون فعلهُ السماوي الوقور بل اخرجهم جميعًا فلم يشهد هذه المعركة التي فيها يقهر يسوع آخر عدو يبطل اي الموت [٣] الاَّ الوالد والوالدة والرسل الثلاثة . ثم دخل وإياهم غرفة الموت . قيل عنهُ في الانبياء انهُ " يبلع الموت الى الابد ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه " [٤] . " ومن يد الهاوية أفديهم . من الموت أُخلصهم . ابن اوباؤُك يا موت ؟ ابن شوكتكِ يا هاوية " [٥] . ووصف الرسول عملهُ انهُ " ابطل الموت وأنار الحياة والخلود " [٦]

نرى الذي قال عن حياتهِ " لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها

---

(١) كانت هذه العوائد مأخوذة عن الوثنيين الذين لا رجاء لهم وراء القبر فيموتون كالحيوانات حاسبين ان الموت هو موت الانسان بكليتهِ ويشبّه باطفاء السراج او بقصف العمود . وقوّى تعليم الصدوقيين هذه العوائد السيئة لانكارهم عالم الارواح وحصرهم الوجود في المادة . ونفوذهم في العاليات اعطاهم بعض السلطة ايضًا في امور الدين

(٢) بنى البعض على قولهِ ان الصبية " لم تمت لكنها نائمة " اخراجهم هذه الحادثة من بين حوادث اقامة يسوع الموتى . لكن الاصح ان نؤخذ المناحة وضحك النائحين عليهِ وقول البشير انهم عرفوا انها ماتت برهانًا كافيًا على الموت الحقيقي . وان يؤخذ كلام يسوع على معنى ما قال عن لعازر الذي كان لهُ أربعة أيام في القبر . " لعازر حبيبنا قد نام . لكني اذهب لاوقظهُ " وفسر البشير هذا الكلام بقولهِ " كان يسوع يقول عن موتهِ . وهم ظنوا انهُ يقول عن رقاد النوم " (يو ١١ : ١١ و ١٣) (٣) ١ كو ١٥ : ٢٦

(٤) اش ٢٥ : ٨ (٥) هو ١٣ : ١٤ (٦) ٢ تي ١ : ١٠

ايضاً "(١) يدخل مع هولاء الخمسة غرفة الموت وبهذا السلطان يمسك يد الجثة ويكلّم الروح التي فارقت الجسد ويرجعها اليهِ بقولهِ "طليثا قومي"(٢). "وللوقت قامت الصبية ومشت". ثم امر ابويها ان يقدما لها طعاماً بالنظر الى صومها الطويل وانتهاك قواها. فيظهر ان العافية انتها دفعةً واحدةً. فاحدثت هذه المعجزة دهشاً عظيماً. حتى كانت وصية يسوع بعدم نشر خبرها عبثاً. فاعطى يسوع بعملهِ مثالاً جديداً للحقيقة ان الوضع الالهي الحياة الروحية تنتقل من الحي روحياً الى الميت روحياً بواسطة التقرّب الحبي. فتوسّط الحي لاحياء الميت ليس فقط جائزاً بل واجباً مقدساً على المؤمنين كافةً

عاد يسوع من بيت الرئيس الى منزلهِ وفي الطريق صرخ وراءهُ رجلان اعميان طالبَين الرحمة. اظهرا ايمانهما بهِ في اللقب الذي ناداياهُ بهِ "يا ابن داود". وهذا النداء لم يسمع قبل هذه المرّة. كلام الانبياء حقّق ان المسيح يكون ابن داود(٣). فيشتمّ من صراخهما الاعتراف بان يسوع هو المسيح. واذ ذاك يكون قد رأى فاقد البصر الجسدي يسوع بالبصر الروحي. ما لم يرَهُ اهل البصر الجسدي. واختبرا قول داود "انهُ ينجي الفقير المستغيث والمسكين اذ لا معين لهُ. يشفق على المسكين والبائس ويخلّص انفس الفقراء"(٤) وتصريح اشعياء النبي بان المسيح سيعطي البصر للعميان(٥). اما يسوع فلم يلبِّ طلبهما او ينتبه اليهما اولاً. لكن اغضاءهُ لم يثنِ عزمهما. فتبعاهُ الى البيت مجددَين استنجادهما بهِ

فظهر قصدهُ في عدم الانتباه اليهما اولاً لما سألهما ان كانا يؤمنان بقدرتهِ

(١) يو ١٠:١٨ (٢) في اللغة الارامية والمعنى "يا صبية لكِ أقول قومي"
(٣) حز ٣٤:٢٣ و ٢٤ (٤) مز ٧٢:١٣ و ١٢ (٥) اش ٢٩:١٨ و ٣٥:٥
كان العمى عند اليهود من جملة بعض بلايا يحسبونها ضربات الهية (تث ٢٨:٢٩) وكان يستعمل كثيراً في كتاباتهم رمزاً للاستعباد لخطيئة انظر اي ١٢:٢٤ و ٢٥ واش ٤٢:٨ و ٥٩:٩ و ١٠ ومت ١٥:١٤ ورؤ ٣:١٧ و ١٨ و ٣ يط ١:٩ و ٢ كو ٤:٤

على فعل لم يسبقه اليهِ آخر . لان لجاجتهما واحتياجهما وحرارة طلبهما لا تكفي. الجوهر في الايمان . فاجاباهُ حالاً دون تردُّد بالايجاب . فلم يسألهما يسوع الوديع والمتواضع القلب والمهتمّ اولاً بتمجيد الآب ان كانا يؤمنان ان الله قادر بل كان سؤاله هل تؤمنان اني انا اقدر . ففي هذا الامر نظرهم. يسوع يريد دائمًا ان يظهر في الشفاء مع قدرتهِ محبتهُ ايضًا . فاذا كان هذان الاعميان لا يستطيعان ان يريا ادلة حبهِ في محياهُ . اعلنها لهما بواسطة انامله اذ لمس اعينهما فانفتحت . ومع فتحهِ اعينهما فتح لهما طريق الخلاص بقولهِ "بحسب ايمانكما ليكن لكما" . فلم تكن المعارف ولا المقام ولا الغنى ولا الصلاح بل الايمان علة نجاحهما

هذه الحلقة الاولى في سلسلة حوادث اعادة يسوع البصر للعميان . فكما انهُ الحياة واحيا ابنة يايرس بعد الموت هو ايضًا النور فاعاد البصر للاعميَين. وقال لهما كما قال للكون المظلم في البدء "ليكن نور فكان نور"(١) . واوصاهما ان لا يعلم احد . لكن الشهرة والاكرام كانا يتبعانهِ على رغم هربهِ منهما (٢). لان هذَين الرجلَين لم يردفا ايمانهما بالطاعة بل خرجا يناديان بما فعل بهما يسوع

ثم دخل بعدهما اناس مقدمين ليسوع انسانًا بهِ شيطان مسبّب لهُ الجنون والخرس . فما دام بهِ شيطان يعدُّ خرسهُ بركة . لكن باخراج يسوع الشيطان المتملك فيهِ اعاد لهُ قوتَي العقل والنطق . فتمجّد وزاد تعجّب العموم وشهدوا ان هذه السلسلة من حوادث الشفاء فاقت كل اخبار المعجزات الكثيرة في تاريخ شعب اسرائيل . اما خصوم يسوع اي الفريسيون فاغتنموا هذه الفرصة الجديدة ليتهموهُ باخراج الشياطين بقوة رئيس الشياطين

واذ اراد يسوع بعد انتشار صيتهِ وانحياز الكثيرين اليهِ ان يعطي اهالي

(١) تك ١ : ٣ (٢) شبهوا الكرامة بجمال الانسان ان تبعها هرب منهُ وان هرب منها تبعهُ

وطنهِ الناصرة فرصة جديدة لان يقبلوهُ عاد اليها . من جملة كمالاتهِ محبة حب الوطن . فلا حقد في قلبهِ بسبب ما فعلوهُ بهِ لما اضطروهُ ان يهجر الناصرة[1] . فزارهم الآن بعد مرور سنة على زيارتهِ السابقة في ظروف وهيئة جديدة تسهّل لهم بل تستدعي احترامهُ والترحّب بهِ . واوّل ما ذُكر في هذه الزيارة دخولهُ المجمع يوم السبت ليعلّم اهل المدينة المجتمعين فيهِ للعبادة القانونية

يظهر ان "اخوانهِ" كنّ متزوجات في الناصرة ولربما احد اخوتهِ الاربعة[2] واهل الناصرة لم ينسوا معاشرتهم اياهُ زهاء ثلاثين سنة كنجار بسيط ابن نجار يخدمهم في هذه الحرفة ويتقاضى منهم اجرتهُ البخسة في بناء بيوتهم وتدبير ادوات الزراعة من عيدان وانيار ونوارج وما شاكل ذلك . وهذا مما جعلهم يستخفون بهِ بالمقابلة مع اكرام سكان المدن الاخرى اياهُ . لكن في هذا الوقت اثّر صيتهُ الطائر (الذي لا يمكنهم الاغضاء عنهُ) والكلام العجيب الذي فاه بهِ بسلطان وليس كوعّاظهم . فاحترموهُ بعض الاحترام . قيل "كثيرون اذ سمعوا بهتوا" . ودار على السنتهم السؤال "من اين لهذا هذه ؟ وما هذه الحكمة التي أُعطيت لهُ حتى تجري على يدهِ قوات مثل هذه ؟" اما روح الاستخفاف فتغلّب على روح الاحترام حتى كرّر يسوع المثل الذي ذكرهم بهِ في زيارتهِ الاولى الذي يبيّن عدم كرامة النبي "في وطنهِ وبين اقربائهِ وفي بيتهِ"

كان يودّ ان يصنع بينهم قوات كثيرة كما في الاماكن الاخرى . لكن معجزاتهِ كانت ترافق تعليمهُ . وحيث لا قبول لتعاليمهِ لا محل لمعجزاتهِ . لانهُ لم يفعلها لاقناع عديمي الايمان بل عند وقوع الحاجة لتثبيت المؤمنين . "فلم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم"[3] هكذا يُغلق كل خاطئ

(١) لو ٤ : ١٦ ف ١٤ (٢) يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا (٣) لم يحسب شفاء مرضى قليلين من "القوات" حتى ان أحد البشيرين قال "لم يصنع ولا قوة واحدة"

باب الخلاص في وجه ننسوه بعدم ايمانهِ بالمخلص كما اغلق اهل الناصرة باب المعجزات التي كانوا يتمنون ان يشاهدوها . فصحّ قولهُ " حسب ايمانكم يكون لكم "(١) تعجب يسوع سابقًا لعظم ايمان شخص (٢) . وهنا ذُكر تعجُّبهُ الآخر الوحيد لسبب عدم الايمان

ثم ترك الناصرة واخذ يطوف المدن والقرى في خدمتهِ المتنوعة "يكرز بالبشارة ويعلم في المجامع ويشفي المرضى" . وساءهُ حال شعب شبَّههُ بقطيع "غنم لا راعٍ لها" اذ كان لهم رعاة اسمًا لا فعلاً . لان هؤلاء بالحقيقة "أجرى لا يبالون بالخراف" فلا يقودونهم الى "المراعي الخضر والى مياهِ الراحة"(٣) . الى هذه الخراف التعيسة جاء "الراعي الصالح الذي يبذل نفسهُ عن الخراف" . وتحنَّن لما رأى شقاءها

بناء على إثمار مساعيهِ في تربية رسلهِ وجعلهم اهلاً لان يشتركوا في هذه الخدمة الشريفة "دعا الاثني عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين"(٤) لان تمرينهم على العمل بعد تمرينهم في التعليم صار ضروريًّا للغاية . فاستفزَّهم اولاً بقولهِ "الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون" . وافهمهم ان الفعلة لا يكونون الاَّ مرسلين من ربِّ الحصاد الذي يرسلهم استجابةً للصلاة

لا بدَّ من استعداد الرعاة الروحيين لعملهم . فيُطلب ان ينتدبوا انفسهم اولاً ثم ان يُختاروا من اصحاب الكلمة والحق في ذلك . ولكن بعد انتداب انفسهم واختيار الناس اياهم لا تصلح خدمتهم الاَّ ويكون المرسل الحقيقي هو روح القدير(٥) . فلا يتوقف ايجاد الفعلة الروحيين الناتجين على المدارس

---

(١) مت ٩ : ٢٩ (٢) ف ٢١ لو ٧ : ٩ (٣) صورتهم وردت في كتب الانبياء انظر حزقيال ص ٣٤ (٤) الفائدة من هذه الخطة ظاهرة اذ يتناوب الاثنان في العمل وتحصل فائدة من تنوُّع المواهب ويصلح الواحد ما يراهُ في الآخر من الخلل . أما ارسال اثنين فقط فلتخفيف أثقال الضيافة وزيادة عدد الاماكن التي تزار

(٥) ار ٢٢ : ٢١

التي تثقّف الاحداث . ولا على الرواتب التي تقدَّم لهم ترغيبًا . بل على ارسال ربّ الحصاد اياهم

فربّ الحصاد زوّد هولاء الرسل المتفرقين ازواجًا للتبشير زادًا كافيًا. لانهُ اعطاهم السلطان المقتضي والقوة لتأييد تبشيرهم بمعجزات الشفاء واخراج الشياطين حتى واقامة الموتى[1] .واعطاهم ايضًا ما هو اهم اي التعليمات الصريحة المتعلقة بمواضيع تبشيرهم واساليبهِ

وصرّح لهم ان مسؤوليتهم الاولى هي نحو شعب الله الضالّ .قُصر الوقت المعطى لهم يقضي بهذا الحصر . واختيار الذين يعرفون الله معقول. لان الذي يعرف الطريق لا يضلّ الاّ عمدًا فيكون قصاصهُ مضاعفًا . ومتى ارتدَّ الى الطريق تكون فائدتهُ مضاعفة بواسطة معرفتهِ . ثم ان هذا الضال يضلّ الآخرين اضعاف ما يضلهم الجاهل

واوضح لهم الفرق بينهم وبين رؤساء الدين والمعلمين الذين يجعلون خدمة الدين تجارةً لاجل الارباح المادية . لان الخير الذي يعملهُ الانسان ولا يأخذ عنهُ بدلاً ماديًا يكون حسن تأثيرهِ مضاعفًا . لذلك جعل قاعدة عملهم "مجانًا اخذتم مجانًا اعطوا"[2] . وتسهيلاً لحفظ هذه القاعدة يكفل لهم ان حاجاتهم الجسدية في هذه السياحة تأتيهم دون تدبيرها منهم . فهو يعتني بزمنياتهم ان كانوا يهتمّون بروحياتهِ . يهمهُ ان يعلمهم بالاختبار ان هذه كلها تزاد للذين يطلبون اولاً ملكوت الله وبرّهُ . اي للذين يتفرغون للاهتمام بالحاجات الروحية[3]

---

(١) مع ذلك لا ذكر لحادث من هذا النوع جرى معهم فعلاً

(٢) انما في الاخذ مجانًا خطر ليس بقليل لئلاّ يقوى روح الطمع والبخل والتركك على الآخرين بدلاً من الكرم والسخاء والاعتماد على النفس

(٣) في غير هذا الوقت أوصاهم بعكس هذه الوصايا التي فيها نهاهم عن الاستعدادات المادية (لو ٢٢: ٣٥)

واوصاهم ان لا ينتقلوا من بيت الى بيت في القرية الواحدة . لان الوقت لا يكفي لاجل التأثير المطلوب في اكثر من البيت الواحد بواسطة تكرار التعليم والتأثير الشخصي . فيقتضي ان يتركوا في كل بلد بيتًا واحدًا مخلصًا جيدًا يخمّر البلد كلها . واوصاهم ايضًا ان يعزّزوا كرامة علمهم وشرف الحق الذي هو موضوع كرازتهم بواسطة انذارات مخيفة لكل من يرفض قبولهم وقبول كلامهم . لانهم يمثّلون الملك الذي ارسلهم . فمَن يهينهم يهين ملكهم ومرسلهم . فان وقع ذلك فهو يؤدّب كل من يؤذيهم . ومن يرفض سفيرًا يمثّل العرش السماوي لا يمكن ان يسلم من عقاب مخيف

وتنبأ لهم باضطهادات عنيفة من اناس يكونون هم بينهم "كغنم في وسط ذئاب" . لان غرضهم يعرّضهم للكره والاضطهاد من ملوك وولاة . فعليهم بحفظ طبيعة الحملان واجتناب الشراسة والانتقام . فليعلموا ان الروح الالهي لا يفارقهم وعليه يستندون في المدافعة اللائقة . "فيعطون في تلك الساعة ما يتكلمون به" . قد عومل هو قبلهم بما سيقاسونه من الاضطهاد . وهذا يعزيهم في دورهم متى "امسوا مبغضين من الجميع من اجل اسمه" . وخطر العذاب او الهلاك الجسدي لا يوجب الخوف والحذر كخطر عذاب النفس الابدي . وعناية الآب السماوي بهم تتناول كل امورهم حتى "احصاء شعور رؤوسهم جميعها" . ومن لا يردعه الخوف والحياء من الاعتراف بالمخلص ينال اخيرًا اعتراف المخلص به في السماء

هو رئيس السلام وملكوته ملكوت سلام . لكن السلام قد يستوجب الحرب لاجل تأييده . واظهار الحق لا يمكن الاّ ويهيج البطل لمحاربته . ولذلك ما جاء ليلقي سلامًا على الارض بل سيفًا . وعمله لا بد من ان يفرّق بين اقرب الاقربا في كثير من الاوقات والاماكن . وعند ذلك يظهر من يفضّل رضى الاهل على رضى ربه ومن يترك ربه ليلتصق باهله . ومن ينكر ربه وايمانه للتخلص من الموت الجسدي . فهولاء هم الخاسرون . اما من يبقى امينًا

لربهِ فيثاب معهُ تعالى على كل خير يعملهُ مهما كان بسيطًا نظير اعطاء كاس ماء بارد لتلميذ من تلاميذهِ حبًّا لهُ

فلما اكمل يسوع هذا الخطاب تفرّق رسلهُ في الجهات المختلفة للعمل الخطير الذي انتدبهم اليهِ

الفصل السادس والعشرون

(مت ١٤: ١ – ١٢ مر ٦: ١٤–٢٩ لو ٩: ٧–٩ و ١٩: ٧–٩)
(يو ٦: ١–١٥)

(المرصع) ف ١٨ (الزمان) ك ٢ السنة ٢٩ م.
(المكان) قلعة مخيروس – كفرناحوم – بيت صيدا

هيرودس انتيباس . هيروديا واتقاها من المعمدان . وليمة هيرودس وقطع راس المعمدان . مضي يسوع مع تلاميذه الى عبر البحر . اشباع الخمسة الآلاف في بيت صيدا . المقابلة بين وليمة هيرودس ووليمة يسوع . قصد الجموع اقامته ملكًا

لم يزل المعمدان سجين هيرودس "الملك" (١). ولم يرقّ قلب هذا العاتي لنبي الله الذي غار على خيره الابدي. ولا شعر بان توبيخه لتخليصه من شرك مهلك . ولكي يرفع من امام الشعب عثرة تهوّر كثيرين في الرذائل . لكن ليس الاسير الحقيقي المعمدان في سجنه بل الملك هيرودس في قصره . لانه وان كان جسد المعمدان مقيدًا في سجنه فنفسه الحرّة تتمتع بالرضى الالهي وتستعد لسعادة ابدية ممتازة. ولكن هيرودس يتمرّغ جسديًا في الملذات الوحشية فجسده يرسف في قيود الاهواء الفاسدة ونفسه في أسر نام لعدوها الشيطان ثم عبدًا اسيرًا للامرأة الشريرة التي اصطادته باشراكها المهلكة لتطرحه معها في حمأة العار المؤبّد وفي نار جهنم التي لا تطفأ

---

(١) سمّي "الملك" مع ان وظيفته الحقيقية "رئيس ربع" تحت امر الملك في رومية

ورث هيرودس انتيباس رذائل ابيهِ هيرودس الكبير دون مندرتهِ[1]. وفي زيارتهِ رومية نزل ضيفًا على اخيهِ فيلبس المتزوج بهيروديا ابنة أخٍ آخر لها. فنتج عن فساد اخلاق الاثنين ان هيروديا فضّلت الاقتران بعمها الملك وترك عمها الزوج الاصلي المستوطن في رومية دون منصب. فحضرت مع انتيباس الى ولايتهِ وتبعتها ابنتها سالومة التي ماثلتها في الآداب السافلة. وبعد حضور هؤلاء الثلاثة الى البلاد ارغمت هيروديا انتيباس ان يطلّق امرأته الشريفة ابنة اريتاس ملك العرب التي تزوجها لاسباب سياسية. وبعد حين عزلهُ الامبراطور ونفاهُ لاشتغالهِ في مكيدة سياسية فمات في المنفى. في منطقة هذا الحاكم كان وطن يسوع واكثر حوادث خدمتهِ اي في الجليل وبيرية

كتسلّط ايزابل الشريرة على زوجها آخاب ملك اسرائيل في القديم كان تسلّط هذه الشريرة على زوجها الجديد الذي لا حقّ لها فيهِ. وكانت كايزابل سبب هلاك زوجها دينًا ودنيا

كان المعمدان نبيًّا شهيرًا موقّرًا في البلاد قبل ظهور يسوع. والملك انتيباس المتظاهر بالمذهب اليهودي لغاياتهِ السياسية كان يطلبهُ ليسمع وعظهُ

---

(١) العائلة الهيرودية تحيّر من يطالع تاريخها نظرًا لتكرار الاسم الواحد فيها وتعداد الزوجات. ولزواجهم في درجات القرابة المحرمة. يذكر التاريخ منهم ثلاثة باسم سالومة وخمسة باسم مريمي واربعة باسم ارستوبولس واربعة باسم اغريباس وخمسة باسم انتيباتريس. وكان يسمى اكثر من واحد بين اولاد الاب الواحد بالاسم الواحد. كان لهيرودس الكبير تسع زوجات. لان الاصطلاح اليهودي كان يسمح للملك بثماني عشرة زوجة في الوقت الواحد. وكان لهُ ابنان باسم فيلبس. ونعلم ان هيرودس اغريباس تزوّج باخت برنيكي. لقب هيرودس كان كلقب فرعون وقيصر لقبًا عائليًّا. وهيرودس انتيباس كان هو أحد الابناء الثلاثة الذين خلفوا هيرودس الكبير. (انظر ف ٤) اخذ ارخيلاوس ابن السامرية ملتاحي القسم الاهم اي اليهودية التي اورشليم فيها. والسامرة وادومية اي من جنين ومرج ابن عامر شمالاً الى جهات بئر سبع جنوبًا. واخذ فيلبس ابن اليهودية كليوباترا جهات تراخونيتس وابطورية اي حوران والشام. ثم اخذ انتيباس مقاطعة الجليل اي من مرجعيون شمالاً الى مرج ابن عامر جنوبًا ومقاطعة بيرية اي جبل عجلون والبلقاء

لكن المعمدان كبطل مملوء من الروح القدس لا يداجي ولا يهاب الملك ولا سيما ملكًا صفاته جعلت يسوع يسميه ثعلبًا[1]. فكان يبكته شديدًا وينصح له كثيرًا في امر اقترانه الفاحش. فحنقت هيرودیا عليه وارادت ان تقتله ولم تقدر

لا يبعد ان رؤساء اليهود حذّروا هيرودس من المعمدان لئلا يثير حركة ضدّهُ ويقلب عرشهُ[2]. لان الرؤساء ايضًا كانوا نظير هيرودس ناقمين عليه لاظهارهِ فسادهم وتوبيخاتهِ القادحة على شرورهم. وبسبب انحياز الشعب اليه وملاحظتهِ عظم الفرق بين الفريقين في الصلاح

أدّب المعمدان هيرودس بفمهِ فانتقم منهُ هيرودس بسيفهِ. اذ ارسل واوثقهُ وطرحهُ في السجن[3]. ما اصعب منظر سوق هذا الشهم الصالح الغيور مكبّلاً الى حبسهِ بداعي انتصارهِ للصلاح. كانت هيرودیا في حمقها مصرّة على قتلهِ. لكن جبن هيرودس امسكهُ عن تنفيذ ارادتها. "خاف من الشعب لان يوحنا كان عندهم مثل نبي". والسبب الآخر هو ان ضميرهُ كان حليفًا لخطة النبي. "فكان يهاب يوحنا عالمًا انهُ رجل بار وقديس". وهذا جعلهُ يحفظ المعمدان ويسمعهُ بسرور ويفعل كثيرًا مما يقولهُ

اما هيرودیا فلم يخمد حقدها لانهُ لا يمكنها ان تأمن على سلطتها ومقامها ما دام المعمدان حيًّا. فجاء يومها للانتقام في عيد مولد زوجها الحالي. اقتدى هذا المسمّى ملكًا بالملوك وعمل عشاء دعا اليهِ "عظماءهُ وقوّاد الالوف ووجوه الجليل". وكان تدبير الوليمة بيد هيرودیا فزيّنت ابنتها سالومة وتلمذتها في الخلاعة البالغة من العمر نحو السابعة عشرة وارسلتها لترقص في باحة الوليمة امام هذا الجمع الكثير العدد المختلف الاسباط والرتب والمزايا والمترنح بالمسكر

(١) لو ١٣:٣٢ (٢) حسب قول يوسيفوس (٣) كان لانتيباس قصر فخيم يسمى مخيروس شرقي بحر لوط وحسب اصطلاح الملوك كان قسم منهُ سجنًا. وهنا سجن للمعمدان حسب قول يوسيفوس

تبًّا لهذه الأُم التي لم تكتفِ بفعل المنكرات بل ضحّت ناموس ابنتها في سبيل كيدها الجهنمي . فسرّ هذا الحاكم اللئيم لسرور ضيوفهِ الوحشي برقص سالومة . وفي سكرهِ قصد ان يتباهى بالكرم امامهم . فحلف للراقصة انهُ يعطيها مهما طلبت منهُ حتى نصف مملكتهِ(١)

عند ذلك رجعت سالومة الى أُمها لتستشيرها ماذا تطلب . ولو لم تكن على شكلها لاقشعرّت واستعفت من الطلب الذي لقّنتها اياهُ أُمها. لكنها عادت الى المحضر وبدلاً من ان تطلب نصف المملكة قالت بكل وقاحة "اريد ان تعطيني حالاً ههنا على طبق راس يوحنا المعمدان". فاي قساوة بربرية دموية تفوق التي ظهرت في هذه الابنة . كانها تصوّر شكلاً جديدًا غريبًا تضيفهُ على ماكولات هذه الوليمة الفاخرة التي كانت تقدَّم على اطباق امام الضيوف . فطلبت ان يقدَّم هذا الصنف الجديد "ههنا وحالاً"

ما لم تنلهُ هيرودياً من زوجها وهو صاحٍ نالتهُ وهو سكران . غير انهُ "اغتمّ وحزن جدًّا" لما انتهُ الفكرة بعد السكرة. لكن "من اجل الاقسام والمتكئين معهُ لم يُرد ان يردّها". فللوقت ارسل سياقًا قطع راس المعمدان في السجن وسلّمهُ للصبية غارقًا في الدم . وهذه اعطتهُ لأُمها(٢)

لم يترك جثمان ايليا الثاني هذا دون كرامة لان تلاميذهُ جاءوا حالاً ورفعوهُ ودفنوهُ بمزيد الاحترام(٣) . ولم ينتهوا من دفنهِ حتى اتوا ليخبروا يسوع عند رجوعه من جولاتهِ الثالث في الجليل . كنا نودّ ان نعرف ماذا قال يسوع لما اخبروهُ بهذا الحادث المفجع الذي اصاب حبيبهُ ونسيبهُ وسلفهُ في الكرازة بالملكوت

(١) كانهُ لم يعرف ان المملكة ليست لهُ ليعطيها بل لقيصر الذي عينهُ

(٢) يقول القديس ايرونيموس في كتاباتهِ ان تلك الام اظهرت شدة انتقامها من هذا البار بان ثقبت لسانهُ بحربة اقتصاصاً لما أتى اليها براسهِ على الكلام الذي كان يوبخها بهِ

(٣) يقول ايضاً ايرونيموس انهم حملوهُ الى سبسطية عاصمة السامرة ليدفنوهُ هناك بجانب ضريح اليشع وعوبديا

طوباك يا معمدان يا نبي الله الامين . كان لباسك رداء من وبر الابل ومنطقة من جلد على حقويك وهو أحقر اللباس البشري. لكن على جبينك هيبة الروح القدس وفي نطقك سطوة اعظم الانبياء . والآن لباسك حلّة الشهداء المتسربلين بلباس ابيض نقي بين الشيوخ عن يمين العرش الالهي في السماء[1]. كان طعامك الجراد والعسل البرّي احقر الطعام لكنك كنت تغتذي من الخبز النازل من السماء الذي لا يأكله الاّ الانقياء . والآن تاكل على الدوام من ثمر شجرة الحياة المغروسة على شاطئ نهر الحياة في فردوس الله[2]. ابن الذين احتقروك ؟ ابن الذين قاوموك ؟ ابن الذين قتلوك ؟ محقروك في الحياة سوف يحسدونك بعد الممات

وانت يا هيرودس كما اشتار شمشون الجبار من جثة الاسد البالية عسلاً لسد جوعه يجني النهيم من نتن صنيعك الشنيع عسل التحذير من مخاطر خلع نير النواميس الالهية[3]

وانتِ يا هيرودیا سبب هذا الحادث الفظيع . هل لديكِ من مطهّر لغسل هذا العار المؤبد عن اسمكِ ؟ هل من عظيم في العالم يقدر ان يحلّكِ او يخلصكِ من الدينونة المخيفة التي انزلتها على راسكِ ؟

وانتِ يا سالومة هل تحتبئين وراء إثم والدتكِ وتعتذرين ؟ ألا يضرب بكِ المثل الآن في كل العالم بالخلاعة لانكِ وافقتِ بنسادكِ على عملٍ من اقبح ما ذكرهُ التاريخ ؟

كان موت المعمدان خسارة عظيمة على يسوع وعلى عملهِ الاصلاحي في البلاد . وكانت كيفية قتلهِ مجلبة لخطر جديد عليهِ . لان نجاح خصومهِ الذين كانوا ايضاً خصوم المعمدان يحرّضهم على ان يستعينوا بهيرودس ليتخلصوا من يسوع كما تخلصوا من سابقهِ . اما الخطر على عملهِ فلأنهُ صار يخشى ان يرتدّ كثيرون من اتباعهِ بتأثير باكورة الاضطهاد الفعلي هذه . ولا سيما لانهم

(١) رؤ ٧ : ١٣ و ١٤ (٢) رؤ ٢٢ : ١ و ٢ (٣) فض ٤ : ٨ و ٩

تحققوا الآن بان آمالهم السياسية والزمنية المتعلقة بيسوع وملكوته الجديد قد اضمحلت

ولما عاد الاثنا عشر رسولاً الذين ذهبوا ازواجًا للتبشير فاجأهم خبر قتل المعمدان. فلا بدَّ انهم تأثروا جدًّا. ولاسيما الذين منهم اهتدوا بواسطته الى يسوع. وبعد ما قصُّوا على يسوع اختباراتهم المتنوعة والشرح والتعليم الذي كرزوا بهِ في النحلات التي زاروها استحسن يسوع ان يخلي واياهم مدَّة ليستريحوا قليلاً. لانهُ وجد الجماهير تتوارد اليهم في كفرناحوم ونواحيها والاشتغال في خدمتها يضغط عليهم حتى لا تتيسر لهم فرصة للاكل. وبالنظر الى الاحوال الحرجة قرَّر ان يتوارى مع تلاميذهِ عن ابصار الرؤساء الى حين. وان يفرّق الجماهير التي تكون حجَّة سياسية للقبض عليهِ كما حدث لما سُجن المعمدان

وكانت السفينة الموقوفة لخدمتهِ تنتظر. والاعياء يدعو للاستراحة. والبحر افضل باب للانسحاب من ازدحام الجمهور وضغط الاشتغال. والحكمة تقضي بالانتقال من تحت ولاية قاتل المعمدان الى مناطعة اخيهِ فيلبُّس الاصلح منهُ كثيرًا. وهذا يمكنهُ من تعليم تلاميذهِ مسائل نظرية في البر لا تتسنى لهُ في المدينة. ولا يمكنهُ ان يعلمهم اياها الاَّ في ضيقٍ يأتي عليهم. فركب وتلاميذهُ السفينة واقلعوا الى عبر البحر. وبما ان الريح لم توافقهم. آل بطء سير السفينة الى زيادة استراحة ركَّابها

اما الجماهير فلم تكن ترثي لانهم رأوهُ وعرفهُ كثيرون. فتراكضوا الى بيت صيدا في العبر[1] مشاةً على شط البحيرة الشمالي عابرين الاردن عند مصبهِ وسبقوا السفينة. وحال وصولها اجتمعوا اليهِ مع كثيرين من سكان تلك

(١) بيت صيدا هذه غير التي على الشاطئ الغربي الملاصقة كفرناحوم. شادها هيرودس فيلبس على الجانب الشرقي الشمالي من البحيرة. وسمَّاها بيت صيدا يوليا تكريمًا لمولاةُ القيصر (اذ كان لهُ ابنة اسمها يوليا)

الجهات التي مرّوا بها . فلم يَسعْ قلبهُ الحنون ان يدفعهم عنهُ او يجافيهم او يؤنبهم . وما داموا يطلبونهُ فهو يترفق بهم . فقبلهم وكلمهم عن ملكوت الله والمحتاجون الى الشفاء شفاهم . فيا لفرط هذا الحنو وهذا التفاني في خدمة الناس

ثم عاد فانسحب ثانيةً وصعد مع تلاميذهِ الى جبل . لكنهُ لم يكد يجلس هناك حتى " رفع عينيهِ ونظر ان جمعاً كثيراً مقبل اليهِ " فبدلاً من تولد الضجر في صدرهِ زاد حنوًّا اذ رأى في افرادهم ما رآهُ سابقاً من نفوس جائعة تشبهُ خرافاً تائهة بلا راعٍ . فتحنن عليهم وشفى مرضاهم

يظهر ان هذه الحوادث ابتدأت باكراً حتى " بعد ساعات كثيرة صار المساء ومعهُ مسؤولية جديدة . قال يسوع مرّةً " يكفي التلميذ ان يكون كمعلمهِ " . فليت الرسل كانوا كمعلمهم في حنوّهِ وصبرهِ وحبهِ لخدمة الناس . ولكن النتيجة تجعلنا نتصوّرهم يتأففون في حيرتهم ويتشاورون على انفراد . الى ان قرّ رايهم اخيراً ان يعرضوا على يسوع ما رأوهُ واجباً في الاحوال التي وُجدوا فيها . لم يتعلموا بعد ان يصبروا الى ان يأخذوا التعليمات من سيدهم . وغفلوا عن انهُ لا يحتاج الى من يعلمهُ او يذكّرهُ بما يجب فعلهُ . فهل عدُّوا ذواتهم اشفق منهُ او بالحري ادرى منهُ بما يقتضيهِ صالح هذا الجمهور وراحة يسوع وراحتهم ؟

فتقدّم اليهِ الاثنا عشر جميعاً وقالوا لهُ " الموضع خلاء والوقت قد مضى اصرف الجموع لكي يمضوا الى الضياع والقرى حوالينا فيبيتوا ويبتاعوا لهم طعاماً لاننا ههنا في موضع خلاء . وليس عندهم ما ياكلون " فيظهر انهم خشوا ان يطالبهم الجمهور بحقوق الضيافة ان لم يصرفهم يسوع . وحسبوا ان هؤلاء الرجال والنساء والاولاد مع مرضاهم يتضرّرون اذا دخل الليل عليهم في هذا الخلاء

فوجه يسوع لنيلبس جوابهُ على هذا الكلام[1] . وكان في صيغة السؤال

(١) نستنتج من ذلك انهُ كان المدبر الخصوصي لامورهم الزمنية مع كون امانة الصندوق

عن محل يوجد فيهِ طعام . كأنهُ يكلّف فيلبس بتدبير ما يلزم لهؤلاء الضيوف فقال "من اين نبتاع خبزًا ليأكل هؤلاء"؟ سأل ليس ليستفهم بل ليمتحن وليعلّم. لانهُ كان عالمًا جيدًا ما هو مزمع ان يفعل. لكنهُ اراد ان ينتبه الرسل الى عجزهم والى ضعف ايمانهم . لان مثالة التواضع هي مثالة اولية يقتضي ان يتعلموها

وكان فيلبس منتبهًا الى صعوبة الامر من وجوه عديدة . فعمل حسابًا بان الخبز وحدهُ يكلف اكثر من مئتي دينار[1]. فاين الدنانير ؟ هل هي عند الذي ليس لهُ اين يسند رأسهُ ؟ وفضلاً عن ذلك لو حضرت الدنانير اين الوقت للذهاب الى قرى عديدة لجمع كمية كهذه ولو من الخبز وحدهُ والاتيان بهِ والشمس اوشكت ان تغرب ؟ وفوق هذا كلهِ اين وسائط النقل لاحضار طعام يكفي الالوف ؟ ويُلاحَظ ايضًا ان حصّة يسيرة من الخبز الحاف لا تقوم بضيافة يليق ان يقدّمها شخص كيسوع لضيوفهِ . فاجاب فيلبس سيدهُ بقولهِ "لا يكفيهم خبز بمئتي دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئًا يسيرًا" . وظن ان جوابهُ يقنع يسوع فينبع نصيحة الرسل ويصرف الجمع . فكم كان عجبهُ لما اجابهُ يسوع حالاً "لا حاجة لهم ان يمضوا اعطوهم انتم ليأكلوا" . فهذا امر صاحب سلطان ورسلهُ لا يدرون

هذه مقدّمة للمعجزة الوحيدة بين معجزات يسوع اعتنى البشيرون الاربع بخبرها. وربما اجمعوا على ايرادها نظرًا الى خصبها في المثائل الروحية الجوهرية وتفوّقها في عدد الذين تناولتهم . ولانها أتت في حين لزومها بناء على اشتداد مقاومة الروَساء ورفض الناصريين اياهُ ثانيةً .وقتل المعمدان دون معارضة من روَساء ملتهِ ان لم يكن بتحريضهم. فاهتمام البشيرين بها يجعلنا نحن ايضًا ان

بيد الاسقريوطي (١) ما يعادل نحو ثمانمئة غرش . لو فرضنا انهم ستة آلاف نفس يقتضي لهم قنطاران ونصف من الخبز ليعطى كل واحد نصف اوقية اي رغيفًا واحدًا من الخبز المعتاد

نهتم بما تتضمنهُ من التعاليم الروحية التي ننظر فيها بالاختصار في سياق تفصيل المعجزة ذاتها

كان قولهُ الاوّل لرسلهِ "اعطوهم انتم ليأكلوا" بينما يعلم هو واياهم ان ليس لديهم طعام . فبقولهِ هذا علّمهم ان الذين يقصدون افادة الآخرين يحتاجون اليهِ اذ ليس لديهم ما يطعمون بهِ نفوسًا جائعة . وفي الوقت ذاتهِ يشير الى اختيار الله الوسائط البشرية لاجراء مقاصدهِ تعالى في العالم . لانهُ لا يوزّع خيراتهِ الروحية والزمنية راسًا او بواسطة الملائكة الاّ نادرًا . وذلك متى فُقدت الوسائط البشرية . وهذا القانون هو لخير الموزّعين والموزّع عليهم معًا . اذ تتولد بذلك رُبط المحبة بين المحسِن والمحسَن اليهِ . ويتنشط الموزّع في ممارسة انكار الذات وخدمة الآخرين . وهذه مثالثة الثانية

فاعترض الرسل على ما أُمروا بهِ قائلين "أنمضي ونبتاع خبزًا بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا ؟" فقدّمَ لهم مثالثة ثالثة بقولهِ "كم رغيفًا عندكم ؟ اذهبوا وانظروا" . نبههم بهذا الكلام الى ان العمل الالهي لا يُغني عن العمل البشري المستطاع . فانهُ لا يوسّع نطاق المعجزة كما لو كان قصدهُ الادهاش . ولم يُرد ان يوجِد خبزًا من لا شيء طالما يوجد شيء . فاستخدم اولاً الموجود بين ايديهم ليعلمهم ان لا يطلبوا من الناس حتى ولا من الله عملاً يستطيعونهُ بالوسائط الطبيعية . لان هذه دبّرها لهم الله . فلا حقّ لهم في غيرها الاّ بعد الفراغ من استعمالها . توكّلُ الانسان على غيرهِ في ما يستطيعهُ يُحسب دناءة . وانتظارهُ ان الله يعمل ما يُطلب منهُ هو يُعدّ دلالاً كريهًا . فمتى عجز العمل الانساني او انتهى يحق طلب العمل الالهي

ولنا حجران شهيدان شاهدان على هذه الحقيقة وهما الحجر الكبير على قبر لعازر الذي لم ترفعهُ القوة الالهية لتفتح الطريق لخروج الميت . لان الواقفين هناك يستطيعون ذلك . والحجر الكبير على باب قبر يسوع الذي دحرجهُ ملاك الرب النازل من السماء بمعجزة لان النساء يعجزنَ عن رفعهِ بسبب حجمهِ

وختم الحكومة اياهُ ووضع الحرس الروماني امامهُ

وكان اندراوس تلميذ يسوع الاوّل قد لاحظ غلامًا بين الجمهور (ربما كان يبيع طعامًا) باقيًا معهُ خمسة ارغفة شعير وسمكتان . فاخبر يسوع عنهُ مع التحفُّظ قائلاً "لكن ما هذا لمثل هؤلاء"؟ وبذلك فتح اندراوس في هذا السؤال بدون قصد منهُ ليسوع بابًا لتقديم المثالة الرابعة . لم يكن جواب يسوع بعد ان سمع بوجود هذا القليل "اتركوهُ لانهُ لا يستحق الذكر". ولا قال "قدموها للجمع". بل قال "ايتوني بها الى هنا" ليعلمهم انهُ هو مصدر الخير والبركة . هو الملك وصاحب الحق . وكل ما عندنا هو لهُ يتصرَّف بهِ كما يشاء دون معارض

ولما كان الترتيب من ابواب الرقي المهمة في الدين والدنيا لا نعجب من اهتمام يسوع بهِ كمثالة خامسة . فأمر رسلهُ ان يجعلوا الناس يتكئون فرقًا خمسين خمسين على العشب الاخضر . فلو توزَّع الطعام على هذه الالوف دون ترتيب لداس بعضهم بعضًا وتغلب القوي على الضعيف واخذ البعض كثيرًا والبعض لم يأخذوا شيئًا فينتج تشويش كلي . لكن بواسطة الترتيب يتم التوزيع بسرعة ولياقة وانصاف[1] . فيرى كل مفكر في امور الطبيعة اهتمام الخالق بامر الترتيب . ويظهر ايضًا بأجلى بيان في النظام الموسوي[2]

المثالة السادسة قدَّمها يسوع لما استلم الارغفة والسمكتين . لانهُ "رفع نظرهُ نحو السماء وشكر" . فعلَّم تلاميذهُ ان كل خير حتى الطعام الذي نبتاعه هو عطية الهية . وانهُ عند تناول الطعام يجب دائمًا تقديم الشكر للمعطي الجوَّاد.

---

(١) ان فرضنا عدد النساء والاولاد الفًا على الاقل يكون المجموع ستة آلاف . فيوزّع كل رسول على خمسمئة شخص في عشرة صفوف (٢) قد يمل المطالع من زيادة التفصيل في اسفار موسى الخمسة في شرح ذلك النظام ما لم يتذكَّر ان الله قصد بهذا الشرح الوافي ان يؤيد ضرورية الترتيب في كل الامور ولا سيما في الدين. وان يرسخ جيدًا في عقول شعبهِ المختار استحسانهُ تعالى حفظ القوانين

ولا مسوّغ لحصر الشكر لله في وقت تناول الطعام فقط بل يستفاد ان الشكر يقدّم عند نيل كل نوع من الخيرات. لان "كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند ابي الانوار" (١)

وبعد ان شكر بارك وكسّر الارغفة والسمك. ثم تناول الكسر التي باركها للرسل ليقدموها للمصطفّين فرقًا على البساط الاخضر. وفي هذا العمل علمهم المثالة السابعة التي هي ان يطعموا غيرهم اولاً ثم ياكلوا هم بعدهم كما يجدر بالخدّمة الامناء. وهذه مثالة اللياقة المصطلح عليها في الضيافات. اذ يقدم صاحب البيت الطعام لضيفهِ اولاً ثمّ ياكل هو بعدهُ. (التمدن يتطلب اللياقة لكن الدين يتطلبها اكثر. فالجفاء والخشونة اللذين يتباهى بهما بعض المدّعين بالتديّن زاعمين انها علامة عدم اكتراثهم للامور العالمية هما عكس التديّن الصحيح).

في اثناء هذا التوزيع على هذا العدد الغفير حدثت معجزة الاكثار. قيل انهُ "قسّم السمكتين (٢) على الجميع بقدر ما شاءوا. فاكلوا وشبعوا جميعًا". وليس ذلك فقط بل ان القطع التي لم تؤكل كانت اضعاف الموجود اصلاً

بهذه الحادثة المؤثرة الغنية بالفوائد طبع يسوع على عقول تابعيهِ وقلوبهم مثالتهُ الثامنة المهمة جدًا. اذ جعلها مثالة نظرية محسوسة تعلمهم استعدادهُ ليأخذ خدمتهم الدينية الضعيفة وكلامهم البسيط ويضع فيهما قوةً وتأثيرًا ليزيد فعلها اضعاف اضعاف فعلها الطبيعي. لانهُ يأخذ ما يقدّم لهُ ويزيدهُ ثم يعيدهُ لمقدمهِ زائدًا. فالنفوس والاجساد مع قواها ومواهبها ومعارفها ثم المقتنيات والاوقات والمساعي والاشغال كافةً حتى والعيال الاعزّ جدًا مما سواها اذا تكرّست لهُ يقبلها ويباركها ويجعلها تزيد كثيرًا نموًّا وفائدةً عما لو نقصت لها بركتهُ المثمرة. فاعظم تشجيع لفاعل الخير المتواضع ياتيهِ من يقينهِ بان الذي اشبع

(١) يع ١:١٧ (٢) ليس في بحيرة طبرية من اسماك البحر الكبيرة

الالوف بالزاد الزهيد مستعد ان يرافق خدمتهُ الحقيرة ببركتهِ الفيّاضة بما كثيرًا

اما السؤال عن كيفية هذا الاكثار في الطعام فعبث لانهُ لم يصرّح بهِ. فاما انهُ زاد بين يدي يسوع اثناء مناولتهِ الرسل ليظهر بذلك ان فعل التكثير فعلهُ. او انهُ كثر بين ايدي الرسل تنشيطًا لهم وتعليمًا بان المعطي يُعطى ويزاد لهُ وفقًا لقول الحكيم "يوجد من يفرّق فيزداد ايضًا ومن يمسك اكثر من اللائق وانما الى الفقر"(١). لان البركة تحلّ لا على ما نخزنهُ بل على ما نوزّعهُ

بقيت مثالة اخرى نهائية هي التاسعة قدمها يسوع لرسلهِ. وهي مثالة الاهتمام بالفضلات والكسر واعتبار الصغائر. لانهُ يخشى ان يستخفّ الرسل بالكسر الفاضلة بعد المعجزة التي جرت امام عيونهم. وان يقولوا هل يُحتمل ان الذي اوجد من هذا القليل كفاءة لعدد كهذا يفتكر بفضلات الكسر الساقطة على العشب؟ نعم يسأل. لان قانونًا من قوانين عنايتهِ هو "لكي لا يضيع شيء"

"لا تحقرنَّ صغير أمرٍ انما تلك الصغارُ الى الكبارِ دليلُ"

يتحوّل الفكر من وليمة يسوع البسيطة في البرية الى وليمة هيرودس التي سبقتها في قصرهِ الشاهق. في السابقة جلس الآكلون متحلّين بملابسهم الثمينة على أسرّة مزخرفة معدّة للتنعّم. واكلوا طعامًا فاخرًا نادرًا وارتشفوا المسكرات الكثيرة الثمن بآنية فضية وذهبية مرصعة بالجواهر بينما كانت آلات الطرب بيد الماهرين في العزف تشنّف آذانهم. وكانت النتيجة السكر والخلاعة وقتل نبي الله العظيم وانحدار هذا الملك وضيوفهِ الى الهلاك الابدي

اما في وليمة يسوع تحت القبة الزرقاء فجلس ضيوفهُ على أسرّة العشب الاخضر واكلوا كسرًا من خبز الشعير وسمك البحيرة وارتشفوا الماء الزلال من آنية هي ايادٍ خشنتها معاطاة الاشغال ولم يطرب آذانهم الاّ تغريد الطيور

(١) ام ١١: ٢٤

الاليفة . اما نتيجة هذه الوليمة فكانت الشبع الصحي العجيب لألوف من البسطاء الشاكرين . وايجاد حياة روحية جديدة في الكثيرين الذين آمنوا بصاحب الوليمة الجليل . وتقديم تعاليم جوهرية والاشارة الفعلية الى كسر جسدهِ العتيد في موتهِ على الصليب . وبذلك يعطي جسدهُ ماكلاً حقًّا روحيًّا لاجل حياة العالم

لما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا "ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتي الى العالم" اي النبي الذي وعد بهِ موسى[1] وسيكون "مثل موسى". موسى أطعم آباءهم في البرية المن والسلوى وها يسوع يطعمهم في البرية خبزًا وسمكًا . فهذا هو بالحقيقة ذاك النبي

احتفاء الشعب بيسوع كان كاللهيب في القش متقطعًا يهبُّ ثم يخمد . وقد تكون الهبَّة العظمى قبيل انطفاء اللهيب . فهاج الشعب احتفاء بهذا النبي وابتدأ يتحدث بالمناداة بهِ ملكًا بدون انتظار طلبهِ او استحسانهِ . ربما استشاروهُ ولما رأوا انهُ رفض بتاتًا عزموا على "اختطافهِ" واقامتهِ ملكًا على رغم ارادتهِ . واستنادًا على قوَّتهِ الظاهرة في معجزاتهِ يختفون النجاح في هذا المشروع فيخلعون اولاً ملكهم الشرير هيرودس وربما يتاصونهُ على فعلهِ الشنيع في قتلهِ نبيهم المعمدان . لانهم لم يشاركوا رؤساءهم في رفضهِ وكرههِ . ثم ينادون يسوع مسيحهم وملكهم ابن داود . ويشهرون الحرب على الجيوش الرومانية المرابطة في بلادهم . ويتقدَّمون من انتصار الى آخر على الممالك حولهم فيصيّروا شعوبها خدَّامًا لهم الى ان يصبح العالم باسرهِ في قبضة ايديهم

لا غروَ ان هذا التيار الخيالي المذهش من اعمال ابليس الذي يرغب في ان يحتفل الشعب بيسوع على هذه الصورة . وربما وُجد في التلاميذ ايضًا ميل يقوّي هذا العزم في الجمهور . ولاسيما لان رسلهُ كانوا يتوقعون بكل تاكيد تعيينهم في المقام الاول والقيادة في هذه المملكة العظيمة . فعلم يسوع بهذا واستدرك الامر

(١) تث ١٨: ١٥ و١٨ و١٩

وكانت خطوتهُ الاولى فصل تلاميذهِ عن الجمهور المتهيج لهذا العمل . قال البشير انهُ " الزمهم ان يدخلوا السفينة ويسبقوهُ الى العبر حتى يكون قد صرف الجمع " . لم يسهل عليهم ترك سيدهم في آنٍ نجاحهِ الباهر وارتفاع صيتهِ الى أوجهِ . في حين يخال لهم ان باب العظمة العالمية والثروة الزمنية قد فتح امامهم[1] . ان كان في صرفهم استعمل شيئاً من العنف نظراً لممانعتهم نراهُ يردف العنف باللطف . لان البشير يذكر صريحاً انهُ " ودّعهم " . اي انهُ مع كونهِ يفترق عنهم ساعات قليلة فقط فانهُ يودّعهم وداعاً حيّاً يحقق لهم بهِ عواطفهُ الحارّة نحوهم

وخطوتهُ الثانية صرف الجمهور الامر الذي مهّد طريقهُ بصرف التلاميذ اولاً . وكانت خطوتهُ الثالثة انصرافهُ هو وصعودهُ منفرداً الى الجبل ليصلّي . يذكّرنا فعل ابليس في افكار الجمهور في هذا الوقت بالتجربة الثالثة العظيمة التي قدمها ليسوع في البرية قبل الآن بسنتين لما وعدهُ بكل ممالك العالم ومجدها . فإعادة هذه التجربة في ظروفهِ الحالية تستدعي صلاة خصوصية للآب ملافاةً للاخطار الجديدة . ولذلك انصرف الى الجبل منفرداً . ولما رأى الناس ان يسوع لم يسافر مع رسلهِ في السفينة راجعاً الى وطنهِ في العبر توقعوا رؤيتهُ في تلك النقطة في الغد . فلم ينصرفوا الى اماكنهم البعيدة

(١) لا يستبعد ان الاسخريوطي كان المحرك الاعظم بين الرسل في هذه الحركة السياسية تحت طي المظاهرة بالغيرة لتعظيم يسوع وكمانهُ مقاصدهُ ومطامعهُ الذاتية يجرُّ معهُ سائر زملائهِ بسهولة الى الاشتراك في مشروع الجمهور الجديد

الفصل السابع والعشرون

(مت ١٤: ٢٤ — ١٥: ٢٠ مر ٦: ٤٧–٧: ٢٣ يو ٦: ١٦–٧١)

(المرصّع) ف ١٨ و ١٩ و ٢٠ (الزمان) نيسان السنة ٢٩م (المكان) بحر الجليل او جنيسارت

المشي على الماء — ارتعاب الرسل ومشي بطرس على الماء — خطاب يسوع لجموع في خبز الحياة. ارتداد كثيرين عنهُ. الاكل بايدٍ غير مغسولة. تمسك اليهود الفارغ بالتقاليد وتوبيخهُ اياهم على شرّ الرياء. ماهية الطهارة والنجاسة

اسباب شتى خصوصية دعت يسوع للصلاة منفردًا. منها قتل المعمدان. واستيلاء الوهم على القوم بخصوص الملكوت الجديد. وانقياد الرسل الى هذا الضلال. وعلمهُ بان اكثر الذين تظاهروا انهم معهُ سيتخلّون عنهُ. وفيما هو يصلي على الجبل وحدهُ في الليل ورسلهُ في السفينة وقع اضطراب في البحيرة اذ "هاج البحر من ريح عظيمة تهبّ وكانت السفينة معذّبة من الامواج لان الريح كانت مضادّة". لم يكن الرسل قد نسوا فعل يسوع في النوء قبل هذا الوقت بنحو نصف سنة[1]. ولكن كان آنئذٍ معهم في السفينة. اما الآن فيخيفهم غيابهُ. فهل فطنوا يا ترى ان الذي يشفي العليل بكلمة وعن بعد يستطيع ان يحفظ ويعطي السلامة عن بُعد ايضًا

وما زالوا يصارعون النوء الى قرب الصباح[2]. ومع كل الجد في التجذيف

---

(١) انظر ف ٢٤ (٢) المربع الرابع هو الساعات الثلاث التي فيها يبتدىء الصباح

بايدي هولاء الرجال الممرنين وهم في شرخ الشباب لم يتمكّنوا من قطع اكثر من ثلثي المسافة بين الشاطئين اي نحو ثمانية الآف ذراع فقط. يسوع في مخدع الصلاة الهادئ على الجبل عالم بعذابهم وهم لا يدرون (١). وهو المحب الذي لا يريد عذابهم الاّ بمقدار ما يؤول لخيرهم. فلما رأى اضطرابهم والخطر عليهم نزل من الجبل ومشى على البحر الهائج معتليًا امواجهُ في هبوطها وارتفاعها كانها اليابسة وهو مسرع للافراج عنهم

هذا هو الكلمة "الذي كلُّ شيء به كان". وقد وصفهُ ايوب بقولهِ "الباسط السموات وحدهُ والماشي على اعالي البحر" (٢). رفقًا بهم لم يتجّه نوًا الى السفينة لئلاّ يخيفهم. بل مشى مارًّا بقربهم كأنهُ يتجاوزهم. لاشك انهم ألفوا القصص الخرافية الدارجة في كل عصر عن ظهور اشباح روحية مزعجة. والآن يشاهدون لاوّل مرّة في حياتهم روحًا او خيالاً من الحُكى عنها. فصرخوا مرتعبين قاصدين إخافة هذا الخيال ليبتعد عنهم. ولكن اتى صدى صراخهم خلاقًا لما انتظروا. لان هذا الخيال اجابهم بصوت لا يُشتبه بهِ وبكلام ملؤهُ الاطمئنان الحبي قائلاً "تشجعوا انا هو لا تخافوا". فهذا الصوت الحنون والمشجع يسمع حيثما يوجد مؤمن حقيقي مضطرب من جراء هموم الدهر ومخاوف الحياة. ولاسيما متى كان انزعاجهُ مسبّبًا عن ثقل خطاياهُ ومخاوف الابتعاد الابدي عن الله

فلما اقترب المتكلم وعرفوهُ تمنّى بطرس الجسور ان يتشبّه بسيدهِ في المشي على الماء. فصرخ "يا سيد ان كنت انت هو فمُرني ان آتي اليك على الماء". فهل يسمح لهُ بما طلب و يصرف النظر عن شكهِ في قولهِ "ان كنت انت هو" بعد قول سيدهِ "انا هو"؟. نعم اذا كان بذلك يقدر ان

(١) من قول يوحنا ان فصح اليهود كان قريبًا نعلم ان الليل كان منارًا بضوء القمر. وكان يسهل مراقبة حركات البحر والسفينة من على الجبل حيث كان يسوع

(٢) اي ٩:٨

يُري تلاميذهُ ان كل شيء مستطاع عند الله . فمتى شاء يمكّن الانسان من فعل المستحيلات . وقد عرفنا من الماضي ان يسوع ينظر بعين الاعتبار الى كل حركة فيها ولو ذرّة من الايمان ليثيبها فقال له "تعال"

نجح بطرس في اول الامر لانهُ "نزل من السفينة ومشى على الماء ليأتي الى يسوع" فلان كل فكرهِ ونظرهِ متجهان الى يسوع لاخوف عليهِ بل يفعل المستحيل. لكن نجاحهُ ادّى الى فشلهِ . لانهُ ابتدأ يفتكر بذاتهِ ويفتخر بعملٍ لم يسبقهُ اليهِ احد فحوّل فكرهُ ونظرهُ من يسوع الى نفسهِ . فابتدأت الامواج الهائجة ترعبهُ حالاً واخذ يغرق . ولم تفدهُ معرفتهُ السباحة . وصار يحسد رفقاءهُ في السفينة بعد ان كانوا يحسدونهُ لما مشى على الماء . ولسبب خوفهِ زاد الخطر عليهِ فصرخ "يا رب نجّني" . ففي الحال مدّ يسوع يدهُ وامسك بهِ ونشلهُ . ثم وبّخهُ بقولهِ "يا قليل الايمان لماذا شككت"؟ فصحّ فيهِ كلام داود النبي "نشلني من مياهٍ كثيرة"[1] فطوبى لكل من يسمع هذا الصوت اللطيف المحب في توبيخهِ قائلاً "لماذا شككت"؟ كم وكم من الذين ولّد فيهم الادعاء بالمعارف او الافتخار العالمي شكوكاً دينية يوبخهم المخلص عليها

كانت نجاة بطرس من الغرق نتيجة مسك يسوع اياهُ لا مسكهُ يسوع. وهكذا تكون نجاة الخاطئ عند ما تكلّ يداهُ وتغمض عيناهُ ويرتخي تمسكهُ بالمخلص فلا يرى امامهُ الاّ الهلاك . ولكن متى فطن ان المخلص المحب المقتدر الذي لا يعيى ولا ينام ماسكٌ بهِ فيجعل الرجاء مكان اليأس

لما ظن التلاميذ في السفينة انهم رأوا خيالاً صرخوا ليبعدوهُ عنهم . اما الآن "فرضوا ان يقبلوهُ في السفينة" فصعد اليهم . وبمجرّد دخولهِ اليها "سكنت الريح وللوقت صارت السفينة الى ارض جنيسارت التي كانوا ذاهبين اليها"[2] اعترف البشير مرقس (لسان بطرس) ان الرسل "لم

(١) مز١٨: ١٦ (٢) لما فارقوا يسوع على الشاطئ الشرقي قصدوا الذهاب الى كفرناحوم لكن النوء اضطرهم ان يتوجهوا الى ارض جنيسارت جنوباً . ومنها ذهبوا الى كفرناحوم

يفهموا بالارغفة اذ كانت قلوبهم غليظة" . فلما رأوا هذه العجيبة الثانية في اليوم الواحد "بهتوا وتعجبوا جدًّا" . مع ان يسوع اسكت هذا البحر من اجلهم منذ بضعة اشهر . نراهم حالما ارسوا يتقدمون ويسجدون لهُ بجودهم الاوّل لجماعة قائلين "بالحقيقة انت ابن الله"

كان قد اثّر كثيرًا في العموم شفاء المرأة بمجرّد لمس ثوبهِ لذلك لم يكد يحطّ البر حتى تقاطروا اليهِ من كل الجهات واضعين مرضاهم على اسرّة في الاسواق "لكي يلمسوا ولو هدب ثوبهِ فقط. وجميع الذين لمسوهُ نالوا الشفاء" علمنا قبلاً ان الشفاء حصل بواسطة لمس يسوع المرضى . فالآن نرى الشفاء بواسطة لمس المرضى يسوع . ونستفيد ان الخلاص مركّب من اللمس المتبادل بين المخلص والخاطئ . لكن لمس المخلص للخاطئ هو الاسبق والافعل وعليهِ الاعتماد

عند شق فجر اليوم التالي ابتدأ الجمهور الذي كان ينتظر يسوع في عبر البحر ينتش عنهُ . المعلوم عندهم انهُ لم يدخل السفينة مع رسلهِ بل صعد الى الجبل وحدهُ . وانهُ لم تكن سفينة اخرى هناك تقلهُ الى الشاطئ الجليلي . ففضى هذا الجمهور ليلهُ في البرية عازمًا على العود الى الاوطان بموكب يقودهُ هذا النبي المقتدر بعد عودهِ صباحًا من الجبل

فالريح الغربية التي قاومت سفينة الرسل واعاقتها الى الصباح وافقت ولوصلت بسرعة الى الشاطئ الشرقي سفنًا اخرى قادمة من طبرية في الغرب . فلما فرغ صبر الجموع وخاب املهم من رجوع يسوع ركبوا السفن ليرجعوا الى الجهة الغربية وينتشوا عنهُ هناك . لان عميدًا كهذا ابتدأ يطعم الجماهير التي تبعتهُ بمعجزة كما اطعم موسى آباءهم في البرية لا يُترك فصالحهم الزمني ساقهم الى الالتصاق بشخص نظيرهِ يؤملون ان يربحهم من اتعاب كثيرة

فتعجبوا لما وجدوهُ قد سبقهم واظهروا حيرتهم في كيفية وصولهِ قبلهم . اما يسوع المترفّع عن الغايات الذاتية فلم يكترث باحتفائهم بهِ . ولم يذكر لهم معجزة مشيهِ على الماء تفسيراً لحيرتهم. ولم يمسكهُ تعظيمهم اياهُ عن توبيخ يستحقونهُ. لما "سألوهُ يا معلم متى صرت هنا". اجابهم "الحق الحق اقول لكم انتم تطلبونني ليس لانكم رأيتم الآيات بل لانكم اكلتم من الخبز فشبعتم"(١) كأنهُ يقول انتم تطلبونني ليس لاجل التعليم الروحي قوت النفس الباقي بل لاجل طعام الجسد البائد. مع اني قادر ومستعد ان اعطيكم الطعام الباقي للحياة الابدية. لاني كابن الانسان مختوم من الله الآب لهذا العمل . بقولهم هذا فتحوا لهُ الباب لتقديم خطاب عن خبز الحياة يُعدّ من اعظم خطبهِ(٢)

الذي يهمنا بالدرجة الاولى ما يكشفهُ لنا هذا الخطاب عن حقيقة شخصية يسوع. فقد اشار فيهِ ست مرات الى ضرورة اكل جسدهِ وشرب دمهِ. وكرر ثلاث عشرة مرّة انهُ نزل من السماء. وصرّح اثنتي عشرة مرّة انهُ هو الذي يهب الحياة الابدية . ولما كنا نعلم ان اعظم البشر لا يستطيع ان يهب لبعوضة ساعة واحدة من الحياة نسأل مَن هذا الذي يتعهد بان يهب الحياة الابدية للملايين المؤمنين بهِ . وست مرّات يؤكّد لسامعيهِ ان الخلاص لايكون الاّ للمؤمنين بهِ لانهُ مرسَل من الله مخلصاً . واربع مرّات يقول انهُ يقيم المؤمنين بهِ من الموت في اليوم الاخير . ثم ينفرد عن البشر في تسميتهِ الله "ابي" . وادّعى لنفسهِ انهُ قد رأى الآب وانهُ هو الوحيد الذي رآهُ . فاية صلاحية لمجرّد بشر ان يفوه باقوال كهذه ؟ بل ما كان اكذبها لو لفظها رجل ليس الاّ كاحد الانبياء . فالامر واضح اذاً ان يسوع قصد ان يفهم سامعوهُ انهُ ليس مجرّد بشر . ولانهُ فهيم ومستقيم لابدّ من تصديقهِ

---

(١) اي ليس لانكم رايتم آيات تثبت كوني مسيحكم لتؤمنوا بي (٢) اننا لمدينون للبشير يوحنا لاجل ملخص هذا الخطاب

ومن اصعب الامور عند سامعيه اليهود [١] قوله عن وجوب اكل جسده وشرب دمه. "فخاصم بعضهم بعضاً بسبب هذا الكلام" [٢]. اذ لا يخفى على المطالع كم كان محرّمًا عندهم اكل اللحم بدمه. فلا بدّ انهم اشمأزّوا من ذكر شرب دمه اضعاف اشمئزازهم من ذكر اكل جسده فحق للذين لم يعترفوا باصله السماوي ان يتذمروا من كلامه هذا. اذ يحسبون انهم يعرفون جيدًا اصله واهله [٣]. فاي حق له بهذه الاقوال؟

يصح تشبيه يسوع بالخبز من وجوه شتى. لان لا حياة الا به. ولا حياة به الا بعد سحقه. ولا حياة بعد سحقه الا بتخصيصه للنفس بفعل الايمان الذي يشبّه بفعل الاغتذاء الجسدي [٤]. فأخذ القوم باجمالٍ كلام يسوع هذا بالمعنى الحرفي فعثروا بسببه. وتناولت هذه العثرة كثيرين من تلاميذه ايضًا. ولا يزال الى الآن جمهور غفير نظيرهم من الذين يتقيّدون بالمعنى الحرفي. فأيّد صدق مقاله باشارته الى حادث عتيد عجيب جدًا اذ تنبأ لهم لاوّل مرّة عن صعوده الى السماء الذي سوف يشاهده كثيرون من تلاميذه المؤمنين. فيكون لهم حينئذٍ افضل برهان انه نزل من السماء فلا يمكن ان يتكلم الا بالصدق. ثم

---

(١) تعوّدنا ان نفهم كلمة "اليهود" في كتابات يوحنا بمعنى "رؤساء اليهود"

(٢) يظهر ان يسوع والجمهور كانوا قد انتقلوا في اثناء هذه المحاورة الى المجمع في كفرناحوم (٣) نلاحظ تمنع يسوع عن اصلاح وهم الذين نسبوا اليه الولادة من يوسف "رجل مريم" وأسباب هذا التمنع ذُكرت سابقًا ف ٦

(٤) لا يفوت القارىء التنبيه ان لا علاقة لهذا الكلام مع اكل جسد المسيح وشرب دمه في العشاء السري الذي لم يكن قد رُسم بعد. ولا بالخبز والخمر المقدسين المكرسين في ذلك العشاء. والامر ظاهر كعين الشمس ان لا معنى حرفي لقول يسوع بلزوم اكل جسده وشرب دمه في غير وقت كسر جسده وسفك دمه على الصليب. فلا سبيل لاخذ هذا الكلام الا روحيًا. وعلى فرض ان العشاء الرباني لم يُرسم يبقى هذا الكلام على قوته وصدقه. فليست حقيقة اكل جسد المسيح وشرب دمه نتيجة وضع السر المقدس. بل هذا السر نتيجة تلك الحقيقة الاساسية السابقة. وسيأتي بيان خطإ التفسير الحرفي لهذا القول في شرح سر العشاء الرباني في ف ٤٢

حذَّرهم من التفسير الحرفي بقولهِ "الروح هو الذي يحيي. اما الجسد فلا يفيد شيئًا . الكلام الذي اكلمكم بهِ هو روح وحياة"

ابان لهم ايضًا انهُ يعرف ما في قلوبهم . فيقدر ان يميّز المؤمنين الحقيقيين من غيرهم . ويعرف ان ايمان بعض تلاميذهِ سطحي . وان واحدًا منهم سيسلمهُ . وانهُ مطّلع على ذلك من البدء . واشار الى الكفّارة التي اتى ليقدمها عن الخاطئ بقولهِ انهُ يبذل جسدهُ من اجل حياة العالم . فجاء هذا الخطاب كحدٍّ فاصل بين احتفاء جماهير الجليل بهِ والرفض والعدوان الذي ما زال يعلو ويتفاقم الى ان طما فوق رأسهِ واغرقهُ بتعليقهِ على الصليب

"من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذهِ الى الوراء ولم يعودوا يمشون معهُ" ولا يُستبعد ان ايمان رسلهِ تزعزع ولو قليلاً بسبب ارتداد هؤلاء. فاستحسن ان يفتح لهم باب الارتداد لكي يختاروا اما تركهُ او تجديد التصاقهم بهِ. لكن الرسل اجابوهُ بفم بطرس سريعًا وصريحًا "يا رب الى مَن نذهب ؟ كلام الحياة الابدية عندك . ونحن قد آمنّا وعرفنا انك انت المسيح ابن الله الحي". فمع فرحهِ بجواب بطرس حزن على الرسول الخائن يهوذا الاسخريوطي . فقال مشيرًا اليهِ "أليس اني اخترتكم وواحد منكم شيطان"(١)

يتبادر الى الذهن ان الحوادث الاخيرة شوّقت الرؤساء في اورشليم الى رؤية يسوع في هذا الفصح لكي يجدوا عليهِ علّة لمحاكمتهِ واعدامهِ . لكن يسوع لم يصعد الى هذا العيد . فلما خاست آمالهم ارسلوا معتمدين ليراقبوهُ . حاسبين

(١) لا يُستبعد ان هذا الخطاب والحادث الذي ادّى اليهِ كان الحد الفاصل في حياة الاسخريوطي الخائن الذي ذُكرت الآن الاشارة الاولى الى خيانتهِ المقبلة . ونظن انهُ تبع يسوع اولاً بدافع مطامع زمنية . ولما انطفأ رجاؤهُ عند رفض يسوع مشروع اقامتهِ ملكًا وسمع هذه التعاليم الروحية الصعبة ورأى ارتداد جمهور التلاميذ عن يسوع زاد نفور قلبهِ. لكنهُ كتم ذلك الى ان طفح كأس غدرهِ اخيرًا في حادث التسليم

انهم يتمكنون على الاقل من تحريك النفور في قلوب الشعب من شخصه وكلامه وافعاله

لكن هذا الامر لا يتم باتهامه باقل مخالفة للشريعة الالهية. فلا سبيل لهم للوصول الى غايتهم الاَّ فيما يختص بشرائعهم الاضافية التي وضعها علماؤهم وتسمّى "تقليد الشيوخ". تطرفوا في تكريم هذه لدرجة تجيز القول بانهم كانوا يعبدونها ويقولون فيها اقوالاً هي بالحقيقة تجديف . من جملة كتاباتهم في هذا الموضوع ان الخالق سبحانه يقضي النهار في مطالعة التوراة والليالي في مطالعة التقاليد القديمة مع ما يجدّده منها علماؤهم حينًا بعد حين . كان عندهم مجموع من التقاليد يسمّونه "الحلقة" . فقالوا ان البارئ يرأس في السماء مجمعًا سبعينيًا نظير مجمعهم في اورشليم للبحث في قضايا "الحلقة"! لذلك بعد ان عادلوا الشرائع البشرية بالالهية لم يقفوا عند هذا الحد الحرام بل صاروا يفضّلون البشرية على الالهية . فشبّهوا التوراة بالماء والتقليد بالخمر وتفسير التقليد بالخمر المطيّبة. وشبّهوا التوراة بالجسد والتقليد بالنفس . وقالوا ان الذي يخالف تعاليم الكتبة يستحق الاعدام . واليك ما ورد في التلمود "انتبه يا ابني الى كلام الكتبة اكثر من شريعة موسى" . وقال احد علمائهم "ما اعظم جهل الكثيرين الذين يحفظون اقوال الشريعة الالهية ويهملون شرائع الربيين" . وجاء في المشنة ان من علّم تعليمًا يناقض قوانين الكتبة كان ذنبه اعظم ممن يعلّم تعليمًا ضد اوامر الكتب المقدسة[1]. "وايضًا السيف يأتي علينا قصاصًا على تفسير التوراة على خلاف تعليم التقليد . لان التوراة تتضمن وصايا عرضية وجوهرية لكن التقليد (صوقريم) لا يتضمّن الاَّ الجوهرية"

فينتج طبعًا عن كل هذا ترك شرائع الله والتمسك بشرائع التقليد متى ظهر بينها اختلاف . وتواريخ الدين في العالم تؤيد بشواهد كثيرة هذه النتيجة في كل الازمان. لان الشرائع الاضافية فوق الاصلية الالهية تفوق احتمال البشر.

(١) زمن يسوع (وجه ١٤٦)

فلا بدّ من اهمال بعضها. ولان الالهية تخالف الاميال السافطة والبشرية توافقها صار اهمال الالهية امرًا طبيعيا . ولا عذر لليهود في زيغانهم هذا . لان الانذار الالهي في هذا الصدد صريح . قال "لا تزيدوا على الكلام الذي انا اوصيكم به . ولا تنقصوا منه . لكي تحفظوا وصايا الرب الهكم التي انا اوصيكم بها"(١) . ولا عذر للمسيحيين ايضًا . لانهُ ورد في خاتمة الانجيل "لاني اشهد لكل من يسمع اقوال نبوة هذا الكتاب ان كان احد يزيد على هذا يزيد الله عليهِ الضربات المكتوبة في هذا الكتاب . وان كان احد يحذف من اقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبهُ من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب (٢)

وقد اسهبنا في هذا الشرح ليتضح للمطالع الداعي للّهجة القاسية التي استعملها يسوع في مخاطبتهِ الرؤساء في موضوع التقاليد . وان هذا المعلم السماوي الحاضر مع شعبهِ يقبح ما هو جارٍ الآن من تخويل رؤساء الدين ومجامعهم ومحاكمتهم حق وضع قراراتهم في منزلة معادلة لشرائع الكتاب الالهي المُنزَل(٣) . ولا سيما لان هذا يؤدي الى تفضيل الاضافة على الاصل منع الكلام الالهي عن العامة واناطة الاطلاع عليهِ بعلماء الدين فقط . وهولاء يقدّمون للعامة ما يشاءون من التعاليم الدينية على الصورة التي يريدونها . فرؤساء اليهود لكي يمنعوا الشعب عن مطالعة الشريعة التي تكشف الستار عن اضاليلهم علموا ان لمس التوراة محرّم على العاميين . وقد ثبت فعلاً ان اكثار الاعياد التي هي بوصايا بشرية يؤدّي الى اهمال اليوم السابع الذي هو بوصية الهية . واكثار الوسطاء والشفعاء المعينين من البشر يؤدّي الى اهمال الوسيط الوحيد المعيّن من الله . والتمسك الشديد بالفرائض الخارجية المرسومة من الناس يؤدّي الى اهمال الواجبات الادبية

(١) تث ٤:٢ (٢) رؤ ٢٢:١٨ و ١٩ انظر أيضًا اش ٢٩:١٣

(٣) قال أحد اللاهوتيين "ان الحرب القديمة بين كلام الله والتقليد لا تزال قائمة على قدم وساق" (أدي ١:٤٩٨)

الداخلية المرسومة من الله

فالوصايا البشرية اما ان توافق الالهية فتكون فضولية. او تخالفها فتكون محرّمة . او تتوسط فلا توافق ولا تخالف . واذ ذاك تكون اختيارية فلا يخطئ من بعملها. فلاحق الاّ لله سبحانهُ ان يقيّد حرية الضمير. وكل محاولة بشرية لفعل ذلك يجب ان تقاوَم شديداً[1]. فنرى ان يسوع الذي طهّر اولاً بيت ابيهِ من التجارة الذميمة [2] وطهّر يوم ابيهِ من الفرائض الثقيلة[3] يطهر الآن كتاب ابيهِ من المزيدات البشرية التي طمرتهُ. والتقليد الذي عارضهُ المختص بالغسلات الطقسية

اعتنى النظام الموسوي كثيرًا بامر النظافة لدواعٍ صحية وادبية وروحية لكي يوجّه النظر الى اهمية نظافة القلب الداخلية بواسطة ما أُمر الشعب بهِ من النظافة الجسدية . فلكي يشار الى تنجُّس النفس بواسطة الخطيئة وضع الله نظامًا لليهود من ضمنهِ ان التنجس الديني ينتج عن اهمال النظافة الخارجية. فآل ذلك الى افراز شعب الله الخاص عن الامم حولهم لصيانتهِ من اقتباس عاداتهم السيئة وعباداتهم الباطلة

لكن التقليديّون حوّلوا هذا النظام الى نير ثقيل اذ بنوا عليهِ تفنّناتهم السخيفة العديدة[4]. فقد افتى ربّيهم الشهير يوسي ان خطيئة الاكل بايدٍ غير

(١) قال احد العلماء "نرى العراك العظيم الذي قام بين المسيح والاستبداد الاكليريكي . فحارب المسيح من أجل الحرية البشرية . وفي هذا الجهاد الذي هو أعظم جهاد في التاريخ ربح الحرية لروح الانسان باعظم ثمن (الحوادث المهمة وجه ٣ و ٤ من المقدمة)

(٢) انظر ف ١١ (٣) انظر ف ١٩ (٤) تشغل تفاصيل الغسلات الطقسية وحدها بابًا كاملاً من أبواب التلمود التي تشغل نحو ستة آلاف صفحة كبيرة . وبما ان مرقس خصص بشارتهُ للأمم اكثر من اليهود نراهُ يعتني في تفسير اصطلاحات اليهود كما فعل في خبر الحادث الذي وصلنا اليهِ . فالكلمة اليونانية المترجمة "بالاعتناء" تعني "الى المعصم" . قضى عليهم القانون برفع اليدين في الاغسال لكي يسري الماء من الانامل الى المعصم . حتى اذا بقي التنجس آثار تكون في المعصم لا في الانامل التي تتناول الطعام . وكلمة غسل هي ذات المترجمة أحيانًا تعميد

مغسولة تعادل خطيئة الزناء . وقالوا ان من يهمل هذا الواجب يتسلّط عليهِ شيطان يسمّى "شبتا" يعذبهُ ليلاً على فراشهِ . قيل ان حاخامهم الشهير اكيبا سُجن مرّةً . وكان يُعطى في سجنهِ مقداراً قانونيًا من الماء يكفي غسلانهِ وشربهِ بالشح . فلما اتاهُ السجّان يوماً بما لا يكفي للحاجتين ارتبك كثيراً . فترك الشرب ليتمّ الاغتسال قائلاً "افضل الموت على مخالفة سنة اجدادي" . وكان عليهم ان يجلبوا الماء اللازم للغسلات في اوانيها ولو عن بعد ساعة ونصف

لا يقدر يسوع كمصلح ومعلم ان يجاري الرؤساء في هذه الاباطيل . وشعورهُ الرقيق لم يسمح لهُ ان يؤيّد الحرم الكبير الذي كان يوضع على من يهمل الغسلات المفروضة . فلما ابى الرضوخ لهذه الفرائض البشرية تشبّه تلاميذهُ او بعضهم بهِ . والمراقبون الذين حضروا من اورشليم لاحظوا هذه المخالفة . فاغتنموا الفرصة لتعنيفهِ . فلما وجهوا سؤالهم اليهِ انتقاداً على تلاميذهِ وهو يعلم نواياهم الخبيثة اجابهم حالاً "يا مراؤون"

المرائي يتظاهر بتديّن ظاهري لا حقيقي . وهو شرّ الاشرار لكونهِ يحقّر الدين اكثر مما يحقرهُ الكافر . والخبث شرٌّ من الفجور . فالذي يسخر دين الله لغاياتهِ الخبيثة يهين الله اكثر ممّن يجاهر بمناومتهِ تعالى . هذه هي المرّة الاولى التي فيها ألبس يسوع الرؤساء هذا اللقب المعلن خيبتهم . واطلاعهُ على اسرار قلوبهم خوّلهُ الحق بهذا الحكم وجعلهُ عادلاً . لكن لا يحق للذين لا يعلمون اسرار القلوب ان يتشبّهوا بهِ في حكم كحكمهِ

قد يمكن للمرائي الماهر ان "يخدع حتى المختارين" . ويمكنهُ ان يعاشر احد عشر رسولاً سنين معاشرة تامة متواصلة ولا يظن احد فيهِ سوءاً كما فعل الاسخريوطي . ومن الوجه الآخر يمكن ان يسقط الغير المرائي سقطات تجعل من يراها ان يتأكّد انهُ مراء . مثلاً من كان لا يحكم على سمعان بطرس انهُ مراء كبير

فكانوا يعمدون الاسرّة التي يجلسون وينامون عليها . ويظن انهم لم يكونوا يغطسونها . فيظهر ان كلمة تعميد قد تفيد غير التغطيس

لو كان حاضرًا انكارهُ في دار رئيس الكهنة وسمع الذي كان يجاهر بتفوّق محبتهِ ليسوع ينكر ويحلف انهُ ليس تلميذهُ ولا يعرفهُ ؟ مع ان هذا الحكم ظالم جدًّا. فمن هذين الشاهدين يتضح وجوب الامتناع عن الحكم من هم المرائون[1]

لم يضرب يسوع على نوع من الشر بمقدار ما ضرب على شر الرياء. وقد وجّه الى المرائين اقسى توبيخاتهِ[2]. والعالم اليوم في حاجة كلّية الى مصلحين يقتفونهُ في محاربة هذه الآفة المهلكة. والى مجتهدين في طرد هذا الشيطان الخبيث من الدوائر الدينية لكي تتفق ظواهر اهل الدين تمامًا مع بواطنهم. حينئذٍ يلبس الدين هيبة جديدة ويتمجّد الاله الذي من أسمى أسمائهِ "الحق"

نكاد لانجد في كلام يسوع ما يجوز تسميتهُ تهكمًا. لانهُ لم يستعمل المزح مطلقًا. لكنهُ في هذا الوقت قال للرؤساء تهكمًا "حسنًا رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم". ونبّههم على تشبثهم بالامور الطفيفة وتساهلهم بالامور العظيمة كالغسلات التي يفتكرون بها الآن. هي كالقذى في اعين تلاميذهِ او كالبعوضة لانها فرائض بشرية ثانوية. وبينما يتشبثون بها يهملون الشرائع الالهية الجوهرية كالرحمة والحق التي تشبّه بالخشبة الكبيرة او بالجمل. لذلك هم كمن يبلع الجمل ويصفّي عن البعوضة[3]. او الذي يطلب اخراج القذى من عين اخيهِ والخشبة في عينهِ[4]

أيّد دينونتهُ هذه بشاهدٍ مما اصطلحوا عليهِ في النذور والاوقاف. أذن التقليد لاي من شاء ان ينذر او يوقف لله ما كان يجب عليهِ ان يعول بهِ والديهِ العاجزين. حتى متى طلب منهُ والداهُ احتاجاتها يجيب انهُ نذرها لله

---

(١) يرى الناس زلّات اهل الدين لكنهم لا يرون محاربتهم الداخلية ضد الاميال والافكار الشريرة ولا توبتهم السرية ولا الدموع التي يذرفونها في الخفاء كما فعل بطرس على أثر سقوطهِ المشين (٢) الوسيلة الفضلى أو الوحيدة لاصلاح المرائي هي كشف رياهُ لهُ ونزع الوجه المستعار الذي يلبسهُ. فالعنف في معاملتهِ هو عين الحكمة والرحمة أملاً باصلاحهِ (٣) مت ٢٣: ٢٤ (٤) مت ٧: ٣

وان الله اولى منهما. وانهُ نفع والديهِ بنذرهِ هذا اكثر ما لو اعطاهما المال لانهما يُثابان معهُ على غيرتهِ في خدمة الله! ولكون ما كان عليهِ لوالديهِ قد تقدَّم لله فلا سلطة لهُ بعد ان يحوّلهُ لهما. وسلطتهُ على ربع ما نذرهُ تبقى لهُ ان شاء ان ينفقهُ على ذاتهِ. لكن ليس على والديهِ[1] فنتج عن ذلك ان كل انسان وقع بينهُ وبين والديهِ او احدهما خلاف وخطر على بالهِ في ساعة حمقهِ ان يقول لهما "قربان" يتقيد بذلك ويحرَّم عليهِ من قبَل الرؤساء ان يعول والديهِ ما قال عنهُ "قربان". لذلك كرَّر يسوع حكمهُ عليهم بقولهِ "فقد ابطلتم وصية الله بسبب تقليدكم"

ثم انتقل من مخاطبة هولاء المرسلين المثلين الرؤساء "وقال للجمع اسمعوا مني كلكم وافهموا". وابتدأ يوضّح لهم بطلان ما تعوَّدوهُ من الاعتناء الزائد لئلاَّ يدخل في افواههم شيء يسبب لهم تنجُّسًا طقسيًا. الحارس لمنع التنجُّس يجب ان يقف على باب القلب لا على باب الفم. لان مركز الشيطان في الانسان ليس في المعدة ليهتم الانسان اهتمامًا كليًا بما يدخل الى جوفهِ بل في القلب. وليس التحذير الحقيقي مما يدخل في الانسان بل مما يخرج منهُ. ولا يُعد الانسان نجسًا الاَّ متى خرجت منهُ كلمة نجسة او فعل فعلاً نجسًا فيكون برهانًا على نجاستهِ الداخلية

ومع ان التلاميذ تشبَّهوا بهِ باهمال الغسلات المفروضة لكنهم لم يفهموا المبدأ الديني المتبع في ذلك. فاستصعبوا خطتهُ في كلامهِ القوي الذي ينكّر الرؤساء منهُ. فتقدَّموا اليهِ وقالوا لهُ "أتعلم ان الفريسيين لما سمعوا القول تفروا؟" فيا للعجب كيف يجهلونهُ الى الآن ويسألونهُ "أتعلم". لما تركوا الجمع ودخلوا البيت سألوهُ تفسير ما قالهُ. فوبخهم بقولهِ "هل انتم ايضًا حتى الآن هكذا غير فاهمين؟" لكن لبّى طلبهم واوضح لهم الامر بالاختصار وبكلام يستحق

(١) هذا التقليد مع تفسيرهِ كان موافقًا جدًا للمستولين على ايرادات الهيكل. فلا عجب انهم استنبطوهُ واثبتوهُ لانهُ كان يكثر النذور للهيكل فتكثر ارباحهم منها

مزيد الاعتبار. اذ قال " ان كل ما يدخل فم الانسان من خارج لا يقدر ان ينجسهُ . واما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر . وذلك ينجّس الانسان . لانهُ من داخل من قلوب الناس تخرج الافكار الشريرة قتل زنى فسق سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة شهادة زور تجديف كبرياء جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل . هذه هي التي تنجس الانسان . واما الاكل بايدٍ غير مغسولة فلا ينجس الانسان "

الفصل الثامن والعشرون

(مت ١٥: ٢١-٣١ مر ٧: ٢٤-٣٧)

(المرصع) ف ٣٠ (الزمان) نيسان السنة ٢٩ م
(المكان) نواحي صور وصيدا والمدن العشر

ذهاب يسوع ورسله الى البلاد الفينيقية. شفاؤه ابنة مجنونة هناك. شفاعة الرسل والقديسين. ايمان والدتها العجيب بعد امتحان يسوع اياها شديداً. رجوعه الى العشر المدن. شفاؤه اصمّ اعقد هناك

جاء الصيف وبدخوله تأهب يسوع لترك الجليل. لان العوامل المتنوّعة التي رأيناها مؤخراً والتي من شأنها عرقلة اعماله توحي اليه بالانصراف الى جهات اخرى. ومن الآن فصاعداً لم يَعُد يُذكَر انه وعظ في مجامع الجليل. وكمخلص عمومي لا بدّ من التفاته ولو جزئيًّا الى نقطة اخرى في القسم الواسع من العالم الذي تحت سلطة العبادة الصنمية

فبانتقاله الى بلاد أُمميّة يحصل هو ورسله على بعض الراحة الجسدية والعقلية لان الازدحام عليه يخفّ بين اناس يجهله اكثرهم. وينال ايضاً غايته اذ يتفرّغ بتعليم رسله استعداداً لتركه اياهم. فيبرؤينهم بلاداً جديدة تتسع مداركهم. ويبتدئ فيهم الاستعداد لوصيته الوداعية ان "يتلمذوا جميع الامم ويكرزوا بالانجيل للخليقة كلها"[1]. وسيرون في هذه السياحة شاهداً جديداً

---

(١) مت ٢٨: ١٩ ومر ١٦: ١٥

على صدق نبوّتهِ لما قال في مسامعهم "يأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات" (١). فيعلّمهم بالمشاهدة ان الدين ليس بالارث بل بالايمان. لذلك انصرف معهم الى نواحي صور وصيدا فخر البلاد الفينيقية حيث اراهم عالمًا جديدًا والبحر الكبير

حُسبت البلاد الفينيقية على رغم ضيق نطاقها من أهمّ الممالك القديمة من حيث علومها وصناعتها وتجارتها. لانها كانت دولة بحرية بل سيدة البحار (٢). فتتصوّر دهش هؤلاء الصيّادين الجليليين لما اشرفوا على هاتين المدينتين من المرتفعات فوقهما لانهم يرون الاحواض المتسعة ملأى من السفن الكثيرة الكبيرة الحجم التي تخر البحار حاملة التجارة الفينيقية. فاين المقابلة بين هذه السفن وبين قواربهم على بحيرة طبرية؟ وبرون المعامل الكبيرة التي كان يصعد دخانها الكثيف تشتغل بصنع آنية الخزف والزجاج والنحاس والحديد. والهياكل والقصور الفخمة والبساتين الزاهية الواسعة

ولا يبعد ان يكون قد ذكّر يسوع تلاميذهُ كيف تخصصت هذه المقاطعة عند تقسيم الارض على بني اسرائيل لسبط اشير. ولكن لسبب زيغانهم عن الله بقيت مع غيرها خارجة عن حوزتهم (٣). "فدخل بيتًا وهو يريد ان لا يعلم أحد. فلم يقدر ان يخفى" اذ كيف يمكن ان تُخفى الرائحة الزكية التي كانت تفوح من شخصهِ الكريم؟ كان قد وصل الى هذه الاصقاع شيءٌ من صيت حنوّهِ ومقدرتهِ لان بعض اهليها كانوا قد ذهبوا اليهِ سابقًا الى كفرناحوم (٤). ويستحيل ان

(١) مت ٨: ١١ (٢) عظمة صور وصيداء الفائقة قديمًا امر اشتهر في التواريخ كما في الكتاب المقدس (٣) قيل في الكتاب حي غضب الرب على اسرائيل وقال من أجل ان هذا الشعب قد تعدّوا عهدي الذي اوصيت به آباءهم ولم يسمعوا لصوتي فانا ايضًا لا اعود اطرد انسانًا من امامهم من الامم الذين تركهم يشوع عند موته. فهؤلاء الامم الذين تركهم ... اقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون الى مدخل حماه قض ٢: ٢٠ و٢١ و٣: ١ و٣

(٤) مت ٤: ١٣ ومر ٢: ١ ولو ٤: ٣١

مسافرًا مهوبًا كيسوع يدخل قرية مرافقًا بتلاميذ كالرسل ومن معهم الاَّ ويسأل الناس عن امرهِ . فسمعت بهِ امرأة واقعة في مصيبة عظيمة اذ كانت ابنتها مجنونة جدًّا لان بها روح نجس

ومع احتقار شعبها لليهود سجدت عند قدمي يسوع . وصرخت باحترام قائلة "يا سيد". ربما فهمت انهُ من اشرف عائلة عند اليهود . او علمت ان مسيح اليهود يكون ابن داود. فظنَّت انها تعظّمهُ وتسرّهُ بمناداتها اياهُ "ياسيد يا ابن داود". لكن اذا كان ابن داود فقط والمسيح الذي صوّرهُ اليهود لا ينفعها بشيء . لانهُ يكون مخلّصًا سياسيًّا عالميًّا لا يبالي الاَّ باليهود ويرفض جميع الامم عبدة الاصنام نظيرها لانهُ يعدُّهم كالكلاب المكروهة المطرودة[1]. فطلبت منهُ الرحمة. لكنها لم تقل ارحم ابنتي بل "ارحمني". مصيبة الجنون تتنوَّع عن غيرها من المصائب في ان كل ثقلها يقع ليس على المصاب بل على اهلهِ . فهذه الابنة لا تشعر ولا تهتمّ لمصيبتها . لكن الحنو الوالدي جعل مصيبة الأُم جسيمة جدًّا . ولا سيما لانها امرأة ممتازة في صفاتها كما في مصيبتها . ونحن نعلم ان الصلاح لا يحمي من المصائب . بل قد يكون موجبًا لازديادها كما في الاضطهاد . وكما ظهر في تاريخ ايوب الصديق . قد صدق داود بقولهِ "كثيرة هي بلايا الصديق"[2]

فهذه المرأة كرَّمت يسوع وسجدت لهُ واستنجدت بهِ بحرارة . لكنهُ لم يجبها بكلمة[3]. وظهر انهُ خرج من البيت متوجهًا الى محل آخر . فتبعتهُ مكرّرة صراخها وهو لا ينتبه اليها . لكنها لم تيأس . لعلها رأت فيهِ ما حقّق لها على رغم

---

(١) هي اممية كنعانية من الشعب الذي امر الله باخراجهِ من البلاد وابادتهِ لئلا يطغي شعبهُ اسرائيل المجاور لهُ (تث ٧:٤ و١٢:٢ و٣٣:٢٧) وقال البشير انها فينيقية سورية تمييزًا عن فينيقية افريقة التي عاصمتها قرطجنه في بلاد الغرب (٢) مز ٣٤:١٩

(٣) قال يوحنا فم الذهب عن هذا السكوت "ختم النبع وامسك الطبيب عن العليل علاجهُ"

سكوته ان صيته في الحنو ليس كاذبًا وانها تحصل بواسطة اللجاجة على بركة منه. ولعل سكوته ناتج عن اشتغال افكاره في امور أُخرى أهم من أمرها . يكفي انهُ لم يضجر من صراخها ولم ينتهرها. فتشجعت على اللجاجة في الطلب. هو سكت لكن هي لم تسكت

اما الرسل فضجروا من لجاجتها . لان تأثير تربيتهم اليهودية لم يزُل بعد وكيهود يتنجسون منها . فارادوا ان يلبي يسوع طلبها ولو لاجل راحتهم من "صياحها وراءهم" . فتقدموا وطلبوا اليهِ ان يصرفها . هل يرتاب احد في شفاعة الرسل هنا وحصول المرأة على مطلوبها بمداخلتهم ؟ نعم يرتاب المفكر اذ يرى في هذه الشفاعة محاولة القاصرين ارشاد الكامل . ولذلك لا نستغرب فشل هذه الشفاعة في رفض يسوع مداخلتهم . والحق ان سكوتهُ عن طلبها كان عليها ضربة خفيفة بالنسبة الى جوابهِ على شفاعة الرسل لاجلها . قال "لم أُرسل الاّ الى خراف بيت اسرائيل الضالة"

هذا الصائغ الماهر قد وضع الذهب في البوتقة لكي يكرّرهُ فيخرج مصفًى. فان رفعهُ عن نار الامتحان سريعًا لا يتمّ الخير المقصود . والذي "يعلم ما في الانسان" اكتشف في قلب هذه المرأة جوهرة الايمان فقصد صقلها ليزيد لمعانها . وحبًّا لخيرها لا يرضى بالصقل الخفيف . فبينما نرى الرسل القساة الذين طلبوا ان تنزل نار من السماء لتهلك الذين لم يضيفوهم[1] حلماء يتشفعون بالام الحزينة نرى الذي فاق جميع البشر حلمًا ورقةً يظهر القساوة في سكوتهِ اولاً ثم في رفضهِ طلب رسلهِ لاجلها . يقال حقًّا ان في بعض الظروف لا يجوز الحكم حسب نظر العين وسمع الاذن

لكن كيف يخصّص مخلص العالم والمصلح العمومي ذاتهُ لخراف بيت اسرائيل فقط ؟ قال بولس الرسول ان يسوع المسيح "قد صار خادم الختان من اجل صدق الله حتى يثبّت مواعيد الآباء"[2]. فلو خرج بين الامم لحال

(١) لو ٩: ٥٢—٥٦ (٢) رو ١٥: ٨

ذلك دون اصغاء اليهود اليهِ وهم أحق بالبشارة اولاً. ولم يشاء ان يفتح لرفضهم اياهُ باباً باشراكِ الامم معهم في خدمتهِ في تلك الاشهر القليلة التي لا تفي بخدمة اليهود والامم ايضاً. وحبًّا لتلاميذهِ فضَّل ان يترك لهم العمل الاوسع والشرف الاعظم بتبشير الامم بعد ذهابهِ عنهم مصرِّحًا لهم انهم سوف يعملون اعمالاً اعظم من اعمالهِ[1]. لذلك نراهُ يتنحَّى غالبًا عن العمل العمومي بين الامم[2]

قيل حقًّا ان الريح التي تطفئ الشمعة تزيد الحريق الكبير اضطرامًا. فالصدمة التي تطفئ الايمان الضعيف تزيد الايمان القوي قوَّةً. فنرى هذه المرأة تتقدَّم وتجدِّد استنجادها كأن الرفض يزيد قوة ايمانها فسجدت ثانيةً وصرخت "أعنِّي". كان مفعول هذه الكلمة الواحدة البسيطة الصادرة من قلب ملتهب اعظم من كل الصلوات الفصيحة التي تقدمت في الهيكل العظيم في ذلك اليوم. أفلا يترأف الآن هذا السيد الصارم؟ ألا يكفي هذا القدر من احتراق قلبها؟ كلاَّ. لان هذا الرؤوف يريد ان ينيلها مجدًا اعظم بعد تزكية ايمانها بامتحان جديد أمرَّ من الاوَّل

لما نقرأ جوابهُ على صراخها "اعنِّي" نقول ليتهُ بقي ساكتًا كما في الاوَّل. وليتهُ لم يلفظ ذلك الكلام الجارح "دعي البنين اولاً يشبعون. ليس حسنًا ان يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب". ألا يشك من يقرأ هذا الجواب لعل احد مبغضي يسوع ماهرٌ في التزوير قد اختلقهُ. أيحتمل ان يخرج كلام كهذا من فم ذلك الذي أحبَّ العالم باسرهِ كبيرهُ مع صغيرهِ واميرهُ مع فقيرهِ صالحهُ مع طالحهِ حتى بذل نفسهُ عنهم؟[3]

---

(١) يو ١٤: ١٢ (٢) هذه هي قاعدة خدمتهِ القانونية. انما الشذوذ يسمح لهُ ان يضع البذرة الصغيرة في الحقل الامي خلافًا للقاعدة لكي يعطي لتلاميذهِ مثالاً ينير طريق مستقبل خدمتهم (٣) تذكرنا هيئة صرامتهِ الوقتية بيوسف وهو متولٍّ ادارة المملكة المصرية لما قابل اخوتهُ الذين استعطفوهُ ولم يجهلوهُ (ولا سيما بنيامين حبيبهُ الخاص) مقابلة صارمة جدًّا لقصد حبي بها قلبهُ الطاهر بدفنت حنوًّا عليهم حتى غصَّ بالبكاء

ان هذه المرأة نظرت اليهِ كابن داود ومسيح اليهود وحدهم . واذ ذاك لا حصة لها مطلقًا في عطاياهُ وبركاتهِ . ولا يقدر ان يجعل لها هذه الحصة الاَّ بعد ان تعرفهُ وتعترف بهِ مسيحًا للأمم ايضًا . فتلخ لها بجوابهِ السامي بابًا تتصل منهُ الى هذهِ المعرفة وهذا الاعتراف . هو "ملاك العهد" الذي سعى ليعقوب حفيد ابرهيم في ساعة يأسهِ ان يصارعهُ عند مخاضة يبّوق . وان يمسكهُ الى ان ينال البركة المطلوبة[1] . نراهُ الآن يسعى لهذهِ المسكينة الكنعانية ان تصارعهُ وتتغلب عليهِ وتنال سؤلها

ففي عظم تواضعها مع عظم احتياجها صارعتهُ في احتجاجهِ وحوّلت حجتهُ عليها الى حجة جديدة لها . هذه بلاغة الاحتجاج[2] . ألم يقل لها يسوع "دعي البنين اولاً يشبعون" اذًا الكلاب تأخذ دورها بعد البنين . فجعلت يسوع بوضعهِ اياها بين الكلاب يعترف ان لها حقوقًا . وان كانت ادناها . لان أب البنين حول المائدة هو ايضًا رب الكلاب تحت المائدة . فان كانت هي من الكلاب فللكلاب ارباب وهو اذًا ربها . ولها الفتات الفاضلة عن البنين

في ايمانها هذا اعطت مثالاً يوضح شيئًا عن الايمان . لو كان ايمانها ايمان الراس فقط نظير ايمان كثيرين لاقنعتها معاملة يسوع اياها ان تتركهُ وان لا نصيب لها عندهُ . لكن لان ايمانها قلبي نظر الى ما وراء الظواهر وحقق ان يسوع لا بردّ طلب مستغيث ولو أجّل الاغاثة او كان ظاهر كلامهِ رفضًا . فيسوع العالم بايمانها وثباتها بعد ان شدّد الامتحان عليها انالها قوّة جديدة لايمانها . ومديحًا ممتازًا وشهرة مؤبدة . فلا يمكن ان تنسى مدى حياتها بهجة

(١) تك ٣٢: ٢٤–٣٠ (٢) قال لوثيروس "اصطادتهُ بكلامهِ هو . فكن مثلها مصدقًا كل ما يخترك بهِ الرب ولكن لا تقطع الصلاة الاَّ وتغلب كما غلبت هي . حوّل ما ينسبهُ اليك من الخطا والتقصير الى حجج وبراهين على احتياجك الى ان تصطادهُ بذات كلامهِ" . ونرى مثالها في الابن الضال الذي اعترف بان لا حق لهُ في البنوة وطلب ان يحسب كأحد الاجرى في بيت ابيهِ

تلك الدقيقة حين لبّى يسوع طلبها اللجوج بقوله لها "يا امرأة عظيم ايمانكِ ليكن لكِ كما تريدين . ولاجل هذه الكلمة اذهبي . قد خرج الشيطان من ابنتكِ". هذا الرجل العظيم لم يرضخ البتة في كل مصارعاتهِ مع فلاسفة اليهود بل كان يفحمهم باجوبتهِ السديدة ويريهم بعدهم عن ملكوت الله لكنهُ يتنازل ويرضخ الآن بحلم عجيب لهذه المسكينة في احتياجها اليهِ ويبين قربها لهذا الملكوت

نلاحظ ايضاً ان التلاميذ حصلوا على نتيجة مجيدة في هذا الامتحان لانهم رأوا امامهم مثالاً لخراف هذا الراعي العظيم التي ليست من الحظيرة اليهودية وبعضها يفوق الخراف اليهودية في المواهب الروحية . يحتاجون الى شاهد كهذا حين يباشرون تبشير الامم الوثنية . قد تعودوا ان يسمعوا من يسوع توبيخاً بقولهِ لهم مراراً "يا قليلي الايمان" (١) . ولما كاد يغرق بطرس يالامس وبخهُ قائلاً "يا قليل الايمان لماذا شككت" (٢) . فاي خجل غشيهم جميعاً اذ سمعوا سيدهم يقول مبتهجاً لهذه الوثنية المعدومة الوسائط الدينية "عظيم ايمانكِ ليكن لكِ كما تريدين" . فاخذوا في هذا الحادث أقوى برهان لصدق يسوع في قولهِ ان "الآخرين يكونون اوّلين"

يرينا هذا الحادث ان استجابة الصلاة لا تتوقف على مقام الطالب كما يتوهم كثيرون . بل على روحهِ في الطلب قد ظهر هذا لما اتاهُ يوماً تلميذاهُ الممتازان يعقوب ويوحنا الحبيب مع والدتهما التي كانت ترافقهم وتخدمهم من مالها وطلبوا منهُ شيئاً فلم يسمع لهم . اما الآن فاستجاب لهذه الغريبة العديمة المقام (٣) . قد رأينا فيما سبق تلاميذ كثيرين في وطن يسوع يرتدّون عنهُ . لكن تلك الخسارة وان كان ظاهرها عظيماً لا توازي ربحهُ هذه النفس النادرة المثال التي انضمت اليهِ في القرية الوثنية في نواحي صور وصيداء .

(١) مت ٨:٢٦ و١٦:٨ ولو ١٢:٢٨ (٢) مت ١٤:٣١ (٣) يذكر القديس اكليمنضوس ان اسمها كان بوسطا ويحكي في تاريخها انها تركت مذهبها الوثني وتبعت المسيحية

الموانع القوية التي صادرت المنلوج كانت في ظروفهِ فتغلب عليها وافلح . اما غلبة هذه المرأة فاعظم لان الموانع التي صادرتها كانت من الرب ذاتهِ . وتستحق الاكرام لانها آمنت تمامًا في كلمة يسوع " قد خرج الشيطان من ابنتك " فلم تطلب منهُ ان يذهب معها ولا ان تحضر الابنة اليهِ . بل ذهبت الى بيتها ووجدت ان ابنتها قد شُفيت من تلك الساعة وانها مطروحة على الفراش . لان الشيطان قد خرج منها بعد ان صرعها كعادتهِ وألمها كثيرًا (١)

ان هذا الحادث هو من التي ورد خبرها ليس بسبب الذين صنع بهم يسوع معجزاتهِ بل بسبب الذين استغاثوا بهِ لاجل غيرهم . فلم يكن القصد فيهِ تعظيم المعجزة الجسدية التي صنعها يسوع بالابنة بل الروحية اي الايمان الذي وضعهُ بروحهِ في والدتها . حوادث الشفاء كانت لا تحصى واكثرها متشابهة فلا تستدعي الذكر المفصَّل . اما حوادث الايمان فكانت نادرة وهي التي يهتم يسوع بها ويهتم البشيرون بذكرها

ثم سافر يسوع من جهات صور وصيدا شرقًا الى مقاطعة ديكابولس اي العشر المدن في الجولان (٢) . وكانت هذه البلاد زاهية بالتمدن اليوناني وتجارتها واسعة . وفيها وفي طريقهِ اليها كما في نواحي صور وصيداء كان خارجًا

(١) هذا الحادث الثالث والاخير المذكور فيهِ شفاء يسوع انسانًا عن بعد . وقد سبقهُ شفاء ابن خادم الملك وغلام قائد المئة انظر ف١٤ وف٢١ (٢) انظر الاتقان ٢٨٩ وادي ٥٤٠١ و٤٨٣ و٥٠١ وقاموس الكتاب ١٠٢٣ نظّم بومبايس هذه المقاطعة السنة نحو ٦٥ ق.م. واعطاها امتيازات سياسية واستقلالاً فعقدت روابط متبادلة لحمايتها من هجمات القبائل البربرية القاطنة الصحراء لجهة الشرق . لم تتفق التواريخ في تسمية هذه المدن وقد اندرس اكثرها . ويظن ان دمشق احداها . لكننا نعلم ان واحدة فقط كانت غربي الاردن وهي سكيثوبولس (اي بيسان) وتسعًا شرقيهِ . منها جرش وعمان وام قيس والقنوات . بعد عود بني اسرائيل من سبي بابل لم يستردوا هذه المقاطعة فبقيت وثنية مع وجود يهود كثيرين بين سكانها . ويرجح ان يسوع في هذه الرحلة تخطَّى مراقيء جبل لبنان الجنوبية ومرّ بمرجعيون الى عبر الاردن الشرقي تحت ظل جبل حرمون العظيم . وهو المعروف اليوم باسم جبل الشيخ

عن ايالة هيرودس انتيباس وسلطتهِ الجائرة وعن سلطة رؤساء اليهود التي هي اشد خطرًا عليهِ . وكان قد قضى قبلاً في هذه المقاطعة ساعات قليلة عندما اخرج الشياطين من "لجيئون" وعلى ما نرى ان عمل هذا الرجل اثر في تلك المقاطعة حتى لما جاء يسوع وصعد الى جبل وجلس "جاء اليهِ جموع كثيرة مع عرج وعمي وشلّ وخرس وآخرون كثيرون وطرحوهم عند قدمي يسوع فشفاهم"

خصّ من بين حوادث الشفاء حادث اصمّ اعقد جاءوا بهِ محمولاً[1] اما لعجزهم عن افهامهِ ما يقصدونهُ لهُ او لكونهِ مختلّ العقل او معتلّ الجسم . فهذا الاصمّ الاعقد لم يسمع كغيرهِ من يسوع ولا عنهُ . فقصد يسوع ان يحرّك فيهِ عاطفة الايمان الضرورية في كل عليل يشفيهِ . ولكي يكلمهُ بهدوء كلامًا روحيًا اوّل ما يمنحهُ قوّة السمع انفرد بهِ عن الجمع . ثم وضع اصابعهُ في اذنَي الرجل كأنهُ يفتح فيهما بابًا للسمع . "وتفل[2] ولمس لسانهُ" . بهذهِ الحركات البسيطة احيا فيهِ ايمانًا جديدًا . وأيد مبدأ استعمال كل ما يمكن من الوسائط الملائمة

بقي عليهِ تحويل افكار هذا المسكين الى مصدر كل الخيرات الالهي ليعلم من حيث يأتي عونهُ . "فرفع يسوع نظرهُ نحو السماء" مظهرًا بذلك تعلّقهُ الكامل بالآب . قال البشير "وأنّ" . لعلهُ يجمع في أنتهِ هذه انين الخلق أجمع ويرفعهُ شاكيًا مصائبهم التي لا تُحصى الى الآب السماوي طالبًا منهُ الرحمة لجميع المصابين بالعلل الجسدية . لانهُ هو الذي قيل عنهُ "في كل ضيقهم تضايق[3] . ثمّ امر العليل بلغتهِ الارامية قائلاً "افثا" اي "انفتح" فانحلّ رباط لسانهِ وتكلم مستفيضًا" . فتمّ قول النبي "آذان الصمّ تتفتح"[4] . ومع اجتهاد يسوع ان "لا يقولوا لاحد" كانوا ينادون اكثر كثيرًا ويزيدون تعجب الجموع

(١) كما تفيد الكلمة اليونانية في الاصل (٢) كان التفل عندهم من العلاجات الطبية القانونية (٣) اش ٦٣ : ٩ نسب احد المفسرين أنينهُ الى التأمل بما سوف يفعلهُ هذا المسكين من الشرور بعد نيلهِ قوة السمع والنطق (٤) اش ٣٥ : ٥

كانت مناظر الشفاء جديدة عند اكثر هذا الجمهور وعرفوا ان يسوع هو من بني اسرائيل وليس وثنيًا نظيرهم . وان آلهتهم التي كانوا يفتخرون بها ويتكلون عليها لا تستطيع شيئًا مثل هذا الذي كان يصنعهُ يسوع باسم اله اسرائيل . فلذلك عندما " تعجبوا وبهتوا للغاية " صاروا يمجدون اله اسرائيل ويسوع ايضًا قائلين " انهُ عمل كل شيء حسنًا " . وهذه الشهادة انهُ يعمل كل شيء حسنًا يقدمها الملايين من الناس الذين على توالي الاجيال والقرون يأتون اليهِ ويتخذونهُ لانفسهم المخلّص والمدبّر والملك في حياتهم اليومية . وهؤلاء ان عاشوا فللرب يعيشون وان ماتوا فللرب يموتون[1]

(١) رو ١٤: ٨

الفصل التاسع والعشرون

(مت ١٥: ٢٢ – ١٦: ٢٨ مر ٨: ١ – ٩: ١ لو ٩: ١٨ – ٢٧)

(المرصع) ف ٢١ (الزمان) صيف السنة ٢٩ م
(المكان) المدن العشر . كفرناحوم . بيت صيدا .
تخوم قيصرية فيلبس

اشباع الاربعة الآلاف . التحذير من خمير الفريسيين . شفاؤهُ أعمى بيت صيدا . اعتراف بطرس الشهير في من هو يسوع . مفاتيح ملكوت السموات . كلام في مقام بطرس الحقيقي . ماهيّة السلطان الرسولي . إنباء يسوع الاوّل بموته وقيامته . اعتراض بطرس على ذلك وتوبيخ يسوع اياهُ . كيفية اتباع المسيح

هذه هي زيارة يسوع الاولى على ما يظهر الى هذا القسم من البلاد الوثنية المحيطة ببلاد اليهود . وهنا في دائرة المدن العشر ايضاً جمع حولهُ صيتهُ المنتشر جماهير كما في الجليل . فحدث مرّةً ان هذا التجمهر كثر عليهِ جدًّا في البرية وطال ثلاثة ايام حتى نفد الزاد . لان قوماً منهم جاءوا من بعيد . فحملهُ اشفاقهُ على تكرار اشباع الجمهور بمعجزة . وهذا الاشفاق عينهُ يرافق ويلازم كل فرد من البشر من مهدهِ الى لحدهِ . كان كلامهُ الحنون "لست اريد ان اصرفهم الى بيوتهم صائمين لئلاَّ يخُوّروا في الطريق"(١)

---

(١) يحاول البعض ادغام خبر هذه المعجزة مع خبر السابقة على شكلها كانهما معجزة واحدة . لكن يسوع ذاتهُ ينفي هذا الظن بذكر المعجزتين في القول الواحد (مت ١٦: ٩ و ١٠ انظر ف ٣٦) . لان الاشباع الاول كان في بلاد اليهود وهذا في بلاد الامم .

لا يسعنا الاَّ استغراب تكرار الرسل اعتذارهم بالعجز في صيف ذات السنة التي في ربيعها اشبع سيدهم جمعًا اكثر بشيء زهيد من الطعام. غير ان يسوع بكّتهم بعد قليل على نسيان المعجزتين معًا وعدم استفادتهم منهما. فالشكوك الحاضرة تولّد عن نسيان المراحم الماضية

لكون هذه المعجزة تناولت الالوف زادت في انتشار صيته في هذه البلاد الجديدة. لذلك اضطرّ ان يغادرها تخلّصًا من الازدحام. فدخل السفينة مع تلاميذه وجاء الى تخوم مجدل[1] ودلمانوثة المجاورة لها. هنا طوى الفريسيّون والصدوقيّون الخصومة الطبيعية المزمنة المتبادلة لكي يتفقوا على مخاصمة يسوع. فكان اتفاقهما معًا اسهل من اتفاق احدهما مع يسوع. لان الخصام بينهما كان في العقائد والفرائض. فلا يستلزم انتصار احدهما على الآخر اصلاحًا فعليًا. واما الخصام مع يسوع فكان في الآداب الاساسية التي كان يسوع يتشبّث باصلاحها. فانتصارهُ على ايٍّ كان منهما يستدعي تغييرًا كليًا في التصرفات. والفريقان يأبيان التغيير المطلوب بتاتًا

الى هولاء وطلبوا آية من السماء ليؤمنوا به. ولكن قصدهم الحقيقي ان يجرّبوهُ[2] فتنهد بروحهِ اولاً. ثم وبّخهم على ريائهم لتظاهرهم انهم لا يعرفون بعد انهُ المسيح حال كون البراهين التي حصلوا عليها كافية لازالة الريب تمامًا من هذا القبيل. وعلى تقصيرهم في الروحيّات مع مهارتهم في العالميّات. وكرّر قولهُ السابق ان آية يونان النبي هي الوحيدة التي تُعطى لهم[3]. ثم تركهم ومضى

وكان الاول اعجب من هذا بكثرة الآكلين وقلة الزاد. فالذي يكرّر خبرًا ليجعله خبرين لتعظيم العامل لا يمكن ان يوردهُ ثانية أصغر من الاوّل. ومتى ومرقس يذكران معجزتين. وجمع الكسر كان في قفف في المرّة الاولى وفي سلال في الثانية (انظر ذكر السلّ في اع ٥:٢٩) (١) فوق طبرية بنحو ثلاثة اميال لجهة الشمال (٢) وقاحة الصدوقيين في طلب آية من السماء ناطقة أكثر لكونهم ينكرون وجود عالم الارواح

(٣) مت ١٢:٣٩ و٤٠

في السفينة الى العبر الشرقي . ولعلمهِ ان تربية تلاميذهِ السابقة جعلتهم يوقّرون الفرّيسيّين والصدوقيين قواد الشعب بسبب مقامهم الديني والسياسي فاراد ان يحذّرهم موصيًا اياهم ان يجتنبوا خمير الرياء الظاهر في هؤلاء المتضادّين في المعتقد والمتفقين في الضلال . ولما لم يفهموا انهُ يعني بالخمير تعاليمهم الفاسدة وسلوكهم الرديء وبخّهم لاتخاذهم كلامهُ في الخمير بالمعنى الحرفي لانهم نسوا ان يأخذوا زادًا الاّ رغيفًا واحدًا . لظنهم انهُ يهتم نظيرهم بالقوت الجسدي

لا بدّ من الانتباه الى غرابة مجاهرة الرسل باخبارهم عن عيوبهم وتقصيراتهم وتوبيخات يسوع المرّة عليها . (١) فتعجب كيف يكتبون انهُ قال لهم " يا قليلي الايمان . أحتى الآن لاتفهمون ولا تشعرون بعد ؟ أحتى الآن قلوبكم غليظة ؟ ألكم أعين ولا تبصرون ولكم آذان ولا تسمعون ؟ كيف لاتفهمون ؟ " فما اجمل مثالهم في الاستقامة والتواضع ! ويسوع يوضح في هذا التوبيخ ان الايمان بصر روحي وسمع روحي . وان قليلي الايمان هم قليلو الفهم . فالمؤمن هو الفهيم وليس عديم الايمان

ولما وصل الى بيت صيدا يوليا س على جانب البحيرة الشرقي حيث اشبع الخمسة الآلاف اتوهُ بأعمى ليشفيهُ باللمس . فلم يقبل ان يعمّموا لهُ اسلوب الشفاء . لكنهُ استجاب طلبهم وشفاهُ على الاسلوب الذي استحسنهُ هو . اخرجهُ الى خارج القرية وبينما كان الضرير ينتظر متحيّرًا ماذا يصير فيهِ او يُطلب منهُ تفل يسوع في عينيهِ ووضع على كل عين يدًا فابصر الناس كاشجار يمشون . اي اناهُ البصر على قدر ايمانهِ . ولما زاد ايمانهُ بعد البصر القليل كرّر يسوع وضع يديهِ على عينيهِ . فاناهُ البصر الكامل . وبذلك مثّل الذين يستنيرون تدريجًا في الامور الروحية . فان استعملوا النور القليل الذي لم تكون النتيجة ازدياد النور . " لان الذي لهُ سيُعطى ويزاد " . ولم يخبر البشير ان

(١) هل يفعل مثل ذلك رواة القصص الوهمية ؟

كان هذا الرجل اطاع امر يسوع "لا تدخل القرية ولا تقل لاحد في القرية".

ثم ارتحل يسوع ومن معهُ شمالاً سفر نحو يومين الى سفح جبل الشيخ في نواحي قيصرية فيلبُّس [1] هنا تهيج عواطف التلاميذ انتصاراً للعبادة الطاهرة المعقولة للاله الواحد الذي هو روح. عند ما يرون عبادة الجنون والخلاعة التي كان يمارسها سكان قيصرية فيلبُّس. فمتى جاء يوم ممارستهم التبشير يفيدهم هذا الاطلاع على بعض الخرافات التي تستولي على الذين يتركون الاله الحي الحقيقي خالق الجميع ليعبدوا عمل ايديهم

وفي احد الايام انفرد معهم واعدَّهم بصلاة خصوصية لامر ضروري لهُ ولهم. وذلك ان يعلنوا اعتقادهم فيهِ وتعلُّقهم بهِ صريحًا. العاقل المستقيم كيسوع تُعرَف افكارهُ السابقة من اقوالهِ وافعالهِ اللاحقة. فنستنتج الآن ان صلاتهُ الانفرادية انصرفت الى الطلب من الآب ان يجدِّد اسمهُ بحفظ ايمان

---

(١) لما رسخت قدم اليونان في سوريا بعد انتصارات اسكندر الباهرة خصصوا لعبادة "بان" إله الاحراج الكهف الكبير في بانياس المظلل بالاشجار الغضة التي أوجدها هناك مياه النبع الغزير الصادر من الكهف. وهذا النبع هو أحد الاصول الثلاثة المهمة لنهر الاردن. ونظرًا لملائمة هذا الظل الكثيف للفتحات التي امتزجت مع فروض عبادتهم الوثنية بنوا هنا هيكلاً مهمًّا تُرى بعض آثارهِ إلى هذا اليوم. وسمَّوا المحل بانياس احتفاء بالهِم بان. وهذا الموقع غاصّ بالمناظر الطبيعية الجميلة تقصدهُ السياح ليس فقط بسبب الحادث الذي نحن في صددهِ بل ايضًا لروْية هذه المناظر والنهر الذي يتدفق هناك من أسفل جبل الشيخ العظيم. فلما أخذ الرومان من اليونان حاكمية البلاد ثبتوا في هذه المراكز عبادة بان وجدَّد فيهِ هيرودس الكبير هيكلاً من رخام اكراماً لمولاة الروماني. لانهُ مع ادعائهِ النهوُّد رياء كان يشيد هياكل وثنية لاسباب سياسية. فلما تولى ابنهُ هيرودس فيلبس الحكم في تلك المقاطعة وسَّع وحسَّن القرية التي بجوار هذا الهيكل وسمَّاها قيصرية على اسم مولاهُ. ثم ليميزها عن قيصرية على شاطىء البحر الكبير هي الكبرى اضاف اليها اسمهُ فدعاها قيصرية فيلبس. وفي مرور الزمان أُعيد اليها الاسم القديم بانياس

رسلهِ من الزعزعة . لانهُ عازم ان يبغتهم بخبر جديد يخالف كل تصوُّراتهم ومشتهاهم . ألاوهو خبر موتهِ العتيد على الصليب بعد اهانات وآلام لا توصف

فانامهم اوَّلاً بهذا السؤال "مَن يقول الناس اني انا ابن الانسان"؟ وكعادتهِ لم يكن سؤالهُ للاستفهام بل لخير الذين يُطلَب منهم الجواب . طلب منهم الرأي العام بخصوصهِ كابن الانسان فقط . لان العامة لا يرون الاَّ ناسوتهُ . فاجابوهُ ان الناس في حيرة من جهتهِ . يعتبرونهُ نبيًّا عظيمًا . لكن لا يتصوَّرونهُ نبيا جديدًا يظنُّون انهُ ايليا او ارميا او المعمدان او نبي آخر قديم قد ظهر ظهورًا جديدًا . والظاهر ان ليس احدًا يقول انهُ المسيح المنتظر

هل هذه النتيجة من خدمة ثلاث سنين بين الجماهير انهم لم يعرفوهُ انهُ المسيح ؟ هل ذهبت اتعابهُ إدراج الرياح ؟ . قد اصاب الرسول بقولهِ "ان النور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركهُ" (١) بعد اشباعهِ الخمسة الآلاف قال عنهُ الجمع "ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتي الى العالم" (٢) . اي النبي الذي ينبغي ان يظهر قبل مجيء المسيح ليعلن مجيئهُ . لكن لانهم لم يروا فيهِ علامات المسيح المصوَّر في افكارهم لم يقل احد انهُ المسيح

اما النجاح او الفشل في مرسلية يسوع على الارض فلا يتوقفان على رأي العامة الذين سمَّاهم في سؤالهِ "الناس" . بل على تأثير كلامهِ واعمالهِ في معتمديهِ المنتخَبين الذين اقامهم "ملح الارض ونور العالم" (٣) بشرط ان يستنيروا ويتملَّحوا منهُ اولاً . لانهُ لم يأتِ ليحصد بل ليزرع ويُعيِّن الذين يخلفونهُ في متابعة الزرع وينوبون عنهُ بعدئذٍ في الحصاد . لا يعاب الزارع الذي يرجع مساء الى بيتهِ فارغ اليدين . لانهُ لم يخرج صباحًا ليحصد . وغاية يسوع في نزولهِ من السماء لم تكن ضمَّ جمع غفير اليهِ ظاهرًا بأن وجودهِ بين الناس . فعدم حدوث ذلك ليس من باب الفشل

(١) يو ١ : ٥ (٢) يو ٦ : ١٤ (٣) مت ٥ : ١٣ و ١٤

وهذا السؤال عن رأي "الناس" كان مقدمة فقط للسؤال الاهم عن رأي رسلهِ الذين ثبتوا بعد ارتداد الاكثرين عنهُ. فاعاد ذات الامتحان الذي ادّى الى ذلك الارتداد على اثر خطابهِ في خبز الحياة. اذ كان سابقًا يشخص امام سامعيهِ امور ملكوتهِ الجديد. وفي ذلك الخطاب ابتدأ بخطتهِ الجديدة اي توجيه الافكار الى شخصيتهِ كالملك الجديد لهذا الملكوت. والآن يتبع هذه الخطة مع الاثني عشر. بعد سني الدرس والتمرين انت الساعة لفحصهم واظهار افكارهم في شخصية المعلم وليس فقط في تعليمهِ. لذلك سألهم "وانتم من تقولون اني انا؟" دون حصر سؤالهِ كالمرّة الاولى في كونهِ ابن الانسان. لا يستطيع بشران يشخص عظم النتيجة المتوقفة على اجتياز الرسل هذا الامتحان بنجاح

لا ريب انهم كانوا قد تحدّثوا في ما مضى وتحاوروا كثيرًا في الامر المسؤول عنهُ الآن. وتمسكوا طول حياتهم بالآمال السياسية العالمية المتعلقة بمجيء المسيح. فيكون تركها تمامًا من اصعب الامور. لكن قطع كل تردُّد في افكارهم ضروري جدًّا. فاراد يسوع ان يضطرّهم الى ذلك نهائيًّا. ليت الجميع يدركون ضرورية "القطع والبت" دون تردد او امهال في تقرير المعتقد الديني ومباشرة السلوك بموجبهِ

كان السؤال عن الرأي العام بسيطًا والجواب عليهِ سهلاً ايضًا. فتقدّم منهم اجمالاً. اما هذا السؤال الاصعب فناب فيهِ بطرس عن الهيئة اما تبرُّعًا كما في اوقات أُخرى او لان يسوع نظر اليهِ كانهُ يكلفهُ الجواب بالنيابة عن الآخرين وبالاصالة عن نفسهِ او ان رفقاءهُ أومأوا اليهِ ان يمثّل الهيئة في الجواب

فكم كان ابتهاج يسوع عظيمًا لما اخذ من رسلهِ بفم زعيمهم ذلك الجواب المستوفي الصريح "انت المسيح ابن الله الحي". كان سؤال يسوع اولاً ما القول فيهِ كابن الانسان. فجاءهُ في الجواب الثاني "انت ابن الله".

فما اعظم سر التقوى الذي اشار الرسول اليهِ [١] اي ان القولين في يسوع انهُ ابن الانسان وانهُ ابن الله الحيّ صادقان على رغم ما في ظاهرها من التناقض. يسوع اتخذ لذاتهِ لقب الاتضاع . وبطرس اعترف لهُ بلقب الارتفاع . لم يبتهج يسوع لصورة الجواب . لان الشياطين سبقت الى مثل هذا القرار مراراً [٢] . وكذلك تلاميذ [٣] وبطرس ذاتهُ اجاب قبلاً بهذه الالفاظ [٤] . لكن ابتهج لروح المتكلم ورفقائهِ. وللايمان الثابت بعد تمحيص الحوادث السابقة. فطوّب بطرس حالاً تطويباً شخصياً لم نقرأ انهُ اسبغهُ على غيرهِ اذ قال "طوبى لك يا سمعان بن يونا" [٥]

ليس في هذا التطويب مديح للمطوَّب بل بهجة لحظهِ الممتاز. لان يسوع اظهر حالاً اساس تطويبهِ بقولهِ "ان لحماً ودماً لم يُعلن لك لكن ابي الذي في السموات" [٦]. فليس شيء مما قالهُ او فعلهُ بطرس علةً لهذا التطويب بل ما نالهُ من كرَم الاله الذي اعلن لهُ بالهام روحي تلك البنوّة الوحيدة لله تعالى التي اعترف بها بطرس في هذا الوقت . وهذا التطويب لبطرس يذكرنا بتطويب الملاك جبرائيل لمريم كما رأينا في حينهِ [٧] . ونحن نعلم ان نور الخلاص نظير هذا الاعلان لبطرس لا يمكن ان يأتي من البشر. هم يهيئون السراج والزيت . لكن النور عمل الاله

ثم اعاد يسوع لهذا الرسول ذكر الاسم الذي دعاهُ بهِ بياناً لثباتهِ. وقال لهُ "على هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها . واعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطهُ على الارض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحلهُ على الارض يكون محلولاً في السموات" . على هذا

---

(١) اتي ١٦:٣ (٢) متى ٨:٢٩ ومر ٣:١١ ولو ٤:٤١ (٣) يو ١:٤٩
(٤) يو ٦:٦٩ (٥) بقولهِ سمعان بن يونا ميّزهُ عن الرسول الآخر سمعان القانوي (٦) اشرنا سابقاً الى المعنى القوي في استعمال المفرد "اب"
(٧) انظر ف ٦

القول بنى بعض المسيحيين سلطة بشرية مطلقة تذرّعت بالادعاء بالعصمة وفتحت باب السماء لمن شاءت واغلقته في وجه مَن شاءت . وارتفعت فوق اعظم ملوك الارض . فكان هؤلاء يتناولون قيجان ممالكهم من يدها . واهتزّت لها المسكونة . لذلك صارت هذه الآية التي قالها يسوع من اشهر الآيات الكتابية واكثرها انتشارًا واعظمها تأثيرًا . وقد دارت حولها رحى اشد المعارك الدموية والمناظرات العلمية

فبما اننا نتمسّك اشد التمسُّك بصحة كل ما قاله يسوع يجدر بنا ايضاح ما نفهمهُ من قولهِ هـذا . فنتوسّع ونتجاسر بان نضعهُ في قالب جديد تفسيري . ونتصوّر يسوع يقول لرسولهِ المتقدم "انت يا بطرس قد برهنت ثباتك الصخري في هذه الاحوال الصعبة بتكرارك بيان حقيقة كوني في شخصي الواحد المسيح البشري وابن الله الحي . وانا أُصرّح لك اني سأبني كنيستي على صخرة هذه الحقيقة الجوهرية التي نطقت بها الآن بعد ان أُعلنت لك من ابي الذي في السموات [1] . وكل مقاومات العالم وقوّات الجحيم الى آخر الايام لا يمكن ان تتغلب على الكنيسة المؤسسة على هذه الحقيقة . ولاني ارى فيكم بداءة الاهلية للعمل الخطير الذي أقمتكم لاجلهِ . أُصرّح لك وللذين نبتَ عنهم في الجواب باني قد عيّنتكم لتنوبوا عني وتكملوا عملي بعد صعودي الى السماء [2]

---

(١) الرجوع الى الاصل اليوناني ضروري لفهم هذه الآية . لان يسوع استعمل كلمتين الواحدة عن الشخص والاخرى عن أساس الكنيسة . الاولى بترس بصفة المذكر (أي حجر واحد مقطوع) والثانية بترا بصيغة المؤنث (أي الصخرة الثابتة في مكانها) الاولى بترس لا تستعمل مطلقًا في الانجيل بمعنى صخر أو حجر بل اسمًا لسمعان بن يونا فقط . فلا يصح ان تترجم صخرة بل بطرس . اما الثانية بترا فلا تترجَم الاَّ صخرة . فالترجمة الصائبة هي "انت بطرس الحجر الثابت القوي وعلى هذه الصخرة (الحقيقة التي صرّحت بها) ابني كنيستي (٢) أعطى ذات السلطان في وقت آخر في صيغة الجمع (مت ١٨:١٨ و١٩ ويو ٢٠:٢٣—٢٣) وكما تكلم بطرس كنائب في مجاوبتهِ على سؤال طرحهُ يسوع

اعطيكم مفاتيح ملكوت السماوات اي تفتحون باب الخلاص بتبشيركم بي في كل البلدان وتدخلون الى كنيستي الذين ترونهم من اهل الخلاص لكونهم أتمّوا شروط الخلاص. واخوّلكم سلطانًا لتصرّحوا بالهلاك الابدي للذين يرفضون الشروط ويتأخّرون عن التوبة والايمان والصلاح. تحلّون وتربطون ايضًا هنا بواسطة كتابكم الانجيل مناديين بالهام الروح الالهي. فكل ما تضعونهُ في هذا الكتاب يكون مُصدَّقًا في السماء. وكل ما تتركونهُ يكون متروكًا في السماء. لان ما تكتبونهُ في اليقين الديني من الواجبات والمحرّمات يكون ما سمعتموهُ مني او ما تأخذونهُ بالهام روحي. فيصلح ان يكون قانون كنيستي الى كل الازمان. وسأُعطيكم نصيبًا خصوصيًّا وكافيًا من روح النبوّة وتمييز الارواح تأهيلاً لهذه المهمة الفائقة. واجعلكم اهلاً لهُ بسكب الروح القدس عليكم سكبًا عجيبًا يحقّق لكم ولجميع الناس انكم نوّابي المفوّضون. وسأمنحكم ختمًا لكل ذلك قوّةً لفعل المعجزات العظيمة. أُسلّمكم هذا العمل الخطير لاني اسندكم فيهِ فتستطيعونهُ "

قد نبت حول هذا الكلام لبطرس اغلاط كثيرة منبعها الاعظم الوهم بان يسوع افتكر في بطرس وتعظيمهِ. حال كون الحقيقة انهُ افتكر بالكنيسة وتعظيمها. فمحور هذا الحديث هو اساس الكنيسة لا شخص بطرس. ونحن نعلم ان اساس الكنيسة الشخصي هو يسوع ذاتهُ. لان بطرس وغيرهُ من الرسل يوضحون ذلك (١) فيسوع هو الشخص الوحيد الذي يدوم حيًّا فيها. ولما يتكلم الرسول عن "المبنيين على اساس الرسل والانبياء" (٢) يعني بذلك الاساس الذي بنى عليهِ الرسل والانبياء. فلا يمكن ان تُبنى الكنيسة على شخص غير يسوع. لكن لما كان يتكلّم يسوع هنا كالباني بقولهِ "ابني كنيستي" يتّضح انهُ يعني بالاساس لا شخصًا بل مبدأً روحيًّا. لان الكنيسة بناء روحيّ.

على الجميع يُؤخذ كلام يسوع للمتكلم كانهُ لهُ وللذين نابَ عنهم ايضًا

(١) ابط ٢:٤-٨ و ١ كو ٣:١١ (٢) اف ٢:٢٠

فالاساس الروحي هو حقيقة التأنُّس المعلنة في العبارتين "ابن الانسان" "وابن الله الحي" (١)

يتضح مما سبق ان ليس في كلام يسوع لبطرس ما يخوّله الرياسة على زملائهِ وعلى الكنيسة. ولا في شيء مما ورد في تاريخ الكنيسة الرسولية بعد صعود يسوع. ومناد الحوادث التي عقبت صعودهُ الى آخر اخبار الانجيل ينفي الرياسة بين الرسل او في الكنيسة. وقد تشاجر الرسل اكثر من مرّة بعد هذا الوقت في مَن هو الاعظم بينهم (٢) واتى ابنا زبدي مع والدتهما يطلبون الجلوس عن يمين يسوع ويسارهِ في ملكوتهِ. وفي عشاء الفصح الاخير لم يكن بطرس بجانب يسوع بل التلميذ "الذي كان يحبهُ" وله وليس لبطرس سلّم أُمّهُ وهو على الصليب. وترأّس يعقوب لا بطرس المجمع العظيم الرسولي الاول في اورشليم (٣). واظهر بولس في كنيسة انطاكية سلطانًا فوق سلطان بطرس (٤). وكان جماعة الرسل يرسلون بطرس الى الخارج للتبشير كغيرهِ منهم (٥). واستهلال بطرس رسالتيهِ برهان آخر واضح لانهُ لم يرد في ذلك الاستهلال اقل اشارة لرياسة له في الكنيسة او امتيازًا فوق غيرهِ من الرسل. بل يتكلم كرسول بسيط نظيرهم. مع انهُ كان يُطلب من كل رسول كتب للكنائس ان يعطي وظيفتهُ حقها في المقدمة. وهذا ما فعلهُ بولس ايضًا. لكن بناءه على خدماتهِ المهمة وسجاياهُ الحميدة ولربما بسبب سنهِ ايضًا امتاز في التقدم والاكرام

(١) نلاحظ ان مرقس (لسان بطرس) ولوقا يوردان هذا الخبر دون اشارة إلى هذا الكلام لبطرس الذي ذكرهُ متى وحدهُ. فليست اهميتهُ بالمنزلة التي يتوهمها البعض والاّ لكان ذكرها الآخرون (٢) مت ١٨: ١-٦ مر ٩: ٣٣-٣٧ و٣٤ لو ٩: ٤٦ و٢٢: ٢٤-٣٠ (٣) اع ١٥: ١٣ و١٩ (٤) غل ٢: ١١ و١٤ (٥) اع ٨: ١٤

(٦) كل منشور رسمي يستهلّ ببيان كامل مما لناشرهِ من الوظائف الرسمية والحقوق الممتازة

ولكن اهم نقطة في هذا البحث هي تسلسل السلطان البطرسي مهما كان نوع ذلك السلطان ودرجتهُ. وليس من دليل على ان ما اعطاهُ يسوع لبطرس من السلطان يتسلسل. ولا يجوز القول بتسلسل فائق الاهمية كهذا الاّ بالاستناد الى براهين تضارع قوتها اهمية القضية. فلا ينتقل ما اعطاهُ يسوع لبطرس الى غيرهِ. لم تقم الكنيسة الرسل الاوّلين ليكون لها الحق باقامة غيرهم. وليس من دليل على دوام الرتبة الرسولية. والعقل يدل على ان رسولاً لا يقيم رسولاً كما لا يقيم وزير وزيراً او سفير سفيراً. حاول الرسل اجمالاً اقامة رسول وعيّنوا متياس. لكن ظهر ان الله لم يصدّق عملهم. اذ اقام هو الرسول الثاني عشر ليكمل العدد بعد سقوط الاسخريوطي. اذ عيّن شاول الطرسوسي اي بولس ولم تثبّت رسولية متياس بشيء

وبعد اعتراف بطرس هذا "انتهر يسوع تلاميذهُ واوصاهم ان لا يقولوا لاحد انهُ يسوع المسيح" لان ساعتهُ لم تأتِ بعد. فيكفي ان يعلموا هم هذه الحقيقة الاساسية. لكن هذا الاقرار المستوفى من رسلهِ مهّد لهُ اتمام قصدهِ في استجوابهم الحالي. وهو ان يعلن لهم لاوّل مرّة صريحاً غاية مجيئهِ من السماء. قال البشير "من ذلك الوقت ابتدأ يُعلّمهم انهُ سيتألم كثيراً في اورشليم ويُرفَض من الرؤساء ويقتل ثم يقوم في اليوم الثالث". انتظر الى ان يرسخ في قلوبهم اليقين بسرّ تأنُّسهِ ويعترفون بهِ بلسانهم صريحاً ونهائيا قبل ان يعلن لهم امر آلامهِ وموتهِ ثمّ قيامتهِ. لان فهم عمل الفدا بموتهِ يتوقّف على فهم تأنُّسهِ اي طبيعتهِ المزدوجة. فان لم يعرفوهُ المسيح ابن الله وابن الانسان لا يدركون معنى موتهِ ولا قيمتهُ. وكل من يرفض حقيقة التأنُّس لا يترك مكاناً للفداء. لذلك ترى الذين ينكرون لاهوت يسوع ينكرون ايضاً كفّارتهُ. لان القضيتين مرتبطتان برباطٍ لا يُحل

لكن هذا الاعلان الجديد المزعج يخالف كل آمال الرسل على خط مستقيم. فلم يسع بطرس السكوت بل تجاسر واخذ سيدهُ على جانب "وابتدأ

ينتهرهُ". يا للعجب ان الذي اعترف في هذه الساعة ان هذا السيد هو ليس المسيح العظيم فقط بل ابن الله الحي ينتهرهُ ويكذبهُ بقولهِ "حاشاك يا رب لايكون لك هذا". فما رآهُ بطرس في نفسهِ غيرة حية نحو سيدهِ كان بالحقيقة اطفاء شيطانيًا فتح له بطرس الباب باتتناخهِ من تطويب يسوع اياهُ وتخويلهِ هذا السلطان الجديد. لان الاسد الزائر ابليس كامنٌ لهذا الرسول المقدام. فوثب عليهِ في ساعة ارتفاعهِ وجندلهُ الى الارض مُهشمًا راضيًا في غفلتهِ ان يكون مجربًا لسيدهِ ليثنيهُ عن عزمهِ في اتمام الفداء (١). كان خيرًا لكل ناجح وممدوح ومرتفع لو تحذَّر من حِيَل الشيطان لاسقاطهِ. ولنا هذا التحذير في قول الرسول "من يظن انهُ قائمٌ فلينظر ان لا يسقط" (٢). وكان سليمان الحكيم السابق بالانذار بقولهِ. "قبل الكسر الكبرياء. وقبل السقوط تشامخ الروح" (٣)

فلم يحتمل يسوع هذا الكلام بل انتهر الشيطان الذي تكلَّم في بطرس. ووبخ بطرس توبيخًا مرًّا. فابن رياستهُ وابن عصمتهُ لمَّا حوَّل يسوع نظرهُ الى رفقائهِ الرسل المبتعدين عنهُ قليلاً وقال لبطرس "اذهب عني يا شيطان. انت معثرة لي. لانك لا تهتمّ بما لله لكن بما للناس". رأى عالم الخفايا ان نوايا بطرس لم تخلُ من حب المجد العالمي. فيستحق هذا التوبيخ الصارم. ولانهُ تلميذ حقيقي ليس انهُ يحتملهُ فقط بل ويستفيد منهُ ايضًا. قال الحكيم "وبّخ حكيمًا فيحبّك". وايضًا "وبّخ فهيمًا فيفهم معرفة" (٤). "وسمع الانتهار من الحكيم خير للانسان من سماع غناء الجهال" (٥). وقال كاتب المزمور "ليضربني الصديق فرحمة وليوبخني فزيت للراس" (٦). شرب بطرس الحلو ثم المرّ ولتقوية تأثير المرّ الحسن تركهُ يسوع دون تلطف

(١) نعلم ان ابليس حاول هذا الامر راسًا في تجربتهِ ليسوع في برية اليهودية انظر ف ٨ (٢) ١ كو ١٠: ١٢ (٣) ام ١٦: ١٨ (٤) ام ٩: ٨ و ١٩: ١٥
(٥) جا ٧: ٥ (٦) مز ١٤١: ٥

ثم دعا تلاميذهُ مع الجمع الذي كان قد انفرد عنهُ واعلن لهم الشروط الثلاثة الشهيرة المطلوبة من تابعيهِ

الشرط الاول انكار الذات . اي تسليم زمام الذات والحياة لهُ. لما أنكر بطرس يسوع قال "لااعرفهُ" . ومن يتبع يسوع حقًا وينكر نفسهُ يقول لااعرف نفسي حاكمًا في حياتي بل ربي هو الحاكم (١)

الشرط الثاني حمل الصليب يوميًا . وهذا بالاكثر هو التمثل بيسوع الذي حمل صليبًا لم يضعهُ آخر عليهِ بل هو قصدهُ واقامهُ وحملهُ حبًا لتخليص النفوس من الخطيئة واهلاك . وحمل الصليب وراء المسيح هو الاقدام على المصائب والمتاعب والمساعي الجسدية حتى والموت تبرُّعًا لا ارغامًا متى كان ذلك اهتمامًا بتخليص النفوس . ليس معظم ما يطلبهُ هذا الشرط احتمال صليب يوضع علينا بل حمل صليب نقصدهُ ونرفعهُ باختيارنا لخير الآخرين

الشرط الثالث اتباع يسوع اي السير في خطواتهِ بالتدقيق دون كلل او فتور ودون تردُّد أو ارتداد . هو الراعي الذي يتقدَّم خرافهُ فتسير وراءهُ امينة وآمنة . أبان ان هذه الشروط الثلاثة مبنية على حقيقة رئيسية في ناموس النعمة هي ان الذي يطلب السلامة اولاً يخسرها والذي يطلب الخدمة اولاً يجد السلامة ايضًا والذي يعتني اولاً ان يحمي ذاتهُ لا يحميهِ الرب فلا يسلم . واما الذي يعتني اولاً ان يتفرَّغ لخدمة الرب ويرضى ان يهجم على المخاطر في سبيل هذه الخدمة هذا يحميهِ الرب فيسلم

سأل يسوع سامعيهِ ان كانت قيمة العالم باسرهِ تساوي قيمة نفس واحدة . والجواب . هذا غير ممكن طالما العالم وكل ما فيهِ من الخيرات والامجاد يزول

(١) يقول في قلبهِ "لا ابتغي مشيئتي . يا سيدي العلي . بل ما تشاء مشيئتي . فلا اختيار لي لا ابتغي مشيئتي . يا مرشدي الرحيم . قصور علمي حجبني . في رشدك القويم لا ابتغي مشيئتي . يا ملكي الجبار . أذ انت ربُّ الحكمة . فاحكم بما تختار"

بينما النفس خالدة تبقى الى الابد . اذًا ما اعظم غباوة الذي يهمل امور النفس في سبيل وراء الارباح العالمية. لانهُ لو ربح العالم كلهُ ثم اراد ان يشتري بهِ الخلاص يجد ذلك مستحيلاً

واخيرًا انذر سامعيهِ ان لا يستخفوا بهِ ولا بكلامهِ ولو استهان ذلك الجيل الفاسق الخاطئ بهِ وبهم. فانهُ يوم يجيءُ في مجد ابيهِ مع الملائكة ليجازي كل واحد حسب عملهِ يستحي هو بالذين استخفوا بهِ اولاً . وختم بقولهِ ان بعض سامعيهِ يرون في حياتهم ابن الانسان آتيًا في ملكوتهِ ملكوت الله قد اتى بقوة (١)

(١) فسَّر بعض الآباء الاقدمين هذه النبوة الغامضة انها تشير الى رؤية ثلاثة من رسلهِ مجدهُ على جبل التجلي . وفسَّر غيرهم انها تشير الى خراب اورشليم الذي عاش يوحنا على الاقل الى ما بعدهُ . والبعض ينسبون الى يسوع الاشارة الى كلا الامرين

الفصل الثلاثون

(مت١٧: ١ – ٢٣ ومر٩: ٢ – ٣٢ لو٩: ٢٨–٤٥)

(المرصع) ف ٣٢ (الزمان) خريف السنة ٢٩
(المكان) جبل الشيخ – قيصرية فيلبس – الجليل

التجلي على الجبل . ظهور موسى وايليا وحديث يسوع معهما بخصوص موته العتيد . الصوت من السماء . الفوائد الناجمة عن التجلي . فشل الرسل التسعة في محاولتهم اخراج الروح النجس . نزول يسوع والرسل الثلاثة من الجبل واخراج الروح الشرير

نقف الآن على عتبة حادث خطير جدًّا . قد مضى اسبوع قضاهُ يسوع وتلاميذهُ في نواحي قيصرية فيلبس حيث ابلغهم ذلك الاعلان المرعب المتعلق بآلامهِ وصلبهِ[1] . ولا ريب ان اعلانًا كهذا يزعزع الايمان المتولد في قلوبهم ولا يزال في طور الطفولية . فاعترفوا قبل ان سمعوهُ يسوع انهُ المسيح ابن الله الحي. ولكن بعد هبوب زوبعة ذلك الاعلان الفجائية يحتاجون الى ما يمكّن رجاءهم ويجدّد ايمانهم بسيدهم . ويُحتمل ايضًا ان يسوع ذاتهُ في طبيعتهِ البشرية شعر ببعض الانزعاج عند رؤيتهِ شبح الصليب المخيف الذي ظهر امام بصيرتهِ بصورة اجلى واقرب من ذي قبل بمناسبة إخبارهِ الرسل بهِ لاوّل مرّة

فلا عجب انهُ لجأ في احوال كهذه الى الصلاة على اسلوب فوق المعتاد . قد سبق القول ان معرفة مواضيع صلواتهِ الخصوصية تؤخذ من النتائج التي

(١) ان الفرق بين قول البشير الواحد ستة ايام والآخر ثمانية ايام يدل على ان احدهما حسب اليوم الاوّل والاخير والآخر حسب السنة الايام الكاملة فقط

تليها . فعلى هذا القياس نحكم انهُ طلب من الآب وسائل جديدة قوية تثبت يقين الرسل بالحقيقة الاساسية التي كانت موضوع اعترافهم . وتكافئهم على ما اظهروهُ من الايمان على رغم النقص في ادلّة طبيعتهِ الالهية . وبالطبع لا تخلو صلاتهُ من طلب لاجل نفسهِ كبشر ان يمنحهُ الآب من روحهِ ما يكفيهِ لاتعاش فؤادهِ . ويشدّد عزائمهُ استعدادًا لهذه المحنة المضنكة . ولا بد ان الآب اشعرهُ بقبول طلباتهِ وبقرب استجابة ممتازة تناسب حراجة الموقف

فاخذ معهُ الرسل الثلاثة الذين ميّزهم سابقًا[1] وصعد بهم "الى جبل عالٍ منفردين" لان الضرورة كانت تقضي ان لا يصعد وحدهُ كعادتهِ بل ان يشاهد عددٌ كافٍ ممن يوثق بشهادتهم استجابة صلاتهِ في النتيجة المقصودة اما الرسل التسعة الآخرون فتركهم مع الجمهور عند اسفل الجبل[2]

لا يمكن الجزم في تفصيل ما حدث في هذا المرتفع الذي سمّاهُ بطرس بعدئذٍ "الجبل المقدس" . لكن يرجح ان الاربعة بلغوا راس الجبل في آخر النهار . وبينما كان يسوع منصرفًا بكليتهِ الى الصلاة تثقّل بالنوم رسلهُ الثلاثة الذين اكرمهم وميّزهم باستصحابهِ اياهم ليشاركوهُ في الصلاة . ولو علموا خسارتهم في هذا النوم لسهروا معهُ ولم يتركوهُ وحدهُ في صلاتهِ[3]

لانهُ بينما هم مثقّلون بالنوم طرأ على هيئتهِ الطبيعية تغيير عجيب . فكأنهُ خلع ستار الاتضاع الوقتي وابرق نور مجدهِ الاصلي الحقيقي . ذلك المجد الذي يعطيهِ لمختاريهِ اخيرًا عند ما يظهر بمجدهِ الدائم الفائق "ويغيّر شكل جسد تواضعنا

(١) انظر ف ٢٥ (٢) التقليدات القديمة عينت جبل الطور بقرب الناصرة انهُ جبل التجلي . لكن الاطلاع على التواريخ الراهنة اسفر عن وجود حصون مسكونة على قنّة هذا الجبل قبل زمن يسوع وبعدهُ تنافي الزعم بان يسوع انفرد عليهِ لاجل الصلاة . ووجود يسوع آنئذٍ بقرب جبل الشيخ (حرمون) يرجح ان ذلك الجبل هو موقع هذا الحادث حسب راي افضل المفسرين (٣) سوف نرى مثل هذه الصورة لهؤلاء الاربعة في بستان جثسيماني . والذين ينامون مثل بطرس ويعقوب ويوحنا في اوقات الصلاة يخسرون بركات جزيلة

ليكون على صورة جسد مجدهِ بحسب عمل استطاعتهِ ان يخضع لنفسهِ كل شيء.»(١). وهذا التمجيد كالذي حصل عندما اعتمد من يوحنا في الاردن جاءهُ وهو يصلّي. قال البشير «وفيما هو يصلي تغيرت هيئتهُ. واضاء وجههُ كالشمس. وصارت ثيابهُ تلمع كالنور وبيضاء جدًّا كالثلج. لا يقدر قصّار على الارض ان يبيّض مثل ذلك»

اي ان الآب استجاب صلاتهُ ومجّدهُ لتنشيطهِ وتثبيت رسلهِ ايضًا. مجّدهُ بالهيئة وبالصحبة كذلك. لانهُ ارسل لهُ ليس ملاكًا حسب المألوف في تاريخ شعبهِ بل رجلين ظهرا بمجد وهما موسى زعيم الناموس وايليا زعيم الانبياء ركنا شعبهِ المتازان اعادهما من عالم الارواح ليتكلما مع ابنهِ الوحيد ملبًّا في أهمّ المواضيع. (وكان يكنى عن العهد القديم بتمامهِ بالعبارة «الناموس والانبياء»). موسى كليم الله وفخر بني اسرائيل الاعظم المتصف بالحلم والوداعة. هذا دفنهُ الله قبل هذا الحادث نحو ١٥٠٠ سنة في راس جبل ولا يُعرف قبرهُ الى هذا اليوم. وربما تمجّد جسدهُ دون ان يرى فسادًا. وايليا رجل الله الجبار المتصف بالنشاط والغيرة ومحاربة الشرّ حتى انهُ سمّي النبي الناري الذي صعد الى السماء قبل هذا الحادث بنحو الف سنة في مركبة نارية ولم يمسّهُ الموت الطبيعي

اما موضوع الحديث الذي دار بين هؤلاء الثلاثة المجدين على مقربة من الثلاثة النائمين فكان ذات الاعلان بموت يسوع العتيد الذي تكلما عنهُ انهُ ازعج الرسل. والاسم الذي وضعهُ الانجيل هنا للموت هو نفس الذي اتى في التوراة لانتقال بني اسرائيل قديمًا من عبودية مصر الى ارض الميعاد. اذ قال البشير ان موسى وايليا تكلما معهُ عن «خروجهِ الذي كان عتيدًا ان يكملهُ في اورشليم»(٢). اي ان موت يسوع لا يكون قسرًا كغيرهِ بل اختيارًا اكمل

(١) في ٣:٢١ (٢) بطرس في رسالتهِ يسمي الموت بهذا اللقب الجميل (٢ بط ١:١٥) ويلاحظ المطالع ان لكل من هؤلاء الثلاثة تاريخ جبلي مقدس وصيام اربعين يومًا واستعداد وافٍ روحيّ في البرية

يقصدهُ ويكمله

في تلك الساعة فقط في التاريخ كلهِ تمثلت الكنيسة الواحدة المسيحية الكاثوليكية (اي الجامعة) التي تكلم عنها يسوع بقولهِ عن الاساس الذي عليهِ يبني كنيستهُ لما كلّم بطرس في الاسبوع الماضي. لان رأس الكنيسة الوحيد وقف على هذا الجبل يتكلم مع زعيمَي العهد القديم[1] الممثل قسم الكنيسة الموجود في السماء على مسمع الرسل الثلاثة الممتازين زعماء العهد الجديد وممثلي القسم الارضي من هذه الكنيسة الواحدة

ولا عجب ان بولس صرّح بلذّة موضوع هذه المحادثة واهميتهِ ايضاً. اذ قال "لم اعزم ان اعرف شيئاً بينكم الاَّ يسوع المسيح واياهُ مصلوباً"[2] والملائكة والقديسين في السماء يردّدون في تسابيحهم ذكر هذا الموت المجيد الذي هو اكليل فخر يسوع الممتاز والذي لاجلهِ يحبهُ الآب[3] ولا ريب ان الذين يسكتون عن موت يسوع الفدائي او ينكرونهُ يخسرون ويُخسّرون كل من ينتمي اليهم اعظم شمس من شموس مجدهِ الازلي. قال هو مرّةً "ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير"[4]

ربما كان قد استوفى حديث يسوع مع زائريهِ السماويّين لما استفاق الرسل من نومهم الثقيل ورأوا فجأةً ان سيدهم لم يعد جاثياً يصلي كما عهدوهُ عندما غلبهم النعاس. ولما نظروهُ يتكلم مع شخصين لم يصعدا معهم الى هذا الجبل العالي وعرفوهما. كان لرؤيتهما وقع اعظم في اعينهم مما لو كانا ملاكين. لا تهجمهم زيارة ملائكة مجهولي الاسم والامر كزيارة النبيّين العظيمين

---

(١) قال احد الافاضل عن هذين النبيين "في هذه المقابلة شهدا بصحة دعوى يسوع واعترفا ان وظيفتهما انتهت باتيان المعلم العظيم الذي اشارا اليهِ وشهدا بهِ قبل اتيانهِ ووضعا عند قدميهِ الوكالة التي توليا بناء على انهُ يعظم بموته الشريعة الادبية ويكمل بهِ الشريعة الرمزية وتتم كل النبوات ويبلغ كل ما في النظام القديم غايتهُ". (ادي في مت ١٧ صفحة ٣٣٨) (٢) ١ كو ٢: ٢ (٣) يو ١٠: ١٧ (٤) يو ١٢: ٢٤

اللذَين يوقرونهما ويجلُّون ذكرهما الى درجة تقرب من العبادة. واللذَين كانت اعمالهما المجيدة موضوع دروسهم واحاديثهم منذ الطفولية. وها هم الآن يبصرون في يقظة وليس في رؤيا مجدًا جديدًا عجيبًا لرفيقهم وسيدهم يسوع مع موسى وايليا مسربلين ايضًا بمجد سماوي[1]. ومما زاد اسفهم كثيرًا على ما خسروهُ من هذا المجد في نومهم ملاحظتهم ان موسى وايليا يهمّان للانصراف. ولهذا لا نتعجب ان بطرس العجول الجسور يحاول امساكهما عن الذهاب

قد تعوّدنا ان نراهُ تائهًا عن الصواب في تجاسرهِ. اما الآن فيتطفل ويقدّم ليسوع رأيًا للعمل. فاتهُ ان المتوجب عليهِ انتظار آراء يسوع وارادتهِ الكاملة لا تقديم آراء ليسوع كأنهُ اوفر حكمةً من سيدهِ. فاقترح ان يشتغل مع رفيقيهِ في نصب اكواخ كالتي تعوّدوا ان ينصبوها في ضواحي اورشليم في عيد المظال. اكرامًا ليسوع وزائريهِ ينصبون ليس مظلّة واحدة كبيرة عمومية. بل لكلٍّ منهم مظلة منفردة خصوصية لعل رؤية التدابير المعدّة لراحتهما تجعلهما يطيلان المكث هناك. أفلا يثق بطرس بان يسوع يحبّذ هذا الرأي الذي يؤول ايضًا الى اطالة راحتهِ وسرورهِ وتمجيدهِ. لانهُ يقيهِ من تحمُّل الذل والكدر في مخالطة اليهود المقلقين سواء كانوا من خصوم خبثاء يحاولون قتلهُ او مجانين وسقماء يسترحمون الشفاء. فاسند اقتراحهُ الى حجة صحيحة وجميلة بقولهِ "يا رب جيّد ان نكون ههنا". ومثل هذا القول قد درج على السنة المؤمنين في كل آن ومكان متى حضروا في اماكن الصلاة

اما الجواب على اقتراحهِ فلم يأتِ من يسوع بل من السماء. لانهُ "فيما هو يتكلم ظللتهم سحابة نيّرة فخافوا لما دخلوا في السحابة". ثمّ زاد خوفهم جدًّا وسقطوا على وجوههم لما طرق مسامعهم من وسط السحابة صوت من شخص غير منظور. ولا سيما لما دلّ الصوت على قرب الجلالة الالهية التي كانت تحلّ في

(١) يتضح من كلام بطرس ويوحنا فيما بعد ان هذا الظهور كان حقيقيًّا (يو ١:١٨ ٢بط ١:١٥—١٨)

المجد القديم وتكلّم موسى . صوت الذي قال عنهُ المزمور "الجاعل السحاب مركبتهُ"(١) . وقال اشعياء "هوذا الرب راكب على سحابة سريعة"(٢) . فلا عجب اذا سقطوا على وجوههم وخافوا جدًّا . لان "ليس احد يرى الرب ويحيا"(٣) او لئلا يظهر لهم صاحب الصوت فيموتون غطّوا وجوههم وانطرحوا على الارض حابسين قوّة البصر

يُستدل من كلام هذا الصوت انهُ أتى لاجلهم . فما أعظم هذا الاكرام وهذه المكافأة لهؤلاء الرسل على ايمانهم . كم مرّة طلب روّساء اليهود آية من السماء عبثًا . اما الآن فأُعطي لهؤلاء الصيادين الثلاثة أعظم آية في الصوت الذي قال في آذانهم "هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت . لهُ اسمعوا"

في الاسبوع الماضي وافق يسوع على شهادتهم انهُ ابن الله وليس ابن الانسان فقط . فالآن يثبت صوت من السماء تلك الشهادة . فصار برهانًا حسيًّا كاملاً على ما شاهدتهُ عيونهم وسمعتهُ آذانهم على هذا الجبل . فاي محلٍّ بعد للارتياب ؟ لما جاهر هؤلاء فيما بعد بهذه الحقيقة اسندوا تاكيدهم اياها الى هذا الحادث الفريد ليس في ايامهم فقط بل في كل التاريخ . وجاء هذا الاعلان بغاية المناسبة في الاحوال التي اشير اليها في فاتحة هذا الفصل

أخذ الرسل من الصوت السماوي مثالةً مهمة جدًّا اي ان الاهتمام الاعظم يجب ان يُصرف الى نيل الرضى الالهي لا البشري . فاي عاقل يبالي بغيظ البشر حتى اعظمهم او بمقاومتهم حتى امرّها متى كان حائزًا على الرضى الالهي ؟ في قول الصوت "لهُ اسمعوا" اتمام تصديق ما فعلوهُ في عدم استماعهم لروّسائهم الكتبة والفريسيين وروّساء الكهنة وفي اصغائهم الى يسوع بدلاً منهم . ومع وجود موسى وايليا معهم لم يكن الامر الالهي "لهما اسمعوا" . فكم بالحري لا يكون الامر الالهي ان يصغوا للروّساء الصغار في ذلك العصر .

(١) مز ١٠٤ : ٣ (٢) اش ١٩ : ١ (٣) خر ٣٣ : ٢٠ مع خر ١٦ : ٢١ واش ٦ : ٥

أفلا يرنّ في مسمع كل مؤمن دوماً هذا الصوت الالهي القائل عن يسوع "له اسمعوا". فيجعله يعدل عن الاصغاء الى التعليم البشري ما لم يكن ذلك التعليم صدى تعليم المعلم الالهي؟ لان محبي الله لا يحبون ان يصغوا الاّ لصوت وحيده

وبينما كان هؤلاء الثلاثة ساقطين على وجوههم خوفاً ارتفعت السحابة مركبة الملك السماوي نقلّ النبيين رجوعاً الى حيث كانا اذ قد اتمّا رسالتهما. فلم يؤيد احتفاء الرسل الثلاثة بهما. لا بل كان الصوت الذي امرهم ان يسمعوا للابن الحبيب بمثابة توبيخ لطيف على تمسكهم بموسى وايليا كأنهم يربحون بمعيتهما اكثر مما هم حاصلون عليه. وكأن الصوت يقول لهم ليس حظكم الديني مرتبطاً بالذين لا يدومون معكم نظير موسى وايليا. بل بالذي هو رفيقكم الدائم وان كنتم لستم تعرفون قيمته بعد

لكنهم لم يدروا بارتفاع السحابة وذهاب النبيين الاّ بعد ان لمسهم يسوع وقال "قوموا ولا تخافوا. فرفعوا اعينهم ونظروا حولهم بغتةً ولم يروا الاّ يسوع وحدهُ معهم". فنعم الخوف الذي تعقبهُ الطمأنينة من الله. ونعم البصر الذي يحدق "بيسوع وحدهُ" كما جرى لبطرس ويعقوب ويوحنا في هذه الساعة المباركة. لم يروا الاّ الذي هو الكل وفي الكل اذ ليس من حاجة الى غيره. وكل من يرى بعين الايمان الامور السماوية او يسمع باذن الايمان الصوت الالهي تنحصر كل امانيه في يسوع وحدهُ. "عريس الكنيسة" لا يقبل معهُ شريكاً في محبتها. فان لم يكن عندنا ان يسوع وحدهُ هو المخلّص والشفيع وسيد حياتنا يكون لنا ليس مسيح الله بل مسيح آخر نختلقهُ نحن

لا شك انهُ يزول من افكار الرسل كل ريبة بخصوص الخلود بعد رؤيتهم موسى وايليا عيانًا. ولما كان الصدوقيون المتنفذون وفلاسفتهم العلماء ينكرون الخلود والارواح كان هذا البرهان المناقض لاضاليلهم غاية في الاهمية لمام الذين سيكونون معلمي الكنيسة المسيحية الجديدة. واستناد الرسل ايضاً انهُ

بوجد جسد ممجّد مرتبط بالجسد الارضي الاصلي وغير مقيد بالقيود التي كان مقيّدًا بها هنا في كل حركاتهِ . فقد اشار بولس الرسول الى ذلك لما كتب للمسيحيين اليونانيي الاصل في مدينة كورنثوس والميالين للبحث الفلسفي كلامًا مسهبًا في هذا الموضوع استهلّهُ بقولهِ "كيف يقام الاموات وباي جسم يأتون"؟ (١)

وقد تبرهن ايضًا للرسل ان الذين ماتوا في الايمان ليسوا في حالة السبات بانتظار يوم القيامة كما يزعم البعض . بل هم امام العرش يستعدون لخدمة افكار الاله ومقاصدهِ . اما انهُ سيكون لجميع المؤمنين (وليس للذين يتقلون فقط على الصورة العجيبة التي كانت لهذين النبيين) اجساد مجيدة وراء فساد القبر فظاهر من عبارات كثيرة في الانجيل المقدس

من وادي الاقناع العميقة في برية التجربة صعد يسوع في اول خدمتهِ الى جبل التجلي العالي جدًّا في منتصف خدمتهِ لينزل منهُ ايضًا الى وادي ذلّ اعمق من الاوّل في نهاية خدمتهِ عند آلامهِ وموتهِ على الصليب . وكما كان على رأس هذا الجبل مجد كان عند حضيضهِ هوان لانهُ بينما كان بطرس ويعقوب ويوحنا في نعيم كان رفقاؤهم التسعة في جحيم . لم ينل هؤلاء شيئًا مما حظي بهِ الثلاثة تثبيتًا لايمانهم بيسوع بعد الانباء بموتهِ . فيظهر ان ايمانهم تزعزع لان يسوع كان قد اعطاهم جميعًا قوّة لفعل المعجزات قبل هذا الوقت (٢) والان نراهم يحاولون في غياب سيدهم ان يخرجوا روحًا نجسًا اخرس واصمّ حالًّا في شاب قدّمهُ اليهم والدهُ لكنهم فشلوا لضعف ايمانهم . واكسبتهم خيبتهم استهزاء خصومهم بين الجمهور . فباتوا بخجل عظيم . وزاد عذابهم لما حاورهم هؤلاء العلماء طارحين عليهم سؤالات عجز عن حلها البسطاء نظيرهم

فبينما يدور ان محاوريهم تنصبّ على رؤوسهم درى الجمع باقتراب يسوع ورفقائهِ النازلين من الجبل ومعهم جمهور كان قد استقبلهم قبل وصولهم الى

(١) ١كو ١٥: ٣٥-٤٤ (٢) مت ١٠: ١

الرسل التسعة. فركض الجمع الذي مع هؤلاء التسعة حالاً وسلموا على يسوع. لكنهم تحيروا لما رأوهُ. ولا عجب اذا كان لم يزل ظاهراً في هيئتهِ آثار لمجدهِ في التجلي كما حدث لموسى عند نزولهِ من الجبل (١). اما يسوع فمع علمهِ بما جرى طلب من الكتبة ان يخبروهُ بموضوع محاورتهم مع تلاميذهِ. لكن أبا الولد المصاب لم يعطهم فرصة للجواب. اذ تقدَّم وجثا ليسوع وصرخ طالبًا منهُ ان يفعل لهُ ما عجز رسلهُ عن فعلهِ. واحتج في طلب الرحمة ان ولدهُ وحيد وشرح حالتهُ المحزنة بهذه الالفاظ "ها روح يأخذهُ ويصرخ بغتة. وحيثما ادركهُ يمزّقهُ ويصرعهُ فيزبد ويصرّ باسنانهِ ويبيس ويتألم شديدًا. وبالجهد يفارقهُ مرضضًا اياهُ. وكثيرًا ما القاهُ في النار وفي الماء ليهلكهُ" (٢)

ان سلَّمنا بالعلاقة الكلية بين العلل الجسدية والروحية في كثير من الاحوال يسهل علينا الفهم بان مرض هذا الشاب مع خرسهِ وصممهِ ناتج عن سلطة شيطانية (٣) لذلك نرى يسوع يعتني ليس في ازالة الاعراض بل في ازالة الاسباب اولاً. والوالد استخدم فشل التلاميذ التسعة حجةً ثانيةً لاستنجادهِ بيسوع. فكان جواب يسوع توبيخًا عموميًا للحاضرين. يشمل الكتبة الذين حاوروا تلاميذهُ. وتلاميذهُ الذين فشلوا في ما باشروهُ. والوالد الذي قصَّر في ايمانهِ. اذ قال "ايها الجيل غير المؤمن والملتوي الى متى اكون معكم الى متى احتملكم؟"

فأثَّر هذا الكلام في الاب لتذليلهِ استعدادًا لتوليد الايمان في قلبهِ. لكن يسوع لم يتركهُ في ذلهِ بل انعشهُ بقولهِ "قدِّم ابنك الى هنا". أليس هذا صوت يسوع على الدوام لكل والد "قدِّم ولدك الى هنا؟". وهذا التقديم هو ما يفعلهُ الوالدون عند ما يأتون باولادهم القاصرين للعماد المسيحي. وهذا ما

---

(١) خر ٣٤: ٣٠ و٢ كو ٣: ٧ و١٣ (٢) في هذا الوصف تظهر اعراض داء النقطة تمامًا لكن هذا لا ينفي وجود سبب فوق الطبيعة لهذه الاصابة (٣) انظر لو ١٣: ١٦

يفعلهُ بالصلاة والايمان كل مسيحي لخلاص ذويهِ الذين لا يزالون في قيود ابليس

اشترك البعض مع الاب في تقديم ابنهِ . لكنهم لم يدركوا ماذا يكون فعل الروح النجس عند مقابلتهِ مع يسوع . فكأنهم وهم يسعون في الرحمة تحوّل سعيهم الى نقمة . لان الروح لما رأى يسوع للوقت صرع الولد ومزّقهُ فوقع على الارض يتمرّغ ويزبد . لان ابليس لا يفلت من فرائسهِ احدًا بسهولة . وقبل كسرهِ يظهر كيدهُ بتعذيب الذين يضطر ان يفلتهم . لكن هذا العذاب هو باب الفرج . وطالب الخلاص لا ينتظر ان يسلم من الصرع . لان خطاياهُ الماضية تعذبهُ وآلات ابليس البشرية تقاومهُ . "فحقًا ما اضيق الباب واكرب الطريق الذي يؤدي الى الحياة وقليلون هم الذين يجدونهُ"(١)

اما يسوع فسعى في تنشيط ايمان الوالد واظهار محبتهِ لهُ بسؤال بسيط عن مدة استيلاء هذه المصيبة على الولد . فدلّ جواب الرجل "ان كنت تستطيع شيئًا فتحنن علينا واعنّا" على انهُ لم يكن يعرف يسوع سابقًا . ولا بدّ انهُ فهم من التسعة ان يسوع اعطاهم سلطانًا كافيًا لاخراج الارواح . فلما وجدهم عاجزين في قضية ابنهِ ظن ربما يعجز يسوع فيها ايضًا . لكن يسوع علّق على جواب الرجل درّة ثمينة جدًا لما قال "كل شيء مستطاع للمؤمن" . فكأنهُ يقول للرجل "ليس الخلل في استطاعتي ان اشفي ابنك بل في استطاعتك انت ان تؤمن . فنعل دواء هذا الطبيب فعلهُ الشافي في هذه النفس العليلة . لانهُ "صرخ للوقت بدموع أؤمن يا سيد فأعن عدم ايماني" . فاصاب العلّم في طلبهِ تقوية ايمانهِ(٢)

---

(١) مت ٧:١٤ (٢) يقول الشاعر المسيحي

مولاي اني مؤمن زدني عزمًا يقوّي بالندى أمني
واجعل يقيني ثابت الركن واشدد بروحك مولاي ايماني
آمنت يا ربي فقوّ ايماني شدّد يقيني وزد فيك إركاني

صار صراخ هذا اليائس شعاراً مؤثراً وصلاة جميلة لكل من يشعر باهمية الايمان وبتقصيرهِ فيهِ. لان الايمان القلبي منتاج الخيرات الالهية. ليس للمنتاج فضل. لانهُ لا يُوجِد من الخيرات شيئاً. لا يضع حبة واحدة من الحنطة في الحاصل الكبير. لكنهُ الواسطة الوحيدة والكافية لاستدرار كل ما في هذا الحاصل قانونياً. دموع هذا الرجل جعلتهُ مثالاً للتغيير الروحي في القلب الذي كان يرافق معجزات يسوع الشفائية. وصحَّ فيهِ قول النبي داود "الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج"(١). فانتهر يسوع الروح النجس بسلطان آمر مطاع حتى من الشياطين قائلاً "ايها الروح الاخرس الاصمّ انا آمرك اخرج منهُ ولا تدخلهُ ايضاً"

فعند ذلك بذل الشيطان حسب عادتهِ منتهى قدرتهِ قبل خروجهِ لكي يعذّب ويهلك ان امكن. لكنهُ وجد هنا من هو اقوى منهُ الذي قيّدهُ لانهُ أتى لينقض اعمالهُ. ولم يسمح لهُ ان يوصل هذا المصاب المسكين الاّ الى حافة القبر قبل ان يطلقهُ وكما تتقدم اظلم ساعات الليل فجر النهار كان امر هذا الولد. لان الشيطان صرخ وصرعهُ شديداً قبل خروجهِ حتى قال كثيرون انهُ مات. اما يسوع فمدّ تلك اليد المحسنة والموصلة بينهُ وبين اليائسين والحلقة الرابطة المعطي بالمستعطي. ونشل هذا الولد من باب الهاوية واقامهُ سالمًا صحيحًا. وسلمهُ الى ابيهِ. ان الخاطىء المتسلط عليهِ ابليس لا يسمع الاصوات الالهية ولا ينطق بمجد الله. لكن الذين يحرّرهم يسوع من هذه السلطة يحرّرهم ايضاً من الخرس والصمم الروحيين فيسمعون تعليمهُ ويتكلمون بامجادهِ(٢)

عرف الجميع ان يسوع عمل هذا باسم ابيهِ ولمجدهِ. لذلك "بهتوا من عظمة الله". في هذا الكلام دليل ان أغلب الجمهور في هذه البلاد الامية كانوا وثنيين ورأوا للمرّة الاولى برهانًا حسيًا للفرق بين آلهتهم الباطلة واله اسرائيل الحي

(١) مز ١٢٦: ٦ (٢) اش ٣٥: ٥ و ٦

القادر على كل شيء . بعد ذلك دخلوا بيتاً منفردين . فسألهُ التسعة عن سبب فشلهم . لانهم لم يتعلموا بعد ان سبب كل فشل لا يكون الاَّ داخليًّا . لان الفشل الذي اسبابهُ خارجية لا يُعدّ فشلاً حقيقيًّا . ولم ينتبهوا لينظروا في قلوبهم ليجدوا علّة انكسارهم . ويُحتمل ان حب الذات منعهم عن السرور بنجاح يسوع في ما عجزوا عنهُ . واذ كان عدم ايمانهم سبب فشلهم قال لهم "ان هذا الجنس لا يخرج الاَّ بالصلاة والصوم"

في خاتمة كلامهِ اعلن مجددًا قيمة الايمان بقولهِ "لو كان لكم ايمان مثل حبّة خردل لكنتم تقولون للجبل "انتقل من هنا الى هناك فينتقل" . لا يخلو هذا القول من صعوبة في تفسيرهِ . لكن لا يظن احد ان يسوع قصد فيهِ المعنى الحرفي . هو ذاتهُ لم ينقل جبلاً فكيف ينتظر ذلك من تلاميذهِ؟[1] . صاحب الافكار العالمية لا يرى في هذه الآية طلاوةً . لانها لا تتم حرفيًّا . لكن ذو الافكار الروحية يرى بالواقع حوادث نقل الجبال بالمعنى الروحي متواصلةً جيلاً بعد جيل

لم يزل يسوع يتابع جولاتهُ مع رسلهِ بعد نزولهم من الجبل . وبينما هم يترددون في الجليل كان الجميع يتعجبون من كل ما فعل . لكن لهُ عمل خصوصي كان في المنزلة الاولى من الاهمية . لانهُ علم ان اعلانهُ الاوَّل لتلاميذهِ بآلامهِ وموتهِ وقيامتهِ في اليوم الثالث لم يرسخ في اذهانهم . فيلزم تكرارهُ مع الشرح لزيادة تأثيرهِ . وهذا لا يتمّ الاَّ على انفراد عن الجموع . لذلك ذكر البشير في هذا الوقت انهُ لم يُرد ان يعلم أحد . اي انهُ اراد الاختلاء مع تلاميذهِ على قدر الامكان . ثمَّ يزيد انهُ "كان يعلم تلاميذهُ ويقول لهم ضعوا انتم هذا الكلام في آذانكم" . ثم كرّر الاعلان المنوَّه عنهُ . وبعد هذا التكرار الصريح

(١) ما هي الفائدة التي تحصل من نقل الجبل . انها لا تربو عن الاضرار حتى ولا توازيها

يقول البشير. "واما هم فلم يفهموا هذا القول. وكان مخفى عنهم لكي لا يفهموه". لا يعني بهذا الكلام أنهم لم يبالوا بالقضية . لانهُ يختم بقولهِ "فحزنوا جدًّا وخافوا ان يسألوهُ عن هذا القول"

الفصل الحادي والثلاثون

(مت ١٧: ٢٤–١٨: ٣٥ مر ٩: ٣٣–٥٠ لو ٩: ٤٦–٥٠)

(المرصّع) ف ٢٧ (الزمان) خريف السنة ٢٩م (المكان) الجليل وكفرناحوم

المعجزة لايفاء الجزية . مثالة في التواضع . العثرات وتجنبها والويل لمسببها . يسوع جاء ليردّ الضالين . تحذيرهُ من احتقار الصغار . قانون المسامحة الاخوية . تصريحهُ بحضورهِ الدائم مع تلاميذهِ . مثل العبد الظالم والنهي عن الحقد

لا نعلم نوع الاستقبال العمومي الذي حصل ليسوع عند عودهِ الى وطنهِ كفرناحوم بعد غيابهِ الطويل . لكننا نعلم ان جباة مال الهيكل ترقبوا رجوعهُ ليأخذوا منهُ الدرهمين المفروضين على كل يهودي فوق سن العشرين (١) . ويجوز ان هذا الطلب تقدّم الآن لاوّل مرّة بتحريك من الرؤساء لاجل تحقيرهِ بحرمانهِ من حقوق الاعضاء الممنوحة للانبياء ورؤساء الدين او لاتخاذ حجة لضررهِ ان أبى الدفع . ويجوز انهُ كان يدفع سنويًا هذه الكمية الزهيدة . فألتقى الجباة ببطرس خارجًا وسألوهُ أما يوفي معلمهُ الدرهمين حسب عادتهِ (٢)

---

(١) كانت هذه الجباية لنفقات الهيكل في شراء حيوانات للذبائح اليومية وحطب ودقيق وبخور وملح وزيت الى غير ذلك (٢) قيمة الدرهمين نصف شاقل اي بين السبعة والثمانية غروش انظر خر ٣٠: ١١–١٦ و ٣٨: ٢٦ و٢ مل ١٢: ٤ وه و٢ اي ٢٤: ٥ و٦ و٩ ونح ١٠: ٣٢ أيضًا أنظر الشرح في مت ١٧: ٢٤ في تفسير الانجيل . لم يذكر هذه القصة الاّ متى الرسول الذي كانت مهنتهُ الجباية . وذكرها لانهُ كتب لليهود الذين كان هذا المطلوب من طقوسهم المذهبية

كان عليهِ ان يسأل يسوع قبل ان يجاوبهم. لكنهُ تطفّل وقال لهم "بلى". فلما عاد الى البيت اضطرّ يسوع ان يبيّن لهُ خطأهُ . ولعلمهِ بما جرى دون ان يسمع الحديث سبقهُ في الكلام وسألهُ ممّن يأخذ ملوك الارض الجباية او الجزية . هل تؤخذ من بني الملك او من رعاياهُ الذين هم اجانب بالنسبة الى اولادهِ ؟ فأجاب بطرس "من الاجانب" . فقال يسوع "اذًا البنون احرار" . قد اعترفت يا بطرس اني ابن الله . فكيف يُطلب مني جزية لبيت ابي ؟

اكتفى يسوع بان صرّح بحقوقهِ ولم يتشبّث بها . لانهُ لو اصرّ على عدم الدفع يُعثر الآخرين. لان الرؤساء والعموم لا يعترفون بهِ كالمسيح. فيكون رفضهُ ايفاء الجزية في اعتبارهم تمرّدًا وتحقيرًا للهيكل والدين . ولم تكن هذه الجزية من تقاليد الشيوخ ليكون في رفضها فائدة تعليمية . بل من النظام الاصلي وهو لا يقصد إلغاء الفرائض الخارجية التي هي بوصايا الهية الاّ بعد اتمامها واكمال عملهِ الفدائي . فامتثل للنظام واعطى بذلك مثالاً لتابعيهِ ان لا يتشبّثوا بحقوقهم متى كان يُخشى من ذلك ضرر او خصام او شكوك. فالسير على هذه القاعدة يزيل القسم الاعظم من المشاكل والخصومات بين الناس

قد يكون الصندوق الذي كان بتسليم الاسخريوطي فارغًا في هذا الوقت. او ان يسوع اراد ان يقرن خضوعهُ للنظام بمعجزة تقوّي ايمان بطرس وتعلن ان هذا الخضوع لم يكن قسرًا. فمع خضوعهِ للظلم في ما يتعلّق ببيت ابيهِ الضيّق المسمّى الهيكل يستعمل سلطتهُ المحقّة في بيت ابيهِ الاوسع الذي هو الخليقة. لذلك أمر بطرس ان يُحضر المطلوب فقط بواسطة مهنتهِ . ليس بصيد رسمي بالشباك والسفينة بل بالصنّارة لاجل السرعة. واخبرهُ انهُ عند فتحهِ فم اوّل سمكة يصطادها يجد استارًا يساوي اربعة دراهم تكفي لايفاء المفروض عليهِ وعلى سيدهِ . وقال "اعطهم عني وعنك" لا "عنا" لان بطرس مكلّف بالدفع

قانونيًا ولكن يسوع غير مكلّف فيكون دفعهُ كرمًا

في هذه الحادثة باب للمفكّر ان يسأل هل يُحسب هذا العمل معجزةً وما نوع المعجزة فيهِ؟ ربما ساق فعل يسوع هذه السمكة الى هذه الصنّارة . والاّ فعلى الاقل ان علم يسوع بما تكون نتيجة إلقاء الصنارة يكون من باب المعجزات . لايخبر البشير عن نتيجة امر يسوع . فالإضراب عن بيان نجاحه يؤيّد صدق الرواية . لانهُ غير معقول ان يلفّق احد رواية كهذه الاّ ويبيّن ان القول تمّ فعلاً . لم تخرج هذه القصة عن قاعدة يسوع ان لا يفعل معجزة لفائدة ذاتية اذ قصد فيها المحافظة على صدق بطرس وكرامتهِ وتقديم قدوة في حفظ النظام الموسوي بتدقيق

والظاهر ان بعض التلاميذ عند رجوعهم من جبل التجلّي تحدّثوا على غير مسمع من يسوع في مَن هو الاعظم بينهم . ومن الطبيعي ان الذين منهم لم يدّعوا لانفسهم الاولية كانوا ينتصرون للذين يريدون لهم الكرامة الممتازة . فأوصلهم الحسد الى الاحتجاج الحادّ الذي لربما بنوهُ على بعض الامتيازات الشخصية في معاملات يسوع وكلامهِ. فما اشدّ هذه الضربة على قلبهِ الرقيق المحب بوقوع هذه المشاحنة الدنيئة الصبيانية بين الذين قد اصطفاهم من بين كل البشر رسلاً لهُ ويا لهُ من هبوط عظيم في الآمال التي تعلقت عليهم !

فبعد وصولهم الى كفرناحوم فاتح بعضهم في ما عسى ان يكون موضوع جدالهم الحماسي الذي لم يسمعهُ فسكتوا . كان يجب عليهم ان يعترفوا ويصلحوا زلّتهم . أوَلم يقرأوا في كلام الحكيم "من يكتم خطاياهُ لا ينجح ومن يقرّ بها يرحم"(١) . اوَلم يذكروا اختبارات داود الذي قال عن نفسهِ "لما سكتُّ بليت عظامي من زفيري اليوم كلهُ. قلت اعترف لك بذنبي وانت رفعت آثام خطيتي"(٢) . لكن بعد سكوتهم تقدّموا وطلبوا اليهِ ان يفيدهم عن اساس العظمة في ملكوت

(١) ام ٢٨:١٣ (٢) مز ٣٢:٣ و٥

السموات ومن هو الاعظم فيه (١)

فلكونهِ اراد ان يستفيد كل الرسل الفائدة التي تتبع هذا السؤال جلس ونادى الآخرين منهم حتى اجتمع الاثنا عشر جميعاً . ثم دعا ولداً اليهِ واوقفهُ في الوسط لينظر اليهِ الجميع (٢) . ثم احتضنهُ متخذاً هذه المثالة العملية اساساً لتعليمهِ المخالف روح العالم . واباان ان العظمة في ملكوتهِ لا تكون الاَّ للذي لا يطلبها وان لا أحد يدخل هذا الملكوت الاَّ من يرجع ويصير مثل ولد

المعلوم ان من اوصاف الولد بساطة التواضع بدلاً من ادعاء العظمة. وعدم المبالاة برفعة المقام . وسهولة الانقياد والطاعة دون تردُّد او اعتراض بدلاً من عدم الاكتراث للحكم الصالح . وسرعة المسامحة على الاذية بدلاً من الحقد والتشبُّث بالانتقام طويلاً . والانصباب على الرجاء والنظر الى المستقبل بسرور بدلاً من التنوط والياس . والارتضاء بالخير القليل بدلاً من الطمع وتصديق المقال بدلاً من الشكوك والظنون السيئة

لذلك قال "فالاصغر فيكم جميعاً هو يكون عظيماً" (٣) قال الرسول "يقاوم الله المستكبرين واما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (٤). تسعة عشر قرناً مرَّت على البشر ولا يزال هذا التعليم مجهولاً الاَّ عند القليلين . واكثر الناس لم يحفظوا شيئاً من فن التواضع ! والرسل ذواتهم لم يستفيدوا في ذلك الوقت الاَّ قليلاً من هذا التعليم . لانهم جددوا هذه المشاحنة

---

(١) يخال لنا ان المسيح الاعظم والهادئ بهذه المشاحنة كان الاسخريوطي ولكونهِ غير متجدد روحياً كان اكثر تعرضاً من الآخرين للطمع والكبرياء والحسد . قال الحكيم "ان خاطئاً واحداً يفسد خيراً جزيلاً (جا ٩: ١٨) (٢) لعلهُ كان ابن بطرس صاحب البيت (٣) يظهر ان الرسل لا يعرفون من هو الاعظم بينهم . ويسوع في جوابهِ لم يعطِ أقل اشارة الى عظيم بينهم . فكيف يتفق ذلك مع الزعم انهُ لما كلم بطرس في قيصرية فيلبس عن أساس الكنيسة والسلطان والمفاتيح أعطاهُ الرئاسة الدائمة

(٤) يع ٤: ٦

فيما بعد . وفي هذا الوقت طلبوا ان يعرفوا من منهم يكون الاعظم في ملكوت السموات . لذلك هم في خطر ليس ان يفقدوا الامتياز فقط بل الدخول الى هناك. وما دام الذي يطلب العظمة لنفسه ولا يرجع ويصير مثل الاولاد لن يدخل ملكوت السموات عليهم ان يتركوا السؤال عن العظمة ويهتموا بالسؤال عن الدخول

ثم علّمهم يسوع شيئًا عن كرامة اسمهِ . حتى ان كل ما يصنعهُ احد باسمهِ يُحسَب اكرامًا لهُ . ومن يكرم صغيرًا باسمهِ يكون قد اكرمهُ. ومن يكرمهُ يكون قد اكرم الآب الذي ارسلهُ . فما اجمل هذه الرابطة التي تربط الآب بالابن ثم الابن باصغر المؤمنين باسمهِ واحقرهم !

على اثر هذا الكلام اخبرهُ يوحنا عما جرى معهُ ومع بعض رفقائهِ لما التقوا بانسان يخرج شياطين باسم يسوع وهو ليس من تابعيهِ ظاهرًا. فمنعاهُ ظنًّا منهم ان لاحقّ لغيرهم بهذا الامتياز الذي خوّلهم اياهُ سيدهم . لكن طالما لا يقدر غير يسوع ان يعطي هذا السلطان فلا مانع من ان يكون قد اخذهُ هذا منهُ على غير علمهم. وان يسوع اجاز لهُ ان يعمل باسمهِ دون ان يرافقهُ ودون ان يعرف الرسل بهِ . ولا نعلم ان كان توقّف هذا الرجل عن العمل. لان البشير لم يخبر بذلك . غير ان يسوع خطّأ يوحنا واظهر ان مَن ليس عليهِ فهو معهُ[1] اي ان لاحياد بالنسبة الى ملكوت البر والى شخص ملكهِ يسوع. فلا يصح ان يقال مطلقًا في الدين " لا معنا ولا علينا ". والواجب على يوحنا ان يعرف ان كل مستقيم يسمّي اسم المسيح سندًا لعملهِ يسندهُ المسيح . لان عملهُ يكون عزيزًا لديهِ. "اسم الرب برج حصين يركض اليهِ الصديق ويتمنع"[2]. وحامل هذا الاسم باستحقاق يكون تحت حمايتهِ وكل من يؤذيهِ يجازيهِ الملك ويكافئ كل من يقدّم لهُ اقل خدمة باسمهِ

ثم نطرّق الى موضوع آخر مهم جدًّا وهو العثرات . وكان قد تكلم عنهُ

(١) انظر مت ١٢: ٣٠ والشرح في ف ٩: ٣٣ (٢) أم ١٨: ١٠

في وعظهِ على الجبل (١) . ويكرّرهُ الآن كتعليم خصوصي لرسلهِ وحدهم . يكتفيْ بان اعطاهم قدوة في اجتنابهِ العثرة في امر الدرهمين . ولا بانهُ ونبههم على غلطهم في إعثار هذا التلميذ المجهول الذي كان يخرج شياطين باسمهِ. فاوضح لهم ان غرق الانسان مثقلاً بحجر الرحى في لجّة البحر افضل لهُ من ان "يُعثر احد هؤلاء الصغار". ولا بد من انهُ قصد بالإعثار اولاً قود الانسان غيرهُ الى الخطيئة . وعنى ايضاً الاهانة والتكبر في غير محلهِ. فمَن يفعل ذلك لاحد تلاميذهِ الحقيقيين ينال جزاء مخيفاً يجعلهُ يتمنى ان يُبدَل لو امكن بالغرق في قعر البحر

ولكي لا يولّد كلامهُ آمالاً فارغة في الرسل فيظنّون انهم يستطيعون ازالة العثرات من العالم تماماً قال "لابد ان تأتي العثرات" . فهل يُعذَر مسبّبها لانها لابدّ ان تأتي ? اسرع يسوع وتلافى هذا الوهم الذي يخفي وراءهُ من كان ميّالاً للمخالفة . فقال "لكن ويل لذلك الانسان الذي بهِ تأتي العثرة" (٢) . ولو قيل ان سقوط الانسان واسقاطهُ غيرهُ لابدَّ منهما في هذه الدنيا لا يعارض هذا القول شيئاً من حرية الانسان التامة في افكارهِ والحرية الكافية في حركاتهِ فلا يحميهِ من مطالبة الديّان

اما نصيحة يسوع ان يقطع الانسان يدهُ ويقلع عينهُ متى اعثرتاهُ فكلام مجازي . لان الامتثال الحرفي لا يزيل الاثم الذي مركزهُ القلب اي عواطف النفس لا اعضاء الجسد الخاضعة لتلك . فقطع هذه لا يصلحها . يمكن الانسان ان يرتكب جميع الخطايا في فكرهِ وقلبهِ ولو قلع ليس العين اليمنى فقط بل اليسرى ايضاً . وقطع يدهُ اليمنى واليسرى ايضاً . حتى ولو أعدم كل اعضائهِ مع بقائهِ حيّاً . الاله الروح الذي لهُ وحدهُ الحكم في امر الخطيئة والهلاك ينظر

(١) انظر ف ٣٠ ومت ٥: ٢٩ و ٣٠ (٢) ان قلنا لا بد من ان يسكر البعض فهل يُعذر من يبيعهم المسكر وقس عليهِ سائر العثرات

الى ما في القلب وليس الى ما في الاعضاء وبحكم . المقصود من هذا الكلام هو ان كل ما يستلزم الخطيئة يجب ابعادهُ ولو كان عزيزًا عند الانسان كعينهِ اليمنى او يدهِ اليمنى . واهتمام يسوع بهذا التعليم يُعرَف من كلام قالهُ سابقًا في وعظهِ على الجبل (١)

ولا يخفى على كل بصير ان الخالق قصد ان تكون اعضاء الجسد كافة بركة وآلة للخير في نفع الناس وتمجيد اسمهِ تعالى . لذلك يسمّي الرسول الاجساد هياكل الروح القدس . فالذي يشوّهها يهين هذا الهيكل وصانعهُ . لانهُ سبحانهُ لا يطلب قلعًا ولا قطعًا لاعضاء الجسد بل صيانتها وتكريسها لخدمتهِ الواجبة . وهذه الخدمة تتعذّر على من يتلف هذه الاعضاء

كل مطالع وقور يرتعد من كلام يسوع المخيف في تعليمهِ في هذا الموضوع ومما يُضاعف هذا التأثير صفات المتكلم المعهودة من لطف ورقّة وحنان . فلم ينطق بهِ في ساعة غيظ ليقال انهُ بالغ فيهِ عن انفعال ولم يَنُهْ بهِ لخصومهِ ليُظن انهُ شدّدهُ قصاصًا لهم على مكايدهم . بل كلم بهِ أحباءهُ بكل هدوّ ومحبة لما قال ان كل من يَعثر او يُعثِر غيرهُ يُعرّض لجهنم النار حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ". ليس في نفس يسوع في هذا الكلام من رائحة التهديد بل هو تحذير وانذار مقدّم مفيد ممن قد اتى من السماء ليخلص كل من يقصد الخلاص من هذه الابدية المرعبة . ولا يمكن ان محبًا نظيرهُ يبالغ في وصف المخاوف التي يُخشى ان تصيب الذين يحبهم . فلا يجوز الاستخفاف بها .

يتضح من هذا الكلام كم كان تركهُ الاحضان الابوية في السماء ومقاساة ما قاساهُ على الارض ضروريًا . حقًا انهُ لا يكفي لتأنُّس الاله وما احتملهُ من الآلام والصلب الاّ تخليص البشر من ويلات كالتي تكلّم يسوع عنها . فمن ينكر الدود الذي لا يموت والنار التي لا تطفأ لا يترك مسوغًا لمجيء ابن الله من السماء واحتمالهِ ما احتمل . فالدود الذي لا يموت نتيجة الموت اي فساد لا ينتهي

(١) مت ٥: ٢٩

ابدًا . وعن موت روحي ليس بعدهُ حياة . "والنار التي لا تطفأ" كناية عن هلاك أليم محقّق اشبه بآلام الحرق بالنار . والحذَر من اتخاذ هذا الكلام بالمعنى الحرفي يزيد الحقيقة هولاً . لان كل شريف يعلم ان الآلام النفسية اصعب جدًا من الآلام الجسدية

وبما ان يسوع قال هذا الكلام لرسلهِ عرفنا انهُ يجب ليس على الشرير فقط بل على الصالح ايضًا ان يضيف الى اسباب اجتنابهِ الاثم ذكر هذا الويل الذي يقع فيهِ الاثيم لامحالة . ومتى وقع لا يبقى لهُ سبيل للقيام . ولولا الكفارة التي اوجدها يسوع بموتهِ والغفران الموعود بهِ للمؤمنين الحقيقيين لكانت استحالة السلامة من العثرات تلقي حتى اصلح المتقين في اشد دركات اليأس

حذّر يسوع رسلهُ من احتقار الصغار مشيرًا الى اعتناء الله بهم حتى انهُ يقدّم لهم خدمة ملائكية خصوصية . قال ان ملائكتهم ينظرون كل حين وجه الآب السماوي . فاي حق للناس ان يحتقروهم ؟ يفهم ان هذا القول لا ينحصر في صغار السن بل يشمل ايضًا صغار النفوس وعلى الاخص المؤمنين بهِ الواقعين تحت نيران الاضطهاد او الغرق في بحر الاحتقار[1] . وفي ما يلي من كلام يسوع دليل على ان خلاصهُ يعم جميع الاطفال . لانهُ قال "ليست مشيئة امام ابيكم الذي في السموات ان يهلك احد هولاء الصغار"

واردف بهذا القول كلامًا جميلاً في غاية مجيئهِ من السماء بيّن فيهِ تمسّكهِ بلقب ابن الانسان . وهو "لان ابن الانسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك" . ومثّل عملهُ بتفتيش انسان عن خروف اضاعهُ . فترك على الجبال التسعة والتسعين التي لم تضلّ لكي يفتش عن الضال . ومتى وجدهُ يفرح بهِ

(١) تكلمنا مليًّا في خدمة الملائكة في غير هذا الفصل . وليس لنا في غير هذا القول مستند للظن ان العزة الالهية تخصص ملاكًا حارسًا لكل شخص . فلا حق لنا ان نجزم بصحة هذه العقيدة الدارجة لئلاّ يكون لهذه الآية تفسير آخر اصح

اكثر من التسعة والتسعين . حقًّا ان اهتمام الله وفرحهُ بخاطىء واحد يتوب اكثر من تسعة وتسعين بارًّا لا يحتاجون الى توبة يفوق ادراك البشر وان افكارهُ تعالى ليست كافكارهم

ثم تكلم يسوع عن عثرة أُخرى لابدَّ من وقوعها بين اهل الايمان ضمن الكنيسة . فكيف يتصرَّف المؤمن متى تعدَّى عليهِ اخ ؟ يُطلب منهُ ان لا يدخل معهُ في منازعة . وان يحفظ نفسهُ من الغيظ . وان يراعي المحبة الاخوية . فلا يفشي الامر خشية تجسُّمهِ ولا تعنيد اصلاحهِ . وعليهِ ان يعاتب المتعدّي حبًّا وعلى انفراد املاً برجوعهِ عن غيّهِ في الحال ومنعهُ عن تكرار زلَّتهِ . لانهُ يرجح ان المعتدي متى رأى في غريمهِ روح الحب وخطة المسالمة يخجل ويندم ويتوقف عن تكرار الاعتداء ويصلح ما فعل . ولهذا السبب قال يسوع "ان سمع منك فقد ربحت اخاك"

اما ان قسّى المعتدي قلبهُ فالواسطة الثانية لتخجيلهِ واقناعهِ الاستعانة بلجنة صغيرة مخلصة تسعى في اصلاح ذات البين . وتكون شاهدًا على المعتدي ان لم يمتثل للحق وللمعتدَى عليهِ ببراءتهِ من الذنب . لكن ان اصرَّ على رفض هذه الوسائط الحميمة تُرفع القضية الى المجلس الرسمي اي الكنيسة لتنظر في الامر وتسعى في اصلاح المذنب[1] . وهذا الاستئناف مفيد . لان من شأنهِ ان يجعل المعتدي يذعن للجنَّة لئلاَّ يزيد تخجيلهُ وتخفض كرامتهُ بسبب تقديم الشكوى عليهِ للكنيسة . فان لم يذعن لحكم الكنيسة يحق للشاكي أن يجتنبهُ ولا يعتبرهُ كأخ . لانهُ قد برهن ان ليس فيهِ الشروط الجوهرية للاخوية المسيحية وبعد هذا الكلام كرَّر يسوع عبارات منح السلطان للحل والربط الذي

(١) في كل تعليم يسوع وكلامهِ هذا هو الذكر الثاني والاخير للكنيسة التي سوف ينظمها رسله

صرّح بهِ بصيغة المفرد لبطرس بصيغة الجمع للرسل اجمالاً (١). قال "حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم" لذلك "ان اتفق اثنان منكم على الارض في اي شيء يطلبانهِ فانهُ يكون لهما من قبل ابي الذي في السموات" (٢). هذه هي المرّة الاولى من مرّات كثيرة فيها صرّح بانهُ يكون حاضراً مع اتباعهِ على الدوام . وهذا الادعاء لا يجوز بل لا يمكن ان يفوه او يفتكر بهِ انسان فهيم ومستقيم كيسوع ان كان مجرّد بشر فقط . ولذلك لا يُقال في غيرهِ من مؤسّسي المذاهب الدينية . والعيب الاعظم والعلة الكبرى في كثيرين من الذين يُسمّون مسيحيين انهم يهملون هذه الحقيقة الجوهرية . لذلك يعيشون كأن مسيحهم غائب في السماء كغيرهِ من الانبياء والرسل الكرام . فلا يتحفظون من المنكرات ويبادرون الى الحسنات في الافكار والاقوال والافعال كما لو كان معهم وانتبهوا الى حضورهِ

كانت الشريعة اليهودية تقضي بان يُغفر لمن يسيء اولاً وثانيًا وثالثًا . وان تكرّرت الاساءة لا يكلّف بتكرار المغفرة وشعر بطرس ان شريعة يسوع الجديدة اوسع من القديمة . وبمناسبة ذكر التعدي وبيان المعاملة المتوجبة ولما نهض وسأل السيد "يا رب كم مرّة يخطئ اليّ اخي وانا اغفر لهُ ؟ هل الى سبع مرّات ؟" ظنّ ان سبع مرّات هي اكثر ما يُطلب منهُ فيكون قد تكرّم بقولهِ الى سبع مرّات فكم كان خجلهُ لما اجابهُ يسوع "لا اقول لك الى سبع مرّات بل الى سبعين مرّة سبع مرّات" . يعني الى ما لا نهاية لهُ

ما اصعب هذا الامر على الانسان . فان الطبيعة البشرية لا تحتملهُ دون نعمة الهية . لكن الروح الذي يقود الى مسامحة مسيحية قلبية في المرّة الاولى يقود ايضًا في الثانية والى ما لا نهاية لهُ . ولا سيما انهُ كلما غفر مرّة يتقوّى فيهِ هذا الروح فيسهل تكرارها اكثر من منحها المرّة الاولى . والذي ليس في قلبهِ ان

(١) سبق الشرح في هذا السلطان في ف ٢٩ (٢) ان كان هذا القول موجهًا للرسل لكنهُ يعم أيضًا جميع المؤمنين الحقيقيين

يسامح المغفرة في المرّة المئة يبرهن ان مسامحتهُ الاولى لم تكن من روح مسيحي حقيقي . فكل من يشعر بفضل الاله الغفور لا يمكنهُ ان يحاسب اخوتهُ مهما عظمت تعدياتهم عليهِ

ولما كان ضرورياً ان يبيّن يسوع اساس هذا القانون الصعب ليقنع رسلهُ بصوابهِ اوضح لهم ذلك بواسطة مثل العبد الظالم الذي بعد ان ترك لهُ سيدُ الملك ديناً بليغاً للغاية لا يمكنهُ ايفاءهُ مطلقاً [1] قبض على احد رفقائهِ عبيد هذا الملك لدين زهيد كان لهُ عليهِ [2] وزجَّهُ في السجن . مع كل الاسترحامات والمواعيد واحسان مولاهُ اليهِ بتركهُ لهُ هذا الدين العظيم لم يلِن قلبهُ يصبر على رفيقهِ . بل اخذ بعنقهِ ومضى والقاهُ في سجن حتى يوفي الدين . فلما ابلغ العبيد رفقاؤهُ مولاهم الملك هذا الامر اغتاظ جدًّا واحضر هذا العبد الظالم وأنبهُ "وسلَّمهُ الى المعذّبين حتى يوفي كل ما كان لهُ عليهِ" . فاذا كان مفلساً قبل سجنهِ اي امل لهُ ان يوفي الملايين وهو سجين ؟ فلا مناص من بقائهِ الى الابد بين ايدي المعذّبين

في هذا المثل شبَّه الله بالملك والخطاة بالعبيد المديونين . فلعظم الدين الذي لله على الخاطئ يستحيل عليهِ كلياً ان يوفيهُ . لكن الله برحمتهِ وبناء على عمل الفداء هو مستعدّ ان يغفر لاعظم الخطاة متى اعترف لهُ وطلب منهُ الرحمة وتعهّد ان يصلح امرهُ فيما بعد . اما دَين الخاطئ لرفيقهِ البشري فزهيد بالنسبة الى دَين هذا الرفيق لربهِ . لذلك فهذا الخطأ اليهِ من العبد رفيقهِ متى حصل على الغفران الالهي لاحقّ لهُ ان يمسك عن رفيقهِ المغفرة على زلاّتهِ ولو مهما تكاثرت وتكرّرت . ولا يحق لانسان ان يدين اخاهُ قبل مقابلتهِ واستماع احتجاجهِ وعذرهِ لعلهُ اخطأ سهواً أو ظلمهُ واشٍ . فما ارهب العبارة التي ختم بها السيد جوابهُ على سؤال بطرس بقولهِ "فهكذا ابي السماوي يفعل بكم ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لاخيهِ زلاّتهِ"

(١) يعدّل بنحو ثلاثة ملايين من الليرات (٢) يعادل نحو اربع ليرات

قلنا في هذا التعليم منتهى تحريم الحقد . وبيان نتيجة الحقد المخيفة . ولنا في الصلاة الربانية برهان اهمية وجوب ترك الحقد لما نصلّي "اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين الينا" فلو ساد هذا بين المسيحيين لكان يضيء نورهم هكذا قدام الناس فيمجدون اباهم الذي في السموات . ولا ينتظر البريء الى ان يأتيهُ المذنب ليستغفر منهُ بل يسبقهُ اتماماً للقول "اذهب وعاتبهُ بينك وبينهُ" تمثّلاً بالذي لم ينتظر الخاطئ الى ان يتوب ويأتي اليه بل قد اتى من السماء ليطلب ويخلّص ما قد هلك

الفصل الثاني والثلاثون

(يو ٧: ١ – ٨: ٥٩)

(المرصع) ف ٢٤ و ٢٥ (الزمان) خريف السنة ٢٩ م . (المكان) اورشليم

عيد المظال وصعود يسوع اليه . عدم ايمان اخوته به . تعليمه في الهيكل . طلب اليهود قتله . ايمان كثيرين به . مناداته بالماء الحي . ارسال الفريسيين خداماً ليمسكوه ومدافعة نيقوديموس . الاتيان اليه بامراة أُمسكت في زنا . فتحه لها باب التوبة والرجاء . خطابه في الشهادات التي له . دينونة الذين يبغضونه . الحرية الروحية

يخبر البشير يوحنا ان يسوع تعمّد في هذه المدة التغيُّب عن اليهودية بسبب اصرار اليهود على قتله (وهو مضطر ان يحتفظ بحياته الى ان تأتي ساعته في الفصح المقبل الذي كان فيه مزمعاً ان يقدّم حياته ذبيحةً عن خطايا البشر) الى ان جاء عيد المظال[1] احد الاعياد الثلاثة السنوية التي فيها يجب على كل يهودي الذهاب الى اورشليم ليقدّم في الهيكل فروضه الدينية[2] الى هذا القانون بفوائد جزيلة . لانه كان يضطرّ اليهود المتفرّقين ان

---

(١) في ١٥ تسري اي ت١ بعد يوم الكفارة باربعة ايام واساسه في الشريعة الكلام الالهي في (لا ٢٣: ٣٤–٤٣ تث ١٦: ١٣—١٥) وكانوا يزينون فيه المنازل بالازهار والاغصان الخضراء ويكثرون من العزف والطرب . اما الذبائح والتقدمات المفروضة لكل يوم من اسبوع هذا العيد فمفصّلة في سفر العدد ٢٩: ١٢–٣٨ (٢) خر ٢٣: ١٤ و١٧ و٣٤: ٢٣ وتث ١٦: ١٦

يجتمعوا ويتبادلوا الافكار فتتجدد التعاليم الدينية والارشاد والغيرة القومية والارتباط المذهبي فكانت هذه النتائج وسيلة فعّالة للتمدن والاتحاد وللصيانة من التأثيرات السيئة من قِبَل العناصر الوثنية المحيطة بهم

ومع ان عيد الفصح هو اعظم الاعياد لم يكن الابتهاج فيهِ عظيمًا كما في عيد المظال الذي صار في اعتبار القوم اعظم الاعياد . معلوم من التاريخ الاسرائيلي[1] ومن كتابات يوسيفوس وبلوطرخس وحاخامي اليهود الذين من جملة اقوالهم "من لم يرَ افراح عيد المظال لا يعرف ما هو الفرح". ومما زاد في بهجتهِ وقوعهُ عقيب يوم الكفّارة . فكان رفع الدينونة على خطايا السنة بواسطة اجراءات يوم الكفّارة داعيًا عظيمًا للابتهاج . وكذلك وقوعهُ عقيب جمع الاغلال السنوية حيث يقدَّم فيهِ الشكر للمنعم الالهي لاجل خيرات الارض في بلادٍ قوامها المواشي والاغلال . واتخاذهُ تذكارًا لخائفة سني التيه في البرية . أضف الى ذلك بهجة ذكر دخولهم ارض الميعاد التي تفيض لبنًا وعسلاً وامتلاكهم اياها

وكان مفروضًا على الشعب كلهِ حتى سكان اورشليم ان يهجروا مساكنهم ويقضوا اسبوعًا كاملاً في مظال يبنونها من الغرف إما على السطوح او في الدور او في البرية تذكارًا لسكناهم اربعين سنة في الخيام مدة ارتحالهم من مصر الى كنعان . وكان معبدهم ايضًا خيمة

وكان على احد الكهنة في صباح احد ايامهِ ان يأخذ وعاء ذهبيًا ويملأهُ ماء من عين سلوام بجانب الهيكل ويدخل بهِ من باب الماء الى الهيكل ثم يمزج معهُ خمرًا ويسكب المزيج على المذبح بين هتاف الشعب المجتمع تذكارًا لمعجزة اعطاء الماء في البرية في تلك الرحلة . وكانوا ينصبون في دار النساء منارتين ذهبيتين ينتشر نورهما ليلاً على المدينة كلها . ثم ينير الشعب الازقة والبيوت فتصير المدينة المقدسة شعلة واحدة تذكارًا للعمود الناري الذي

(١) زك ١٤: ١٦–١٩ ونح ٨: ٩ و١٠ و١٢–١٧

كان ينيرهم ليلاً . وكان العلماء والشيوخ والرؤساء يرقصون في دار الهيكل تشبهًا بداود لما رقص امام تابوت العهد "بكل قوته" (١)

وضعوا ايضًا تذكارًا لأخذ آبائهم مدينة اريحا اذ طافوا حولها وهتفوا فسقطت اسوار المدينة امامهم بمعجزة الهية (٢) . فكان الكهنة في اليوم الاخير الاعظم يطوفون حول المذبح سبع مرّات حاملين الاغصان والازهار هاتفين هتاف النصر . وكان الجمهور يتوجه الى عين سلوام ليشرب وهو يرنم كلام اشعياء "ايها العطاش جميعًا هلموا الى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنًا . فتستقون مياهًا بفرح من ينابيع الخلاص" (٣)

وكان صعود يسوع الى هذا العيد منتظرًا ومرغوبًا فيه عند الجميع . في اورشليم ينتظرهُ الذين "كانوا يطلبون ان يقتلوهُ" . وفي الجليل يطلبون مرافقتهُ في الطريق الى العاصمة ليشاهدوا منهُ في سفرهم معجزات جديدة . وانسباؤهُ يرغبون في ذهابهِ أملاً بانهُ يتظاهر سياسيًا مما يعود عليهم بالفوائد الزمنية . لانهم يتصوّرون ان النصيب الاوفر يكون لهم في ملكوتهِ الزمني العتيد

فلما رأى اخوتهُ انهُ لم يستعد للصعود ولا اعلن قصدهُ بذلك تكدروا ووبخوهُ بتهكم . قائلين "اذهب الى اليهودية * * * واظهر نفسك للعالم" . قال يوحنا المقرّب اليهِ "ان اخوتهُ ايضًا لم يكونوا يؤمنون بهِ" . اي لم يقبلوهُ مسيحهم المنتظر . لانهم لم يروا فيهِ مسيحًا سياسيًا حسب طلبهم . ولا بد ان عدم ايمان اخوتهِ بهِ كان صليبًا ثقيلاً جدًا بحملهُ يسوع كل تلك السنين . لانهُ

---

(١) ٢صم ٦ : ١٤ (٢) يش ٦ : ١٢—٢٠ (٣) اش ٥٥ : ١ و١٢ : ٣ خالف الصدوقيون الفريسيين في فريضة سكب الماء والخمر على المذبح ومرّة لما كان رئيس الكهنة صدوقيًا اظهر مخالفتهُ بسكب الماء على الارض بدل المذبح فحاول الجمع ذبحهُ لاجل ذلك وحدث شغب عظيم في دور الهيكل اسفر عن قتل ستة آلاف شخص

كان بجهم محبة نسبية . وكان في قلبهِ مرارة حزن مفرط من اجلهم . ظهر ما يشبه ذلك في كلام الرسول بولس . فمع كونهِ لا يعادل سيدهُ في سمو العواطف وشدة التأثيرات الشريفة قال "اقول الصدق في المسيح لا اكذب وضميري شاهد لي بالروح القدس ان لي حزنًا عظيمًا ووجعًا في قلبي لا ينقطع. فاني كنت أود لو اكون انا نفسي محرومًا من المسيح لاجل اخوتي انسبائي حسب الجسد "(١)

فما اغرب صلابة كل قلب لا تليّنهُ النعمة الالهية . فان قدوة يسوع الكاملة واعمالهُ العجيبة وتعاليمهُ السامية لم تفعل في اخوتهِ لتقودهم الى الايمان بهِ . فمن بتم واجباتهِ الروحية نحو اهلهِ وبراهم بعد ذلك بعيدين عن الايمان لهُ في قصة يسوع مع اخوتهِ بعض العذر في حيرتهِ وبعض السلوى في مصيبتهِ

لما حاول اخوتهُ ان يعلّموهُ ماذا ينفعل اجابهم كما اجاب امهُ لما حاولت مثل ذلك في العرس . قال "ان وقتي لم يحضر بعد" . ينتظر وقت الله لان هذا وقتهُ ايضًا . اما هم فلا ينتظرون وقت الله . لذلك "وقتهم في كل حين حاضر" . هم في امان بذهابهم الى هذا العيد لان العالم لا يقدر ان يبغضهم لانهم منهُ . اما هو فليس في امان لانهُ ليس من العالم . والروَساء ينتظرونهُ ليقتلوهُ بسبب شهادتهِ ضد اعمالهم الشريرة

وكما صنع الخمر في قانا الجليل لما اتت ساعتهُ بعد هنيهة هكذا بعد ان قال لاخوتهِ "أنا لست اصعد بعد الى هذا العيد" حضر وقتهُ قريبًا اذ كانوا قد سبقوهُ . "فصعد هو ايضًا لا ظاهرًا بل كأنهُ في الخفاء" . واوّل من فتش عنهُ لما ابتدأ العيد خصومهُ "اليهود" الذين قصدوا ان يحقروهُ بسؤالهم "اين ذاك" . وطلبهُ كثيرون غيرهم ممّن شهد بعضهم بصلاحهِ وفضلهِ وسمّاهُ البعض الآخر "المضل" . فاشتهار بغض الروَساء لهُ وعزمهم على قتلهِ اسكت الذين

(١) رو ٩:١-٢

ارادوا ان يتصرفوا له. "حتى لم يكن احد يتكلم عنه (حسناً) جهاراً لسبب الخوف من اليهود"(١)

لكن لما انتصف اسبوع العيد ظهر يسوع وابتدأ يعلّم في الهيكل حتى انذهل خصومه من معارفه وحكمته لعلمهم انه لم يدخل احدى مدارسهم العالية فاغتنم يسوع هذه الفرصة لتمجيد الآب بقوله ان تعليمه ليس له بل للذي ارسله. وبرهاناً لصدقه عدم طلبه مجد نفسه كما لو كان كاذباً. واعلن لهم مبدأ جوهرياً في الدين بقوله "ان شاء أحد ان يعمل مشيئة الله يعرف التعليم هل هو من الله" اي ان الوسيلة لازدياد النور العمل بموجب النور الموجود. المجتهد في العمل بمقدار معرفته تزيد معرفته لامحالة. ومن يمتنع عن العمل محتجًا انه ينتظر اكمال مشتهاه من النور يبقى في الظلام ولا يقبل له عذر

ثم طالبهم بناموس موسى الذي ينهاهم عن القتل وهم يحاولون قتله. قال "ليس احد منكم يعمل الناموس". لم يدرك اليهود انه يعلم الخفايا فظنوا انه لا يعرف قصدهم الردي. لذلك انكروا قائلين "بك شيطان من يطلب ان يقتلك"(٢). فاضطرّ ان يذكّرهم بمحاولتهم قتله قبل هذا الوقت بنحو سنة ونصف لما شفى في سبت عيد الفصح عليلاً عند بركة بيت حسدا. اذ حكموا عليه آنئذٍ لانه عمل خيرًا في سبت. ونسوا انهم يشتغلون في السبوت كما في ختن الذكر الذي يقع يومه الثامن في سبت. فكيف يخالفون ناموس السبت لكي يحفظوا ناموس الختان الذي اوصى به موسى نقلاً عن الآباء قبله ثم يدينونه ويطلبون قتله لكونه خالف شريعة السبت لكي يحفظ شريعة الرحمة. وطلب منهم العدل في ما يحكمون

ولكن اذ كان الاكثرون لم يسلموا بانه المسيح. لان معلميهم يقولون ان

(١) من عبارات كهذه نعرف ان يوحنا متى قال "اليهود" يعني الروساء ومبغضي يسوع. لان الذين خافوا من اليهود كانوا ايضاً يهودًا (٢) قد يكون هذا كلام الغرباء الذين يجهلون مكيدة الروساء

المسيح يأتي بغتةً ولا يعلم احد من اين هو ". واما يسوع هذا فهو ابن يوسف ومريم من الناصرة[1]. عَلِم يسوع افكارهم فرفع صوتهُ[2] امام الجمهور ليسمع الجميع ونادى مكررًا ما قالوهُ في ما بينهم مؤكدًا لهم انهُ قد أتى من قِبَل من لا يعرفونهُ اي من قبَل الله . فاهاج هذا القول الرؤساء حتى طلبوا ان يمسكوهُ . لكن لان ساعتهُ لم تأتِ بعد نجا من فخهم على طريقة لم يأت بيانها وبدلاً من ان يمسكوهُ آمن بهِ كثيرون . لانهم رأوا منهُ اعمالاً عظيمة وكثيرة لم يقدروا ان يتصوَّروا ان مسيحًا غيرهُ يقدر ان يفوقهُ فيها

الجرأة في الدين لا بد ان تثمر . والمقاصد الالهية لا يغيرها ولا يوقفها حتى اقدر البشر . فذلّ خصومهُ امام جرأتهِ وتركوهُ يعلّم في الهيكل . ولم يخف بل هم خافوا وخشوا انتصار الشعب لهُ وازدياد مريديهِ ان حاولوا تنفيذ قصدهم . فانسحبوا بعد ان سخَّروا بعض صغار الموظفين عندهم ليمسكوهُ ويأتوا بهِ الى مجلسهم . فبكَّتهم وحيَّرهم بكلام عن ذهابهِ الى الذي ارسلهُ

وفي اليوم الاخير من العيد وهو "اليوم العظيم" بينما كانت الجماهير تتقاطر افواجًا الى عين سلوام لتشرب وترنّم "ايها العطاش جميعًا هلموا الى المياه". ثم تعود الى الهيكل "وقف يسوع ونادى قائلاً ان عطش احد فليُقبل اليَّ ويشرب . من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنهِ انهار ماء حيّ". ذاك الذي نادى قديمًا بروحهِ في كلام النبي الذي يرددهُ الآن هذا الجمهور ينادي الآن بصوتهِ المسموع "ان عطش احد فليقبل اليَّ ويشرب"[3]. هو الذي اعطى من ماء الحياة لتلك السامرية العطشانة عند بئر سوخار اذ آمنت فجرى منها انهار ماء حي ودعت سكان المدينة وآمن

(١) بموجب احد التقاليد اليهودية ينتظر مجيء المسيح في نصف الليل بغتةً كما جاء الملاك الذي اهلك ابكار المصريين وخلص ابكار الاسرائيليين . فلا يعلم احد من اين يأتي

(٢) غير مرَّة قيل انهُ رفع صوتهُ قويًا (مت ٢٧: ٥٠ ومر ١٥: ٣٤ ويو ١٢: ٤٤)

(٣) انظر اش ٥٥: ١ ام ١٨: ٤ وحز ٤٧: ١–١٢ وزك ١٤: ٨

بهِ بسببها كثيرون من السامريين. وهو يريد ان يهب لسامعيهِ تلك الهبة عينها وان يفعلوا فعل تلك السامرية . في تمثيلهِ هذا اشار الى فعل الروح القدس الذي سيرسلهُ بعد صعودهِ الى السماء و يسكبهُ بغزارة على المؤمنين بهِ. وهذه هي المرَّة الاولى التي فيها تكلم يسوع عن فعل الروح القدس في المؤمنين . وعن الافعال العجيبة التي سوف يفعلها هذا الروح

فوقع في الشعب انشقاق ثانيةً بسببهِ . ولما انتهى العيد وطالب روَّساء الكهنة والفريسيون خدامهم الذين ارسلوهم ليمسكوهُ اجابوهم " لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان ". ومن ذلك اليوم الى الآن يشهد كل مخلص فهيم أمعن النظر في كلام يسوع مثل هذه الشهادة. فعدم امتثال هؤلاء المرسلين اوامر اسيادهم زرع الشكوك في مرسليهم . فسألوهم " ألعلَّ احداً من الروَّساء او من الفريسيين آمن بهِ ؟ " كان خوفهم في محلهِ. لان في مجلسهم شخص واحد على الاقل اي نيقوديموس وهو رئيس عالم ومعتبر آمن بيسوع قبل هذا بزمان . فتحمَّس هذا واعترض على مخالفتهم مقتضيات شريعتهم في طلبهم قتلهُ دون محاكمة رسمية واعطائهِ فرصة للدفاع . لكنهُ لم ينل منهم سوى التعيير لاجل اعتراضهِ . لانهم اتهموهُ تلميحاً انهُ منحاز الى يسوع بغرض الوطنية . فيكون جليلياً محتقراً ومكروهاً نظير يسوع . لانهُ لم يقُمْ نبي من الجليل

هؤلاء المقاومون رعاةً للشعب في امور الدين اظهروا الآن عدم مبالاتهم بالخراف . لانهم قالوا تحقيراً " هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون ". فلا عجب ان قابلهم يسوع بالصرامة لكي يحطِّم نفوذهم المؤذي ويحرِّر من نيرهم كل محب للحق والحرية . ثم ارفضَّ المجلس. وتفرَّق الاعضاء الى بيوتهم . اما يسوع فخرج من المدينة ليبيت في جبل الزيتون[1]

وفي صباح اليوم الثاني نزل الى الهيكل . فلما انتشر خبر وصولهِ احتاط بهِ جمهور كبير. فجلس في وسطهم كعادة المعلمين واخذ يشرح لهم امور ملكوتهِ

(١) وربما في بيت لعازر واختهِ في بيت عنيا

الروحي . وبعد هنيهة حصلت ضجة بين الحاضرين . لان جماعة من الرؤساء وعلماء الدين طلبوا ان يفسح لهم الجمع ليصلوا الى يسوع وهم يجرُّون امرأة تعيسة أُمسكت في زنى . وتظاهروا في ريائهم المعهود بغيرة كاذبة على شريعة العفة . وباحترام كاذب ليسوع . تراءوا بتسليم حق الحكم المنوط بهم ليسوع في امور شريعتهم الدينية المقدسة. ولقبوهُ باكرم القابهم اي معلّم في الدين. واوقفوا المذنبة في الوسط امام الجمهور في المحل العمومي المقدس طالبين منهُ الحكم هل تُعامل حسب مقتضى الشريعة ام لا

من مدة ليست بعيدة كانت الحكومة الرومانية السائدة قد منعت قطعيًا المحاكم الدينية اليهودية من الحكم بالاعدام . فان حكم يسوع بان تُرجم هذه الخاطئة يخالف النظام السياسي الجاري . ويغيظ كثيرين في الشعب ايضًا الذين تعوّدوا التساهل في الاحكام . وان حكم بعدم رجمها يفتح لهم بابًا واسعًا ليهجموهُ امام الشعب كمخالف لشريعتهم المقدسة . فتحققوا في افكارهم ان يسوع يتضرّر كيف ما حكم . وبما انهم يعلمون كيف تصرّف امامهم قبلاً بشريعة السبت حاسبًا ذاتهُ اعظم من موسى وغير مقيّد بشريعتهِ أمّلوا ان يتصرّف بشريعة الزنى ايضًا . فيهجمون عليهِ كل من تهمهُ المحافظة على العفة والآداب الصحيحة . فقالوا لهُ . موسى يقول كذا وكذا . فماذا تقول انت ؟ كأنهم يعترفون لهُ بحق مخالفة احكام موسى لو شاء

اما افكار يسوع فكانت منصرفة من هذه المذنبة الى طالبي رجمها وهم اوفر منها اثمًا . فلا يستحسن ان يتساهل مع الخبث والرياء ويمسك عن الظالم والخبيث والمرائي قصاصاتهِ الادبية بالتوبيخ والدينونة . فكان جوابهُ الاوّل انهُ انحنى وصار يكتب باصبعهِ على الارض ليعطي سائليهِ فترةً للافتكار . ولما تابعوا السؤال اجابهم قانونيًا ما معناهُ . حسب شريعتكم متى ثبت جرم الزنى على امرأة فالشهود هم المطالبون اوّلاً بالرجم وانتم الشهود. فمنكم يُطلب الرجم على قولكم ان جرمها ثابت ثم ان العدل يقضي بان الذي يخطئ اولاً يُجازى اولاً .

فالذي منكم قد خالف شريعة العفة قبل هذه الامرأة لا يحقّ له ان يطلب قصاصها قبلهُ . فليبتدئ برجمها البريء منكم لا غير . وبالنظر الى مركزكم بالنسبة اليها تساوي افكاركم الشريرة فعل هذه الامرأة الشرير

ثم انحنى ثانيةً وصار يكتب باصبعهِ على الارض[1] . فانسحبوا خجلاً مكسورين امام الذي هاجموهُ . وخرجوا بالترتيب الذي دخلوا بهِ حسب رتبهم الشيوخ اولاً ثمّ الآخرون حتى لم يبقَ منهم احد . الضمير . الضمير . ما أعظم وما أثمن هذا النذير الالهي في صدر الانسان . قال الشاعر الانكليزي الشهير "ان الضمير يصيّرنا جميعاً جبناء"

يرجح ان التلاميذ والجمهور لم ينصرفوا مع الشاكين . بل انتظروا النتيجة في امر المرأة التي بقيت واقفة في الوسط وقد اتجه فكر يسوع الآن اليها . قد أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك . قال "لم يرسل الله ابنهُ الى العالم ليدين العالم بل ليخلص بهِ العالم"[2] . والمطرود من الناس لاجل شرورهِ يهتم بهِ يسوع اهتماماً ممتازاً . كما ان اهتمام الطبيب بالعليل يكون بالنسبة الى سوء حالهِ . فعرف يسوع ان معاملتهُ للمشتكين عليها أحيت فيها آمالاً جديدة باصلاح سيرتها . فبعد ان سألها "ابن اولئك ؟ أما دانكِ أحد"؟ واجابت "لا أحد يا سيد" قال لها "ولا انا ادينكِ اذهبي ولا تخطئي ايضاً"

بقولهِ "ولا انا ادينكِ" تصرّف قانونيًّا . لان هرب المدّعين والشهود قبل استجوابهم بوجب اسقاط الدعوى . فليس في قولهِ هذا اقلّ تساهل مع الخطيئة التي أتهمت بها . التساهل مع الخطيئة دأب الخطأة لا دأب قدوس نظير يسوع . وهو مبدأ عالمي لا روحاني . الذي يميل الى غض النظر عن فساد غيرهِ هو الذي يريد العذر لذاتهِ في فسادهِ . فالمخلص لا يتساهل مع

(١) زعم البعض انهُ رسم امام عيونهم باصبعهِ كلمات لغزية يفهمها كل منهم بمفردهِ تدل على معرفة يسوع اسرار حياتهِ وخطاياهُ الخفية . ولذلك تهيج الضمير في كل منهم منفردًا . ولما صرّح بكيفية القصاص كانوا جميعاً ممسوكين منهُ (٢) يو ٣ : ١٧

الخاطئ في خطيئته. بل يُسهّل عليه تركها . والبعد بين الامرين شاسع . اذ من شأن التساهل زيادة الاثم . ومن شأن التسهيل ملاشاته . والزيادة في كره الاثم تمنع التساهل لكنها تزيد التسهيل. فلأن كره يسوع للخطيئة لا يوصف ومحبته للخاطئ لا تحدّ امتاز في تسهيله للخطاة ترك خطاياهم

ثم عاد واستأنف تعليمه للجموع بعد الانقطاع الذي سببه حادث المرأة . فشبّه ذاته وعمله بالنور . وحقًّا ان من اشرف القابه "نور العالم" فاعترض الفريسيون على كلامه بحجة ان شهادة الانسان لنفسه غير ثابتة فاجابهم بما معناه ان هذا الحكم ولو صحّ في الخطاة الذين تخدعهم الانانية او يخدعون الآخرين عمدًا فلا يصحّ في الكامل الذي هو في حضن الآب. هذا فضلاً عن شهادة الآب الغير قابلة الشك او الاعتراض . فلما سألوه "ابن ابوك"؟ أجاب ما لا يحق لبشر ان يقوله "لستم تعرفونني انا ولا ابي . لو عرفتموني لعرفتم ابي ايضًا". ولما كرّر كلامه السابق انهم لا يقدرون ان يتبعوه الى حيث يذهب بعد قليل قالوا تهكمًا "ألعله يقتل نفسه حتى يقول هذا القول"؟ فاجابهم بكلام آخر لا يسوغ لبشر ان يقوله . قال "أنا لست من هذا العالم أنا من فوق . ان لم تؤمنوا اني أنا هو تموتون في خطاياكم . ولم يتركني الآب وحدي لاني في كل حين افعل ما يرضيه"

يقول يوحنا ان نتيجة هذا الكلام كانت ايمان كثيرين به . وان يسوع صرّح لهؤلاء بان الحق يحرّر من يعرف الحق . وان حرّرهم الابن فبالحقيقة يكونون احرارًا . واجاب الذين اعترضوا انهم لا يحتاجون الى التحرير. لانهم احرار كونهم من ذرية ابرهيم وليسوا عبيدًا. فقال لهم ان العبودية الحقيقية هي الاستعباد للخطيئة . وان كل من يفعلها هو عبد لها . والعبد لا يرث ولا يدوم في البيت . وقال للذين يضمرون في قلوبهم قتله "تطلبون ان تقتلوني لان كلامي لا موضع له فيكم". ثم استحسن ان يعلن لهم ما هو الاستعباد للخطيئة الذي هم في ربقته لانه يعني البنوّة لابليس . فادّعاؤهم بالبنوّة لابرهيم بدون

حق. لكونهم يعملون ليس اعمال ابرهيم بل اعمال ابليس. لان ابرهيم لم يطلب ان يقتل انساناً لمجرّد تكلّمه بالحق. قتل البريء هو عمل ابليس لا عمل ابرهيم. ومثله الكذب الذي تعوّدوهُ. لان "ابليس كذاب وابو الكذاب"

ثم قال قولاً آخر لا يجوز لمجرّد بشر. "من منكم يبكتني على خطيئة؟" سائر الانبياء اعترفوا بخطاياهم بتذلل واسف وحزن. فمن هذا الذي يقول هذا القول عن نفسهِ؟ لو كان بشراً فقط لحقّ لنا ان نحسبهُ دون اولئك الذين في التواضع الجميل أقرّوا بانهم خطاة. ثم قال ايضاً "الحق الحق اقول لكم ان كان احد يحفظ كلامي فلن يرى الموت الى الابد". وهذا القول ايضاً لا يحق لبشر

فلا عجب ان اتهمهُ خصومهُ بعد هذا الكلام انهُ "سامري وبهِ شيطان". وحجّوهُ ان اب الآباء ابرهيم وسائر الآباء والانبياء ماتوا. فكيف يسلم من الموت كل من يحفظ كلامهُ وسألوهُ من تجعل نفسك؟ فجواباً على هذا قال القول الشهير الذي يثبت بلا مراجعة ادعاءهُ انهُ ليس بشراً فقط لان حياتهُ لم تبتدئ كسائر البشر لما وُلد. بل انهُ منذ الازل. قال "ابوكم ابرهيم[1] تهلل بان يرى يومي فرأى وفرح". "فقال لهُ اليهود ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت ابرهيم"؟[2] فاجابهم "الحق الحق اقول لكم قبل ان يكون ابرهيم انا كائن. فرفعوا حجارة ليرجموهُ". تجاوز قصد الرجم من تلك الخاطئة الى هذا الكامل المنضال. لكنهُ سلم منهم. لان ساعتهُ لم تأتِ بعد. فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى

---

(١) لم يقل ابونا حال كونهِ يهودياً (٢) في هذا القول دليل على ان يسوع كان في منظرهِ وقوراً ومهوباً فوق ما يطلبهُ سنهُ. وربما ظهر في ملامحهِ تأثير فرط اتعابهِ وحدّة عواطفهِ

الفصل الثالث والثلاثون

(مت ٨: ١٩ – ٢٢ و ١٩: ١ و ٢ مر ١٠: ١ ولو ٩: ٥١ – ١٠: ٢٤ – ٤٧)

(المرصّع) ف ٣٦ (الزمان) ت ٢ السنة ٢٩م
(المكان الجليل. السامرة. بيرية

تركهُ الجليل نهائيًّا. رفض السامريين اياهُ وطلب يعقوب ويوحنا الانتقام منهم. الذين قصدوا اتباع يسوع عبثًا. ارسال السبعين للتبشير وتدريبهم. توبيخهُ المدن الثلاث ثانية. رجوع السبعين وتهلّل يسوع. الناموسي الذي قام يجربهُ. مثل السامري الصالح. من هو قريبي

عاد يسوع من اليهودية الى الجليل بعد الحوادث التي ذُكرت في الفصل السابق. لكن اخبار هذه الرحلة وحوادث الجليل بعد بلوغهِ تلك المقاطعة يسكت عنها البشيرون تمامًا[1]. ويخبرون فقط بتركهِ الجليل نهائيًّا ورجوعهِ الى اليهودية لينهي فيها حياتهُ الارضية. بعد ان قضى سني استعدادهِ ومعظم حياتهِ في الجليل حيث قدّم القسم الاكبر من تعاليمهِ وفعل اكثر معجزاتهِ. لكنهُ مضطرٌّ ان يختم خدمتهُ الشخصية بين الناس في اليهودية ولاسيما في المدينة المقدسة محل تقديم الذبائح (اذ هو الذبيحة الاصلية الحقيقية) حيث يجتمع

---

(١) هذه بداءة القسم الاخير من حياة يسوع الذي يستغرق نحو ستة اشهر. وبينما يخصّص مرقس قسمًا من اصحاحٍ ومتى اصحاحًا وقسمًا من آخر لحوادث بين ترك يسوع الجليل ووصولهِ الى اورشليم يشغل لوقا بها نحو نصف بشارتهِ. وهذا يؤيّد القول ان كل بشير من الاربعة مع قصدهِ ان يكرّر بعض الاخبار التي اوردها غيرهُ لتكون الشهادة مربعة الزوايا اهتمّ أيضًا بايراد ما امكن من الحوادث التي اهملها غيرهُ

الشعب اليهودي في العيد العظيم من كل انحاء العالم . فقصد يسوع ان يقدّم لهولاء كما لسكان اورشليم ورؤسائهم الفرصة الاخيرة ليقبلوهُ كمسيحهم المنتظر وينالوا المواعيد والبركات الشخصية والشعبية التي تتبع الايمان بهِ

ففي طريقهِ الى اليهودية يعنى بتبشير قسم مهمّ من ارض الميعاد لا يزال مهملاً في سياحاتهِ وسياحات رسلهِ التبشيرية . ذُكر هذا القسم باسم "عبر الاردن" في كلام النبي عن الاراضي التي سوف يبصر شعبها نورًا عظيمًا[1] . وفي قول البشير ان يسوع ثبّت وجههُ لينطلق الى اورشليم نرى اشارة الى الصعوبات الخارجية والداخلية التي تعرض لهُ في هذه الرحلة

بمرورهِ في السامرة ارسل خبرًا سابقًا الى القرية التي قصد ان يبيت فيها مع رفقائهِ[2] فهاج النفور السامري عند خبر قدوم جماعة من اليهود مع هذا المعلم الشهير ووجهتهم اورشليم ليؤدّوا فيها فروض الدين . لان السامريين يتمسكون بوجوب تأديتها في جبلهم المقدّس . ولربما اخذتهم ايضًا غيرة الحسد فنفروا من يسوع لاهمالهِ بلادهم وتخصيصهِ خراف بيت اسرائيل الضالّة في احساناتهِ العجيبة . ولربما استصعبوا تقديم الضيافة لعدد كهذا من المسافرين . فرفضوا قبولهُ

لما عاد المرسَلون بخبر الرفض استاء اللفيف الذي حول يسوع جدًّا من هذه الاهانة لقائدهم العظيم ولهم . كنّا نتوقّع تحمّس بطرس في مقدمة القوم .

---

(١) اش ٩:١ و ٢ . كان اسم هذه المقاطعة الواسعة عند اليونان بيرية . وهي نظير الجليل تحت حكم هيرودس انتيباس . وفيها كان نصرهُ في مخيروس محل سجن المعمدان واستشهاده . وفيها كانت بيت عبرة التي اتخذها المعمدان مركزًا لتبشيرهِ وتعميدهِ . وكان سكانها مزيجًا من اليهود والوثنيين . واراضيها من نصيب سبطي جاد وراوبين ونصف سبط منسى طولها ستون ميلاً شمالاً بجنوب . وعرضها من الاردن غربًا الى البرية الغير المحدودة شرقًا . وعاصمتها على قول يوسيفوس مدينة جدرة . وتشمل البلقاء وعجلون وحوران والجولان

(٢) يرجحون ان هذه القرية هي المعروفة اليوم باسم جنين على طريق القدس من البلاد الشمالية

لكن سبتهُ ابنا زبدي يعقوب ويوحنا اللذَين سمّاهما يسوع ابنَي الرعد . واستأذنا منهُ ان يترلا نارًا من السماء تهلك هؤلاء المتوحشين . ألم تسقط في هذه المقاطعة قديمًا نار من السماء بطلب ايليا فاهلكت مئة رجل من عسكر الملك أخزيا المرسلين للقبض عليهِ . أو لم يتعلّما امسًا على جبل التجلي ان معلمهما اعظم من ايليا ؟ فما دام الغضب الالهي حلّ ناريًا على مهيني ايليا كيف لا يجازى بمثل ذلك مهينو سيدهم الذي قد عرفا واعترفا انهُ ابن الله ومسيحهُ ؟ (١)

لكن في بعض الامور لا يصلح الاقتداء بالانبياء . " فالتفت (يسوع) وانتهرهما وقال لستما تعلمان من اي روح أنتما " . كأنهُ يقول لستما تعلمان من اي روح يجب ان تكونا بمعيتي . وكلما جرى الى الآن امامكما كافٍ لتعلما ما هو روحي الذي يجب ان يكون روح تلاميذي ايضًا . فالروح الذي ساقكما الى هذا الطلب لا يخلو من عنفوان الشبيبة وانتقام الكبرياء . فهل رأيتما فيَّ شيئًا من هذا ؟ وقد ساقكما روح التعصّب المذهبي الذي شبيتما عليهِ فكنتما تحسبان هولاء السامريين كلابًا نجسة . فاستصعبتما احتمال الاهانة ممّن تحتقرانهم . فهل رأيتما هذا فيَّ ؟ لمّا هاج عليَّ جمهور الناصرة وجرّوني الى حافّة الجبل ليقتلوني هل اقتصصت من احدهم ؟ ولما قاموا عليَّ في اليهودية ليرجموني هل انتقمت من انسان ؟ ولما طردوني من كورة الجدريين هل قاومت احدًا لذلك ؟ ألم اقل لكم تكرارًا " أحبّوا اعداءكم احسنوا الى مبغضيكم " ؟ فكيف تطلبان الآن ان تقنيا بنار من السماء اهالي هذه القرية ؟ ألستما تعلمان بعد كل هذا اني انا ابن الانسان لم آتِ لاهلاك الناس جسدًا او نفسًا بل لتخليصهم ؟ (٢)

---

(١) لم يرضيا ان يكونا ابنَي الرعد فقط بل برومان بانزال النار السماوية ان يكونا ابنَي البرق ايضًا (٢) ما اعظم التغيير الذي حصل في طبيعة يوحنا بعد هذا حتى صار يوصف بالحبيب . وكم كان مسرورًا بعد سنين لما قادهُ الروح الى السامرة للاشتراك مع بطرس في تعميد وتثبيت المؤمنين الكثيرين المستجدين هناك (اع ٨ : ٢٥)

فرفض يسوع اقتراح تلميذَيهِ المكرَّمين المسبَّب عن رفض السامريين اياهُ . وانتقل مع جمهور تابعيهِ الى قرية اخرى يرجَّح ان موقعها وراء الحدود السامرية . وقدَّم بذلك مثالاً للطف والحلم والوداعة في احتمال عملٍ بربري . كانت اعمال الشفاء في هذه الرحلة اكثر من كافية لتشغل كل اوقاتهِ . لكن البشير يقول " وكعادتهِ كان ايضاً يعلمهم " بياناً لكون اهتمامهِ الاوَّل بالتعليم الروحي . فجميع الذين يشتغلون في اعمال الرحمة للاجساد عليهم ان يرافقوها مثلهُ بالتعاليم الروحية لاجل النفوس

اعترضهُ في سيرهِ احد الكتبة[1] . وبعد السلام قال " يا سيد اتبعك اينما تمضي . لربما ظن ان يسوع يفتخر بتابع كهذا ويترحَّب بهِ كثيراً . لكن يُستنتج من كلام يسوع ان في قلب هذا الكاتب مطامع عالمية . فلا نصيب لهُ او لامثالهِ في معية يسوع الذي وهو الاله المتأنِّس تنازل الى ادنى دركات الفقر الزمني تعزية لفقراء العالم لكي لا ييأس افقر البشر لشدة فقرهِ . كان سريرهُ مستعاراً لا ملكاً وقبرهُ كذلك . ومثلهُ كل ما استعملهُ بين المهد واللحد . كانت معيشتهُ من مال المحبين المحسنين . ولم يترك للاقتسام بعد موتهِ سوى الثياب التي عليهِ والاكفان التي تركها في القبر عند قيامتهِ . فكان جوابهُ لهذا الكاتب " للثعالب اوجرة ولطيور السماء اوكار . واما ابن الانسان فليس لهُ اين يسند رأسهُ[2] ثم انطفأ خبر هذا الكاتب

وبعدهُ قدم يسوع لاحد رفقائهِ المؤمنين دعوةً ليكون تلميذاً ملازماً . فرضي على شرط ان يُعطى مهلةً ليذهب اولاً ويدفن أباهُ . فاما ان يكون اناهُ

---

(١) انظر الشرح في ف ٩ في صنف الكتبة (٢) لو ٩ : ٥٨

فللطير وكرٌ وللثعلب ال ... وجار المريح لكي يسكنا
واما مليك الانام فلا ... مقرٌ يكون لهُ موطنا
اله السما العليّ لقد ... قضى عيشة الفقر من اجلنا
لتغنى الخلائق من فقرهِ ... ويُغنى باسقامهِ ذو الضنى

خبر وفاة والدهِ فيغيب مدة وجيزة ثم يتبع يسوع . او انهُ يقصد ملازمة ابيهِ المسنّ كفرض مقدّس الى ان يصير حرًّا بوفاتهِ فيترك كل شيء ويتبع يسوع. لكن يسوع لم يتساهل بطلب كهذا. لانهُ لا يرضى بتقديم الواجبات للوالدين على الواجبات لله . فامر الرجل ان يترك للموتى روحيًّا تدبير الموتى جسديًّا. وهو يحيّ روحيًّا بعد ايمانهِ الجديد يلتصق بالاحياء روحيًّا مثلهُ . تمسُّك يسوع بالوصية التي تأمر بكرامة الوالدين امرٌ لا ريب فيهِ. وبرهَن في حداثتهِ في الناصرة لما كان خاضعًا لابويهِ[1]. ونذكر انهُ ونّب شديدًا رؤساء اليهود الذين كانوا ينقضون الواجبات للوالدين تحت حجة قربان [2] . فالمسوّغ لامرهِ هذا الرجل ان يترك اباهُ ويتبعهُ هو تمثيلهُ الاصلي الحقيقي للعزّة الالهية . فمتى تضاربت الحقوق الالهية مع الوالدية تُقدَّم حتمًا تلك على هذه [3]

ثم تقدّم رجل ثالث يقصد ان يتبعهُ . إنما يطلب ان يغيب غيابًا جزئيًّا لتوديع الذين في بيتهِ[4] . لهذا ايضًا لم يسمح يسوع . يُحتمل ان بيتهُ في بلدة بعيدة . او ان يسوع عرف ان احوال بيتهِ تعاكس قصدهُ الحسن . فان رجع ليودّع اهلهُ يضغطون عليهِ ويمنعونهُ . او ان يسوع قصد ان يوضّح امام جميع تابعيهِ ان دعوتهُ لا يجوز تأخيرها مطلقًا ولو قليلاً . فاجابهُ على استئذانهِ "ليس احد يضع يدهُ على المحراث وينظر الى الوراء يصلح لملكوت الله". كانهُ يقول لهُ اذكر امرأة لوط [5]

الذين ذُكر صريحًا انضمامهم الى يسوع قليلون جدًّا. لكن في اخبار هذه السياحة شاهدٌ جديدٌ على الكثير الذي اهمل البشيرون ذكرهُ . وهذا الشاهد يدلّ على وفرة عدد تلاميذهِ . وعلى ان جمهورًا منهم رافقهُ في هذه

(١) لو ٢: ٥١ (٢) مت ١٥: ٥ ف ٢٧ (٣) سيأتي شرح على هذه الحقيقة في ف ٣٦ (٤) يشبه اليشع في ما طلبهُ من ايليا (١ مل ١٩: ٢٠) (٥) لو ١٧: ٣٢ وتك ١٩: ٢٦

السياحة. حتى وُجد بينهم سبعون رجلاً يناسبون لان يرسلهم لاجل التبشير في القرى والمدن التي كان مزمعاً ان يتبعهم اليها في ذلك الاقليم الواسع (١)

نقرأ انهُ رتّب هولاء السبعين وارسلهم اثنين اثنين ووكل اليهم العمل المزدوج اي التعليم والشفاء كما فعل لما ارسل الرسل (٢). بهذه الواسطة تظهر اهمية العمل اكثر مما لو ذهبوا افراداً. وبهذه الواسطة يشجع ايضاً الواحد الآخر ويصلح اغلاطهُ ويتناوبان في الكلام والاعمال. فلو زاد عدد كل فريق عن الاثنين لتثقّلوا على مضيفيهم ولقلّت اماكن تبشيرهم. بمحو اياهم قوة الشفاء يكتسبون انتباه الناس وثقتهم ومحبتهم. ويظهرون اهتمام سيدهم بصالح الجميع الزمني مع الروحي. وبما ان الشفاء كان باسمهِ يشوّقون الاهالي لان ينتظروا مجيئهُ بعدهم. ويبشّرون بالملكوت الجديد المقترب منهم وبملِك هذا الملكوت الذي ارسلهم امامهُ (٣)

فزوّدهم بمثل النصائح والاعلانات التي قدّمها للرسل قبلهم. الاّ انهُ اضاف عليها وصيّتهُ ان لا يسلّموا على احد في الطريق. نجبت هذه الوصية عن الاصطلاحات الشرقية في اكثار السلامات. فتقصر الوقت واهمية العمل المزدوج لا يجيزان قضاء الاوقات في الكلام الفضولي. اوصاهم ايضاً ان ياكلوا ما يقدّم لهم دون سؤال او اعتراض. عليهم ان يهملوا التفننات اليهودية في امر المأكولات لئلاّ تقف حاجزاً بينهم وبين الذين يقبلونهم في بيوتهم. واردف

(١) في اختيارهِ سبعين رجلاً لهذا العمل راعى تقاليد امتهِ. لان الذين اقاموهم بوصية الهية شيوخاً ومدبرين للشعب بصفة دائمة كانوا سبعين. يقول تقليد اليهود ان موسى كتب على سبعين ورقة كلمة شيخ واضاف ورقتين دون كتابة. ثم اختار من كل سبط ستة رجال فلما سحبوا القرعة خرج الاثنان اللذان سحبا الورقتين الخاليتين من الكتابة. ومن السبعين الآخرين تألف المجلس الملي الذي كان في زمن يسوع يسمى السنهدرين. انظر عدد ١١: ١٦ و ١٧ (٢) انظر ف ٢٥ (٣) لايوضح البشير ان كان ارسلهم في وقت واحد أو بالتتابع خر ٢٤: ١

هذا القول بمَثَل هو كلام يسوع الوحيد الذي تكرَّر في اسفار الانجيل اللاحقة لاخبار البشير بن وهو قولهُ "لان الفاعل مستحق اجرتهُ"(١)

ذُكر ايضًا انهُ كرَّر في هذا الوقت ما نطق بهِ سابقًا من الويلات على المدن الثلاث التي مَيَّزها بالوسائط المفيدة فوق غيرها (٢)

نرجح ان السبعين مبشرًا رجعوا تدريجًا . لكنهم رجعوا جميعًا بنغمة الفرح مع شيء من التعجب . يظهر ان السلطان الذي خوَّلهم اياهُ يسوع لم يتناول اخراج الشياطين . فلما شرعوا باخراج الشياطين ايضًا ونجحوا طفح ابتهاجهم. حتى كان خبر هذا النجاح يُشغل المحل الاول في تقاريرهم لمرسلهم (٣) لكنهم اعتنوا ان يعزوا اليهِ هذا النجاح . قالوا "يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك" . فلماذا اسم يسوع وليس اسم الله ؟ واي فعل لمجرَّد الاسم ما لم يكن يسوع معهم روحيًّا لكن فعليًّا على رغم غيابهِ جسديًّا ؟

ففي جوابهِ نبَّه افكارهم الى كون نجاحهم راجعًا الى العمل الالهي في طرد ابليس من السماء التي سقط منها بسبب كبريائهِ سقوطًا سريعًا كالبرق . كانهُ يقول لهم بينما انتم رأيتم فشل بعض الجنود انا رأيت فشل رئيسهم وسقوطهُ (٤) . فوق هبوط ابليس الاصلي قبل الخلق هبط ايضًا في انكساراتهِ العديدة امام يسوع ورسلهِ . والآن هبط هبوطًا جديدًا في انتصارات هولاء المبشرين السبعين عليهِ . رأى يسوع ايضًا بروح النبوة سقوط الشيطان

---

(١) ١ تي ٥: ١٨ (٢) مت ١١: ٢٠–٢٤ انظر ف ٢١ (٣) اقل عدد يفرض للمحلات التي زاروها ٣٥ فيا اذا كان كل زوج زار محلاً واحدًا فقط وهذا لا يحتمل وقوعهُ. اذًا عدد حوادث الشفاء كبير (٤) انظر الشرح في ف ٨ ليس في الترجمة العربية التمييز الموجود في الاصل اليوناني في امر الشيطان والشياطين . لان الشيطان الذي دخل في الاسخريوطي مثلاً وساقهُ الى شرورهِ العظيمة يُسمى ايضًا ديابولس . هو الرئيس ويسمى ايضًا ابليس وعلاماتهُ الاعمال الاثيمة . اما الشياطين التي كان يخرجها يسوع ورسلهُ من الذين تحلَّ فيهم فكانت تسمى دايمون . وهي خدمة أو ملائكة هذا الرئيس . وعلاماتها العلل العقلية والجسدية على انواع مختلفة

التامّ في المستقبل اذ يؤخذ اسيرًا ذاك الذي طالما أسر البشر لارادته. ويُقيَّد بقيود لا تُحلّ ذلك الرجيم الذي طالما قيَّد البشر بقيود الطبيعة المفسدة والعادات الذميمة. بلقبه رئيس هذا العالم تظهر مملكته وبلقبه سلطان الهواء يظهر مسكنه وبلقبه رئيس الظلمة يظهر نوع اعماله وبلقبه حاكم في قلوب غير الطائعين يظهر مَن هم رعاياه

قول يسوع لهم "لا يضرُّكم شيء" قول قوي جدًّا يذكّرنا بكلام داود في المزمور "الرب راعيّ فلا يعوزني شيء"(١) "ولا يلاقيك شرّ ولا تدنو ضربة من خيمتك"(٢) وبكلام الرسول "كل الاشياء تعمل معًا لخير للذين يحبّون الله"(٣). يشتمّ شيء من التوبيخ في كلام يسوع لهم كانه خامرهم قليل من روح الافتخار. ولانه لم يرد في تقاريرهم ذكر لتبشيرهم الذي كان في عيني يسوع غرضهم الاول فقال "ولكن لا تفرحوا بهذا ان الارواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري ان اسماءكم كُتبت في السموات

قال في مسامعهم سابقًا. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم "يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوّات كثيرة؟ فحينئذٍ اصرّح لهم اني لم اعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الاثم"(٤). أفلا يعلمون ان نجاحهم باخراج الشياطين محنوف بخطر الكبرياء. لانه في الظاهر نتيجة علمهم بينما النجاح الحقيقي الذي هو كتابة اسمائهم في السموات سالم من هذا الخطر. لانه ليس علمهم ليفتخروا به بل عمل الله وهبة من نعمته المجانية(٥) هنيئًا لهولاء الذين حقق لهم ان اسماءهم مكتوبة في السماء. لكن هل لمجرّد بشر

---

(١) مز ٢٣:١ (٢) مز ٩١:١٠ (٣) (رو ٨:٢٨) "ان سمح ربنا بنزول شيء من المصائب الجسدية لا يسمح بشيء من الاذى الروحي فما يكون ضررًا لاجساد تلاميذه يكون ربحًا لنفوسهم" (اذي في لوقا ١٠:٩) (٤) متى ٧:٢٢ و٢٣

(٥) القول في كتابة الاسماء في السماء لا يؤخذ حرفيًا بل معنويًا وهو رمز تكرّر ذكره في الكتاب (خر ٣٢:٣٢ في ٢:٤ رؤ ٥:٣ و١٣ : ٨ و٢٠:١٣ دا ١٢:١٠)

حق ان يصرّح لأناس مخصوصين ان اسماءهم مكتوبة في السموات ؟

في حياة يسوع كلها لم نقرأ انه تهلّل الاّ في هذا الوقت . مع اننا نقرأ ثلاث مرّات انه بكى . وتكرارًا انه انزعج او اضطرب بالروح أو حزن . تهلّل لانه رأى في غلبة تلاميذه على العدوّ واستفادة الناس منهم اعظم نجاح حصل الى الآن في عمله . وفي تهلله اتّجهت روحهُ طبيعيًا ليس نحو الناس بل نحو الآب السماوي . فحمدهُ بعبارات استعملها سابقًا (١) ثم قال لهم على انفراد "ان انبياء كثيرين وملوكًا ارادوا ان ينظروا ما انتم تنظرون ولم ينظروا وان يسمعوا ما انتم تسمعون ولم يسمعوا"

لا نغفل عن الفائدة العظيمة التي حصلت لهولاء السبعين بواسطة ارسالیتهم هذه . لان فائدة الفاعل من فعله اعظم من فائدة المفعول لاجله (٢) في اشراك هولاء السبعين موقتًا في العمل الذي خُصّ به الرسل الاثنا عشر سابقًا يتعلم تابعو المسيح ان التبشير ليس محصورًا في خدمة الدين القانونيين . بل ان كل مؤمن عليه ان يكون مبشرًا . وان يُفرّغ رسميًا قسمًا من اوقاته واموالهِ للتبشير بانجيل يسوع . متى ادرك المسيحيون هذه الحقيقة وعملوا بموجبها يفعلون المعجزات الروحية . وقد قال عنها السيد لتلاميذه "من يؤمن بي فالاعمال التي انا اعملها يعملها هو ايضًا ويعمل اعظم منها لاني ماضٍ الى ابي" (٣) . والحمد لله ان الشواهد على صدق هذا المقال تُقرأ في تاريخ الكنيسة قديمًا في زمان الرسل والآباء وحديثًا في تاريخ انتشار الانجيل في بلدان كثيرة

(١) مت ١١: ٢٥ ف ٢١ (٢) يحق لنا ان نعد هولاء السبعين من جملة الخمسمئة أخ الذين اجتمعوا مع يسوع في الجليل بعد قيامته ١ كو ١٥: ٦ . ثم بين المئة والعشرين تلميذًا الذين حاضروا في علية كبرة في اورشليم بالصلاة الى ان اخذوا الموهبة الجوهرية الموعود بها اي حلول الروح القدس في يوم الخمسين بعد هذا التاريخ بستة اشهر . (اع ١: ١٥) الا نعلم ولا سيّما واحدًا من اسماء هولاء السبعين الاّ ان اوريجنوس أحد آباء الكنيسة المشهورين يقول ان البشير لوقا كاتب هذا الخبر كان منهم (٣) يو ١٤: ١٢

هولاء السبعون في سياحتهم هذه فلحوا الارض البور في مناطقة بيريّة فتبعهم يسوع وزرع الكلمة . ثم بعثهُ الى الرسل وحصدوا هذه الحقول وفقًا لقولهِ لهم على بئر سوخار "انا ارسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيهِ . آخرون تعبوا وانتم قد دخلتم على تعبهم" (١)

لنا بعد خبر رجوع السبعين خبر كاتب او ناموسي اتى لكي يجرب يسوع. فسألهُ سؤالاً جوهريًا هو افضل سؤال يستطيع بشر خاطئ ان يسألهُ . قال "يا معلم ماذا اعمل لأرث الحياة الابدية" ؟ لو كان سؤالهُ جديًا لنتج عنهُ جواب جوهري يليق بهذا السؤال . ولو كان سؤالهُ عدائيًا لنتج عنهُ توبيخ صارم. لكنهُ سؤال ماحكة بسيطة فاخذ جوابًا يلائمهُ هو رد السؤال الى السائل ليجيب هو عليهِ ما هو مكتوب في الناموس (٢) كان جواب هذا الكاتب ممتازًا كسؤالهِ . اختار من كل التعليم الديني في التوراة العبارتين الجوهريتين اللتين بضمها تلخص وصايا الله كافة بافضل نصّ واصحّ ترتيب. اخذ من سفر التثنية العبارة التي يستعملها كل يهودي في صلاتهِ اليومية (٣) . ومن سفر اللاويين عبارة أُخرى (٤) مكملاً بذلك كل الناموس (٥) حسب شهادة يسوع ذاتهِ . فكان جوابهُ "تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك

(١) يو ٤: ٣٨ مع اع ٩: ٢١ و ١٥: ٣ (٢) نقرأ في كتاب التفسير للعالم البابوي الشهير كوسنال كلامًا مناسبة إحالة يسوع الكاتب على نص الكتاب المقدس لاجل الارشاد. قال "يسوع ذاتهُ يحيلنا على ناموس الله المكتوب . مع انهُ هو الحق بعينهِ ويستطيع ان يقدم للانفس راسًا التعليم المقدس . تفتيشنا باطل عن نور آخر غير الذي نجدهُ في شريعة الكتاب. الذي نص هذه الشريعة وجعلها قاعدة حياتنا هو روح الله. فنحن نهين هذا الروح ان اهملنا درس هذا الكتاب . أو ان فضلنا عليهِ افكار أحد البشر . اوّل سؤال يُطرح على المسيحي أمام عرش الديان الالهي في اليوم الاخير يكون هذا السؤال ما هو مكتوب في الناموس ؟ ماذا قرأت في الانجيل وأي ممارسة مارست تعاليمهُ ؟ كيف يجيب على هذه الاسئلة كل من كان يمكنهُ أن يطالع الكتاب ولم يفعل ؟ (٣) تث ٦: ٥

(٤) لا ١٩: ١٨ (٥) انظر مت ٢٢: ٤٠

ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك " . فقال لهُ يسوع " بالصواب اجبت افعل هذا فتحيا " . قد ادرك هذا الكاتب الشريعة الالهية إدراكًا كافيًا لخلاصهِ لو كان امرًا عقليًا يتوقف على حسن الادراك والمعرفة. لكنهُ علم جيدًا انهُ لا يستطيع تمامًا ان يحب الله وقريبهُ لهذه الدرجة . وانهُ على هذه القاعدة ليس لهُ ولا لغيرهِ حق في الحياة الابدية. والاَّ فلماذا يسأل هذا السؤال ؟ يعلم ما قيل في ناموسهِ " ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل بهِ "(١) ونحن نعلم ما ورد في كلام الرسول " من حفظ كل الناموس وانما عثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل "(٢) . اذًا المعرفة الملبسة وحدها لا تريح الضمير بل تزعجهُ . ولا تزيل الدينونة بل تزيدها . وحفظ الناموس لا يخوّل الخلاص ما لم يُحفظ تمامًا

لذلك يُطلب من كل خاطئ ان يعرف ليس فقط الشريعة بل نفسهُ ايضًا وتقصيرها وعجزها . في هذه المعرفة الثانية كان هذا الكاتب ناقصًا . فقصد ان يبرّر نفسهُ وهو ليس بارًا . لا يقدر ان يسأل من هو الله لاجلهِ . فسأل من هو قريبي لاعرف ان كنت احبهُ كنفسي فأرث الحياة الابدية . في هذا السؤال مجال للجدال . قد يكون فكرهُ انهُ في هذا الجدال يظهر براعتهُ في ايراد آراء الائمة ليخالف بها يسوع فيخطئهُ ويزعزع ثقة الجماهير بهِ ويفتخر عليهِ امامهم

اجاب يسوع كما في الاوّل بسؤال آخر ليجعل السائل نفسهُ يجيب على ما سأل . لكن يمهد طريق الجواب بواسطة قصة قد تكون وقعت فعلاً وقد تكون فقط احدى امثالهِ الشهيرة (٣) . وفي الوقت ذاتهِ يصلح غلطًا مهمًا ارتكبهُ كتبة اليهود في حصرهم الوصية بالقريب في ابناء ملتهم فقط . فاختار رجلاً سامريًا لكي ينقض هذا القيد الفاسد . واختارهُ ليمثّل بهِ الفضيلة .

---

(١) تث ٢٧: ٢٦ غل ٣: ١٠ (٢) يع ٢: ١٠ (٣) قال المفسر الانجيلي ضرْب المسيح تلك القصة مثلاً ليان تعليمهِ لا يمنع من انها كانت من الواقعات فانطلق عليها اسم المثل السامري الصالح (إدي صفحة ١١٢)

فبالنظر الى ما حدث لهُ مؤخرًا من الاهانة والرفض في القرية السامرية. كانت خطتهُ هذه ناطقة بالشهامة وبالحكمة الروحية(١)

مثّل بمسافرٍ (كان بالطبع يهوديًا) توجه في اشغالهِ نازلاً من اورشليم قاعدة الدين الى اريحا قاعدة الانشراح . احوالهُ وصفاتهُ مجهولة تمامًا اذ لادخل لها في المقصود. الاّ انهُ وقع في طريقهِ بين ايدي كمين من اللصوص(٢). هولاء بعد ان سلبوهُ كل شيء حتى ثيابهُ اشبعوهُ ضربًا وجرحًا حتى لم يعد يقدر ان يصرخ أو يخبر او يستجير تركوهُ بين حيّ وميت . واذ كانت روحهُ تتراوح بين البقاء والفرار "عرض ان كاهنًا نزل في تلك الطريق فرآهُ"

حسب اصطلاح الناس وحسب فكر هذا الكاهن كانت مقابلتهُ بهذا المنظر المكرب عَرَضًا . مع انها من تدابير العناية الالهية شفقةً على هذا التعيس؟ بعَرَض كهذا يمتحن الاله كل واحد منّا هل يلبي الدعوة الالهية الخفية التي تنتدبهُ لاعمال الرحمة والخير

لما رأى الكاهن هذا المسكين "جاز مقابلهُ". فتخالهُ مغمضًا عينيهِ وسادًّا أُذنيهِ ومنسيًا قلبهُ وملقّاضميرهُ ومبرّرًا نفسهُ باعذار سفسطية. لكنهُ غير معذور في ما فعل . المصاب اخوهُ في الجنسية اليهودية . فهو مكلّف للمساعدة التي قصد ان يتنصّل منها . فوق ذلك فوظيفتهُ تكلفهُ رسميًا لاغاثة هذا المسكين. لانهُ احد رؤساء الدين ومعيشتهُ من عموم الشعب لاجل خدمتهم في كل ما

---

(١) سبق الشرح في النفور بين اليهود والسامريين في ف ١٢ (٢) هنا اشارة الى ما اشتهرت بهِ الطريق المنحدرة من اورشليم الى اريحا من الوعورة الموحشة الخطرة حتى أُطلق عليها اسم "الطريق الدموية" . يرجح انها هي المسماة في ايام يشوع عقبة ادوميم اي الدموية (يش ١٥: ٧ و ١٨: ١٧) واشارة أيضًا الى انخفاض اريحا عن اورشليم نحو ٣٤٠٠ قدم في مسافة نحو ٢٠ ميلاً . ثم الى كون اريحا هي من مدن الكهنة الخصوصية . لان نحو نصف كهنة اليهود اي ١٢٠٠٠ الفًا كانوا مستوطنين فيها

يمكن . وقد أُفرز ليكون قدوةً للشعب في اعماله . فلذلك كان اغضاؤهُ خطأً مبيناً

بعد الكاهن مرَّ زميل له وهو لاوي اي في المنزلة الثانية من خَدَمة الدين. نراهُ افضل من الاوَّل . لانهُ اذ صار عند المكان جاء ونظر" . تحرَّك فيهِ بعض الحنان . لكنهُ لم يثمر شعورهُ في عمل اذ هو ايضاً "جاز مقابلهُ"

هذان لا يجهلان الوصية المكرَّرة في الشريعة الالهية التي بين ايديهم الموجبة مساعدة الاخ حتى والعدو في ساعة ضيقهما . فهي توجب ليس فقط انقاذ اشخاصهما بل اعانتهما على انقاذ بهائمهما ايضاً (١) . فكيف الامر الآن وخادِما دين قد رأيا أخاهما بالذات في اسوإ حال ممكن تصويرهُ ولم يمدَّا لهُ يد المساعدة ؟ هل اعتذرا بانهما قد عملا واجباتهما لله وللناس لانهما انَّما بكل تدقيق في هذه الزيارة كامل الفروض الدينية في المقدس ؟ أو حسبا ان هذا الانسان قارب الموت ولا فائدة من خدمتهِ بل ان مات بين ايديهما يتنجسان فيتوقفان الى حين عن ممارسة الفرائض الدينية ؟ كان يجب عليهما ان يذكرا القول الالهي "اني اريد رحمةً لا ذبيحةً" (٢) ان كان عذرهما مخاطر الطريق التي اثبتها ما حدث لهذا الرجل حتى حسبا الابتعاد سريعاً لاجل السلامة امراً ضرورياً او ان اعتذر الكاهن بان اللاوي وراءهُ فيترك لهُ هذه الخدمة واكتفى اللاوي بان الكاهن الذي سبقهُ أرفع مقاماً منهُ في الدين ولزوم اكثر منهُ . حتى ما لا يُطالب بهِ الكاهن لا يُطالب بهِ اللاوي. هل بين اعذار كهذه ما تقبلهُ الشهامة والمروءة او ما يقبلهُ الاله ؟

نجد في هذين الشخصين شاهداً جديداً مؤثِّراً للحقيقة الجوهرية في الدين التي هي ان الانسان لا يُدان فقط على ما يفعلهُ من الشر بل ايضاً على ما يهملهُ من الخير . مع انهُ لم يذكر لهذين سيئة فعلوها يقبحها الرأي العام الى آخر

(١) تث ٢٢: ٤ خر ٢٣: ٤ و ٥ في التفاسير حكموا ان هذه الوصايا تطلق على العدو اليهودي فقط (٢) هو ٦: ٦

الزمان بسبب ما لم يفعلاهُ لما تغاضيا عن مصيبة اخيهما

نلتفت الآن من صورة الكاهن واللاوي المكدرة الى صورة مبهجة تناجئنا. هي صورة مسافر ثالث غريب الجنس سامريّ معدود عدوًّا طبيعيًّا للواقع بين اللصوص. لو كان الجريح ذائقًا في صحتهِ وسلامتهِ كالعادة لكان يبصق على هذا السامري ويشتمهُ ويتنجس منهُ. لانهُ ابعد الناس عندهُ. يُرجَّح ايضًا ان هذا السامري عالم بان اخوَي هذا المطروح قد مرّا بهِ ولم يَرَيا لزومًا للالتفات اليهِ. لكن على رغم هذا كلهِ اطاع الامر الالهي المشار اليهِ الوارد في الاسفار الخمسة لموسى التي يعترف بها السامريون. فصحّ مرّةً أُخرى قول يسوع في الآخرين الذين يصيرون أولين والاولين الذين يصيرون آخرين

لان هذا السامري ترجّل عن دابتهِ ومال الى هذا الجريح وفحصهُ ثم صبَّ على جروحهِ خمرًا (١) وزيتًا (٢) ثم ضمّدها بما لديهِ (٣). ثم اركبهُ على دابّتهِ ومشى بجانبهِ ماسكًا بهِ في هذه الطريق الوعرة الى ان اوصلهُ الى الفندق. وهناك لم يستعفِ من المسؤولية والتعب والخسارة عند تسليمهِ اياهُ الى صاحب الفندق اليهودي بل دفع لهذا نفقة اعالتهِ كميةً تعادل اجرة الفاعل على يومين واعدًا انهُ يحاسب فيما بعد عما ينفقهُ صاحب الفندق عليهِ فوق ذلك الى ان يُشفى ويواصل سفرهُ

لما اكمل يسوع هذه القصة سأل الناموسي ايّ الثلاثة الذين مرّوا بهذا الجريح تصرّف كقريب يحب قريبهُ كنفسهِ. كان على الناموسي ان يجيب هو

---

(١) لانهُ الجراثيم بمادّة الكحول وليفعل كقابض في قطع الدم (٢) للتليين والتلطيف. اشعياء النبي يشير الى هذا النوع من المعاملات إذ يقول "جرح واحباط وضربة طرية لم تعصب ولم تعصر ولم تلين بالزيت (اش ١:٦) وان المسافر كان يحمل معهُ زيتًا لحاجة اليهِ ظهر في قصة يعقوب ابن اسحق الذي وان كان هاربًا مسافرًا وحدهُ وليس معهُ الاَّ العصا وُجد معهُ زيت ليسكبهُ على الحجر (تك ٢٨:١٨) (٣) ربما بممزيق قطع من ثيابهِ لاجل ذلك

"السامري". لكن التعصُّب المذهبي لا يدعهُ يُسلِّم باللفظ الصريح ان سامريًّا يكون افضل من كاهن يهودي. فاحتى بالابهام واجاب "الذي صنع معهُ الرحمة". اكتفى يسوع بهذا الجواب وقال للناموسي "اذهب انت ايضًا واصنع هكذا". اي كن انت قريبًا لكل من يحتاج مساعدة منك تستطيعها ولو كان عدوك

ذَكَر يسوع هذا السامري لا ليكرم السامريين ولا ليهين الكهنة واللاويين. لكن ليُعلِّم ان الاجنبي عن الدين الذي يطبع شريعة المحبة خير من خادم الدين الذي يخالفها. سأل هذا الناموسي عن المحبوب بدلاً من المحب. سأل من يستحق ان يُعامل كقريب. فكان الاوجب ان يسأل ليس "من هو قريبي" بل قريب مَن أنا؟ وهل تصرفي مع الناس هو تصرُّف قريب بجميع كنفسهِ. القريب هو الذي تلتقي طريقي بطريقهِ. والذي تطالهُ يدي لو قصدت. فمهما ابتعد قلبهُ عني وعاداني لا يزال قريبي ويُطلب مني ان أُحبهُ كنفسي واعاملهُ معاملة تدل على ان هذه المحبة حقيقية (١)

جدَّد يسوع في هذه القصة تعليمهُ الرئيسي بان الدين لا يقوم بحفظ

(١) قد اتفق اكثر المفسرين القدماء وكثير من المتأخرين ان يروا في هذه القصة تمثيل عمل يسوع لاجل البشر. من هذه الآراء ان المسكين الذي نزل من اورشليم (المدينة المقدسة) الى اريحا (المدينة المنجسة باصطلاحات وثنية) يمثل الجنس البشري الذي هوى من القداسة الى الاثم وان اللصوص يمثلون ابليس وملائكتهُ الذين بطغيانهم قد اوصلوا البشر الى حال التلف الروحي والاشراف على الهلاك. يرون في الكاهن واللاوي اللذين مرَّا دون إغاثة الجريح ناموس الاعمال القديم مع طقوسهِ التي لم تقرِّب الناس الى الله بل تركتهم يزدادون شرًّا. ثم في السامري الصالح يرون المخلص المرفوض من خاصتهِ المكروه من الخطأة الذين أتى ليخلصهم لكنهُ لم يبالِ بهذا الرفض وهذا الكره بل سكب لاجل العالم الخاطئ خمر دمهِ وزيت روحهِ القدوس واوصل الذين مسك أمرهم وسلموا لهُ الى فندق الكنيسة لاجل المعالجة والاعالة الروحية حيث يقدَّم هو القوَّة والقوت وكل حاجاتهم الروحية. يرون في صاحب الفندق خَدَمة الدين وفي الدينارين سرَّي الكنيسة وفي الوعد أن يفي ما تبقى وعد يسوع أن يجيء ثانية بالمجد

الفروض الخارجية والطقوس المذهبية . اذ ان الشخصين اللذَين اكملا هذه الفروض الحتمة المعينة منهُ تعالى واكملاها في الهيكل المقدس كانا مخالفَين لاساس الدين المتعلق بمحبة القريب . ومن يخالف وصية محبة القريب لا يمكن ان يكون محبًا حقيقيًا لله. اذًا فالكاهن واللاوي لم يحفظا شيئًا من جوهر الدين. بينما الذي لم يتم من فروض الدين الخارجية شيئًا وكان اجنبيًا عن شعب الله المختار أظهر بمحبتهِ لقريبهِ الذي هو عدوهُ الطبيعي محبتهُ لله أيضًا . فهذا مقبول عند الله وذانك مرفوضان

هدم يسوع بهذه القصة جدارًا من الجدران الفاصلة بين المذاهب وابان ان الجوهر في الدين لا يختص بالمذهب بل بالمشرب . يجب ان تربط المذاهب المختلفة رابطة روحية تثبت وحدة الايمان مع اختلاف التفسير . وان لا يخلّ هذا الاختلاف في المحبة الاخوية . بل عوضًا عن النفور المتبادل بسببهِ يكون الاشتراك المتبادل في الفحص والمطالعة والتفتيش عما هو أصح في هذه التفاسير . ثم الاشتراك التام في كل مشروع مفيد لاسيما الديني منهُ باعتبار ان الحق الجوهري واحد والصالح واحد والاهتداء الى الله هو المقصود في كل فروع الدين

الفصل الرابع والثلاثون

(لو ١٠: ٣٨ – ٤٢ يو ٩: ١ – ٤١)

(المرصع) ف ٣٧ (الزمان) ك١ السنة ٣٩ م.
(المكان) بيت عنيا – اورشليم

يسوع في بيت عنيا . فتحة عيني اكمه . الاوهام بخصوص المصائب . المحاورة مع اليهود بخصوص هذه المعجزة . مقابلة يسوع ثانيةً الاكمه وتثبيت ايمانه . طرد اليهود هذا الرجل من المجمع

واصل يسوع ورسله سفرهم نحو اورشليم الى ان بلغوا قرية بيت عنيا . هذه قرية حقيرة وقذرة تسمّى الآن العازرية وتبعد عن المدينة نحو ثلاثة ارباع الساعة على المشاة[1]. لكنها ذات رائحة ذكية في التاريخ وصيت طائر بسبب عائلة تقيّة سكنتها في زمن يسوع. وبسبب مخ يسوع لهذه العائلة صداقة شخصية ممتازة قابلتها بتقديم نزل مريح ليسوع ورسلهِ يأوون اليهِ مسرورين كلما شاء ذلك يسوع . لان احوالهم الزمنية تيسر لهم ذلك[2]. قال البشير لوقا ان

---

(١) موقعها شرقي اورشليم في لحف جبل الزيتون . لا ذكر سابق لهذه القرية التي معنى اسمها بيت التعس او العناء (٢) يحق لنا ان نحسب هذه العائلة من اهل اليسر المالي. لا يحتمل ان يسوع يضع على جماعة فقراء اثقال الضيافة له ولجماعته الكثيري العدد كما في هذا الوقت وغيره . ولا يتيسر للفقراء القيام باودهم . يؤيد هذا الاستنتاج ما اجراهُ يهود اورشليم من الاكرام لهذا البيت عند موت لعازر وثمن الطيب الذي سكبتهُ مريم على قدمَي يسوع . من ذكر وليمة اقيمت له في بيت عنيا في بيت سمعان الابرص (مت ٢٦: ٦) استنتج البعض ان هذا اسم أب العائلة او انهُ اسم زوج مرثا المتوفى

امرأة اسمها مرثا قبلته في بيتها[1]. وذكر معها اختها مريم. لكنه لم يذكر أخاهما لعازر الساكن معهما[2]

دخول يسوع هذا البيت الممتاز مع رسله وغيرهم من مرافقيه لا بدَّ من ان يجمع قومًا آخرين من أهل القرية فحال جلوسه أخذ كعادته في الحديث الديني. عند ذلك ظهر الفرق بين الاختين المتساويتين في الاهتمام الحبي باكرام هذا الضيف الشهير وطلب رضاهُ وخدمة افكارهِ. فمرثا المتخصصة لنا انها الاكبر سنًّا ومديرة البيت اهتمت حسب العادة بالخدمة الجسدية. قيل "كانت مرتبكة في خدمة كثيرة". ولا عجب لان عدد الضيوف الذين باغتوها ومقام معلمهم النبي العظيم الصانع المعجزات يكفيان لهذا الارتباك

اما مريم[3] فان نيّريها الروحية دلتها على ان يسوع ليس كغيرهِ من كبار القوم ليفرح بمظاهر ضيافة كريمة او يسأل كثيرًا عما يقدم له من الطعام. شعرت بان معظم سرورهِ ينتج عن اصغاء الناس الى تعاليمهِ. في الوقت ذاتهِ هي من الذين طوّبهم يسوع في قولهِ "طوبى للجياع والعطاش الى البر"[4]. فليس فقط مراعاةً لمشرب يسوع بل ايضًا لاجل ارواء نفسها "جلست عند قدميهِ وكانت تسمع كلامهُ". مثّلت تمثيلاً جميلاً القليلين الذين ليست الدنيا عندهم الاّ تابعة للدين وخاضعة له. ليس انهم يقصدون ترك الدنيا وشرورها بل تقديم الدين عليها. هؤلاء هم الذين مكتوبة اسماؤهم في سفر الحياة لان الله قد اختارهم للحياة الابدية[5] وعلى جبينهم علامة اختيارهِ اياهم

كان خطأً مرثا في هذا الوقت تقديم الحسن الدنيوي على الاحسن الديني. وكثيرًا ما يمنع الحسن الوصول الى الاحسن. ولان الخطأ لا يولّد الاّ الخطأ تدرّجت الى التذمّر في قلبها على اختها وحسدها لجلوسها عند قدمَي يسوع. ثم أثمر تذمرها هذا ثمرًا امرّ هو تذمر على المعلم ذاتهِ. كان

(١) مرثا اسم سرياني لا عبراني ومعناهُ سيدة (٢) انظر يو ١١ وف ٢٨
(٣) مريم اسم عبراني معناهُ مرارة (٤) مت ٥: ٦ (٥) مت ٢٤: ٢١

الاولى بها ان تُسرّ لاختها لانها حاصلة على هذه الفرصة الثمينة للاستفادة او على الاقل ان تقول لها اعملي معي اولاً يا اختي ثمّ نجلس سويةً عند قدمَي المعلم. لكنها وقفت وقالت "يا رب أما تبالي[1] بان اختي قد تركتني اخدم وحدي؟ فقل لها ان تعينني"

يسوع يعلم جيدًا ضرورية الزمنيات. وهو كان يخدم زمنيات الناس كثيرًا مع روحياتهم. لكنهُ لا يقدر ان يغفل عن افهام مرثا ان الله قال "هوذا الاستماع افضل من الذبيحة والاصغاء افضل من شحم الكباش"[2]. وانهُ ان كانت تقصد ارضاءهُ فهو يُسَرّ بمن يحب ان يسمع تعليمهُ اكثر ممن يقدّم لهُ خدمة جسدية. في فكرها وقولها ظلمت اختها وسيدها وكدرتها. فاضطرّ يسوع الى توبيخ لطيف يبان منهُ ان خطأها حقيقي وجوهري. والاّ فما كان هذا الضيف الكريم يوبخها وهي تسعى لاجل انشراحهِ. قال لها "مرثا مرثا انتِ مهتمين وتضطربين لاجل امور كثيرة". كأنهُ يقول ان انهماكِ بالامور العالمية يحرمكِ الهدوّ والسلام والسرور الناتجة عن طلب ملكوت الله اي الخير الروحي اولاً. ليس ضروريًا للانسان الاّ أمر واحد وهو النصيب الصالح الذي اختارتهُ اختكِ والذي دوامهُ لها مكفول

بعد هذا الحادث نجد يسوع يجول في مدينة اورشليم. كان قد أيّد في تعليمهِ العلاقة الكلية بين الخطيئة والرزيئة. من جملة ذلك قولهُ للمقعد الذي شفاهُ عند بركة بيت حسدا "لا تخطئ ايضًا لئلا يكون لك أشرّ"[3]. لكن لا بدَّ لهُ من ايضاح خطر التطرُّف في التمسك بهذه القضية. في كل الزمان يسأل كثيرون عند وقوع انسان في مصيبة ما هي الخطيئة التي لاجلها جوزي هذا الانسان بهذه المصيبة. ويتخذون الرزيئة التي يلاقيها البعض عند ولادتهم جزاء على ذنوب في والديهم او اجدادهم. ويجدون لهذا الحكم سندًا في الوصية الثانية التي تقول ان الله اله غيور يفتقد ذنوب الآباء في الابناء الى الجيل

(١) هذه ملامة على يسوع (٢) ١صم ١٥: ٢٢ (٣) ف ١٨

الثالث والرابع من مبغضيه[١]. ويحسبون ان مقدار المصيبة تكون قياساً لجرم الخطيئة[٢]

من اضرار هذا الخطإ الجسيمة الاطمئنان الكاذب عند الاشرار الحاصلين على الراحة الجسدية والتوفيق العالمي وحسبانهم ذلك علامة الرضى او الاغضاء الالهي على رغم شرورهم . هذا الخطأ يشيع كثيراً بين الاشرار الذين يتمسكون بتأدية الفرائض الدينية الخارجية و يهملون المحبة القلبية لله

ان سؤال الانسان عن خطاياهُ هو وعلاقة رزاياهُ بها شيء وسؤالهُ عن خطايا غيره ورزاياهم شيء آخر . يحق له ان يدين ذاته بينما لا يحق له ان يدين غيرهُ[٣]. وان الثمانة في الغير عند وقوعهم في المصائب ليس فقط خطيئة بل ايضاً سخافة عقل . لانها مبنية على ظن وهمي وغلط . ضربات الله للبشر في هذه الدنيا حمية تتبع الفائدة لا الاسخناق. "فالذي يحبهُ الرب يؤدبهُ ويجلد كل ابن يقبلهُ"[٤]. شارك رسل يسوع مواطنيهم اليهود في الاوهام المارّ

---

(١) لا بل تطرّف البعض الى القول ان المصائب تأتي الانسان جزاء على خطايا في الاشهر قبل ولادتهِ . وقال غيرهم اعظم من ذلك اي ان المصائب قد تأتي قصاصاً على خطايا في حياة اخرى للمصاب قبل حياتهِ الحاضرة . لانهم اقتبسوا هذا الراي من أهل مبدا التقمص الوثنيين (٢) من اشهر امثلة هذا الخطا ما ظهر من اصدقاء ايوب الثلاثة

(٣) "الذي تعتريهِ مصيبة ما شديدة فليس من قبيل الغلط بل من واجباتهِ ان يفحص ويمتحن ذاته امام صانعهِ ليختبر ان كان فيهِ خطيئة ما سرية غير تائب عنها يترجح عندهُ انها هي سبب حلول تلك المصيبة عليهِ" (الاتفاق وجه ٣٧٤) لم يغلط اخوة يوسف لما تذكروا في ساعة ضيقتهم الشديدة في زيارتهم مصر سوء تصرفهم مع اخيهم . فقام عليهم ضميرهم يبكتهم وقالوا بعضهم لبعض حقاً اننا مذنبون الى اخينا الذي رأينا ضيقة نفسهِ لما استرحمنا ولم نسمع. لذلك جاءت علينا هذه الضيقة (تك ٤٢: ٢١ انظر ايضاً قض ١: ٧) لكن غلط اهل ملبطة الوثنيون لما رأوا الافعى تعلقت بيد بولس الرسول فحكموا عليهِ بقولهم بعضهم لبعض "لا بد ان هذا الانسان قاتل لم يدعهُ العدل يحيا ولو نجا من البحر" (اع ٢٨: ٤)

(٤) عب ١٢: ٦ انظر ايضاً مز ٩٤: ١٩ ورو ٨: ٢٨

ذكرها فاقتضى لاجل ازالتها مثالة مؤثرة محسوسة رأى يسوع (ان لم نقل دبّر) فرصة ملائمة لوضعها

مرَّ في المدينة برجل وُلد اعمى يعيش بالتسوُّل . برَّح ان يسوع وقف عندهُ وكلَّمهُ لبفتح بابًا للسؤال الذي قدمهُ تلاميذهُ لانهم سألوهُ "يا معلم من اخطأ هذا ام ابواهُ حتى وُلد اعمى" ؟ اجابهم يسوع ما معناهُ ان هذه المصيبة العظيمة لم تأتِ هذا الرجل نتيجة خطيئة او خطايا خصوصية ارتكبها هو او والداهُ . انما العناية الالهية سمحت بهذه الضربة لتظهر اعمال الله في المُصاب . النتيجة اثبتت كون هذا الاكمه رجلاً ذكيًا فهيمًا . فان اصبنا في ظننا انهُ سمع سؤال الرسل وجواب يسوع لا تكون افكارهُ الاَّ متهيجة بسبب هذا الحديث بين غرباء جليليين يسمعهم ولا يراهم يسمُّون احدهم معلمًا ويستوضحون منهُ اسرار القضاء الالهي

ما اعظم الفرق بين هذا الكلام المعزّي من هذا الغريب وكلام التوبيخ الموجب لليأس الذي كان يسمعهُ كل حياتهِ من الجميع عن اسباب مصيبتهِ . يسمع لاوَّل مرَّة ان مصيبتهُ هذه لا تدل على انهُ مغضوب عليهِ من الله ومرفوض بل بالعكس ان لله في مصيبتهِ مقاصد خيرية . نقلهُ هذا الكلام من عالم القنوط الى عالم الرجاء . وابتدأ التغيير الروحي في قلبهِ والايمان بهذا المعلّم المجهول . سأل عن اسمهِ فأُخبر ان اسمهُ يسوع . آهِ لمصيبة عماهُ انهُ لا يستطيع ان يرى هذا المنتصر لهُ . لو نقدهُ يسوع في هذه الساعة ليس فقط الدنانير النحاسية التي تعوَّدها بل الذهبية ايضًا لما احسن اليهِ بمقدار احسانهِ بهذا الجواب حتى ولو تركهُ وشأنهُ حالاً

لكن هذا بداءة فقط لعمل يسوع الخيري معهُ . نبَّه سامعيهِ اولاً الى قصر الفرصة الباقية لهُ للعمل[1] . قال "ينبغي ان اعمل اعمال الذي ارسلني ما دام نهار . يأتي ليل (واي ليل) حين لا يستطيع احد ان يعمل" . ثم اشار

(١) بناء على قرب تسليمهِ لأعدائهِ وصلبهِ اياهُ وذهابهِ من العالم تاركًا اياهم

الى وظيفتهِ الخصوصية كالنور الحقيقي الآتي الى العالم الذي ينير كل انسان (١). قال "ما دمت في العالم فانا نور العالم". اي ان الظلمة الجسدية والروحية كالتي اعثرت هذا الضرير هي ضدي وانا ضدها. فسأزيلها. ثم حسب عادتهِ لانهُ قال فعل ايضاً. تنزل على الارض وصنع طيناً وطلى بالطين عيني الاعمى (٢). وامرهُ ان يذهب ويغتسل في بركة سلوام (٣) "فمضى واغتسل واتى بصيراً"

ظهرت القوة الالهية في هذا العمل بواسطة البون العظيم بين آنيتهِ وتتيجتهِ. لكن الامر البسيط اي الطلي بالطين كان مهماً لاجل تحقيق العلاقة بين الفاعل وفعلهِ. ولاجل احياء الايمان في قلب هذا العليل. بما ان الايمان هو الشرط الجازم في الابراء. كان مهماً ايضاً ايضاح ضرورية الطاعة التي هي ثمر الايمان. يقتضي ان يأتي بعد فعل يسوع فعل الاكمه والاَّ فلا ينتفع من فعل يسوع. ليست النتيجة العجيبة التي حصلت ثمر فعل الاكمه لكنها توقفت على ذلك الفعل. لو لم يؤمن لما أطاع ولو لم يطع بعد ايمانهِ لما جاز ان يقال انهُ آمن. آتاهُ الابراء لانهُ آمن لكن لانهُ آمن ايماناً يثمر بالطاعة. وهذه على الدوام قاعدة الخلاص والايمان والاعمال. من يؤمن يخلص لان من يؤمن لا بد لهُ من ان يعمل. فان لم يعمل حسب الفرصة المعطاة لهُ يحكم انهُ لم يؤمن. فيهلك ليس لانهُ لم يعمل بل لانهُ لم يؤمن ايماناً صحيحاً

نرى هذا النفير ماراً بين الجماهير بعد الطلي وقبل الاغتسال ووجههُ

(١) يو ١:٩ (٢) ألف اهل تلك الاجيال والبلدان استعمال لعاب الفم (الريق) والطين لاجل الالتهاب البسيط في الاعين. ولكن ليس عاقل يتصوَّر ان هذا الطين يهب بصراً جديداً كاملاً ولا سيما لأكمه (اي مولود اعمى) (٣) هذه البركة التي يخرج نبعها من تحت فسحة الهيكل في الجهة الجنوب عن موقع الحرم الشريف تحت الجامع الاقصى واسمها حالياً بركة سلوان وفي العهد القديم شيلوه نح ٣:١٥ واش ٨:٦ يقولون انهم كانوا ينسبون الى مياه هذه البركة فعلاً صحيحاً كما الى مياه بركة بيت حسدا. فان صدق ذلك نحسب ان يسوع ارسله اليها وليس الى بيتهِ للاغتسال بالماء الاعتيادي تنشيطاً لايمانهِ الجديد الضعيف وتسهيلاً لطاعتهِ

ملطّخ بالطين وسيرهُ جدّي فوق العادة مما ينبّه الناظرين ويهيج عليهِ الاستهزاء. ولا سيما ان اجاب على السؤالات عمّا يقصدهُ . لكن الاستهزاء لم يثنهِ عن طاعتهِ ولا نصائح العقلاء له ان لا ينقاد لكلام غريب مكروه من امتهِ . وان لا يعرّض ذاتهُ للازدراء والتهديد . لان عملهُ لابد من ان يثير عليهِ غيظ الروّساء لكونهِ يعمل في السبت ضدًّا لتعاليمهم . كل هذه لم تطفِ فتيلة ايمانهِ المدخنة ولم تردّهُ عن الذهاب لمّا امرهُ يسوع. ولما نال البصر عاد الى المحل الذي فارق يسوع فيهِ ليتمتع بصرهُ الجديد برؤية المفضل القدّار الذي أنعم عليهِ بهذه الهبة التي لا تثمّن . فيقدّم لهُ الشكر اللائق والواجب. ويستمد منهُ ارشادات جديدة دينية يرى ذاتهُ بافتقار اليها . لكنهُ لم يجد يسوع هناك ولم يجد من يهديهِ اليهِ . هذه المعجزة رمز مناسب جدًّا للخلاص . لكونها منحت هذا الاكمه ما لم يكن لهُ سابقًا . لا يصحّ هذا القول في سائر المعجزات لانها حتى اقامة الموتى كانت انما تعيد للانسان ما كان لهُ اصلاً وقد خسرهُ. لكن مصيبة هذا الرجل الكبرى هي انهُ اكمه في المعنى الروحي ايضًا . لانهُ وُلد في الاثم والخطيئة كما ذكرهُ الروّساء[1]. فمنحهُ يسوع مع البصر الجديد الجسدي ما هو أهمّ بما لا يقاس وهو بصر جديد روحي

فلأن هذا كلهُ حدث في يوم سبت كان سكان العاصمة متفرغين عن الاشغال العادية يطوفون الاسواق جماهير مستعدين للتفرّج والتحدّث بما يجري امامهم ويتمشون ذهابًا وايابًا الى الهيكل والمجامع لاجل العبادة القانونية . فالمتعصبون لما رأوا هذا ماشيًا في السبت يطلب الشفاء حنقوا عليهِ واردوا مجازاتهُ لمخالفتهِ شريعة السبت المقدسة[2]. والمترفقون خافوا من الاوّلين ولم يجسروا ان ينتصروا لهذا المحسن او لهذا المحسَن اليهِ . لان الروّساء كانوا قد تعاهدوا ثم اعلنوا جهارًا انهُ ان اعترف احد بانهُ المسيح يخرَج من المجمع

(١) مز ٥١:٥ (٢) كانت احدى فرائضهم تحرّم على الانسان مسح جفنهِ بلعابهِ يوم السبت معالجةً لالتهاب فيهِ ما لم يكن خطرًا كليًّا على بصرهِ

لما فشل هذا الرجل في طلب روئية شافيهِ رجع الى بيتهِ ليري نفسهُ لوالديهِ وليراها لاوّل مرّة في حياتهِ التي لم تقلّ عن الثلاثين سنة[1]. ولهُ مثل هذا القصد لجهة جيرانهِ ايضاً. الفرق في المحيّا بين وجود العينين وعدمهما ليس بقليل. فالتغيير الذي حصل في منظر هذا الرجل بسبب تجديد عينيهِ ثمّ ايضاً بسبب بهجتهِ الجديدة أوقع الريب (ولا عجب) في الذين كانوا يعرفونهُ بعض المعرفة النظريّة فقط. لهذا السبب اختلف الراي بخصوصهِ. واعتقد البعض ان القول في ابرائهِ هو اما وهم او خداع. وان هذا البصير ليس هو ذاك الضرير بل شخص آخر يشبههُ. اما هو فلم يرضَ الاّ الانتصار للصدق ثمّ للمفضل عليهِ. فصرّح "اني أنا هو". لما سألوهُ كيف جرى لهُ ومن شفاهُ اجابهم بالواقع. لكن لما سألوهُ اين هو قال "لا أعلم" [2]. يتمنى الرجل لو استطاع ان يهتدي الى محل وجود يسوع ليهديهم اليهِ

اما المتعصبون فلأنهم لم يهتدوا الى المسبب لهذه المخالفة التي أغاظتهم جرّوا هذا المسكين معهم الى محضر الفريسيين في مجلسهم الملي ليحاكم فيهِ واخبروهم القصة. لما طلب اعضاء المجلس ان يسمعوها من فمهِ رأساً قصّها عليهم. ولما علموا ان يسوع الذي يبغضونهُ وينوون قتلهُ فعل هذه المعجزة حاروا في امرهم. ان حكموا عليهِ لاجل مخالفة السبت يثبتون المعجزة ويشيعون خبرها فيزيد تمسك الشعب بيسوع اذ يرجو هولاء ان يكون هو المسيح. ولانهُ وقت العيد العظيم لا يستبعد ان الشعب يثير حركة جديدة سياسية وينادي بيسوع مسيحهم وملكهم. واما ان انكروا حقيقة المعجزة فيخسرون الحجة التي فرحوا بها للحكم عليهِ بانهُ دنس السبت. لذلك ترددوا وناقضوا ذواتهم. لانهم اثبتوا المعجزة اولاً وافتكروا الآن ان يلاشوا تأثيرها بقولهم ان فعلها في السبت برهان ان الفاعل

(١) يظهر هذا في قول والديهِ انهُ كامل السن (٢) سُطّر في تواريخهم خبر معجزات عظيمة وعديدة فعلها الانبياء في القديم ولكن ليس بينها كلها اعطاء بصر لضرير ولا سيما لاكمه. فلا نعجب من رغبتهم في روئية يسوع بعد روئيتهم ما فعل

ليس من الله . بالنتيجة يكون قد فعلها بقوّة الشياطين

لكن قومًا في المجلس[1] اعترضوا على هذا الرأي بقولهم "كيف يقدر انسان خاطئ ان يعمل مثل هذه الآيات". فحصل انشقاق في ذات المجلس بسبب ما ظهر من ذكاء هذا الرجل وبساطتهِ واخلاصهِ . فغيّروا خطتهم وعمدوا الى الحيلة المعاكسة للاولى . حاولوا انكار المعجزة لعلهم ينجحون في تحقير يسوع بالاحتيال والتهديد والاحتجاج. وطلبوا ان يجرُّوا الرجل وابويهِ الى انكار المعجزة او الى التناقض في الاستنطاق لكي يشهروهم ككذّابين او مخدوعين

لكنهم لم يفلحوا . بل كلما اعادوا عليهم سؤالاتهم انجلت الحقيقة اكثر فاكثر . جبن والديهِ جعلهما يتركانهِ وحدهُ ليدافع عن الحقيقة التي يعلمانها . اذ خافا من الحرم الديني. اما هو فاظهر جرأة وحكمة غريبتين . افحمهم بحججهِ وخجّلهم على حججهم . اخيرًا استحلفوهُ على الصورة المصطلح عليها عندهم في طلب اعتراف المجرم بجرمهِ . وهي الصورة التي استعملها يشوع مع عخان[2]. "أعطِ الآن مجدًا للرب اله اسرائيل" يعني مجدًا للاله الذي هو الحق بمراعاة الحق في استنطاقك . لان الحق سبحانهُ يثيب الصادقين و يعاقب الكاذبين . لكنهم الآن يبذلون جهدهم في اجبار هذا الرجل على انكار الصدق والحلف كذبًا لينفذوا غايتهم في يسوع . ومع ذلك يقولون "أعطِ مجدًا لله". بذلك ظهر عمق ريائهم في الدين وفراغ ضميرهم من الحق واباحتهم المحرّمات بل حضّهم عليها لاجل نيل مراماتهم العدائية . عندما طلبوا منهُ هذا اليمين عصيَ امر رؤسائهِ وادّى تلك الشهادة الشهيرة التي اصبحت كمَثَل جميل متعارف . قال "اعلم شيئًا واحدًا اني كنت اعمى والآن أُبصر". هذا القول هو قاعدة كل من اختبر الخلاص بيسوع بواسطة الايمان الحي بهِ لانهُ يقدّم هذه الشهادة عينها

(١) ولعل نيقوديموس كان قائدهم لان هذا القول يشبه قولهُ منذ ثلاث سنين انظر يو ٣:٢ (٢) يش ٧:١٩ انظر ١صم ٦:٥ وار ١٣:١٦

كلام هذا الرجل اخيراً كان توبيخاً لرؤسائه. لما كرّروا سؤالاتهم ليوقعوه قال "قلت لكم ولم تسمعوا لماذا تريدون ان تسمعوا ايضاً. ألعلكم انتم تريدون ان تصيروا له تلاميذ"؟ فشتموه مفتخرين عليه انهم تلاميذ موسى بينما هو تلميذ هذا الجليلي المجهول الاصل. شتموه بحجة انه ضل وكفر في تسميته نبياً. فاعاد عليهم الكرّة عليهم بتجهيله اياهم لانهم وهم معلمو الدين يجهلون اصل شخص قادر على عمل يبرهن انه من الله (١). ختم بكلام قوي زاد برهان ذكائه واقدامه وايمانه. ذكّر هؤلاء العلماء في الكتاب ان كل تواريخهم منذ نشأة العالم لم تأتِ بشاهد واحد لمخ البصر لمولود اعمى. ثم قال "نعلم ان الله لا يسمع للخطأة. ولكن ان كان احد يتقي الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع. لو لم يكن هذا من الله لم يقدر ان يفعل شيئاً". لقوله هذا مستند في بعض آيات الكتاب (٢). فالخاطئ الوحيد الذي يسمع له الله هو الذي يقدّم توبة حقيقية صادقة امامه تعالى. فشاطوا غيظاً عليه ورشقوه بهذه السهام "في الخطايا وُلدت انت بجملتك وانت تعلمنا"؟ ثم حكموا عليه ووضعوه تحت الحرم الاعظم (٣) "واخرجوه من المجمع"

مع ان يسوع كان قد توارى عن ابصار هذا الرجل فلم يعرف هيئة مخلصه لم يبرح هذا من اهتمام يسوع به. وزاد اهتمامه بعد ما جرى على الرجل من القصاص الظالم. فقصده ووجده وقال له "أتؤمن بابن الله"؟ (٤) راعى

---

(١) تسمعهم يناقضون كلامهم السابق لما قالوا ليس هذا هو المسيح لاننا نعلم من اين هو واما المسيح متى جاء فلا يعرف احد من اين هو (يو ٧: ٢٦ و ٢٧) اما الآن فيقولون انه ليس المسيح لانهم لا يعلمون من اين هو (٢) مز ٦٦: ١٨ ويو ٩: ٣١

(٣) بين درجات الحرم الثلاث اعظمها (٤) يعلم من يطالع النسخ الاصلية اليونانية للانجيل ان بعضها يقرأ "أتؤمن بابن الانسان" فالذي يزيد الحق بان نختار التي تقرأ "ابن الله" وليس "ابن الانسان" هو سجود هذا الرجل بعد هذا السؤال. ومع ذلك فان اليقين بلاهوت المسيح لا يتوقف مطلقاً على مجرد حروف وآيات مفردة قد يقع الخطأ في نقلها بل هي مسنودة على آيات عديدة لا اختلاف في صحة نقلها فضلاً عن اشارات وحوادث لا تحصى

يسوع في هذا السؤال المبدأ الذي اعلنهُ لما صلّى "احمدك ايها الآب رب السماء والارض لانك اخفيت هذه عن الحكماء والفهماء واعلنتها للاطفال . نعم ايها الآب لان هكذا صارت المسرّة امامك" (١). لم يعتنِ ان يعلن فانهُ كابن الله للعلماء في الامة . لكنهُ اعلن ذلك لهذا الفقير المال الى الايمان . والذي ظهر جوهرهُ لما اجاب "من هو يا سيد لأومن بهِ" ؟ حالاً اناره يسوع بقولهِ لهُ كقولهِ للسامرية الخاطئة "قد رأيتهُ والذي يتكلم معك هو هو" (٢)

ما اصعب هذا الجواب على مسامع يهودي متمسك بالتوحيد . كيف يكون هذا الرجل الذي امامهُ ابن الله وكل ملامحهِ بشرية ؟ فان كان حقًا ابن الله يقتضي السجود لهُ حالاً . والاَّ فلا يجوز بل يكون السجود لهُ خطيئة عظيمة. عرف واعترف اولاً ان يسوع نبي ولم يسجد لهُ . واما الآن فيسجد . لانهُ صدَّق قولهُ في نفسهِ انهُ ابن الله بمعنى يجيز سجودًا لهُ لا يعطى لنبي او ملك او ملاك .

في هذه الساعة تمّ ابراء هذا الرجل من عماهُ الروحي الذي وُلد فيهِ . فابصر جليًا ورأى امامهُ بعينيهِ الجسديتين يسوع الناصري ابن مريم وبعين الايمان رأى ابن الله الوحيد . أخذ هذا المسكين من روَّسائهِ الشتيمة والحرم . لكن يسوع عوَّض عليهِ اضعاف الاضعاف بالبركة والخلاص . اولئك اخرجوهُ من المجمع واغلقوا في وجههِ باب النظام الديني والحقوق المذهبية . لكن يسوع ادخلهُ الى ملكوت الله وفتح لهُ باب السماء . اذًا لم تعنِ مصيبة هذا الاكمه انهُ خارج عن احاطة العناية الالهية بهِ . ظهر الآن صدق قول يسوع انها كانت لتظهر اعمال الله فيهِ . وليتمّ للمصاب خير عظيم . بسبب عماهُ اهتدى الى الخلاص الابدي وربح صداقة هذا الخل السماوي الذي قال عنهُ الشاعر

للورى خلٌّ وحيدُ ما لهُ اصلاً نظير
حبُّهُ حبٌّ شديدُ لا يكافى بالكثير

ونال ذكرًا شريفًا موبَّدًا في التاريخ . ثم انهُ خدم يسوع بنشر صيتهِ

(١) مت ١١: ٢٥ و ١٦ (٢) يو ٤: ٢٦

انتشارًا جديدًا وبشهادته الصادقة له. وخدم ذوي القلوب السليمة حوله باعطائهم اسبابًا كافية ليلجأوا الى هذا المخلص وينالوا به خلاصًا. كل هذا نتج عن عماهُ ولربما فوق هذا كثيرٌ مما لا نعلمهُ. أفلا يحق لنا ان نتصورهُ بين القديسين في السماء يقدّم شكرًا وافرًا على الدوام لانهُ وُلد أعمى؟ (١)

يلاحظ القارئ النبيه ان هذا الاكمه خلافًا لاكثر الذين شفاهم يسوع نال ما نال دون طلب قدمهُ. مائل الكثيرين الذين تسبق بركاتهم صلواتهم وذلك من كرمهِ تعالى الفائق الادراك. كانهُ عثر عرضًا على الكنز المخفى في الحقل. صحّ فيهِ القول الالهي "اصغيت الى الذين لم يسألوا. وُجدت من الذين لم يطلبوني" (٢) وقبلما يدعون انا أُجيب وفيما هم يتكلمون بعد انا اسمع" (٣) لما اعترف هذا الرجل بايمانهِ بيسوع وسجد لهُ كان حاضرًا بعض الفريسيين الذين رفضوهُ فقال يسوع على مسمع منهم انهُ قد أتى الى العالم لاجل الدينونة. يذكر القارئ ان يسوع قال عكس هذا القول سابقًا (٤). هذه المناقضة في الصورة لا في الحقيقة وسببها استعمال كلمة دينونة لاكثر من معنى واحد. ختم كلامهُ امام هؤلاء الفريسيين بتصريحهِ ان الذين لا يشعرون بعماهم الروحي يهبطون الى الهاوية حيث العمى الجسدي والروحي المؤبد قال "الآن تقولون اننا نبصر فخطيتكم باقية"

حقًا انك تُحسد ايها الاكمه المجهول الاسم لاننا نرى فيك باكورة جيش الذين تألموا لتمسكهم بيسوع المسيح. بين جميع الذين شفاهم يسوع انت الوحيد الذي عرفنا عنهُ انهُ اظهر شكرهُ لشافيهِ بالمجاهرة انتصارًا لهُ امام خصومهِ. انت اوّل الذين بعد ظهور المخلص نالوا منهُ الطوبى التي للمطرودين من اجل البرّ (٥). هل في قلبك أسف الآن وانت بين الذين أتوا من الضيقة

---

(١) لم يذكر الانجيل من المعجزات التي فعلها يسوع في اليهودية في كل مدتهِ سوى هذه المعجزة ومعجزتين أخريين (٢) اش ٦٥: ١ (٣) اش ٦٥: ٢٤

(٤) يو ٣: ١٧ و ١٢: ٤٧ (٥) مت ٥: ١١ ولو ٦: ٢٢

العظيمة فتمجدوا امام العرش الالهي[1] لانهُ في شهر ك١ السنة ٢٩م. في يوم سبت اخرجك روَّساء دينك خارجًا عن المجمع والقوا عليك حرمهم الكبير. ألم يعزِّزوا بذلك مجدك الابدي؟ ألا نسمع صوتك من امام العرش مشجّعًا كل من يقاوَم على الارض لتمسكهِ بايمانهِ بذلك الراعي الصالح الذي يقود الى مراعٍ خضر والى مياه الراحة؟ اما صورة هذا الراعي فقدمها يسوع آنئذٍ لروَّساء اليهود في خطاب جليل طافح بالتعاليم والتعزيات الروحية

رأينا كيف لم يسكت يسوع لهؤلاء الظالمين الذين حرموا هذا الاكمه لاجل شكرهِ ومحبتهِ وشهادتهِ للذي منحهُ البصر. أليس فخر الرجولية الانتصار للضعيف المحتقَر المظلوم؟ نتج عن هذا الاصطدام بين الروَّساء ويسوع شرارة نور ثمينة هي مثل الراعي الصالح[2]

(١) رؤ٩:٧—١٧ (٢) يوحنا وحدهُ دوَّن هذا المثل ولم يرد في بشارتهِ من امثال يسوع العديدة الاَّ هذا

الفصل الخامس والثلاثون

لو ١١:١-٤، يو ١٠:٢٢-٤٢

(المرصّع) ف ٣٨ و٣٩ (الزمان) ت ١ الى ك ١ السنة ٣٩م
(المكان اورشليم

الرعاة الامناء والغير الامناء . يسوع الراعي الصالح . عيد التجديد . الحديث في الصلاة . اخراج شيطان من اخرس . اتهام يسوع بالاشتراك مع الشياطين . الويلات على مائدة الفريسي . جوابه للناموسي

امام يسوع الآن رعاة شعب الله المختار القانونيّون . فكيف يقتضي ان يكلّمهم في صفته النبوية الاصلية كلّم اسلافهم بروحه في الانبياء قديمًا الذين نطقوا بالتوبيخات الشديدة المرّة[1] . وهؤلاء الذين خلفوهم يماثلونهم ويزيدون عليهم بالاخلال في هذه الوظيفة المقدّسة فيستحقّون ذات المعاملة بل اشدّ منها . وقد اثبتوا وجدّدوا هذا الاستحقاق السيّء في معاملتهم هذا المسكين الاكمه من ابناء رعيتهم الذي كان يجلس ويستعطي الى ان منحه يسوع البصر

ولهذا يسميهم سرّاق ولصوص . لانهم لم يدخلوا على وظيفتهم الرعائية من الباب الوحيد الذي عيّنه الله الذي هو يسوع ذاته . بل طلعوا من موضع آخر . ولم يدخلوا بدعوة الهية . ولا لاهلية فيهم . بل لنجاحهم في الوسائط السياسية . دخلوا من الثلمات في سور الحظيرة كالارث او المحاباة او

(١) اش ٥٦:١١ وار ٥٠:٦ وزك ١٠:٢ و١١:٥ وحز ٣٤

التملق او الرشوة او الحيلة او الاستبداد . فما الفائدة من تسلسلهم المروني ورسامتهم القانونية وغير ذلك من الشروط الرسمية الخارجية طالما هم تائهون عن الباب بتصوُّرهم واشتهائهم مسيحًا سياسيًّا . هو ذاتهُ الباب . والى اليوم لادخول مبارك على الخدمة الرعائية الاَّ من هذا الباب

قال احد اللاهوتيين "ان الراعي الحقيقي بين البشر هو الذي يتقلَّد هذه الوظيفة حبًّا للمسيح ويقصد تمجيد المسيح ويعمل عملهُ بقوَّة المسيح ويعلِّم تعليم المسيح ويسلك في خطوات المسيح ويسعى ليأتي بالنفوس الى المسيح" . ولا يصحّ الخروج ايضًا الاَّ من هذا الباب . اي ان الراعي الديني لا يجوز لهُ ان يترك هذا العمل الاَّ باستئذان هذا الذي هو الباب وسماحهِ . قال "الحق الحق اقول لكم إني انا باب الخراف . ان دخل بي احد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى . فالباب للرعاة هو الباب ايضًا للرعية اي لافراد المؤمنين

فسَّر البعض ان البوَّاب المذكور في هذا المثل هو الروح القدس . يعني ان اتصال الراعي الى قلوب رعيتهِ بقوَّة روحية لخلاصهم وبنيانهم لا يكون الاَّ بفعل هذا الروح . كما ان تأثير يسوع في تبشيرهِ كان يعزى الى هذا الروح

إنما وصْف يسوع بانهُ الباب لا ينفي مطلقًا بحقوق كما لاتهِ . فهو ايضًا الراعي ذاتهُ . ولا يوجد تشبيه آخر يحلو لاسرائيلي نقي كالتشبيه بالراعي . لان شعبهُ هم من سلالة رعاة تبتدئ من ابرهيم ثم احفادهِ ثم نسلهم الذين نزلوا الى مصر ثم عند صعودهم منها . ثم موسى وداود وعاموس وسواهم . والترنيمات في مزامير داود كانت تصوِّر الرب راعيًا . فكان يصلي "يا راعي اسرائيل . يا قائد يوسف كالضان"(١) . وكان يقرأ في نبوة اشعياء "هوذا السيد *** كراعٍ يرعى قطيعهُ . بذراعهِ يجمع الحملان وفي حضنهِ يحملها ويقود المرضعات"(٢) . ثم ان أحلى المزامير كلها وبيت القصيد فيها مزمور الراعي

(١) مز ٨٠: ١ و٧٧: ٢٠ (٢) اش ٤٠: ١١

الذي مطلعهُ "الرب راعيّ فلا يعوزني شيء. في مراعٍ خضر يربضني. الى مياهِ الراحة يوردني. يردّ نفسي يهديني الى سبل البر من اجل اسمهِ. ايضًا اذا سرت في وادي ظلّ الموت لا اخاف شرًّا لانك انت معي. عصاك وعكازك هما يعزّيانني"(١)

ليست مهنة الراعي مهنة فخر ودلال. بل هي محفوفة بالمتاعب والمخاطر في الوعور وبين الوحوش الضارية. فيسوع كالراعي الصالح تحمّل اعظم المتاعب والمخاطر ثم بذَل حياتهُ ليخلّص خرافهُ الخاصّة. بينما الذين سمّاهم سُرّاقًا ولصوصًا لا يأتون الاّ ليسرقوا ويذبحوا ويهلكوا. والذين سمّاهم أجرى لا يدافعون عن الخراف في ساحات الخطر وساعاتهِ. بل يهربون ويتركون القطيع يتشتّت ويُفترَس. "لانهم لا يبالون بالخراف"

فقصْد الذئب الخصوصي ليس الراعي بل الخراف. والفريسة الخصوصية التي يترصّدها ابليس لاهلاكها هي تلاميذ المسيح. فلكي يسلم هولاء من مخالبهِ ذاق يسوع موتًا لا يستحقهُ. واحيا الموتى بموتهِ الذي برهن القيمة العظيمة التي يقدّر بها خرافهُ اجمالاً وافرادًا. وهو يعرف كل فرد من قطيعهِ معرفةً تامةً تتناول اسماءهم وجميع اسرارهم وخفيّاتهم. ومعرفتهُ الدقيقة واهتمامهُ التام بكل فرد من رعيتهِ التي لا تحصى ليست باقل الآن مما كانت عليهِ لما اسلم نفسهُ على الصليب

وفي وظيفتهِ الرعائية يقوم بالقيادة النبوية والاقانة الكهنوتية والحماية الملكية. فكراعٍ نبوي محب لا يسوق خرافهُ الحقيقيين بل يقودهم سائرًا امامهم ومنتبهًا لهم افضل المراعي. وكراعٍ كاهن يقدّم ذاتهُ ذبيحةً ليطعمهم جسدهُ مأكلاً حقًّا إذ هو خبز الحياة النازل من السماء. وكراعٍ ملكي يتلقّى امامهم كل

(١) مز ٢٣: ١—٤ سبق القول بتشرّف الرعاة عند مجيء المسيح باختيار الله اياهم ليبشروا بالميلاد المجيد قبل جميع الناس

المخاطر والاعداء وبانتصاره عليها يحميهم وينصرهم ايضاً. وهم في دورهم يعرفونه معرفة جيدة ليست لغيرهم من البشر. ويسمعون صوته ويتبعونه ولا يصغون لصوت غير صوته. وهذا الحصر هو من علامات الخراف الحقيقية

لاحظ يسوع اثناء خطابه انهم لم يفهموا كلامه. فكرّره وفسّره موضحاً لهم انه يضع نفسه عن الخراف تبرّعاً. فيحق له القول "لهذا يحبني الآب لاني اضع نفسي لآخذها ايضاً. هذه الوصية قبلتها من ابي". وهذا يشبه قول اشعياء[1]. واوضح لهم ايضاً ان له سلطاناً ان يسترد حياته البشرية بعد وضعها اي ان يقوم بقوته الذاتية بعد هذا الخضوع الاختياري للموت

ثم صرّح ايضاً باهتمامه "بالخراف الأُخر التي ليست من هذه الحظيرة" بقصد المتعلق بها. قال "ينبغي ان آتي بتلك ايضاً لانها لي فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد". لكن مسيح سامعيه هو لليهود فقط. فمسيح يقصد ضم الامم الخارجية الى شعب الله المختار لا يقبلونه قطعياً. فدلّ كلام يسوع صريحاً على انه لم يكن ابن عصره ولا افكاره ثم تربيته. لانه خالف تماماً المحيط الذي نشأ وعاش ضمنه.

ورد في هذا الخطاب اقوال كافية لتنكّر القسم الاعظم من سامعيه. فقالوا "به شيطان وهو يهذي لماذا تسمعون له". اما القسم الآخر وهو الاصغر فلم يسكت عن هذه التهمة بل أجاب "ليس هذا كلام من به شيطان". واسندوا جوابهم الى المعجزة الجديدة التي كانت المتقدّمة لهذا الخطاب "فقالوا ألعلّ شيطاناً يقدر ان يفتح اعين العميان". اما نحن فنضيف على برهانهم الاستنهامي برهاناً آخر ونسأل على فرض الشيطان يقدر ان يفتح اعين العميان هل يمكن ان يريد فعلاً خيرياً كهذا؟ أفلا تكفي الرحمة في هذا الشفاء برهاناً انه ليس فعل

(١) آثامهم هو يحملها. لذلك اقسم له بين الاعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة. من اجل انه سكب للموت نفسه. وأحصي مع أثمة. وهو حمل خطيئة كثيرين وشفع في المذنبين (اش ٥٣: ١٢)

شيطاني ؟ لو اراد الشيطان الخير للناس لما كان شيطانًا . فغباوة الرؤساء كانت تظهر بنوع خصوصي في نسبتهم اعمال يسوع الخيرية الى الشيطان. وكانوا بذلك يثبتون على انفسهم حكم يسوع عليهم بانهم عميان. ولماذا لم يذكر هولاء العلماء في الكتاب ان في التوراة وُضع مخ البصر للعميان من جملة علامات المسيح وافعالهِ[1]

فالانشقاق الذي وقع بينهم بسبب هذا التعليم لا يعيبهُ . ألم يقُلْ يسوعُ سابقًا انهُ لم يأتِ ليلقي سلامًا بل سيفًا[2] وانهُ اتى ليفرّق[3] . لانهُ من طبيعة الحق ان يفرّق بين الذين يقاومونهُ والذين ينتصرون لهُ . هذه هي المرّة الثالثة لذكر وقوع الانشقاق بين اليهود بسبب كلام يسوع واعمالهِ[4]

عظَّم اليهود عيدًا سنويًا آخر سمّوهُ عيد التجديد[5] ولانهُ ليس وضعًا الهيًا كالفصح والمظال والخمسين لم يكن الصعود فيهِ الى اورشليم من الفروض الدينية . كان يبتدئ هذا العيد الذي مدتهُ ثمانية ايام في ٢٥ شهر كسلو الذي يضمّ أواخر ك١ مع اوائل ك٢ . فكان قريبًا من اليوم الذي اصطلح عليهِ المسيحيون تذكارًا لولادة يسوع المسيح . ولاسباب ما حدث بعد ما دنّس ملك سوريا الظالم انتيوخس ابيفانيس الهيكل لما اخذ المدينة في سنة ١٦٧ ق م[6] فلما قام القائد اليهودي المكابي الشهير يهوذا وجدّد الهيكل تعيّن تاريخ تجديدهِ عيدًا مهمًا عندهم فصار امرًا طبيعيًا ان يغلب فيهِ روح الابتهاج المتناهي. ولذلك كان الجمهور العظيم يأتي فيهِ الى العاصمة اختياريًا[7] وكانوا

---

(١) اش ٣٥:٥ و ٢٩:١٨ و ٤٢:٧ (٢) مت ١٠:٣٤ (٣) مت ١٠:٣٥

(٤) يو ٧:٤٣ و ٩:١٦ (٥) وفي لغتهم شنُوحة (٦) سفر المكابيين الاوّل ١:٢٢ و ٢٩ و ٦٣ (٧) يؤخذ خبر اصل هذا العيد من الاسفار اليهودية المعروفة بالابوكريفا (انظر سفر المكابيين الاوّل ٤:٥٩) هذه الاسفار تُعتبر اجمالاً كتواريخ صادقة. لكن اليهود لا يقدسونها جزءًا من التوراة . ولا من اسفار الوحي . فبما ان المسيحي أخذ من اليهودي توراتهُ لا حقّ لهُ ان يضيف ما لا يعدّهُ الشعب اليهودي من التوراة

يزيدون على زينة المدينة بالازهار والاغصان نهارًا وبالمصابيح والمشاعل ليلاً زينة صدر الهيكل بتيجان وتروس ذهبية

يخبر البشير يوحنا وحدهُ ان يسوع حضر هذا العيد وذلك في سنتهِ الاخيرة وقبل صلبهِ بنحو ثلاثة اشهر . وكان حضورهُ مناسبًا لاتفاق موضوع الاحتفال مع قصد يسوع الذي اتى بعيد تجديد مبهج هو تطهير هيكل الله من تدنيس الخطايا المستولية على الناس . حفظ يسوع تمامًا القانون الذي وضعهُ لغيرهِ والذي يقضي بمحبة العدو . وكان حبهُ الحقيقي الخالص لاعدائهِ هو الدافع لتوبيخاتهِ القاسية وادانتهِ المُرَّة . وكان قصدهُ الدائم ان يفتح امامهم بابًا واسعًا للايمان بهِ لخلاص نفوسهم من الهلاك وحفظ امتهم ومدينتهم وهيكلهم من الخراب . وهذا الفتح جدَّدهُ في هذا العيد ابّان الاحتشاد الغير الاعتيادي في دور الهيكل وفسحات العاصمة . ولكون ساعتهِ قد اقتربت يجوز لهُ ان يخاطر اكثر ويتعرَّض لهيجان اليهود عليهِ بسبب ايضاحهِ حقيقة شخصيتهِ وتعليمهُ امامهم اكثر من قبل

فنقرأ انهُ في احد ايام العيد بينما كان يتمشى في رواق الهيكل بسبب الشتاء احاط بهِ اليهود[1] (اي روَّساؤهم)[2] اللاجئون للسبب ذاتهِ الى هذا الرواق الشرقي المعروف برواق سليمان[3] . مؤامرتهم عليهِ معروفة وقصدهم مكشوف لدى العموم . فاتفقوا على هذا السؤال "الى متى تعلّق انفسنا ان كنت انت المسيح فقل لنا جهرًا" . ولانهم يتصوَّرون وينتظرون مسيحًا سياسيًا لا يجيبهم "نعم" . ولانهُ حتمًا المسيح لا يقدر ان يقول "لا" . فاحال على ضميرهم الجواب على سؤالهم مذكرًا اياهم ان كلامهُ السابق كان جوابًا

---

(١) في اليونانية كما في العربية تطلق كلمة شتاء على فصل الشتاء وايضًا على المطر . ولهذا فالشتاء المذكور يشير الى المطر (٢) اصطلح البشير يوحنا ان يكني عن الروَّساء بكلمة "اليهود" (٣) يقول يوسيفوس ان هذا الرواق أو اكثرهُ سلم وقت خراب الهيكل الاخير

كافيًا لو كان لهم ميل ان يذعنوا للحق ويقبلوا مسيح الله الحقيقي بدلاً من مسيحهم الوهمي

الشجرة تُعرف من ثمارها لا من مجرّد اسمها . فذكّرهم ان له اعمالاً قد عاينوها تفصل هذه الحيرة التي تظاهروا بها رياء . وتستّروا وراء الشكوك التي لم تكن الاّ غطاء واستعدادًا للانكار . فعليهم ان يدرسوا اعماله ليس من وجه قوّة المعجزات فقط بل بالحري من وجه الصلاح الخيري . وان يلاحظوا كيف يعمل كل اعماله باسم الآب الذي ارسله وليس لاجل التعظّم الذاتي . فاعماله الظاهرة برهان كونه المسيح . ليس ان اعماله تصيّره ابن الله . بل انها علامة لذلك . كما وان الاعمال الصالحة لا تصيّر الانسان من اهل الخلاص لكنها علامة لذلك بشرط انها من التي يراها فاحص القلوب صالحة

قد مضى على هذا العيد نحو شهرَين مذ اوضح لهم في مثل الراعي الصالح ان خرافه تعرفه وتسمع صوته وتتبعه . فيوضح لهم الآن انهم ليسوا من خرافه في عواطفهم القلبية . ولذلك يرفضون اجلى البراهين على كونه مسيحهم . ويرفضونه لانه لا يجاريهم على اميالهم . جاذبيته القوية للاشخاص الذين يستحقون اسم الخراف بالمعنى الروحي برهانٌ ثانٍ . هولاء بفعل الروح الالهي في تجديدهم يميلون الى الراعي الصالح . والراعي الصالح يُعرَف من ميل الخراف اليه واتباعهم اياهُ . كما يُميَّز الفولاذ المغنطيسي عن الحديد البسيط عند وضعه بين قطع الفولاذ وجذبه اياها . قال في خرافه " لن تهلك الى الابد ولا يخطفها احد من يدي . ابي الذي اعطاني اياها اعظم من الكل . ولا يقدر احد ان يخطف من يد ابي "(١) اما الذين يحسبون ذواتهم ويحسبهم الناس من خرافه ثم يرتدّون عنه فامرهم موضّح في قول الرسول "منا خرجوا . لكنهم لم يكونوا منا . لانهم

(١) من مطالعة الاصل اليوناني يظهر ان قوله انه يعطي خرافه حياة ابدية يشير الى الوقت الحاضر لا المستقبل . أي ان الحياة الابدية تبتدئ في هذه الدنيا في قلب الحياة الحاضرة والاّ فلا تكون

لو كانوا منا لبقوا معنا . لكن ليظهروا انهم ليسوا جميعًا منّا "(١). مَن تحقّق انهُ من خراف المسيح اصبح تحت كفالتهِ انهُ لا يهلك. فيستحيل على ابليس وعلى العالم خطفهُ من يد راعيهِ السماوي. وان ضلّ فهذا الراعي يردّ نفسهُ ويهديهِ "الى سبل البر من اجل اسمهِ "(٢)

اليقين المسيحي المبني على هذه الآية مع امثالها هو مرساة لنفس المؤمن . ولاسيما في ساعة السقوط . ولكن لنلاَ يتصوّر احد ان هذا اليقين يفتح الباب للبقاء في الخطيئة طمعًا بكفالة يسوع انهُ لن يهلك نذكّر مثل هذا بان الحياة الابدية التي يعطيها يسوع لخرافهِ حياة سماوية من دأبها ان تكره الاثم وتحب ارضاء الآب السماوي . لان كل من يرضى ان يبقى في اي نوع كان من الاثم (اي حسب قول داود كل من يراعي اثمًا في قلبهِ)(٣) يبرهن بذلك انهُ ليس من خرافهِ الخاصة . ومَن يطلب فقط الخلاص من عذابات الآخرة لا محل لهُ بين الخراف التي يجمعها الملك عن يمينهِ في يوم الحساب . وكل من يحب المخلص حبًا صادقًا ويقصد باستقامة ثابتة ان يتخلّص من كل ما يخالف ارادة هذا المخلص يحق لهُ ان يطمئن على رغم سقطاتهِ . وان يتمسّك بقول الرسول "ان الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحًا يكمّل الى يوم يسوع المسيح "(٤). ويقول الحكيم قبلهُ "الصدّيق يسقط سبع مرات ويقوم "(٥). لا يُعقل ان المخلص القدير يبتدئ بعمل ويفشل فيهِ اخيرًا. ليس لغير خرافهِ ان يدركوا هذا السر الذي يعمي ويبهم الخراف فقط

في هذا الخطاب تظهر جليًا امارات طبيعتهِ الالهية التي خولتهُ حق التكلّم على صورة لا تجوز لانسان هو مجرّد بشر. لانهُ سمّى المؤمنين خرافهُ . وقال انها تسمع صوتهُ ليس انها تسمع صوت الرب كما كان يقول الانبياء . وان الكلام كلامهُ (لم يقل كلام الرب) وان الخراف تتبعهُ . وانهُ هو الذي يعطيها حياة

(١) يو ٢:١٩ (٢) مز ٢٣:٣ (٣) مز ٦٦:١٨ (٤) في ١:٦
(٥) ام ٢٤:١٦

ابدية . وانها في يدِ هو . ولا احد يخطفها من يدِ . ولهُ الحق ان يقول انها لن تهلك ابدًا . قال اولاً انها لا تُخطَف من يدِ . ثم انها لا تُخطَف من يد ابيهِ[1] . فلئلاَّ يُظنُّ ان هذَين القولَين متنافيان ختم خطابهُ بالقول "انا والآب واحد" . وفي هذه العبارة اعلن التوحيد والثنية في الله في وقت واحد

سقط هذا الخنام الخطير على الرؤساء السامعين كصاعقة هيَّجتهم حتى لم يعد لهم الاَّ الاختيار بين امرين . اما ان يعبدوهُ كالمسيح ابن الله الوحيد . او ان يرجموهُ كمجدِّف حسب نصّ ناموسهم . "فتناولوا حجارة ليرجموهُ" . لكنهُ قابل هذه الحركة بالبسالة قائلاً "اعمالاً كثيرة حسنة اريتكم من عند ابي بسبب اي عمل منها ترجمونني ؟" اجابوهُ ان تجديفهُ هو الموجب لرجمهِ . "قالوا انك وانت انسان تجعل نفسك الهًا" . فاجابهم "الذي قدَّسهُ الآب وارسلهُ الى العالم أتقولون لهُ انك تجدِّف لاني قلت اني ابن الله ؟" لا يقول نبي عن نفسهِ ان الآب قدَّسهُ وارسلهُ الى العالم . ولما نفى يسوع عن نفسهِ التجديف في قولهِ انهُ ابن الله عرفنا صدق هذا القول . والاَّ فكان ينكر انهُ قال ما يُحسب تجديفًا في فم مجرَّد بشر . فلما حاول اليهود ثانيةً مسكهُ "خرج من ايديهم" وذهب الى المحل الذي عمَّدَهُ فيهِ يوحنا المعمدان . ونجح هناك في تبشيرهِ اذ آمن بهِ كثيرون

وفي احد الاوقات لما فرغ من الصلاة سألهُ احد تلاميذهِ ان يعلّمهم الصلاة كما فعل المعمدان[2] . فاجابهُ يسوع بتكرار الصلاة الربانية مختلفة قليلاً عن صورتها في وعظهِ على الجبل[3] . واردف هذه الصورة بمثَل الصديق الذي

---

(١) تمسك المسيحيون الاولون بشدة بوظيفة يسوع الرعائية ففي السراديب تحت مدينة رومية التي حفرها المسيحيون وسكنوها إبان الاضطهادات المخيفة التي أثارها خصومهم ليبيدوهم وُجدت النقوش التي كانوا يرسمونها على الحجارة اظهارًا لاركان ايمانهم . فالرسم الذي كثر عندهم كان رسم يسوع كراعٍ بيدهِ عصًا يحمل على منكبيهِ نعجة (٢) لعل السائل أحد الذين كانوا قبلاً تلاميذ المعمدان (٣) انظر ف ٢٤

يأتي ليلاً ليقترض من صديقهِ خبزًا ولا ينجح اولاً. لكنهُ ينجح اخيرًا بواسطة لجاجتهِ . وبنى على هذا المثل نصيحتهُ الشهيرة "إسألوا تُعطوا اطلبوا تجدوا . إقرعوا يُفتح لكم " .اي اولاً سؤال بسيط. وان لم يكفِ فاقوى منهُ اي طلب. وان فشل الطلب فالقرع . فما نعطاهُ فورًا هو خير . وما نجدهُ بعد الطلب هو خيراعظم. وما ننالهُ بعد القرع هو كمال الخير

ثم اوضح علاقة المؤمنين البنوية مع الله . فهذه تكفل لهم نيل الخير منهُ . اذ يستحيل ان يمسكهُ عن الذين يحبهم كاولادهِ . طالما الأب الذي هو بشر ساقط لا يخدع ولدهُ ولا يتأخر عنهُ فكيف يمكن ان الآب السماوي الكامل يخدع او يتأخر . ولاسيما ان طلب منهُ اولادهُ عطية الروح القدس اثمن عطاياهُ ؟

وبعد هذا اخرج شيطانًا اخرس [1] . فتكلم الاخرس وتعجب الجموع . لكن بعضهم كرّروا تهمتهم السابقة انهُ حليف رئيس الشياطين و يستمدُّ هذه القوة منهُ . فاقتضى ان يبيّن لهم انهُ لا يُحتمل ان يُقاوم الشيطان ذاتهُ لئلاَّ تخرب مملكتهُ . وقدّم لهم مثلاً شبّه فيهِ الشيطان المتملك في الانسان برجل قوي مطمئن انهُ لا يمكن ان يؤخذ منهُ ما هو قابض عليهِ. ثم شبّه ذاتهُ برجل اقوى منهُ الذي يغلبهُ وينزع سلاحهُ الكامل الذي اتكل عليهِ ويوزّع غنائمهُ . وجدّد اعلان الحقيقة انهُ في الدين لا تجوز درجة متوسطة. ولا يقدر الانسان ان يلزم الحياد في الحرب بين الحق والبطل بين جيوش يسوع وجيوش ابليس. لذلك "كل من ليس معي فهو عليَّ" [2] . ثم كرّر قولهُ السابق عن شيطان يعود الى الحلول في انسان بعد خروجهِ منهُ

بناء على ما سبق ظهر تأثير تعليمهِ في احترام الجمع . لان امرأة رفعت صوتها مطوّبة الام التي ولدت ابنًا نظيرهُ . فجاء هذا التطويب طبقًا لنبوة

---

(١) أنظر الشرح في ف ٢٧ (٢) انظر مت ١٢: ٣٠ والشرح في ف ٢٢

أمهِ قبل ولادتهِ لما قالت "هوذا منذ الآن جميع الاجيال تطوبني" (١) ففتحت هذه المرأة بابًا لجواب يسوع الجوهري الذي بين فيهِ ان الطوبى الحقيقية لا تُبنى على النسب بل على الطاعة لله. ولا على الظروف الخارجية بل على الصفات الداخلية

وبعد هذا كثر الازدحام حولهُ وزادت لجاجة الذين كان جلُّ رغبتهم في ان يريهم آيات جديدة مدهشة. فمع رفضهِ طلبهم وبخَّهم واصفًا اياهم بجيل شرير يشبه اهل نينوى المدينة الوثنية الاشورية. وشبَّه ذاتهُ بيونان النبي. الاَّ انهُ بيَّن انهُ اعظم من يونان. ولذلك فهو اولى بان يُصغى الى كلامهِ. فيكون الذين خاطبهم شرًّا من اهل نينوى. لان هولاء تابوا بمناداة من هو اصغر ممَّن يكلمهم الآن. ولان سامعيهِ لم يؤمنوا بكلامهِ ستكون حالتهم في الدين اصعب من حالة اولئك الوثنيين

ثم قابل بين سامعيهِ وهم الشعب المختار وبين ملكة سبا الوثنية التي اتت من التيمن بهدايا ثمينة تاركةً وطنها وعرشها لتزور الملك الحكيم سليمان وتصغي الى تعاليمهِ. فبعملها هذا تدين في يوم الحساب هولاء اليهود الذين لم ينتبهوا الى تعاليمهِ وهو اعظم من سليمان وبالاولى ان يُصغى الى كلام حكمتهِ. ثم صرَّح بان نور الصلاح لا يخفى اذ القصد منهُ انارة الآخرين. ولكن الذي يعرف ان يعمل صلاحًا ولا يعمل فكأنهُ يغلق باب الصلاح في وجهِ الذين لا يعرفون. ولا حقَّ لهُ ان يدين هولاء الجهلاء على عدم صلاحهم ما دام هو ليس صالحًا

في اثناء خطابهِ هذا تقدم اليهِ فريسيٌّ ودعاهُ ليتغدَّى عندهُ. ومن توبيخ يسوع الشديد لجماعة مضيفهِ نحكم ان قصدهُ كان خبيثًا لا بسيطًا وعدائيًّا لاحبيًّا (٢). فاستاء هذا الفريسي لما رأى ان يسوع يهمل الغسلات الطقسية قبل الاكل فقرأ افكارهُ وذكَّرهُ وذكَّر الحضور ان الفريسيين يهتمون بالنقاوة

(١) لو ١١: ٤٨ (٢) قال لهُ يسوع باطنكم مملوء اختطافًا وخبثًا

الخارجية تاركين النقاوة الداخلية جانباً وانهم لذلك "اغبياء". فهو يريد ان يهديهم الى الحكمة السديدة التي تقدّم الداخلي على الخارجي. يريد ان يقودهم الى ما هو جوهري في الدين ليتركوا الاستناد على العَرَضي. طعن بسيف فمِ الحاد تطرُّفهم في التمسك بالاعشار المختصة بالهيكل بينما هم يهملون الجوهريات نظير الحق ومحبة الله. دانهم ايضاً على طلبهم الفخفخة والمجد الجهاري من الناس. وذكّرهم ان الذين يكرمونهم يجهلون الشر الذي في قلوبهم كما قد يجهل المسافر القبور المخفيّة التي يدوسها في سفره. فكانت دينونتهُ هذه ليعلّمهم ان الاكرام الحقيقي يتبع الاستحقاق. فنطق عليهم بالويل لان الذي حالتهُ حالة الويل وهو لايدري يحتاج الى محب يريد ويلهُ لعلّهُ يتخلص من اسبابه

شمل الكتبة ايضاً مع الفريسيين في دينونته. فاعترضهُ ناموسي (كاتب) باحترام ظاهريّ قائلاً "يا معلم حين تقول هذا تشتمنا نحن ايضاً". لان الناموسيين بتفاسيرهم واضافاتهم على الناموس ارغموا الشعب ان يحفظوا بكل دقّة فرائض طقسية ثقيلة جداً يستعفون هم من حملها. مع انهُ كان يجب عليهم ان يحملوا من هذا النير اكثر مما يحمّلوا الشعب. ونبّههم على اهتمامهم باكرام الناس اياهم بدلاً من الاجتهاد لكي يستحقوا وينالوا الاكرام الالهي الافضل

كان امامهم وهو يتكلّم وادي قدرون مكان قبور الانبياء المبيّضة والمزيّنة في هذا العيد. فاشار اليها ووبّخهم على اهتمامهم بهذه التذكارات لانبياء قتلهم اجدادهم. وها هم يسلكون سلوك اجدادهم القتلة. ويرفضون تعاليم هؤلاء الانبياء الذين لو ظهروا في زمان سامعيهِ وتكلّموا ضدّ شرورهم لعاملوهم كما عاملهم اجدادهم. واظهر لهم ان ارتباط الاجيال بعضها ببعض يجعلهم شركاء في المسؤولية عن قتل جميع الذين قُتلوا في سبيل الله اضطهاداً. فلما كانت المجازاة الالهية تتبع الافكار مثل الاعمال سينالون المجازاة التي كانوا يستحقونها لو ظهر بينهم الانبياء وتيسّر لهم ان يقتلوهم. وفوق ذلك يؤخذ كلامهُ كنبوّة عمّا يريدون ان ينعلوهُ به الآن لو سنحت لهم الفرصة. وما سينعلونهُ بهِ لا محالة في وقت

قريب متى انتت ساعتهُ . ونبّههم ايضاً لانهم لم يستفيدوا من علومهم الدينية كما يجب . ولانهم اضلّوا البسطاء واغلقوا في وجههم باب المعرفة في الامور الالهية وردّوهم عن طريق الخلاص

كانت نتيجة هذه الوليمة وكلام يسوع قبلها وبعدها حنق جديد وشديد عليهِ من الكتبة والفريسيين الذين توعّدوهُ وصادروهُ وراقبوا حركاتهِ لكي يجدوا ممسكاً يبنون عليهِ شكايةً تسلطهم عليهِ لاذيتهِ . وصاروا يبذلون الجهد الجهيد في الانتقام منهُ لكي يزيحوهُ من طريقهم محافظةً على كرامتهم امام الشعب وعلى منافعهم الذاتية

قد تعوّدنا على حكمة يسوع ولطفهِ ايضاً . فما هذا الكلام الذي زاد نفور اليهود منهُ وحنقهم عليهِ ؟ قال الحكيم ان "جروح المحب امينة"[1] . ومرض هولاء المدّعين المتهجرفين لا تؤثّر فيهِ المليّنات كالكلام اللطيف ونحوهِ . فلا تصلحهم ولا تصلح لهم الّا العلاجات القاسية . وليس ذاكَ فقط بل ان يسوع مضطرٌ ان يحرّر تابعيهِ من نير الرؤساء الثقيل ويزيل عن اعين العموم برقع الجهل الذي جعلهم يُستعبدون لهولاء المرائين الظالمين . يريد ان يعلّم العموم ان لا ينقادوا بواسطتهم الى الضلال والهلاك . وهذه المقاصد السامية لا تتم الّا بمناومة الرؤساء بعنف . لكن لابدّ انهُ لما كان يستعمل العنف في كلامهِ كان يظهر في هيئتهِ ولهجتهِ ما كان يحقّق لسامعيهِ انهُ مسوق الى ذاك بحبٍّ شديد وبالغيرة على صالحهم الابدي

(١) ام ٢٧ : ٦

الفصل السادس والثلاثون

(لو ١٢: ١ - ١٤: ٣٥)

(المرصع) ف ٣٠ و٣١ و٣٢ (الزمان) ك٢ السنة ٣٠ م.
(المكان) بيرية

التحذير من روح الفريسيين. شر الرياء. مثل الغني الغبي. عناية الله تنفي الهم. الاستعداد والسهر. الامانة والخيانة في الوكيل. ذبح الجليليين في الهيكل. شفاء المخنية في السبت. الباب الضيق. التحذير من هيرودس. ابراؤهُ المستسقي. الاتضاع والارتفاع. الاحسان. العشاء العظيم والاعذار. تقدير الصعوبات

يلذّ ليسوع الآن الانتقال من مخاطبة مبغضيهِ الى مخاطبة محبيهِ قبلما يزول من افكارهم تأثير توبيخاتهِ لاولئك. وتأجيل كلامهِ للجماهير التي وصفها البشير "بالربوات حتى كان بعضهم يدوس بعضاً". سمّى تلاميذهُ احباءهُ وحذّرهم من آفة الدين الكبرى المنتشرة كثيراً التي سمّاها "خمير الفريسيين الذي هو الرياء". لان الرياء كان دأبهم الخصوصي وشرّ مزاياهم. موازين الله ليست كموازين البشر. لان الناس لا يستخفّون فقط بالرياء بل كثيراً ما يتباهون بهِ. ويحتقرون الذي بواطنهُ لاتخالف ظواهرهُ ناسبين اليهِ بساطة تحطّ في مقامهِ. ويجلّون الذي لا يطّلع احد على افكارهِ الحقيقية. بل ينفّذ مقاصدهُ في الناس بواسطة اخفائها عنهم

ففتح يسوع هذا المبدأ. واظهر جهالة المتمسكين بهِ قائلاً "ان ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفيّ لن يُعرَف". وكانت خطتهُ الضرب ليس على شرور

الارديا، وعلى ما يقبّحهُ الناس عامة . لانهُ يوجد مَن يفعل ذلك . بل على الامور الغير المكروهة عند عموم البشر مما يكرههُ الله واتقياؤهُ . فالرياء في الدين يسوق البعض الى التظـــاهر بما يخالف افكارهم وشعورهم الداخلي . فيتظاهرون بغير مذهبهم الحقيقي لاجل خيرٍ زمني . ويسوق غيرهم الى التمنع عن الاعتراف بمعتقدهم الحقيقي والانضمام ظاهرًا الى جماعتهِ لئلا يخسروا منافع دنيوية . فهؤلاء ايضًا مراؤون كالاوّلين . لان التظاهر بغير الواقع هو الرياء بعينهِ

ولما رأى يسوع ان في الاعادة افادة كرّر لهم بعض وصاياهُ السابقة مع بعض التغيير في قوالبها [1] . منها نهيهُ عن الخوف من الناس ولو مهما اضطهدوهم . لان اذيتهم تتناول الجسد فقط وهو العرَض . اما الخوف من الله فيمحي مع الجسد النفس التي هي الجوهر . فالذي يغيظ الله لارضاء الناس يجني على نفسهِ جناية لا مزيد عليها . ومنها ايضًا تاكيدهُ عناية الله بكل فردٍ منهم واظهارهُ وجوب الاعتراف العلني بهِ . والويل للذين ينكرونهُ . وتشديدهُ باحترام الروح القدس احترامًا فائقًا

وفي اثناء ذلك أتى اليهِ رجل وطلب منهُ ان يستعمل سطوتهُ الادبية في اقناع اخيهِ ان يقاسمهُ الميراث . فرفض التداخل في الامر . لانهُ يحصر مساعدتهُ الزمنيّة في الحاجات الضرورية التي ليس لها مرجع آخر . ولان خدمتهُ دينية خالية من كل صبغة سياسية مذهبية . فلا يرضى ان ينظر الناس اليهِ كرئيس مذهب يقضي في امور تابعيهِ الزمنية . وبمناسبة هذا الحادث قبّح خطيئة اخرى اعمّ من الرياء وغير مستقبحة عند العموم . وهي خطيئة الطمع اي تعلّق القلب بالمال

ولكي يوضح ما هو الطمع الذي ينهى عنهُ قدّم لهم مثلاً عن غني توفرت خيراتهُ الزمنية . لكنهُ لم يهتمّ ان يكون غنيًا لله . بل رضي ان يعيش غنيًا عنهُ

(١) انظر شرح تعليمانو لرسلو في ف ٢٥

تعالى . لما اخصبت كورنة كان يجب ان يشكر الله و يعترف بفضله . لكنه لم يفعل . وكان عليه ان يعرف ان امواله ليست له بل لربه . وانه موكّل عليها ليستخدمها في ما يهديه الله اليه من الاعمال المفيدة له ولغيره . لكنه لم يفعل . فاي حق له ان يعتني الله به ما دام لا يبالي بالله ولا بالناس بل بذاته فقط ؟ فكان نصيبه ان نقصت حياته بقدر ما زادت حاصلاته . لانه سمع صوت الرب قائلاً " يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك . فهذه التي اعددتها لمن تكون ". ان الحق سبحانه لا يحصر خيراته الزمنية في الذين يتّقونه . بل يمنّ بشمسه وهوائه ومائه على الظالمين كما على الابرار[1] . لكي لا يفسد الدين بسبب استخدامه للمطامع الزمنية

فيتضح من هذا المثل ان الطمع الذي يشير اليه هذا المعلم الصالح ويحرّمه ليس الذي يتعدّى على حقوق الآخرين كما في السرقة والغدر والظلم والخداع وما شاكل ذلك مما يتنزّه عنه جميع الادباء وتنهى عنه جميع الشرائع المدنية . بل الطمع المباح في الشريعة والاصطلاح . وبما ان حياة الانسان ليست في مقتنياته يكون هذا الطمع خطأً وجهالةً

وبعد ان كرّر بيان اعتناء الله بحاجياتهم الزمنية المؤيّد باعتنائه بالنبات والحيوان . وبعد ان طمأنهم بانه على رغم ضعفهم الكلي قد سرّ الآب السماوي ان يعطيهم الملكوت حثّهم على العطاء مبيناً ان ما يبذله الانسان في عمل الخير هو الذي يبقى له . وما يذخره لنفسه فهذا يخسره . وان بذل المال في سبيل البر يقرّب القلب الى الله . لانه "حيث يكون الكنز هناك يكون القلب ايضاً"

ثم اشار الى حقيقة مجيئه ثانيةً وفجأةً مما يوجب على كل عبيده السهر والاستعداد لملاقاته بفرح . فالذين يراهم سيدهم عند مجيئه مستعدين يكافئهم ويتكئهم ويتقدّم ويخدمهم . ويكونون حقّاً مطوّبين . ولما سأله بطرس تطفلاً

(١) مت ٥:٤٥

"ألنا نقول هذا المثل أم للجميع ايضاً؟" قدّم لهم مثلاً آخر أبان فيهِ نصيب عديمي الامانة في ما وكّلهم الله عليهِ . هؤلاء "يقطعهم سيدهم ويجعل نصيبهم مع الخائنين". فالذي يعطيهِ الله كثيراً ان كان من مواهب او معارف او مقتنيات يُطالَب بالكثير. والذي عندهُ قليل يطالَب بالقليل. لكنهُ لا يُعفى من المطالبة . في غير هذا الوقت سيّج يسوع هذا القول لئلا يُظَنّ ان الذي يعرف قليلاً هو الاسعد لكونهِ يطالَب قليلاً. وعلّم ان الانسان لا يطالَب فقط بما عندهُ او أُعطيهُ بل يطالَب ايضاً بما كان يمكنهُ ان يحصّلهُ لو سعى جدّيًا . فيجازى الانسان ليس فقط على مخالفة ما يعرفهُ من الواجب بل ايضاً على ما يهملهُ من الوسائط لزيادة المعرفة

أظهر ايضاً في خطابهِ انهُ أتى الى العالم بتعاليم هي كنار تحرق اشواك الاباطيل والمتمسكين بها حسب قول المعمدان انهُ "ينقي بيدرهُ فيحرق التبن (اي الباطل) بنارٍ لا تُطفأ"(١). لانهُ متى "جاء النور الى العالم واحبّ الناس الظلمة اكثر من النور" لا بد من الخصام بين انصار النور وانصار الظلام . لان من طبيعة انصار الظلام الخصام . فحيثما يكون الكل ظلاماً او الكل نوراً لا خصام . اما متى أقبل النور على الظلام يقوم هذا عليهِ فيحدث الانقسام . فالانقسام اذاً نتيجة حتمية لمجيء المسيح لبثّ تعاليمهِ

ختم يسوع هذا الخطاب البليغ بكلام للجموع موضحاً الخطر في عدم انتباههم الى معنى مجيئهِ . فبما انهم حكماء في ما يختص بامورهم الزمنية ويعرفون كيف يلاحظون اقتراب المطر ليتدبروا في اشغالهم الجسدية لماذا لا يستخدمون هذا الحذق والتمييز في مصالح النفس الثمينة؟ لانهُ سوف يأتيهم زمان يصرخون ولا مجيب نظير كهنة البعل على جبل الكرمل(٢) . ويستحيل حينئذٍ ان يخلصوا الاّ على الفرض المحال انهم يكفّرون تماماً عن جميع خطاياهم

(١) لو ٣:١٧ (٢) ١ مل ١٨:٢٩

ضد الله والناس . فلماذا لا يتوبون الآن في اليوم المقبول ويتصالحون مع الديّان ؟ (١)

قضى القانون والعادة في بلاد اليهود انهُ متى لجأ مجرمٌ الى الهيكل وتمسّك بقرون المذبح يتوقّف كل من يتعقّبهُ احترامًا للمذبح ويتركهُ الى وقتٍ آخر . والحكومة الرومانية السائدة وقتئذٍ احترمت غالبًا هذه العادة . ولكن حدث ان الوالي بيلاطس البنطي خالف هذا القانون على كيفية فظيعة . فهاجت الخواطر الدينية وأتى البعض يخبرون يسوع ليسمعوا ماذا يقول . قالوا ان هذا الوالي القاسي الجبار امر جنودهُ ان يتعقبوا اناسًا من الجليل قد اغاظوهُ . وان يدخلوا وراءهم ان اقتضى الحال الى الهيكل حيث يحرّم الدخول على كل من هو ليس يهوديًا . فبينما كان هؤلاء الجليليون يقدمون في الهيكل ذبائحهم دخل الجنود الرومانيون الوثنيون البيت المقدّس ونجسوهُ بمجرد دخولهم . ولما تمسّك الجليليون بقرون المذبح احتماء ذبحوهم امامهُ . فامتزج دمهم بدم ذبائحهم (٢)

فالمثالة التي قدّمها يسوع لرسلهِ لما سألوهُ عن سبب عمى الاكمه يقدّمها الآن لنا في هذا الخبر المفجع مع غيرهم من سامعيهِ (٣) . وهي ان الرزايا قد لا تدل على خطايا خصوصية عوقب مرتكبوها بهذه الرزايا . ووضّح ايضًا ان الذين لا يأتيهم العقاب سريعًا على الخطايا الغير المغفورة لا يعفون منهُ الاّ وقتيًا . فان كثيرين من الاشرار الناسين الله موفّقون في زمنياتهم . وكثيرون من الافاضل

---

(١) اراد البعض ان يفسروا عبارة "لا تخرج من السجن حتى توفي الفلس الاخير" كدليل ان بعد الموت يوجد باب لخلاص الغير التائبين في هذه الحياة . لكن لا يخفى ان الخاطئ بعد موته كما قبلهُ لا يمكن ان يوفي الفلس الاخير . فاي عاقل يستند على اساس واهن كهذا لعقيدة جوهرية تتوقف على صحتها السعادة او الشقاوة الابدية (٢) لعل معاملة بيلاطس هؤلاء وهم من رعايا هيرودس كانت علة العداوة بين هذين الحاكمين المشار اليها في لو ٢٣: ١٢ (٣) ف ٢٤

الانقياء يقاسون أقصى دركات الشقاء الزمني. لانهُ لا يشترط في إثابة الصلاح ومعاقبة الطلاح ان يكونا في هذه الدنيا . قد يكون للمولى عزّ وجل مقاصد حكيمة في ترك الخاطئ ناجحًا في الوقت الحاضر كما فعل بهيرودس الكبير. وفي وضع البار في أتون النار كما اصاب الشبان الثلاثة في بابل. والموت على صورة مرعبة فوق العادة لا يكون دائمًا علامة الغضب الالهي[1]. اذًا لا تدل هذه المصيبة الجسيمة على تفوّق هؤلاء القتلى في الآثام

فاذا كان هولاء المخبرون من اليهودية وخامرهم بعض الشماتة على مصيبة هولاء الجليليين المحتقرين عندهم نفهم كيف وبخ يسوع خطأهم بتذكيرهم بمصيبة اعظم وقعت على اناس منهم ايضًا في جوار الهيكل المقدس . الذين سقط البرج عليهم في سلوام فأهلك منهم ثمانية عشر شخصًا. فاي مسوّغ للشماتة طالما كانت المصيبة الاولى في الجليليين فعل حاكم قاسٍ لا يعرف الله . اما الثانية ففي اهل اورشليم ذاتها وتُعدّ فعلاً الهيًا لا دخل فيها ليد بشرية؟ فالحكم واحد سواء كانت المصيبة من فعل بشري ام لم تكن . فيسوع قصد ان يزيل الوهم السائد في امر المصائب . وان ينذر سامعيهِ بشدّةٍ بقولهِ "ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون"[2]

لان ليس لسامعيهِ نجاة من الهلاك الذي يترصدهم كامنًا في مكنونات المستقبل القريب ما لم يتوبوا عن رفضهم اياهُ كمسيحهم الحقيقي . وبما ان هذا الانذار لم يثمر فيهم تُركوا ليتمسكوا فيما بعد بكل من قام وقال "أنا المسيح". ولذلك كانوا يثيرون حينًا بعد آخر فتنًا سياسية وحربية ضد الحكومة الرومانية افرغت اخيرًا صبر القياصرة . فجرّدوا عليهم تلك الحملة العسكرية

---

(١) قال المفسر "الواسطة لتمييز الذين يقبلهم الله والذين يرفضهم هي الاثمار التي تظهر في حياتهم . فحقًا ليست كيفية الموت تكشف طبيعة الانسان بل حياتهُ اليومية (اتفاق البشيرين ٢٧٠) (٢) ظهر جليًا الوهم المشار اليهِ في كلام اليفاز التيماني لايوب (اي ٢٢: ٥ – ١٠)

الساحقة التي قضت نهائيًا على حياة الأُمة وعلى المدينة العظيمة والهيكل المقدس والفروض الدينية الموسوية . وعند ذلك تجدّدت المصيبتان المذكورتان في هذا الحديث على صورة مجسّمة . لان الرومان ذبحوا في الهيكل ليس بضع جليليين بل الوفًا من نخبة الأُمة . وسقطت الابراج والاسوار والجدران لا على ثمانية عشر شخصًا بل على الجماهير الغفيرة

شبّه أُمته اليهودية بشجرة تين قُضي عليها لعدم إثمارها . وأُمر بقطعها لانها تعطّل الارض . وشبّه الخالق سجانهُ بصاحب الكرم وشبّه ذاتهُ بالكرّام . فهو كالوسيط بين الله ابيهِ والناس الخطأة يستدرك الغضب الالهي الذي استحقّوهُ لعدم اتيانهم بالاثمار الصالحة ولتعطيلهم الارض بتدوتهم الشريرة بين الامم (١) . ويسترحم الصبر الالهي عليهم حتى يتمّ ما يقصدهُ لخلاصهم . يعترف بان الله صبر عليهم ثلاث سنين بينما كان هو يعلّمهم ويخدمهم بطرق متنوّعة . ولم تبقَ لهُ غير واسطة وحيدة واخيرة يقدّمها لعلهم بسببها يتوبون . وهي انهُ يقدّم ذاتهُ امام عيونهم ذبيحة إثم عنهم . فان قبلوا هذه الواسطة يسلمون . والاّ فيُقطعون . وقد تدوّنت على صفحات التاريخ بعد صعود المسيح الخائنة المحزنة لِما صوّرهُ يسوع في هذا المثل الذي تمّ بهِ كلام المعمدان عند اوّل ظهورهِ لما قال "والآن قد وُضعت الناس على اصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تُقطع وتُلقى في النار" (٢)

بعد هذا وهو في احدى القرى دخل المجمع في سبت وصار يعلّم . فوُجد بين العابدين امرأة منحنية الظهر لا تقدر ان تنتصب البتة منذ ثماني عشرة سنة . حتى لم يعُد لها أمل بصحة الجسم . لكن قواها جذبتها الى المعبد على رغم هذه العلّة . لا يظهر انها استنجدت بيسوع . بل كانت تصغي الى تعليمهِ . فدعاها ليشفيها ثم يجدّد تعليمهُ في قضية السبت وبركاتهِ . فلما تقدّمت اليهِ وضع يديهِ

(١) مت ٢٣: ١٣ "لانكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس . فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون" (٢) مت ٣: ١٠

عليها كطبيب بقوّم ظهرها المنحني . وقال " يا امرأة انكِ محلولة من ضعفك ". فانتصبت حالاً صحيحة من دائها . واظهرت ايمانها وفعل النعمة في قلبها بأنها مجّدت الله . فاغتاظ رئيس المجمع مدّعيًا بالمحافظة على وصية السبت . ومع احترامهِ الرياني ليسوع صوّب توبيخهُ نحو الجمع آمرًا اياهم ان لا يطلبوا الشفاء في السبوت ما دام لهم ستة ايام أُخرى لذلك

اما يسوع فرفع عن هذه المسكينة وعن الجموع هذا الحكم الظالم . وذكّر هذا الرئيس المرائي انهُ وكل جماعتهِ يعملون في السبوت اعمالاً للمحافظة على مواشيهم تزيد على ما عملهُ هو للمحافظة على هذه المرأة . فاذا كانوا يقودون في السبت مواشيهم الى المياه بعد ان يحلّوها من مرابطها كيف يدينون مَن يحلّ شخصاً من اولاد ابرهيم من قيود طالت بهذا المقدار بفعل الشيطان ليقودها الى مياه الصحة الجسدية ثم الى الحياة الابدية ؟ فانتعش الجمع بكلام هذا السيد الجليل " وبجميع الاعمال المجيدة الكائنة منهُ وأُخجل جميع الذين كانوا يعاندونهُ "(١) . ثم كرّر في هذا الوقت مثلَي حبة الخردل والخميرة(٢)

بعد هذا انصرف من هناك مسافرًا على مهلٍ نحو اورشليم . وكان يزور المدن والقرى في طريقهِ ويُعلّم . وبما ان معجزاتهِ السابقة كفت لتثبيت كون تعليمهِ من الله قلّ اهتمامهُ بتجديدها وانصرفت عنايتهُ بالاكثر الى التعليم . وفي اثناء ذلك سألهُ رجلٌ " أقليلون هم الذين يخلصون ؟ " فهل قصد ان يقصر سؤالهُ على اليهود بمعنى هل كثيرون من شعب اليهود يخلصون(٣) . او قصد الاشارة الى كون الذين آمنوا بيسوع قليلين وطلب الاستفادة بالنظر الى هذه القلة لا نعلم . لكن نعلم ان يسوع لم يقبل ان يدخل معهُ في البحث في ما

---

(١) لان الرئيس لم يكن وحدهُ في انتقاد هذا العمل الخيري (٢) ف ٢٢

(٣) كان هذا من مواضيع الجدال بين معلمي اليهود . اذ وُجد بينهم من قال انهُ كما رُفض شعب اسرائيل اجمالاً ومات في القفر . ولم يدخل ارض الميعاد سوى شخصين . كذلك لا يدخل كنعان السماوية من بني اسرائيل الاَّ القليلون بالنسبة الى المرفوضين

يختص بالاحكام الالهية التي ليست من المعلنات ولا مما يطلبهُ الله من الانسان او يهبهُ للانسان او ما يطلبهُ الانسان من الله . فاجابهُ "اجتهدوا ان تدخلوا من الباب الضيق" الذي لابد ان يغلق يومًا ما . فحينئذٍ لا يعود ينفع الاجتهاد ولو أقصاهُ . ولا الاحتجاج ولو اشدَّهُ . ولا الضراعة ولو أحرَّها

ثم عاد وفنَّد مرَّة اخرى الزعم الفاسد بان الذي لا يتوب في هذه الحياة يجد بابًا مفتوحًا بعدها . لانهم فاعلو ظلم لا يمكنهم الدخول الى الديار المقدسة السماوية . ولا ان يثبتوا فيها لو دخلوا . ولا تنفعهم اقوى الحجج التي يتشبثون بها طالما لم يسعوا في حياتهم الدنيا للتخلص من الاثم . وبما انهم لم يتخذوهُ راعيهم فلا يعرفهم خرافهُ . بل يضطرّ ان يقول لهم "تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم" . لانهُ قد لهم خلاصهُ فرفضوهُ . فليس هلاكهم فيما بعد بسبب كثرة خطاياهم . بل بسبب رفضهم الرحمة المقدَّمة لهم

في يوم ابعادهم عنهُ يزيد عذابهم بروُيتهم عن بعد انبياءهم المكرَّمين في المجالس السموية دون ان يستفيدوا منهم شيئًا . وروُية كثيرين داخل الملكوت السماوي من الذين كانوا يحتقرونهم في حياتهم الدنيا وينكرون عليهم الرجاء بالخلاص . اذ سيأتي هؤلاء من جهات الارض الاربع ليتكئوا في ملكوت الله بينما روَّساء الشعب واتباعهم الذين عدُّوا انفسهم وحدهم "ابناء الملكوت يُطرحون خارجًا حيث البكاء وصرير الاسنان"

لم يكد يفرغ من هذا الكلام حتى اتاهُ فريسيون ينذرونهُ بخطر عظيم يتهدَّدهُ . قالوا ان الملك هيرودس يطلب قتلهُ . ونصحوا لهُ ان ينصرف من تحت ايالتهِ . لا مسوّغ ان ننسب اليهم قصد المحافظة على حياتهِ كما اننا لا نعلم مقدار الصدق في مقالهم الذي قد يكون حيلةً لاجل ابتعادهِ عنهم . لكن لا يُنتظر من يسوع ان يخضع للتهديد . مع انهُ في حكمتهِ كان يحيد عن الخطر ما دام ساعتهُ لم تأتِ بعد . هو عالم ان هيرودس نجح في قتل المعمدان . ويعلم ايضًا ان اعظم الملوك لا يقدر ان يمسَّ من كان محفوظًا من الله

لذلك قال للذين كلّموهُ "امضوا وقولوا لهذا الثعلب (هيرودس) ها انا أُخرج شياطين واشفي اليوم وغدًا وفي اليوم الثالث أُكمّل". اي انهُ يداوم عملهُ حسب الترتيب الذي عينهُ . ويختم سفرهُ في اورشليم بعد ثلاثة ايام لكي يُقتَل فيها . وليس عن يد هيرودس كما يظنون . بل عن يد خصمهِ بيلاطس الوالي . فجاراهم على رغبتهم وانصرف عنهم . ولكن ليس بالسرعة التي يريدونها . لان لهُ وقتًا معيّنًا يصرفهُ عندهم . فلا يترك بلاد هيرودس حالاً لخوفهِ . بل حينما يريد ذلك امتثالاً لارادة ابيهِ وارادتهِ ان يسفك دمهُ ليس في ايالة هيرودس بل في العاصمة حيث سُفك دم اكثر الانبياء منذ القديم

ورد فيما تقدّم كلامٌ مرٌّ ليسوع في ادانتهِ الاشرار الظالمين من رؤساء امتهِ . لكننا لانجد كلام الاحتقار منهُ نحو احد الاّ في تسميتهِ الملك هيرودس ثعلبًا . التعليم المسيحي هو ان "يعطى ما لقيصر لقيصر". اي ان يحترَم ويُطاع الحاكم ولو كان شريرًا الاّ عند امرهِ بمخالفة الارادة الالهية . لكن ما بحقّ ليسوع لا يجوز لغيرهِ . فلا يكون قدوةً لغيرهِ في هذا الكلام . ولا نعلم كيف سَلِم يسوع آنئذٍ من انتقام هيرودس بعد هذا الجواب . لكننا نعلم انهُ تيسر لهُ الانتقام منهُ في اسبوع الآلام[1]

مع تصريح يسوع بدينونة مخيفة على اورشليم وتسميتهِ اياها "قاتلة الانبياء وراجمة المرسَلين اليها" طفح كاس حبهِ لها فرثاها سلفًا برثاء مؤثر للغاية. قال "يا اورشليم يا اورشليم كم مرّة اردتُ ان اجمع اولادكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا". فانهُ اراد خلاصهم اما هم فرفضوا . فما اعجب هذا الحنان نحو مضطهديهِ . الاّ انهُ لم يخفِ عنهم نتيجة عنادهم اذ قال "هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا". وتنبأ لهم انهُ يغيب عن ابصارهم الى يومٍ فيهِ يشتركون مع الجماهير عند دخولهِ اورشليم راكبًا[2]. فينادون امامهُ قائلين "مبارك الآتي باسم الرب"

(١) لو ١٣:٣٢ (٢) لانهم سوف يتوجهون اليها في عيد الفصح المقبل

لا بدَّ ليسوع وتلاميذهِ في اسفارهم ان يحلُّوا ضيوفًا على اصحاب الوجاهة والكرَم في المدن والقرى التي يزورونها . ولا سيما التي ليس فيها مضافات عمومية او فنادق رسمية . وشهرتهُ في الوعظ واجتراح المعجزات فتحت لهُ بيوتًا كثيرة كانت مغلقة في وجههِ لولا هذه الشهرة . فنجدهُ في احدى قرى بيريَّة يلبي دعوة رئيس فريسيّ ليأكل خبزًا عندهُ في يوم سبت . وكان هناك تحت مراقبة جماعة هذا الرئيس المدعوّين معهُ لمناولة الطعام . فعرفنا ان هذه الدعوة لم تكن عن حب واخلاص . مع ذلك فان يسوع لتواضعهِ وتسامحهِ لم يرفضها بل رأى فيها فرصة لتقديم مثالٍ حسنٍ ومثائل جوهرية

صادف في هذا البيت رجلاً مستسقيًا . فاستدرك انتقاد مراقبيهِ بسؤالهِ "هل يحلُّ الابراء في السبت؟" فتحيَّروا لانهم ان قالوا "نعم" يكونون قد فتحوا لهُ بابًا لفعل المعجزة ولا يمكنهم ثمَّ الانتقاد عليهِ بحجة السبت . فيزيد تعلُّق الشعب بهِ وبتعليمهِ . وان قالوا "كلاَّ" يحجّهم من كتبهم كما فعل سابقًا ويخجلهم . "فسكتوا" . فامسك الرجل وابرأهُ واطلقهُ . ثم بكَّت مرَّة أُخرى مناوميهِ على افكارهم السرية في انتقادهم عملهُ في السبت . ألا يعملون في السبوت اعظم من ذلك لتخليص حيواناتهم من الضيق . فهل يجوز لهم في السبت تخليص بهيمة من ماء بئرٍ تنفع فيهِ و يحرَّم عليهِ تخليص اخيهم ابن آدم من الاستسقاء

واذ لاحظ يسوع في غضون الوليمة كيف تسابق ضيوف هذا الفريسي الى المتكإ الاول على المائدة الذي هو الاشرف حسب اصطلاحهم . بنى على ذلك تعليمهُ ان "كل من يرفع نفسهُ يتضع ومن يضع نفسهُ يرتفع" . ونصح للحاضرين ان لا يُعرّض احدهم نفسهُ للخجل باختيارهِ الموضع الاوَّل . فالتعظم ذميم والتواضع باب الكرامة الحقيقية التي تحلو للشريف العاقل والاكرام الظاهري او الاجباري لا يروق الاَّ للذي لا يذوق

ثم التفت الى صاحب البيت وذكَّرهُ ان الذي يدعو للطعام امثالهُ واخصاءهُ فقط او الاغنياء من جيرانهِ يكافأُ في هذه الدنيا . لانهم فيما بعد

يدعونهُ الى موائدهم. اما الذي يريد المكافأة في قيامة الابرار فعليهِ ان يدعو ويُطعم اهل الفاقة والذل . فالذي يسخى في اي نوعٍ كان من الكرَم لاجل العِوض وزيادتهِ في الزمن الحاضر يكون عملهُ طمعًا لا كرَمًا . وهذا الاتجار بالسخاء يلاشي السخاء . ومع ان الذي يسخى أملاً بالعوض في الزمن الآتي هو اوفر شرفًا وحكمةً من الاول لكن ليس لهُ فضل حقيقي . بل الفضل للذي يسخى لمجرَّد حبهِ لربهِ ولبني جنسهِ دون نظر الى العوض لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة . والاكرام الالهي لمثل هذا مكفول

انتبه احد الضيوف الى ما قيل في الولائم فقال "طوبى لمن ياكل خبزًا في ملكوت الله" . حاسبًا ذاتهُ من هؤلاء المطوَّبين لامحالة . فشرع يسوع يزحزح اطمئنانهُ الفارغ بتقديم مَثَل اتَّخذ فيهِ الوليمة رمزًا الى الدين كما فعل اشعياء قبلهُ[1]

وشمل مع هذا الرجل كل سامعيهِ مبينًا انهم بعيدون عن حقيقة الدين لتعلُّقهم الشديد بالدنيا وشبَّههم باشخاص دُعوا الى عشاء عظيم في بيت انسان شريف فقدَّموا اعذارًا مختلفة وتأخروا عن العشاء. فلأنَّ سامعيهِ هم الاقرب ظاهرًا لصاحب الوليمة واولى بعشائهِ . انتهم الدعوة الالهية اولاً الى وليمة الدين . ولانهم ممتازون معرفةً وظروفهم تخوِّلهم التأثير الاعظم في الآخرين

لكن لانهم رفضوا دعوتهُ فانهُ يوجِّهها الى العشارين والخطأة بين الشعب المختار . وهؤلاء يشبَّهون باهل الشوارع والازقَّة في مدينة الملك . ثمَّ لان عشاءهُ يكفي لجمهور كبير يعمّ الدعوة الى الدين في الطرق والسياجات خارج المدينة اي الشعوب الامية غير اليهود . وهؤلاء مع كونهم محتقرين

(١) اش ٢٥ : ٦ "لان الدين الحق يغذي النفوس ويلذّ لها . ولان الاله يقدمهُ للناس على نفقتهِ تعالى مجانًا . ولانهُ يترك للمدعوين تمام الحرية بقبول الدعوة او رفضها . ولانهُ جامع عظيم بين الذين يلبون الدعوة ويشتركون فيهِ

ومرفوضين عند سامعيهِ يميلون اكثر من الرؤساء الى قبول الدعوة الالهية الى التوبة والايمان

شبّه هؤلاء الرؤساء بالذي يقول "اشتريتُ حقلاً وانا مضطر أن اخرج وانظرهُ. اسألك ان تعفيني". ثمَّ بآخر يقول "اشتريتُ خمسة ازواج بقر وانا ماضٍ لامتحنها. اسألك ان تعفيني". وبثالث يقول "اني تزوجتُ بامرأةٍ فلذلك لا اقدر ان أجيء". (ان اعفيتني اولم تعفني). فالاعتذار الباطل في الدين هو اصطلاح قديم ومنتشر كثيرًا ومهلك. شخّص يسوع غيظ الباري سبحانهُ من الاعذار على انواعها. لانها تدل على الاستخفاف بدعوتهِ الالهية لوليمة الخلاص[1]. وعلى غباوتهم الفائقة لوضعهم ارباح الدنيا موضع ارباح السماء. وعلى ظنهم ان اعذارهم تفيدهم. وان الباب يبقى منتوحًا لهم ان أتوا متأخرين

ثم انتقل من هناك مع جمعٍ غفيرٍ ملتفٍّ حولهُ. وفي سيرهِ التفت اليهم وحقق لهم صعوبة التتلمذ لهُ مكرّرًا الاشارة الى الباب الضيق الذي نصح لهم ان يجتهدوا في الدخول منهُ. وانذرهم بمجيء وقت فيهِ تتغير الظروف فيقوم الناس على تابعيهِ حتى أهلهم الاقربون. ويضطرّون ان يختاروا بين الاهل وبينهُ. وبين الحياة بعيدين عنهُ وبين الموت لاجلهِ. حينئذٍ لا يستطيعون ان يتبعوهُ ما لم يتركوا الاهل لدرجة تُحسب قدام الناس كالبغضة. اي ان محبتهم لهُ تقوى حتى تصير محبتهم لاهلهم كانها بغضة بالنسبة الى هذه المحبة الجديدة

يخطئُ خطأً ظاهرًا كل من يتخذ هذا الكلام الاخير حرفيًا. والمفسّر المخلص الطالب الوقوف على الحقيقة يضع قول يسوع "احبّوا اعداءكم" بجانب قولهِ الآن "ان كان احد يأتي اليَّ ولا يبغض اباهُ وامهُ وامرأتهُ واولادهُ واخوتهُ

(١) يُذكَر كثيرًا في آيات غير هذه غضب المولى سبحانهُ. ويُقصد بهذا القول اظهار الله استياءهُ كما يُظهر ذلك صاحب الغضب من البشر. لكننا نحذر من ان نجعل عواطف البشر قياسًا حقيقيًا للعواطف الالهية التي لا يمكن ان ندركها

واخواتهِ حتى نفسهُ ايضاً فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً". فالامر واضح ان الكلام في وجوب بغض الاهل وبغض النفس كلام مجازي من باب المبالغة لزيادة الايضاح والتأثير

وحذَّر سامعيهِ ايضاً من اتباعه بآمال فارغة. ودون تقدير الشدائد والعقبات في هذا السبيل. فانهُ لا يتملَّق احداً ليكسب تلاميذ. ولا يهمُّهُ العدد كما يهمُّهُ النوع. فيخرِّبل تابعيهِ ليحصل على مطلوبهِ ولو قلَّ العدد. وأيَّد هذا التحذير بمَثَل انسان يقصد بناء برج. فالحكمة تقضي ان يحقق اولاً وجود المال الكافي بين يديهِ لاتمام العمل والاَّ فلا يباشرهُ. ثم بمَثَل ملك يضطر لمقاتلة ملك آخر هاجم على بلادهِ. فلا بد من الفحص اولاً ليتحقق هل تقدر جنودهُ ان تظفر بضعفي عددها بالجنود المعادية. والاَّ فيسعى في استرضاء خصمهِ "ويسأل ما هو للصلح"

وكما امر ان "يبغض" تابعوهُ اهلهم ونفسهم امرهم ايضاً ان يتركوا كل اموالهم. والتفسير السابق يتناول هذا ايضاً. لان ما امرهم بهِ من واجب العطاء ينفي التفسير الحرفي. اذ لا يمكن ان الذي يترك كل ما لهُ يمارس العطاء المطلوب. فالمقصود في هذا الكلام ترك التعلُّق الشديد بالمال. وتكريسهُ كلهُ للرب. وتركه كلهُ متى كان حفظهُ يؤدي الى ترك المسيح

ثم ختم هذا الخطاب ببيان اهمية الجوهر الديني وعدم الاكتفاء بالاسم. واستخدم للمرة الثالثة التشبيه بالملح. فالتلميذ الذي ليست فيهِ الصفات المسيحية هو كالملح الذي لا ملوحة فيهِ. "فلا يصلح لارض ولا لمزبلة. فيطرحونهُ خارجاً ليداس من الناس. من لهُ اذنان للسمع فليسمع"

الفصل السابع والثلاثون

(لو ١٥: ١ – ٣٢)

(المرصع) ف ٣٣ (الزمان) ك ٢ السنة ٣٠ م

(المكان) بيريّة

معاملة يسوع الفريسيين والعشارين . الفرق بين الفرقتين . التفاف العشارين حوله . تذمر الفريسيين . مثل الخروف الضالّ . مثل الدرهم المفقود . مثل الابن الضالّ . كيفية رجوعه الى بيت ابيه . الغفران وثمرته . الابن الاكبر وفعل الحسد فيه.

الفريسيون والعشارون ايضاً

سعى يسوع مجدّ لبزيل الفواصل بين اقسام البشر . وكل تلميذ حقيقي له يسعى سعيه . وابى ان يمتاز الى فئة دون اخرى من الفئات التي رآها في البلاد . فامتزج مع كلٍّ منها بحسب الاقتضاء ليجمع بينها ما امكن . فخالف في خطّته هذه رجال الدين والادب والعلم في عصرهِ . ولاسيما رجال محيطهِ اليهودي. جاء كيهودي الى خاصتهِ خراف بيت اسرائيل الضالّة فلم تقبلهُ . ووجد فاصلاً كلّيًا بل فواصل بين طرفَي الشعب اي الفريسيين وهم الرأس والعشّارين وهم الندمان

اما الفريسيون فكان تجنّبهم العشارين امرًا طبيعيًّا لا بدّ منهُ بالنظر الى ما كانوا عليهِ . اذ ليس في قلوبهم المحبة لله لتولّد المحبة للناس حتى شرّهم . ولم يخطر لهم ان يهتمّوا بخلاص العشارين والخطأة واصلاحهم . مع انهم مطالبون بهم كونهم رعاتهم ومعلميهم القانونيين . ولو افتكروا ان يسعوا لهذا الغرَض

ليس لديهم الوسائط الروحية الملائمة لهذا العمل الخطير . وفوق ذلك ليس فيهم من جوهر الدين ما يكفي لحمايتهم من عدوى فساد الاشرار لو خالطوهم

فالفواصل بين الفريسيين والعشّارين كوّنت هوّة عميقة تُعزى بالاكثر الى عمل الاوّلين . لانهم حرّموا على انفسهم وعلى جماعاتهم الاختلاط بهم حتى ولو كان بقصد حثّهم على درس الناموس. وقالوا ان الذي يقترب من الاشرار ولو بعد توبتهم ليس من الحكماء. ومنعوا التزوّج منهم . وان اضاع احدهم شيئاً لا يجب هديةً اليهِ

من المقرّر ان معاملة الاحتقار تولّد الفساد في الفريقَين وبما انها تُميت العواطف الشريفة في المحقَّر صار العشّارون يحقّرون انفسهم من الوجهتين الدينية والادبية . لان حرمانهم الحقوق الدينية والحكم بان باب الخلاص والسماء مغلق في وجوههم جعلاهم يستسلمون اكثر فاكثر للدناءة والفساد . ولذلك امسوا يمقتون مقت الفريسيين واحتقارهم. فاصبح الفريقان على طرفَي نقيض . ويسوع بامتزاجهِ مع الفرقتين اراد ان يزيل الفاصل بينهما بضمهما اليهِ بالايمان

الوالد او الطبيب المحب يعالج اولاً اصحاب العلل الاوفر شدةً وخطراً . ولهذا بدأ يسوع كطبيب روحاني محب بالفريسيين والروساء. لان اكثرهم شرًّا اعظم في عينيهِ من شرّ العشارين . ونورهم اكثر . و بالنتيجة تكون دينونتهم ايضًا اشدّ . ويزاد على ذلك ان مقامهم ومواهبهم تجعلهم مفيدين اكثر من العشّارين ان أُصلحوا . لكنهم لم يقبلوا علاجهُ . لانهم تعوّدوا ان يغطّوا عيوبهم الداخلية امام الشعب بتديُّنهم الظاهريّ . ولادّعائهم انهم اصحّاء نقموا على الطبيب الذي كان يكشف حقيقة مرضهم الروحي المميت ورفضوا بتاتًا الطبيب وعلاجهُ . ولم يقبلوا منهُ الاّ معجزاتهِ . حتى انهم اعترضوا على بعضها بحجج اما خفيفة او كثيرة

لذلك حوّل التفاتهُ الى العشارين والخطأة الذين لم يتستّروا بالرياء بل كانت عيوبهم مكشوفة ومعترَف بها[1]. فهان عليهم ان يترحّبوا بهذا الطبيب الروحاني ويلجأوا اليهِ. لانهُ بعد ان يئسوا من معاملة رؤسائهم سمعوا ورأوا عكسها من هذا المعلم الناصري والنبي الجديد

رأوا في هذا المقتدر في الاقوال والافعال الذي صار اشهر رجال البلاد تواضعاً يرافق عظمتهُ ورأفة ترافق طهارتهُ والتفاتاً الى المحتقرين ترافق شهرتهُ. وسمعوا من فمهِ لهجة اللطف والحب الغريبة عن آذانهم. رأوا باب الرجاء بالخلاص الذي كان مغلقاً في وجوههم منفتحاً الآن امامهم بفضل هذا المرشد الحكيم الذي اظهر لهم ان توبتهم ممكنة ومقبولة عند الله

ولما سمعوا منهُ مؤخراً انهم اقرب الى ملكوت السموات من محتقريهم الرؤساء مالوا اليهِ والتفّوا حولهُ ووجدوا منهُ ترحاباً واكراماً وتشجيعاً. ولم يطلبوا منهُ معجزات كالفريسيين. بل حسب قول البشير "كانوا يدنون منهُ ليسمعوهُ". وبعضهم تبعوهُ كما فعل متّى الذي صار رسولاً. مع انهُ لم يظهر ان فريسيًّا واحداً تبعهُ علانيةً

فهاج غيظ الفريسيين على مُصلح ونجّم بكلام صادق وتخيف. وكشف النقاب عن فسادهم على مسامع الشعب وخالفهم في اعتبار هؤلاء. وخطّأهم في معاملتهم العشّارين. وفضّل العشّارين عليهم. وهاج غيظهم على العشارين ايضاً لانقيادهم الى هذا المصلح. وتذمّروا وهم رعاة الشعب لقيام يسوع بما يُطلب منهم نحو هولاء الخراف من رعيتهم. ولم يدركوا ان ما لاموهُ عليهِ هو فخرهُ ومجدهُ الحقيقيّين. واهمالهم اياهُ هو عارهم واثمهم الابديّين[2]

---

(1) عمل بولس الرسول ما يشبه عمل يسوع لما خصّ ببشيرهِ اليهود اولاً. ولما رفضوهُ حوّل خدمتهُ الى الامم (اع ١٨: ٦) (2) عوْدُنا الى الفريسيين واموردهم وكشفنا عيوبهم يُقصد بهِ ليس فقط تفسير حوادث حياة يسوع تاريخيًّا. بل تنبيه الافكار الى فريسيي كل العصور. ولا سيما في عصرنا هذا تنبيهاً للمبادىء الفاسدة التي تتسلسل من

سادَ آنئذٍ ولايزال يسود اعتقاد منبعهُ شيطانيّ. وهو ان الله يبغض الخاطئ ويريد ابعادهُ لكونهِ خاطئًا. حال كون الحقيقة ان المكروه عند الله ليس الخاطئ بل خطيئتهُ كما ان المكروه عند الوالد الشريف ليس ابنهُ الشرير بل شرُّهُ. ويسوع جاء من السماء ليعلن للبشر الخطأة افكار الله وعواطفهُ الابوية. فكان تخصيصهُ مشاهير الخطأة في التنائو ومعالجتهِ الروحية اياهم ضروريًا جدًا لاجل هذا الاعلان

فلما تذمّر الفريسيون والكتبة في احد الايام على يسوع قائلين "هذا يقبل خطاة ويأكل معهم" قدّم لهم ثلاثة امثال في عقد واحد بيانًا للحقيقة الجوهرية ان شرّ الاشرار لا يزيح المحبة الالهية الابوية عنهم. بل يؤثّر في الرضى الالهي وفي كيفية المعاملة. لكن ليس في المحبّة. لانهُ عند وقوع البنين في اشراك ابليس يشتعل الحب الابوي مضاعفًا اسفًا على تعاستهم ورغبةً في تخليصهم منها. ومثال ذلك يشاهد في مَن لهُ ولد قاصر او مريض او معتوه او شارد. فتوبة الشرير عزيزة جدًا لديهِ تعالى ولدى جميع البشر الصالحين

اوّل الامثال الثلاثة المشار اليها سبكهُ في قالب الاستفهام. سأل سامعيهِ مَن منهم لهُ مئة خروف واضاع واحدًا منها لا يترك في البرية التسعة والتسعين التي لم تضلّ وينتّش عن الضالّ حتى يجدهُ (١). فكأنهُ في هذا السؤال يبكّتهم كرعاة الشعب على اهمالهم الضالّين مكتفين بالتسعة والتسعين التي يعدُّونها غير ضالّة. وحاسبين ان الضالّ يستحقّ ما هو فيهِ من العذاب والخطر والهلاك

امثالهم جيلاً بعد جيل. وتظهر في كل جيل وتتنوّعهُ. وتحذيرًا لكل فرد من ان ينقاد الى هذه المبادىء التي تجلب على صاحبها الويلات التي نطق بها يسوع على فريسيي عصرهِ

(١) سأل مثل هذا السؤال في قالب آخر وقرينة أخرى سابقًا انظر ف ٢١

ان يسوع يقدّم ذاته كالراعي الصالح الامين المحب الذي ليس فقط لا يألو جهداً في تفتيشه عن كل نفس ضالّة بمفردها بل ايضاً انه لما يجدها لا يعاملها بالعنف اقتصاصاً منها نظراً لما تكبّدهُ بسبب شرودها. اذ يرثي لضعفها ويحنُّ لشقائها ويحملها على منكبيهِ فرِحاً (١). ويأتي بها الى بيتهِ مميّزاً اياها بذلك عن التي لم تضلّ. ثم يدعو للاشتراك معهُ في فرحهِ ارواحاً تشبهُ بالاصدقاء والجيران اي الملائكة والقديسين في السماء الذين يفرحون بخاطئٍ واحد يتوب اكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون الى توبة (٢)

فمَن هو هذا الذي يتجاسر ان يصف حوادث السماء وكيفية افراح اهلها؟ لا حقّ لاحدٍ في ذلك الاّ ليسوع ذاتهِ الذي كان منذ الازل في حضن الآب وقد نزل من السماء. ومَن هم المعبَّر عنهم بالتسعة والتسعين باراً لا يحتاجون الى توبة. ليسوا ملائكة. لانهُ يقول ان الملائكة لا تفرح بهم كفرحها بالضالّ التائب. ولا بشراً صالحين. لان الرسول يقول "ليس بارٌّ ولا واحد. الجميع زاغوا وفسدوا معاً" (٣). اذاً هم الذين يتوهمون ويدّعون خطأً انهم ابرار. وهذا ما كان يفعلهُ سامعوهُ من الفرّيسيين. ويفعلهُ خلفاؤهم في كل جيل

لكن على افتراض كان هولاء ابراراً ولم يضلّوا. واعتُبرت قيمتهم مئة ضعف العشّارين والخطأة والضالّين لا يكتفي بهم هذا الراعي السماوي ويترك المحتقرين والمرفوضين منهم. بل متى رأى توبة خاطئٍ واحد يُسرُّ بذلك اكثر من الفرائض المقدّسة التي يمارسها الرؤساء في الهيكل من صلوات واصوام وتقدمات. لانهُ جاء من السماء ليخلّص الخطأة. ثم انهُ لا ينتظر الخطأة ليأتوا اليهِ اولاً. بل هو يقصدهم ويجدهم ويحثّهم على الرجوع الى الله والى بيت ابيهم

(١) اش ٤٠: ١١ (٢) هذا عكس قول الفريسيين. لانهُ ورد في كتبهم انهُ يكون فرح قدام الله عند ما يهلك عن وجه العالم انسان من الذين يكدّرونهُ

(٣) رو ٣: ١٠ و ١٢

الاصلي الحقيقي . فلو كان الفريسيون على مشرب اهل السماء لسرُّوا ايضًا بما يسرُّ اهل السماء . والخاطئ الذي يعرف ان توبته تجعل اجراس السماء تقرع فرحًا يجد دافعًا قويًّا وشريفًا يسرع بهِ الى المخلّص

والمثل الثاني يصوّر للنساء بين سامعيهِ عملاً نسائيًا في البيت . ويجعل النسبة بين الضالّين وغير الضالين كواحد الى عشرة فيعظّم نسبة قيمة الخاطئ وخسارة المالك السموي الذي له الارض وملؤها المسكونة وكل الساكنين فيها [1] . في المثل اضاعت المرأة درهمًا من عشرة وبعد التفتيش بواسطة تكنيس البيت على ضوء السراج نجحت . ففرحت جدًّا بوجودهِ كما فرح صاحب الخروف . واشركت الآخرين معها ايضًا في الافراح

يجوز القول ان المرأة تمثّل الكنيسة كما مثّل الراعي المسيح رأس الكنيسة وعريسها الروحي. فكنيسة المسيح الحقيقية تسير على خطتهِ لانها مقودة بروحهِ. ولذلك تُفتش بكل اجتهاد عن التائهين في قفار الخطيئة . والسراج الموقَد بيدها هو كتاب الوحي الذي قال فيهِ داود "سراجٌ لرجلي كلامكَ ونورٌ لسبيلي" [2] . والتكنيس هو الارشادات والتأديبات الكنسية التي من شأنها تنقية القلوب واصلاح التصرُّفات . والكنسية تصدُق في اعترافها "الدرهم الذي أضعتهُ" .لان كثيرًا من دم الهالكين يُطلَب من الفاترين في الكنيسة ومن الكنيسة اجمالاً بسبب تقصيرها [3] . والراعي محقٌّ في قولهِ خروفي . اما المرأة فلا تقول درهمي لان المُلك ليس للكنيسة بل لرئيسها

علَّم يسوع في هذين المثلَين ان ينبوع الخلاص هو العمل الالهي في طلب الخاطئ لا عمل الخاطئ في طلب الخلاص . لان هذا الثاني من ذلك النبع. فليس في الدين قول جوهري اكثر من القول ان الاصل في الدين ليس ما يعملهُ الانسان لاجل الله بل ما يعملهُ الله لاجل الانسان

(١) مز ١٠٣٤:١ (٢) مز ١١٩:١٠٥ (٣) انظر حز ٣٤:١٧—٢١

اما المثل الثالث فانهُ الدرّة الفريدة في عقد امثال يسوع كافةً . وفيهِ تشبيه لعمل الاولاد في العائلة تنبيهًا للاولادِ بين سامعيهِ. وبوضح ما لم يُعلن في السابقين من عظم المسؤولية على الذين يضلّون عن الله ونواميسهِ . ويُلاحظ ايضًا ان هذا المثل يمتاز عليهما في القيمة المعطاة للضالّين . لان نسبتهم كواحد الى واحد ويمثّلون بالابن العزيز الاصغر لا بمعدن او حيوان . وفي ايضاحهِ ضرورية العمل البشري في الرجوع الى الله بالتوبة والارادة المطلقة . الامر الذي هو ثمر العمل الالهي الاساسي في التفتيش عن الضالّين وفتح الباب لخلاصهم . فضمُّ هذه الامثار الثلاثة الى عقدٍ واحد ضروريّ لاستيفاء الفائدة في امر الخلاص

حصر يسوع الشعب اليهودي الذي خصَّهُ بخدمتهِ في صنفَين يمثّلهما ابنان لاب واحد. فالابن الاكبر الذي لهُ شرعًا نصيب مضاعف في الارث[1] يمثّل جميع الذين يحافظون على صورة الدين . وهم في اعين الناس واعين انفسهم اهل الدين والامانة لله . لانهم يحفظون بتدقيق فرائض الدين الخارجية ولا يتيهون علانيةً في برية الاثام والمعاصي

ويمثّل الابن الاصغر سائر ابناء الامة الذين يتبعون الاهواء المنكرة ولا يتقيّدون بفروض الدين فيجحدون المراحم الالهية ويستخدمون عطاياهُ تعالى لهم في العصيان عليهِ . ويبدلون حرية البنوة لله بالعبودية العلنية لابليس . ويجدون لذّتهم في هذه العبودية المعيبة لا في تلك البنوة الشريفة. اذ يتصدون عمدًا وظاهرًا الابتعاد عن الله . لذلك يتيهون دون تجلّ ودون تردُّد عن كتاب الله وعن عبادتهِ وعن معشر الابرار . فينجم عن ذلك ابتعادهم عن الفداسة والسلامة والسعادة . وبالاجمال عن صالحهم وصالح مَن هم حولهم في الدارَين

شطر[2] هذا الابن الاصغر عن بيت ابيهِ وعن اخيهِ الوحيد وعن العناية

(١) تث (٢١: ١٧) (٢) اي شرد فمثل هذا المثل مثل الابن الشاطر اي الشارد

الوالدية وعن خيرات وطنهِ وعن المعشر الصالح وعن العمل لزيادة الثروة التي تأتيهِ بالارث من ابيهِ . ملَّ ونفر من القيود البيتية الشريفة والسطوة الوالدية المكرَّمة . واشتهى ان يحكم نفسهُ بنفسهِ . وان يتطوَّح في الملذات الفاسدة بين الاشرار . احنى عنقهُ لنير ابليس فكانت كل ملذاتهِ تمكّن هذا النير وتصعّب عليهِ النجاة منهُ الى أن امست حالتهُ حالة الجنون حالة من لا يدري ماذا يفعلهُ ولا يفعل الاَّ للمضرَّة

شقَّ عصا الطاعة البنوية . فعزم على الابتعاد عن ابيهِ لكي يتصرَّف كما يشاء . فخلع ثوب اللياقة وطلب بكل وقاحة من ابيهِ وهو لا يزال حيًّا نصيبهُ من الميراث . ترك روح البنوَّة الذي يقول "ابانا الذي في السموات . خبزنا كفافنا اعطنا اليوم" وطلب دفعةً واحدةً كل نصيبهِ من ابيهِ ليستقلَّ عنهُ تمامًا . فهو اشبه بالخاطئ الذي يعيش لذاتهِ دون نظر الى ارادة الله ويتباهى باستقلالهِ عنهُ تعالى مفتخرًا بما يعيبهُ

فبما ان الطاعة الاجبارية لا تحلو لاب محبّ اراد ابوهُ ان يجاريهُ على طلبهِ المنكَر ويطلق لهُ الحريـة التامة واعطاهُ نصيبهُ من الميراث كما يرى ذلك في معاملة الله الاشرار الذين يعطيهم من عنايتهِ الفيَّاضة خيرات ارضية جزيلة حسب ما يرغبون . ولكن هذه العطايا ليست علامة الرضى متى أُعطيت للبعيدين عنهُ في عواطفهم وتصرُّفاتهم . ومع ان هذا الجاهل انفصل قلبيًّا عن ابيهِ لم ينصرف حالاً من بيت ابيهِ . "بل بعد ايام ليست بكثيرة" . هكذا الخاطئ ايضًا لا يبتدئ حالاً بالانفصال الكلي عن الله . بل يتصل تدريجًا الى ذلك والى اظهارهِ للآخرين

في الكورة البعيدة التي سافر اليها هذا الشاب اطلق العنان للاهواء الفاسدة حيث ليس من يردعهُ او يخجلهُ او يذكّرهُ بماضيهِ الصالح وباصلهِ الشريف .

وفيها "بذّر مالهُ بعيش مُسرف" حتى افتقر تماماً. واتفق عند فراغ جيبهِ حدوث مجاعة هناك مما قسّى قلوب عشرائهِ وقطع عنهُ مصادر القوت الضروري

نتصوّرهُ مراعيًا في غربتهِ بعض تقاليد شعبهِ في الامور الخارجية. لكن عضّة الجوع الجأتهُ الى الخدمة عند صاحب خنازير ارسلهُ ليرعى خنازيرهُ في البرية. فضحّى دينهُ لجوعهِ. ورضي بالنجاسة لكي يشبع. ولما كان يعود بالخنازير مساءً الى مأواها كان صاحبها يعطيها عشاءها من الخرنوب المذخور عندهُ ليسدّ بهِ ما نقصها في المرعى بسبب القحط. وكان هذا المسكين يشتهي من شدة جوعهِ ان يساوي هذه الحيوانات النجسة "ويملأ بطنهُ من الخرنوب الذي كانت الخنازير تاكلهُ. ولم يعطهِ احد"

كثيرًا ما يستخدم الله الشدائد لارجاع الناس اليهِ تعالى والى وطنهم الحقيقي السماوي. لكن واأسفاهُ ان كثيرين تزيد شدائدهم ابتعادهم عنهُ تعالى. فما يقصدهُ الله بركةً للخلاص يحوّلونهُ لعنةً للهلاك. والذي تردُّهُ الشدائد الى بيت ابيهِ يبرهن بنوّتهُ الحقيقية. فان هذا الابن الشاطر وجد في قلب مصيبتهِ باب الخلاص. وكان مثالاً جديدًا للحقيقة ان الدخول الى الخلاص يكون من باب اليأس

ان هذا الولد لا يزال ابنًا واباهُ لا يزال ابًا. وكما ان الطاعة لم تصيّرهُ ابنًا هكذا عصيانهُ لا يقطع هذا العلاقة التي هي وضع الهي ولا يلاشيها الاّ الموت[1]. ولا يخفى ان في صدر كل خاطىء من بني البشر جرثومة البنوّة لله. فمهما هبط شرُّ الناس في حمأة الاثم. ومهما علت جبال خطاياهم فهذه الجرثومة المباركة لا تموت ما داموا في قيد الحياة ما لم يميتوها عمدًا بتجديفهم على الروح

(١) ما ادرانا اذا كانت تتجدد وتدوم العلاقة البنوية في الابدية حيث يتكّىء المؤمنون مع ابرهيم واسحق ابنهِ ويعقوب حفيدهِ

القدس الذي وحدهُ يوقظها ويحييها ليلجأ صاحبها الى المخلص الوحيد وينال الخلاص

قبل ان هذا الشاب رجع الى نفسهِ . لان الناقة الشديدة طيّرت جنونهُ واعادت اليهِ الرشد . فكان رجوعهُ الى نفسهِ مقدّمةً لرجوعهِ الى بيت ابيهِ . فلما عقد النية على هذا الرجوع كان تائبًا ومتواضعًا وموقنًا برأفة ابيهِ وكرَمهِ. لان كل هذا ظهر في الكلام الذي اعدَّهُ ليقولهُ لابيهِ عند المقابلة

قد ظهر صدق توبتهِ بقولهِ "اخطأت الى السماء وقدامك" . بهذا اقتدى بداود الذي بعد سقطتهِ الفظيعة صلى "اليك وحدك اخطأت والشرّ قدّام عينيك صنعت"(١) . وشعورهُ بان خطيئتهُ كانت ليس ضد ابيهِ فقط بل ضد الله بالاكثر حوّل حديد ندامتهِ الى ذهب توبتهِ . فالندامة وحدها كالشجر العديم الثمر فيقتضي تحويلها الى توبة مثمرة . ولا يسمّى عملٌ ما خطيئةً بالنسبة الى حقوق الناس بل بالنسبة الى حقوق الله فقط .

وظهر صدق تواضعهِ في شعورهِ بانهُ اضاع كل حقوقهِ الاصلية . فلم يعُد يليق الاّ ان يكون بين الاجرى . لابل يكون قبوله كاجير(٢) فضلاً من ابيهِ

وظهر صدق ايقانهِ في رأفة ابيهِ انهُ قام وذهب غير خائف ان يطردهُ ولو كان مستحقًا ذلك . وهذا الايقان (اي الايمان) شرط جازم في التوبة . فالتوبة دون ايمان تكون فارغة وتبقى ندامة فقط . والندامة لا تؤدّي الى الخلاص كما يشهد حادثا عيسو والاسخريوطي . فالابن في المثل لا يعزم فقط على الرجوع بل رجع وليس كالكثيرين الذين يكون عزمهم الحسن كزهرٍ لا يعقد . فاي نفع في احسن عزم ان لم يُخرج الى حيز الفعل ؟

---

(١) مز ٥١ : ٤ (٢) يرى البعض في هولاء الاجرى عالم الحيوانات التي يفتح الخالق يدهُ فيعطيها قوتها في حينهِ ويملأ كل حيّ سرورًا . يجب ان يتأمل الخاطىء العاصي على الله بالخليقة الطائعة لهُ ومتى قطن كيف تشبع الحيوانات من جودهِ تعالى يدرك ما لهُ عند الله من الشبع الروحي ان خضع لهُ

وفيما هو يقترب من بيت ابيهِ كان قلب هذا الوالد ملتهبًا بالحب الشديد لهذا الشارد وابصارهُ تراقب الطريق التي ذهب فيها متوقعًا ايابهُ تائبًا . لانهُ عانى من اجل ابنهِ الضالّ اكثر مما عاناهُ الراعي والمرأة بمقدار ما لمعزّة الابن من التفوّق على الدرهم والخروف وطول غياب ابنهِ الحبيب . وكان ثمر مراقبتهِ الدائمة انهُ "رأى ابنهُ اذ كان لم يزل بعيدًا" فلم ينتظر وصولهُ . ولم يفكر بتذليلهِ . ولم يذكر سيئاتهِ . لانهُ يعلم ان الاستعباد لابليس هو اعظم المصائب الداعية للشفقة . فهل يزيد عذاب ابنهِ بتونيبهِ على ما مضى ؟ لان القصد من التونيب تحريك الضالّ للتوبة فمتى ظهرت لا يعود لهُ محل

ظهر الجمال الادبي بكل معناهُ في هذا الاب في القول انهُ تحنّن لما رأى ابنهُ . بينما كان يُنتظَر انهُ يغتاظ . وهكذا خلاص الخاطئ عند الله ليس ناتجًا عن مجرّد الاشفاق الالهي . بل عن محبة الاب لابنهِ الشارد في قفر الهلاك الروحي والمقيّد بسلاسل عدوهِ ابليس هذا الابن هو من صلب ابيهِ مهما شرد واضاع المشابهة لهُ . هو حامل اسمهِ مهما لطّخ شرف هذا الاسم . هو وارث بيتهِ مهما بذّر من ارثهِ في المعاصي

يتأنى الخالق سبحانهُ في كل شيء الاّ في ملاقاة الخاطئ التائب . فالاشارة الوحيدة في الكتاب للاستعجال الالهي وردت في هذا المثَل . لان يسوع قال عن هذا الاب انهُ تحنّن وركض لملاقاة ابنهِ . وقابلهُ مقابلة محبّ حنون . ونسي كل ذلك التاريخ الماضي المعيب اذ "وقع على عنقهِ وقبّلهُ" على رغم حالتهِ القذرة . وعوّض لهُ عن خسارتهِ وشقائهِ في الماضي بالثبات يفوق التفاتهُ الى ابنهِ الذي لم يضل . ولم يتمهّل في المصالحة والغفران واعادة الحقوق البنوية الى ان يبرهن ابنهُ صحة توبتهِ بسلوك حسن مدة كافية . بل وهب لهُ هذه كلها دون استحقاق سابق . بل مع ضياعهِ كل استحقاق بنويّ سابق . فتكون طاعتهُ المتواصلة بعد المصالحة والمغفرة والاكرام برهانًا افضل لصحة توبتهِ من الطاعة

التي يقدّمها للحصول على الانعامات الابوية . كما ان المغفرة التي تُعطى للخاطئ قبل الطاعة التامة تكون نعمة الهية وكرمًا اكثر من التي تعطى جزاء بعد الطاعة . وفي العهد القديم اساسٌ كافٍ وجميل لمعرفة هذا المبدإ الديني المتعلّق بفيضان الغفران الالهي لجميع التائبين (١)

ما احمل هذه المقابلة الحية الحارّة التي فيها فاق سرور الاب الصالح على سرور ابنهِ التائب . فهل كان تأثيرها في هذا الشاب توقّفهُ عن انكسار القلب بسبب ماضيهِ المعيب ؟ . او عن التذلّل اللائق امام هذا الوالد الكريم ؟ . او عن الاعتراف الذي قصدهُ لما رجع الى نفسهِ في غربتهِ البعيدة ؟ كلاَّ ثم كلاَّ . ان عزمهُ الصالح تجدّد وتقوّى بسبب ما اختبرهُ الآن من الحب الوالدي والعاطفة الشريفة والغفران المجاني . هكذا الخاطئ التائب يتأثّر افضل تأثير من الغفران الالهي المجاني الحالي الكامل وتزيد وتتقوّى توبتهُ الصادقة . ومن المستحيل ان يولد فيهِ هذا الغفران طمعًا بالحلم الالهي لكي يؤجّل اصلاح سيرتهِ ويتساهل مع الامیال الشريرة . لان هذا الغفران يكوّن روابط جديدة حيّة بينهُ وبين الغفّار تجعلهُ ان يجتنب بكل قواهُ جميع ما لا يرضاهُ . عند هذا اللقاء ابتدأ الابن الشاطر بالقول الذي رتّبهُ لما رجع الى نفسهِ وهو بين الخنازير . لكن الاب اكتفى بالفاتحة وقاطعهُ في الكلام قبل وصولهِ الى الطلب ان يكون اجيرًا عند ابيهِ . واسرع بالامر لعبيدهِ ان يجدّدوا بخدمتهِ كالابن الاصغر الاعز . وكأن حنوهُ في البيت أُعيدت اليهِ مضاعفة (٢) . فبدلاً من الخرق القذرة الرثّة التي اتى فيها اتوهُ بالحلة الاولى اي بالفخر الموجود اشارةً

---

(١) ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيضُّ كالثلج وان كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف (اش ١:١٨) هذه الجمرة مسّت شفتيك فانتزع إثمك وكفّر عن خطيتك (اش ٦:٧) انت تعلقت بنفسي من هوة الهلاك فانك طرحت وراء ظهرك كل خطاياي (اش ٣٨:١٧) قد محيت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك (اش ٤٤:٢٢)

(٢) اش ٤٠:٢ و ٦١:٧ ورو ٥:٢٠

الى صفاتهِ الجديدة . هكذا يفعل الله مع الخاطىء التائب اذ يمنحهُ ثوب برّ المخلص [١] ليرتدي بهِ . فيظهر امام الله ليس معابًا بآثامهِ بل مبرّرًا ومطهرًا بمجد مخلصهِ . ثم امر الاب باعطاء ابنهِ الخاتم علامة السلطان البنوي الذي يخوّلهُ حق الختم عن ابيهِ في المعاملات الرسمية . وفي هذا اشارة الى السلطان الروحي الذي يهبهُ الروح القدس بحلولهِ في التائبين . وامرهُ بحذاء ليتمكن من السعي الجدّي في صوالح بيت ابيهِ . وفي هذا اشارة الى الوقاية الروحية التي يحصل عليها كل تائب حقيقي . ثم اكمل الاب احتفاءهُ بتوبة ابنهِ باعداد وليمة ياكل فيها ابنهُ الفخر ماكولات البيت تعويضًا عن آلام الجوع في ما مضى [٢] . وصرّح لعبيدهِ سبب كل ذلك بقولهِ "لان ابني هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوُجد" . عدّ توغّل ابنهِ في الشرور موتًا ادبيًا روحيًا كما ان غيابهُ اشبه بالموت الجسدي . فكان رجوعهُ كمن يقوم من قبرهِ . فالخطيئة وليس موت الجسد هي الموت الحقيقي . وهذا ما اشار اليهِ سيدنا لما انذر آدم انهُ يوم ياكل من الثمر المنهي عنهُ موتًا يموت [٣] . وبينما كانت الافراح دائرة في البيت عاد الابن الاكبر في آخر النهار من الحقل . وتعجب اذ سمع اصوات الطرب وما يتعلق بها دون داعٍ يعلمهُ ذلك . فاظهر اخلاقهُ السيئة اذ لم يدخل ببساطة قلب فرحًا لما سيجدهُ في بيتهِ . بل دعا احد الغلمان باساءة ظن وخبث واستعلم منهُ الحقيقة . وعند ذلك هاج حمقًا وحسدًا ورفض الدخول والاشتراك في سرور ابيهِ واخيهِ

حقًا انهُ لا يوجد في هذه الدنيا افراح الاّ وترافقها اكدار التي كثيرًا ما تكون مسببة من الاقربين . صوّر يسوع في الابن الاصغر العشارين والخطأة الذين فتح لهم باب التوبة للخلاص ودخلوا . وفي الابن الاكبر صوّر الفريسيين الذين بدلاً من الفرح لاهتداء الضالين يتذمّرون عليهِ لاجل ردّهم وعليهم

(١) قد أذهبت عنك إثمك والبسك ثيابًا مزخرفة (زك ٣:٤) (٢) اش ٣٥:٦

(٣) انظر الكلام في اف ٤:٢٠ وما يليهِ

لاجل رجوعهم . الابن الاكبر في تمرمره لم يرَ في اخيهِ الاَّ العيوب . حتى انهُ لم يرضَ ان يسميهُ اخاهُ بل قال لابيهِ "ابنك هذا الذي اكل معيشتك مع الزواني"

قد يكون كلامهُ صدقًا لكن ليس الصدق كلهُ . لانهُ سلب اخاهُ فضيلة التوبة . وفي كبريائهِ لم يرَ في ذاتهِ الاَّ الفضائل . اذ قال لابيهِ "ها انا اخدمك سنين هذا عددها وقط لم اتجاوز وصيتك" . فلو فرضناهُ صادقًا في هذا القول لم يكن الصدق كلهُ . لان افكارهُ في خدمتهِ لابيهِ ظهرت بقولهِ "وجديًا لم تعطني قط لافرح مع اصدقائي . وفي استيائهِ من فرح ابيهِ . فيتضح من ذلك ان الانانية في روحهِ وتصرفاتهِ وضعت بينهُ وبين ابيهِ هوَّةً وابتعادًا اكثر مما وضعهُ الابن الاصغر في ذهابهِ الى كورة بعيدة وشرورهِ هناك . لكن اباهُ لم يعاملهُ حسب استحقاقهِ . لانهُ خرج اليهِ وتنازل لهُ ولاطفهُ بدلاً من ان يوبخهُ او يتركهُ . حتى بعد ان اهانهُ ابنهُ بتوبيخ مرٍّ وبشيء من الاحتقار اجابهُ حبيًا بحجة قويَّة قائلاً "يا ابني انت معي في كل حين . وكل مالي فهو لك" . فالدليل من هذا ان الحب الالهي والرحمة لا يمسكها الله حتى عن الفريسيين المتكبرين القساة . بل يتمهم بكل وسائل التوبة والايمان نظير العشارين واكثر . ماداموا في الدنيا لا يزالون معدودين ابناء البيت وميراثهم في الملكوت محفوظ وما عليهم الاَّ ان يتوبوا ويتركوا شرورهم كما فعل العشارون والخطأة قبلهم . لم يذكر في هذا المثل خبر لتوبة الابن الاكبر بعد ما ظهر من فظاعتهِ . لكننا نعلم ان الذين مثَّلهم اي الرؤساء والفريسيون لم يتوبوا بعد او لم يؤمنوا . بل بقوا مصرِّين على غيهم . وعلى الحسد الذي جعلهم يسلمون يسوع الى بيلاطس للصلب . وعلى البغض الذي ظهر في محاكمتهِ امام رؤسائهم . ومعاملتهم اباهُ القاسية . نتعلم من قصة الابن الاكبر ان الاديب المتكبِّر المتكل على صلاحهِ لاجل التبرير امام الله هو ابعد عنهُ تعالى وعن السماء من الشرير الذي شرُّهُ ظاهر ولا يدَّعي الصلاح . لان الامل في اصلاحهِ اقوى . ليس من شأن

تقرير هذه الحقيقة تخفيف خطيئة الذين شرورهم ظاهرة او عذرها . بل التنبيه الى الشر الاعظم اي الشر الخبيث المستتر بالمكر والمرتدي بالرياء والادعاء. قال الرسول "يقاوم الله المستكبرين . واما المتواضعون فيعطيهم نعمة"(١) فان اكبر الموانع في سبيل الخلاص الرياء والكبرياء. وبسببها امتنع الفريسيون عن الايمان والخلاص بالمسيح . وبسببها يعثر الكثيرون الآن . وقانا الله من شرّها . ومن حسد الذين يميّزهم بخيراته الزمنية والروحية كما حسد هذا الابن الاكبر اخاهُ(٢). ولا نغفل عن التصريح الالهي بان اصرار الضالّ على ضلالهِ يُعدُّ خسارةً عليهِ تعالى . كما ان رجوعهُ عن ضلالهِ يُعدُّ ربحًا وسرورًا لهُ تعالى . فما اعجب هذا الحب والتنازل الالهي ! وما اعظم هذا الباعث للامتناع عن الخطيئة

(١) يع ٤: ٦ (٢) يجوز ان نرى في هذا المثل ايضاً تشخيص الامم الوثنية اجمالاً في شخص الابن الاصغر والامة اليهودية في الابن الاكبر . لانهم كانوا يرفضون الامم ويستاؤون من قبول يسوع اياهم

الفصل الثامن والثلاثون

(لو٦ :١ – ١٠:١٧ يو ١١:١–٥٤)

(المرصّع) ف ٣٣و٣٤ (الزمان) ك٢ وشباط السنة ٣٠م
(المكان) بيت عنيا . بيريّة . افرايم

مثل وكيل الظلم . مثل الغني ولعازر . المسامحة . لافضل في اتمام الواجب . مرض صديقهِ لعازر . الراي المسيحي في الموت . مجيء يسوع الى بيت عنيا . يسوع هو القيامة والحياة . بكاء يسوع عند القبر . اقامتهُ لعازر . ايمان كثيرين بهِ وغيظ الروَساء من ذلك . مؤامرتهم على قتلهِ . مشورة قيافا ونبوتهُ

تابع يسوع تعليمهُ بالامثال . وخصَّ تلاميذهُ بمثل يُعبّر عن وجوب الاهتمام بالمستقبل. ويُظهر غلط الذين يعتنونَ كثيرًا بالزمن الحاضر ويغفلون الاهتمام بالزمن الآتي . فيحافظون على زمنياتهم ويهملون روحياتهم

صوَّر غنيًّا دعا اليهِ وكيلهُ المسيطر على املاكهِ وطلب منهُ الحساب واعلن لهُ عزلهُ بناء على وشاية اتتهُ بانهُ يبذِّر امواله. وطلب منهُ في المحاسبة ان يقدّم صكوكًا (بتوقيع المزارعين وتصديقهِ كوكيل) تبيّن ما للمالك عند كل شريك من حاصلات املاكهِ . فبدلاً من ان يعترف بخيانتهِ ويستغفر ويتعهّد بالاصلاح أخذ يفتكر بحيلة تنفعهُ بعد طردهِ من الوكالة . فالسلطة الشيطانية التي تجعل الآثام تولّد آثامًا أُخرى جعلتهُ يخترع خيانةً جديدةً اردأ من الاولى . لانهُ دعا المزارعين الى المخاتلة معهُ . ومن يطغي غيرهُ تكون

دينونة مضاعفة

فلكي يشتري لنفسهِ بمال سيدهِ اصدقاء يعولونهُ في ضيقهِ لقاء الارباح التي تأتيهم بواسطتهِ علَّم الشركاء ان يكتبوا صكوكًا بكميَّات دون الحق ليصدّقها ويقدّمها للمالك . وقدَّم لضميرهِ هذا العذر " ماذا أفعل ؟ لست استطيع ان أنقب . واستحي ان أستعطي " . وكان اولى ان يقول " لست استطيع ان أختلس "

فلما اطَّلع مولاهُ على هذه الخيانة الجديدة دُهش لجسارتهِ وفطنتهِ . وحسب المثل السائر " أعطِ الشيطان حنكهُ " مَدَحهُ على ما سمَّاهُ حكمة في ما فعل . لم يتناول المدح الخيانة في عملهِ . والاَّ فما كان تسمَّى "وكيل الظلم" (١) . ولأرجعهُ سيدهُ الى وكالتهِ . ختم يسوع هذا المثل بقولهِ ان ابناء هذا الدهر أحكم من ابناء النور في جيلهم . وبنصيحة لسامعيهِ ان يستعملوا ما لديهم من مال الظلم (٢) في خدمة الآخرين ولا سيما في خدمة صوالحهم الروحية الابدية

ليس في هذا المثل قطعيًّا قصد إعذار من يجمع بالظلم او الخداع مالاً لكي ينفقهُ كلهُ او بعضهُ في سبيل الخير والاحسان . بل البيان ان افضل باب للتخلُّص سريعًا من مال الظلم متى وُجد هو بذلهُ في سبيل الخير . ولا سيما ما يمهِّد للمحسَن اليهِ طريقهُ الى السماء . الوكيل في المثل اوجد مال الظلم ليربح بهِ اصدقاء يقبلونهُ متى جاء ضيقهُ . فكم بالحري يسعى الذي يقصد التخلُّص من مال الظلم الموجود بين يديهِ ليربح بواسطتهِ اصدقاء يستقبلونهُ في الديار الابدية . وان كان وكيل الظلم اجتهد هكذا وبالحرام ليحقق مستقبلهُ الزمني . فكم بالحري يجب ان يجتهد كل حكيم ليتحقق مستقبلهُ الابدي . والذي تظهر امانتهُ في الامور الارضية التي تُعَدّ زهيدة هذا يختارهُ الله ليرزقهُ الكنوز الاثمن

(١) نذكر طالبي تفسير هذا المثل الصعب بقواعد تفسير الامثال التي وردت في ف ٢٣

(٢) لان قليلهُ سالم من التلطخ بالظلم . ولان من دأبهِ ان يجرّ قانيهُ الى الظلم . لان محبة المال اصل لكل الشرور (١ تي ٦ : ١٠)

كثيرًا اي الهاوية[1]

ثم اعاد يسوع ما صرّح بهِ سابقًا من استحالة خدمة الله والمال في الوقت الواحد وثبوت ناموس الله . وقداسة سُنّة الزواج . وغلط التساهل في امر الطلاق . ولما استهزأ بهِ محبّو المال من الفريسيين بسبب اقوالهِ ذكّرهم ان ليس من يبرّر نفسهُ هو المبرَّر بل من يبرّرهُ الله . وان احكام الله بعيدة عن احكام البشر

ثم شخّص في مثلٍ آخر غنيًّا "يتنعم كل يوم مترفهًا" وُجد بين ملتمسي احسانهِ رجلٌ اسمهُ لعازر[2] مضروب بالقروح ومطروح عند مدخل قصرهِ ليلتقط طعامهُ من النتات الساقط من مائدة الغني . وكان الدواء الوحيد لقروحهِ تنظيفها بالسنة الكلاب رفقائهِ عند الباب التي كانت تسابقهُ في التقاط النتات . واخيرًا مات الرجلان وأُكرما في موتهما اكرامًا متخالفًا . فالغني دُفن بمزيد الاحتفاء البشري وحُرِم النصيب السماوي . ولعازر لفقرهِ المدقع لم يذكَر حتى دفنهُ البسيط البشري . لكن الملائكة التي تحلّ حول خائفي الله[3] حملتهُ الى "حضن ابرهيم"[4]

ففي الهاوية التي ذهبت روح الغني اليها لعدم استعدادهِ للسماء رفع عينيهِ الى النعيم ورأى سعادة لعازر هناك . فلم يجسر ان يطلب التخلّص تمامًا من عذابهِ في الجحيم . لكنهُ توهم ان تلطيف آلامهِ ممكن . وعلم ان الاسترحام من العزّة الالهية عبث بعد ان اهمل ربحهُ كل مدّة حياتهِ . فاستنجد بزعيم مذهبهِ الاقدم اب الامة اليهودية واب الآباء ابرهيم . كان تعوّد في حياتهِ احتقار لعازر والآن توهم ان يستخدمهُ لتخفيف عذابهِ . فطلب من ابرهيم قائلاً "يا ابي ابرهيم ارحمني وارسل لعازر ليبلّ طرف اصبعهِ بماء ويبرّد لساني . لاني معذّب

(١) "ان الله يثيب الامناء في اليوم الاخير حسب اعمالهم لا لاجلها" (اديي)

(٢) ليس لعازر بيت عنيا اخا مرثا ومريم (٣) مز ٣٤: ٧ (٤) كان اليهود يعنون "بحضن ابرهيم" دار النعيم

في هذا اللهيب"[1]. هوذا الذي كان لعازر يشتهي فتات مائدته يشتهي الآن قطرة ماء من اصبع لعازر

فاجابه ابرهيم ان الذي يستوفي ملذّاته في الحياة الدنيا غير مبالٍ بالابدية لابدّ ان يأتيه يوم فيه يعرف مقدار خسارته الجسيمة . والذي يتمّ شروط نيل السعادة الابدية لا بهمّة ولو مهما تقضّى عليه في حياته الدنيا من الذلّ والعذاب . لان ساعة واحدة في حضن ابرهيم تُعوّض كل ذلك وتنسيه اياهُ . وان بين النعيم والجحيم هوّة عظيمة مثبتة يستحيل اجتيازها . فلا يمكن ان يسقط الى الجحيم من قد نال النعيم ولا ان يرتقي الى النعيم من قد أُرسل الى الجحيم . هذا الجواب من ابرهيم يلاشي كل الآمال الفارغة المنتشرة المتعلقة باستعمال وسائط للصعود بعد الموت من الجحيم وعذابه الى النعيم وثوابه . لان هذه الآمال اغواء شيطاني

لما تحقق هذا المعذّب ان تلطيف عذابه مستحيل والقضاء عليه مبرَم حوّل فكرهُ الى اخوته الخمسة الذين تركهم في الدنيا . عَلِم ان عذابه يزيد متى انضموا اليه في الجحيم وطالبوهُ بما كان يجب عليه ان يفعله في حياته لردّهم عن طرق الهلاك . فطلب من ابرهيم ان يرسل لعازر اليهم ليخبرهم بما اصابهُ من العذاب ويحذّرهم من الانضمام اليه . فاجابهُ ابرهيم بما معناهُ ان حاجة اخوته العظمى ليست الى زيادة البراهين العقلية . وان الذين لا تكفيهم براهين الكتاب للايمان لا يؤمنون ولو مهما زيد لهم من البيّنات العجيبة . عدم الايمان عمى روحي لا تزيله البراهين الجديدة . كما انهُ لا فرق عند الضرير بين درجات النور . فلو زادت الشمس ضياء لا يستنير بذلك

---

(١) لا سبيل الاّ للمجاز في التعبير عن امور الروح . لذلك يشبه عذاب الارواح الهالكة بحريق النار في الاجسام . والانجيل لا يعلن اسلوب ابعال المعرفة والكلام بين سكان الجحيم والنعيم اذ ليس هذا من قواعد الدين او من واجبات الانسان فلا يطالَب الكتاب بايضاحه

ظنّ هذا الغني الغبي ان اخوته الذين عرفوا لعازر في تعاستهِ على الارض يتنبهون متى رأَوهُ آتيًا من السماء مجدّدًا ليبلغهم تحذير اخيهم المعذّب. فيتوبون ويطلبون الخلاص. لكن جواب ابرهيم فنّد زعمهُ الواهن. نرى في هذا المثل اشارة الى الارتباط الكلي بين قسمَي حياة الانسان وان احوالهُ في الآخرة تتبع احوالهُ الروحية في الدنيا. وان باب السماء لا يبقى مفتوحًا لغير التائبين بعد موتهم. وان استنجاد الانسان في حياتهِ بالقديسين في السماء لا فائدة منهُ على الاطلاق

ثم بناء على تأثير تكرار كلامهِ السابق لتلاميذهِ بخصوص العثرات والمسامحة وقوة الايمان قالوا "يا رب زد ايماننا". فصرّح لهم بان لا فضلَ لأفضل البشر في عين الاله. كما ان لا فضل لعبد مملوك في اجراء اوامر سيدهِ قال "متى فعلتم كل ما أُمرتم بهِ فقولوا اننا عبيد بطّالون لاننا انما عملنا ما كان يجب علينا" فان كان الذي يفعل كل ما أُمر بهِ يبقى عبدًا بطالاً ماذا يقال في الذين لا يفعلون الاّ جزءًا زهيدًا من ذلك؟

وفي هذه الاثناء اتى الى مقرّهِ في بيت عنيا على الاردن (المسماة ايضًا بيت عبرة) رسول من بيت عنيا الاخرى قرب اورشليم [1] مستعجلاً موفدًا من مرثا ومريم لابلاغهِ هذا القول "يا سيد هوذا الذي تحبُّهُ مريض". ليس محبة اخيها ليسوع بل محبة يسوع لاخيها كانت الحجة في هذا الخطاب. وهذه على الدوام للمحبة التقوى الحقيقية المعترفة بان اساس السرور والرجاء والخلاص ليس في محبة الخاطئ للمخلص بل في محبة المخلص للخاطئ. مرثا ومريم تعلمان الخطر الذي يتهدد حياة سيدهم وحياة تابعيهِ ان عاد الى جوار اورشليم بعد انصرافهِ من هناك بداعي هذا الخطر. فلم تدعواهُ ليأتي اليهما. ولربما تذكّرا انهُ كان احيانًا يشفي عن بُعد فيكفي ان يتبلغ مرض اخيهما

فاجاب يسوع على هذه الرسالة وجيزًا دون تقديم عذر لعدم ذهابهِ مع

(١) ف ٢٤

الرسول. قال "هذا المرض ليس للموت. بل لاجل مجد الله ليتمجّد ابن الله بهِ". نقدّر رجوع الرسول سريعًا ناقلاً كلام الاطمئنان هذا ليبرّد لهيب القلب في الاختين. لكن اية تعزية لها في هذا الكلام مع الرسول وقد سبق في غيابهِ ايداع جثمان أخيهما في قبرهِ. وماذا تفتكران الآن او يفتكرهُ رسولها في قول يسوع في ذات يوم موتهِ ان هذا المرض ليس للموت؟ اما الصدق في قول يسوع فراجع الى صحة تفسيرهِ. يستفاد من هذه القصة ان بعض كلام الكتاب المستصعب او المستحيل تصديقهُ يعود ذلك الى عدم الاهتداء الى تفسيرهِ الصحيح

لا بدّ ان الرسل اطمأنوا لما لبث يسوع في مكانهِ يومًا ثم ثانيًا ولم يمض بهم الى محل الخطر. لكن كلام البشير عن محبتهِ لهذه العائلة التقية أكّد انهُ لم يتأخر عن الذهاب بسبب عدم اكتراثهِ لها. اما اطمئنانهم فلم يطل. لانهُ في اليوم الثالث وهم لا يعلمون بان حبيبهم لعازر قد مات امرهم يسوع ان يستعدّوا للعود الى اليهودية

فعارضوهُ اولاً بقولهم "يا معلم الآن كان اليهود يطلبون ان يرجموك وتذهب ايضًا الى هناك"؟ احتاروا في هذا الامر الجديد. لانهُ لو كان ذهابهُ ضروريًا لشفاء لعازر لماذا لم يذهب حالاً؟ وان كان غير ضروري فلماذا يخاطر بنفسهِ وبهم؟ نرى في هذا القول شاهدًا لقول الحكيم "ان لكل شيء زمان ولكل امر تحت السموات وقت *** للصيانة وقت وللطرح وقت *** للحرب وقت وللصلح وقت"[1]. فانهُ في الشهر الماضي انصرف يسوع من اورشليم ومن كل مقاطعة اليهودية ولجأ الى بيريّة تخلصًا من غيظ الرؤساء الطالبين قتلهُ[2]. والآن بعد مرور نحو شهر نراهُ يفعل عكس ذلك مقتحمًا المخاطر التي كان قد اجتنبها وعائدًا الى "جب الأسود"

استخدم يسوع اعتراض الرسل ليعلّمهم ان لا خوف على الذي يسير بارشاد الهي. لان هذا هو النور وعدمهُ هو الظلام. فالخطر المهلك في طريق

(١) جا ٣: ١ و٦ و٨ (٢) ف ٢٥

الذي يمشي برأي نفسهِ فقط. وأبان لهم انهُ يقصد بالذهاب الى اليهودية ايقاظ لعازر من النوم. ومن تسميتهِ لعازر "حبيبنا" عرفناهُ شابًّا ممتازًا في صفاتهِ يليق ان يكون صديقًا خصوصيًّا ليسوع ورسلهِ

فكان جواب التلاميذ اجمالاً ليسوع ان نوم هذا المريض علامة جيدة تدل على اشرافهِ على الشفاء. فلما رأى يسوع انهم لم يفهموا لغزهُ اوضح الامر بقولهِ "لعازر مات". ثم اظهر لهم ان عدم وجودهِ في بيت عنيا ليشفي لعازر كان خيرًا لهم لانهُ ينتج عنهُ تقوية عظيمة لايمانهم. فامساكهُ عن بركة الشفاء العظيمة كان لكي يهب بركةً اعظم جدًّا في اقامة المريض بعد موتهِ. وكثيرًا ما يجري الاله على هذا المنوال مع خائفيهِ. قد سبقت تسمية يسوع الموت نومًا[1]. لان موت المؤمن وقتي. ويعقبهُ يقظة القيامة والسعادة الابدية

يظهر ان التلاميذ ترددوا في امر الطاعة. لكن توما تحمَّس اخيرًا وقال "لنذهب نحن ايضًا لكي نموت معهُ". في حادث آخر نرى توما ضعيف الايمان اسير الشكوك. لكن هذا الحادث يظهر شدَّة حبهِ ليسوع واستعدادهِ ان يموت لاجلهِ. فلا يدعهُ يذهب وحدهُ الى هذا الخطر[2]

ثمَّ سافر يسوع وتلاميذهُ. وقبل بلوغهم بيت عنيا سمعت مرثا بقدومهم[3]. فاسرعت لملاقاة سيدها تاركة اختها مريم تقوم بواجب المعزّين الجالسين في البيت. ولما كان يوحنا هو المخبر الوحيد بهذا الحادث وكان يعني غالبًا "الرؤساء" بقولهِ "اليهود" نستنتج من قدوم هؤلاء من اورشليم للقيام بفروض التعزية ان هذا البيت كان من البيوتات ذات اليسر والمقام[4]

لا يذكر ان مرثا سجدت ليسوع او بكت عند وصولها اليهِ. بل يذكر قولها

---

(١) في حادثة ابنة يايروس ف٢٥ (٢) تقول التقاليد الموثق بها ان هذا الامين الذي قال "لنذهب الى اورشليم لنموت معهُ" ذهب برافقتهِ الروحية الى اطراف المسكونة ومات شهيدًا في بلاد الهند (٣) ولربما بايعاز من يسوع ذاتهِ

(٤) انظر ف ٢٤

فقط "يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي. لكني الآن ايضًا اعلم ان كل ما تطلب من الله يعطيك الله اياهُ". كان ايمانها بيسوع قويًا لكن غير كامل. لانهُ لما قال لها "سيقوم اخوكِ" لم تفتكر بانهُ يقيمهُ الآن. بل انهُ سيقوم مع سائر المؤمنين "في اليوم الاخير". فاكرم السيد ايمانها مع ضعفهِ كما يفعل على الدوام. وذلك باعلان فائق من اجلّ ما فاه بهِ ومن اعظم النطق البشري. اذ قال لها "انا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حيًا وآمن بي فلن يموت الى الابد". في توجيه هذا الكلام الكبير لامرأة جدّد برهان اكرامهِ الشريف لجنس النساء. وهذا الاكرام قد اصبح قاعدة اساسية للتمدن والرقيّ. ومن مقتضيات الدين الحق

لكن مَن غير الله ينسب الى نفسهِ صدقًا ان الموت والحياة يتوقفان على الايمان بهِ؟ وانهُ هو الحياة وهو القيامة؟ ومن يستطيع ان يصف او يدرك مقدار التعزية التي حصلت للمؤمنين من هذا الكلام منذ لفظ بهِ يسوع الى هذا اليوم. وستحصل في المستقبل الى ان يجيء المتكلم بمجيئهِ الثاني العتيد المجيد ويقيم بصوتهِ جميع الذين في القبور؟ لما سأل يسوع مرثا "أتؤمنين بهذا؟" أجابت "نعم يا سيد أنا قد آمنت انك انت المسيح ابن الله الآتي الى العالم". فكان كلامها الاول زهر الايمان وهذا الثاني ثمرهُ الذي نضج سريعًا

عند ذلك طلب يسوع ان يرى اختها ايضًا. فانتظر حيث كان بينما أسرعت مرثا الى البيت واخبرت مريم سرًا بطلب يسوع. فلما قامت هذه حالاً وخرجت تبعها المعزّون لظنهم انها تحتاج الى من يلطّف حزنها ويوقّف بكاءها عند قبر اخيها. فكان لعملهم هذا فائدة جلّى. اذ بذلك شهد خصوم يسوع على غير قصدٍ منهم اعجب معجزاتهِ كافّةً. وبعد ان عاينوا اقامة لعازر من قبرهِ يستحيل عليهم الشك او الانكار

تخصّص هذا الموكب الوقور سائرًا بسرعة من البيت الى الجبانة تتقدمهُ الاختان الحزينتان. ثمّ ارتباك هؤلاء اليهود اذ بُغتوا برؤية المعلم الذي

يبغضونهُ ويطلبون موتهُ ورأوا المرأة التي يتبعونها تجهد عند قدميهِ . وتصرخ كما صرخت اختها قبلها "يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي". وهو كلام كانتا بلا شك تردّدانهِ كثيرًا في الايام الاربعة الاخيرة(١). ليس في كلامها ملامة لتأخُّر يسوع في المجيء . لان اخاها مات يوم ذهاب رسولها . فلم تقولا "لو جئت" بل "لو كنت ههنا". تكلمت مريم ثم انفجر نبع بكائها وبكاء اختها وبكاء الذين رافقوها حتى اصبح المحل ساحة بكاء وعويل

فتهيجت عواطف يسوع الرقيقة . "وانزعج بالروح واضطرب"(٢). ثم سأل عن محل الدفن ليس عن جهل لكن لانهُ لا يريد ان يظهر معرفتهُ في الغيب دون موجب لذلك . اذ يقصد بالاكثر ان يعرفهُ الناس كابن الانسان . فاجابوهُ "يا سيد تعال وانظر". فمشى معهم ودموعهُ تتساقط بهدوء حتى قال اليهود "انظروا كيف كان يحبهُ"(٣). ربما تتعجب كيف بكى مع انهُ كان ذاهبًا ليقيمهُ من قبرهِ ويردّهُ الى بيتهِ . فلماذا لم يكن مبتهجًا ؟ لا يبتهج ما دام احباؤهُ مكتئبون . بل يقدّم للعالم قدوة المؤاساة اللطيفة الصادقة . فيبكي مع الباكين كما يفرح مع الفرحين(٤) . بكى لانهُ رأى في هؤلاء الباكين مثالاً لبكاء البشر اجمالاً . بكى لشعورهِ مع البشر في مصائبهم التي لا تحصى . فتعجب الرؤساء الحاضرون كيف لم يستعمل هذا الباكي قدرتهُ

---

(١) المسافة بين بيت عنيا الشرقية والغربية سفر يوم فان اعتبرنا ان لعازر مات يوم وصول الرسول اليهِ يكون ذلك اليوم مع اليومين اللذين قضاهما يسوع في محلهِ ثم اليوم الذي سافر فيهِ الى بيت عنيا اليهودية اربعة ايام وذلك من حين موت لعازر الى حين وصول يسوع الى القبر (٢) المعنى الاصلي للكلمة اليونانية انزعج هو اغتاظ . فيخال لنا ان المقصود اعلان شعائر الغيظ في قلب يسوع على عدوهِ ابليس الذي شخّصهُ امامهُ في هذه الساعة كما كان يفعل كثيرًا لعلمهِ انهُ السبب الاعظم للشقاء والبكاء والموت في العالم (٣) نجد ان كلمة بكى في هذه الآية في الاصل اليوناني تفيد البكاء الهادئ . بينما الكلمة عن بكاء الآخرين تفيد البكاء المصحوب بالعويل . ولما بكى يسوع على اورشليم كان بكاؤهُ بصوت مسموع وليس البكاء بسكوت (٤) رو ١٢:١٥

المعهودة في شفاء شخص يحبهُ بهذا المقدار. وكان قد شفى امام اعينهم من مدة قصيرة انساناً غريباً في اورشليم وُلد اعمى. فكيف لم يشفِ حبيبهُ لعازر ويمنع عنهُ الموت؟

لما أتوا الى القبر تجدد انفعال يسوع ثانيةً بانزعاج الغيظ. ولا موجب لذلك الاَّ على الفرض المعقول انهُ زاد اقترابًا عند القبر من خصمهِ الروحي ابليس ومن المصارعة القوية معهُ لخطف فريسة الموت من قبضتهِ. لانهُ يقابلهُ الآن في امنع معاقلهِ اي القبر. وكان على باب المدفن حجر كبير يقتضي رفعهُ. وبما ان هذا باستطاعة الواقفين لا يفعل يسوع ذلك بمعجزة. ولو كانت تؤول لتعظيمهِ وادهاش الحاضرين وفشل خصومهِ. لما أسكت البحر الهائج بكلمة فعل ما كان مستحيلاً دون معجزة. اما الآن فأمر الحاضرين ان يرفعوا الحجر. وفي ذلك مرآة للخلاص. لا يجوز ان يتوقف الخاطئ عن العمل المطلوب منهُ محتجًا انهُ ينظر العمل الالهي العجيب. بل كما اوقف يسوع اقامة الميت على دحرجة الناس الحجر يوقف تخليص النفس على فعل الخاطئ في التوبة والايمان

اما صاحبة الكلمة في امر التقيد فاعترضت على رفع الحجر عن باب القبر بدافع الشك والاحتشام لانها استنكفت الاشراف على جسد اخيها بعد ان بدأ فيهِ حسب زعمها الفساد والفناء. وقالت "يا سيد قد انتنَ لان لهُ اربعة ايام"(١). فقابلها يسوع بتوبيخ لطيف في جوابهِ. "ألم أقل لك ان آمنتِ ترين مجد الله"؟

ولما فتحوا باب القبر كان عمل يسوع الاول تحويل افكار الحاضرين الى الجالس على عرش الكون – ابيهِ الذي هو مرتبط معهُ ارتباطًا خوَّلهُ حق

(١) يخطر على البال عند قولها "اربعة ايام" العقيدة السائدة عند يهود ذلك العصر ان الروح ترفرف حول جسد الميت ثلاثة ايام تحاول العود اليهِ وان مرثا تشير الى انهُ قد مضى الوقت الذى ضمنهُ يوجد بعض الرجاء برجوع النفس الى الجسد الذي فارقتهُ

القول في وقت آخر "انا والآب واحد". فلا يرضى ان يتصوَّر احد الحاضرين انهُ يعمل عملاً مستقلاً عن الآب. ولبيان اشتراك الآب معهُ في ما سيعملهُ الآن رفع عينيهِ الى فوق وقال "ايها الآب اشكرك لانك سمعت لي". ثم لكي لا يتصوَّروا انهُ يصلي كأحد الانبياء الذين ينالون احيانًا ما يطلبونهُ واحيانًا لا ينالونهُ قال في صلاتهِ "انا علمت انك في كل حين تسمع لي". ولكي لا يظنوا ان صلاتهُ كانت لاحتياج فيهِ كانهُ عاجز في ذاتهِ قال "ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك ارسلتني". والقاعدة لكل من يريد ان يخاطب موتى الذنوب والخطايا ان يخاطب الله اولاً في الصلاة لاجلهم كما فعل يسوع في هذه الساعة

ثم عند نهاية صلاتهِ صرخ بصوت عظيم قائلاً "لعازر هلمَّ خارجًا".

الصوت العظيم يُشعر الحاضرين بعظم العمل وصعوبتهِ. ويذكِّرهم ان النفس غير موجودة في هذا القبر وانهُ يناديها عن بعد من وراء القبر[1]. فعند هذا الصراخ السلطاني خرج الميت من قبرهِ لابسًا اكفانهُ التي قيَّدت حركاتهِ. فامرهم يسوع "حلُّوهُ ودعوهُ يذهب". فصحَّت الآن النبوَّة التي نطق بها يسوع يوم شفى عليل برَكة بيت حسدا وقام عليهِ اليهود ليقتلوهُ قائلاً "الحق الحق اقول لكم تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون"[2]

من موجبات تصديق خبر اقامة لعازر برمَّتهِ خلوُّهُ من تفاصيل تختص بالتحيات والحديث بين لعازر بعد قيامتهِ ويسوع واختيهِ والآخرين. ومن كل اشارة الى ما اخبرهُ مدَّة افتراق نفسهِ عن الجسد المودع في القبر[3]. لانهُ لا يصدَّق ان خبرًا مختلقًا كلهُ او بعضهُ يهمل امورًا كهذه

---

(١) ما عدا مرة واحدة وردت في تاريخ ايليا نجد ان الصوت الالهي يعبر عنهُ كصوت قوي يشبَّه غالبًا بصوت البوق او الرعود (٢) يو ٥:٢٥

(٣) تقول التقاليد ان لعازر عاش بعد قيامتهِ ثلاثين سنة

النور عند ظهورهِ يقسم الموجودات الى نظيفة وقذرة . وكل ما اشتدَّ النور تجلي هذه القسمة اكثر فاكثر . فلما ظهر نور سلطان يسوع وصلاحهُ انشقَّ الجمهور الحاضر الى شطرين . كثيرون منهم آمنوا بهِ . ولكن قوم منهم مضوا الى الفريسيين ليهيجوهم ضدهُ . فصحَّ في هؤلاء قول يسوع السابق "ولا ان قام واحد من الاموات يصدَّقون"

كانت هذه المعجزة حينئذٍ قطع برهان لصحة ارسالية يسوع السماوية وصدق تعليمهِ . واكفى اثبات لاقناع كل من عندهُ قابلية للاقتناع بالحق . ومع ذلك فالاكثر لم يؤمنوا (١) . بل ازدادوا قساوةً وبغضًا بتأثير رؤسائهم هذا البرهان القاطع . وقصدوا ان يكذّبوا قولهُ انهُ القيامة ومانح الحياة بقضائهم عليهِ بالاعدام

فعقد هؤلاء المتقدمون في الشعب مع رؤساء الكهنة جلسة خصوصية لمجمعهم الكبير للنظر في الظروف الجديدة التي اوجدتها إقامة لعازر من قبرهِ فاعترفوا انهُ كان يعمل آيات كثيرة . فان تركوهُ يؤمن بهِ الجميع بتأثير شخصهِ وتعليمهِ وآياتهِ . وانهُ يخشى من هذه الحركة حدوث فتنة سياسية ضد الحكم الروماني تحرّك غضب الحكام وتجعلهم يهلكون الامة او يبددونها بالسبي وكانت هذه الجلسة توفيقًا عظيمًا للدعوة المسيحية . لانها اتت بشهادة جلية من خصوم يسوع

في غضون الجلسة تكلم رئيسها قيافا (رئيس الكهنة) كلامًا نبويًا أنطقهُ بهِ الروح الالهي على غير فهم منهُ . قال "انتم لستم تعرفون شيئًا ولا تفكّرون انهُ خير لنا ان يموت انسان واحد عن الشعب ولا يهلك الامة كلها" . قصد قيافا في كلامهِ نصيحة ان يقتل يسوع لئلا يهلك الامة بسببهِ . وقصد الروح

(١) الفيلسوف اليهودي الشهير سبينوزا من اعظم قوّاد القائلين بوجود اللاهوت في كل الموجودات . وقال مرةً "لو اقتنعت باقامة يسوع لعازر من الموت لكنت اترك كل فلسفتي واعدّها باطلة واتبع بكل رضى المذهب المسيحي على علاتهِ

الذي تكلم بوا طنه ان يبين ان موت يسوع كان كفّارة عن الامة وليس عن الامة فقط بل "ليجمع ابناء الله المتفرقين الى واحد"

قيافا واكثر روّساء الكهنة كانوا صدوقيين ينكرون القيامة وعالم الارواح. لذلك كانت اقامة لعازر من الموت ضربة موْلمة جدًّا. لانها اعلنت للعموم ببرهان قطعي فساد تعليمهم. وهذا ما قوّى اتحادهم مع خصومهم الفريسيين لاهلاك يسوع. ولا غروَ ان مهدت كثيرًا هذه القيامة الطريق لتصديق قيامة الذي اقام لعازر التي حدثت بعد شهرين. ولاسيما الان يسوع لم يرقد في قبره المدة التي رقدها لعازر في قبره[1]

لم يصبر المجمع الى جلسة اخرى بل ربطوا في ذلك اليوم بقرار رسمي القصد القديم بقتل يسوع الذي حاولوا تكرارًا اتمامه لكن عبثًا[2]. واخذوا يسعون من الآن وصاعدًا بموجب مستند رسمي مصدّق من المجمع الذي لا يُستأنف حكمه[3]. لذلك انسحب يسوع وقتيًّا مع تلاميذه من دائرة الخطر واقام في مدينة يقال لها افرايم على اطراف البرية شرقي اورشليم[4]. ولم يعد الروّساء يعرفون اين يجدونه. وكان لهذا القرار اهمية عظمى لانه الخطوة الاولى الرسمية في انتحار الامة الاسرائيلية والاعلان الاوّل الرسمي من روّساء الكهنة بان يُذبح "حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم"

---

(٢) هذه هي آخر معجزات يسوع التي صنعها امام العموم. وبحسب سكوت البشيرين الثلاثة غير يوحنا عن ايراد خبر هذه المعجزة دليلًا على انه لما كتبوا كان احد افراد هذه العائلة لا يزال حيًّا. فلم يوافق اشهار هذا الحادث عنهم. ولكن لما كتب يوحنا لم يكن هذا المانع (٣) انظر مر ٣:٦ ويو ٥:١٦—١٨ و ٧:٢٥ و ٢٢ (٣) يوجد في تلمود اليهود قول بان الحرم الكبير قد أعلن على يسوع بصوت ٤٠٠ بوق قبل قتله باربعين يومًا حسب مقتضى النظام لاجل اعطاه فرصة لظهور الشهود في قضيته (٤) موقع مدينة افرايم لا يزال مجهولًا الّا ان البعض يظنون انها قرية الطيبة التي تبعد عن اورشليم اقل من سفر يوم كامل

الفصل التاسع والثلاثون

(مت ١٩:٤ – ٣٠:٢٤ و٣٦:٦ – ١٢ مر ١٠:٢ – ٥٢ و١٤:٤ – ٩)
(لو ١٧:١١ – ١٩:٢٨ يو ١١:٥٥ – ١٢:١١)

(المرصع) ف ٣٥ – ٣٨ (الزمان) اذار السنة ٣٠ م.
(المكان) بيريَّة – اريحا – بيت عنيا

تطهير العشرة البرص . اتيان الملكوت . الفريسي والعشار . سنَّة الطلاق . مباركة الاطفال . الرئيس الشاب الغني . مَثَل فعلة الكرم . اتيانهُ الثالث بموته وقيامته . طموح امرأة زبدي وابنيها . أعميا اريحا . زكا العشار وضيافتهُ وتغييرهُ . الوصول الى بيت عنيا والعشاء والدهن بالطيب . المؤامرة على لعازر

رجع يسوع الى اورشليم لان عيد الفصح (ميعاد تقديم الذبيحة الكفارية) صار قريبًا. فاستقبلهُ في قرية مرَّ بها عشرة رجال برص كان احدهم سامريًّا[1]. ولا يخفى ان المصايب تجمع الخصوم. فمراعاةً للقانون واللياقة لبثوا بعيدًا وصرخوا "يا يسوع يا معلم ارحمنا"

في بداءة خدمة يسوع اقتضى ان يلمس البرص الذين طهَّرهم. لان في ذلك بيان حنانهِ وتفضيلهِ الرحمة على الفرائض الخارجية. اما الآن وقد اشتهر كل ذلك فلا حاجة الى هذا اللمس. فاقتصر مع هؤلاء العشرة على الامر ان يُروا ذواتهم للكهنة في اورشليم بيانًا على انهم طهروا[2]. فاطاعوا حالاً قبل

(١) الابرص اليهودي نجس فلا تجب مخالطة سامري ابرص في منفاها في البراري
(٢) انظر ف ١٦

ان يروا من التطهير شيئًا . لذلك اكرم يسوع ايمانهم الذي اثمر بالطاعة . وفيما هم سائرون طهروا . اما التسعة اليهود فلم يبالوا بالذي قدّم لهم هذه الرحمة فتابعوا سيرهم نحو اورشليم . لكن السامري الغريب تأثّر من احسان لم يتوقعهُ فرجع وهو يمجد الله بصوت عظيم ليقدّم الشكر اولاً للذي انقذهُ من العار والخطر والنفي وحرمان الحقوق الدينية . وجثا عند قدمَي يسوع . فنال جزاءهُ تلك الكلمة الثمينة "ايمانك خلّصك". ألا يمثّل هذا الحادث اكثر التاريخ البشري؟ وهل يؤدّي اكثر من واحد في العشرة شكرًا لله على مراحمهِ الوافرة ؟

بعد هذا سألهُ الفريسيون "متى يأتي ملكوت الله"؟ فاجابهم بحقيقة اساسية متعلقة بملكوتهِ . انهُ لا يقال عنهُ في مكان او زمان خصوصي . او ان هيئة او طائفة او كنيسة خصوصية هي ملكوت الله. بل "ها ملكوت الله داخلكم". اي انهُ يؤلّف من القلوب التي هو حالٌّ فيها وحاكم عليها

ثم صوّب كلامهُ الى تلاميذهِ الحالمين بالملكوت الزمني. واشار مرّة اخرى الى ما امامهُ من الآلام الكثيرة والرفض . وتكلم عن مخاوف اليوم الذي فيهِ يظهر ابن الانسان . لان ذلك اليوم يذكّر العالم باهوال الطوفان العظيم وتدمير سدوم وعمورة بالنار والكبريت . حيث تمسي الامة اليهودية جثة بالية تنقضُّ عليها النسور الرومانية وتنتنصها (١)

اكمل كلامهُ للتلاميذ بتقديم مثل القاضي الظالم ليعلمهم المداومة واللجاجة في الصلاة . لانهُ ان كان القاضي الظالم يلبي طلب ارملة للجاجتها وينصفها فكم بالحري ينصف قاضي الكون العادل كل من يجدّ في الاستنجاد بهِ اذ ان اللاجئين اليهِ بايمان هم مختارهُ

وبعد ذلك جدّد كلامهُ للفريسيين ليريهم صورتهم في مثل ثانٍ متعلق بالصلاة . فشخّص لهم مصليًا فريسيًا معتدًا بنفسهِ يشكر الله في الهيكل في ساعة

(١) كان النسر شعار المملكة الرومانية ويوضع فوق كل رايتهم الحربية

الصلاة لامتيازه في الفضائل . وعشّارًا يصلي في ذات الوقت والمحل متواضعًا عند مدخل الهيكل ورأسهُ المنحني يدل على خشوعهِ . وقرعهُ على صدرهِ يبيّن حزنهُ على آثامهِ . وكلامهُ يشفّ عن ايمانهِ بقولهِ "اللهمّ ارحمني انا الخاطئ" . ألم يقل الكتاب ان "ذبائح الله هي الروح المنكسرة . القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره"(١) فنزل العشّار الى بيتهِ مبرّرًا دون الفريسيّ . "لان كل من يرفع نفسهُ يتضع ومن يضع نفسهُ يرتفع"

بعد هذا اتاهُ الفريسيون بسؤال عدائي في امر الطلاق . ومع ان عندهم قضاء الشريعة الموسوية تظاهروا باكرامهِ واعطائهِ الحق كما فعلوا قبلاً(٢) ليثبّت او يلغي تلك الشريعة . فاعاد الحكم للشريعة . ولما حجّوهُ ان الشريعة تجيز الطلاق بشرط ان يتم رسميًا ويثبّت بصك قانوني اجابهم ان هذا كان تساهلاً بالنظر الى قساوة قلوبهم . وسلّم ان الله اعطاهم اولاً شريعة اقتصرت على ما يحتملونهُ لكي يحرّرهم من فساد عوائد الامم حولهم . ويقودهم تدريجًا الى الوضع الالهي الاصلي الذي قضى ان تكون امرأة واحدة لرجل واحد(٣) . لكن نظام ملكوتهِ الجديد لا يجيز الطلاق الاّ لعلة الزنا . ومتى أُجري الطلاق على هذا القانون لا يجوز ان يتزوج المجرم فيما بعد

فلما سمع تلاميذهُ هذا القانون الضيّق بالنسبة الى ما تعوّدوهُ قالوا "ان كان هذا امر الرجل مع المرأة فلا يوافق ان يتزوّج" . فاظهر لهم ان الامتناع الحسن عن الزواج هو الذي يكون لاجل ملكوت الله

وعلى اثر هذا الكلام في العلاقة العائلية فاه بكلام جميل يختص بالاطفال . لان الازدراء بالصغار ساد كثيرًا في كل اقسام العالم . وكل ما يُرى من اهتمام الاهل باطفالهم لا ينافي هذا الحكم طالما هو من النوع الذي يشترك فيهِ المتوحشون والحيوانات ايضًا . فالمخلّص العمومي لا بدّ ان يهتم بهذا القسم

(١) مز ٥١: ١٧ (٢) في قضية المرأة الزانية ف ٢٢ (٣) اتخذ اليهود الساهل الموسوي حجة للساهل الادبي فتوغلوا كثيرًا في الشرور الناجمة عن ذلك

العظيم من النوع البشري . وكان تكريمهُ للاطفال من اهمّ امتيازاتهِ . جاءهُ في هذا الوقت اناس يقدّمون اطفالهم "ليضع يديهِ عليهم ويصلي"(١) لانهم اشتهوا لاطفالهم بركة هذا النبي الكلي الطهارة والمقدرة . لكن الرسل ظنوا ان يقوا سيدهم من الانزعاج ببيانهم لهولاء ان مهمة يسوع اعظم من ان تسمح لهُ بان ينظر الى امر طفيف كهذا . فانتهروهم ليذهبوا عنهُ

اما هو فاغتاظ بسبب هذه المعاملة الخشنة الدالة على البَون العظيم بين مشربهِ ومشرب رسلهِ ومعاصريهم وخطّأهم في ذلك . وفي غيظهِ كما في رضاهُ كانت تبرق جواهر الحكمة الالهية . لانهُ في تبكيتهِ رسلهُ لفظ تلك العبارات المؤثّرة التي يتعلمها كل ولد مسيحي ولا يقدّر تأثيرها في العالم منذ ذلك الوقت وهي "دعوا الاولاد يأتون اليّ ولا تمنعوهم لان لمثل هولاء ملكوت السموات". وصرّح بانهُ لا يدخل احد ملكوت السموات ان لم يرجع ويصِر مثل ولد (٢)

اننا نوقن بان فداء يسوع يعمّ جميع الاطفال الذين يموتون في الطفولية في كل الاجيال على اختلاف احوال اهلهم الدينية والمدنية. وبناء على هذا ما اكثر الجمهور البشري الذي ينضمُّ الى الجيش السماوي مقابل العدد الغفير من البالغين الذين يموتون في خطاياهم

وفيما هو خارج الى الطريق جاءهُ رئيس يهودي غني جدًّا وجثا لهُ كما فعل زميلهُ في كفرناحوم(٣). كل الامارات تدل على انهُ أتى باخلاص ليستفهم منهُ عن طريق الخلاص . واكرمهُ بقولهِ "ايها المعلم الصالح . اي صلاح اعمل لارث الحياة الابدية"؟ . فاجابهُ صريحًا بخلوّ كل بشر حتى اصلحهم من الصلاح الكامل . وانهُ لا يجوز نسبة ذلك الاّ الى الله وحدهُ . فبما ان هذا الرئيس يعتبر يسوع معلمًا بشريًا فقط تكون تسميتهُ اياهُ معلمًا صالحًا خطأً

(١) لا يُعرَف من كلام البشير هل كانوا رجالاً او نساء او من الجنسين

(٢) مت ١٨:٣ (٣) اتاهُ يايرس يطلب دنيوي اي شفاء ابنتهِ الوحيدة اما هذا فيطلب روحي

سأل اي صلاح يعمل لكي يرث الحياة الابدية. فافادهُ يسوع ان الصلاح الذي يؤدي الى الحياة الابدية هو الصلاح الكامل فقط. وهذا معقول. لان الصك مثلاً الذي فيهِ علَّة واحدة يفسد كلهُ. قال الرسول "من حفظ الناموس كلهُ وانما عثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل"(١). ولما ادَّعى الرئيس انهُ حفظ الناموس كلهُ منذ حداثتهِ نظر اليهِ يسوع واحبهُ لاخلاصهِ واجتهادهِ. وعلى رغم جهلهِ الحقيقة ان حفظ الناموس المقبول عند الله هو الحفظ الروحي لا الحرفي. ولكي يكشف لهُ ذلك امتحنهُ بقولهِ لهُ "يعوزك ايضًا شيءٌ واحد. ان اردت ان تكون كاملاً فاذهب وبع املاكك واعطِ الفقراء. فيكون لك كنز في السماء. وتعال اتبعني حاملاً الصليب"

روح وصايا الله ومخصها هو محبة الله فوق كل شيء ومحبة القريب كالنفس. فان كان هذا الرئيس المدَّعي قد حفظ الوصايا كلها فلا يصعب عليهِ الامتثال لِما امرهُ بهِ يسوع. لكنهُ اثبت على نفسهِ بطلان ادّعائهِ. لانهُ اغتمَّ على هذا القول ومضى حزينًا. لانهُ كان ذا اموال كثيرة. وبهذا اثبت انهُ يحب مالهُ اكثر من الله وان المال هو ربهُ الحقيقي. احبهُ يسوع ولما لحظ ان هذا احزنهُ أسف جدًّا لتفضيلهِ المال على ملكوت السموات

ان ملكوت الله يؤسس في هذه الحياة. والذين يدخلونهُ يدخلون في حياتهم الارضية وقاعدتهم ان تكون كل متنياتهم مكرَّسة للملك. فمتى طلب منها شيئًا يقدَّم برغبة وسرور. فيزول بذلك كل تذمُّر مسبَّب عن فقر او خسارة مادية. ومَن كان قلبهُ معلقًا بامور الدنيا لا يجد في السماء ما يلذّ لهُ. وليس لهُ كنز هناك. فذهابهُ الى السماء يكون عبثًا فضلاً عن كونهِ مستحيلاً

بمناسبة هذا الحادث نادى يسوع تلاميذهُ باسم جديد قائلاً "يا بنيَّ ما اعسر دخول المتكلين على الاموال الى ملكوت الله". ولكي يبين انهُ ليس فقط

(١) يع ٢: ١٠

عسرًا بل مستحيلاً قال ان "دخول جمل من ثقب الابرة ايسر" من ذلك. ولما اعترض التلاميذ بقولهم "اذًا من يستطيع ان يخلص" افهمهم ان ترك محبة الدنيا مستحيل على الطبع البشري الساقط. انما كل شيء مستطاع عند الله. فمتى غيّر الروح الالهي التدبير قلب محبي المال يستطيعون ان يدخلوا الملكوت الروحي

حرّك ذكر المال بطرس ليقول. "ها قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا"؟ يضاف هذا السؤال الى هفواته الاخرى المدونة في الكتاب. فاجابهُ يسوع بما يفيد انهم ينالون التفاتًا خصوصيًا من العناية الالهية في هذه الدنيا مرافقًا باضطهادات لامتحان ايمانهم وزيادة ثوابهم. ثم في الدهر الآتي يرثون الحياة الابدية. وفي هذه القرينة اعاد ما قالهُ سابقًا وسيقولهُ ثالثةً بعد حين ان كثيرين اوّلون يكونون آخرين والعكس بالعكس. وأيّد ذلك بمَثَل فَعَلَة الكرم الذي مفادهُ ما يأتي

في ساعات مختلفة من النهار استأجر صاحب كرم فعلة بحيث ذهب الاخيرون قبل نهاية النهار بساعة واحدة. وشارط الذين ابتدأوا في اوّل النهار باجرة دينارًا واحدًا[1]. اما للاخيرين فقال. "أعطيكم ما يحق لكم". وعند المحاسبة في آخر النهار استحسن ان يساوي بينهم. فامر وكيلهُ ان يحاسب الاخيرين اولاً ويعطيهم اجرة نهار كامل. فولّد هذا الكَرَم آمالاً فارغة في الاوّلين الذين ظنوا انهم يأخذون اجرة اكثر بالنسبة الى ساعات شغلهم. فلما أُعطوا دينارًا واحدًا حسب الشرط تذمّروا. فوبخهم صاحب الكرم وذكّرهم ان لا يحق لهم ان يحكموا عليهِ كيف يتصرّف بمالهِ. ولا ان يحسد الذي يأخذ كامل حقوقهِ مَن يأخذ اكثر من حقوقهِ

في هذا المثل مثالة دائمة تبين خطأ الذين يتذمرون بسبب نجاح الآخرين اكثر منهم. وبسبب عدم المساواة في المعاملة الالهية. وكل عاقل يعلم ان

(1) الدينار يساوي نحو اربعة غروش تركية وهو الاجرة اليومية عندهم

انفس الناس في العالم عندهُ من الخيرات الزمنية والرحمة الالهية فوق ما يستحق تجاه المولى عزَّ وجلَّ. وانهُ بالنظر الى المعاملة الالهية لا يوجد في كل المسكونة مظلوم واحد. ولهذه المثالة حاجة وفائدة في كثير من المعاملات البشرية ايضاً

وفي سيرهِ نحو اورشليم في مقدمة تلاميذهِ زاد شجع الصليب وضوحاً في مخيلتهِ. وزاد شعورهُ بثقل خطايا العالم التي اتى ليكفّر عنها. فتغيرت هيئتهُ وحركاتهُ وخامر رفقاءهُ الخوف من ذلك. فانفرد بهم وانبأهم ثالثةً بآلامهِ وموتهِ باكثر تفصيلاً من قبل. وبما انهم سيكونون معهُ متى داهمتهُ تلك الحوادث المخيفة فهو لا يريد ان يرافقوهُ الاَّ باختيارهم مع علمهم بما سيكون. فاوضح لهم انهُ يسلَّم اولاً لرؤساء الكهنة وللكتبة فيحكمون عليهِ بالاعدام. ثم يسلمونهُ للامم خلافاً لنظامهم الملي. ويكون نصيبهُ الاستهزاء والجلد والشتيمة والبصق عليهِ. وفي الآخر الموت صلباً ثم يقوم في اليوم الثالث

ومع كل هذا الايضاح اتاه البرهان حالاً ان كلامهُ ذهب ضياعاً اذ لم يفهموا ما قيل. لانهُ تقدَّم اليهِ التلميذان المتازان يعقوب ويوحنا مع والدتهما التي سجدت لهُ احتراماً كأنها تريد تطلب شيئاً. ولما سألها ماذا تريد طلبت ان يكون لابنيها المقام الاوَّل. متى جلس على عرشهِ في ملكوتهِ العتيد. فيجلس احدهما عن يمينهِ والآخر عن يسارهِ كوزيرين[1] وكانت سالومة واثقة بانها تنال طلبها من ابن اختها ولاسيما انها تركت بيتها وتبعتهُ مع رسلهِ في اسفارهم وخدمتهم من مالها. ولانها لاحظت امتياز ابنيها في بيت يايرس وعلى جبل التجلي

ان الانسان لا ينال الاكرام بمجرَّد الطلب بل بالاهلية لهُ. فالتضحية وانكار الذات هي باب الاكرام الالهي لا الطمع والطموح. لذلك قال يسوع لرسولَيهِ "لستما تعلمان ما تطلبان". فهل انتما مستعدَّان نظيري لشرب كاس الآلام

(١) في هذا الطلب دليل كافٍ ان يسوع لم يمنح بطرس في كلامهِ القوي وقت التجلي او رياسة مقاماً ممتازاً والاَّ فلا يتصوَّر ان سالومة تجاسر ان تصرف النظر عن ذلك

والاصطباغ بالموت المهين ؟ فلما اجابا دون تروٍّ "نستطيع" اكد لهم ذلك . اما الامتياز في ملكوتهِ فمحفوظ فقط للذين اعدَّهُ الآب لهم وليس لهُ كابن الانسان ان يهبهُ

وكانت نتيجة هذا الحادث اضطرارهُ لتوبيخ سائر الرسل على الغيظ الذي تحرَّك في قلوبهم بسبب طلب الاخوين ووالدتهما . ومع انهُ سيدهم لم يأتِ "ليُخدَم بل ليَخدِم وليبذل نفسهُ فديةً عن كثيرين" . فالروح الذي في المعلم يجب ان يكون ايضاً في التلميذ . قال "من اراد ان يصير فيكم اولاً فليكن للجميع عبداً" . فمتى اتخذ كل رئيس صفة الخادم وعملهُ امتثالاً للسيد المسيح نرى سريعاً تعميم الخير الروحي والصلاح في العالم

ولما بلغ يسوع ورفقاؤهُ مدينة اريحا[1] كان قد زاد الجمهور بسبب الحجاج القادمين من انحاء مختلفة . وعند خروجهم من المدينة سأل اعميان جالسان يستعطيان على الطريق ما عسى ان يكون هذا الجمهور . ولما علما ان يسوع الناصري مجتاز تحرَّكت فيهما آمال جديدة لا تتعلق بالاحسان المعتاد بل بالشفاء[2] . فصرخا "يا يسوع ابن داود ارحمنا" . ولم يكن انتهار الجمهور اياهما ليسكتا الاَّ ليزيد احدهما ابن تيماوس حماسةً في استنجادهِ بابن داود كما يزيد صد المياه الجارية اندفاعها . لان هذا الضرير صرخ اكثر كثيراً "يا سيد يا ابن داود ارحمني"

فامر يسوع ان يقدَّم الصارخ اليهِ وابلغهُ ذلك اناس من اصحاب المروءة والاشفاق . فمن شدة فرحهِ طرح رداءهُ عنهُ تسهيلاً لسرعة سيرهِ نحو يسوع . ولم يهمهُ مصير ردائهِ المتروك بين هذا الجمهور . وان ضاع لا يسال عن هذه الخسارة الطفيفة بالنسبة الى ما يراهُ بعين الايمان مما سيربحهُ من هذا المحسن القدير . فحنن يسوع ولمس اعين الاثنين فابصرا وتبعاهُ في الطريق بمجدان

(١) انظر ف ٢٢ (٢) خص مرقس ولوقا احدهما تاركين ذكر الآخر وسماهُ مرقس بارتيماوس اي ابن تيماوس . اما متى فذكر الاثنين وليس بين الخبرين مناقضة

الله ويحرّكان في الجمهور ايضاً تمجيداً لله وتمسكاً بيسوع . فبرتيماوس هذا يصلح ان يكون معلماً لكل من يسمع نداء الانجيل ليتعلم الازدراء بكل ثمين يعيقهُ عن الاسراع الى المخلص لأجل البصر الروحي والخلاص

وفي يوم آخر دخل اريحا . كان قد دخلها يسوع[1] قبل هذا الوقت بنحو ١٥٠٠ سنة مع جيشهِ المنتصر . وخلّص بيت راحاب الخاطئة التي قدمت التوبة والايمان . ويسوع الناصري يدخلها الآن ويعطي الخلاص لبيت عشار خاطئ يقدم مثلها التوبة والايمان وهو زكّا الغني ورئيس العشارين الذي لا بد ان يكون قد علم بما اشتهر عن فتح يسوع للعشارين باب التوبة والخلاص[2] . لكن القرائن تتفق مع قول البشير ان قصدهُ كان بسيطاً لا دينياً . اذ "طلب ان يرى يسوع **من هو**"

فلما تعذّر عليهِ التفرّج على هذا الشخص الشهير بسبب قصر قامتهِ والجمّ الغفير حولهُ فطن بجميزة تمتد اغصانها فوق الطريق العامة . فركض وصعد اليها ليرى يسوع . يُنتظَر ان جمهور المدينة عندما يرى هذا العشار الغني بين اغصان الجميزة فوق الطريق العام يستهزئ بهِ كثيراً . فعدم مبالاتهِ بذلك دلّ على مزيد اجتهادهِ الذي كافأهُ عليهِ يسوع عندما وصل الى تحت الجميزة . لانهُ اوقف الجمهور هناك وناداهُ باسمهِ وامرهُ ان ينزل بسرعة ويستقبلهُ في بيتهِ . قصد يسوع بذلك ان يفعل فعلاً روحيًّا مهمًّا في هذا الشخص . لان مهنتهُ ورياستهُ وغناهُ وصفاتهِ وتصرفاتهِ الماضية تجعلهُ من ابعد الناس عن ملكوت الله . ولذلك بدلاً من ان يبقي الباب مفتوحاً ليُدعى من احد الاباء الصالحين او رؤساء الدين ليمكث عندهُ اختار بيت هذا العشار . ولم يكترث لتذمّر الجمهور الذي معهُ بسبب ما فعل

أو لم يتلئ كاس سرورهِ لما وقف زكا امامهُ وامام الحاضرين في بيتهِ

(١) يشوع بن نون خادم موسى وخليفتهُ (٢) انظر الشرح في العشارين واحوالهم في ا ف ٧ و٢٧

واعلن توبته وثمرها، قال "ها انا يا رب اعطي نصف اموالي للمساكين. وان كنت قد وشيت بأحد اردُّ اربعة اضعاف". فالذي ابى ان يفعله الرئيس الغني الفريسي[1] الذي ادّعى بالامس انه حفظ الوصايا كلها فعله الآن الرئيس الغني العشار المرفوض عند ذلك الفريسي. لان التدبير غيّر قلبه فاستطاع المستحيل وأمات حب المال من قلبه فمرّ الجمل في ثقب الابرة بدخول غني الى ملكوت السموات

فحقّ ليسوع التصريح الآن بأن هذا الرجل صار من اهل الخلاص. وكرّر بأن "ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك". مع ان ذكر شخص زكا قد انطفأ بعد هذه الضيافة لا يزال حيًّا الى آخر الزمان[2] وهو مثال الذين لا يدعون مانعًا يصدُّهم عن الاتيان الى المخلص. والذين يجددون فجأة ويقدّمون حال تجديدهم برهانًا قاطعًا بصحة تجديدهم لان ايمانهم يثمر في اعمالهم. فكان تيماوس وزكّا باكورة الكنيسة في اريحا. وبرحّ انهما انضمّا الى الموكب الذي برح اريحا صاعدًا مع يسوع الى اورشليم لاجل العيد

لما لاحظ يسوع وهم سائرون انتظار الجمهور ملكوتًا زمنيًّا يُعلَن سريعًا. قدّم لهم مثل الأمناء ليصلح هذا الوهم. وبواسطته علّم ان الانسان يُدان على الخير الذي يهمله كما على الشرّ الذي يفعله. وانه لا ينتظر مجيئه الثاني سريعًا. وان اكثر البشر لا يقبلون سيادته عليهم

كان ختام هذه السياحة يوم الجمعة في ٣٠ اذار السنة ٣٠م في قرية بيت عنيا حيث نزل ضيفًا على ما برحّ في بيت حبيبه لعازر الذي اقامه من الاموات من عهد قريب. ودُعي الى وليمة صنعوها له في بيت سمعان الابرص[3]. ذُكر لعازر بين "المتكئين" معه في الوليمة. وذُكرت اخته مرثا بين المشتغلين

---

(١) يحتمل ان حادث ذلك الرئيس وقع في صباح ذات اليوم

(٢) يذكر القديس اكليمنضوس تقليدًا ما له ان بطرس رسمه فيما بعد اسقفًا في مدينة قيصرية

(٣) يقول تقليدٌ انه كان زوج مرثا قبل ترملها

بتدبيرها وذُكِرَت مريم ايضًا لانها اتت بقارورة طيب ناردين كثير الثمن[1] وكسرتها لتسكب الطيب على راسهِ ثم على قدميهِ . وبعد دهنها مسحتها بشعر راسها علامةً لشكرها واعتبارها لمخلص نفسها . فامتلأ البيت من رائحة الطيب كما تفوح في كل مكان الرائحة الذكية حتى لاصغر الاعمال التي يصنعها الانسان حبًّا بالمخلص ولو لم يكن اكثر من كاس ماء بارد مقدَّمة لاحقر تلاميذهِ[2]

لكن لا ينتظر فاعل الخير ان يسلم من الانتقاد . فانسكب في هذا الوقت على رأس يسوع مع الطيب العَطِر انتقاد مرّ بحجة الانتصار للفقراء . والارجح ان الاخريوطي فتح هذا الباب واهاج الآخرين لكونهِ "امين الصندوق"[3] . وكان يوزّع منهُ احسانًا على الفقراء . فيحسب ذاتهُ الأولى بالمدافعة عنهم . وبما انهُ كان يسرق من هذا المال كانت مدافعتهُ رياثية . واشترك ايضًا عن بساطة بعض محبي يسوع لبساطتهم في هذا الانتقاد محبذين رأي الاخريوطي ان عمل مريم كان اسرافٌ في غير محلهِ . وان توزيع ثمن الطيب على الفقراء كان افضل

لم يترك يسوع هذه الصالحة الغيورة تحت نيران الانتقاد . بل وبّخ المنتقدين وحكم بحسن عملها . فكأنها بروح النبوَّة دهنت جسدهُ بالطيب استعدادًا لتكفينهِ بعد ايام قليلة . وفنَّد حجة المنتقدين بقولهِ انهُ يذهب عنهم قريبًا فيستحيل عليهم اكرام جسدهِ بعد ذلك . اما الفقراء فلا ينقطعون عنهم ابدًا . فيستطيعون الى آخر الزمان ان يحسنوا اليهم . وعوَّض على مريم لقاء انتقاد عملها بقولهِ "الحق اقول لكم حيثما يُكرَز بهذا الانجيل في كل العالم يُخبَر ايضًا بما فعلتهُ هذه تذكارًا لها"

معلوم ان شهرة هذا النبي الصانع المعجزات قد ملأت البلاد حتى اضحى

(١) مقدارهُ منا اي ١٠٠ درهم (٢) متى ١٠: ٤٢ ومر ٩: ٤١

(٣) ما ابعد اسم مهنتهِ عن حقيقة صفاتهِ

موضوع الاحاديث والتعجب بين كل طبقات الجماهير المتقاطرة الى اورشليم بعدد يكاد لا يحصى[1]. واكثرهم الى الآن لم يروهُ ولم يشهدوا معجزاتهِ ولم يسمعوا وعظهُ. فكان شوقهم الى ذلك عظيماً جداً. والذين سبق لهم هذا الحظ من مريديهِ لا يمكنهم ان يكتفوا بما مضى. فكان تشوُّق الجمهور جميعهِ كوقيد يزيد لهيب بغض خصومهِ وتصميمهم على الانتقام منهُ. ولكون محلّ وجودهِ مجهول عندهم اصدروا امراً عمومياً للشعب مآلهُ انهُ يتوجب على كل من اهتدى اليهِ ان يعلمهم بذلك لكي يمسكوهُ[2]

سبق القول انهُ وصل الى بيت عنيا مساء الجمعة. فتطاير حالاً الخبر الى المدينة بقربها. وفي اليوم التالي ابتدأ تيار الزائرين يتوارد الى القرية لتقصد مزدوج. طلبوا ان يروا الرجل الذي سمعوا انهُ منذ اسابيع قليلة قام من قبرهِ في اليوم الرابع بعد دفنهِ. وطلبوا اكثر ان يروا القدير الذي اقامهُ. فنجم عن ذلك ايمان كثيرين بيسوع. فازداد غيظ الرؤساء حتى اصدروا قراراً جديداً بقتل لعازر ايضاً[3]. لكي يطفئوا تأثير يسوع قبل العيد مخافة ان ينتشر التعليم الجديد الذي يكرهونهُ بين الزائرين وبواسطتهم في البلدان التي أتوا منها فيزيد عدد المؤمنين بيسوع كثيراً

(١) يقول يوسيفوس ان الامبراطور نيرون اجرى احصاء ليعلم عدد اليهود الذين يجتمعون للعيد في اورشليم فوجدهُ نحو مليونين وسبعمئة الف (٢) سبق التنبيه الى كون الرؤساء صدوقيين. والى اسباب كدرهم من قيامة لعازر (٣) ربما يعزى عدم ذكر لعازر في حوادث اسبوع الآلام الى اضطرارهِ الى الابتعاد والاختفاء تخلصاً من هذه المكيدة

الفصل الاربعون

(مت ٢١: ١ – ٢٢ مر ١١: ١ – ٢٦ لو ١٩: ٢٩ – ٤٨ يو ١٢: ١٢ – ١٩)

(المرصّع) ف ٣٨ (الزمان) يوم الاحد والاثنين في ٢ و ٣ نيسان السنة ٣٠ م (المكان) اورشليم — بيت عنيا

دخولهُ اورشليم راكبًا . احتفاء الجموع بهِ . بكاؤهُ على اورشليم . تبيسة التينة غير المثمرة . تطهيرهُ الهيكل ثانيةً . كلامهُ في قوة الايمان

كما انفرد ابن الانسان عن سائر البشر في ولادتهِ من عذراء انفرد ايضًا في موتهِ . فيموت البشر وتبيت اجسادهم في قبورها ثم تعود الى التراب[1]. اما الذي تنبأ عنهُ داود قائلاً "لن تدع تقيك يرى فسادًا"[2]. فنرى ان جسدهُ لبث قليلاً في قبرهِ ولم يعد الى التراب . بل حسب قول الرسول "اقامهُ الله ناقضًا أوجاع الموت اذ لم يكن ممكنًا ان يُمسَك منهُ"[3]. لانهُ جاء من السماء ليموت موتًا تعقبهُ قيامة مجيدة . ولأن الايمان بهِ يتوقف على موتهِ وقيامتهِ . فلو بات جسدهُ في قبرهِ كغيرهِ من البشر لكان يفسد جوهر تعاليمهِ ومعنى حياتهِ ويسقط اليقين المسيحي

وتثبيتًا لاهمية موتهِ وما يتعلق بهِ نقول انهُ يخصّص في البشائر الاربع سدس اخبار ١٢٤٠٠ يوم ليوم موتهِ الواحد (٢٤ ساعة) . واخبار هذا اليوم

(١) لا يستثنى الذين قاموا بعد موتهم نظير لعازر . لانهم عادوا الى الموت ثانيةً . وبليت اجسامهم كسائر الناس . ولا الذين انتقلوا كاخنوخ وايليا دون ان يروا موتًا

(٢) مز ١٦: ١٠ (٣) اع ٢: ٢٤

والسبعة قبلهُ وبعدهُ المسمَّاة اسبوع الآلام تشغل اكثر من ربع اخبار السنين الاربع والثلاثين التي تتضمنها السيرة المقدسة موضوع هذا الكتاب(١)

كان خروف الفصح الذي هو الرامز الى يسوع يفرَز في اليوم العاشر من شهر نيسان القمريّ ويُعدُّ للذبح ليؤكل بعد خمسة ايام(٢). فليس عبثًا ان نرى يسوع (حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم(٣)) يفرَز علانيةً في اليوم ذاتهِ مع الاغنام الكثيرة الرامزة اليهِ. ثم يُذبح على الصليب وقت ذبحها في الهيكل(٤) بعد خمسة ايام

وكان لاقرازهِ هذا احتفاء باهر. لان خبر دخولهِ "مدينة الملك العظيم"(٥) صباح الاحد بعد وصولهِ الى بيت عنيا قد انتشر في اورشليم وجوارها. فهرع الجمهور لملاقاتهِ. ولا ريب في ان كثيرين منهم ترقَّبوا هذه الفرصة للمناداة بهِ ملكًا حاسبين ان الزمان والاحوال توافق هذه الحركة. وان اكثر تلاميذهِ او كلهم كانوا في مقدمة اصحاب هذا الرأي

اما يسوع الذي كان قبلاً يمنع كل مظاهرة كهذه(٦) يقبلها الآن ويقويها. لانهُ مستعدّ ان يعلن ملكيتهُ الحقيقية وان يُحكَم عليهِ بالقتل لهذا السبب. حكم اليهود عليهِ لعلة التجديف. لكن شكواهم لبيلاطس واساس حكمهِ كانا بحجة ادعائهِ انهُ ملك اليهود. وكان تبشيرهُ باقتراب هذا الملكوت وتعليمهُ بموادّ نظامهِ. وسمّى المؤمنين بهِ ابناء الملكوت واعلن ذاتهُ ملك هذا الملكوت وكل هذا بدون شيء من ظواهر الملكية. وكما لازم في الماضي وظيفتهُ النبوية وسيظهر غدًا عند صلبهِ في وظيفتهِ الكهنوتية يقصد الآن ان يقدّم لمحةً من وظيفتهِ الملكية(٧)

(١) مع المقدمات لولادتهِ اي نحو ٨٠ صفحة من اصل ٢٧٨ صفحة في مرصع البشائر

(٢) خر ١٢: ٣ و٦ (٣) يو ١: ٢٩ (٤) عب ١٠: ٩ و١٠ (٥) مز ٤٨: ٣

(٦) انظر ف ٣٦ (٧) لذلك نرى البشيرين الاربعة يجمعون في خبر هذا الحادث لاهميتهِ بينما لم يجمعوا على غيرهِ من كل ما سبق حدوثهُ سوى خبر انصرافهِ من اليهودية ليتخذ الجليل محل خدمتهِ ثم خبر اشباعهِ الخمسة آلاف بمعجزة

كان الشعب كلهُ من كبيرهم الى صغيرهم يطلبون ظهور ملك من بيت داود . فاعطاهم هذه الفرصة الاخيرة ليقبلوهُ ملكهم الحقيقي ويسهّل عليهم ذلك بسماحهِ بالمظاهرات الفخرية . ويريهم شيئًا من عظمتهِ واقتدارهِ على اكتساب تكريم الجماهير اياهُ . وعدم مبالاتهِ بقوّة خصومهِ وعداوتهم واوامرهم . وانهُ قادر ان يخلّص ذاتهُ من مكايدهم ان شاء ذلك . فيكون استسلامهُ لتعذيبهم وصلبهم اياهُ باختيارهِ ليتمّ قصدهُ في نزولهِ من السماء . لانهُ "اذ وُجد في الهيئة كانسان وضع نفسهُ واطاع حتى الموت موت الصليب" (١) . فان قبلوهُ تسلم امتهم ومدينتهم وهيكلهم من الدمار ويدومون شعب الله المختار

واما هيئة ظهورهِ كملك فلها مقدّمة نبوية لابد ان تتمّ . قال النبي زكريا "ابتهجي جدًّا يا ابنة صهيون . اهتفي يا بنت اورشليم . هوذا ملكك يأتي اليكِ . هو عادل ومنصور . وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان" (٢) . وهذا النبي هو من جملة الذين قادهم روح المسيح في النبوّة (٣) . فاعلن يسوع سلطتهُ العجيبة في جعلهِ الجمهور يشترك معهُ الآن في اتمام هذه النبوّة حرفيًّا على رغم مكائد الرؤساء واوامرهم . ففي بدء الاستعداد لهذا العيد العظيم دخل اورشليم بموكب عظيم راكبًا على جحش بعد ان كان في كل سفراتهِ السابقة يمشي على الاقدام (٤)

وهذه كيفية دخولهِ . خرج صباح الاحد مع رسلهِ والجمهور التابع لهُ من

---

(١) في ٢ : ٨ مع عب ٥ : ٨ (٢) زك ٩ : ٩ (٣) ١ بط ١ : ١٠ و ١١ مع اش ٦٣ : ١١

(٤) كان يعدّ ركوب الحمير سلميًّا . وهو رئيس السلام . بينما كان ركوب الخيل حربيًا . فتخير اليهود بسبب الاختلاف بين النبوّة بان المسيح يأتي راكبًا على جحش والتي تقول انه يأتي راكبًا على السحاب . لانهم جهلوا ان له مجيئان الاول بالهوان والثاني بالمجد . ففسروا ذلك انهُ اذا تبعت امتهُ شريعتهُ يأتي على السحاب والاّ فعلى جحش . لم تذكر الافراس في الانجيل الاّ في سفر الرؤيا . ولربما اشير اليها في مركبة الوزير الحبشي (اع ٨ : ٢٧–٣٩) وفي الوصايا ينهى عن اشتهاء ثور القريب وحمارهِ بدون اشارة الى فرسهِ . لانهُ لم يكن عندهم افراس عند تسليم الشريعة . غير ان ملوكهم تشبهوا فيما بعد بملوك الامم واستعملوا الخيول (ار ٨ : ٦ وزك ١٠ : ٣ وهو ١٤ : ٧)

مبيتهِ[١] قاصدًا الهيكل . وسار جمهور المستقبلين من المدينة لملاقاتهِ . ثم ارسل امامهُ تلميذَين[٢] الى القرية الواقعة في طريقهم[٣] وافهمهما انهما يجدان فيها جحشًا لم يروَّض بعد مربوطًا بجانب امهِ امام احد البيوت . فعليهما ان يحلاَّهما ويأتيا بهما اليهِ . وعند معارضة صاحبها على هذا الفعل المستهجن من شخصَين غريبَين بجيبانهِ "الرب محتاج اليها" . فحالاً يسمح بهما[٤] . فتمَّت نبوَّة يسوع لها حرفيًّا . في هذا الحادث تثبيت عظمة يسوع بعلمهِ الغيب والمستقبل . واذا كان صاحب البهيمتين ليس من تلاميذهِ ولا من محبيهِ تزيد عظمتهُ لسطوتهِ على افكار هذا الرجل وارادتهِ

فركب يسوع الجحش بعد ان وضع بعض الغيورين من تابعيهِ ثيابهم عليهِ بدل عدَّة الركوب[٥] . ولما التقى جمهور الخارجين من المدينة بجمهور الداخلين اليها اشتدَّت الحماسة وتسابقوا الى اكرام هذا النبي . وصاروا ينشدون بمعجزتهِ التي صنعها بلعازر في بيت عنيا . وفعلوا كما في ايام عيد المظال عندما يطوفون حول المذبح حاملين سعوف النخل شارات النصر صارخين "اوصنا"[٦] . لانهم قطعوا اغصانًا من الشجر وفرشوها في الطريق بعد ان كانوا فرشوا فيهِ ثيابهم

جعلوا لهذا الاحتفاء صبغة دينية فصاروا "يفرحون ويسبّحون الله بصوت عظيم لاجل جميع القوّات" التي نظروها فيما مضى . وفي ابتهاجهم اشترك الجمهور مع تلاميذهِ موقتًا في قبولهِ مسيحهم فكانوا يصرخون "اوصنًا لابن داود

(١) على الغالب في بيت عنيا (٢) يرجح انهما بطرس ويوحنا

(٣) لعلها بيت فاجي (٤) اما قول البشير انهُ جلس عليها فلا داعٍ للانتقاد عليهِ اذ المقصود انهُ استخدم الاثنين لان الام ضرورية لهذا الجحش الذي لم يروَّض بعد ولا تعوَّد على مفارقة امهِ (٥) نسب اليهود اهمية عظيمة للجحش الذي سوف يركب عليهِ مسيحهم . قالوا انهُ ذات الجحش الذي خُلق اولاً في اليوم السادس من الخليقة وهو الذي اخذهُ ابرهيم لما ذهب الى الجبل ليذبح ابنهُ اسحق والذي ركب عليهِ موسى في نزولهِ من مدين الى مصر (٦) اي نرجوك ان تخلص

مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل . مباركة مملكة ابينا داود الآتية باسم الرب . سلامٌ في السماء . ومجدٌ في الاعالي . اوصنا في الاعالي "(١)

ان هذا الملك لا يدخل عاصمته الآن في مركبة فخمة كملوك اسرائيل في القديم . ولا على اذرع الملائكة كما حُمل لعازر المسكين الى حضن ابرهيم . ولا في مركبة نارية كدخول ايليا الى دار النعيم . ولا راكبًا على السحاب كما لما صعد بعدئذٍ الى السماء من جبل الزيتون . بل دخل على صورة تحفظ هيئة الاتضاع الموافقة لوظيفتهِ الفدائية مع مزيج من الامجاد الخارجية المشيرة الى مقامهِ الحقيقي

هذا الذي يهتف له شعبهُ الآن كملك اسرائيل سيرى سريعًا عكس هذا الاحتفاء . سيتوّجونهُ في هذا الاسبوع لكن باكليل من شوك استهزاء . ويلبسونهُ حلّة ملوكية لكن سخرًا ثم ينزعونها عنهُ . ويضعون في يمينهِ صولجانًا لكن من قصب ثم يخطفونهُ من يدهِ ويضربونهُ بهِ . سيسجدون امامهُ ويحيّونهُ كملك لكن مكرًا ووقاحةً واهانةً . سيجلسونهُ مرفوعًا على عرش لكنهُ الصليب . سيقتلهُ الذين اختلسوا ملكهُ ويبدلون الصراخ " اوصنا لابن داود ملك اسرائيل " بالصراخ " اصلبهُ اصلبهُ ليس لنا ملك الاّ قيصر "

لا يمكن ان يتغاضى الفريسيون عن تجمهر كهذا . فانضموا الى الجمهور ليروا ماذا يحدث . وقالوا بعضهم لبعض " انظروا انكم لا تنفعون شيئًا . هوذا العالم قد ذهب وراءهُ " . فاين اوامرهم المشدّدة ؟ واين قراراتهم الرسمية الموقّرة ؟ واين سطوتهم النافذة ؟ فاجتمع فيهم مع البغض القديم الحسد الجديد . والخوف لئلا يظنّ الوالي الروماني ان هذه المناداة بملك جديد لاسرائيل هي باتفاق الشعب ورؤسائهِ . فيحسبها مكيدة سياسية . ويعاقب لاجلها الرؤساء اولاً . لانهُ قد

(١) كانوا يسمون "الاوصنا الاعلى" هتافهم في اليوم الثامن من عيد المظال حين يطوفون حول المذبح سبع مرّات . وكانوا يقولون " السلام في السماء " بينما قالت الملائكة الذين بشروا بولادتهِ " وعلى الارض السلام "

حضر من قصبتهِ قيصرية لمراقبة ما قد يحدث إبان العيد من الفتن السياسية ضد حكومتهِ لكي يخمدها و يعاقب المسؤولين. لذلك تقدّم بعض الفريسيين وقالوا ليسوع "يا معلم انتهر تلاميذك"

لكن المقاصد الالهية التي لا يعلمها الاَّ هو تقضي بهذا الاحتفاء في هذا الوقت. حتى انهُ لو تأخر البشر عن اتمامها لاضطرّت الحجارة الصمّاء ان تقوم بذلك. فيكون من باب اولى ان يجعل الحجارة البكماء تنطق بحمدهِ من ان يمتثل لامرهم و يجعل الهاتفين ان يبكموا (١)

لما وصل هذا الموكب الى اوّل محل يكشف على المدينة المقدسة ووقع نظر يسوع عليها وهي في كل مجدها الخارجي الباهر ابرق في بصيرتهِ النبوية صورة عكس هذه الصورة الساحرة للابصار. صورة سوف يراها بعض هولاء المحتفلين بهِ. فطار عنهُ كل ما ولّدهُ هذا الاحتفال الحبي البهيج من الفرح. ورفع صوتهُ بالرثاء والبكاء المسموع. بكى على قبر لعازر بهدوء. اما الآن فبكى بشدّة (٢)

فما كان اشدّ دهشة هذا الجمهور عندما سمعوا بكاءهُ ولا موجب يتصورونهُ لذلك. لا بل بينما هم يفعلون كل ما في طاقتهم ليبهجوهُ. فما هذا المزيج الغريب مزيج الاحتفاء بهِ مع فرط الحزن والبكاء. ان كل آلام الفائقة الوصف حتى تعليقهُ على الصليب لم تُنزل لهُ دمعة ولا أنّة (٣). لكن حبّهُ لهذه المدينة وشعبها العاصي ابكاهُ. خطاياهم والويلات التي تترصدهم وتهجم عليهم بعد حين اذابت قلبهُ الحنون فبكى عليهم. وما يعلمهُ جيدًا عما سيفعلونهُ بهِ قبل مضي خمسة ايام لم يكن الاَّ ليزيد اشفاقهُ عليهم ويقوّي نحيبهُ العجيب

لانهُ اجتاز بعلمهِ النبوي فاصل اربعين سنة ورأى محاصرة الجيش الروماني

---

(١) جاء هم في نبوّاتهم ان الحجر يصرخ من الحائط حب ١٢: ١١ (٢) انظر الحاشية في ف ٢٨ (٣) صراخهُ وهو على الصليب "الهي الهي لما تركتني" م يكن عن ألم جسدي وسيأتي تفسير ذلك في محلهِ

اورشليم . والعذابات الهائلة ثم الخراب التام للمدينة ولهيكل الله العظيم . فان اسوارها تُهدَم وتُطارَح الى الحضيض وتُحرَق بالنار . رأى لوعة المجاعة التي جعلت الامهات يبعنَ اولادهنَّ للذبح ويأكل بعضهنَّ اولادهنَّ في جنون الجوع. رأى الامة تتشتت تشتتاً دهرياً وتزول فرائضها المقدَّسة. وان يكون عذابهم وهلاكهم من يد النسر الذي فضَّلوهُ عليهِ. وتباهوا بانهُ ليس لهم ملك الاَّ قيصر[1]. بعد اربعين سنة سينصب الرومان متاريسهم في ذات المحل الذي بكى فيهِ يسوع الآن ليقذفوا منهُ على اسوار المدينة الآثمة المدمرة . وهناك يحفرون خنادق الحصار

كان في مخيلة يسوع آنئذٍ صورة واضحة لهذه الامور المستقبلة فنوردها نحن من التاريخ الصادق لكي نعرف ما الذي ابكاهُ هكذا . تمسَّك اليهود بمجيء مسيح زمني والثورات المتوالية التي نتجت عن ذلك وعن ادعاء مسحاء دجالين افرغت صبر الامبراطور الروماني فسباسيانوس. فارسل حملة قوية مؤلفة من ثلاثين الف محارب يقودها ابنهُ تيطس لاجل تأديبهم . فلما طلب تيطس من رؤساء اليهود التسليم رفضوا. فبدأ بالهجوم عليها. ولما ضايقتهُ حصون المدينة واسوارها المتينة لجأ الى حصارها . فاحاطها بسور جديد طولهُ خمسة اميال (سفر نحو ساعتين على المشاة) لكي يميت السكان جوعاً اذا لم يسلّموا

لم يدرِ تيطس انهُ كان آلة بيد سلطان الكون ليتمّ النبوَّة القديمة التي تقول عن اورشليم "احيط بكِ كالدائرة واضايق عليكِ بحصن واقيم عليكِ متارس فتتضعين وتتكلمين من الارض *** ويشتشق قولكِ من التراب ويصير جمهور اعدائكِ كالغبار الدقيق *** ويكون ذلك في لحظة بغتةً *** ويدفنون في توفة حتى لا يكون موضع. وتصير جثث هذا الشعب اكلاً لطيور السماء ولوحوش الارض *** لان الارض تصير خراباً"[2]

(١) يو ١٩:١٥ (٢) اش ٢٩:٢—٥ وار ٧:٣٢—٣٤

كان تيطس يحترم هذه المدينة الشهيرة وهيكلها المقدّس كثيرًا ويأبى دمارها كليًا. فاصدر اوامر مشدّدة لقوّاده وجيشهِ ان يجتنبوا اذيتها. لكن الاوامر الالهية لاتخضع لاوامر اعظم ملوك الارض. فشدة دفاع اليهود في هذا الحصار اهاج غيظ القوّة المهاجمة. فلم تعد تراعي اوامر قائدها الامير. والامير ذاته بعد ان اوقفهُ هذا الدفاع خارج المدينة ثلاث سنين بدون نجاح لم يعد يحترم الاّ الهيكل. وعزم انهُ عند استيلائهِ على المدينة يحافظ على الهيكل كأثر ثمين بناء على فخامة بنائهِ وشهرة تاريخهِ. لكن احد افراد جيشهِ الذي حفظ لنا التاريخ اسمهُ[1] عصى امر مولاهُ واضرم فيهِ النار. فلما رآهُ تيطس خرابًا امر باكمال تخريبهِ بنقض حجارتهِ بعضها عن بعض وفلاحة ساحتهِ لمحو اثرهِ. وكثيرون من اليهود لما رأوا ذلك انتحروا لشدّة تأثرهم

فتم بذلك القول النبوي القديم "ان صهيون تُفلَح كحقل وتصير اورشليم خِربًا وجبل البيت سوافح وعر"[2]. في هذا الحصار ذاق اليهود تلك الاهوال التي جعلت علماء الكتبة يصرّحون انها اشدّ من كل ما ورد في تاريخ العالم. قيل ان تيطس ذاتهُ لما دخل المدينة ورأى الجثث مكدّسة في الازقة رفع يديهِ نحو السماء واستشهد آلهتهُ انهُ ليس هو المسؤول عن هذا الخراب بل الذين اضطرّوهُ اليهِ[3]

---

(١) ترتتيوس روفس (٢) ار ٢٦: ١٨ (٣) انظر التاريخ القديم لبورتر والتاريخ العام للبير والادلة السنية. من عجائب التاريخ ان خبر تفصيل هذه الحوادث التي كانت اعظم شاهد لتأييد نبوّات يسوع كتبهُ عدوّ للدين المسيحية وهو يوسيفوس المؤرّخ اليهودي الشهير الذي شهد بعينهِ هذه الحوادث. وكان احد قوّاد شعبهِ في هذا الدفاع الشديد وأسرهُ القائد المنتصر ووضعهُ بجانبهِ لأخذ المعلوميات منهُ. ثم أخذهُ الى رومية. وفيها ألّف كتبهُ التاريخية الشهيرة وقدّمها لابن الامبراطور. قال احد الكتبة المسيحيين: "لم تكتب حادثة عظيمة في تاريخ العالم بالاعتناء الكلي بالامور الدقيقة المتعلقة بها كما كتب هذا المؤلف اليهودي تفصيل خراب اورشليم (الادلة السنية وجه ٢٢٩ — ٢٤٤)

فبما ان هذا الخراب الهائل وهذه الحوادث المؤلمة كلها مكشوفة لدى بصيرة يسوع في هذه الساعة تحركت في صدرهِ الرحيب الصفوح عواطف حب الوطن والانسانية وشعور الاشفاق والسماح لقاصدي قتلهِ. فتحول فكرهُ من احتفاء القوم بهِ وسرور تلاميذهِ واذرف الدموع السخية. ورثى هذه المدينة وناح عليها وعلى شعبها المحبوب المتمرّد. قال "انكِ لو علمتِ انتِ ايضاً حتى في يومكِ هذا ما هو لسلامتكِ. ولكن الآن قد أُخفي عن عينيكِ. فانهُ ستأتي ايام ويحيط بكِ اعداؤكِ بمترسة ويحاصرونكِ من كل جهة ويهدمونكِ وبنيكِ فيكِ ولا يتركون فيكِ حجراً على حجر لانكِ لم تعرفي زمان افتقادكِ"

منذ نحو الف سنة سار جدُّهُ داود في هذا الطريق باكياً. لكنهُ كان خارجاً من المدينة لا قادماً اليها. وكان ماشياً لا راكباً. وحافياً مغطّى الراس يرافقهُ باكون نظيرهُ. وهو مطرود من عرشهِ. وليس مظللاً بسعوف النخل ولا محاطاً بجمهور مبتهج ولا داخلاً كملك الى المدينة. فرّ داود متذللاً بعد تبوئهِ عرشهُ المجيد زهاء اربعين سنة. اما يسوع فمرّ منصوراً مجداً بعد ثلاثين سنة قضاها في الفقر والاحتقار والاضطهاد. بكى داود على نفسهِ وويلاتهِ الشخصية. اما يسوع فبكى على ويلات العازمين على قتلهِ

ان البكاء ليس حطّة في شأن العظماء. بل هو فضيلة متى كانت اسبابهُ كافية وشريفة. نعلم ان كثيرين من العظماء بكوا. اما اشرف البكاء ابعدهُ عن الانانية واقربهُ الى محبة الآخرين[1]. فعلى دموع يسوع المنهملة رسمت اشعة حبهِ قوس قزح رجاء الخلاص لهذه المدينة المتمرّدة. لكن والاسفاه ان عامل الروحي منع عنهم الاستفادة من هذه النعمة. فرفضوا الواسطة الوحيدة لسلامتهم. فهل في اعمال يسوع العجيبة كلها اعجب من هذا البكاء؟ لكن في

(١) انظر رو ٩: ١-٣

كنيسة المسيح قد غلب حب الذات على حب الغير. وحب الزينة على حب خلاص النفوس . فنرى شعب المسيح يجبي سنويًا في "احد الشعانين" ذكرى الاحتفال الذي حصل له وينسى هذا الرثاء المؤثر الذي عقبه

دخل هذا الموكب اورشليم من الباب الشرقي العظيم بجانب الهيكل . فعرفت المدينة كلها من الهتاف المتواصل ونقل سعوف النخل ان حادثًا خطيرًا وقع في وسطهم . فصار المارُّون وسكان البيوت والتجار في حوانيتهم يسألون من هذا ؟ ويأخذون الجواب "هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل"

لم يدخل هذا الجمع الهيكل حتى كان قد مال النهار . فاكتفى يسوع بان نظر حوله الى ما هو جارٍ في الهيكل مما يستدعي عملاً هامًا وخطيرًا يُطلب منه. وهذا لا يفعله الاَّ في الغد . لان ابواب الهيكل تُغلَق في المساء قبل ان يمكنه اتمامه . ولا يريد ان يبيت في المدينة لئلا يعرّض نفسه ليلاً لمكائد الرؤساء فيقبضون عليه قبل ان تأتي ساعته . لذلك عاد مع رسله الى بيت عنيا

وفي صباح الاثنين ترك بيت عنيا وعاد الى اورشليم و يظهر انه لم يتناول طعامًا فقيل انه "جاع" (١) وكان جوعهُ مهمًّا لانه من البراهين القاطعة على ناسوته وأدّى الى تعليم رمزيّ مهمّ جدًّا اذ انه بسبب جوعه ضرَب على الرياء ضربة من شأنها ان ترسخ في اذهان رسله وذاكرتهم بشهادة العين وليس بشهادة الاذن فقط . هو لم يقاصّ احدًا من المرائين الذين وبخهم لانه "لم يأتِ ليدين العالم . بل ليخلص به العالم" لكنه سيفعل الآن معجزةً من باب الغضب. وهي الوحيدة في بابها. الاَّ انها ليست ببشر بل فقط بشجرة تمثّل المرائين المتظاهرين بصلاح ليس في قلوبهم . وقد أيدت هذه المعجزة قول المعمدان في زمانه ان "الفاس قد وُضعت على اصل الشجر . فالشجرة التي لا تثمر ثمرًا جيدًا تُقطع وتلقى في النار" (٢)

(١) ذكر انه جاع في تجربته في البرية وفي هذه المرّة فقط (٢) مت ٣: ١٠

فيشخّص يسوع هذه الدينونة امام عيون رسلهِ عبرةً وذكرى . رأى من بعيد شجرة تين عليها علامات الإثمار (وان لم يكن وقت التين)[1] . ويرجح انها في بيت فاجي (اي بيت التين) وقد انفردت في هذه الظواهر السارّة . لذلك استلفتت انظارهُ حتى قصدها من بعيد لعلهُ يجد فيها ثمرًا . لانهُ لم يجد سوى الورق صارت مثال الخطيئة الايجابية اي الرياء والخطيئة السلبية اي عدم الاثمار . فلعنها بقولهِ "لا يأكل أحد منكِ ثمرًا بعد الى الابد" . قال ذلك بغاية سامية لاجل تعليم رسلهِ ليس عن حمق او طيش لان ذلك لا ينطبق على مزاياهُ وناريحو الى الآن

وبعد هنيهة وصل ورسلهُ الى الهيكل ليباشر العمل الاصلاحي الذي رأى الحاجة ماسّة اليهِ لما دخل امسًا مع الموكب . لان تأثير تطهيرهِ الهيكل منذ ثلاث سنين قد اضمحلّ وعادت العادات الذميمة الى مجراها القديم[2] . ومن جملتها انهم استخدموا دار الامم للمرور العادي في الاشغال من جهة الى جهة بين شوارع المدينة ونصبوا فيها حوانيت التجارة

هذا الهيكل رمز الى شخصهِ كوسيط بين الله والناس اي بهِ يتقدم الجميع الى الله . قال "انا هو الطريق والحق والحياة . ليس احد يأتي الى الآب الاّ بي"[3] . فيقتضي ان يطهرهُ ثانيةً . ولانهُ سيسلّم ذاتهُ بارادتهِ في هذا الاسبوع لسلطان اعدائهِ يجدّد برهان سطوتهِ التي سيتنازل عنها لاتمام عمل الفداء[4]

وفي تطهيرهِ هذا الثاني "لم يدع احدًا يجتاز الهيكل بمتاع" . فاستعمل كلامًا اقوى من الاوّل كثيرًا . في المرّة الاولى قال "لا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة" اما في هذه فقال "بيتي بيت صلاة يدعى . وانتم جعلتموهُ مغارة لصوص"[5] . وذلك بالنظر الى نفاق التجار في فسحاتهِ . ثم بالنظر لسلب حقوقهِ تعالى من

(١) في آخر اذار لا يكون التين مكسوًا بالورق في موقع اورشليم الجبلي

(٢) انظر ف ١١ (٣) يو ١٤: ٦ (٤) تلك السطوة التي برهنها في تبيس الثلثة مساء الامس (٥) انظر ار ٧: ١١

قبل الامة اجمالاً حتى رؤسائها (١)

وصفته النبوّة كما رأينا عادلاً ومنصوراً . ففي طردهِ الباعة ظهر عادلاً . وفي عجز الرؤساء عن منعهِ ظهر منصوراً. بعد تطهيرهِ الاوّل طلب منهُ اليهود آية . اما في الثاني فسألوهُ باي سلطان يفعل هذا. وطلبوا ان يهلكوهُ. لكنهُ بقي في المدينة وجوارها ثلاثة ايام

طهّر الهيكل وهو ربهُ لكي يستعمل بيتهُ في خدمتهِ المزدوجة . ابتدأ حسب عادتهِ بآيات الشفاء واردفها بآيات التعليم . فعلّم العالم ان اعمال الرحمة تعدّ من خدمة الله وتليق ببيتهِ كما يومو ايضاً . فبانتصارهِ على الرؤساء ثم على الامراض ثمّ على الجهل زاد تعلّق الشعب بهِ . وعدد المؤمنين ايضاً. فقيل ان "الشعب كلهُ كان متعلقاً بهِ يسمع منهُ"

أُضيف سبب جديد لغيظ الرؤساء لما تجمّع الاولاد في الهيكل ورفعوا صدى صوت تهاليل الجمهور قبل يوم وهم يصرخون "اوصنّا لابن داود". اعتبر الرؤساء ضجيج الاولاد مخلاً في توقير هذا المقدس . فغضبوا وقالوا لهُ "أتسمع ما يقول هؤلاء"؟ فقال "نعم". وبدلاً من ان يسكت الاولاد أسكت المعترضين بتذكيرهِ اياهم بقول اشهر كتبتهم صاحب المزامير "أما قرأتم قط من افواه الاطفال والرضع هيأت تسبيحاً"؟ (٢) بارك الله بالاولاد الصغار الذين لمثلهم ملكوت السموات" (٣). حلاوة اصواتهم تعوّض على يسوع عن مرارة عداوة الرؤساء. ان اجمل شيء في الكنيسة المسيحية ترانيم صغارها

ولما صار المساء خرج يسوع الى خارج المدينة كعادتهِ . ثم عاد صباح الثلاثاء ليودّع الهيكل الذي قد تحوّل من بيت الله الى مغارة لصوص . لان تطهيرهُ الثاني لم يكن الاّ موقتاً كالاوّل . وهو لا يرجع اليهِ مطلقاً بعد هذا اليوم . فلما وصلوا في طريقهم الى قبالة التينة التي لعنها بالامس نبّه بطرس سيدهُ انها يبست من الاصول . لانهُ مع رفقائهِ تعجّب من هذا الامر . فرأى

(١) ملا ٢١: ٨ و ٩ (٢) مز ٨: ٢ (٣) مت ٢١: ١٤

بسوع احتياجهم الى مثالة جديدة في الايمان. وفي النتائج العظيمة العجيبة التي تتبع كل صلاة تقدّم بايمان تام»[1]. فاعاد لهم الشرط الجازم لقبول كل صلاة اي ان يغفر المصلّي من كل قلبه لمن اساء اليه

(١) انظر ايضاً يع ٥: ١٦

الفصل الحادي والاربعون

(مت ٢١: ٢٣ — ٢٢: ٤٦ مر ١١: ٢٧ — ١٢: ٤٤ لو ٢٠: ١ — ٢١: ٤)

(المرصّع) ف ٣٩ و ٤٠ (الزمان) ٤ نيسان السنة ٣٠م
(المكان) اورشليم

السؤال عن السلطان . مثل الابنين . مثل الكرامين. مثل عرس ابن الملك . السؤال عن الجزية . السؤال عن القيامة . الوصية الاولى والعظمى . المسيح ابن داود وربه . التحذير والويلات على الكتبة والفريسيين . فلس الارملة

عقيب حوادث يوم الاثنين اجتمع الرؤساء ليقرّروا الخطة التي يتخذونها لتنفيذ غايتهم في يسوع ولم يروا وسيلةً لاستناطهِ الاّ فصل قلوب الشعب عنهُ اولاً بواسطة سؤالات يجعلونها اشراكًا لاصطيادهِ فيؤمّلون انهُ يجيب عنها بما ينكّر الشعب منهُ . حتى متى حاولوا القبض عليهِ لا يعارضهم الشعب

فبينما كان يتمشّى في الهيكل سألوهُ عن مصدر سلطانهِ الذي استعملهُ في تطهير الهيكل . لانهم هم وكلاؤهُ ورؤساؤهُ . سلطانهم على الهيكل اتصل اليهم قانونيًا من اسلافهم بالمسح والرسامة مع تصديق الحكومة . اما هو فمن اين سلطانهُ ؟ قد نسوا السلطة النبوية في تاريخهم . لانهُ منذ مئات السنين لم يظهر نبيٌّ الاّ المعمدان الذي لم يؤمن بهِ الرؤساء . ويسوع يعلم ان السلطة النبوية في كل الازمان تأتي رأسًا من التدبير الذي يقيم الانبياء دون استشارة او استئذان . ودون تقيّد بالتسلسل

فذكّر محاوريهِ بسلطان سلفهِ المعدان آخر الانبياء واعظمهم وبشهادتهِ لهُ انهُ ابن الله . فهو اصيل في سلطانهِ ومصدر كل سلطان بشري لذلك طلب منهم ان يقرّروا اولاً مصدر سلطان المعدان . فان اعترفوا انهُ اخذهُ من مصدر سماوي يدينون ذواتهم لعدم انقيادهم اليهِ . وان انكروا يخشون ان يرجمهم الشعب لحسبانهِ المعدان نبيًّا حقيقيًّا . فلجأوا في حيرتهم الى الكذب وقالوا "لا نعلم" فجوابهم الكاذب انزل على رؤوسهم احتقار المعلم والشعب. فاجاب يسوع ولا هو ايضًا يقول لهم باي سلطان يتصرّف. اي انهم لا يستحقون جوابًا منهُ

سكتوا لكن يسوع لم يسكت. بل اتبع انكسارهم امامهُ بهجوم ادبيّ لاجل تقديم تعاليم تناسب المقام . فمثّل لهم ابنَين امرهما ابوهما ليعملا في كرمهِ . الاوّل رفض امر ابيهِ ثم ندم واطاع . اما الثاني فرضخ لكنهُ عصى في الفعل . الاوّل اخطأ في قولهِ واصاب في فعلهِ . اما الثاني فبالعكس فخطيئة التقصير بالفعل اعظم كثيرًا من التقصير بالقول. عنى بذلك ان الرؤساء المعترضين عليهِ يعلّمون الشريعة . فاقوالهم حسنة . لكنهم يخالفونها في اعمالهم . فلا يعملون مشيئة الله. بينما غيرهم لا يتظاهرون بالتديّن كثيرًا لكنهم يحفظون الشريعة الالهية اكثر من الرؤساء. ثم لما سألهم اي الابنَين عمل ارادة ابيهِ اجابوهُ الاوّل . فاوضح لهم ان قصة المعدان قد برهنت ان العشارين والزواني يشبهون الابن الاوّل المزكّى حسب شهادتهم في هذا الجواب . لانهم تابوا عن شرورهم بواسطة وعظ المعدان واعتمدوا منهُ . بينما هم يشبهون الابن الثاني المذموم . لانهم يدّعون التقوى باقوالهم ويخالفونها بافعالهم . فجوابهم يُثبت افضلية العشارين والزواني عليهم

ثم قدّم لهم مثلاً يسمّى مثل الكرّامين الاشرار كشف فيهِ عن إثم رؤساء الشعب في ما ينوونهُ عليهِ وما سيتممونهُ في هذا الاسبوع . هؤلاء الكرّامون بعد ما اهانوا وقتلوا الذين ارسلهم المالك لطلب حقهِ من الاثمار قتلوا اخيرًا ابنهُ

الوحيد لكي يثبتوا استبدادهم في الكرم . ولما سألهم يسوع "ماذا يفعل صاحب الكرم بهولاء الاشرار؟" اجابهُ البسطاء منهم "اولئك الاردياء يهلكهم هلاكًا رديًّا ويسلم الكرم الى كرّامين آخرين يعطونهُ الاثمار في اوقاتها". اما الذين ادركوا حقيقة المثل اجابوا "حاشا". فصدّق يسوع جوابهم بقولهِ "ان ملكوت الله يُنتزع منكم ويعطى لامةٍ تعمل اثمارهُ". وذكّرهم بقول نبيهم داود ان "الحجر الذي رفضهُ البناؤون قد صار رأس الزاوية". فالذين يقاومونهُ يترضّضون . اما الذين يقاومهم هو فيسحقون (١) فحفظ بطرس هذا القول واعادهُ لما اضطهدهُ هؤلاء الرؤساء بعد صعود يسوع (٢)

اغاظ هذا المثل الجارح الرؤساء لملاحظتهم ان يسوع قالهُ لدينونتهم . فجددوا السعي لالقاء القبض عليهِ. ولكن خوفهم من الشعب غلّ ايديهم. فتركوهُ ومضوا. لكن يسوع لم يمضِ. لانهُ لم يكمّل بعد تعليمهُ الوداعي في هيكل شعبهِ . فزاد مثلاً ثالثًا يسمّى مثل عرس ابن الملك (٣). يُشبه هذا المثل مثل الكرّامين الذي سبقهُ ومثل الوليمة (٤) غير انهُ يتضمن تشبيهًا جديدًا . لما دخل الملك لينظر المتكئين الذين امتلأ العرس منهم رأى انسانًا لم يكن لابسًا لباس العرس . بل اكتفى بثوبهِ الذي اتى بهِ وكان يحملهُ اكثر من الثوب المقدّم من الملك لجميع المدعوّين . فلافتخارهِ بهِ ابى ان يمائل الآخرين . وان يكون تحت فضل الملك في امر كسوتهِ. ولما سألهُ الملك عن سبب مخالفتهِ نظام العرس سكت طبعًا . لان ضميرهُ اشعرهُ بخطائهِ . وكان سكوتهُ بيانًا كافيًا لذنبهِ فنال جزاءهُ . لان نظام الملوك اعدام كل من يخالف اوامرهم "فقال الملك للخدام اربطوا رجليهِ ويديهِ وخذوهُ واطرحوهُ في الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الاسنان"

يلاحظ ان ليس شرًّا فعلهُ بل خيرًا اهملهُ رماهُ في هذه الهلكة المخيفة.

(١) انظر ايضًا اش ٨:١٤ و١٥ (٢) اع ٤:٨ و١١ (٣) سبق الكلام في تشبيه يسوع بالعريس وعروسهُ كنيستهُ (٤) انظر ف ٢٦

فمها كان الانسان صالحًا في عيني نفسهِ واعين الآخرين يجازى على اكتفائهِ ببرّهِ واهمالهِ الارتداء بثوب البر المقدَّم لهُ من الله (اي برّ المخلص) بذات الجزاء المرعب الذي يُدان بهِ مرتكبو المنكرات. في هذه الامثال الثلاثة المتوالية صرّح يسوع بان رفض الرؤساء اياهُ يقابلهُ قبول العشارين اياهُ. وان رفض الامة اياهُ يقابلهُ قبول الامم الاخرى اياهُ في ما بعد. اما قول يسوع في آخر المثل كثيرون يُدعَون وقليلون يتخيَّرون فلا نرى انهُ يشمل الازمنة كافةً بل انهُ يشير خصوصًا الى زمانهِ ولاسيما الى الامة اليهودية

كما يطلب المحارب المغلوب حلفاء جددًا لعلهُ ينتصر اخيرًا طلب الآن الرؤساء محالفة خصومهم حزب الهيرودسيين انصار الملك هيرودس (١). وبعد ان تشاوروا اتفقت القوة السياسية مع الدينية على هجوم جديد بقيادة هولاء يرافقهم ليس الرؤساء الذين انهزموا امام يسوع بل جواسيس من تلاميذهم

كانت الحيلة ان الهيرودسيين يتظاهرون بالتديّن لكي يصطادوهُ ويمسكوهُ بكلمة حتى يسلموهُ الى حكم الوالي وسلطانهِ. فتقدموا اليهِ وملّقوهُ واستشاروهُ في امر ايفاء الجزية للحكومة الرومانية (٢) املاً انهُ يُمسَك في شبكتهم كيفما اجاب. فان قال بايفاء الجزية ينفر الشعب منهُ. لانهم ضجروا من هذه الضريبة التي هي علامة استعبادهم للرومان. ويتظرون مجيء المسيح ليحررهم منها. لانهم يحسبون الله ملكهم الحقيقي الوحيد ويستحرمون الخضوع لملك اممي. ويقولون في ذواتهم. كيف يمكن ان يكون يسوع ملك اسرائيل والمسيح ابن داود الملك كما هتف لهُ الشعب بالامس في الهيكل ويعلّم او يحكم ان تعطى جزية لقيصر وان اجاب بعدم ايفائها كما يرغبون ويرجحون

(١) يوسيفوس ١٥—٤—٩ (٢) اذا كانت شهادة العدو بالف شهادة ماذا يقال في شهادة هولاء الاعداء ليسوع "يا معلم نعلم انك صادق وتعلم طريق الله بالحق وانك بالاستقامة تتكلم ولا تبالي باحد لانك لا تنظر الى وجوه الناس"

فيحصلون على حجة كافية ليسلّموهُ للحكومة كمفتن ضد القيصر الذي وضع هذه الضريبة (١)

لكن يسوع علم رياءهم وخبثهم. وان الجواب الذي يروق للفريسيين لا يروق للهيرودسيين . ومع ذلك اتفق الفريقان على هذا الامتحان . فاجاب "لماذا تجربونني يا مرائون . أروني معاملة الجزية". ولما أتوهُ بدينار وصوره الامبراطور مرسومة عليهِ واعترفوا بها قال. "اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله". اي اعطوا كل ذي حق حقهُ . بهذا الجواب قطّع الشرك المنصوب لهُ ونطق بهذا القول المأثور قاعدة الحقوق والواجبات في الدين والآداب

فالواجبات السياسية ايضًا مقدسة وهي ضمن الواجب الديني (٢) . ليس السؤال هل يُخضَع لقيصر ام لله لان الخضوع للاثنين واجب والخضوع لقيصر في ما لا يخالف الخضوع لله هو من اصل الخضوع لله . لان الله هو الذي سمح لقيصر ان يتسلط عليهم بسبب تركهم اياهُ تعالى . فيقتضي ان يخضعوا لهذا التأديب . وكما تذكّرهم صورة القيصر على الدينار بما عليهم لهُ يجب ان تذكّرهم صورة الله التي خلق فيها الانسان بما عليهم لله . فلم يقدروا ان يمسكوهُ بكلمة قدّام الشعب وتعجبوا من جوابهِ وسكتوا وتركوهُ ومضوا

ولكي يتم اتفاق جميع الاحزاب الكبرى الدينية والسياسية على مهاجمة يسوع في هذا اليوم الاخير في الهيكل انضمّ الى الفريسيين الصدوقيون والكتبة ورؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ونصبوا لهُ شركًا آخر علّقوهُ على فلسفتهم الطبيعية. كان الصدوقيون يستخفون بالدين اجمالاً. فكان يُنتظر منهم

(١) يتذكرون ان يسوع في ايفاء ضريبة الهيكل اظهر انهُ غير مكلف لكونهِ ابن الله . فلعلهُ يجيب الآن ان شعب الله غير مكلف لايفاء ضريبة الحكومة الوثنية . (ف ٢١)

(٢) ١ تي ٢ : ١ و ٢

ان يسألوا سؤالاً هزليًا لا جدّيًا قصد اثارة الاستهزاء بيسوع. ولا ريب ان هذا النوع هو الذي كانوا يقتنعون به الفريسيين في احتجاجاتهم الدينية. فانوه بحجة مستندة الى مبادئهم وآرائهم كما تبين. ولانهم لم يكونوا مستندين ان يفهموا الروحيات علّقوا المعاني المادية على الحقائق الروحية فتاهوا عن الصواب

وبما ان افكار الصدوقيين الماديّين جسدية محضًا لفّقوا مشكلاً في القول بعالم روحي تسكنه الارواح بعد الموت الجسدي. وبنوا على النظام الموسوي المقبول عندهم سؤالاً يتعلق بالزواج. اوجب ذلك النظام على اخوة كل رجل متزوّج يموت دون ابن ان يتزوّج احدهم بارملة المتوفى ليقيم له نسلاً[1]. ولاجل غايتهم الهزلية فرضوا امرأة تزوّجت بسبعة اخوة الواحد بعد الآخر. وسألوهُ لِمَن من هؤلاء السبعة تكون زوجةً في القيامة. الفريسيون كانوا حلفاء يسوع في اليقين بالقيامة وبعالم الارواح. فانكسارهُ امام الصدوقيين يكون انكسارًا لهم ايضًا في موضوع هو اساس اختلافهم الدائم العظيم. ولا يُستبعد ان الصدوقيين كانوا قد افحموا الفريسيين سابقًا بذات السؤال. فنجاح يسوع في هذا البراز يوافق الفريسيين من هذا الوجه. ويكون مصيبة عليهم من الوجه الآخر اكثر من انكسارهِ. لانهُ يسبّب رفع مقامهِ وانقياد الشعب اليهِ اكثر من قبل

يلاحظ في جوابهِ الصدوقيين انهُ ترفق بهم اكثر مما بالفريسيين. وتلطّف في توبيخهم. لانهُ كان يحسب رياء الفريسيين شرًا من كفر الصدوقيين. فلم ينطق عليهم بالويل او يناديهم "يا مراؤون". بل اجاب "أليس لهذا تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوّة الله؟" خطيئتهم اخف من خطيئة الذين يعرفون ولا يعملون بما يعرفونهُ. واعطاهم برهانًا من اسفارهم الموسوية ان الله ليس اله اموات بل اله احياء اذًا توجد قيامة حقيقية. هو سبحانهُ روح اذًا

(١) تث ٢٥:٥

يوجد عالم روحي اوسع واعظم جدًّا من العالم الماديّ. فلو كانوا يعرفون الكتب لما كانوا ينكرون القيامة. ولو كانوا يعرفون قوة الله لما كانوا يحدّدونها ويحصرونها في عالم الماديات الصغير. وافهمهم ان العالم الروحي لا يقاس تمامًا على العالم المادي. فالزيجة الجسدية لا وجود لها هناك. اذ يكون كل من له نصيب في قيامة الابرار كملائكة الله في السموات. فبهت الجموع من تعليمه وبعض الكتبة سرُّوا لفشل الصدوقيين اكثر مما تكدّروا لانتصار يسوع. فقالوا له "يا معلّم حسنًا قلت". وتوقّف قليلاً تيار الاعتراض على هذا المعلم الناصري اذ "لم يتجاسروا ايضًا ان يسألوهُ عن شيء". الّا ان الفريسيين عقدوا اجتماعًا جديدًا للمخابرة في الامر

ثم سأله كاتب (اي ناموسي) يريد ان يمتحن معرفته بالناموس "يا معلم اية وصية هي العظمى في الناموس واوّل الكل؟". اجاب يسوع ما لخصّهُ سابقًا ناموسيٌّ آخر[1] اي ان اوّل كل الوصايا هي "اسمع يا اسرائيل الرب الهك رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الاولى والعظمى. والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك. ليس وصية اخرى اعظم من هاتين. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كلهُ والانبياء". اعترف يسوع لهذا السائل انهُ "ليس بعيدًا عن ملكوت الله". فهل علم هذا العالم في الناموس ان حالة الذي ليس بعيدًا عنهُ ولا يدخلهُ اصعب من الذي هو بعيد؟ امرٌ هلاك يدرك الذين لا يدخلون ملكوت السموات هلاك الواقفين عند بابهِ

ترقّب يسوع وهو يعلّم في الهيكل فرصة اجتماع الفريسيين ليمتحنهم كما امتحنوهُ. فطلب تفسير هذه الآية في مزامير داود "قال الرب لربي اجلس عن يميني"[2]. هنا تكلّم العزّة الالهية شخصًا يسميهِ داود ربهُ. وهذا الشخص

(١) المرصع ف ٣٦ (٢) مز ١١٠: ١

حسب تفسير اليهود جميعًا هو المسيح . وفي الوقت ذاتهِ المسيح ابن داود . فكيف يكون بشرًا محضًا ويكون رب داود وابن داود في الوقت الواحد؟ لا يحلّ هذه المعضلة الاَّ القول بطبيعة يسوع المزدوجة التي تجعلهُ ربَّ داود في لاهوتهِ وابن داود في ناسوتهِ. فبما انهم ينكرون لاهوتهُ لم يستطع احد ان يجيبهُ بكلمة . "أسكت جميع معانديهِ وسُرَّ الجمع الكثير بكلامهِ" . ويناسب هنا ان نذكر الشهادة التي قدّمها سابقًا رسل خصومهِ الفريسيين بقولهم "لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان". والعدد الذي لا يُحصى من الذين سرُّوا بكلامهِ من ذلك الوقت الى الآن يؤيّد حكمة ذلك الجمع الكثير

استخدم يسوع ميل الشعب للاستماع لكي يحرّرهم ويحرّر تلاميذهُ من سطوة الفريسيين المهلكة . وخجّل الرؤساء بسبب انكسارهم امامهُ في الاحتجاج ليؤدّبهم بسيف فمهِ. واعتمد وسائط التعنيف لعلهم يشعرون بريائهم ويتوبون. وليكشف لسامعيهِ باجلى بيان مقدار شرّ هولاء الرؤساء ليتحذّروا من الانقياد اليهم في البطل

ذكرنا سابقًا ان فاتحة اوّل مزامير داود وفاتحة وعظ ابن داود كلمة "طوبى". وخاتمة ذلك المزمور كخاتمة وعظ يسوع في هيكل اليهود كلمات الويل والتصريح بالهلاك. وظهر روح وعظ يسوع الاوّل في قولهِ "تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم". اما روح وعظهِ الاخير فظهر في الدينونة والوعيد والنطق بالويل المخيف. هذا ما اوجبهُ المقام. لان كل الوسائل اللطيفة الجذّابة التي استعملها اولاً لم توقظ الضمائر المائتة في الامة ورؤسائها . فلم يبقَ لمخلص محبّ يريد الاتيان بهم الى التوبة سوى الوسائل القاسية لعلها تفعل ما لم يفعلهُ اللين . وحبهُ العجيب اساس توبيخهِ المخيف كما كان اساس تشويقهِ اللطيف . وفي كلامهِ المرعب تحذير للذين لم يرفضوهُ بعد لعلهم يسلموا من هذا الرفض وويلاتهِ

قد انت ساعتهُ ليختم وعظهُ امام العموم فتوجب عليهِ قبل السكوت ان

يعلن لهم منتهى الويلات التي تتهدّد رافضي خلاصهِ ومضلّي خرافهِ. ولم يتوقّف الآن عن اغاظة الرؤساء لخطر قبضهم عليهِ قبل الوقت المناسب. ومع تحذيرهِ سامعيهِ من الانقياد الى قدوة معلمي الدين في اعمالهم السيئة يبين وجوب الطاعة لهم في ما يعلّمونهُ من ناموس موسى. لانهم جالسون على كرسي موسى. وفساد اعمالهم لا يفسد صحة تعليمهم. وفي هذا اعلان الخطاء والجهالة في الذين يرفضون تعليمًا صحيحًا بسبب ذنوب بعض تابعيهِ او معلميهِ. والذين يمقتون او يجتنبون كنيسةً صالحةً لوجود خوَنة بين اعضائها اى قوّادها. وفي نظر المميزين لا يمسّ لؤم المعتمد الدولي كالسفير مثلاً شرف الدولة التي يمثلها

ثم كرّر في هذا الوقت دينونتهُ الرؤساء لانهم يقولون ولا يفعلون. ويظلمون الشعب بفرائضهم الثقيلة. ويتعظمون ويتباهون بخفخفة باطلة تحت ستار الدين. وعلّم تلاميذهُ ان يجتنبوا اتخاذ لقب معلّم واب وسيّد للتعظّم. لان هذه الالقاب تطلق على الناس بمعنى مستعار لا اصلي. وهو وحدهُ سيدهم ومعلمهم الحقيقي والله وحدهُ ابوهم الحقيقي [1] وكرّر الوصية الرئيسية التي توجب التواضع وتعظّم خدمة الانسان لغيرهِ. ثم نطق بثمانية ويلات تقابل تطويباتهِ الثمانية [2] صوّبها الى الكتبة والفريسيين المرائين اظهارًا لكون شرّ شرورهم واساس ويلاتهم الرياء فيُعدّ خطابهُ هذا ملحنًا لخطابهِ الشهير المسمّى "الوعظ على الجبل". سمّى هؤلاء "قادة عميان وجهّال وحيّات واولاد الافاعي". لانهُ لا يمثل الله في اعين البشر ما لم يمثّل غضبهُ تعالى ايضًا مع حبهِ

اساس الويل الاوّل انهم لا يدخلون من باب الملكوت. ومع ذلك يغلقونهُ في وجهِ غيرهم بسيرتهم وببعض تعاليمهم وبرفضهم مسيحهم. والثاني انهم يظلمون الفقراء ويختلسون مال الارامل الذي تحت وكالتهم ويتظاهرون

(١) ان هذا النهي لا يؤخذ حرفيًا وهو ظاهر في آيات شتى في كتابات الرسل

(٢) انظر ف ٢٠

كذباً بنتوى ممتازة. والثالث انهم في محاولتهم ضم اشخاص من الامم الى مذهبهم لا يسألون عن الاسباب الدينية لذلك. بل يفسدونهم ويصنعونهم ابناء لجهنم اكثر منهم مضاعفاً. والرابع انهم ينافقون في تفسير الوصية بعدم الحلف

والخامس انهم يعكسون اهمية الواجبات الدينية فيعظمون طفيفها ويهملون عظيمها. وقصدهم في تفسير الحلف وفي تعظيم الطفيف ظاهر. لان تعظيم المذبح المقدس لا يكسبهم شيئاً بخلاف تعظيم القربان المقدَّم عليه. لان هذا حصتهم بعد احراق قسم منه. وتعظيم الحق والرحمة والايمان وسائر الامور المهمة في الدين لا يكسبهم بل يخسرهم بينما تعظيم التعشير حتى في الجزئيات كالبقول يكسبهم مالاً. ففي عملهم هذا يشبهون انساناً امامه بعوضة وجمل. ولحم الاثنين ليس من اللحوم الطاهرة المباحة لليهودي للطعام. فهذا الانسان يصفي عن البعوضة لتحريم اكلها بينما يبلع الجمل خلافاً لذلك التحريم. يحرّمون القطرة ويحللون النهر. والسادس اهتمامهم بالغسلات الخارجية بدلاً من الطهارة الداخلية. والسابع تظاهرهم امام الناس بالتقوى الريائية وهم "من داخل مشحونون رياء واثماً" والثامن تظاهرهم الكاذب في تكريم ضرائح الانبياء الذين قتلهم اباؤهم في القديم بينما سلوكهم يبرهن انه لو عاشوا في زمن اجدادهم لفعلوا ذات فعلهم بالانبياء"(١). نبّههم الى انه سيرسل اليهم قريباً انبياء وحكماء وكتبة. وقال "منهم تقتلون وتصلبون. ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة"(٢)

في شرحه التطويبات على الجبل في الجليل اوضح صفات الذين يدخلون ملكوت السموات. والآن في شرح الويلات في الهيكل يوضح صفات المرفوضين. والنظام الالهي الذي يقضي بتسلسل البركات والويلات مع التسلسل

(١) سيظهر عن قريب صدق يسوع في هذه الدينونة (٢) في سفر اعمال الرسل يبان كاف لصدق يسوع في هذا القول

النسبي الدموي من جيل الى آخر موضح في الوصية الثانية . بناء على هذه القاعدة يصرّح يسوع الآن ان نتائج خطايا الاقدمين في اضطهاد الانبياء وقتلهم سوف تحل على رؤوس ابناء ابنائهم في الجيل الذي رفضهُ وسيقتلهُ (١)

لكن هذا المخلص الحنون اللطيف لا يرضى ان يختم هذا الخطاب المخيف دون بيان جلي للحب الذي هو اساس دينونتهِ كما انهُ اساس رحمتهِ . فبعد البروق والرعود في كلامهِ المعلن غضبهُ هطلت امطار حنوهِ وذاب جليد دينونتهِ في عين شمس رحمتهِ الفائقة . اذ رأى بنظرهِ النبوي خراب اورشليم المخيف المقبل الذي ستراهُ اعين بعض سامعيهِ ومن جملتهم رسولهُ يوحنا . ثم وراء هذا الخراب ويلاً اعظم منهُ وهو الهلاك الابدي لنفوس الذين رفضوهُ ولهذا ختم كلامهُ بنداء الحنان العجيب نحو الذين تزايد بغضهم واضطهادهم. والذين سيصلبونهُ بعد يومين بمزيد الاهانة والتعذيب

فنادى قائلاً "يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها. كم مرّة اردت ان اجمع اولادكِ كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا. لاني اقول لكم انكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب" . لم تنقصهم الوسائط للايمان . بل الارادة فقط . مسؤولية هلاكهم عليهم لا عليهِ . وهلاك الهالكين يكون لانهم لم يريدوا ان

(١) ذكر زكريا ابن برخيا يرجع على ما يظن الى حادث في العهد القديم (٢اي ٢٤: ٢٠—٢٢) اما الفرق في اسم الأب فلا يعتد بهِ . وكثيرًا ما كان يسمى الجد اباً . في عز ١:٥ يقال زكريا ابن عدّو . في زك ١:١ و٧ يقال زكريا ابن برخيا ابن عدّو. والاصطلاح في اعطاء اسمين الشخص الواحد الذي تراهُ في رسل يسوع وغيرهم اصطلاح قديم. لان بين الرسل الاثني عشر كان نصفهم من هذا النوع اي سمعان (٢) ويعقوب (٢) ويهوذا (٣) . اما ذكر زكريا كآخر الانبياء فناتج عن وضع اليهود السفر الذي فيهِ خبر زكريا اي سفر الايام الثاني في خاتمة التوراة

يؤمنوا او ان ارادوا فليس بعزم وحزم . على رغم تمسك اليهود بالهيكل الذي سماهُ الآن "بيتكم لا "بيت ابي" وعلى رغم ظنهم الخرافي انهُ لا يمكن ان يصيب هيكلهم اذىً او ان اصابهُ يعود فيبنى على صورة افخر من الاولى سوف يسمي دمارًا لرفضهم ربهُ وربهم . هو يترك لهم الهيكل ويذهب حسب ما يرغبون . لكنهم لا يتهنأون فيهِ . لانهُ يترك لهم خرابًا لا يقوم بعدهُ عمار . اما قولهُ انهم سوف يقولون لهُ بعد ان يختفي عنهم الى حين "مبارك الآتي باسم الرب" فنودّ ان نرى فيهِ اشارة الى الزمن المقبل حين يؤمن بهِ الشعب الاسرائيلي المحفوظ في العالم حفظًا عجيبًا . فيترحب بهِ عند مجيئهِ الثاني المجيد

ثم انتقل يسوع من قسم الهيكل الداخلي الى الدار الخارجية المسماة دار النساء لكونهِ يباح لهنَّ الدخول اليها . وهناك تُشاهد الابواق الثلاثة عشر المصنوعة لوضع التقدمات النقدية لخدمة الهيكل واعمال الرحمة . كان على كل من يأتي الى الهيكل ان يقدم تقدمة[1] . والحجاج الاغنياء الذين بعد غياب طويل يعودون في ايام العيد العظيم كانوا يقدمون هذا المعبد الفريد بمبالغ وافرة . فجلس يسوع تجاه الابواق في محل "الخزانة" يراقب توارد الجمع وعطاياهم التي يؤول اعلانها الى زيادة المقدار لفائدة الرؤساء المسلطين على ايرادات الهيكل . فلما وضعت ارملة اقلّ قيمة يجوز تقديمها اي فلسين[2] دعا تلاميذهُ لينظروا وقال "ان هذه الارملة الفقيرة قد القت اكثر من جميع الذين القوا في الخزانة . لان الآخرين القوا من فضلتهم . واما هي فالقت كل معيشتها"[3] . للعطاء اهمية كلية في الدين فعلَّم يسوع ان مقياس السخاء ليس مقدار التقدمة بل مقدار ما يبقى للمعطي بعد عطائهِ . ويخطئ الذين يقدمون في الاحسان

(١) خر ٣٠:٢٢ وتث ١٦:١٦ و٢ مل ١٢:٩ (٢) تساوي اربع بارات عثمانية
(٣) انظر ٢ كو ٨:٢ و٣ و١٢

قليلاً ويسمّونهُ فلسَي الارملة . لانهُ لا يُطلَق هذا الاسم على العطاء القليل الاّ متى كان كل معيشة المعطي اي كل ما عندهُ . ولا يقال ان قدوة هذه الارملة قاعدة مسيحية عمومية . يقال انها لم ترضَ ان تحرم العبادة في الهيكل لفقرها ولم يوجد لديها غير هذا الطفيف . فقدمتهُ متكلة على العناية الالهية وكدّها لايجاد ما يكفي لقوتها الضروري فيما بعد

الفصل الثاني والاربعون

(مت ٢٤: ١ – ٣٦: ٥ و ٢٦: ١٤–١٦ مر ١٣: ١–١٤: ١ و ٢ و ١٠ و ١١)
(لو ٢١: ٥ –٣٨ و ٢٢: ١–٦ يو ١٢: ٢٠ – ٥٠)

(المرصّع) ف ٤١ و ٤٢ (الزمان) الثلاثاء في ٤ نيسان السنة ٣٠ م. (المكان) الهيكل

طلب اليونانيين . خطاب يسوع في الهيكل . الذين آمنوا والذين لم يؤمنوا . اتباؤه بخراب الهيكل . علامات مجيئه . وجوب السهر . العبد الامين والعبد الرديء . مثل العشر عذارى . مثل الوزنات . الفصل بين الاخيار والاشرار يوم الدين . مؤامرة الرؤساء على قتل يسوع . معاهدة الاخر يوطي معهم على بيع سيده

من المشرق البعيد اتى قوم هم المجوس العلماء ليروا يسوع في طفوليته. والآن اتى قوم آخرون من المغرب البعيد بلاد العلماء (اليونان) ليروا يسوع في خاتمة خدمته . نراهم في الدار الخارجية المخصصة لعبادة الله من غير اهل الختان . اتى هولاء اليونانيون المتنوّرون ليعبدوا الاله الواحد اله اسرائيل . واظهروا للرسول فيلبّس شوقهم الى رؤية يسوع . ولكن لا يجوز لهم الدخول الى محل وجوده . فالظاهر ان فيلبّس عاد الى دار النساء وخابر رفيقه الخصوصي اندراوس . واتفقا ان يُعلِما سيدهما بالامر

رأى يسوع فيهم مقدّمة للجمهور الذي لا يحصى من الامم المزمعين ان يطلبوه بالايمان في الوف الاعوام التابعة. فقال فوراً "قد اتت الساعة ليتمجد

ابن الانسان سيتمجّد" على رغم رفض امتهِ اياهُ. فلا يكون هذا فشلاً له ولا لعملهِ. قال الرسول ان "زلتهم غنىً للعالم ونقصانهم غنىً للأمم *** ورفضهم هو مصالحة العالم"(١). ومع ان خروج يسوع لمقابلتهم لم يُذكَر صريحًا نتحقق ذلك مما نعلمهُ من صفاتهِ ومعاملاتهِ. ونسمع صوتهُ الوقور المؤثّر يقول في مسمعهم اقوالاً جوهرية كهذا القول "الحق الحق اقول لكم ان لم تقع حبّة الحنطة في الارض وتَمُت فهي تبقى وحدها. ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير. من يحب نفسهُ يهلكها. ومَن يبغض نفسهُ في هذا العالم يحفظها الى حياة ابدية". يكلّمهم عن موتٍ هو مقدّمة الحياة. هذا موتهُ الفدائي لكي يحيي نفوسًا بلا عدد. وهذا موت المؤمن عن الخطيئة لكي يحيا للبر

في هذا الوقت وفي هذا المقام اعترف ان نفسهُ اضطربت لعظم هول تلك الساعة التي تتجسمهُ. لكن بما انهُ قد اتى من السماء لاجلها هل يمكن ان يطلب التخلّص منها؟ كلاّ ثم كلاّ. لان طلبهُ الوحيد هو ان يتمجّد اسم الآب. فصلّى اوجز صلواتهِ وآخرها في الهيكل قائلاً "ايها الآب مجّد اسمك". فاكرم الآب هذا التسليم التام وانكار الذات. وجاء صوتٌ من السماء "مجّدت وامجّد ايضًا"

اكتفى الآب عند غلبة يسوع على ابليس في البرية بان ارسل لهُ ملائكة جاءت وصارت تخدمهُ. لكن هذه الغلبة الجديدة على تجربة الاستعفاء من الصليب وما يتعلق بهِ اشهر من تلك. وهذه الساعة اعظم من تلك. فاسمع الآب صوتهُ للمرّة الثالثة في حياة يسوع. اما اعداؤهُ فسمعوا صوتًا دون كلام. فقالوا "قد حدث رعد". واما مريدوهُ فسمعوا كلامًا لكن غير مفهوم. فقالوا "كلّمهُ ملاك". لكن يسوع الذي وحدهُ فهم كلام الصوت أكّد لجميع السامعين انهُ لم يكن لاجلهِ بل لاجلهم وان لم يكن مفهومًا عندهم. جاءهم تأييدًا لشخص يسوع وتعليمهِ. فبواسطة هذه الغلبة الجديدة اثبت مرّةً

(١) رو ١١: ١٢ و ١٥

اخرى صلاحيتهُ كمخلص العالم . وصلاحيتهُ تكفل نجاحهُ . لانهُ بارتفاعه على الصليب "يجذب اليهِ الجميع" . وهذا الجاذب الفعّال لا يزال يشتغل بنجاح مفرط في العالم فوق ما كان يتصوّرهُ بشر . يجذب الافراد ويجذب الشعوب . ولا ينفكّ عن عملهِ الخلاصي الى ان تحدث الاصوات العظيمة في السماء التي سمعها الرائي قائلةً "قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحهِ فسيملك الى ابد الآبدين"(١)

لما سألهُ الجمع كيف يتكلم عن موتهِ وهو المسيح حال كون داود النبي يقول ان المسيح يبقى الى الابد لم يكن سؤالهم للاستفادة . لذلك نصح لهم يسوع ان يسلكوا في النور ما دام لهم النور فيصيروا ابناء النور . والاّ فيدركهم الظلام المهلك . وحقق للجمع ان الايمان بهِ يكون ايمانًا بالآب الذي ارسلهُ . وان الذي يراهُ يرى الآب الذي ارسلهُ . (هذا كلام تجديف لو صدر من مجرّد بشر) . وصرّح انهُ أتى لا ليدين بل ليخلّص العالم . لكن مع ذلك فان كلامهُ سيدينهم في اليوم الاخير . ولاسيما لانهُ يتكلّم بامانة الكلام الذي اعطاهُ الآب

كانت نتيجة خطابهِ في هذا الوقت ان كثيرين آمنوا بهِ وبينهم بعض الرؤساء . الاّ انهم كتموا ايمانهم خوفًا من الحرم العظيم الذي أُعلن على كل من يتبع يسوع او ينتصر لهُ . اما السواد الاعظم فلم يؤمنوا بهِ "مع انهُ كان قد صنع امامهم آيات هذا عددها" . وسبب عدم ايمان الاكثرين وكهان ايمان الذين آمنوا "انهم احبوا مجد الناس اكثر من مجد الله" . فصحّ بذلك قول النبي اشعياء قديمًا "يا رب من صدّق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب" ثم "مضى واختفى عنهم" . وانتهت خدمتهُ الجهارية في الوعظ والتعليم . لان ما بقي منها كان محفوظًا لاختصاصهِ المؤمنين تلاميذهِ الامناء

بناء على مجموع العوامل التي مرّ ذكرها كان ينتظر ان يقبض اليهود على يسوع

---

(١) رؤ ١١ : ١٥ فيكون اعتراف كل مهتدٍ

يجاذب الحبّ أنى فيا لحبّ فائقٍ وردّني الى الهدى بفضل عهدٍ صادقٍ

في هذا الوقت وهذا المحل . أو على الاقلّ ان يودع الهيكل مطرودًا . لان الرؤساء اصدروا قرارًا نصف رسميّ بقتلهِ . لكن في الوقت ذاتهِ يقتضي ان يُظهر سطوتهُ الادبية وعدم مبالاتهِ بسلطة الرؤساء ليُعرَف جيدًا عند الجميع ان أخذَهم اياهُ بعد يومين للقتل يكون باختيارهِ ليس الاّ . لذلك خرج مع تلاميذهِ سالمًا من كل ضغط او اهانة كأنهُ ملك بيدهِ الصولجان

لا تزال كلمة يسوع ان الهيكل يُترَك لهم خرابًا مستصعبة جدًّا عند الرسل الذين هم من اشدّ المتمسكين باحترام هذا المعبد . فخطر على بالهم وهم خارجون ان يستلفتوا نظرهُ الى ضخامة الحجارة ومتانة البناء وجمالهِ . كأنهم يعترضون تلميحًا على قولهِ بخرابهِ . ويقولون اية قوّة في العالم تقدر ان تلاشي هذه الاسوار العريضة والابراج الشامخة والجدران المبنية حجارتها الكبيرة باحكام واتقان متناهيين؟ (١) ومن يصدّق ان اله اسرائيل القدير يسمح بان هيكلهُ الفاخر الذي بُني بالهامهِ الخصوصي وتأيّد كثيرًا بمعجزات فائقة يمسي دمارًا؟ لذلك قال احد تلاميذهِ "يا معلم أُنظر ما هذه الحجارة وهذه الابنية" . فكان جوابهُ "أما تنظرون جميع هذه الابنية العظيمة؟ الحق اقول لكم هذه التي ترونها ستأتي ايام لا يُترَك فيها ههنا حجر على حجر لا يُنقَض"

ثم لما عبروا وادي قدرون شرقيّ المدينة وجلسوا في سفح جبل الزيتون تجاه هذا البناء الفخم . سألهُ الرسل الاربعة الممتازون الذين سبقوا الجميع في الانضمام اليهِ على انفراد عن ثلاثة امور مستقبلة تكلم عنها في مسامعهم مرارًا . وهي خراب اورشليم ومجيئهُ الثاني وانقضاء الدهر اي نهاية العالم . فالقى عليهم ذلك الخطاب البليغ الذي يشغل اصحاحَين طويلَين من بشارة متى ما عدا الاضافات في بشارتَي مرقس ولوقا (٢) . ومع ان اكثر ما ورد في هذا الجواب سبق ذكرهُ في كلامهِ يكون لضمّها في خطاب واحد تأثير اوفى

يُلاحَظ انهُ تكلم عن القضايا الثلاث التي سألوهُ عنها دون ايضاح كلّ

(١) انظر ف ٤٠ (٢) مت ٢٤ و٢٥ ومر ١٣ ولو ٢١

منها على حدة . فيُطلَق بعض كلامهِ على خراب اورشليم القريب . وبعضهُ على مجيئهِ الثاني البعيد . وبعضهُ على انقضاء الدهر بعدهما . ثم على قضيتين منها ثم على الثلاثة معًا. ولا يستطيع احد الجزم في فصلها عن بعضها . الاَّ ان التمعُّن فيها يبيّن ان اكثر الكلام في الجزء الاول يشير الى خراب اورشليم . وفي الآخر الى مجيئهِ الثاني ونهاية العالم . والمطالع الفهيم لا يعثر بسبب هذا الابهام. لان مقدار النور المستعار من حوادث المستقبل هو المقدار الضروري للارشاد في العمل . وكمال النور محفوظ الى ما بعد الحدوث تأييدًا لايمان المؤمنين ودينونة غير المؤمنين. وهذا الحكم العمومي في قضية النبوَّات يسري طبعًا على نبوَّات يسوع في هذا الخطاب . وتفسيرها التام بالتدقيق ينتظر اتمامها اولاً . والغموض في النبوَّات ولا سيما في امر الزمان مزيَّة لازمة فيها

لم يقصد يسوع فوائد تاريخية ليعتني بتصريح تاريخي في هذا الخطاب . بل قصد فوائد دينية. لانهُ انبأ بظهور مضلّين يدّعي كلٌّ منهم انهُ المسيح. وهذا موجب عظيم للحذر . بيَّن الاهوال التي تصيب غير المؤمنين . ولا سيما الأُمة اليهودية اجمالاً . فانبأ بوقوع مخاوف متنوعة كالمجاعات والحروب والأَوبئة والزلازل وعلامات مرعبة كضجيج الامواج واظلام الشمس واطفاء القمر وتساقط النجوم . وشبَّه هذه الاهوال بالطوفان في زمان نوح . قائلاً ان "القوات التي في السموات تتزعزع والناس يُغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة" . والذي يزيد الاحوال هولاً الفساد البشري الذي يجلب على تابعيهِ خصوصًا سيول الاضطهاد

فتنقسم العيال "وسيسلّم الاخ اخاهُ الى الموت . والاب ولدهُ . ويقوم الاولاد على والديهم ويقتلونهم . ويلفون ايديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم الى مجالس وتجلدون في مجامع وتساقون وتوقفون امام ولاة وملوك لاجل اسمي شهادة لهم" . ولخّص الاحوال بقولهِ "يكون ضيق عظيم على الارض

وسخط على هذا الشعب لم يكن مثلهُ منذ ابتداء الخليقة التي خلقها الله الى الآن ولن يكون"

لكنهُ اكثر لهم ايضاً من كلام قوي جدًّا للتشجيع . قال "انظروا لاترتاعوا ولا تجزعوا . ومتى ابتدأت هذه ان تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم . لان نجاتكم تقترب . ومتى ساقوكم ليسلّموكم لاتهتموا . لاني انا اعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم ان يقاوموها او يناقضوها[1] ولكن شعرة من رؤوسكم لاتهلك[2] . والذي يصبر الى المنتهى فهذا يخلص . بصبركم اقتنوا انفسكم . وينبغي ان يُكرَز اولاً ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الامم ثم يأتي المنتهى"

وفي الوقت ذاتهِ اجتهد لاقناعهم بضرورية السهر الدائم والصلاة دون ملل . لانهم لايعلمون متى يكون الوقت . وأيّد هذه المثالة بمقابلة بين عبدَين احدهما ساهر على واجباتهِ والآخر غافل عنها . ولايمكن الجزم تماماً بما قصدهُ في قولهِ "لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كلهُ" لكن اليقين بانهُ يعني خراب اورشليم معقول

اما بخصوص مجيئهِ الثاني فهذا بعض ما قالهُ . "تظهر علامة ابن الانسان في السماء . ويبصرونهُ آتيًا على سحاب السماء بقوّةٍ ومجدٍ كثير . فيرسل حينئذٍ ملائكتهُ ببوقٍ عظيم الصوت و يجمع مختاريهِ من الاربع الرياح من اقصاء الارض الى اقصاء السماء" . واعلن انهُ بسبب مختاريهِ تمّ رأفتهُ سائر البشر . لانهُ لاجل المختارين قصّر ايام الويلات المشار اليها

ولما سألوهُ عن وقت حدوث الامور التي تنبأ عنها كرّر ايضاحهُ وتاكيدهُ بانهُ لايُسمح لبشر ان يعرفوا ذلك سلفًا . الّا انهُ حقق لهم المنتهى انهُ لا يكون

(١) لانهُ يتكلم عما يحدث بعد تركهِ اياهم يلاحظ قولهُ انا أُعطيكم وليس الله يعطيكم

(٢) ينبئ التاريخ بان تصديق المسيحيين كلام هذا الخطاب حذّرهم فتركوا اورشليم عند اوّل وقوع المخاطر قبل الحصار . فسلموا من الاهوال التي ادركت الآخرين

سريعًا . وقال "كما ان البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب هكذا يكون ايضًا مجيء ابن الانسان. انظروا اسهروا وصلّوا لانكم لاتعلمون متى يكون الوقت . لانكم لاتعلمون في اية ساعة يأتي رب البيت أمساء ام نصف الليل ام صياح الديك ام صباحًا . لئلا يأتي بغتة فيجدكم نيامًا. لانهُ في ساعة لاتظنون يأتي ابن الانسان. واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن (اي هو في طبيعتهِ البشرية) الاّ الآب وحدهُ". بكلام كهذا علّم محبيهِ ان لا يفتكروا بتعيين الوقت بناء على تفاسيرهم لبعض التفاصيل في اقوالهِ[1]

ثم اتاهم بمثلين اوّلهما مثل العشر عذارى المكرّر فيهِ تشبيههُ بعريسٍ لم يأتِ عرسهُ بعد . والمؤملون الاشتراك في عرسهِ حينئذٍ قسمان . قسم مستعدّ وقسم غير مستعدّ. وهذا القسم افتكر ان يستعين عند مجيء العريس بالمستعدين والاّ فيستعدون بعد مجيئهِ . لكن لما حضر العريس وابتدأ العرس عرفوا خطأهم في الزعمين . واجيبوا عند طلبهم الرحمة بالكلام المخيف المحزن ان العريس لا يعرفهم ولهذا لايفتح لهم . مرمى هذا المثل ضرورة الاستعداد لمجيء المسيح ويوم الحساب . وبطلان زعم الذين يتصوّرون ان صلاح القديسين يطفح فيعين غيرهم على نيل الغفران والدخول الى السماء . وقطع رجاء الذين يتصوّرون ان الرحمة الالهية نحو الخطاة تمتد الى ما وراء القبر

اما المثل الثاني فيسمّى مثل الوزنات . وهو يوضح ان مواهب الله للناس متفاوتة . لكن متى تساوى أصحابها في اجتهادهم وامانتهم في استعمالها يكون جزاؤهم متساويًا ايضًا . فالذي اكسب سيدهُ وزنتين مدحهُ سيدهُ بذات الكلام الذي مدح بهِ الذي اكسبهُ خمس وزنات . اما من يهمل ما وُهب لهُ فيكون كأن ليس لهُ شيء . وبدون ان يختلس او يفعل شرًا غير الاهمال يكون

(١) غفل الرسل وبعض المسيحيين في تلك الازمنة وما بعدها عن هذا التحذير . وعينوا ميعادًا لمجيء المسيح الثاني ولانقضاء الدهر فكان نصيبهم الفشل

نصيبهُ قول الديان "والعبد البطّال اطرحوهُ الى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الاسنان". لاريب ان اعظم ما يهبهُ الله للانسان هو الخلاص الابدي. فالدينونة العظمى واشدّ البكاء وصرير الاسنان تكون لمن يهمل هذه الهبة الفائقة التي اشتراها يسوع بموتهِ على الصليب

كانت خاتمة هذا الخطاب للتلاميذ على جبل الزيتون مؤثرة ومفيدة للغاية. اذ صوّر فيها اجتماع البشر في يوم الدين عندما يتخذ المخلص الرؤوف صفتهُ كالديّان في هيئتهِ كابن الانسان. يجيء في مجدهِ وجميع الملائكة القديسين معهُ. ويجلس على كرسي مجدهِ[1]. "حينئذٍ يجتمع امامهُ جميع الشعوب". وكالراعي الصالح الذي يعرف خاصتهُ يفرز الخراف فيضعها عن يمينهِ في مقام الاكرام الصائب. والجداء (الذين ليسوا خرافهُ) عن يسارهِ[2]. في مقام الرفض والاحتقار المتوجب. وهؤلاء عند رؤيتهم هذا الذي برئي لضعفات البشر لانهُ تجرّب مثلهم والذي في حبهِ المتناهي مات عنهم فدية يشعرون بان لاعذر لهم لعدم التجائهم اليهِ للخلاص

ثم يُعلن هذا الديّان نصيب الخراف الصالح وهو "الميراث المعدّ لهم منذ تأسيس العالم". لانهم باركوا ابيهِ الذي اعدّهُ لهم. ويُعلن نصيب الجداء الغير المعدّ لهم الذي هو النار الابدية المعدّة لابليس وملائكتهِ. على رغم ارادة الله والوسائط التي اعدّها لهم لاجل الخلاص اختاروا الانقياد الى ابليس وملائكتهِ. فلا حقّ لهم باللوم ان أُرسلوا الى محل الرئيس الذي تبعوهُ في حياتهم الارضية وفضّلوا طاعتهُ على طاعة المخلص الجالس على كرسي الدينونة

السبب الاصلي للدينونة عدم ايمانهم بهِ. وبما انهم لم يؤمنوا لم يعملوا ما يطلبهُ من تابعيهِ. والعمل الخصوصي الذي يذكرهم بهِ هو معاملة البؤساء ولاسيما اتباعهُ منهم الذين دعاهم "اخوتي هؤلاء الاصاغر". ففي هذا المثل

(١) في قولهِ كرسي مجدهِ عبرة مهمة (٢) بياض الخراف وسواد الجداء عبارة عن الصفات في الفريقين

يوضح ان اطعام الجائعين واكساء العريانين وافتقاد المسجونين واضافة الغرباء وعيادة المرضى وامثال ذلك من الاحسان الذي يجريه الانسان حبًّا للمسيح يكون كأنه للذات شخص المسيح . فيثاب الفاعل ليس على ما فعل فقط بل بالاحرى على قصده في فعله. واما الذي لعدم حبه للمسيح لا يفعل هذا الاحسان فكأنه منعه ليس عن المساكين بل عن السيد ذاته . وفيه ايضًا بيان اهتمامه ان يعرف الجميع ان الخير الذي يهمله الانسان وليس فقط الشر الذي يعمله يوقعه في الهلاك . وهذه من أصعب المسائل وقليلون جدًّا الذين يحفظونها

اما يهوذا الاسخريوطي فاستسلم الآن تمامًا لقيادة ابليس الذي لا يفلته ولو قليلاً الى ان يوصله الى النار المؤبدة المعدَّة لابليس وجنوده[1]. في بيت عنيا قبل هذا الوقت بثلاثة ايام ظهر جليًّا انفصاله القلبي عن يسوع لما اعترض على دهن مريم قدميه بالطيب . لكن رفقاءه الرسل لسلامة قلوبهم لم ينتبهوا. فدام ستار ريائه يغشي على عيونهم. ويرجح انه بينما كان يكلمهم يسوع على جبل الزيتون دبّر حجّة معقولة عندهم لتركهم والعود الى المدينة ليسعى بما وسوس اليه رئيسه الشرير . نتصوّر ان ضميره حاربه شديدًا وهو يفتكر كيف يستخدم مقاصد اليهود ضدّ يسوع وسيلةً ليربح اولاً مالاً وثانيًا صداقتهم للحصول على معيشته متى انقطع رجاء اعالته من ايراد يسوع والصندوق الذي كان يختلس منه . ألم ينتبه الى تصريحات يسوع بان ملكوته ليس زمنيًّا وبان نصيب تابعيه الخسائر والمقاومات والاهانات والاضطهادات المميتة ؟ أو لم ينتبه ايضًا الى تكرار يسوع عبارات تدلّ على معرفته اسراره ؟ فما دام لا ميل له للتوبة والتقوى لا بدّ ان هذه العوامل تزيد انفصاله عن يسوع وعن رفقائه الرسل الأمناء. كان سابقًا من اتباع اولئك الرؤساء ومن تلاميذهم وهو نظيرهم من اهل اليهودية فيسهل عليه العود اليهم وترك المعلم الجليلي ومرافقة الرسل الجليليين

(١) او حسب قول الانجيل عنه "الى مكانه" اي المكان المناسب لصفاته

وقد صرّح يسوع تكرارًا انهُ لابد ان يسلَّم لليهود ليُصلَب. فان لم يسلمهُ هو يسلمهُ غيرهُ. فلماذا لا يجني الفائدة المادية من هذا الامر المقرّر ما دام يسوع قادرًا ان يتخلص من بين ايدي اليهود بعد تسليمهِ ان شاء ولا يتضرّر بسبب تسليمهِ. فضلاً عن انهُ يخدم بهذا التسليم مقاصد يسوع السامية. احتجاجات كهذه في افواه فاعلي الشرّ مألوفة عندنا اليوم. فلا نخطئ اذا قدّرنا استخدام يهوذا مثلها لتبرير نفسهِ في ما يفتكر الآن ان يفعل. قال البشير "حينئذٍ دخل الشيطان في يهوذا الذي يُدعى الاسخريوطي"

والذي دخل في يهوذا ترأّس غير منظور اجتماعًا في ذلك اليوم عينهِ في دار قيافا رئيس الكهنة حضرهُ رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب ليقرّروا بعد البحث كيفية مسك يسوع وقتلهِ. لانهُ لم يعد يمكنهم ان يحتملوا منهُ اكثر. ويريدون ان يقضوا عليهِ قبل العيد ان امكن. لان الخوف على كيان نظامهم شديد جدًّا بالنظر الى ميل الشعب اليهِ وخطر انتشار تعاليمهِ واخبار احساناتهِ ومعجزاتهِ بين اليهود المشتتين في كل الجهات والممالك بواسطة الذين اجتمعوا في هذا العيد. لكن العقلاء بينهم ادركوا ان الشعب اقوى منهم ولا يجاريهم في قصدهم. فاقنعوا الآخرين ان يصبروا الى ان يمضي العيد وتنصرف الجماهير ولاسيما مواطنيهِ الجليليين. هذا ما قرّرهُ مجلس الامة الموقّر. واما مجلس السماء فقرّر منذ الازل ان يذبح حمل الله في عيد الفصح الذي رُسم اشارة لهذه الضحية. فيكون قرار مجلس الامة المخالف باطلاً

وكانت الآلة لابطالهِ حليفهم وخادمهم الجديد الاسخريوطي الذي ساقهُ الشيطان ليفعل بارادتهِ الحرّة مشورة الله المحتومة. هذا قصد رؤساء الكهنة طمعًا بالرشوة منهم. فوجدهم يجدون المخابرة مع قواد جند الهيكل. فوعد ان يسهّل عليهم القبض على يسوع سرًّا خلوًّا من جمع قبل العيد لقاء مبلغ معيّن. ولا ريب ان الرؤساء تحفّظوا منهُ اوّلاً. لانهُ مستبعد عندهم ان

يسلمهُ احد رسلهِ . وانهم طلبوا منهُ براهين كافية تحقق لهم الاركان اليهِ انما دلَّم ذكاؤهم على انهُ لو قصد خداعهم لما طلب منهم اجرةً . بل كان يقدّم جميلهُ مجانًا.

فاركنوا اليهِ ووعدوهُ بالقيمة المصطلح عليها ان تُدفع كدية عبدٍ ان نطحهُ ثور وقتلهُ اي ثلاثين من الفضة[1] . ولربما استبشروا بمجيء يهوذا انهم قريبًا ينجون في ان رفقاءهُ يحذون حذوهُ ويتركون يسوع . ولاسيما بعد ان يروهُ اسيرًا ثم قتيلاً . وفرحوا جدًّا بوعد يهوذا انهُ يمكّنهم من القبض عليهِ سرًّا . لانهم يسرعون اذ ذاك في تسليمهِ للحكومة الرومانية ولا خوف بعدئذٍ من انتصار الشعب لهُ . لاغرو ان كانت الاجرة المتفق عليها زهيدة لان الرؤساء يعتبرون انهم لايحتاجون مساعدتهُ لنيل غايتهم بعد العيد . فيكون ربحهم من يهوذا الاسراع فقط . وعملهُ زهيد اي ان يراقب وقتًا يكون فيهِ يسوع منفردًا لكي يمسكوهُ بسهولة . اما يهوذا فيقبل بهذا المبلغ الطفيف لظنهِ ان لاتأثير لعملهِ. لكن فاعل الشر كفاعل الخير لايمكنهُ ان يقدّر عواقب عملهِ مهما كان صغيرًا وبسيطًا . كان خطأُ يهوذا بليغًا في زعمهِ ان عملهُ ليس ذا شأن . وقد استفاق على غلطهِ استفاقة مريعة كما سنرى

عاد يسوع الى بيت عنيا في المساء مرافقًا برسلهِ ويهوذا معهم . ولكونهِ قضى يومي الاربعاء والخميس هناك لم يتيسر للخائن ان يقوم بوعدهِ للرؤساء سريعًا ولعلهم تصوّروا انهُ خابرهم امتحانًا وانهُ لا ينوي ان يبرّ بوعدهِ . اما هو فامسى مستسلمًا اكثر للطمع والرياء وتربص في وظيفتهِ الجديدة كجاسوس على سيدهِ وولي نعمتهِ مترقبًا فرصةً مناسبةً ليسلمهُ . وهكذا انقضى يوم الثلاثاء . اما يوم الاربعاء فلم يذكر الكتاب من ماجرياتهِ شيئًا . لكن يرجَّح ان يسوع ورسلهُ قضوهُ بسكينة في بيت عنيا

---

(١) خر ٢١:٣٢ تساوي تقريبًا ثلاث ليرات انكليزية في عا ٦٠٣ اشارة الى بيع البار بفضة وفي عا ٦٠٨ الى مشتري الفقراء بفضة

ولما اشرقت عليهم شمس صباح الخميس كان يسوع قد نام نومهُ الاخير. لانهُ بقي لهُ ليل واحد قبل صلبهِ يمنعهُ عن النوم فيهِ اشتغالهُ في العشاء الفصحي ثم الرباني والصلاة في البستان وتسليم يهوذا اياهُ والمحاكمة الغير القانونية في دار رئيس الكهنة. ثم يعقبهُ ليلان وجسدُ الكريم في القبر وبعد ذلك جسد القيامة المجّد الذي لا يحتاج الى نوم

الفصل الثالث والاربعون

مت ٢٦:١٧-١٩ و٣١-٣٥ مر ١٤:١٢-٢٥ و٢٧-٣١ لو ٢١:٣٧ و٣٨
و٢٢:٢-٣٨ يو ١٣:١-٣٨ واكو ١١:٢٤ و٢٥

(المرصَّع) ف ٤٢ (الزمان) الخميس ٦ نيسان السنة ٣٠ م
(المكان) هيكل اورشليم

الاستعداد للفصح . المشاجرة . غسل الارجل . عشاء الفصح . عواطف يسوع .
الخائن وخروجهُ . العشاء الرباني . الاستحالة . اهمية سفك الدم .
الوصية الجديدة . الانباء بانكار بطرس وتشتت التلاميذ وشكهم

لم يُظهر يسوع صباح هذا الخميس استعداداً للذهاب الى المدينة. وربما استنتج رسلهُ انهُ عاقد النية على اكل الفصح في بيت عنيا . لانها داخلة في خراج اورشليم فيجوز ممارسة عشاء الفصح فيها بعد ذبح الخروف في الهيكل . وهذا الخميس الواقع في اليوم الرابع عشر من الشهر القمري صار حسب اصطلاح اليهود اليوم الاول من عيد الفطير[1] . فاصبح عيدهم ثمانية ايام لا سبعة . ولان ابتداء كل يوم يُحسب من الغروب قبلهُ تُعدُّ عشيَّة يوم الخميس من اليوم الخامس عشر الذي يقتضي ان يؤكل فيهِ الفصح

وفيهِ كان يحضَّر كل ما يلزم لعشاء الفصح في مسائهِ. لكن كانت تهيئة الخروف

---

(١) الاتفاق وجه ٥٢٧

والاعشاب المرّة والخمر وآنية الاغتسال وسائر تفاصيل العشاء تستغرق وقتاً ليس بقليل لذلك لم يصبر الرسل ليظهر ارادتهُ . بل تقدموا وسألوهُ اين يعدُّون العشاء[1] . فآل جواب يسوع كما آل سكوتهُ للآن الى توقيف الاسخريوطي عن اخبار الرؤساء اين يجدونهُ في ذلك المساء فيقبضون عليهِ قبل الاوان[1] . لان جوابهُ كان ارسال رسولَيه بطرس ويوحنا بتعليمات غامضة لا تُعين الاسخريوطي في قصدهِ . فلم يُفتح لهُ باب لترك يسوع والرسل الذين معهُ . تنبأ يسوع للرسولَين انهما يصادفان في المدينة ما قد يكون منظراً غير اعتياديّ اي رجلاً حاملاً جرّة ماء في الطريق . وافهمهما ان يقولا لصاحب البيت الذي يدخلهُ هذا الرجل . "يقول لك المعلم ان وقتي قريب . عندك اصنع الفصح مع تلاميذي"[2] . فمضيا ووجدا وفعلا كما قال لهما . فاخذهما هذا الرجل الكريم الى عليّة كبيرة مفروشة معدّة . لان يهود المدينة كانوا يعدُّون كل ما يمكنهم في منازلهم للمسافرين الغرباء ليلة العشاء الفصحي . فهناك اعدّا كل شيء حسب القانون

ولما صار المساء نزل يسوع والرسل العشرة الى المحل المُعدّ وانضمُّوا الى الرسولَين . وكان عليهم قبل ان يتكئوا حول المائدة ان يغسلوا ارجلهم من غبار السفر . لان النعال التي كانوا يلبسونها لا تغطّي الاّ اخمص القدم . يُظن ان في سفراتهم كان الخدام في بعض المنازل التي ينزلون فيها يؤدُّون هذه الخدمة . وحيث لا يوجد خدام كان التلاميذ يغسلون بعضهم ارجل بعض . لكن بما ان هذا العشاء رسميٌّ كما انهُ عظيم اخذ كل واحد منهم يستصعب

(١) زعم البعض انهُ مارسهُ قبل ميعادهِ بليلة (الاتفاق وجه ٥٢٩) انظر خر ١٢: ٣—٢٧ ولا ٢٣: ٤—٨ وتث ١٦: ١—٨ (٢) قال بعضهم ان هذا الرجل يوسف الرامي وآخرون انهُ نيقوديموس وآخرون انهُ يوحنا مرقس نسيب بطرس والكاتب بشارة مرقس وان العلية هي علية صهيون الشهيرة التي كان حاصر فيها التلاميذ وفيها حلّ عليهم الروح القدس في يوم الخمسين

القيام بهذه الخدمة لرفقائهِ كانهم ارفع منهُ مقامًا . لذلك تشاجروا في مَن هو اعظم بينهم [١] ليُعرَف من الذي يخدِم

يرجَّح ان البادئ والمحرّك الاعظم في هذه المشاجرة الاسخريوطي الطالب لنفسهِ الرفعة كونهُ من اليهودية وبيدهِ امانة الصندوق . والبشير يصرّح ان هذه المشاجرة صارت "حين القى الشيطان في قلب يهوذا الاسخريوطي ان يسلمهُ" . يؤسَف جدًّا على تكرار مشاجرتهم في هذا الموضوع [٢] . ولاسيما بعد ما وبّخ يسوع الفريسيين مؤخرًا على طلبهم العظمة والمجالس الاولى في الولائم . كرّر تحذيرهُ رسلهُ من هذا الروح

وبما انها جاءت في هذه الساعة الوقورة جرحت فؤاد السيد جرحًا بليغًا . فاخذ يكشف بكلامهِ خطأ الرأي السائد في عصرهم ان المتسلط هو المحسِن [٣] . وقال "انا بينكم كالذي يخدِم . فالمتقدّم فيكم ليكن كالخادم" . ثم وعدهم ان يجعل لهم معهُ نصيبًا في ملكوتهِ العتيد وحينئذٍ ياكلون ويشربون على مائدتهِ [٤] . ويجلسون على كراسي يدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر [٥] . وأيّد كلامهُ بمثالة جديدة عملية غريبة في بابها ومؤثرة لدرجة تكفل انهم لَن ينسوها ابدًا . لانهُ تنازل وخدمهم خدمة العبيد لاسيادهم على صورة مدهشة جدًّا

اعتنى البشير ان يذكر قبل ايراد هذا الخبر ان يسوع كان في تلك الساعة عالمًا انهُ قريبًا يرتقي من هذا العالم الى الآب . وان الآب قد دفع كل شيء الى يدهِ . وانهُ من عند الله خرج والى الله يمضي . فهذه المعرفة الحقيقية بمقامهِ

---

(١) ينفي في هذا الشجار ان لبطرس امتيازًا خاصًّا (٢) انظر مت ١٨: ١ و٢٠: ٢٠-٢٨ ومر ٩: ٣٣-٣٤ ولو ٩: ٤٦-٤٨ (٣) اتخذ بعض ملوك ذلك الرسم لقب محسن كلقب فخري ونقشوهُ على نقودهم (٤) لا يكون هذا الكلام حرفيًّا لان الرسول يقول ان ملكوت الله ليس اكلاً وشربًا (رو ١٤: ١٧) وان لحمًا ودمًا لا يرثان ملكوت الله (١ كو ١٥: ٥٠) (٥) ١ بط ٢: ٩ ورؤ ٢١: ٦ حيث يشار الى رتبة المؤمنين الملكية

العظيم من شأنها ان تزيد قيمة مثال التواضع الذي يقدّمهُ . ويُحتمل ان الاثني عشر اهملوا في هذا الوقت غسل الارجل بسبب هذه المشاحنة . لان يسوع نهض من مكانهِ بعد ان اتكأوا حول مائدة العشاء وخلع الرداء المختصّ بهِ كمعلم . واتّزر بمنشفة كالعبيد . واتى بالمغسل والماء . واخذ يغسل ارجل التلاميذ الذين ابوا ان يغسل الواحد للآخر . لكن لئلاّ يؤخذ فعلهُ في هذه الساعة كانهُ عن حدّة وغضب ذكر البشير بان يسوع كان قد احبّ خاصتهُ الذين في العالم حتى المنتهى . اي ان عاطف الحب العظيم الثابت وليس انفعال الغضب حرّكهُ لغسل ارجلهم تعليمًا لهم . وان هذا الحب كان الى منتهى وجودهِ معهم في الجسد . والى منتهى الضغط على محبتهِ الحاصل بسبب ما اظهروهُ من التقصير والسقوط . واثباتًا لهذه الحقائق غسل ايضًا رجلَي الخائن المتربّص ليسلّمهُ للقتل. أفلم يكن هذا العمل من افعل الوسائل التي استعملها هذا المخلص العظيم مع هذا الشرير اللئيم لتليين قلبهِ القاسي وردّهِ عن غيّهِ الشيطاني وتوليد المحبة المسيحية فيهِ وجذبهِ الى التوبة والصلاح ؟ ولاسيما ان صحّ قول القديس يوحنا فم الذهب ان يسوع ابتدأ بهِ في غسل الارجل لانهُ الاقرب اليهِ في المتكإ عن شمالهِ. يرجّح ان بطرس كان قدام يوحنا وعن يمينهِ. فيكون يسوع قد غسل ارجل الجميع ما عدا يوحنا قبل وصولهِ الى بطرس . فلما جاء الدور الى بطرس اعترض بصورة المستفهم المستغرب . ولم يقنع لما اجابهُ يسوع بانهُ سيفهم فيما بعد ما لا يفهمهُ الآن. بل جدّد اعتراضهُ بصورة الجزم والحكم على يسوع قائلاً "لن تغسل رجليّ ابدًا" . ففي الوقت الواحد يخطّئ سيدهُ ويفنّج عمل رفقائهِ الذين قد سلّموا لهُ في هذا العمل كانهم قصّروا عنهُ في الادراك واللياقة . فنال جزاءهُ كلام يسوع القوي "ان كنت لا اغسلك فليس لك معي نصيب"

عند ذلك كما تهوّر في الممانعة زاد فتهوّر في عكسها اي المطالبة باكثر ما قصد يسوع ان يفعلهُ . لانهُ اجاب "ليس رجليّ فقط بل ايضًا يديّ ورأسي" .

فلا يبرّئهُ حسن نواياهُ من خطإٍ جديد في تطلّعهِ ان يهدي يسوع الى احسن مما هو شارعٌ بفعلهِ . سلّم لكن ليس بتسليم التواضع او ان تواضعهُ كان من باب ما يُعرَف بكبرياء التواضع . لان التواضع الحقيقي يطلب اهمال الذات والافتكار بالآخرين . فخطّأهُ يسوع مبيناً ان لا حاجة لغسل يديهِ ورأسهِ . لان المهذّب يغتسل قبل ذهابهِ الى وليمة . وهذه السفرة القصيرة لا تغبّر الاّ الرجلين فقط

في هذا الجواب تعليم في التطهير من الخطيئة . اي ان من يحصل مرةً على الغفران عند تقديمهِ التوبة والايمان لا يحتاج الى اعادتهِ فيما بعد . لانهُ من الذين كُتبت اسماؤهم في سفر الحياة . وقد تبنّاهم الروح الالهي فيُحسبون من اولاد الله . لكن بما انهم لا يسلمون تماماً من السقوط في بعض الزلاّت عجزاً او سهواً يحتاجون الى غفران يختلف عن الاوّل كما يختلف غفران خطيئة الابن عن غفران خطيئة العدوّ . ويشبّه بغسل الاقدام فقط بالنسبة الى غسل الجسد كلهِ . فلأن الرسل كلهم متجددون الاّ الاسخريوطي تنوّع خطاياهم عن خطاياهُ . هذا مفاد قول يسوع "انتم طاهرون ولكن ليس كلكم" . وقول البشير "لانهُ عرف مسلمهُ" والذي يتوب مرّة توبة حقيقية لا ينتظر منهُ مطلقاً العود الى حالتهِ القديمة . بل انهُ يبقى مصرًّا على التخلص من الخطيئة فغفرانهُ ثابت وخلاصهُ مقرّر . لانهما لا يتوقفان على اعمالهِ وطاعتهِ بل على مواعيد الله ورحمتهِ المجانية . فان عاد الى القديم يُعرَف من ذلك انهُ لم يتب حقًّا

لما اكمل يسوع غسل ارجل الجميع نزع المنشفة عن حقويهِ ولبس ردائهُ واتّكأ في محلهِ على رأس المائدة . قال ما مفادهُ ان العظمة الحقيقية التي يسعى لاجلها العاقل التقي ليست المسببة عن الاموال او المقام او الذكاء او المعارف بل عن الخدمة والنفع للآخرين . وقياس هذه العظمة مقدار هذا النفع . ثم جدّد اشارة محزنة الى خيانة احدهم مع بيانهِ انهـــا تثبّت صحة كلام

الوحي[1]. وتتفق مع المشورة الالهية لئلاَّ يُظنّ ان عمل يهوذا يعارض او يفسد القضاء الالهي. وقد سبق الكلام في هذا المشكل الدهري المتعلق بالقضاء الالهي والحرية البشرية الذي يعجز الناس عن حلّهِ. لاشك ان الاسخريوطي كان قد تعمَّد بعمودية يوحنا كغيرهِ من الرسل. والآن نال من يد يسوع ذاتهِ غسل الارجل الرامز الى التطهير من الخطيئة. فصار شاهداً ناطقاً على ان افضل الوسائط الخارجية الدينية حتى اسرار الكنيسة ذاتها ولو مارسها اعظم رؤساء الكنيسة واقدسهم لا تفيد خلاص الذين ينالونها ما لم يرافقها شعور داخلي يناسبها

قد رأينا يسوع يتسلَّط على الهيكل الاسرائيلي فيطهّرهُ وعلى السبت اليهودي فيحرّرهُ وعلى الكتاب الالهي فيفسّرهُ. والآن نراهُ يتسلَّط على الفصح العبرانيّ اقدس طقوس الشعب المختار ويغيّرهُ. قضت الفريضة في التوراة ان يمارَس عشاء الفصح عائليًّا. فالتغيير الذي ادخلهُ يسوع من هذا الوجه بناهُ على تفضيلهِ العلاقات الروحية على النسبية حتى جعل انسباءهُ الروحيين لا الجسديين عائلتهُ. فالعائلة الجسدية تُعتبر مقدّمة ومدرسة للعائلة الروحية. وبما انهُ اتى ليتمّ كل الرموز الدينية ثم يلغي ما انَّهُ فعل ذلك بالفصح اليهودي وابدل مجتمع انسبائهِ بمجتمع رسلهِ وفقًا لقولهِ السابق "مَن هي امي ومَن هم اخوتي"؟[2]. نعلم ان امهُ كانت في المدينة وكذلك اخوتهُ[3]. فيكونون قد مارسوا الفصح في محلّ آخر منفصلين عن نسيبهم الاعظم. في ذلك بيان المقام الممتاز الذي وهبهُ للرسل وليس لغيرهم حتى ولا لوالدتهِ المكرَّمة. وتحقق ايضًا ان في الكنيسة المسيحية ليس لوالدتهِ المباركة الكلية الطوبى وظيفة تفوق او تماثل الوظيفة الرسولية

(١) كرّر كلام داود عند ظهور خيانة مشيرهِ اخيتوفل. "رجل سلامتي الذي وثقت بهِ آكل خبزي رفع عليَّ عقبهُ" (٢ صم ١٥: ٣١ و١٦: ٢٣ مع مز ٤١: ٩)

(٢) مت ١٢: ٤٨ و٥٠ (٣) اع ١: ١٤

نرى في هذا العشاء العظيم امتزاج الابتهاج والكآبة في فؤاد رأس هذه العائلة. فيظهر ابتهاجهُ من قولهِ "شهوة اشتهيت ان آكل هذا الفصح معكم". وفي اشتراكهِ معهم في عيدهم الشهير المقدّس الغنيّ بالمعاني والمشير في رسمهِ وتفاصيلهِ وممارستهِ الى عملهِ الخلاصي الذي سيتمُّهُ سريعًا. ولان ساعتهُ التي اتى لاجلها قد دنت - ساعة تتمّة انتصارهِ على قوات الجحيم ورئيسها - ساعة سحقهِ رأس الحية التي يسمح لها ان تسحق عقبهُ اولاً [1]. يبتهج لقرب رجوعهِ الى حضن ابيهِ - الامر الذي حسبهُ داعيًا ايضًا لسرور تلاميذهِ حبًّا له [2]. ولثبات زمرة تابعيهِ في ما مضى. ولما تراهُ عينهُ النبوية من اعمالهم الخطيرة ونجاحهم الباهر في المستقبل القريب. ولهذا قال لهم "انتم الذين ثبتوا معي في تجاربي وانا اجعل لكم ملكوتًا"

ومع كل ابتهاجهِ نراهُ يكتئب لان سعيهُ كل هذه المدة لاصلاح رسولهِ الخائن ذهب ادراج الرياح. فمرارة هذه الخيانة أصعب من مرارة مقاومة الرؤساء. يكتئب لانهُ عالم ان رسلهُ جميعًا يشكّون فيهِ في تلك الليلة "كما هو مكتوب اني اضرب الراعي فتتبدّد خراف الرعية". وان عميدهم الصخرة سمعان بطرس سيفوق الجميع في الارتداد الوقتي عنهُ كما فاق في الامتيازات التي اكرِم بها. يكتئب لان هذه الساعة هي ساعة فراق مؤلم. ولاسيما لتلاميذهِ الاحباء الضعفاء القاصرين والمتّكلين على قيادتهِ الشخصية. فضلاً عن ان من موجبات اكتئابهِ كابن الانسان ما رآهُ نصب عينيهِ من العذابات الجسدية والادبية الاصعب منها

حسب عادة اليهود كان على يسوع كرأس هذه العائلة ان يقدّم لافراد عائلتهِ السؤالات القانونية ويطلب منهم الاجوبة القانونية [3]. وان يبارك كأس الخمر قبل ان يناولهُ ويقول "مبارك انت يا ربنا والهنا ملك العالم الذي

(١) لك ٢٢: ٢٨ (٢) يو ١٤: ٢٨ (٣) انظر خر ١٢: ٢٦ و٢٧

خلقت نتاج الكرمة". ثم يشكر ويناولهم الكاس الاولى من الكؤوس الثلاثة المعيَّنة في هذا العشاء. ويقول "خذوا هذه واقتسموها بينكم"

وبعد تاكيدهِ لهم انها المرَّة الاخيرة لشربهِ معهم "حتى يأتي ملكوت الله" تجددت كآبتهُ. فاضطرب بالروح وكرَّر نبأهُ بان احدهم يسلمهُ. ولعلهُ قصد بذلك ايجاد سبب لاسراع يهوذا في الخروج من بينهم ليتمكن من الكلام الروحي دون تحفُّظ. وليفتح اعماق قلبهِ امام قوم من المحبين الحقيقيين وليس بينهم خائن. وليتمكن من وضع سرّ العشاء الرباني المقدس الذي لا يسوغ الاشتراك فيهِ الاَّ للامناء بحبهِ. وقولهُ "ان واحدًا منكم سيسلمني الآكل معي" ليس كاقوالهِ الماضية المبهمة "ان ابن الانسان سيسلَّم". فلم يمكنهم السكوت بعد وعدم الاكتراث كما في الماضي. بل حزنوا جدًّا وصاروا يتساءلون حائرين في الامر. وكلٌّ منهم (ما عدا يهوذا) يعلم استقامة نواياهُ وابتعادهُ عن فعل كهذا. ويثق برفقائهِ فلا يتصوَّر احدهم رديئًا لهذه الدرجة. فليس بينهم من يبرِّر ذاتهُ ويظن سوًّا في اخيهِ. لذلك سأل الاحد عشر الواحد بعد الآخر "هل انا هو يا رب". وعدم سؤال احدهم حتى ولا بطرس "هل هو فلان يا رب" يؤخذ برهانًا لصلاحهم جميعًا

يظهر ان يسوع قابل هذه السؤالات بالسكوت. فظلُّوا جاهلين الى مَن يشير. اما بطرس فمع كونهِ لم يسأل هل هو فلان يا رب لا يحتمل ان لا يعلم. ولا يقبل تكتُّم سيدهِ. وفي الوقت ذاتهِ لا يجسر ان يسأل علنًا. وبُعدهُ عن يسوع منعهُ عن الاستعلام منهُ سرًّا. فاستعان برفيقهِ الخاصّ يوحنا[1] المتَّكئ بينهُ وبين يسوع على عادة تلك الايام التي جعلت البشير يقول انهُ كان

(١) يوحنا الذي وحدهُ يروي هذا الخبر ويسمي ذاتهُ التلميذ الذي كان يسوع يحبهُ. فمن عدم ذكر اسمهِ نعلم انهُ لم يستعمل هذه العبارة عن كبرياء او ادعاء والاَّ فكان يصرِّح باسم التلميذ الذي كان يسوع يحبهُ (انظر يو ١٩: ٢٦ و ٢٠: ٢ و ٢١: ٧ و ٢٠—٢٢)

متكئًا في حضن يسوع [1]. فاومأ اليهِ ان يسأل يسوع مَن هو الذي يسلّمهُ. فانكبَّ يوحنا على صدر يسوع وقال لهُ "يا سيد مَن هو؟. اما جواب يسوع على هذا السؤال السرّي فلم يكن سرًّا بل صرّح امام الجميع ان مسلمهُ هو الذي يغمس يدهُ معهُ في الصحفة. والذي يغمس هو اللقمة و يعطيهِ اياها

سبقت الاشارة الى ان يهوذا اتخذ لنفسهِ محل الكرامة بجانب يسوع عن يسارهِ وكانا يغمسان اللقمة في الصحن الواحد. تتصوّر انهُ تظاهر في اوّل العشاء ريائيًّا بشدة الحب ليسوع · ولهذا اصرَّ على ان يجلس بجانبهِ [2]. وانهُ اخذ هذا الموضع بسماح منهُ ليتمكن يسوع من اتمام عملهِ معهُ لتليين قلبهِ وتحويلهِ عن قصدهِ الشنيع. ونتصوّر ان تظاهرهُ وسماح يسوع لهُ ابعدا عن افكار رفقائهِ كل ظن بان يكون هو المسلّم

وبما ان يسوع كشف الآن الحجاب عن شخص مسلّمهِ اشار الى العقاب الهائل الذي يجلبهُ هذا الفاعل على رأسهِ. لانهُ يتصرّف بحريتهِ التامة وان يكن ما يصيب ابن الانسان بواسطتهِ محتوم ومكتوب عنهُ. فهذا الحتم الالهي لا يختلف مقدار ذرّة من اثم مسلمهِ ومسؤوليتهِ ودينونتهِ المخيفة. لذلك قال يسوع "كان خيرًا لهُ لو لم يولَد". تكفي هذه العبارة التي تقشعرُّ لها الابدان لتحرمهُ حتى اقل بارقة امل في رحمة او فرج او راحة فيما بعد الى ابد الآبدين. ولا يجوز ان يقال عن انسان سوف يدخل السماء اخيرًا "كان خيرًا لذلك الرجل لو لم يولَد". فلا يصح مع هذا الحكم من فم الديّان ذاتهِ زعم الذين يقولون بخلاص عمومي اخيرًا للبشر كافةً

بعد هذا لم يسع يهوذا المرائي الاّ ان يتمثل برفقائهِ في السؤال "هل انا هو

(١) كان يتكيء الانسان على مرفقهِ اليسار فيكون رأس المتكئ عن يمينهِ في صدرهِ

(٢) كان الوضع الالهي ان ياكلوا الفصح واقفين لكنهم بعد حين غيروا هذا النظام بحجة ان الامر بالوقوف كان يوم عبوديتهم للمصريين في ارض الغربة واما الآن كاحرار في وطنهم تحرّروا من هذه الوصية

يا سيدي؟" فلم يسكت يسوع عند سؤالهِ كما سكت لغيرهِ بل صدَّقهُ بقولهِ "انت قلت". ثم بغمسهِ اللقمة في المزيج المكنَّى عنهُ بالاعشاب المرَّة (١). لا تُعتبَر مناولة هذه اللقمة للدلالة على الخائن. لان ذلك تمَّ بالغمس في الصحن الواحد. بل تعدُّ وسيلة حية مؤثِّرة للاتيان بهِ للتوبة والخلاص (٢). فلا يصح القول ان يسوع لا يسعى لخلاص نفس هذا الشرير لعلمهِ انهُ لا يرجع عن غيهِ ولا لانهُ عازم ان يقدم على الصلب ويهوذا آلة لذلك. يسوع ينظر الى اقتداء الناس بهِ. فيفعل ما يُطلَب من كل صالح في الظروف المماثلة. في صنعهِ كابن الانسان لا يسأل ما هو القضاء الالهي بل ما هو الواجب الانساني. فيستعمل كل الوسائل المناسبة لخلاص الناس تاركًا في زمن تأنسهِ امور القضاء الالهي للآب الذي ارسلهُ. ويهوذا ذاتهُ عند ندامتهِ لم يتستَّر وراء القضاء الالهي كانهُ عذر لهُ

ثم انتهى عشاء الفصح اليهودي ولما كان يهوذا قد رفض الانقياد الى المحبة التي قدَّمها يسوع مع اللقمة المغموسة "دخلهُ الشيطان" اي قوَّى سلطتهُ فيهِ. فقال لهُ يسوع "ما انت تعملهُ فاعملهُ باكثر سرعة". اما رفقاؤهُ فبعد كل ما قيل في مسامعهم وحدث امام عيونهم لم يفهموا هذا القول ولا تصوَّروا ان يسوع يشير الى خيانتهِ بل الى اعمال اقتصادية او خيرية تتوقف على استلامهِ الصندوق. لان امامهم سبعة ايام العيد يقدِّمون فيها ذبائح ويوزِّعون فيها احسانًا على الفقراء الى غير ذلك من النفقات. فظنُّوا ان يسوع اشار الى شيء من هذه. اما ذاك (٣) فلما اخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً. وايُّ ليل هذا الذي ليس بعدهُ الاَّ ليالٍ اظلم منهُ بما لا يقاس في الدينونة الابدية! وعن ايِّ مقام عالٍ شريف بين رسل المسيح المنتخبين قد هوى الآن بنفسهِ الى

(١) المركب من مواد مختلفة كالتين اليابس واللوز والجوز (٢) المعروف في البلاد الشرقية ان تخصيص انسان في وليمة بمناولة صاحب الوليمة اياهُ لقمةً من يدهِ اكرام وامتياز وعلامة حبية (٣) لم يَرُق للبشير ان يسميهُ

اعماق الدناءة والخبث والقساوة والكفر والرياء والقباحة والعار ثم اليأس والعذاب والعقاب في النار المؤبدة!

لم يسقط من ذاك النعيم الى هذا الجحيم الاَّ تدريجًا كغيره. سقط لانهُ لم يسهر ويصلِّ ليسلم من جرائم الآثام. بل استسلم للطمع والرياء وضروب الانانية. فوصل الى ما وصل اليهِ. وزادت قساوة قلبهِ لرفعة مقامهِ السابق وعظم الوسائط الحسنة التي نبذها. سار مع اميالهِ الفاسدة لما كان لم يزل سهلاً عليهِ ان يقهرها ويميتها. فمن ثمَّ قويت عليهِ واهلكتهُ. لا يعلم الاَّ الله وحدهُ الى اية نتائج وخيمة تؤدي الاميال الشريرة التي يستسلم لها الانسان بدلاً من ان يقاومها

لما خرج الاسخريوطي من بينهم ليفتش عن شركائهِ الجدد ويخبرهم ان يسوع في المدينة ويمكنهم ان يلقوا القبض عليهِ بسهولة ارتفع عن قلب يسوع ثقل. "فقال الآن تمجَّد ابن الانسان وتمجد الله فيهِ. وان الله سيمجدهُ في ذاتهِ سريعًا"

قد حقَّق الرسل ان سيدهم يسلَّم الى مبغضيهِ ويقتلونهُ صلبًا. لكنهم لم يدركوا معنى ذلك. فاوضح لهم بواسطة فريضة جديدة حسيَّة رسمها بحضورهم واورثها لكنيستهِ الى ان يجيء ثانية بالمجد. هي العشاء الرباني الجديد الذي ربطهُ بعشاء الفصح القديم ليسهل عليهم قبولهُ وفهم تعليمهِ. وهذه كينية ذلك. امامهم فضلات الخبز والخمر بعد عشاء الفصح [1]. فاخذ يسوع قطعة من هذا الخبز الفطير [2] وشكر وكسَّر وبارك واعطى التلاميذ. وقال "خذوا كلوا. هذا هو جسدي المكسور لاجلكم الذي يُبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري"

في الشكر ذكَّر رسلهُ انهُ عند تناول خيرات الارض يُشكَّر رب السماء

(١) كان ممنوعًا ان يتركوا فضلات من الذبيحة خر ١٢: ١٠ (٢) المشير الى الخلو من الخمير العتيق والفساد

مصدر كل عطية صالحة وكل موهبة تامة [١] . وفي التكسير انهُ كما ان الخبز لا يجيء اجسادًا الاَّ ويكسَر اولاً . كذلك لا يجيء هو موتى الذنوب والخطايا الاَّ ويتألم ويُصلَب اولاً . وفي المباركة ذكَّرهم انهُ صاحب السلطان المعطى لهُ من الآب . هو الذي بركتهُ " تغني ولا يزيد معها تعبًا [٢] . وفي اعطاء الخبز من يدهِ ليدهم انهُ هو الطريق والحق والحياة وليس احد يأتي الى الآب الاَّ بهِ [٣] . وفي قولهِ خذوا كلوا ذكَّرهم ان كل ما يعملهُ لاجل خلاصهم وحياتهم الروحية يذهب سُدىً ما لم يأخذوهُ روحيًا ويخصّصون شخصهُ وعملهُ لذواتهم فردًا فردًا بالايمان بفعل روحيّ يقابل الاكل الجسديّ

في قولهِ "هذا هو جسدي المكسور لاجلكم" اوضح لهم انهُ قد عيَّن الخبز المكسور في هذا العشاء الجديد رمزًا لجسدهِ المكسور لاجل حياة العالم . سبق لهُ من مئة سنة كلام قوي جدًّا لليهود في مجمع كفرناحوم في موضوع آكل جسدهِ وشرب دمهِ . في حينهِ اعثر كلامهُ ليس فقط اليهود بل السواد الاعظم من تابعيهِ . فليس تعليمهُ ان جسدهُ خبز الحياة فيوكل روحيًا تعليمًا جديدًا محصورًا في ممارسة العشاء الرباني . ويكفي ذلك الكلام القديم تفسيرًا لهذا الكلام الجديد . ونفيًا للتفسير الحرفي الذي حذَّرهم منهُ وقتئذٍ [٤]

بناء على ما اناهُ البعض من التطرُّف والمبالغة والخطإ في تفسير قول السيد لهُ المجد "هذا هو جسدي" لا بأس من التوسُّع قليلاً في شرح هذا القول الشهير . فما ينفي التفسير الحرفي لذلك القول كلام يسوع في الحادث المشار اليهِ آنفًا . "الروح هو الذي يحيي . اما الجسد فلا يفيد شيئًا . الكلام الذي اكلمكم بهِ هو روح وحياة" [٥] وينفيهِ ايضًا كون جسدهِ لم يكن مكسورًا عند ما قال "هذا هو جسدي المكسور" . بل كان سالمًا وكان الخبز موضوعًا على حدة . فلا يكونان شيئًا واحدًا . ولم يتكلَّم في صيغة الاستقبال ليؤخذ كلامهُ عن

(١) يع ١ : ١٧ (٢) ام ١٠ : ٢٢ (٣) يو ١٤ : ٦ (٤) ف ٢٧
(٥) يو ٦ : ٦٣

امرٍ سيحدث بعد ما تكلم. وينفيهِ كلام الرسول بولس الذي يقول "كلما اكلتم هذا الخبز" بعد قولهِ "هذا هو جسدي" (١)

وتنفيهِ شهادة الحواس التي هي وضع الهي والوسيلة الوحيدة لتحقيق المعجزات. لانهُ لا توجد معجزة واحدة بين كل ما ذُكر في الكتاب الاَّ ظهر برهانها للحواس. فمعجزة تحويل الخبز الى جسد على رأي اهل عقيدة الاستحالة لا تصدقها حاسَّة واحدة. بل تخالف تمامًا شهادة الحواس الاربع اي البصر واللمس والشم والذوق. فالتفسير الحرفي الذي يتشبَّثون بهِ يستدعي معجزة اعظم جدًّا من كل المعجزات الاخرى. ومحتاجة اكثر كثيرًا الى موافقة شهادة الحواس. لانها تحدث في اماكن لا تُعدّ في وقت واحد. وفي اوقات لا تُحصى على توالي السنين والاجيال. فهل يُعقل انها تكون خارجة عن قانون المعجزات في مخالفتها لشهادة الحواس الامر الذي يذهب تمامًا بفائدتها؟

التحويل المحكى عنهُ ضمن دائرة المادَّة. والمادَّة خاضعة ضرورة لحكم الحواس. يسلَّم بان الامور الروحية خارجة عن شهادة الحواس وفوقها. لكن استحالة الخبز الى جسد امر مادّي لا روحيّ. فان لم يشأ سيحانهُ ان يحوّل تحويلاً تدركهُ الحواس يتوجَّب على كل عاقل ان ينكر هذا التحويل طالما لهُ تفسير آخر معقول للقول "هذا هو جسدي". وهذا التفسير المجازي مألوف وسالم من المحظور كما في قولهِ انهُ راعٍ ونور وباب وطريق الى آخر التشبيهات والرموز التي اتخذها لنفسهِ مراعاةً لمدارك سامعيهِ. مثل هذا نفعلهُ كل يوم لما نقول عن صورة او تمثال "هذا فلان". بمعنى هذا تمثال فلان او صورتهُ. والمؤمن يتخذ كلام يسوع بمعنى هذا هو رمز او تمثال لجسدي

ثم ناول يسوع رسلهُ كأس الخمر بعد ان شكر. وقال "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا". فكل ما

(١) ١ كو ١١: ٢٦

قيل في الموانع للتفسير الحرفي القائل باستحالة الخبز الى جسد يقال ايضاً في استحالة الخمر الى دم في القسم الثاني من هذا العشاء

كان للدم اهمية اولى في كل التعليم الالهي لشعب الله في القديم منذ ايام هابيل الذي قُبلت تقدمتهُ الدموية مع رفض تقدمة اخيهِ غير الدموية . ومحور النظام الموسوي كلهِ كان سفك الدم . لكن دم التيوس والعجول والحملان لا معنى ولا فائدة لهُ في الدين الأكرمز لدم حمل الله الذي يُسفك لاجل رفع خطيئة العالم . لانهُ كما سلَّم الدم على القوائم والاعتاب في بيوت العبرانيين في مصر ابكارهم من الملاك المهلك يسلِّم رش دم حمل الله روحيًّا على قلب الخاطئ صاحبهُ من الهلاك الابدي . اشار الرسول الى ذلك بقولهِ "لانهُ بدون سفك دم لا تحصل مغفرة"[1] . لذلك ليست هذه الكأس كالتي شربوها بحضور الاسخريوطي والمباحة لجميع افراد نسل ابرهيم بقطع النظر عن صفاتهم . بل هي مثال الدم الذي بعد بضع ساعات سيُهرَق على الصليب وتُخصَّص فائدتهُ للمؤمنين الحقيقيين . فالرسل الاحد عشر الامناء شربوا جميعًا من هذه الكأس . بعد هذا لانهُ سيفارقهم عن قريب على كيفية تورثهم اليأس وتُلقي ايمانهم في اشد الخطر نشطهم بوعدهِ انهُ سوف يشرب الكأس معهم جديدًا في ملكوت ابيهِ

العناية بنفي الاوهام التي التصقت بهذا الموضوع الجلل تمهيد فقط للاهتمام بالاسرار الغامضة والمعاني السامية والفوائد الوافية المرتبطة بهِ . من هذه الاسرار حلول يسوع الروحي في قلب المؤمن حلولاً حقيقيًّا وفعّالاً . ومن هذه المعاني الوحدة التي يؤيدها بينهُ وبين محبيهِ وبين بعضهم بعضًا . ومن هذه الفوائد غير ما ذُكر تبشير الهالكين في الخطيئة بالخلاص بموتهِ بواسطة علامات محسوسة تستوقف نظر الشاردين عن حبهِ وتليّن قلوبهم فيأتون اليهِ بالتوبة والايمان

ظهرت اهمية العشاء الرباني من شهادة بولس ان يسوع ظهر لهُ بعد

(١) عب ٩: ٢٢

صعوده وسلّمه هذا الرسم حتى لا يشكّ فيه او يظهر انه ترتيب بشري[1]. فيسوع بقوله اصنعوا هذا لذكري اوجب على كل فرد من تابعيه الامناء من ذاك الحين الى ان يجيء ثانية بالمجد ان يطيع امره ويمارس هذا السرّ المقدس. وبذلك يحيي في فكره وفي افكار مَن حوله ذكر موته الكفاري لاجل البشر. وذكر عشاء عرس الخروف المعدّ لجميع المؤمنين. وهو عشاء تطفح فيه كاس ابتهاجهم اذ يتمتعون بالقداسة التامة والسعادة الكاملة الى ابد الآبدين

وهذا العشاء الرباني دليل الاشتراك الحبي الاخوي بين المؤمنين وعربونه ايضاً. لذلك لاق ان يقول في وليمة الحب هذه. "يا اولادي *** وصية جديدة انا اعطيكم ان تحبّوا بعضكم بعضاً كما احببتكم انا تحبّون انتم ايضاً بعضكم بعضاً. بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي ان كان لكم حبٌّ بعضاً لبعض". هذا هو الحب الاخوي المتبادل بين المؤمنين الحقيقيين الذي يجعل الاخ بالايمان اقرب من الاخ الطبيعي الخارج عن الايمان

لما قال يسوع انه سوف يفارقهم عن قريب الى حيث لا يستطيعون ان يأتوا تحمّس بطرس واعترض كعادته. وكان كلامه جميلاً ناتجاً عن نية صادقة وحبٍّ قلبي لكنه لا يعرف ضعفه لما تُرك وحده. فاضطرّ يسوع ان يفهمه انه قبل ان يصيح الديك في الصبح القادم ينكر سيده ثلاث مرات. ولثلاّ يفتخروا يشمت رفقاؤه عند هذا القول عن بطرس قال ايضاً. "كلكم تشكّون فيّ (اي تتركونني) في هذه الليلة". فتصح النبوّة "اني اضرب الراعي فتتبدّد خراف الرعية"[2]. الوصية الجديدة ان يحبّوا بعضهم بعضاً كما احبهم هو تقضي على كل منهم ان يدافع عن اخوته وينفي عنهم احتمال الارتداد عن سيدهم قبل ان ينفي ذلك عن نفسه. فخالف بطرس حالاً روح هذه الوصية في مدافعته عن نفسه وعدم مدافعته عن اخوته. لا بل سلّم ضمناً بامكانية سقوط اخوته واستحالة

(١) ١كو ١١: ٢٣ (٢) انظر زك ١٣: ٧

سقوطهِ هو . فلم يتّعظ بتحذير سليمان الحكيم في قولهِ "قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح"(١)

ان بطرس سيسقط سقوطاً سريعاً ومخيفاً فتنشيطاً لهُ لكي ينهض بعد السقوط وتحذيراً لهُ لئلاَّ يفتخر بعد نهوضهِ قال لهُ يسوع "سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة . ولكن قد طلبت من اجلك لكي لا يفنى ايمانك. وانت متى رجعت فثبّت اخوتك". في قول يسوع "الشيطان طلبكم" وعدم قولهِ "قد رُفض طلبهُ"(٢) ان الشيطان يطلب من الله اموراً كهذه . وان الله يسمح بها احياناً لمقاصد خيرية بحتة. ميّز يسوع بطرس في شفاعتهِ لان بطرس سيميّز ذاتهُ في سقوط شرًّا جدًّا من سقوط رفقائهِ . وذلك على رغم افتخارهِ عليهم . لم يطلب لاجلهِ ان لا يتزعزع ايمانهُ . لانهُ يحتاج الى مثالة رهيبة تعلّمهُ التواضع والتوكل — مثالة يتعلمها من تزعزع ايمانهِ او نتيجة ذلك في انكارهِ النظيع . بل طلب ان لا يفنى ايمانهُ . وهذا الطلب استجيب

علّة ايضاً ما عليهِ من الاهتمام باخوتهِ المعرّضين للسقوط . لانهُ يقدر ان يجعل اختبارهُ في السقوط ثم في النهوض نافعاً لهم ايضاً. لكن بطرس في عنادهِ الحبي وغيرتهِ الوقّادة اصرَّ على ثقتهِ بنفسهِ انهُ لا يسقط . فكرّر تاكيدهُ انهُ يمضي مع سيدهِ الى السجن وحتى الى الموت . فاضطرَّ يسوع ان يؤكّد لهُ بعبارة اقوى من الاولى انهُ سيسقط . لكنهُ مع كل ذلك كرّر ثالثةً مناقضتهُ لقول يسوع غير منتبه الى ان ذلك مما يجعل يسوع كاذباً(٣). فمهما ارتقى المؤمن في النجاح الديني لا يُعزى ذلك الى قوّتهِ بل يقول مع الرسول بولس "بنعمة الله انا ما أنا"(٤) . ويحفظ في فكرهِ تحذير هذا الرسول الحكيم "اذاً من

(١) ام ١٦:١٨ (٢) ومن خبر مثلهُ في قصة ايوب اي ١:٩—١٢ و٢:٤—٦

(٣) وشاركه سائر الرسل في التاكيدات ليسوع انهم لا يتركونه . فظهر سريعاً خطأ هذه "العصرة" لما ادّعى لنفسهِ بعض العظمة. قرّب الله اليوم الذي فيهِ يخجل الجميع خطأ الذين يسمّون خطاياهُ ويدّعون بالعصمة ايضاً (٤) ١ كو ١٥:١٠

"لا على قوانا بل عليهِ نتكل نرتجي حاجاتنا . من عطاهُ المتصل"

يظن انهُ قائمٌ فلينظر ان لا يسقط "(١)

ذكّرهم يسوع اخيرًا بقوتهِ التي ظهرت لما جالوا يبشرون بامرهِ ولم يفتقروا الى شيء مع كونهم فارغين تمامًا من وسائط المعيشة والحماية . فاعترفوا لهُ بصدق هذا القول . اذًا تكفيهِ قوّتهُ ليحمي نفسهُ من اعدائهِ الآن لو شاء . واعلن لهم ان وصيتهُ في ذلك الوقت ان لا يهتموا مطلقًا بزمنياتهم كانت خصوصية وقتية لا عمومية دائمة . وتنبّأ لهم بامر لا يخطر لهم على البال كليًّا . وهو ان في موتهِ سيوضع مع شرّيرَين شهيرَين لاجل التحقير اتمامًا للكتابة القديمة عنهُ انهُ "أُحصي مع أثمة" (٢) . فلما اظهروا استعدادهم ان يدافعوا عنهُ عند الاقتضاء وقالوا "يا رب هوذا سيفان" قال لهم "يكفي"

(١) ١ كو ١٠ : ١٢ (٢) اش ٥٣ : ١٢

الفصل الرابع والاربعون

(مت ٢٦: ٤٦ – ٥٦ مر ١٤: ٢٦ و ٤٢ – ٥٢ لو ٢٢: ٣٩ – ٥٣)
(يو ١٤: ١ – ١٨: ١٢)

(المرصّع) ف ٤٣ – ٤٥ (الزمان) الخميس في ٦ نيسان السنة ٣٠ م. (المكان) اورشليم وجبل الزيتون

خطاب يسوع الوداعي . مقامهُ . وعدهُ بالروح القدس . سلامهُ . هو الكرمة . الثبات فيهِ . المحبة الاخوية . عداوة العالم . فعل الروح القدس . اعتراف الرسل . صلاتهُ الشفاعية . الخروج ليلاً . الصلاة والآلام في جثسيماني . ماهية الكاس . تسليم يهوذا اياهُ والقبض عليهِ . قطع اذن ملخس . هرب التلاميذ

قد امتاز هذا العشاء المسيحي الجديد بين حوادث حياة يسوع . لان ظروف وضعهِ ضاعفت صفتهُ الرسمية . فنراهُ يقدّم بهذه المناسبة خطابًا رسميًا وافيًا يوافق هذا الموقف الموقّر . لا يقدر انسان ان يتصوّر اسبابًا للاضطراب تعادل التي تحيط بالسيد الآن . ولكن بدلاً من ان يكون مضطربًا ينصرف اهتمامهُ بمزيد انكار الذات الى تسكين اضطراب رسلهِ حول المائدة . يعمل الآن كما علّمهم في امر انكار الذات ولا يبالي ببلاياهُ بل بتهدئة روع رسلهِ . فخطابهُ الوداعيُّ النفيس طافحٌ بالمعاني السامية الروحية والتعزيات الفعالة الالهية . وملؤهُ الحبّ والحنان بقصد الهداية والبنيان

يبتدئ بقولهِ " لا تضطرب قلوبكم . انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي . في بيت ابي منازل كثيرة . والاّ فاني كنت قد قلت لكم . انا امضي لاعدّ لكم مكانًا .

وان مضيت واعددت لكم مكانًا آتي ايضًا وآخذكم اليَّ حتى حيث اكون انا تكونون انتم ايضًا". أليس هذا كلام مدهش جدًّا من انسان يعلم جيدًا انهُ قبل غروب الغد سيكون رسلهُ الذين يكلّمهم هكذا مشتّتين ومختبئين امام اعدائهِ واعدائهم؟ ويكون هو جثة هامدة على صليب بين لصّين؟ فبأيّ حق يتكلم كغالب وليس كمغلوب؟ وماذا نقول عن كلام كهذا؟ "انا هو الطريق والحق والحياة. ليس احد يأتي الى الآب الاَّ بي. الذي رآني فقد رأى الآب. الحق الحق اقول لكم من يؤمن بي فالاعمال التي انا اعملها يعملها هو ايضًا ويعمل اعظم منها لاني ماضٍ الى ابي. ومهما سألتم باسمي فذلك افعلهُ ليتمجد الآب بالابن" ثم يأتيهم باعظم مواعيدهِ. لان عليهِ يتوقف حسن مستقبلهم وكيان كنيستهِ ونجاح افرادها في كل الازمان. قال "وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزّيًا آخر ليمكث معكم الى الابد. روح الحقّ الذي لا يستطيع العالم ان يقبلهُ لانهُ لا يراهُ ولا يعرفهُ. واما انتم فتعرفونهُ لانهُ ماكث معكم ويكون فيكم. واما المعزّي الروح القدس الذي سيرسلهُ الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلتهُ لكم". ويكرّر كلامًا في ارتباط المحبة لهُ مع حفظ وصاياهُ. ويبيّن النتيجة الجميلة لحفظ وصاياهُ في قولهِ "ان احبني أحد يحفظ كلامي ويحبّهُ ابي واليهِ نأتي وعندهُ نصنع منزلاً"

هو رئيس السلام[1] الذي كان موضوع بشارة الملائكة عند ولادتهِ[2]. فيقول "سلامًا اترك لكم سلامي اعطيكم. ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا". ليس "عليهِ السلام" كالانبياء بل "منهُ السلام" كما صرّح بذلك الرسل في الرسائل[3]. ولكي لا يستسلموا للحزن يقول "لو كنتم تحبّونني لكنتم تفرحون لاني قلت امضي الى ابي. لان ابي اعظم مني"

ثم تنتقل افكارهُ من رفقائهِ الى ما هو جارٍ في المدينة بقربهم في نصف الليل. لانهُ يرى ما لا يرونهُ من التجهيز في دار رئيس الكهنة استعدادًا لاعظم

(١) اش ٩: ٦ و ٧ (٢) لو ٢: ١٤ (٣) غل ١: ٣ وآيات اخرى عديدة

جريمة في تاريخ الدهور . ويرى ليس فقط الرؤساء واعوانهم وحركات الاسخريوطي الخائن بينهم . بل ترى ايضاً بصيرته عميد الشرّ والظلام رئيس الشياطين الذي يقود هؤلاء في مكائدهم الاثيمة دون ان يشعروا بحضوره الروحي بينهم . ورؤيته هذه اوقفته في كلامه عند قوله . "لا أتكلم معكم ايضاً كثيراً . لان رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ شيء . قوموا ننطلق من ههنا". في كلٍّ من الانبياء "كان لرئيس هذا العالم" شيء . لكن في ابن الانسان الرجل الكامل السالم من كل خطيئة وخطإٍ ليس له شيء

الاّ انهم لم ينطلقوا حالاً . لانه استأنف الكلام لاستيفاء خطابه . ولكي يوضح العلاقة المتينة الدقيقة الكائنة بينه وبين المؤمنين به يشبّه ذاته بالكرمة ويشبههم بالاغصان . ويعلّمهم ان المهمّ فيه وفيهم هو الإثمار . لان بهذا يتمجد الله . وانه يُظهر اثمارهُ بواسطتهم كما تُظهر الكرمة اثمارها بواسطة اغصانها . وان الذين لا يثمرون يُقطعون ويُحرقون . وان الوسيلة الوحيدة والكافية للإثمار هي الثبات فيه اي الالتصاق التام به . فاقل انفصال بين الكرمة والغصن يمنع الإثمار ويجفّف الغصن ويميته . والثبوت فيه يحقق ثبوت فرحه فيهم . وهذا ما يرغب ويقصد ان يتمتعوا به

فما اعجب تفكرهُ وتكلمه بالفرح في هذه الساعة الهائلة . ويصرّح بركنين متينين لايمانهم هو اختيارهُ اياهم قبل اختيارهم اياهُ . ويجعل قياس حظهم لوصيته الجديدة بالمحبة الاخوية حبُّه لهم الذي لا حدَّ له . ويذكّرهم انه لم يتصرّف معهم حسب حقوقه كسيّد مع عبيدٍ بل كحبيب بين احباء . ويقول برهاناً لذلك "لاني اعلمتكم بكل ما سمعته من ابي" . وينشطهم لاجل سني الاضطهاد التي تترصدهم قائلاً ان العالم قد ابغضه اولاً . وانه تأتي ساعة فيها يظن كل من يتلمذهم انه يقدم خدمة لله . وان سبب عدم ايضاحه ذلك من البداية كان لانه معهم جسدياً . لكن متى تمّ ذلك يتسلحون بهذا العلم السابق المقدّم منه . فليس العبد اعظم من سيدهِ او التلميذ من معلمهِ لينتظروا معاملة افضل من

التي عومل بها . وسبب بغض العالم هو اشرف سبب لهم اي كونهم ليسوا من العالم ليحبهم . ولان العالم لا يعرف الآب ليحب اولادهُ حتى ولا يحبون الابن الوحيد الذي نزل من حضنهِ في السماء

لا عجب ان اخذ الغم منهم الآن كل مأخذ . لانهُ فوق حزنهم على تاكيدهِ بانهُ سيتركهم عليهم ان يتوقعوا هذا الاضطهاد المميت فينبههم الى فوائد المصيبة الاولى والعظمى اي تركهِ اياهم . وهذا كلامهُ . "لاني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم . اقول لكم الحق انهُ خير لكم ان انطلق لانهُ ان لم انطلق لا يأتيكم المعزّي . لكن ان ذهبت ارسلهُ اليكم . متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق . لانهُ لا يتكلم من نفسهِ . بل كل ما يسمعهُ يتكلم بهِ ويخبركم بامور آتية . كل ما هو للآب فهو لي"

يؤخذ هذا القول بالاتفاق مع قولهِ الآخر في هذا الخطاب "لان ابي اعظم مني" ويؤيدهُ قولهُ السابق "انا والآب واحد" . ومع تكرارهِ اشارتهُ السابقة الى انهم سيتركونهُ عن قريب وحدهُ ليس في كلامهِ أقلّ غيظ او مرارة . بل بالعكس . لانهُ يقول "كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام . في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم"

لم يتهِ هذا المعلم الماهر من تعليمهِ الاَّ ورفع عينيهِ نحو السماء في الصلاة وقدَّم تلك الصلاة المؤثِّرة الشفاعية التي هي اعظم كل ما كُتب من صلواتهِ . وتستحق ان يدرسها المطالع بدقة في الانجيل . وان يلاحظ اتفاقها الجميل مع الخطاب الذي تقدَّمها . وفيها ردَّد نغمة المجد ونغمة الوحدة وفي الاستهلال ليست الاصوات فيها ما كان يُنتظَر . لانها خالية من الأنين والحزن على رغم الظروف الخارجية الداعية الى ذلك . وملأى باصوات المجد والابتهاج والوحدة وهذا بعضها

"ايها الآب قد اتت الساعة . مجّد ابنك ليمجّدك ابنك ايضاً إذ اعطيتهُ سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة ابدية لكل من اعطيتهُ . وهذه هي الحياة

الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلتهُ (١) انا مجدتك على الارض. والآن مجدني انت ايها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم (٢). احفظهم في اسمك الذين اعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن. لست اسأل من أجل هؤلاء فقط بل ايضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم (٣). ليكون الجميع واحداً كما انك انت ايها الآب فيَّ وانا فيك ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا. وانا اعطيتهم المجد الذي اعطيتني ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد"

من أجلّ فوائد هذه الصلاة انها تكشف عن محبة عجيبة متناهية في قلب يسوع نحو تلاميذهِ محبة تتجاوز منهم الى كل من يؤمن بواسطة كلامهم ونحن منهم. وهي اساس الرجاء بالخلاص. لانهُ ما دام المخلص المقتدر يحب هكذا ويتعهد للآب انهُ يحفظ جميع الذين اعطاهُ الآب اياهم حتى لا يهلك منهم احد الاَّ ابن الهلاك يحق لكل مؤمن حقيقي ان يثق بان هذا المخلص سيحفظهُ ويصلحهُ ويقدمهُ اخيراً امام عرش الآب مكمَّلاً. الامر ظاهر ان نَفَس هذه الصلاة الاجمالي بعيد عن نفس صلاة اعظم الانبياء واقدسهم. واكثر عباراتها ما لا يجوز لمجرَّد بشر استعمالهُ في الصلاة

بعد الصلاة والخطاب سبَّحوا ثم خرج ومضى كالعادة مع تلاميذهِ الى عبر وادي قدرون الى جبل الزيتون. اما تسبحتهم فكانت على ما يرجح تلك التي رنموها قانونياً وقت الانصراف بعد عشاء الفصح (٤). فكم كان تأثُّر هولاء الرسل وهم يرنمون "اكتنفتني حبال الموت. اصابتني شدائد الهاوية. كابدت ضيقاً وحزناً. الرب لي فلا اخاف ماذا يصنع بي انسان. الحجر الذي رفضهُ البناؤون قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في

(١) لا يمكن المبالغة في اهمية هذا التعريف لحياة الابدية (٢) كيف يجوز او يمكن ان يصلي مجرَّد بشر هكذا (٣) هل يصلي مجرَّد بشر ويقول لله "الذين يؤمنون بي" ولا يقول "يؤمنون بك" (٤) في المزامير ١١٥—١١٨

اعيننا . مبارك الآتي باسم الرب . باركناكم من بيت الرب . الرب هو الله وقد انار لنا . اوثقوا الذبيحة بربط الى قرون المذبح . احمدوا الرب لانهُ صالح . لان الى الابد رحمتهُ "

كل قادم وراءهُ نور يسبقهُ ظلهُ . فالصليب قادم ووراءهُ نور الخلاص. لذلك يظهر الآن ظلهُ كثيفًا بعد ظهوراتهِ السابقة خفيفًا . لانهُ قبل غروب آخر يظهر الصليب ذاتهُ . لم يخرج الاسخريوطي من علية العشاء الاَّ وكان ليلاً . وتلا خروجهُ رسم العشاء الرباني وكلام يسوع بمناسبتهِ ثم عظتهُ الوافية وصلاتهُ الشفاعية. فلا بد من ان الليل كان قد انتصف عندما كملت الصلاة. لكن يسوع لا يستغني في هذا الوقت الرهيب عن اختلاء خصوصي مع الآب استعدادًا لما امامهُ . والاستعدادات العدائية في المدينة تتكامل . فلا يجوز الابطاء

لذلك نرى هؤلاء الاثني عشر يخرجون بقيادة سيدهم من العلية ويمرُّون بالازقة المستوفة تحت ستار السكينة والظلام ويجتازون في نور البدر[1] وادي قدرون متوجهين شرقًا الى بستان في سفح جبل الزيتون قد يكون لاحد محبيهِ لانهُ كان يتردد اليهِ سابقًا . محل هذا البستان ضيعة يقال لها جثسيماني اي معصرة . فلذلك ترجَّح ان شجر هذا البستان في "معصرة" جبل الزيتون كان من نوع الزيتون. وان يسوع اختار ظل هذه الاشجار الكثيف مخدعًا للصلاة

عند دخولهم البستان أجلس ثمانية من الرسل هناك موصيًا اياهم ان يصلُّوا لئلا يدخلوا في تجربة . اي لئلا تتغلب عليهم التجربة التي تأتيهم . وتقدَّم اكثر الى الداخل مرافقًا بالثلاثة الذين اختارهم رفقاء في جبل التجلي[2]. هؤلاء شاهدوا منهُ حالاً دهشًا وحزنًا واكتئابًا . كما شاهدوا منهُ على الجبل بهجةً ومجدًا وجلالاً . وكانت هذه المشاهدة الجديدة على جبل الزيتون ضرورية

(١) لان الفصح يقع في الخامس عشر من الشهر القمري (٢) ف ٢٠

لاعلان بشريته الحقيقية كما اعلنت التي على جبل التجلي بنوبته الحقيقية لله. اراهم هناك شمس عظمته في افقها الارضي فيريهم الآن بداءة كسوفها في آلام انقضاءه كسوفًا لا يقلُّ عجبًا عن مجدها . فالحادثان مرتبطان برباط لا ينفصم

لكنهُ لا يرضى الاَّ الانفراد التام في مصارعته الاخيرة مع ابليس ومقابلته العظمى مع ابيه وتسليمه التام لمشيئته . فما هذا العجب ان الذي قبل هذا الوقت بساعة قدَّم عظة ثم صلاة ملؤها الابتهاج والمجد في نفسه والتعزية والتطمين والتنشيط ارسله يقول الآن على مسامعهم "نفسي حزينة جدًّا حتى الموت"؟ السبب انهُ قد اتت الساعة التي اشار اليها سابقًا في قوله "لي صبغة اصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل"(١) وهي الساعة التي لاجلها جاء من السماء(٢). ثم اوصى رفقاءهُ الثلاثة قائلاً "امكثوا ههنا واسهروا معي". "وتقدَّم قليلاً وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وخرَّ على وجهه على الارض وكان يصلي". ما ألطف واجمل واكرم طلبة منهم "اسهروا معي"

لا نقدر ان ندخل في هذا البحث الاَّ مضطرين . لاننا على حدود أعمق الاسرار اللاهوتية واصعبها ادراكًا . فيليق بنا ان نتذكر الامر الالهي لموسى امام العليقة المتقدة في جبل حوريب "اخلع حذاءك من رجليك لان الموضع الذي انت واقف عليهِ ارض مقدَّسة" (٣). قد اورد التاريخ اخبار كثيرين من رجال ونساء قابلوا بكل بسالة ودون تردُّد او تذمُّر آلامًا لا توصف ثمَّ اصعب الميتات . ويسوع ذاتهُ عالم جيدًا من الاول ما هو امامهُ من الآلام المتنوِّعة الفائقة والموت المخيف. ولم يتردَّد او يتذمَّر بل سار اليها بثبات وعزم بل ايضًا بشوق . وكل صفاته الادبية واعماله السابقة تنفي بتاتًا القول ان انزعاجهُ في هذه الساعة في جثسماني نتج عن خوفهِ من الآلام الجسدية والادبية

(١) لو ١٢: ٥٠ انظر مت ٢٠: ٢٢ (٢) يو ٣: ٢٧ (٣) خر ٣: ٥

والموت الطبيعي[1]. فلا يدعم احد خوفهُ هو من الاوجاع والموت بالقول ان يسوع خافها قبلهُ

بطل البشر كافةً لا يحني رأسهُ ولا يئنُّ ويتنهد لآلام طبيعية مهما اشتدت وتفاقمت . لكن لانهُ بطل السماء الطاهرة ايضًا ووحيد الآب وواحدٌ معهُ ومحبهُ حبًّا متناهيًا فهو لا يطيق ما يراهُ امامهُ من ساعة فيها يخفي هذا الآب وجههُ عنهُ . وسبب ذلك انهُ يمسي في موتهِ الفدائي تحت لعنة الناموس كحامل خطايا البشر . لا يطيق ذلك ان كان لدى الآب وسيلة لتخليص البشر دون هذا العذاب الفائق الذي يتأتى لزومًا عن كرههِ للاثم وشدَّة تمسكهِ بالطهارة. وعن إبائهِ ان يتحمل غضب ابيهِ ولو لحيظةً . هذه اسباب اكتئابهِ الآن وصراخهِ في صلاتهِ لكي تعبر عنهُ الساعة ان امكن. وطلبهِ من الآب ثلاث مرَّات ان يجيز عنهُ هذه الكاس. حتى "كان في جهاد يصلي باشد لجاجة. وصار عرقهُ كنقطرات دم نازلة على الارض". لم نرَ مناصًا من الاشارة سلفًا الى هذه الامور لكي نفهم بعض الفهم ما هي اسباب آلام يسوع في هذا الليل وفي هذا البستان

عَلِم يسوع ان ابليس لا يهاجمهُ وحدهُ ليثنيهُ عن عزمهِ ان يتمَّ الفداء بموتهِ على الصليب . بل يهاجم ايضًا رفقاءهُ الرسل . فحذَّرهم منهُ واوصاهم ان يسهروا معهُ و يصلُّوا لاجلهِ ولاجل ذواتهم . كنا نظن ان النوم يستحيل عليهم في ساعة كهذه بدون هذه الوصية . فكم بالحري بعدها . لكن الواقع انهم استسلموا حالاً للنوم كما استسلموا على جبل التجلي

نقدّر في هذا الوقت محاولة ابليس مرَّةً أُخرى ان يفصل يسوع عن الآب و يجعلهُ يستثلّ و يصرّ على التخلص من الاهوال التي المعنا اليها . فظهر فشل المجرّب التام في صلاة يسوع . لانهُ لم يطلب ان تعبر عنهُ هذه الكاس ان امكن حتى قال ايضًا وحالاً "لكن ليس كما اريد انا بل كما تريد انت .

(١) قال اللاهوتي (ادي) في تفسيرهِ "يستحيل ان ابن الله البار يخاف من تسليم روحهِ عند الموت الى يدي ابيهِ" (وجه ٢٨٦)

لكن لا ارادتي بل ارادتك". هذه هي الساعة المشار اليها في قول الرسول عن "الذي في ايام جسدهِ اذ قدَّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر ان يخلصهُ من الموت. وسُمع لهُ من اجل تقواهُ. مع كونهِ ابنًا تعلَّم الطاعة مما تألَّم بهِ. واذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونهُ سبب خلاص ابدي"(١). ضغطت هذه الآلام الروحية على جسمهِ النحيف وقواهُ المنهوكة حتى صار يُخشى ان يموت قبل وصولهِ الى الصليب. فسُمع لهُ في انهُ لا يموت تحت تلك الآلام التي جعلت عرقهُ كقطرات دم نازلة على الارض(٢). وبرهان هذا الخطر صلاتهُ ان يسلَّم من الموت آنئذٍ وارسال ملاك من السماء يقويهِ لكي لا يموت

لما عاد اليهم وايقظهم وجَّه توبيخهُ اللطيف الى بطرس المدَّعي اولاً. ثم الى الجميع في قولهِ. "لماذا انتم نيام؟ أهكذا ما قدرتم ان تسهروا معي ساعة واحدة"؟ واردف توبيخهُ بعبارة الحنوّ "اما الروح فنشيط واما الجسد فضعيف". ثم عاد الى صلاتهِ ثانيةً وكانت مؤثرة اكثر من الاولى وفيها لهجة اليأس(٣). وبعدها وجد التلاثة مثقَّلين ايضًا بالنوم. ولما ايقظهم "لم يعلموا بماذا يجيبونهُ". ثم مضى وصلى ثالثةً الصلاة السابقة قائلاً ذلك الكلام بعينهِ. من عدم استجابة الآب ليسوع في كل ما طلبهُ وعلى الصورة التي طلبها في بشريتهِ عرفنا اهمية شربهِ هذه الكاس. لان محبة الله الغير المحدودة لابنهِ الوحيد لا يمكن ان تتركهُ تحت علامات كهذه دون اضطرار كلي. لكن لعظمة اشفاقهِ تعالى على البشر الساقطين والذين جعلوا انفسهم اعداءهُ "لم يشفق على ابنهِ (الوحيد) بل بذلهُ لاجلنا اجمعين(٤)

(١) عب ٥: ٦—٩ (٢) شاهد بعض الاطباء حوادث نظير هذه من العرق الدموي الناتج عن التأثير المتناهي (٣) قال ادي في تفسير انجيل متى "لو عبرت الكاس عن المسيح لشربها الخطأة كلهم الى الابد لانهُ لا بد ان يشربها اما هو واما الذين تاب عنهم!". صفحة ٢٨٦ يشار الى كاس الغضب الالهي في مز ٧٥: ٨ ورؤ ١٤: ١٠

(٤) رو ٨: ٣٢

لما ايقظ بطرس ويعقوب ويوحنا ثالث مرّة أكّد لهم فوات فرصة السهر والصلاة . فنومهم ويقظتهم سيّان . قال "ناموا الآن واستريحوا. يكفي. قد اتت الساعة . هوذا ابن الانسان يسلَّم الى ايدي الخطاة". ثم لعلمهِ ان الاسخريوطي ومن معهُ صاروا على باب البستان لا يسمح لهم ان يبغتوا في غيابهِ الرسل الثمانية الباقين هناك . فقال "قوموا ننطلق". محبوبهُ نيام لكن الخائن يقظان . الاسخريوطي لا يحتاج الى وصية ان يسهر . أليست هذه شهادة التاريخ على اجيالهِ ان "ابناء هذا الدهر أحكم من ابناء النور في جيلهم"(١). أليست قوّات الشرّ في العالم ساهرة بينما قوات الخير ساهية ؟ في انفرادهِ في هذه المعصرة حتى عن الاقرب اليهِ والاعزّ لديهِ نتذكر القول النبوي "قد دستُ المعصرة وحدي"(٢)

واظهر مرّة أخرى اهتمامهُ بالذي قد باع نفسهُ كما باع سيدهُ بثلاثين من الفضة . رسولهُ المختار المحبوب عندهُ بحبّ الإشفاق . والذي لاجلهِ جاهد ليريهُ في الصلاح ويقودهُ الى الخلاص . فقال "هوذا الذي يسلمني قد اقترب". سلَّم يسوع نفسهُ لابيهِ في هذا البستان قبل ان يسلَّم عند بابهِ جسدهُ لاعدائهِ . وبذلك التسليم تمّ الفداء جوهريًا . وصار فعل الصلب ومتعلقاتهُ تكملة فقط لعملهِ الجوهري في جثسيماني

نعود بالفكر الى الاسخريوطي الذي قضى مع شركائهِ هذه الساعات في نصف الليل في التدابير لاجل تحقيق النجاح في مشروعهم . بينما كان غيرهم من اهل المدينة مشتغلين بالنوم بعد وليمة عشاء الفصح . ويسوع ورسلهُ في البستان . فارقهم الاسخريوطي في علّية العشاء ولم يعلم بخروجهم . ويعلم ان لا سلاح معهم الاّ السيفين فلا يخاف منهم . ولا من انصارهم بين الشعب في ساعات النوم . وبهذا يطمئن شركاءهُ الروَساء ان يسوع لا يستخدم قوتهُ

(١) لو ١٦ : ٨ (٢) اش ٦٣ : ٣

المعجزيَّة للتخلص منهم. لانهُ عجَّلهُ في عملهِ. واعلن مرارًا نيتهُ ان يسلِّم ذاتهُ للصلب. فلا صعوبة تُذكر في القبض عليهِ في العليَّة وتسليمهُ باكرًا للحكومة الرومانية ما دام الجمهور نائمًا

لكن لما لم يجدوهُ هناك ورأى الاسخريوطي أنهم يضطرُّون ان ينتشروا عنهُ في بستان جثسيماني حيث يرجح وجودهُ زادوا القوَّة التي معهم تأمينًا. وهيأوا ما يحتاجون اليهِ لاجل عملهم خارج المدينة. نعلم ان الذين بلغوا البستان هم يهوذا "والجند[1] وخدام من عند روَّساء الكهنة والكتبة والفريسيين وشيوخ الشعب". حتى اصبحوا "جمعًا كثيرًا بمشاعل ومصابيح وسلاح بسيوف وعصي". ولئلا يقع غلط في الليل ويقبض الجند على احد الرسل بدلاً من يسوع فيتسنى لهُ الهرب من بينهم تحت جناح الليل تمَّ الاتفاق ان الاسخريوطي لمعرفتهِ الدقيقة بشخص يسوع يعطيهم علامةً تقيهم من الغلط. وقال لهم "الذي اقبّلهُ هو هو"

ينفي كلام يهوذا زعم البعض انهُ أسلم سيدهُ مؤكدًا في قلبهِ ان يسوع لا يسمح لهم ان يمسكوهُ بل يخلّص ذاتهُ من بين ايديهم كما فعل مرَّات في السنين الماضية. لانهُ قال للقوم معهُ "امسكوهُ وامضوا بهِ بحرص" كأنهُ يحذرهم لئلا يفشلوا. هل من رداءة شيطانية تفوق هذه؟ وهل من وقاحة ارذل من اختيارهِ قبلةً علامة التسليم؟ وهل من قساوة كفرية شرًّا من اجراء هذه الخيانة في مخدع الصلاة المقدَّس؟

دخل هذا الجمهور البستان ووقف منتظرًا فتقدَّم الاسخريوطي الى يسوع وقال "السلام يا سيدي" وقبَّلهُ لا قبلةً واحدةً بسيطةً بل قبلات عديدةً كأنهُ اوفر الناس حبًّا لهُ. لولا قساوة قلبهِ الفائقة الناتجة عن ريائهِ المتواصل لكان سلامهُ لذع لسانهُ ولكوت قبلاتهُ شفتيهِ. اما يسوع فلا يزال يسعى في

(١) اي الجند الروماني المقيم في لصق الهيكل والموضوع تحت أمرة روَّساء اليهود

تخليصهِ من فساد قلبهِ ان امكن. هو ابن الاله الذي يشرق شمسهُ على الاشرار كما على الصالحين وقد أتى ليموت عن الفجّار. لذلك يستعمل الوسيلة الاخيرة ليذيب جليد هذا القلب القاسي بشمس حبهِ. فقال لهُ "يا صاحب لماذا جئت؟ يا يهوذا أبقبلةٍ تسلّم ابن الانسان"؟ لبطرس الامين عند خطائهِ قال "اذهب عني يا شيطان انت معثرة لي". ولهذا الخائن يقول "يا صاحب". هل يُستنصى حلمٌ كهذا؟

حتى ليسوع ان يذكّرهُ بكلام المزمور "ليس عدوٌّ يعيّرني فاحتمل. ليس مبغضي تعظّم عليَّ فاختبئ منهُ. بل انت انسان عديلي إلفي وصديقي الذي معهُ كانت تحلو لنا العشرة. الى بيت الله كنا نذهب في الجمهور"(١). عمَل يسوع مع الاسخريوطي مثالٌ مفيد يقدّم لأعظم الخطأة رجاء بان المخلص لا يتغاضى عنهُ لكثرة شروره. ولصيادي النفوس مثالة جديدةً مؤثرة تجعلهم يتمسكون الى النهاية بمشروع تخليص النفوس الهالكة ولو مهما توغلت في الآثام

اما يسوع فقد وصل الى الحد الفاصل بين الحرية والتقييد. حتى هذه الساعة يمكنهُ ان ينصرف ويتخلّص من قبض اليهود عليهِ. لكن ان سلّم نفسهُ الآن يُربَط بقيود متينة جدًّا لا يحلها الاَّ معجزة فائقة. اليهود في جهلهم تصوّروا طبعًا ان يسوع لا يسلّم ذاتهُ طوعًا. ولذلك اتوا بقوة كافية ليأخذوهُ كرهًا. فاقتضى ان يعطيهم ادلة كافية انهُ يقصد التسليم لا التخلص. وان قوتهُ وحدهُ كافية بدون سلاح لتسلّمهُ من جمهورهم المسلّح

يظهر ان يهوذا وبعض القوّاد دخلوا البستان. وان الجمع مكث خارجًا منتظرًا اوامر القوّاد. فيسوع بعد كلمتهِ ليهوذا خرج بسالتهِ الطبيعية ليقابل الجمهور المندهش. همهُ الاول حماية رسلهِ من الضرر. فيلقي اولاً هيبتهُ

(١) مز٥٥: ١٢—١٤

ورعبته على طالبيهِ لاجل هذه الغاية . فسأل اولاً الجمهور "من تطلبون"؟ أجابوهُ "يسوع الناصري". سواء علموا او جهلوا شخصهُ يعلمون جميعاً اسمهُ . فقال لهم "انا هو" كان الاسخريوطي قد خرج معهُ ووقف في مقدّمة طالبيهِ. فمع كلمة "انا هو" ارعبتهم هيبتهُ جدًّا حتى رجعوا الى الوراء هم والخائن وسقطوا على الارض . بذلك تاكد لهم انهم لا يأخذونهُ بدون ارادتهِ

لما نهضوا اعاد السؤال عليهم ثانيةً . فلما اجابوا كالاوّل دون ان يتقدّموا قال لهم "قد قلت لكم اني انا هو فان كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء (اي رسلهُ) يذهبون". وقف امامهم كآمر فاطاعوا. ليست هذه المرّة الاولى التي ارعب يسوع جمهورًا معاديًا فاحبط مقاصدهم ضدهُ . لكنها اعظم تلك الحوادث واغربها . سهرهُ وصلاتهُ وانتصارهُ وتسليمهُ للآب في مصارعتهِ في هذا البستان قبل مجيء طالبيهِ اكسبتهُ قوةً وهيبةً جديدةً . ومعرفة طالبيهِ بان مشروعهم شرير للغاية جعلت ضمائرهم تخسهم عندما شاهدوا هيبتهُ فظهر جبنهم

اما الرسل فلم ينصرفوا عند قول يسوع لاعدائهِ "دعوا هؤلاء يذهبون" تذكروا وعدهم انهم يذهبون معهُ للسجن والموت . وان سيدهم قال لهم في هذا المساء "من ليس لهُ سيف فليبع ثوبهُ ويشتري سيفًا". ولما قالوا لهُ "هنا سيفان" قال لهم "يكفي". اذًا هو يريد انهم يدافعون عنهُ بالقوّة . إلا انهم يستأذنون منهُ اولاً . فلما رأوا ان الذين امسكوا يسوع لم يكتفوا بمسكهِ بل أوثقوهُ (اي ربطوا يديهِ وراء ظهرهِ كعادتهم عند مسك اصحاب الجرائم الكبيرة)[1] تحمّسوا فسألوا سيدهم بعبارة التعظيم امام خصومهِ "يا رب أنضرب بالسيف"؟

يظهر ان بطرس لاحظ ان المهاجم الاعظم على سيدهِ كان كما ينتظر عبد رئيس الكهنة الذي اراد ان يجاهر امام رؤساء الكهنة الحاضرين بالغيرة في

(١) وكان ذلك ظلمًا فاحشًا

خدمة مقاصد مولاهُ[1]. فلم يصبر بطرس على جواب من يسوع بل استلّ السيف الذي معهُ وضرب بهِ هذا العبد المسمى ملخس على رأسهِ بقصد قتلهِ. لكنهُ لم يصب الاَّ اذنهُ اليمنى فقطعها. اهتم حالاً يسوع لاجل ملافاة الخطر الجديد المسبب عن فعل بطرس. اهتم ايضاً ان يظهر حبهُ حتى لاعدائهِ واستعدادهُ ان يفعل معجزة لخيرهم. في الوقت ذاتهِ يوضح قوتهُ ومقامهُ الحقيقي ليظهر مرَّة اخرى بعد لاعدائهِ انهم لم يتسلطوا عليهِ الاَّ برضاهُ

فاظهر اولاً استياءهُ من فعل رسولهِ. وامرهُ ان يردَّ سيفهُ الى غمدهِ. وذكَّرهُ بالحكمة القديمة القائلة ان "الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون". اي ان الانتقام حبل متواصل. لان كل انتقام يولد مثلهُ. ثم سألهُ ان كان لا يعلم ان سيدهُ لا يحتاج الى نصراء بشر يخلصونهُ. فهو لا ينتظر من رسلهِ ان يعينوهُ بالقوَّة. لو شاء التخلص ما عليهِ الاَّ طلبة واحدة من ابيهِ فيرسل ويقدّم لهُ اكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة[2]. أوَ لا يعلم حتى الآن رسولهُ الغيور ان هذا القبض على سيدهِ ينبغي ان يكون لكي تكمّل الكتب؟ وان هذه الكاس التي أبى الآب ان يجيزها عنهُ يأبى هو اجتنابها. لانهُ يحسب ان الآب المحبّ هو الذي اعطاهُ اياها

ثم بقولهِ "دعوا الىَّ هذا" طلب من القابضين عليهِ ان يحلوا قليلاً ربطهُ ليصلح بفعل الرحمة الاذى الذي اوقعهُ رسولهُ بغير رضاهُ. فلما حلُّوهُ مدَّ يدهُ وشفى تماماً اذن ملخس وفقاً لوصيتهِ "احسنوا الى مبغضيكم". هذه خاتمة معجزاتهِ قبل صلبهِ

---

(١) ربما كان هذا الرجل المسمى ملخس ناقل الثلاثين من الفضة اجرة الاسخريوطي. وانهُ قد تاولهُ هذه الاجرة على حِدَة لما تمَّ التسليم. وان بطرس لاحظ هذه الحركة

(٢) الجيش في النظام العسكري كان يؤلف غالباً من ستة آلاف. يعرفون من كتابهم كيف ضرب ملاك واحد في ليل واحد ١٨٥٠٠٠ رجل من جيش الاشوريين. فماذا يكون فعل سبعين الف ملاك؟ وهل يحتاج مع ذلك الى حماية احد عشر رسولاً ضعيفاً؟

لما عرف الرسل جيداً من كلامهِ انهُ لا يطلب مساعدتهم وان بقاءهم تحت الخطر لا يفيد سيدهم شيئاً تركوهُ كلهم وهربوا . فتمت نبوَّتهُ لهم وهم في العلية مع انهم ناقضوهُ حينئذٍ جميعاً (١)

(١) يذكر البشير مرقس ان شاباً كان قد تبع يسوع في تلك الليلة لابساً ازاراً على عريهِ . وان هذا استلفت نظر الشبان في هذا الجمهور . فلم يسلم منهم الاَّ ترك الازار الذي تمسكوا بهِ بين ايديهم وهرب منهم عرياناً . يظن ان هذا الشاب كان مرقس ذاتهُ المخبر بالحادث وانهُ كان من اهل البيت الذي صنع فيهِ عشاء الفصح وانهُ لما أتى الاسخريوطي والجمهور الى البيت ولم يجدوا يسوع هناك تبعهم الى البستان . او انهُ كان من عائلة صاحب البستان ونائماً في كوخ عند مدخلهِ . فنهض وخرج عند قدوم الجمهور

الفصل الخامس والاربعون

مت ٢٦: ٥٧–٢٧: ١ و ٢–١٠ مر ١٤: ٥٣–١٥: ١ لو ٢٢: ٥٤–٧١
يو ١٨: ١٣–٢٧

(المرصّع) ف ٤٦ (الزمان) الجمعة ٧ نيسان السنة ٣٠ م
(المكان) اورشليم

اخذهُ الى حنّان وقيافا واستجوابها إياهُ . قوانين المحاكمة . محاكمتهُ امام المجمع . الحكم باعدامهِ . الاستهزاء وانكار بطرس وتوبتهِ . احضارهُ ثانية امام المجمع . ندم يهوذا وانتحارهُ . المقابلة بينهُ وبين بطرس

قد امسى يسوع "النبي الذي من ناصرة الجليل" اسيرًا مكتوفًا في قبضة خصومهِ الذين قرّروا سابقًا لكن ليس رسميًّا ان يُقتَل . لكن اوامر الحكومة الرومانية الصادرة حديثًا امسكت عنهم حق الحكم النهائي بالاعدام وتنفيذهِ . فصار همُّهم الاوّل ايجاد جرم مشهود عند الحاكم الروماني يُبنى عليهِ طلبهم قتلهُ. وكثرة انصارهِ بين الشعب في هذا العيد تضطرُّهم ايضًا لاحالة هذه المسؤولية على الوالي الروماني

اعتادت الحكومة الرومانية ان تنفّذ احكام الرؤساء بسهولة . لان من حكمتها الادارية المشهورة اطلاق الحرية الدينية لكل العناصر تحت حكمها الواسع . ولانها خصّت اليهود بنصيب اوفر من غيرهم من هذه الحرية بناء على تفوّقهم في التمسّك بامور دينهم . ففي ايجاد الاساس المشار اليهِ لا يهم الرؤساء ان كان ذلك ظالمًا وفاسدًا ما دام نافذًا .

لذلك نرى هذا الجمهور المختلط يسير في هذا الليل باسيرهم من البستان الى قصر كبير قومهم حنّان. حال كون هذا الرجل الشيخ في سن السبعين صاحب الحق في رياسة الكهنة العظيمة نراهُ متقاعداً. لان الوالي الروماني عزلهُ من عهد عشرين سنة بعد تولّيهِ هذا المنصب مدة سبع سنين. ومع ذلك فانهُ يُعتبر المدبّر الاعظم للمكائد ضد يسوع. وكان اعتبارهُ ونفوذهُ بين قومهِ اكثر كثيراً من صهرهِ قيافا الذي اقامهُ الوالي رئيس كهنة مكان حميهِ بعد ان كان عيّن من ابناء حنّان اربعة او خمسة الواحد بعد الآخر. كان حنّان طمّاعاً وقاسياً بخيلاً غنياً ومكروهاً لكن مهوباً(١)

قرأنا سابقاً "حينئذٍ تركهُ التلاميذ كلهم وهربوا". لكن يوحنا الحبيب رجع وانضمّ الى الجمهور الماشي من البستان الى دار رئيس الكهنة. ولانهُ كان معروفاً ومقبولاً فيها دخل مع الداخلين. ورجع سمعان بطرس ايضاً وتبعهم لكن من بعيد. فلما وصل بعد الآخرين اوقفتهُ الجارية البوابة. فطلب منها ان تستدعي لهُ من داخل صديقهُ ورفيقهُ يوحنا. فلما خرج هذا وتكلّم مع الجارية ادخل بطرس معهُ الى الدار. لكن ليس الى غرفة الرئيس حيث دخل هو

يظهر ان الرئيس قيافا ارسل حالاً فجمع ليلاً الذين ارادهم من الفرَق الثلاث اي رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ لكي يجروا محاكمة غير رسمية يستبدُّون فيها. وعلى ما يقررونهُ يبنون عند الصباح حكماً رسمياً معجّل التنفيذ ليتمكنوا من تسليم يسوع باكراً مع صورة الحكم للوالي لكي ينفّذهُ بالاعدام قبل يوم ذبيحة الفصح. لان فيهِ وفي ايام العيد بعدهُ لا يُجرى عملٌ كهذا مطلقاً

يلاحَظ ان الفرّيسيين الذي كانوا قبلاً المتقدّمين في مقاومة يسوع كما

(١) ورد في التلمود "ويل لبيت حنان. ويل لاصواتهم التي هي كفحيح الحيات. هم رؤساء الكهنة. ابناؤهم حفظة الخزانة. اصهرتهم ولاة الهيكل. وخدّامهم يضربون الشعب بالعصي". كان هذا الرجل صدّوقياً اتى به هيرودس الكبير الشرير من الاسكندرية ليقلده وظيفة رياسة الكهنة".

وفي دينونته المخيفة يُهمَلون الآن وتتقل المسؤولية وأكثر العمل الى الكهنة الصدُّوقيين. ولاعجب لان لهولاء القسم الاوفر من الارباح المحرَّمة التي يتهدَّدها نفوذ هذا الناصري

يلاحَظ ايضًا ان حوادث هذا الليل المشؤوم لا يرد خبرها في البشائر على نسق تاريخيّ حتى يمكن الجزم في كيفية سياقها. لان لقب رئيس الكهنة كان يطلَق على كلا حنّان وقيافا. ولانهما سكنا على ما يرجَّح في قسمين من دار واحدة. لكن الامر ظاهر ان لا اهمية لمعرفة الاقوال التي صدرت هل هي من حنّان او قيافا. ولاي الحوادث وقعت في دار حنان وايُّها في دار قيافا. ثم في حادث انكار بطرس لا اهمية لمعرفة عدد الذين اعترضوهُ او مَن هم تمامًا او ماذا سأل كلٌّ منهم. لان الاختلاف في الروايات لا يتجاوز الى المناقضة. بل الاتفاق بين الاخبار المختلفة واضح في كل ما هو جوهريّ ومهمّ ويثبت صدق البشيرين جميعًا

فيا لغرابة الصورة التي امامنا الآن. ها رئيس الكهنة الاصلي الحقيقي المُقام من الله يقف مكتوفًا مخفورًا ليحاكَم امام مختلس الاسم والوظيفة المقام من وال شرير وثني

الظاهر ان رئيس الكهنة قصد اتهام يسوع انهُ قائد زمرة من المتآمرين لاثارة فتنة ضد الحكومة بدليل مرافقة الجماهير لهُ في جولاتهِ. فسألهُ عن تلاميذهِ وتعليمهِ وكان جواب يسوع مناسبًا واصوليًّا. قال "في الخفاء لم اتكلَّم بشيء. لماذا تسألني انا؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم. هوذا هولاء يعرفون ماذا قلت انا". لو لبّى طلب الرئيس لا يعوَّل على جوابهِ في المحاكمة القانونية ولا يقنع سائليهِ. بخلاف افادة الذين اشار اليهم في كلامهِ. ولا يرضى ان يجاري الرئيس ويجيب على سؤال خبيث بشرح تعاليمهِ الروحية.

لكن كلامًا حرًّا جريئًا كهذا لا يُقبَل في محضر رئيس الكهنة. هنا محل كلام التذلُّل والتملُّق والتدليس. لذلك تحفَّز احد الخدَّام الواقفين في الغرفة مدافعًا

عن مقام سيدهِ امام الهيئة ولطم يسوع وقرَّعهُ على جوابهِ للرئيس . مفهوم ان امر يسوع في وعظهِ على الجبل بان المضروب على احد خدَّيهِ يحوّل للضارب خدَّهُ الآخر لم يُقصد منهُ المعنى الحرفي. ولا ان يُطلَق على كل الظروف. فبدلاً من خضوعهِ لهذه اللطمة بسكوت تسمعهُ يوبّخ هذا اللئيم بكل رزانة وحق قائلاً "ان كنتُ تكلمت رديًا فاشهد على الرديء. وان حسنًا فلماذا تضربني"؟(١) اما اللطمات الاخرى التي اثنهُ بعد حين فلم يعترض عليها بشيء . لانها من جملة المعاملات الرسمية التي قصد ان يتحمَّلها

اهتمَّ الرؤساء كثيرًا بتدبير شهود زور لكي يركّبوا على شهادتهم حكمًا يكون ظاهرهُ قانونيًا . وارشادُهم بهوذا ليسلّمهُ يجيز الحكم انهم اشتروا ايضًا الكثيرين الذين شهدوا عليهِ زورًا . "لكن لم تتفق شهاداتهم" . اخيرًا تنسَّموا نجاحًا من شاهدَين يشهدان بانهُ قال انهُ يخرب الهيكل ثم يقيمهُ في ثلاثة ايام. هذا تحريف كلام قالهُ منذ ثلاث سنين في الهيكل لما طهَّرهُ اوَّل مرَّة . لكن صورة تحريفهما اختلفت فسقطت شهادتهما . فلجأ الرئيس الى الحدَّة وقام ووقف في الوسط وسأل يسوع لماذا لا يدافع عن نفسهِ جوابًا على الشهود . "فلم يجبهُ بكلمة" . وصحَّت نبوَّة اشعياء القائلة "ظُلِم اما هو فتذلَّل . ولم يفتح فاهُ" (٢)

عند ذلك قال الرئيس "استحلفك بالله الحي ان تقول لنا أأنت المسيح ابن الله" ؟ لا يقدر يسوع ان يسكت عند هذا السؤال اذ لا يؤخذ سكوتهُ دليلاً على رجوعهِ عن تصريحاتهِ السابقة بهذا المعنى او على خوفهِ من مضطهديهِ. لذلك أجاب حالاً بالايجاب . وزاد قولهُ انهم سوف يبصرونهُ كابن الانسان جالسًا عن يمين القوَّة وآتيًا على سحاب السماء . كانهُ يتنبَّأ للرئيس والهيئة يوم

---

(١) جرى مثل ذلك لبولس فلم يحتمل بل شتم الذي امر بلطمهِ

(٢) اش ٥٣: ٨

يأتي حين تتبدّل هذه الهيئة . فيكون هو الديّان وليس الرئيس وقومهُ وهؤلاء يدانون منهُ

فا هذا الكلام الغريب العظيم من مكتوفٍ يُحاكم يوجههُ الى محاكميهِ الذين بيدهم حياتهُ ! وهل لمجرّد بشر ان يفوه بكلامٍ كهذا ؟ أوليس قولهُ مؤيّداً من الانبياء (١) جواب كهذا يسرّ رئيس الكهنة جدًّا باطنًا . لان فيهِ المسك الذي يتوخّاهُ . لكنهُ يتظاهر ريائيًا بانهُ لا يحتمل ان يسمع كلامًا يعارض العظمة الالهية نظير اتخاذ يسوع لنفسهِ شيئًا من العظمة . فمزّق ثيابهُ وقال " قد جدّف ما حاجتنا بعد الى شهود ؟ ها قد سمعتم تجديفهُ . ما رأيكم " ؟ (٢).

لا يحق لرئيس مجلس ان يصرّح برأيهِ في قضيّة مطروحة لحكم المجلس . لان ذلك يؤثر تأثيرًا مهمًّا في الاصوات بعدهُ . بناء عليهِ قضى القانون العبراني العادل بان تؤخذ في المجالس اصوات الاصاغر فيهِ قبل الاكابر . فقيافا فقد صلاحيتهُ كحاكم في هذا الوقت بتصريحهِ السابق بوجوب قتل يسوع . والآن يضيف الى اسباب عدم الصلاحية ما ابداهُ من الحركات والكلام . ولا عجب في اخذهِ الجواب من جميع زملائهِ في المجلس ان يسوع مستحق الموت

على المفكر ان يدبّر جوابًا معقولاً لسؤالٍ لابدّ منهُ . لما صدر هذا الحكم النصف الرسمي على يسوع انهُ جدّف لانهُ قال انهُ ابن الله لماذا لم يدفعهُ حبهُ للصدق ومحافظتهُ على شرف الاله لينفي هذه التهمة ويصرّح بانهُ بريء من التجديف ؟ لا بل كيف يسرع في تصديق هذه التهمة مع سكوتهِ عن الرد على غيرها مما اتهموهُ بهِ . ان لم يكن حقًّا ابن الله بالمعنى المنفرد الذي جعلهم يقولون انهُ عادل نفسهُ بالله كيف يسلّم بان يُصلَب بحجة انهُ ادّعى ذلك

---

(١) مز ١١٠ : ١ ودا ٧ : ١٣ و ١٤ (٢) حسب الشريعة الموسوية المكتوبة لا يجوز لرئيس الكهنة ان يعطي كغيرهِ علامة الحزن والاشمئزاز بتمزيق ثيابهِ لانها مقدسة ومكرّسة لله (لا ٢١ : ١٠) لكن كتبة اليهود يقولون ان حوادث التجديف كانت مستثناة من هذا القانون . لان تمزيق الالبسة المقدسة يليق عند اهانة العزّة الالهية

لما رأى الخدّام والحرس العسكري ان الرؤساء بصوت واحد حكموا عليهِ باعظم جريمة دينية ممكنة وانهم مستأوون منهُ غاية الاستياء اطلقوا العنان لاميالهم الوحشية عالمين انهم بذلك يسرّون الرؤساء. ومع ان المحاكمة الرسمية لم يُبتدأ بها صاروا يبصقون في وجههِ ويغطّون وجههُ ويلكمونهُ ويقولون "تنبأ لنا ايها المسيح مَن هو الذي ضربك". ثم جلدوهُ واجروا عليهِ انواع الاستهزاء المهين وفقًا للنبوّة القديمة التي اوضحت ايضًا قبولهُ ذلك اختياريًا. هي النبوّة القائلة "بذلت ظهري للضاربين وخدّيَّ للناتفين. وجهي لم استرّ عن العار والبصق"(١)

بالنظر الى ما فعلهُ بطرس بمخس عبد رئيس الكهنة في البستان تعجب كيف تجرّأ ان يتبع الجمهور كما سبق القول ويدخل دار الرئيس. الاّ انهُ بدخولهِ بين اعداء سيدهِ برهن حبهُ الشديد لهُ وروح الرجولية ايضًا. لكن لما دار بين هولاء القوم الاستهزاء بسيدهِ كان عليهِ ان يتذكّر فاتحة سفر المزامير "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الاشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس"(١). ولما رأى ذاتهُ في محيط كهذا كان عليهِ الخروج حالاً من بينهم او اظهار انتصارهِ ليسوع دون خوف او تردُّد. لكن لانهُ لم يفعل لاسلامة لهُ. مَن يخالط الاشرار لا يسلم من الاطفاء الاّ ويعرّفهم جليًّا مبادئهُ ومخالفتهُ لشرورهم

كانت محاكمة يسوع في غرفة مفتوحة تشرف على الدار الخارجية حيثما تجمّع الخدام والعبيد في موقع اورشليم الجبلي وفي اوائل نيسان يشتد البرد قُبَيل الفجر. فلكي يستدفئوا اضرموا جمرًا في وسط الدار وانضم بطرس اليهم. يظهر انهُ لم يعترض على شيء من الكلام المهين الذي دار بينهم في حق سيدهِ فلم ينتقدهُ احد. لكن بعد حين تقدّمت "البوابة" التي فتحت لهُ وتفرّست

(١) اش ٥٠:٦ ومز ١:١

فيهِ وقالت لهُ "وانت كنت مع يسوع الناصري الجليلي . ألست انت ايضاً من تلاميذ هذا الانسان"؟ في القول "ايضاً" اشارة الى يوحنا الموجود داخلاً والمعروف عندهم من تلاميذ يسوع . فلِما لم يحسب نفسهُ بامان هنا نظير هذا الرفيق ؟ لكن لعدم انتصارهِ لسيدهِ اولاً بين هولاء القوم قد خدعهم. فحقَّ لهم ان يحسبوهُ ليس موالياً لهُ . والآن كيف يعترف لهذه الجارية انهُ من اتباعهِ. يجوز ان ما دفعهُ للانكار اولاً ليس لمجرَّد الخوف بل ايضاً الرغبة في البقاء بقرب يسوع ليرى ماذا يكون من امرهِ

آه يا سمعان! ستعرف الآن خسارتك الجسيمة لعدم امتثالك في جثسيماني لامر سيدك ان تسهر وتصلي لكي لا تقع في تجربة . انت متكل على قوتك فلم تستمدَّ القوَّة الالهية . فسترى كيف ان قوتك هي ضعف . لا تزال تجهل الفلسفة الروحية الحقيقية التي اعلنها بعدك الرسول بولس في قولهِ "حينما انا ضعيف فحينئذٍ انا قوي"(١). "اذاً من يظن انهُ قائمٌ فلينظر ان لا يسقط"(٢) الشيطان الذي طلبك لكي يغربلك كالحنطة يراك غير يقظان . فيهاجمك بواسطة امتحانات بسيطة من اشخاص حقيرين عالماً انهُ بذلك يصطادك بسهولة . لذلك نقرأُ عنك "فانكر قدَّام الجميع قائلاً لست انا (اي لست من تلاميذ هذا الانسان) لست ادري ولا افهم ما تقولين ولست اعرفهُ يا امرأة"

لكن انكارهُ اوقد حريقاً في قلبهِ . فتركهم وخرج خارجاً الى الدهليز . وبينما هو هناك سُمع صوت صياح الديك. واعترضتهُ جارية اخرى واكَّدت للحاضرين ان هذا منهم. فانكر بقسم تثبيتاً لانكارهِ السابق لكي لا يُكشف كذبهُ. اخيراً بعد ساعة زاد عليهِ الاعتراض من الذين حققوا انهُ احد تلاميذ يسوع. ولا سيما لان لهجتهُ الجليلية تدل على ذلك الى ان ظهر بينهم نسيب الذي قطع اذنهُ

(١) ٢كو ١٢: ١٠ (٢) ١كو ١٠: ١٢

في البستان [1] وقال انهُ رآهُ مع يسوع هناك

لما حميت النفسية الى هذه الدرجة ورأى بطرس شدَّة الخطر الذي يتهدَّدهُ عرف ان الانكار البسيط كالسابق لا يكفيهِ . فسلم لقيادة الطاغي العظيم. وليحقق للمعترضين ان مشربهُ مخالف كليًّا لمشرب يسوع وتلاميذهِ تطوَّح في الحلف واللعن مؤكدًا انهُ لا يعرف يسوع. يتشعرَّ كل ذوق سليم من انكار كهذا بعد كل ما كان بطرس مديونًا بهِ ليسوع . وبعد كل مظاهراتهِ بالامانة والثبات . هذا الفم الذي سبق الجميع في الاعتراف بيسوع انهُ المسيح ابن الله وكرَّر ذلك على صوَر مختلفة وفي ظروف مختلفة يسمّي الان ابن الله "هذا الرجل الذي لا اعرفهُ". فكيف نسي سريعًا كلام سيدهِ "مَن ينكرني قدام الناس انكرهُ انا ايضًا قدام ابي الذي في السموات"[2]

لو وضعنا في كفَّة ميزان خطيئة يهوذا في تسليم سيدهِ ومقابلها خطيئة بطرس في انكارهِ لربما رجحت هذه على تلك. فاذا يرجى بعد من شخص ساقط هذا السقوط ؟ واي قوَّة تعيدهُ الى الامانة نحو يسوع ؟

لم يفرغ بطرس من كفرهِ الفظيع الَّا صاحَ الديك ثانيةً . ويسوع منتظر هذا الصياح لينفذ رسولهُ من الهوَّة التي تورَّط فيها . فحوَّل اهتمامهُ عن عذابهِ في تلك المحاكمة وما يتبعها ليسأل عن نفس هذا البطل الساقط . وادار وجههُ عن رئيس الكهنة والروَّساء لينظر الى بطرس في الدار اسفل . فالتقت عينا يسوع بعينَي تلميذهِ بالاتفاق مع صياح الديك . فبلغتهُ الحب المقترن بالحزن خطفةً من قبضة ابليس

وفي تلك الدقيقة ابتدأت دموعهُ تسيل نهرًا . وتغلبت فيهِ العواطف الشريفة على الدنيئة . وحلَّت التوبة القلبية الصافية محل الكفر والانكار . فعلم ان خطيئتهُ قد غُفرت وان صلاة يسوع لاجلهِ لكي لا يفنى ايمانهُ قد أُستجيبت. لم يَعُد يسأل بطرس ماذا يقول الناس ولاماذا يتهددهُ من الخطر . سأل

(١) ف ٤٤ (٢) مت ١٠: ٣٣ ولو ١٢: ٩

فقط عن رضى سيدهِ حبيب نفسهِ. "فخرج الى خارج وبكى بكاء مرًّا". ونال الغفران التام

"هلمَّ نتحاجج يقول الرب. ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيضّ كالثلج. وان كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف" (١). "اني محوت كالغيم اثمك. أنا أنا هو الماحي ذنوبك لاجل نفسي وخطاياك لااذكرها" (٢). "طوبى للذي غُفرت اثمهُ وسُترت خطيئتهُ" (٣) وهذا الذي خلّص بطرس بلفتتهِ ينجي في كل حين من اعماق الاثم ودركاتهِ كل من تلتقي عينهُ بعينهِ اي كل مَن ينظر اليهِ نظرة الايمان

ان استلم هذا المجلس معاقبة يسوع يجازونهُ بالرجم حسب ناموسهم (٤). وهذا القصاص يوافق هيجانهم الحالي وتقاليدهم المقدّسة. هذا ما فعلهُ المجلس بعد حين بالشهيد المسيحي الاوّل استفانوس لما اعتبروهُ مجدفًا (٥). لكن لو فعلوا ذلك لفسدت نبوّة يسوع انهُ سيُقتَل صلبًا. فالرؤساء على غير علم او قصد منهم يحيلون الامر على الوالي الروماني الذي نظامهُ في الاعدام الصلب لا الرجم

شقَّ فجر يوم الجمعة في ٧ نيسان سنة ٣٠م بعد ليل لم يرَ فيهِ يسوع ومضطهدوهُ نومًا. بقي على هؤلاء اجتماع رسمي نهارًا ليقرّروا صورةً ما اتفقوا عليهِ فعليًّا في ساعات الليل. قال البشير "تشاور المجمع كلهُ على يسوع حتى يقتلوهُ". لا حتى يتفقوا على الحقيقة ويعطوا قرارًا عادلاً. بل حتى يقتلوهُ ولو خلافًا للعدالة والنظام. لما عقدوا هذه الجلسة الرسمية طلبوا منهُ ان يقول هل هو المسيح. اجابهم "ان قلت لكم لا تصدّقون وان سألتكم لا تجيبونني". ثم كرّر عبارتهُ السابقة بخصوص جلوسهِ عن يمين القوّة الالهية. فسألوه "أفأنت

(١) اش ١:١٨ (٢) اش ٤٤:٢٢ (٣) مز ٣٢:١ من الملاحظات التي تؤيّد صدق اخبار البشيرين ان مرقس نسب بطرس الذي يُظن انهُ كتب بشارتهُ بايعازهِ وتعليمهِ هو الذي يوضح اكثر من غيرهِ عظم سقوط هذا الرسول الشهير

(٤) لا ٢٤:١٠-١٦ وتث ١٨:٢٠ (٥) اع ٧:٥٦ و ٥٧

ابن الله ؟ لما اجابهم بالايجاب قالوا . "ما حاجتنا بعد الى شهود لاننا نحن سمعنا من فمه"

فحكم هذا المجلس الملّي المعظّم على يسوع بالاعدام لارتكابه جريمة التجديف. فماذا يفعل الآن هذا بعد حكمه ؟ هو مجلس اشراف الملّة وعلمائها المجلس السبعيني (او السندريم) الذي كل صوالح الشعب المهمة في قبضة يده. فيسلمونه للام للصلب كما سلّمه اليهم يهوذا للمحاكمة . ولا تقل تلك النقاطة عن هذه

روح النظام العبراني كان شديد المحافظة على حقوق المتهم والميل الى التبرئة اكثر منه الى التذنيب . هو الروح الذي دام في نظام البلدان المسيحية والذي يفرض على الحكام بان يحسبوا كل متهم بريئًا الى ما بعد اثبات جريمته . فلدى مراجعة بعض ما ذكرهُ كتبة اليهود من موادّ نظامهم المتعلقة بالجرائم الموجبة للاعدام نرى مقدار الجور والحيف والاستبداد في محاكمة يسوع

فمن هذه المواد (١) تكون المحاكمة جهارية وامام مجلس مستوفي العدد حذرًا من ان يحرم المتهم فائدة شهود التزكية ومدافعة الراي العام عنه ان كان مظلومًا. (٢) تكون المحاكمة في ساعات النهار القانونية ولا تجوز مطلقًا ليلاً خيفة اخفاء البينات (٣) تكون فقط في محل المحاكمة الرسمي تسهيلاً لايراد البينات ودفعًا للاغراض الذاتية (٤) لايحاكم احد الاّ بعد اتهامه رسميًا بموجب شهادتين متفقتين (٥) لايكون اعتراف المتهم اساسًا للحكم دون شهود. والاّ فيخشى تعذيبه او تخويفه ليؤدّي اعترافًا غير صادق . يمنع هذا القانون الاصطلاح البربري في تعذيب المتهم لكي يعترف . وقد نتج عن هذا الاصطلاح فظائع لا تقدّر

(٦) لايجوز الحكم بدون شاهدَين على الاقل تتفق شهادتهما بعد حلفها اليمين (٧) شاهد الزور يعاقب بذات العقاب الذي كان يلزم المتهم

البريء لو ثبتت هذه الشهادة. (٨) ان ثبت الجرم يُطلَب من الشهود ان يبتدئوا بتنفيذ العقاب على المجرم . وهذا ما يصعّب تأدية شهادة زورية . لانهُ يزيد كثيرًا مسؤولية الشاهد (٩) يطلب من الشاهد ان تكون شهادتهُ مدققة للغاية ولا تقبل شهادة اجمالية غامضة (١٠) الدور الاوّل في الكلام يُعطى لشهود التبرئة ويسهّل على المتهم تدبير شهود لتبرئتهِ . ويُطلَب من شهود التذنيب مزيد الرزانة والوقار

(١١) يسمع كلما يقولهُ المتهم بكل هدوء واصغاء ويعامل بالرفق والانسانية (١٢) مجرّد الاكثرية في اصوات اعضاء المحكمة لا يكفي للتذنيب . مثلاً لو وُجد من الاصوات الثلاثة والعشرين احد عشر صوتًا للتبرئة يبرّأ ولا يُحكم عليهِ الاّ باتفاق ثلاثة عشر صوتًا على الاقل (١٣) ان تقرّرت التبرئة يطلق المتهم حالاً . اما ان تقرّر عكسها فلا يصرّح بالتذنيب الاّ في اليوم الثالث بعدهُ . وفي اثناء ذلك يجوز لعضو صوّت بعدم التبرئة ان يسترجع صوتهُ. لكنهُ لا يجوز ذلك لعضو صوّت بالتبرئة . (١٤) في اليوم الثالث ان بقي الحكم بالتذنيب ثابتًا باصوات لا تقل عن الثلاثة عشر يؤخذ المحكوم عليهِ بوقار ومراعاة من المحكمة بينما الاعضاء يلازمون محلاّتهم فيها (١٥) عند الباب خارجًا يقف مأمور بيدهِ راية . ويرافق المحكوم عليهِ فارس الى محل تنفيذ الحكم . لكنهُ دائمًا يلتفت الى الوراء ليرى ان كان حامل الراية الواقف على باب المحكمة يلوّح بها علامةً لظهور بيّنة جديدة تفيد المحكوم عليهِ . واذ ذاك يعاد المحكوم عليهِ لاجل مراجعة المحاكمة (١٦) كما وانهُ ان فطن هذا وهو في طريقهِ الى المعاقبة ببينات كان قد نسيها في استنطاقهِ يعاد الى المحاكمة الى خمس مرّات (١٧) وفيما المحكوم عليهِ يقاد متمهلاً الى محل العقاب ينادى في الشوارع باعلان اسمهِ الكامل وذكر الجريمة التي حُكم بها عليهِ مع اسماء الشهود الذين حلفوا ضدهُ . ويقال ان كان لاحد بيّنة توافق المحكوم فليتقدّم ويبرزها حالاً

في قانون الايمان المسيحي الشهير المسمّى النيقوي يُذكرا اسمان فقط لبشر اسم مريم العذراء التي ولدت يسوع واسم بيلاطس البنطي الذي صلبهُ[1]. لايكترث التاريخ ببيلاطس الاّ لعلاقتهِ بيسوع[2]. اضطرّ اليهود لان يحيلوا الحكم النهائي على يسوع الى الحكومة الرومانية بناء على اوامر هذه الحكومة مؤخرًا افاد المسيحية فائدة عظيمة. لان بذلك حصلت شهادة الوالي الروماني صريحًا وتكرارًا ببراءة يسوع عقيب حكم رؤساء اليهود انهُ يستحق الموت

بسبب وقوع سبت الفصح العظيم في اليوم الثاني مع سبعة ايام العيد الاخرى بعدهُ اضطر الرؤساء ان يسرعوا في اخذ يسوع الى الوالي بعد حكمهم المعجّل عليهِ. لانهُ ان لم ينفّذ حكم الاعدام في ذلك النهار عينهِ يقتضي التأجيل مدة اسبوع على الاقل. فيخشون شغبًا في الشعب لاجل تخليصهِ متى درى الشعب بالواقع. لذلك في الصباح باكرًا ارجعوا وُثُق يسوع التي كانوا

---

(١) يقول ان "يسوع تجسد من الروح القدس من مريم العذراء وتأنس. وصلب على عهد بيلاطس البنطي" (٢) كان بيلاطس خامسًا بين الولاة الذين خلفوا ارخلاوس في الحكم في اليهودية. وكان تعيينهُ الذي وقع قبل صلب يسوع باربع سنين متفقًا مع تعيين قيافا لمنصب رياسة الكهنة كما اتفق ايضًا تاريخ عزلهما. كان نظير الوزير الروماني سيجانس الذي سمّاهُ لهذا المنصب يكره اليهود. لذلك كانت سياستهُ موجبة للقلق. لان الكره يولد الكره. يروي عنهُ فصول عديدة آهان واهاج فيها الشعب اليهودي حتى أنهم شكوهُ رسميًا للامبراطور. فجاءهُ تكدير من مولاهُ. "كان قاسيًا جدًا غير دائب الاّ لمنافعهِ الشخصية". اخيرًا تعدّى عسكرهُ في ذات يوم على جمهور السامريين في معبدهم المقدس "جبل جرزيم". فصارت مذبحة أدّت الى عزلهِ واخذهِ الى رومية لاجل المحاكمة. أصح التقاليد تقول انهُ نُفي وانتحر في المنفى كما فعل الاسخريوطي شريكهُ في صلب يسوع. لكن بعض التقاليد تجعلهُ تائبًا في آخر حياتهِ ومؤمنًا بالمسيح وانهُ قُتل شهيدًا. فلذلك يحسب عند الاقباط والحبشيين احد الشهداء المسيحيين. التواريخ المدنية في غير الانجيل تعلن بان بيلاطس صلب يسوع وانهُ قدّم لمولاهُ طيباريوس تقريرًا في هذا الشأن

قد حلوها في المحاكمة . " وقام كل جمهورهم وجاءوا يسوع الى دار الولاية ودفعوهُ الى بيلاطس البنطي الوالي "

ما هذه الصورة المحزنة والمكدّرة ؟ ها رؤساء الشعب معلّمو الشريعة الالهية الطاهرة يسيرون في مقدمة جمع في شوارع المدينة المقدسة ليسلّموا مسيحهم ورجاءهم الوحيد ورجاء العالم اجمع الى والٍ قاسٍ ظالم وثني ليصلبهُ

رأينا الاسخريوطي يحرّض الذين قبضوا على سيدهِ قائلاً "امسكوهُ وامضوا بهِ بحرص" . ونظن ان غايتهُ في ذلك ان يؤمّن على دفع اجرة التسليم لسيدهِ . لكننا نظن ايضاً انهُ بعد ما استولى على النقود كان يريد ويرجّح ان يسوع يفلت من بين ايدي اعدائهِ كما فعل تكراراً في ما مضى . نعلم ان الرسل لم يكترثوا لانباء يسوع تكراراً بتعذيبهِ وقتلهِ مصلوباً . فبالنتيجة يكون يهوذا ايضاً غير مصدّق . فيربح الثلاثين من الفضة بدون ان يُسبّب قتل سيدهِ . ولانهُ الذي سلّمهُ يرجّح انهُ مضى مع الذين صار شريكهم المكرّم فحضر المحاكمة . وانهُ كان شديد المراقبة لكل كلمة صدرت من الفريقين

فهاج عليهِ ضميرهُ لما سمع حكم المجلس الاعلى الذي لا تراجع احكامهُ بان يسوع يعدَم قصاصاً على التجديف . وندم اي ندامة . لكن بعد ان طيّر هذا السهم هل لندامتهِ من تأثير على النتيجة ؟ لا يجهل اللعنة المكتوبة في ناموسهِ على كل من يرتشي لسفك الدم البريء[1] . فكادت الشواقل الفضية الثلاثون لا تنتقل من ايدي الرؤساء الاثمة ليدهِ الاوفر إثماً الاّ ومدّ هذه اليد ثانية ليردّها . افتكران يتقيأ السم الذي تجاسر على اجتراعهِ بردّهِ مال الحرام وتقديمهِ شهادة صادقة بصفات الذي خانهُ وسلّمهُ . فتصدّى لرؤساء الكهنة والشيوخ في خروجهم من قاعة الحكم وذهابهم الى الهيكل لتأدية فروض صلاة الصبح . وطلب منهم ان يستعيدوا الفضة " قائلاً قد اخطأت اذ سلّمت دماً بريئاً " هذه الشهادة القوية من الذي سلّم يسوع لاعدائهِ وبعد ان سلّمهُ

(١) تث ٢٧: ٢٥

هي من اهم الشهادات. لانهُ فيها حكم على نفسهِ مع تبرئتهِ يسوع. ولان اختبارهُ المالي الدقيق في شخص يسوع [1] قوّى كثيرًا شهادتهُ

لكن الرؤساء قد نالوا اربهم بواسطتهِ فلا يهمهم امرهُ الآن. هم لا يقصدون الوقوف على الحقيقة حتى يكون لاعتراف الخائن ثمر عندهم. ان كان لما تآمروا معهُ وشاركهم في مقاصدهم كانوا يحتقرونهُ في قلوبهم . فالآن وهو نادم على مجاراتهم ومخالف لهم في غرضهم يحتقرونهُ اكثر . فاجابوهُ في قساوة قلوبهم تحقيرًا "ماذا علينا انت ابصر" . لما لم يقبلوا الدراهم منهُ تبع بعضهم الى دار الكهنة الخصوصية اي القدس [2] . وحالما دخلوا حيث لا يجوز لهُ الدخول طرح الدراهم وراءهم على بلاط المقدس لتُرَدّ الى الخزانة من حيث اخذها الرؤساء ليدفعوها لهُ

اما الرؤساء فلتمسكهم الظاهري بالدين استنكفوا من اعادة هذه الشواقل المطروحة على بلاط دار الكهنة الى الخزانة المقدسة. وبذلك اثبتوا حكم يسوع عليهم انهم يصفّون عن البعوضة تدقيقًا ويبلعون الجمل تساهلاً . لانهم بينما يصفّون الآن عن بعوضة ارجاع هذه الدراهم الى محلها الاصلي قد بلعوا اجمالاً بل جمالاً بتعليمهم الشهود ان يشهدوا زورًا وارشائهم لذلك . وبمحاكمتهم الاصول الجوهرية في المحاكمة وبحكمهم بقتل يسوع استنادًا على الكذب

اخيرًا فكّوا المشكل بشراء قطعة ارض عديمة النفع تسمّى حقل الفخاري مقبرةً للغرباء . فتحوّل اسم المحل من حقل الفخاري الى حقل دم . تذكر التلاميذ فيما بعد مشابهة هذا الحادث للذي ورد خبرهُ في نبوآتهم فحسبوا ذلك الاوّل رمزًا لهذا الثاني [3]

---

(١) لربما في القضاء الالهي حُسب ان هذه الشهادة الغريبة من المسوّغات لوجود يهوذا في عدد الرسل واحتمال يسوع اياهُ هذه السنين (٢) الكلمة في هذه القصة المترجمة هيكل تفيد القدس في الهيكل (٣) زك ١١: ١٢ و١٣ اما قول البشير متى ان النبي الذي كتب هو ارميا فلهُ تفاسير شتى . افضلها ان اسم نبوة ارميا

لم تمضِ ساعة بعد على سقوط بطرس المهول في دار رئيس الكهنة ثم على توبته الصحيحة . فهل يماثله الاسخريوطي النادم ويقدم التوبة الحقيقية ؟ قد يُحسب سقوط بطرس معيبًا اكثر من سقوط يهوذا بمقدار ما كان مقامهُ بين الرسل ارفع من مقام يهوذا واهتمام يسوع بتعليمهِ وتهذيبهِ اوفر من اهتمامهِ بيهوذا . لكن هذا سعى ليصلح امرهُ مع الناس فقط . اعترف للبشر اولاً فلقي الفشل الذي يصيب كل من يقدم اولاً للبشر اعترافهُ بخطاياهُ . توهَّم انهُ يمكنهُ اصلاح ما فعل وهذا مستحيل . كان عليهِ ان يستغفر من الله اولاً ويطلب منهُ تعالى ان يصلح ما عطَّلهُ هو

آه يا يهوذا ليس في ندامتك حبٌّ ليسوع فليس فيها الك رجاء . لو كنت تحبهُ لاستغفرت منهُ لا من اعدائهِ . انت اخ لعيسو لا لبطرس . وخطيئة عيسو لا تستحق الذكر بجانب خطيئتك ان كان في قباحتها او في نتائجها . دموع بطرس السخية لم تنشف بعد الاَّ وانت ايضًا تقول "اخطأت" . لكن بداعي نتيجة وخيمة يعود وبالها عليك . ولذلك فليس لدائك دواء . اما بطرس فلانهُ احزن من هو حبيبهُ الذي يحبهُ فوق نفسهِ ويريد ان يبذل حياتهُ عنهُ هوى قلبهُ ساعة سقوطهِ الى الغدَّار الذي اخطأ هو اليهِ . فنال حالاً الغفران والنعمة . وكانت دموعهُ شافية لا محرقة . دموع عيسو النادم لم تُجدهِ نفعًا . لان ندامتهُ كانت على اساس فاسد اي اسفهُ على خسارتهِ لا على دناءتهِ . ولم يوجِّه توبتهُ لله في الاستغفار . لذلك لم يجد للتوبة مكانًا مع انهُ طلبها بدموع (١)

نفض الاسخريوطي من يدهِ مال الاثم . لكنهُ لم ينفض من نفسهِ فعل الاثم . فلم يعد يستطيع ان يحمل هذه النفس الاثيمة . ليس يأسهُ بالاكثر نتيجة هذه السقطة بل نتيجة حياتهِ الماضية التي فيها فتح قلبهُ للطمع والخداع لا لحب يسوع .

عند اليهود أُطلق على مجموع النبوات الذي اوَّل اسفارهِ كان نبوة ارميا فشمل اسم ارميا كتابات الانبياء الموضوعة بعد كتابهِ ومنهم زكريا (١) عب ١٢: ١٧

فلذلك لا يميل للاتجاه اليهِ في هذه الساعة القاضية . تولّدت جهنم في قلبهِ ولذلك عمد الى طرح نفسهِ الى جهنم الابدية

الاعذار التي يكتفي بها رؤساء اليهود لا يتذرّع بها يهوذا . لان نورهُ اضعاف نورهم . بلية النور الديني في عذاب مضاعف على الذي يرفضهُ. والشيطان لا يكتفي بهلاك الذين يقاومونهُ فقط بل يقصد ايضاً هلاك الذين يخدمونهُ

هكذا فعل بالاسخريوطي . فساقهُ الى آخر حِيَل الخاطىء الجبان اي الانتحار . لابد انهُ غشَّ يهوذا كما لا يزال يغش كثيرين فيتصوّرون ان في الانتحار شيئاً من شرف النفس وراحة الضمير وتخفيف الويلات. يخبرنا البشير لوقا ليس في بشارتهِ بل في كتابهِ الثاني ان يهوذا لما "مضى وخنق نفسهُ سقط على وجههِ وانشق من الوسط فانسكبت احشاؤهُ كلها . وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان اورشليم" (١) . فاي نتيجة مرعبة هذه التي تجانس خيانةً فظيعةً ؟ حقًّا هذه لمحة من عذاب جهنم ابرقت منها على العالم عبرةً ومثالاً . فمن لا يتّعظ بها ؟

(١) اع ١: ١٨ و ١٩

الفصل السادس والاربعون

(مت ٢٧: ٢ و ١١–٢٦ مر ١٥: ١–١٥ لو ٢٣: ١–٢٥ يو ١٨: ٢٨–٤٠)

(المرصّع) ف ٤٧ و ٤٨ (الزمان) الجمعة في ٧ نيسان السنة ٣٠ م

(المكان) اورشليم

اخذهُ الى بيلاطس الوالي . فحص بيلاطس وتبرئتهُ الاولى . تبرئتهُ الثانية . ارساله الى هيرودس وارجاعهُ الى بيلاطس . تبرئتهُ الثالثة . باراباس اللص . حلم امرأة بيلاطس . تبرئتهُ الرابعة . تحويل بيلاطس المسؤولية عن نفسهِ . تسليمهُ للعسكر . تكرار الاستهزاء بهِ . تبرئتهُ الخامسة . الحاح الجموع باطلاق باراباس وصلب يسوع . تسليمهُ لليهود ليُصلب . تجديد الاستهزاء بهِ واخذهُ للصلب

باكرًا صباح الجمعة بلغ الوالي في مخدعهِ قدوم رئيس الكهنة مع مجلسهِ الموقّر وعظماء الامة وجمهور من التبعة . وانهم احضروا معهم النبيّ الناصري الشهير صانع المعجزات الفائقة مكتوفًا ومخفورًا على صورة تدل انهُ ارتكب جريمة عظيمة . وكان رؤساء اليهود يتشبثّون بعظمتهم حتى في علاقاتهم مع الولاة الرومان . وهؤلاء كانوا يعترفون لهم بسلطة واسعة ونفوذ عظيم . فكانوا غالبًا ينفّذون لهم احكامهم الدينية دون مراجعة

في حادث يسوع بهمّ الرؤساء جدًّا ان ينفعل لهم بيلاطس حسب عادتهِ . وان لا يراجع ولا يفحص القضية . لان الوقت قد دهمهم . ويخشون اذا فحص بيلاطس ان يُلغي حكمهم الظالم . ولانهم يتنجّسون من الدخول الى دار الحكمة

الوثنية . والوقت لا يسعهم ليتطهّروا من هذا التنجّس قبل العيد العظيم تساهل الوالي معهم وخرج اليهم. وادخل يسوع مع العسكر الى الدار. ثم سأل الرؤساء في غياب يسوع "اية شكاية تقدّمون على هذا الانسان"؟ في محاولتهم ان لا يفحص بيلاطس القضية اجابوهُ بشيء من الوقاحة قائلين "لو لم يكن فاعل شرّ لما كنّا سلّمناهُ اليك". لكن الوالي تمسّك بحقوقهِ النظامية . فاضطرّوا ان يقدّموا دعواهم في قالب نظامي مما يوجب معاقبة يسوع بالاعدام

يدركون ان الوالي لا يكترث للحجج التي بنى مجمعهم حكمهُ عليها[1]. فاستنبطوا جوابًا كاذبًا خارجًا عن اسباب حكمهم يتضمن ثلاث جرائم. الاولى "يفسد الأُمّة". اي يثير فتنة سياسية ضد الحكومة . لكن لو صدق هذا القول لكان بلغ بيلاطس بواسطة جواسيسهِ دون تداخل الرؤساء الذين لا تسيئهم الفتنة ضد الحكومة . فكذبهم لا يخدع بيلاطس . والجريمة الثانية "يمنع ان تُعطى جزية لقيصر". وهذا ما حاولوا ان يقودوا يسوع الى فعلهِ فرفض تجربتهم قائلاً "اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله". فهذا ايضًا كذب ناطق لا يقنع بيلاطس . واما الشكاية الثالثة فهي "يقول انهُ هو المسيح ملك". وهذا ايضًا كذب. لانهُ لم يقل عن نفسهِ "ملك" بل الجماهير التي استقبلتهُ عند دخولهِ المدينة راكبًا . فليس في هذه التهمة ايضًا ما يؤثر على الوالي. لانهُ يعلم جيدًا ان هؤلاء اليهود يفتخرون بكل من يقاوم الحكم الروماني . فلا يمكن ان يسلموا يهوديًا للقتل بهذا الداعي صدقًا

فاجابهم بنفور وتحقير وتهكّم "خذوهُ انتم واحكموا عليهِ حسب ناموسكم". حال كون لا علاقة بين الجرائم التي ذكروها وبين ناموسهم . فيؤخذ جوابهُ بعبارة أُخرى على هذه الصورة . حقوقي وواجباتي ان أُحاكم واحكُم اولاً بذاتي ثم أُنفّذ الحكم. وعلى هذه الكيفية فقط أُعاملكم. والمعنى الخفي لا تستطيعون ان تفعلوا ما تشاؤون بدوني وانا لا اخضع لمطاليبكم بدون فحص . في هذا

(١) انظر الحادث المشابه لهذا الذي ورد خبرهُ في اع ١٨: ١٤ و١٥

التشبُّث الغير المنتظَر من بيلاطس برى كل مفكّر يدًا الهية تهيّئ اعظم اثبات لبراءة يسوع . وهذا التشبُّث اضطرّ الروَساء الى التذلل لاجل نيل مرامهم . فقالوا "لا يجوز لنا ان نقتل احدًا"(١)

حصل كل هذا في العراء امام دار الولاية . وبعدهُ دخل الوالي ودعا يسوع لكي يفحص في امرهِ . دهاؤهُ كحاكم يجعلهُ ان يرى في يسوع شخصًا عجيبًا لم يرَ مثلهُ قط . وعلى الفرض المعقول انهُ سمع بصيتهِ الخيري وبمعجزاتهِ الشهيرة يتفق ما يراهُ الآن مع ما سمعهُ قبلاً . وكان سؤالهُ الاوّل لهذا الشخص الموقّر معقولاً ومناسبًا . لان اتهام اليهود اياهُ بانهُ قال انهُ المسيح ملك لم يكن بحضورهِ فيظن الوالي ان يسوع يجهل قول اليهود لهُ . فسألهُ "أأنت ملك اليهود"؟

لا يستطيع يسوع ان يجيب نعم فقط . لئلا يأخذ الوالي هذا الجواب على معنى سياسي بخلاف الواقع . ولا يستطيع ان يقول كلاً . لانهُ بالحقيقة ملك اليهود بل ملك كل العالم بالمعنى الروحي . "هو لن يقدر ان ينكر نفسهُ"(٢) فدلّ على علمهِ بقول اليهود للوالي في جوابهِ "أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني"؟ اي هل تطلب ان تعرف حقيقة امري او فقط ان تعرف صدق الذين سلّموني اليك ؟ فنفى بيلاطس انهُ يطلب معرفة الحقيقة بقولهِ "ألعلّي انا يهودي"؟ يعني لماذا أهتمّ ان اعرف مسيح اليهود "أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك اليّ ماذا فعلت"؟(٣)

حينئذٍ كلم يسوع بيلاطس بكلام سامٍ بيّن فيهِ ماهية ملكوتهِ الروحي . وان برهان روحيتهِ عدم مدافعة اتباعهِ عنهُ بالسلاح كما كانوا يفعلون لو ادّعى بملكوت بالمعنى السياسي . لكن الوالي لم يكتفِ بهذا التصريح الروحي المبهم عنهُ . فطلب جوابًا واضحًا على سؤالهِ . ولان يسوع فسّر معناهُ أجاب

(١) يُظن ان في افكارهم ما حدث لزعيمهم حنّان الذي كان سبب عزلهِ تنفيذهُ في غياب الوالي مرّةً حكمًا بمجلسهِ بالاعدام (٢) ٢تي ٢:١٣ (٣) النظام الروماني بخلاف العبراني كان يجيز الطلب من المتهم ان يذنّب نفسهُ بالاعتراف

بالايجاب حسب الاصطلاح الاحترامي. "انت تقول اني ملك. لهذا قد وُلدت انا. ولهذا قد اتيت الى العالم لاشهد للحق (اي الحق الديني) وكل مَن هو من الحق يسمع صوتي"

فاجاب بيلاطس بمزيج من الاستخفاف والاحترام وهو خارج ليقابل اليهود في القسحة الخارجية "ما هو الحق"؟ اي مَن يقدر ان يعرف الحق بين الآراء الدينية الكثيرة المتضاربة؟ هل هو بجانب فلاسفة اليونان المتعبدين للجمال وآلهتهِ – ام بجانب الرومان المتعبدين للقوّة وآلهتها – ام بجانب اليهود المتعبدين لاله واحد هو روح لا صورة ظاهرة لهُ – ام بجانبك انت المرفوض من امتك اليهودية التي تخالفها وتقول انك اتيت من السماء لتشهد للحق؟ سأل "ما هو الحق"؟ لكنهُ لم ينتظر الجواب. وما اكثر امثالهُ في كل عصر وقطر الذين يسألون سؤالهُ ان بالاستخفاف وان بالاحترام لكن بدون ان ينتظروا ليحصلوا على الجواب من الحق سبحانهُ. ولذلك لا يهتدون اليهِ. قال يسوع سابقًا "ان ثبتّم في كلامي ** تعرفون الحق والحق يحرركم"(١)

كلام الوالي عند خروجهِ آخذًا يسوع معهُ الى امام الجمهور كان قويًا جدًا ودالاً على حديثٍ وافٍ لم يُكتَب دار بين هذا الحاكم الشرير وهذا المحكوم البارّ. وعلى تدقيقٍ كافٍ في فحصهِ يسوع. لانهُ قال لهم "انا لست اجد فيهِ علةً واحدةً". ان صحّ زعم البعض ان امرأتهُ كانت مؤمنة بالله تكون قد زرعت فيهِ ميلاً الى يسوع. والامر ظاهر انهُ كان يهاب يسوع ويحترمهُ

عند هذا التصريح من الوالي جدّد اليهود شكايات متنوعة لم يرضَ يسوع أن يجيب عليها. ولما سألهُ الوالي لماذا لا يدافع عن نفسهِ لم يجبهُ بكلمة. لانهُ يعلم ان كلامهُ يكون عبثًا. تعجّب الوالي من هذا السكوت. لكنهُ اظهر احترامهُ باعادة شهادتهِ امام الرؤساء والجمهور ببراءة غريمهم. فشاط هؤلاء وجدّدوا الشكاية بان يسوع كان يحرّك الشعب للفتنة ليس فقط في ولاية

(١) يو٨: ٣٢

بيلاطس بل اكثر ايضًا في وطنهِ في ولاية هيرودس انتباس في مقاطعة الجليل حيث قضى يسوع معظم سنيهِ

قصدوا بذكر الجليل تهييج الوالي على يسوع لاجل قتلهِ. لانهُ يعلم ان اكثر الفتن السياسية كان يثيرها الجليليُّون. لكنهم ندموا على فعلٍ ادّى الى بطء جديد في مشروعهم. لانهم جعلوا الوالي يفتكر بوسيلة جديدة للتخلص من هذه الدعوى المزعجة باحالتها الى حاكم الجليل اليهودي. نجهل اسباب الخلاف الشديد الكائن بين هذَين الجارَين في الحكم. لربما نتج عن معاملة احدهم السيئة اشخاصًا من رعايا الآخر(١). لكننا نعلم ان هذا الوالي ارسل يسوع مصحوبًا بالرؤساء المدّعين الى ذلك الملك المقيم في القصر الملكي للعائلة الحشمونية (او المكابية) الذي يسكنهُ عند حضورهِ الى العيد (نظير بيلاطس) من قاعدتهِ الى المدينة المقدسة

حسب بيلاطس ان هذه الاحالة تريحهُ من المسؤولية تجاه اليهود وتجاه ضميرهِ ايضًا. ويكون فيهِ شيء من الاسترضاء حلًّا للتنافر بينهُ وبين هيرودس. فنجح في الغاية الثانية. لان البشير يقول صريحًا "صار بيلاطس وهيرودس صديقَين مع بعضهما في ذلك اليوم"(٢). لكن في غايتهِ الاولى والاهم لم ينجح

لما وصل يسوع مع شاكيهِ الى قصر الملك فرح هذا جدًّا. ليس فقط لافتخارهِ بتنازل الوالي لهُ. بل بالاحرى لانهُ منذ زمان كان يشتهي كثيرًا رؤية يسوع. (لكن بروح ومقاصد تختلف كليًّا عن التي ساقت اليونان ليطلبوا رؤيتهُ قبل الآن بثلاثة ايام). فرح برؤية يسوع لانهُ اشهر كل افراد رعيتهِ في الجليل. ومع ذلك لم يتمكن الى الآن من مشاهدتهِ. وفرح ليقينهِ الفارغ بانهُ يفعل امامهُ عند امرهِ من المعجزات العظيمة التي قد سمع بها كثيرًا.

(١) ذُكر ليسوع مرّة حادث من هذا النوع لو ١٣: ١ (٢) اشار بطرس في صلاتهِ الشهيرة تحت الاضطهاد الى هذا الحادث اع ٤: ٢٥—٢٧

اما افكار يسوع بخصوص وليّهِ السياسي المعيّن ملكًا فظهرت من مدة وجيزة لما قال لهُ اليهود ان هيرودس يطلب قتلهُ . لانهُ اجابهم "امضوا وقولوا لهذا الثعلب" كذا وكذا

في غير هذا الوقت لو حضر يسوع امام هيرودس لكان يفعل فعل المعمدان بل اكثر كثيرًا في توبيخهِ شديدًا على شرورهِ . ولاسيما للسبب الجديد في قتلهِ ذلك النبي العظيم . لكنهُ الآن في موقف الشاة المسوقة للذبح التي لا تفتح فاها . فيقابل هيرودس بسكوت . ألا تكون رؤية يسوع مكتوفًا امامهُ تذكيرًا مؤلمًا لهيرودس بذلك النسيب ليسوع؟ وبتلك الصورة المرعبة لما ادخلوا امامهُ راس هذا الغيور الصالح على طبق[1] ؟ لما سمع سابقًا بيسوع قال انهُ يوحنا المعمدان الذي قام من القبر فماذا يظن الآن ؟

فحص هيرودس يسوع بكلام كثير لم يُحفظ لنا منهُ شيء . لان يسوع لم يكترث لهُ ولم يجبهُ بشيء . اسكت سابقًا هذا الشرير صوت الله بفم المعمدان . فالآن لا يكلمهُ ابن الله بشيء . فاستسلم لكيدهِ وانتقم منهُ اذ سمح لجنودهِ ان يعذّبوهُ . قيل "فاحتقرهُ هيرودس مع عسكرهِ واستهزأ بهِ والبسهُ لباسًا لامعًا وردّهُ (دون حكم) الى بيلاطس

لما عاد الجمع بيسوع الى بيلاطس مع جواب معتمديهِ ان هيرودس لم يقف لهُ على ذنب حقيقي يستوجب قتلهُ دعا بيلاطس الشعب مع روّساء الكهنة والعظماء لعلّهُ يحصل من الشعب على مساعدة ضد مكائد الروّساء . "وقال لهم قدّمتم اليّ هذا الانسان كمن يفسد الشعب . وها انا قد فحصت قدّامكم ولم اجد في هذا الانسان علّة مما تشتكون بهِ عليهِ . ولا هيرودس ايضًا لاني ارسلتكم اليهِ . وها لاشيء يستحق الموت صُنع منهُ"

نعمًا ايها الوالي المتشبث الآن بالعدالة والمثل حكومة فاقت غيرها قديمًا في هذه المزية . لكن واأسفاهُ ان ماضيك ملطّخ باعمال مغايرة يجب سترها

(١) ف ٢٦

لاجل وقايتك. وليس ادرى بهفواتك السابقة من هؤلاء الطالبين منك اعدام شريف بريء . بداك مغلولتان بسبب زلاّتك الماضية وانحرافاتك في الاحكام لاغراض نفسانية . وكل هذا مما يضطرك حسب زعمك الى مجاراة هولاء القوم بالبطل

بيلاطس ممرّن في قساوة القلب ومعوّد ان يأمر بالجلد المؤلم لاسباب طفيفة . فان امر بجلد يسوع لايكون امرًا ذا بال . فاقترح على اليهود ان يكتفوا بجلدهِ ان فعل ذلك يبريء ارضاءهم . حاول اقناعهم بذلك زاعمًا انهُ يخدم الشفقة بتخليص يسوع من تعذيب اليهود اياهُ . ويخدم العدالة بتخليص بريءٍ من الاعدام[1] . وفي الوقت ذاتهِ يجتنب استياء اليهود منهُ الذي يحصل لامحالة ان اطلق يسوع دون تعذيبهِ . فقال لهم "انا أُودبهُ وأُطلقهُ" . بيلاطس يؤدب يسوع . وذلك بعد ان برّأهُ تمامًا والامران ضدان . هذا بداءة خطاهُ . فأدّى الى اعظم

عند ذلك تحوّلت افكار الجموع الى امر آخر تعوّدوهُ في مثل هذا الوقت في كل عام . وهو ان الوالي يرخّص للعموم بتسمية احد المسجونين تحت الحكم بالاعدام ليطلقهُ لهم كهدية عيدية . فلما طالبوا بيلاطس بهذه المنحة رأى في ذلك باب فرج ليسوع . لانهُ يحسن لهم ان يحسبوا بان حكم الاعدام قد صدر كما يرغبون . وان ينتخبوا يسوع لاجل اطلاقهِ . وبهذا القصد خيّرهم (مراعاةً لحريتهم) بين يسوع وبين محكوم عليهِ بالاعدام اسمهُ باراباس قائد زمرة لصوص ارتكبوا فتنة وقتلاً . لا يتصوّر بيلاطس ان الجمهور يطلب منهُ اطلاق هذا وقتل المعلم الديني الماهر التقي والمفضل الصالح الذي شفى من مرضاهم عددًا لايحصى . ويعتبر ان الجمهور ليس مدفوعًا كالرؤساء بعوامل الحسد ليفضّلوا مفتنًا حقيقيًا على صالح شهير أنهم زورًا بانهُ مفتن . وظنّ انهم يفرحون بوعدٍ منهُ ان يطلق لهم المسمّى ملكهم ومسيحهم . فسأل الجمهور "من

(١) اللاهوتي الشهير اوغستينوس من اصحاب هذا الراي

تريدون ان أُطلق لكم باراباس ام يسوع الذي يدعى المسيح ملك اليهود" ؟ والظاهر انهُ دخل بعد سؤالهِ وجلس على كرسي الولاية ليعطي فرصةً للجمهور ليتخابروا ويقرِّروا من يختارون

اتفق عند ذلك مجيء رسول من امرأتهِ تحذِّرهُ من ان يحكم على يسوع الذي سمَّتهُ "ذلك البار". لانها تألمت كثيرًا في ذلك اليوم في حلم من أجلهِ[1] لا بد من ان يؤثِّر في زوجها هذا الحلم لانهُ كان لجميع الوثنيين تحت سلطة الخرافات . فيزيد خوفهُ من ان يأخذ على نفسهِ مسؤولية اعدام يسوع . لكن بينما كانت اسباب تبرئة يسوع تزيد في غرفة الوالي كان يزيد في الخارج عكسها . لان الرؤساء بذلوا قصارى جهدهم في اقناع الجمهور ان يصرُّوا على قتل يسوع بداعي انهُ جدَّف باتخاذهِ لنفسهِ صفة الاله . فجريمتهُ اعظم من جريمة باراباس ولاسيما لانهُ قاصدٌ ان ينقض هيكلهم المعظَّم . فلما طلب بيلاطس جوابهم "صرخوا جميعًا قائلين خذ هذا واطلق لنا باراباس". ولما راجعهم لعلَّ اختيارهم كان عن اسراع او سوء مفهومية وكأنهُ يُظهر لهم مرةً اخرى مَيل واليهم لاطلاق يسوع فينتظر ان يؤثر ذلك فيهم ليغيِّروا قرارهم اصرُّوا على قرارهم الاول قائلين "أطلق لنا باراباس"[2]

لم يكتفِ الوالي بهذا الجواب فسألهم "ماذا تريدون ان افعل بيسوع"؟ الحاكم العسكري الروماني القاسي تحنن . لكن رؤساء الدين تقسَّوا . هم قوَّاد الشعب المدَّعين بانهم نوَّاب الله . لكنهم لا يعرفون الرحمة والحق . أفلا يقوم بيلاطس في يوم الدين ويدينهم ؟ وليس فقط انهم امسكوا الرحمة والحق عن

---

(١) في كتابات اوريجنس تسمى هذه المرأة كلوديا . ويروى انها اعتنقت المذهب اليهودي سرًّا ان لم يكن علنًا . والكنيسة الارثوذكسية تبني على احد التقاليد وضع اسمها في قائمة القديسين (٢) ذكَّرهم بطرس فيما بعد في وعظهِ بتفضيلهم باراباس على يسوع (اع ٣: ١٣ و١٥)

يسوع بل انهم منعوا الوالي عن الجري بموجب ضميره وانسانيته. وكرّروا صراخهم "اصلبهُ اصلبهُ"

لكن الوالي راجعهم ثالثةً املاً بتخليص يسوع برضى الجمهور. فقال "واي شرّ عمل هذا؟ اني لم اجد فيهِ علّةً للموت. فانا أُؤدبهُ واطلقهُ". غير انهُ برضاهُ ان يؤدب رجلاً كرّر هو تصريحهُ ببراءتهِ قد سلّم بعض الحكم والسلطة للجمهور. فتهيج طمعهم وعنادهم وتشبثهم بان يفعل الوالي ارادتهم لا ارادتهُ. قيل "فكانوا يلجّون باصوات عظيمة ويزدادون جدًّا صراخًا قائلين أُصلبهُ". فقويت اصواتهم واصوات رؤساء الكهنة الذين صيّحوا خوفًا من سكوت الشعب ان سكتوا هم. صاروا هم والجمهور معهم كالوحوش الكاسرة لا يرتدّون عن غيّهم وامسى بيلاطس آلة بين ايديهم

يقال "رأى انهُ لا ينفع شيئًا بل بالحري يحدث شغب". فسلّم الحاكم حارس القانون لجنون الجمهور الطائش الذي لا قانون لهُ. ولما اطلق باراباس بطلب الجمهور فقد حجتهُ في مساعدة يسوع. وخضع مبدئيًا لطلبهم ان يُصلَب. الاّ انهُ لم يسلّم دون تحفّظ. بل حاول التخلص تمامًا من مسؤولية هذا الغدر ووضعها على الرؤساء والشعب. وعلامةً لذلك اخذ ماء وغسل يديهِ امام الجمع قائلاً "اني بريء من دم هذا البار"[1]. مائل آدم الذي اراد احالة مسؤولية مخالفتهِ على امرأتهِ التي افتكرت في دورها ان تحيلها على الحية. لكن لم يتخلّص قصاص احدهما بهذه المحاولة

ولا فرج لهذا الوالي في كونهِ فعل تحت ضغط الجمهور المتهيج. ضغط الآخرين يفسر كثيرًا من الزلاّت. لكنهُ لا يبرئ صاحبها ما لم يكن اغتصابًا بدنيًا. وحيلة بيلاطس هذه لم تنفعهُ بشيء. لاننا نقرأ "فاجاب جميع الشعب وقالوا دمهُ علينا وعلى اولادنا". ان كانت غباوة بيلاطس عظيمة في ظنهِ انهُ برفع المسؤولية عنهُ فغباوة الشعب اعظم في ظنهِ انهُ يتحمل فوق ذنبهِ ذنب

(١) انظر اصطلاحًا كهذا في تث ٢١: ١ وار ٢٦: ١٥ ومز ٩٤: ٦

الوالي ايضًا . ويرفع عنه المسؤولية . أفلا يُحكَم ايضًا بالغباوة على الذين في هذا العصر يعتقدون بوجود سلطان دنيوي عند بعض الرؤساء يمكنهم من رفع المسؤولية او نقلها عند مخالفة النواميس الالهية ؟

الذين قالوا " دمه علينا وعلى اولادنا " اغتاظوا بعد حين على بعض رسل يسوع فعيّروهم بقولهم " قد ملأتم اورشليم بتعليمكم وتريدون ان تجلبوا علينا دم هذا الانسان "(١) . هل تذكّروا كلام الاستخناف هذا يوم رأوا نتيجة جنايتهم في الصلبان الكثيرة التي نصبها لهم الرومان في اورشليم عند خرابها ؟

يطلب المنكر تفسيرًا معقولاً للانقلاب الذي دلّ عليه ما حدث امام بيلاطس في هذا الوقت . لان الانعكاس عظيم جدًّا وسريع . يوم الاحد صرخت الجموع امام يسوع " اوصنا لملك اسرائيل " ويوم الجمعة يصرخون " اصلبهُ اصلبهُ " . الرؤساء باقون كما كانوا . لكن كيف هذا التغيير في الشعب ؟ يسهل التفسير على فرض جمهور المحتفين به يوم الاحد مؤلف من الغرباء الزائرين وجمهور طالبي صلبه مؤلف من سكان اورشليم

اما اذا اعتبرنا ان التغيير حصل في ذات الاشخاص فنجد تفسيرًا في ان جمهور المحتفين ظنوا ان يسوع دخل المدينة راكبًا ليقيم ملكًا زمنيًّا يحررهم من نير الرومان . فلما انطفأت هذه الآمال بمسكه والحكم عليه بالاعدام صار رد فعل عظيم من مزيد الاعتبار الى مزيد الاحتقار . وتهيج كيدهم انتقامًا على فشل الآمال . ثم ان اندفاع الرؤساء ونجاحهم ينعلان لتحويل الولاء ليسوع الى نفور منه . فضلاً عن تهييج شعائرهم الدينية بواسطة خبر رؤسائهم ان يسوع ارتكب افظع الذنوب اي التجديف(٢)

في هذا الحادث نرى الديّان العظيم يُدان من شرّ الخطأة . والذي

(١) اع ٥ : ٢٨ (٢) يقول مؤرخهم (يوسيفوس) انه لكثرة عدد الذين صُلبوا لم يبقَ خشب لصنع الصلبان ولا محل لنصبها لو صُنعت (٣) نرى تغييرًا كهذا في وقت اقصر من هذا الوقت في تاريخ بولس الرسول في لسترة (اع ١٤ : ١١—١٩)

ارسلهُ الله لينادي للمأسورين بالاطلاق نراهُ موثقًا بين ايدي اسافل القوم . ومعطي الحياة للعالم نراهُ مسوقًا للموت على الصليب

كان لا بد لمن يُحكَم عليهِ بالصلب ان يُجلد اولاً جلدًا قانونيًا . في قانون اليهود كان يوقَف الجَلد عند تسع وثلاثين جلدة على الاكثر . لكن العدالة الرومانية المشهورة كانت ايضًا عديمة الاشفاق . فكان جلد المجرمين بلا قانون . واحيانًا يتجاوز في القساوة كل الحدود المعقولة . كانوا يجلدون باسواط من جلد مربوط في اطرافها قطع حديد او رصاص او عظام . فيعرُّون المجرم ويضربونهُ بهذه الاسواط بدون شفقة . فتتولد جروح عميقة تتحوَّل الى قروح لعدم معالجتها . فكثيرًا ما كان يُغمى على المضروب . والبعض يموتون في اثناء الجلد . هذه المعاملة هي المشار اليها بالقول البسيط "أسلمهُ بعد ما جلدهُ ليُصلَب"

يظهر ان بيلاطس لم يقطع الامل بان اليهود يكتفون بهذا القصاص الصارم . فيعدلون عن طلب الصلب . ولكن كأس عذاب يسوع لم يمتلئ بعد . لان الجنود الوثنيين الذين استلموهُ ليجلدوهُ رأوا بين ايديهم شخصًا عظيمًا . فتحمسوا اكثر لاهانتهِ لما أُعطوا السلطة عليهِ . سرى فيهم الروح الذي رأوهُ في الشعب اليهودي نحو يسوع . فحسبوا ان لهم حقًا في اكثر من قساوة اخوتهِ في المذهب . لذلك لم يرثوا لحالتهِ بعد جلدهِ . ولم يروا داعيًا للرأفة طالما سيُعدَم حالاً بالصلب

فجعلوهُ العوبة بين ايديهم لاجل البسط الهزلي . سمعوا انهُ تلقَّب ملك اليهود فقصدوا ان يسخروا بهِ كذلك . فأخذوهُ الى داخل دار الولاية وجمعوا عليهِ كل الكتيبة التي قانونها خمسمئة عسكري . وعرَّوهُ والبسوهُ رداء قرمزيًا (ثوب ارجوان) وضفروا اكليلاً من شوك ووضعوهُ على رأسهِ . وقصبة (اشارة الى قضيب الملك والصولجان) في يمينهِ . وكانوا يجثون امامهُ استهزاء قائلين "السلام يا ملك اليهود" . وهم قاصدون الاستهزاء ليس فقط بيسوع بل

بشعبهِ اليهودي ايضاً . وكانوا يخطفون من يدهِ القصبة ويلطمونهُ ويضربونهُ بها على رأسهِ ويبصقون عليهِ ثم يعيدون السجود لهُ

ما أغرب هذا المنظر . هذا الشخص الذي تسلَّط عليهِ اسافل القوم ليفعلوا بهِ كلما شاءت قساوتهم الوحشية واخلاقهم البربرية هو ذات الذي كان مَن لمس هدب ثوبهِ فقط يُشفى من اصعب الامراض . وكانت كلمتهُ تشفي السقماء عن بعد في اطراف البلاد . فكيف يسمح لهم بكل ما فعلوا ؟ بطرس الرسول اشار في ما بعد الى هذه الساعة خصوصاً فكتب عنهُ "اذ شُتم لم يشتم عوضاً . واذ تألم لم يكن يهدّد بل كان يسلّم لمن يقضي بعدل" (١) . وزاد بولس تفسيراً في قولهِ "فانكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح انهُ افتقر وهو غني لكي تستغنوا انتم بفقرهِ" (٢) . اما نحن فنعلم ان لكل ما فعلوهُ بهِ معنى عميق عكس ما قصدوهُ . فالرداء والتاج والصولجان والنداء والسجود كانت اشارة الى ملكيتهِ الحقيقية وهم لا يدرون

اخيراً اخذهُ بيلاطس من بين ايديهم وخرج بهِ متوّجاً باكليل الشوك ومسربلاً بالثوب الارجواني وقدّمهُ الى الجمع المنتظر مكرّراً مرّةً اخرى تبرئتهُ قائلاً "اخرجهُ اليكم لتعلموا اني لم أجد فيهِ علةً واحدةً . هوذا الانسان" . واما العالم الراقي فيقول الآن "هوذا الانسان" تفخيماً واحتراماً وسجوداً . قدّم بيلاطس هذا الانسان (الذي اختار لنفسهِ لقب ابن الانسان) ليس لذلك الجمهور فقط بل للبشر كافةً في كل الدهور وكل الاقطار . "هوذا الانسان" . الذي يُطلب من كل من يرى هيئتهُ الكئيبة وصورة آلامهِ الفائقة ان يقرّر ما هو يقينهُ بخصوصهِ . "هوذا الانسان" . لا تكفي اكمل الاوصاف البشرية لتحيط بكمالهِ ولا تفسرهُ ادق الفلسفة العالمية . هوذا الانسان الذي لا شيء من فرط آلامهِ يلزمهُ او يناسبهُ او كان لاجلهِ بل الكل لاجل البشر الخطأة .

---

(١) بط ٢ : ٢٣ (٢) ٢ كو ٨ : ٩

يا لعمق الحب الذي لا يستقصى الذي قادهُ الى احتمال هذا المقدار من الاهانة والعذاب (١)

قال بيلاطس هوذا الانسان وهو يومئ الى شخص قد افرط جنودهُ بالاستهزاء بهِ وهو لا يزال لابسًا ادلة هذا الاستهزاء . فازدادت جرأة اليهود الوقحين لروئيتهم الوالي مسلمًا بتعذيب يسوع وتحقيره . فلما رآهُ رؤساء الكهنة والخدام (طرفا القوم) صرخوا مجددًا اصلبهُ اصلبهُ . فكرَّر بيلاطس حكمهُ مرَّة اخرى ببراءتهِ قائلاً " خذوهُ انتم واصلبوهُ لاني لست اجد فيهِ علَّة "

هذا الاختلاف بين اقوال الوالي وافعالهِ برهن ضعفهُ وجبنهُ . فضجر القوم من تردُّدهِ وعمدوا الى الحيلة الدينية التي كتموها الى الآن . وقالوا " لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب ان يموت لانهُ جعل نفسهُ ابن الله " (٢) . لكن ما قصدوهُ للتعجيل آل للتأجيل . بيلاطس قد تحقق امتياز يسوع في الصلاح والحكمة . فقولهُ عن نفسهِ انهُ ابن الله موجب عظيم للانتباه والفحص والحذر . فازداد خوفًا وردَّ يسوع الى داخل الدار وسألهُ " من ابن انت " ؟

خرافات الرومان الدينية لم تستصعب كلمة ابن الآلهة . لانهم اعتقدوا ان بعض آلهتهم يظهرون ويخالطون البشر . فخشي ان يكون يسوع من هولاء لم يهتم لاخذ الجواب على كل ما سبق كما على هذا السؤال . يظهر ان يسوع بعد تعذيبهِ والاستهزاء بهِ وهو لا يزال حاملاً شارات الاستهزاء بهِ اراد ان يتمسك بمقامهِ ولا يتذلل كأن عذابهُ كسر ارادتهُ واذلَّهُ . فقابل سؤال الوالي الجدِّيّ الجديد بالسكوت . ما دام لا يكون في جوابهِ فائدة الاَّ استرضاء الوالي فهو لا يجيب

(١) قال احد المرنمين ما اعظم الحب الذي من خالق لم ينسني
صار الشريف كالدني مفتقرًا وهو الغني

(٢) فهم اليهود في قول يسوع انهُ ابن الله انهُ جعل نفسهُ معادلاً لله (يو ٥ : ١٨) على هذا المعنى لبنوتهِ لله حكموا عليهِ بالتجديف . وبانهُ يستحق الموت . فلا يمكن ان يعطي يسوع بسكوتهِ علامة القبول . بينما هو يعني ببنوتهِ لله علاقة اخرى بسيطة تجوز لغيرهِ من البشر

لكن الوالي لم يتعوَّد على امساك الجواب عند سؤالهِ ولا يحتمل ذلك . فقال لهُ "أما تكلمني؟ ألست تعلم ان لي سلطانًا ان اصلبك وسلطانًا ان اطلقك"؟ وهم بيلاطس ان يسوع يريد ان يطلقهُ وهم طبيعي. فكأنهُ يقول لهُ ألم تلاحظ كل مساعيَّ لاجل تبرئتك؟ فلماذا تقضي عليَّ بسكوتك ان لا أُطلقك؟ قدِّم الاجوبة السديدة على هذه الشكايات لكي اكون مسنودًا في اطلاقك . لكن يسوع لا يقبل الاطلاق ولو عُرض عليهِ

ومَن هذا الذي يَدَّعي بالسلطان؟ هل لهُ سلطان على القانون ليخالفهُ او على العدالة ليدوسها؟ هل لهُ سلطان على نفسهِ ليضحك على الخوف ويتبع ضميرهُ؟ هل لهُ سلطان على افكار الذين هم تحت حكمهِ حتى اسافل القوم منهم؟ هل لهُ سلطان على شهامة هذا الجريح الواقف امامهُ والمنهوك القوى الجسدية فيزحزحهُ بمقدار شعرة واحدة عن استقامتهِ وقصدهِ؟ كان اشرف لك يا بيلاطس ان لا تتلفَّظ بكلمة سلطان في ساعة الخضوع لرعاياك في البطل

يسوع رأى ان هذا الادِّعاء يستوجب الجواب ويطلب منهُ اظهار عظمتهِ وسلطانهِ الحقيقيين. فقال لهُ "لم يكن لك سلطان عليَّ البتَّة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق . لذلك الذي اسلمني اليك لهُ خطيئة اعظم". الذي اسلمهُ الى بيلاطس رئيس الكهنة لا يهوذا . فنفهم بكل سهولة كيف يعظم يسوع خطيئة ذاك الرئيس اليهودي على خطيئة بيلاطس الوثني . بيلاطس مدفوع من الرئيس . لكن هذا من عواطفهِ الشريرة . كلام يسوع جعل بيلاطس ينهض نهوض المنازع ويقصد ان يتبع ضميرهُ ويجدِّد السعي لاجل تخليصهِ . فقال البشير "كان بيلاطس يطلب ان يطلقهُ". في كلام يسوع عن تحديد سلطان بيلاطس اشارة الى السلطة الالهية على قوات الشرّ . فانها لا تنفعل الاَّ بسماح خيري منهُ تعالى

اخيرًا فرغت كل حيَل الرؤساء فلجأوا الى التهديد . لو كان بيلاطس مستقيمًا لكان التهديد يزيد عزمهُ على اجراء العدالة والحق . لان لا شيء

يثبّت الرجل الكبير المستقيم في عزمهِ الصالح كالتهديد بقصد اجبارهِ على الانحراف. لكن هنا ايضًا قام ماضي بيلاطس عليهِ وقيّدهُ. الشكايات الصادقة التي تقدّمت عليهِ سابقًا جعلت القيصر ان يكون مستاء منهُ ومستعدًّا لعزلهِ لأقل سبب. هذا معلوم عند الرؤساء فقضوا عليهِ وعلى كل فكر لهُ بالعدالة والرحمة اذ صرخوا "ان اطلقت هذا فلست محبًّا لقيصر. كل من يجعل نفسهُ ملكًا يقاوم قيصر". يعني أن اطلقت هذا تشكوك الى مولاك الامبراطور بانك انتصرت لانسان قائم لينازع القيصر على ملكهِ. وانت تعلم ماذا تكون نتيجة ذلك عليك

أناخت هذه الضربة الشيطانية بيلاطس تمامًا امامهم. وان كان يتظاهر بحفظ صورة السلطة الحاكمية. ويتخذ بعد المحاكمة السابقة النصف رسمية صورةً قانونية في القاعة المخصصة للمحاكمات. فخرج وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال لهُ البلاط وبالعبرانية جبّاثا "وقال "هوذا ملككم" لكن تهكّمًا باليهود اكثر من يسوع. ما كان أبعد يسوع في هذه الساعة عن كل ظواهر الملكية. لكن ملكوت الذين حاكموهُ انقرض تمامًا بينما ملكوتهُ الروحي الذي ليس من هذا العالم ينمو ويزداد ويفوز على مقاوميهِ

قام مجدّدًا صياح اليهود. "خذهُ خذهُ. اصلبهُ" فقال لهم بيلاطس "أأصلب ملككم"؟ رؤساؤهم معوّدون على التدليس السياسي فصرخوا "ليس لنا ملك الاّ قيصر". وعدّوا ذلك حكمةً سياسية تمكّن نفوذهم. في قولهم هذا ختموا على النبوّة بزوال قضيب الملك من يسّى (اي من نسل داود شعب اليهود) متى جاء المسيح "شيلون" الذي "يكون لهُ خضوع شعوب"(١)

لم يبقَ لبيلاطس من حيلة. فحينئذٍ أسلمهُ اليهم ليُصلب. لما استلموهُ كرروا الاستهزاء بهِ. ثم نزعوا الرداء الارجواني والبسوهُ ثيابهُ وخرجوا ومضوا بهِ

(١) تك ٤٩: ١٠

للصلب[1]. وصف التاريخ بيلاطس بالعناد الزائد. ظهر هذا العناد في مدافعتهِ المكرَّرة في وجه رؤساء اليهود. فبعنادهِ أثبت فوق كل ريب براءة يسوع وظلم طالبي قتلهِ لكنهُ بالرجوع عن عنادهِ وتسليمهِ يسوع للصلب اثبت قول يسوع انهُ يموت صلبًا ويسفك دمهُ لاجل حياة العالم. حقًّا في هذه الغرابة اي غلبة اليهود على ارادة حاكم صارم روماني مثال شهير لصدق مقال الوحي بان "غضب الانسان يحمدك. بقية الغضب تتنطَّق بها"[2]

(١) قال يوحنا ان هذا كان نحو الساعة السادسة بخلاف زملائهِ الذين قالوا الثالثة. يجوز أن يوحنا قصد بكلامهِ ان الوقت قارب الساعة السادسة اي في الضحاء. لا يحسب هذا الاختلاف مشكلاً الاَّ عند انصار الوحي الحرفي (٢) مز ٧٦: ١٠

الفصل السابع والاربعون

(مت ٢٧: ٣٢ – ٤٤ مر ١٥: ٢١–٣٢ لو ٢٣: ٢٦–٤٣ يو ١٩: ١٦–٢٤)

(المرصع) ف ٤٨ و ٤٩ (الزمان) يوم الجمعة في ٧ نيسان السنة ٣٠ م (المكان) اورشليم

اصطلاحات الصلب . تسخير سمعان ليحمل الصليب . حنان النساء عليهِ . موقع الصلب. تقديم الخلّ . كلمة الاولى على الصليب . صلبهِ بين لصّين . عنوانهُ على الصليب. اقسام ثيابهِ . الاستهزاء بهِ . اللصّ التائب . كلمة الثانية على الصليب

"اسلمهُ بيلاطس للصلب". هذا القول فاتحة فصل جديد في حياة يسوع الارضية . فصل مخصّص لحملهِ خطايا البشر ليكفّر عنها فآلامهُ في هذا الفصل تفوق كثيرًا جدًّا ما سبقها من الآلام التمهيدية . كان عليهِ سابقًا ان يعلن احيانًا سلطانهُ برهانًا لتقديمهِ ذاتهُ للصلب باختيارهِ . اما من الآن فصاعدًا فلا حاجة ولا محل لذلك . لان المحاكمات والمعاملات الرسمية قد انتهت . واتى وقت خضوعهِ التام بناء على حلولهِ محل البشر الخطاة تحت "لعنة الناموس"[1] وقصاصهِ

بالنظر الى اهمية هذا الفصل نروم ان نصوّر ما يمكن ويجوز من مناظر سوق يسوع الى محل الصلب. لانهُ بين كل مواكب الحزن المؤثرة التي ذكرها التاريخ لا مثيل لهذا الموكب. ولا عُومل بشر بعكس ما يستحقهُ لدرجة المعاملة

(١) غل ٣: ١٣

التي حصلت لهذا المنفصل في تلك الساعات القليلة يوم صلبهِ

فوز الرؤساء بعد عنائهم العظيم. واهتمامهم الشديد بالتخلص من يسوع. وشهرتهِ المنتشرة . واحتشاد الجماهير بسبب العيد اسبابٌ كافية لسير الرؤساء شخصيًا مع هذا الموكب. لكن العيون لم تشخص كالعادة اليهم بل الى فريستهم. يتفرّس الجميع في هذا الجليلي المهوب النحيف الجسم المنهوك القوى الدامي الجراح والحامل على كتفيهِ المشطّبين بالجَلد الشنيع صليبهُ الثقيل . ها حمل الله المتقدّم ليُذبح عن البشر يجتاز ازقّة مدينتهِ حاملاً المذبح الذي سيرفع عليهِ كما حمل قديمًا جدُّهُ اسحق الى الجبل المقدّس الحطب المهيأ لحرقهِ ذبيحة هناك

لا يغفل المطالع التنبيه عن سلسلة الاسباب التي ذهبت بقوى يسوع الجسدية في هذا النهار حتى سقط تحت هذا الحمل فاضطر اصحاب الامر ان يحمّلوا صليبهُ لغيرهِ . ولا يجهل ما للآلام الروحية من التأثير على قوى الانسان الجسدية . ويدرك ان هذه الآلام الروحية كانت اعظم بما لا يقاس من الجسدية . ففي الساعات الثلاث الاولى من يوم الجمعة هذا مع الليل الذي تقدّمها قد حُرم النوم كليًا وسيق مكتوفًا من البستان في جبل الزيتون الى قصر رئيس الكهنة ثم دار المحكمة ثم قصر بيلاطس ثم قصر هيرودس ثم قصر بيلاطس ثانيةً . والوقوف في الاستنطاقات الطويلة. واللطم المكرّر وما تعلّق بهِ . والجَلد الذي لا نعلم مقدارهُ مع فقد الدم بسببهِ

ومن الآلام الروحية الساحقة لنفس ذات رقّةٍ وشهامةٍ وحبٍّ وشعورٍ كنفس يسوع نذكر خيبة آمالهِ في رسلهِ بالنظر الى مشاجرتهم في امر العظمة وخيانة يهوذا . وسقوط بطرس . وانهزام جميع الرسل . ثم المصارعة العجيبة في البستان . وبعدها معاملات العنف والتحقير والتجهيل والاستهزاء الوحشي . ففي مجموع ما نعلمهُ من آلامهِ مع الذي لا يمكننا ان نتصوّرهُ سببٌ كافٍ لرزوحهِ تحت الصليب . وفي آلامهِ كما في تجرُّبهِ كان ضروريًا ان لا يسند لاهوتهُ ناسوتهُ بل يحتمل كل ذلك في طبيعتهِ البشرية المنفردة

كان المسوق الى الصلب يرافق باربعة حرّاس من العسكر . فلما رأوا عجزهُ سخّروا رجلاً راجعاً من الحقل اصلهُ من القيروان في شمالي افريقيا واسمهُ سمعان . لم يوجد من يتبرّع بهذه المساعدة في كل ذلك الجمهور . لان اعظم ثقل الصليب في عارهِ المشين . فلا يتحملهُ احدٌ طوعاً . لكن ما كان في حينهِ عاراً قد تحوّل فخراً . واصبح سمعان القيرواني في مقدّمة جيش شريف لايحصى من حاملي صليب يسوع ورائهُ (١)

بعد هذا التبديل استأنف الجمهور سيرهُ . وكان ما عدا يسوع وحرّاسهُ الاربعة مجرمان مسوقان للصلب مع حرّاسهم الثمانية . والحرّاس يحملون الواحاً ثلاثة مرفوعة فوق الرؤوس يعلن كلٌّ منها اسم احد المحكومين ووطنهُ وجرمهُ الذي يعاقب عليهِ (٢) . اما اللوح الذي عليهِ اسم يسوع فكان ممتازاً . لان اعلانهُ كُتِب في ثلاث لغات . العبرانية لغة الدين لانهُ المسيح الموعود بهِ ابن داود وابن الله . واليونانية لغة العلم لانهُ نور العالم والحق الازلي . واللاتينية لغة السياسة لانهُ ملك اسرائيل وملك القديسين وملك الملوك ورب الارباب . وصورتهُ "هذا هو يسوع الناصري ملك اليهود" . اسمهُ يسوع . ووطنهُ الناصرة . وجريمتهُ ظهورهُ كأنهُ ملك اليهود اذاً ثائراً ضد القيصر

بيلاطس تمسّك الى النهاية ببراءة يسوع . لكن لما اسلمهُ للصلب صار مضطراً ان يبين امام العموم جريمةً تستوجب الصلب . فلم يجد ذلك الاّ بالتزوير . وفي هذا التزوير انتقم من اليهود بسبب ضغطهم عليهِ ليفعل ظلماً . وكتب "ملك اليهود" . فصار العار على اليهود الذين ملكهم يُصلَب .

---

(١) اشتهار ابني هذا الرجل (الكسندرس وروفس) في الكنيسة المسيحية بعد حين يدعم زعم الذين يحسبونهُ من تلاميذ يسوع اما قبل هذا العمل او بسببهِ

(٢) هذا اصطلاح اعلن العدالة الرومانية وحذرها من الغدر واجتهادها في تقديم عبرة للعموم

وصارت شكواهم على يسوع اساس هذا الاعلام . فزادت مرارة هذا الانتقام . لذلك اعترض رؤساء الكهنة طالبين ان يغيّر الوالي هذا العنوان حتى يكون المصلوب ليس ملكهم بل شخص "قال انا ملك اليهود". لكن بيلاطس اصرّ على ما فعل حتى ما كتبهُ كذبًا منهُ ورداءةً حُفِظ كعين الحقيقة. والوالي الذي سأل استخفافًا "ما هو الحق"؟ خدم الحق وهو لا يدري

موكب كهذا يسبب حتمًا في ازقة المدينة وخارجها تجمّعًا عظيمًا . فبعض النساء الكثيرات الواقفات اخذهنّ الحنان لما رأينَ هيئة يسوع المحزنة وانحطاط قواهُ . فاخذنَ بالنوح باصوات عالية وباللطم على صدورهنّ . لا يخشينَ اظهار المؤاساة لهذا المغضوب عليهِ من رؤسائهنّ لان اطمئنان الرؤساء تام بانتصارهم التام فلم يبالوا بعمل النساء . فمن نساء وليس من رجال ظهر الحنان الوحيد نحو هذا المتألم العظيم . سبقهنّ يسوع يوم الاحد باكيًا على بنات اورشليم وهو داخل اليها بمجد . فالآن وهو خارج منها ماشيًا مهانًا ورازحًا تحت صليبهِ يوم الجمعة تبكي بنات اورشليم عليهِ ولا يقبل

لاننا نسمعهُ يعترض على هذه الحركة الوحيدة الحاوية اللطف والموالاة له حال كونهِ لم يعترض على الكثير الذي انصبّ على رأسهِ من المعاملات المؤلمة العدائية . هذا الامر العجيب نتيجة حبّهِ الصفوح العجيب . لانهُ ينسى في هذه الساعة كل آلامهِ الظالمة التي تكبدها والتي يراها قادمة عليهِ برضاهُ . ويهتم لمصائب اعدائهِ التي قريبًا يهاجمهم اجباريًا على كينونة لم تخطر لهم على بال في زمن اطمئنانهم الفارغ . لا يطلب بل ولا يقبل الآن تلطيف آلامهِ . فلِما يبكينَ عليهِ والبكاء على انفسهنّ أولى؟ ألا يرى جليًا ما لا يرينهُ مما سيأتي عليهنّ ويجعل الناس يطوّبون الذين لا نسل لهم؟ ويتمنون ان تسحقهم الجبال الشامخة تخلّصًا من عذابات تجعل الموت رحمة لا نقمة بسبب شدتها ومرارتها؟ فالتفت اليهنّ وقال "يا بنات اورشليم لا تبكينَ عليّ . بل ابكينَ على انفسكنّ وعلى اولادكنّ". وسألهنّ هذا السؤال . ما دام ظهر سماج العناية الالهية للحكم

الروماني بان يفعل كل هذا بانسان هو كالعود الرطب لان حياة الصلاح فيهِ فاذا يُنتظر ان يفعل هؤلاء العتاة بعد حين بصالبيهِ الظالمين الذين لا حياة صالحة فيهم بل يشبّهون بالعود اليابس ؟ ترى بصيرتهُ سلفًا الصلبان الكثيرة العدد التي سيراها بعض سامعيهِ وقت خراب اورشليم . والمعلّقون عليها صالبوهُ وعيالهم

اصاب يسوع في نهيهِ النساء عن البكاء لاجلهِ[1]. لانهُ لا يُبكَى على من يفوز بنيل ما يريدهُ وما يقصدهُ . في اعين جميع المشاهدين دون استثناء كان موقف يسوع آنئذٍ موقف الانكسار . هو وحدهُ علم ما يعلمهُ العالم اليوم من ان ذلك كان موقف الانتصار . فلا عجب انهُ اعترض على البكاء من اجلهِ

ربما استوقف الانظار وحيّر الافكار تكرار الاشارة الى ان يسوع لم يُجبَر في ما فعلهُ بهِ اعداؤهُ . فمن اسباب هذا التكرار وهمٌ انتشر كثيرًا حتى بين المسيحيين بان موت يسوع كان موت شهيد ورئيس الشهداء. لكن الشهداء حتى اعظمهم وافضلهم كانوا يُقتلون على رغم ارادتهم . ولو استسلموا للموت دون اكراه لكان ذلك انتحارًا . وهذا حرام . لكنهم كانوا يريدون ان يعيشوا . نعم كانوا يريدون اكثر ان يرضوا الله . فلما اضطرهم مضطهدوهم للاختيار بين ترك الحياة وترك رضى الله كانوا يفضلون الاستشهاد على مخالفة ما يطلبهُ منهم الله . ولا سلطة لهم للتخلص من بين ايدي اعدائهم الاَّ هذه المخالفة

اما امر يسوع فغير هذا كليًّا . لانهُ اهتم كثيرًا ليوضح ويثبّت سلطانهُ

(١) تشخص الحنان النسائي نحو هذا المتألم العظيم في قصة فيرونيكا التي هي من اشهر القصص التي نحسبها خرافة التي تولدت في الاجيال المسمّاة المظلمة في تاريخ الكنيسة واضيفت الى الاخبار الواهنة الواردة في الانجيل . قالوا ان هذه المرأة الساكنة على ممرّ هذا الموكب رثت ليسوع لما رأت حالتهُ المكربة ومحياهُ المطلخ بالعرق والدم فاتتهُ بمنديل يمسح بهِ وجههُ وانهُ لما اعادهُ اليها وُجدت صورتهُ مطبوعة عليهِ . واثباتًا لهذه القصة يبرزون في احد المتاحف الكنسية الشهيرة في اوربا منديلاً على هذا الشكل

لتخليص نفسهِ من ايدي اعدائهِ دون ارضائهم ويزيد الشرف . فعدم تغلبهِ على طالبي قتلهِ لينجو من ذلك يكون بمثابة الانتحار الحرام الاَّ على فرض صحة تعليم الكتاب في ان موتهُ كان لاجل التكفير عن خطايا البشر . وبما ان خلاص البشر يتوقف على استسلامهِ للصلب يكون تخليصهُ نفسهُ اعظم بلية على الجنس البشري الخاطئ كافةً . فالعقل ايضًا يؤيد الوحي في هذا الامر . لذلك لا يمكنني مطلقًا ان ينظر المطالع الى صلب يسوع كحادث تاريخي مؤثر فقط . بل كحادث تتوقف عليهِ حياتهُ الروحية وسعادتهُ الابدية . بهذا النظر كتب الرسول "مع المسيح صُلبت فاحيا لا انا بل المسيح يحيا فيَّ"(١) . وايضًا "عالمين هذا ان انساننا العتيق قد صُلب معهُ ليبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نستعبد ايضًا للخطيئة"(٢)

العالم كلهُ يسأل اين صُلب يسوع ؟ لان محل الصلب يُعدُّ بحقٍّ اقدس نقطة على وجه هذه البسيطة . لكن العناية الالهية لم ترضَ بحفظهِ المؤكد(٣) . لان المحل المعهود ضمن المدينة ليس هو . لانهُ لا يفي بالشروط المطلوبة . منها ان يكون خارجًا عن اسوار المدينة لكن قريبًا من ابوابها تسهيلاً للتجمع وارهابًا للعموم(٤) . فالبشير يقول "لان المكان الذي صُلب فيهِ يسوع كان قريبًا من المدينة" (اذًا ليس ضمن المدينة). وفي اخذهِ للصلب يقول البشير "وفيما هم خارجون وجدوا رجلاً" . وان يصح فيهِ اسم جمجمة (وفي العبرانية جلجثة بالمعنى ذاتهِ)(٥) . وان يكون بجوار مدافن وبساتين(٦) . فان صلب المجرمين ضمن المدينة غير معقول . ولنا دليل في قول الرسول . "لذلك

---

(١) غل ٢:٢٠ (٢) رو ٦:٦ (٣) الصلب والدفن وقعا في موقع واحد . فالخطأ الذي ارتكبهُ التقليد القديم في تعيين المحل قد صعَّب الاهتداء الى المحل الحقيقي

(٤) عد ١٥:٣٥ مت ٢٧:٣٢ و٣١ و٣٣ و٥٥ و٢٨:١١ ومر ١٥:٢٩ و٤٠ ولو ٢٣:٢٦ و٤٩ وعب ١٣:١٢ و١٤ ويو ١٩:٢٠ (٥) مت ٢٧:٣٣ ومر ١٥:٢٢ ولو ٢٣:٣٣ ويو ١٩:١٧

(٦) يو ١٩:٣٨—٤٢

يسوع ايضًا لكي يقدّس الشعب بدم نفسهِ تألّم خارج الباب. فلنخرج اذًا اليهِ خارج المحلة حاملين عارهُ»[1]. اما اسم الججمة فالارجح انهُ مأخوذ عن هيئة المحل لكونهِ نافرًا كبروز الرأس عن البدن[2]

لما بلغ هذا الموكب محل الصلب قدّموا ليسوع استعدادًا لصلبهِ مزيجًا مخدّرًا. بالنظر الى تقبيح اليهود عادة العقاب بالصلب ألّف نساؤهم لجانًا لاجل تخفيف آلام من يُصلب من قومهم. واستشهدوا بنصيحة سليمان الحكيم[3]. فكانوا يمزجون مع الخمر بعض الاعشاب المخدّرة ويقدّمون هذا الشراب المهيّئين للصلب قبل ان يُبتدأ بتعذيبهم. لكن يسوع يتعمّد شرب كأس الآلام على مرارتها حتى ثمالتها. ولا يقبل مخدّرات. يرفض حتى أخف تخفيض في صفاء افكارهِ وامتلاك عواطفهِ. لان عليهِ في هذا الوقت ان يوجّه من على الصليب كلامًا جوهريًا لسامعيهِ وصلواتٍ مهمة لابيهِ. وهذا يقتضي حفظ القوى العقلية والروحية سالمة تمامًا من الانحطاط. فلما ذاق الشراب المقدّم لهُ وعرف ما هو أبى ان يشرب

الاعدام بالصلب عادة فينيقية الاصل ادخلها اسكندر الكبير الى بلاد اليهود. لكنهم لم يمارسوها الّا نادرًا. حتى انهُ يروى ان هيرودس الكبير مع كل اجراءاتهِ الوحشية ابى استعمالها[4]. اما الرومان فعاقبوا بها المحتقرين فقط كالاجانب والعبيد. ولذلك لم تراعَ حشمة المصلوبين. فكانوا يعرّونهم تقريبًا واحيانًا تمامًا. والشعوب المسيحية كافة تبعت قسطنطين الكبير الذي ألغى هذا النوع من العقوبات

---

(١) عب ١٣: ١٢ (٢) قد اجمع اكثر المدققين على نقطة شمالي المدينة وعلى حدودها بقرب محل قبور الملوك وقبر ارميا النبي حيث توجد نقطة تحتمل التشبيه بجمجمة يتمسك البعض باعتبار اسم ججمة مشيرًا الى جماجم الذين كانوا يصلبون هناك حينًا بعد حين (٣) ام ٣١: ٦ (٤) يقول يوسيفوس ان احد الملوك المكابيين صلب مرّة في اورشليم لا اقل من ثمانمئة شخص

رفيقا يسوع تحت حكم الصلب لصَّان . فوضع العسكر صليب يسوع بين صليبيهما . يُظن بانهما رفيقا باراباس في اللصوصية والقتل . وان صليب يسوع ومحلهُ كانا معدَّين لرئيسهما فحلَّ يسوع محلَّهُ . يؤخذ من بعض الكتابات القديمة ان اسم هذا الرجل الاوَّل يشوع اي مخلِّص ومعنى باراباس ابن الآب. وان اسمهُ جعلهُ يتوهم انهُ يتمكن من تخليص شعبهِ من النير الروماني . وان هذا كان اساس الجرائم التي سبَّبت الحكم عليهِ بالاعدام صلبًا مع رفيقيهِ . وان هذا ايضًا سبب انتصار الشعب لهُ بطلب اطلاقهِ وصلب يسوع مكانهُ

يُطلب من الحرس العسكري بعد الحضور الى مكان الصلب ان يربطوا المسلَّم لحراستهم على الصليب مسطحًا على الارض . ويمكَّن بواسطة مسامير كبيرة في يديهِ وقدميهِ . ثمَّ يرفعون الصليب ويغرزونهُ في الارض . ولا تكون اقدام المصلوبين مرتفعة كثيرًا عن الارض . ثم يجلسون يحرسونهُ نهارًا وليلاً الى ان يموت . لئلا يأتي احد مريديهِ وينزلهُ عن الصليب . وكان المصلوب يعيش غالبًا بعد صلبهِ يومين او اقلهُ يومًا كاملاً . واذ كان لا بدَّ من موتهِ كان الحراس في توحشهم يستبيحون التسلية بتعذيبهِ . وحذرًا من تنزيلهِ وتهريبهِ او تعجيلاً لموتهِ كانوا يكسرون ساقيهِ بعصًا من حديد . وكان الرومان يتركون الجثة معلقة على الصليب فريسة لوحوش البرية والطيور الكاسرة . لكن اليهود كانوا يطلبون تنزيلها قبل غروب الشمس[1] . اما ثياب المصلوب فكانت قانونيًا نصيب حارسيهِ الاربعة

لما ابتدأ العسكر بصلب يسوع كان قد مضى ثلاث ساعات من النهار في محاكمتهِ امام المجمع اليهودي ثمَّ الوالي الروماني ثمَّ الملك هيرودس الادومي. ثمَّ في السير الى محل الصلب . والعسكر الموكَّل بهذا العمل معوَّد في اجرائهِ على صراخ الغضب والشتائم والالفاظ الكفرية ممن يعذِّبونهم بالتسمير . والمرجَّح ان اللصين مائلا غيرهما في ذلك . اما يسوع فسمعوهُ يصلي لاجلهم

(١) تث ٢١: ٢٢ و٢٣

صلاة حية. لا مسوّغ لنا للحكم بمن هم الذين شملهم بصلاته الاّ ان صورة الصلاة تُطلق على الذين يجهلون ما يعملون

وهذه صلاته في كلمته الاولى على الصليب . " يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون "(١) . لم يطلب لهم **المعذرة** او **التبرئة** بحجة جهلهم ما يفعلون . لانهم يطالبون بهذا الجهل الذي فتح الباب لما فعلوا. ولذلك بالفعل ايضًا . طلب لهم **الغفران** بحجة ان خطيتهم اخف مما كانت لو دروا تمامًا مَن هو الذي يصلبونه . نذكر قول بولس " لو عرفوا لما صلبوا رب المجد "(٢)

في صلاة يسوع " يا ابتاه اغفر لهم " لهجة جديدة لم نسمعها منه سابقًا. كان عاديًا يلفظ بالغفران كمن له الحق ان يمنح ذلك . لكنه الآن يتكلم كمن يسامحهم بحنوه عليهم كما يُطلب من البشر ان يفعلوا . ويهتم بان ينصرف عنهم الغضب الالهي على ما فعلوهُ به. ثمّ لانه في هذا الوقت يعرف ذاته تحت القصاص من اجل خطايا البشر وتحت حكم الحجاب لاهوته فلا يحق او يليق ان يستعمل السلطان للغفران

لا يعلم العسكر الروماني ماذا يفعلون لانهم في ظلام العبادة الوثنية . ولا يعلم رؤساء اليهود ماذا يفعلون لانهم اغمضوا عيونهم للنور عمدًا. فاناهم العمى الطبيعي الذي يأتي كل من يحبس البصر طويلاً . ولا يعلمون ما يفعلون لانهم يفعلون ما يتمّ النبوات الصريحة بخصوص مسيحهم فيثبتون بفعلهم كون يسوع مسيحهم بينما ينكرون ذلك بقولهم . ويعتقدون انكارهم بصلبه . مثال هذا الايمان اشتراكهم بتسمير جسدهِ على الصليب ليتمّوا النبوّة القائلة . " جماعة من الاشرار اكتنفتني . ثقبوا يديّ ورجليّ "(٣) . وبتعليقه بين لصّين ليتمّوا النبوّة القائلة " جُعل مع الاشرار قبرهُ *** وأُحصي مع اثمة "(٤) . الى غير ذلك مما سيأتي بيانه

---

(١) قد أخفى عنا ما كنا نودّ ان نعرفهُ من نتيجة صلاة يسوع في الذين شملهم في هذه الطلبة (٢) انظر ١ كو ٢: ٨ (٣) مز ٢٢: ١٦ (٤) اش ٥٣: ٩ و ١٢

هذا المصلوب مكلّل بتاج من شوك . لان فوق رأسهِ عنوان "ملك اليهود". فكل ذي بصيرة يرى نيجانًا أُخرى مجيدة تزين جمال محيّاهُ وتكلل جبهتهُ . وفي التاج الشوكي يرى رمزها . يراهُ متوّجًا بالحكمة السديدة الرائقة والقدرة الخيرية الشائقة والقداسة السماوية الفائقة . وكأن هذه النيجان تختلط لتؤلف تاجهُ الاعظم تاج حبهِ الفدائي السائد في كل كلامهِ وحركاتهِ. فالعسكر الروماني في اثناء اتمامهِ مرام رؤساء اليهود كرّروا اثبات كون هذا المصلوب هو مسيح اليهود الحقيقي المتنبأ بهِ . لانهُ لما اقتسموا ثيابهُ ليأخذ كل جندي حصة منها أتمّوا عرَضًا النبوة القائلة "يقتسمون ثيابي بينهم". ثم لما وصلوا الى القميص المنسوج بغير خياطة فبدلاً من قسمتهِ بالشق اقترعوا عليهِ فاتمّوا كمالة النبوة القائلة "على لباسي يقترعون". وبنزع ثيابهِ عنهُ اتمّوا الكلام الاول في تلك النبوة وهو "احصي كل عظامي وهم ينظرون ويتفرّسون فيّ" (١)

تعوّد العالم ان يحفظ بكل دقة واحترام ما امكن من آثار عظمائهِ تذكارًا او تبرُّكًا . وما يعاينهُ السائح بكثرة في المتاحف الشهيرة يشهد بذلك . لكن لاعظم عظمائهِ لم تسمح العناية الالهية ان يبقى أثر واحد حتى ولا خيط او شعرة مما استعملهُ او ما تعلق بشخصهِ من المواد . والسبب لذلك ليس بعيدًا . لانهُ لو حُفظ لاتخذهُ كثيرون من الشعب المنتمي اليهِ موضوعًا للعبادة لا محالة (٢). فترى حتى ثيابهُ التي صنعها لهُ تلاميذهُ هدايا حبيّة نُزعت عنهُ. واستعملها ودنّسها اسافل العسكر الوثني . أليس في ذلك عبرة عظيمة يتعظ بها كل فهيم ليذكر ان الماديات يُزدرى بها بالنسبة الى الروحيات . وان التطرُّف في توقيرها خطأٌ وضلال ؟

يُطامئ كل شتيم رأسهُ خجلاً مهما كان يقينهُ الديني او عدم يقينهِ عندما يتفكر بما حدث بعد ما تعلق يسوع على الصليب . لانهُ بدأ دور استهزاء

(١) مز ٢٢: ١٧ و١٨ (٢) وما استنبطوهُ جيلاً بعد جيل في زمان السذاجة والجهل من هذا النوع وتعبّدوا لهُ برهان كافٍ لهذا القول

جديد لم يكن يُنتظر مثله على الاطلاق . كان يُظَن دون ريب ان عذابات هذا الصالح الشهير مع كل ما هو معروف عند الجميع من وفرة احسانه وسموّ صفاته وجمال تعاليمه تجعل الجموع تقابل مشهد صلبه بالسكوت والوقار على الاقل . فيا لغرابة الخبر بان المجتازين كانوا يجدّفون عليه ويهزّون رؤوسهم ويعيرونه في ساعات احتضاره . وان اعلى طبقة بينهم وهم رؤساء الكهنة والسائقة الدين اي الكتبة وحكام القوم اي الشيوخ اشتركوا في هذه القساوة السافلة

بنود التعيير كانت اولاً كلامه الذي حرّفوهُ بخصوص نقض الهيكل وبنائه في ثلاثة ايام . وثانيًا قوله انه ابن الله . وثالثًا انه جعل ذاته مخلص البشر ورابعًا انه ادّعى بانه المسيح مختار الله . وخامسًا انه يدّعي بانه يتكل تمامًا على الله . وسادسًا لانه لما سأله بيلاطس "أأنت ملك اليهود" ؟ اجاب بالايجاب . حسب افكارهم السطحية كان تعليقه على الصليب دحضًا تامًا وتكذيبًا كافيًا لكل هذه البنود الستة . احتجوا بتهكّم انه متى خلّص ذاته من الصليب يؤمنون به مخلصًا للآخرين

يعلم الآن العالم ما كان من المكر في هذا الوعد ان يؤمنوا به . ويعلم ايضًا السبب الشريف الضروري لعدم نزول يسوع عن الصليب حسب طلبهم . لان نزوله كان يلاشي كل حق له بان يؤمن الناس به . صدقوا لكن بغير المعنى الذي قصدوهُ لما عيّروهُ انه خلّص آخرين واما نفسه فما يقدر ان يخلّصها . لان تخليصهُ نفسهُ من الصليب وهو قادر على ذلك يوقع البشر كافةً في يأس الهلاك الابدي . وحتّى هذا ما لا يقدر ان يفعله . لانه جاء من السماء لعكسه

لكن هذا الاستهزاء المستغرب كان من جملة اتمام النبوات التي هذه منها "كل الذين يرونني يستهزئون بي يغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين اتكل على الرب فلينجّهِ لينقذهُ لانه سرّ به"[1] . لان ليس فقط الذين ذكرناهم بل العسكر الروماني ايضًا واللصّان انضموا الى صفوف المستهزئين . والاولون

(١) مز ٢٢: ٧ و ٨

قدّموا له خلاًّ للشرب بدلاً من الخمر الذي يقدّم للملوك قائلين " ان كنت انت ملك اليهود فخلّص نفسك". اما استهزاء اللصين فيُعذر اكثر من غيرهِ لان تعذيبهما هيج الشر في قلبيهما . ولانهما يفكّران ان يحمّسا هذا المقتدر ليخلص ذاتهُ ان امكن فيخلصهما معهُ . تعيير اللصين[1] جعل كأس الاهانة ان يطفح ويؤيد صدق نبوّة اخرى هي "تعييرات معيّريك وقعت عليّ"[2]. اكثر من جروح الجلد والتسمير والتاج الشوكي آلمتهُ هذه الاهانات من الوجهة الادبية من اشخاص مشمولين بحبّهِ الى الموت ومن الذين لاجلهم احتمل هذا الصليب[3]

قال يسوع مرّةً " وانا ان ارتفعت اجذب اليّ الجميع". الذين يجذبهم اليهِ بواسطة صليبهِ هم كنجوم في فلك آلامهِ المظلم . وحالاً ظهر الكوكب الاول احد هذين اللصين الذي اصطلح المفسرون على اعتبارهِ معلقًا عن يمين يسوع. يُستنتج ان هيئة يسوع وحركاتهِ وسكونهُ وصبرهُ وصلاتهُ لاجل صالبيهِ ولا سيما احتمالهُ بلطف تعييرات رفيقيهِ بجانبهِ فعلت فعلها الطبيعي العجيب في هذا الشرير . فآمن بهذا المصلوب . وتاب عن فعلهِ . وبدأ بخدمة هذا المخلص بما في استطاعتهِ. لانهُ قاوم حالاً رفيقهُ ووبخهُ في وجه القوم المتجمعين مع رؤسائهم. وصار مدافعًا وحيدًا عن يسوع بجرأة عجيبة. وبذلك قام مقام رسلهِ المختبئين. ومغزى كلامهِ لرفيقهِ هو. ان كان هذا الجمهور الذي ليس تحت الحكم بالعذاب والموت يعيّر رفيقنا المصلوب أيجوز لنا نحن المحكومين المصلوبين ان نفعل فعلهم ؟ قال "أَوَلا انت تخاف الله اذ انت تحت هذا الحكم بعينهِ ؟ اما نحن

(١) او احدهما لانهُ بينما يوحنا فم الذهب يتخذ كلام البشيرين متى ومرقس بحروفهِ ويعتبر ان الاثنين عيراهُ اولاً اوغستينوس يفسر الكلام بمعنى اجمالي معتبرًا ان اللص عن اليمين لم يشترك مع زميلهِ في الاستهزاء قطعيًا (٢) مز ٦٩: ٩ (٣) ذكر التقليد هذين اللصين باسميهما . وانهما كانا في زمن طفولية يسوع على طريق مصر فلما مرّ يوسف مع مريم والطفل في هربهم الى مصر قصد اللص الواحد ان يسلبهم ما معهم ولكن رفيقهُ منعهُ

فبعدل لاننا ننال استحقاق ما فعلنا[1]. واما هذا فلم يفعل شيئًا ليس في محلهِ"

ما اغرب هذا الصوت في آذان السامعين — في آذان امهِ الباكية والنساء الامينات المؤمنات برفقتها — وفي آذان التلميذ المسنّ "الذي كان يسوع يحبهُ" يوحنا ابن زبدي الرقيق الشعور . ولاسيما في آذان المستهزئين . لصّ يقول للصّ "أوَ لا تخاف الله"؟ ويعترف بانهُ يستحق الصلب لاجل آثامهِ . ويسمّي المصلوب بجانبهِ ربًّا سوف يجيء منتصرًا كملك. فدموع اسفهِ على ماضيهِ صارت كالعدسيّات في المرقب تمكّنهُ من رؤية ما كان بعيدًا عن ابصار الآخرين حولهُ اي الملكوت العتيد الذي مَلكهُ هذا المصلوب

نحار باي الامرين نبتهج اكثر هل بانتصارهِ ليسوع بجرأة او بمعرفتهِ صفاتهِ حتى ادّى هذه الشهادة الممتازة . حقًّا يعدُّ ايمانهُ في هذه الظروف معجزة روحية من الطبقة الاولى . لانهُ بينما لم يدرك رسل يسوع حتى في ايام شهرتهِ وبعد اختبار ودرس طويلَين ان لهُ ملكوتًا روحيًّا ادرك ذلك هذا اللص في يوم انكسار يسوع وذلهِ المتناهي ودون ان يكون قد رأى من معجزاتهِ ما قد قاد غيرهُ الى الايمان . فنوق تأثير استنجادهِ العجيب في السامعين في حينهِ يضاف تأثير مثالهِ في التسعة عشر قرنًا بعدهُ . فكم من الالوف استفادوا وتشجعوا وخلصوا بواسطة ذلك المثال . وكم خاطئٍ قضى حياتهُ بعيدًا عن الله ثم قدّم اخيرًا توبةً حقيقية عرفها مقبولة عند الله بسبب قبول يسوع توبة هذا اللص . قيل حقًّا ان في الكتاب حادثًا واحدًا شهيرًا يشجع الذي لم يَتُب في حياتهِ السابقة ان يقدّم التوبة عند مماتهِ. لكنهُ حادث وحيد لئلا يطمع الخاطئ بسببهِ ويؤجّل توبتهُ الى ساعة مماتهِ

تجاه كلام الاستهزاء سكت يسوع لكن تجاه كلام التوبة اجاب حالاً وسريعًا وعجيبًا . قال للصّ "الحق اقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس". لا يعلم احد ما هو الفردوس الذي اشار اليهِ يسوع ولا يهمّ ان

(١) لو ٢٣: ٤٠ و٤١

نعلم . والاَّ فكان موضحًا لنا . انما لما كان اسم الفردوس عند اليهود عبارة عن السعادة بعد الموت نعلم ان يسوع وعد اللص بسعادة بعد موتهِ حالاً يكون هو رفيقهُ فيها وفي هذا الوعد ظهر مرةً اخرى سلطانهُ الالهي . تمَّت في هذه الساعة نبوَّة أُخرى للنبي الانجيلي قال فيها عن المسيح "من تعب نفسهِ يرى ويشبع . وعبدي البار بمعرفتهِ يبرِّر كثيرين . وآثامهم هو يحملها"[1]

مثَّل اللصان الجنس البشري باسرهِ . فكان عن يسار المخلِّص المصلوب ممثِّل القسم الهالك من البشر لانهم يموتون في خطيتهم . وعن يمينهِ ممثل القسم الآخر الذي يخلص بخلاص ابديّ لانهُ يتوب ويؤمن بالمخلص الوحيد . فبينما كان الكهنة يقدِّمون في تلك الساعة لله في هيكلهِ الحزمة التي هي باكورة حصاد الشعير حسب الوصية[2] قدَّم رئيس كهنتنا اللاآب في السماء باكورة حصاد الذين دعاهم موتهُ الى الايمان والخلاص . نعلم من كلام يسوع في الفرح الذي يكون في السماء بخاطئ واحد يتوب ان فرحهُ بهذا التائب انساهُ عذاباتهِ . وانهُ عدَّهُ مكافأة كافية عن كل ما تكبدهُ في اتيانهِ من السماء بالنظر الى قيمة النفس الواحدة . فكلمتهُ هذه الثانية على الصليب هي كالاولى حبًّا لا بنفسهِ بل بالآخرين وليس بالقريبين منهُ . بل بالبعيدين عنهُ في الروح والافكار والصفات

(١) اش ٥٣ : ١١ (٢) لا ٢٣ : ١١

الفصل الثامن والاربعون

(مت ٢٧: ٤٥ – ٦٦ مر ١٥: ٣٣ – ١: ١٦ لو ٢٣: ٤٤ – ٥٦)
(يو ١٩: ٢٥ – ٤٢)

(المرصّع) ف ٤٩ (الزمان) يوم الجمعة في ٧ نيسان السنة ٣٠ م. (المكان) اورشليم

كلمة يسوع الثالثة على الصليب . الظلمة . كلمة الرابعة . ماهية الكاس . كلمة الخامسة . كلمة السادسة . ماذا أكمل . كلمة السابعة . المعجزات عند صلبه . النساء . تسليم الروح . شهادة قائد المئة . طعن جنبه . الانزال عن الصليب . يوسف الرامي ونيقوديموس . الدفن . ضبط القبر . يأس التلاميذ

صوّب يسوع كلمته الاولى على الصليب الى ابيه لاجل صالبيه . والثانية الى تلميذه الجديد اللصّ التائب . وكلمته الثالثة هي الاخيرة التي تختصّ بغيره من البشر فيصوّبها الى التي يجوز في نفسها السيف الذي انبأها به سمعان الشيخ منذ ثلاث وثلاثين سنة لما اخذ على ذراعيه طفلها يسوع[1] . لان البشير يذكر هنه الوالدة المباركة مع الواقفين تجاه الصليب[2]

---

(١) لو ٢: ٣٥ (٢) عدم ذكرها على الاطلاق في اخبار اشهر يسوع الاخيرة حتى ولا في هذا الاسبوع الاخير وحوادثه الخطيرة لا يخلو من عبرة . ومثل ذلك عدم ذكرها بعد هذا الذكر البسيط في ما بقي من اخبار يسوع الى نهايتها . والمذكورون معها في هذا الوقت اخت امه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية " والتلميذ الذي كان يسوع يحبه " (وهو راوي هذا الخبر)

منظر هذه الارملة الحزينة التي بلغ عمرها لا اقل من خمسين سنة وهي غارقة بالدموع السخينة لهو منظرٌ مؤثر جدًّا جدًّا . وحقًّا لا يمكن ان يعرف الاَّ العليم سبحانهُ مقدار حزنها المفرط في هذه الساعة الهائلة . فانصباب يسوع على مقاصدِ الروحية الفائقة وتحملهُ كل آلامهِ الروحية والجسدية لم يلهياهُ عن الاهتمام الحبي بحاجات هذه الوالدة المقدسة حتى الجسدية منها

فنظر اليها بالحنان البنوي واومأ برأسهِ الى يوحنا[1] الواقف بجانبها وقال "يا امرأة[2] هوذا ابنكِ" . ثم قال ليوحنا "هوذا امك" لعلمهِ ان هذا الرسول الامين المحب الغيور يقوم بالخدمة البنوية نحوها في كل ما يجب ويوافق على صورة افضل من اخوتهِ واخواتهِ . فاختارهُ وخصَّهُ بهذا الشرف العظيم . وفي هذا العمل نفي وهم الذين كانوا والذين لا يزالون يحسبون ان الذي يتخصص لخدمة الدين يجوز لهُ الاستعفاء من الاهتمام بحاجات انسبائهِ الجسدية . فمن قول هذا الرسول ذاتهِ انهُ من تلك الساعة اخذها التلميذ الى خاصتهِ . ومن عدم ذكرها مع النساء اللواتي حضرنَ انزالهُ عن الصليب ودفنهُ نستدلّ ان يسوع قصد في هذا الكلام ان يأخذها رسولهُ حالاً من ذلك الموقف المكرب ليجنبها من مشاهدة حوادث تسليمهِ الروح وانزالهِ عن الصليب ثم وضعهِ في القبر

لما انتصف النهار دخل يسوع في دور جديد فاق كل ما سبق اهميةً . يوجد في النبوات عن المسيح وفي صداها في الرسائل كلام لا ينطبق على شيء ما حدث في سيرتهِ الى الوقت الذي نحن في صددهِ . من هذه ما كُتب في اشعياء "حسبناهُ مصابًا مضروبًا من الله ومذلولاً . وهو مسحوق لاجل آثامنا

---

(١) سبق الكلام في ترجيح كونهِ ابن اختها (٢) هذا هو الاسم الوحيد الذي ناداها بهِ منذ دخل على خدمتهِ الجهارية وحتى الآن في ساعة حنوهِ الفائق نحوها بالنظر الى حالتها المحزنة حين كان ينتظر ان يسمعها النداء "يا امي" يناديها يا امرأة كانهُ مضطرّ ان يوضح الى النهاية انهُ ليس ابنها على الصورة البشرية العادية

والرب وضع عليهِ اثم جميعنا . وضُرب من اجل اثم شعبي. اما الرب **فسرَّ بان يسحقهُ** بالحزن وهو حمل خطيئة كثيرين"(١). وصداهُ في الرسالة "صار لعنةً من اجلنا"(٢). فما دام انهُ سُحق لاجل آثامنا ووُضع عليهِ اثم جميعنا يُعقل ان كل ما اناهُ بهِ بشر من التعذيب وكل ما عاناهُ من الآلام الجسدية يقصر عن التكفير الذي تقتضيهِ خطيئة العالم التي اتى كحمل الله لكي يرفعها. وانهُ لا بد من تأديبات مؤلمة الهية ايضاً وعذابات روحية

فلما ابتدأ هذا الدور الجديد السرّي والفائق خطورةً اظلمت الشمس في رائعة النهار. هذه التي "تبتهج مثل العروس الخارج من حجلتهِ ولا شيء يختفي من حرّها"(٣) نكست راسها في ساعة معظم انتصارها على عدوّها الظلام. حتى دامت سلطتهُ التامة ثلاث ساعات من الظهر فصاعداً على الارض كلها(٤). فكان انحجاب نور الشمس الطبيعية رسولاً الهيًّا يعلن انحجاب نور شمس الرضى الالهي عن الابن الوحيد الذي تبرَّع ان يتحمَّل هذا التصاص لكي يوجد غفرانًا الهيًّا للبشر الخطأة الذين مثّلهم في ساعة موتهِ على الصليب. فكأنَّ الطبيعة اشتركت في حزنهِ العميق ولبست الحداد. وكأن ملكة الانوار اختبأت خجلاً على اعظم جريمة سُطِّرت في تاريخ الدهور ارتكبها المشتركون في صلب هذا البارّ

عند دخولهِ الى العالم ظهر كوكبٌ ليعلن مجيئهُ. وعند "خروجهِ"(٥) انحجبت الشمس لتعلن قرب تسليمهِ روحهُ الى الموت الطبيعي. وبدلاً من النور الباهر الذي اضاء ليلاً على سهول بيت لحم عند ولادتهِ هبط على النهار ظلام عمَّ الارض كلها عند موتهِ. والسر المكتوم الطبيعي في كيفية اظلام الشمس يقابلهُ السرّ الاعمق في كيفية حلول الغضب الالهي على الانسان الكامل الذي

(١) اش ٥٣: ٤-٦ و١٠ و١٢ (٢) غل ٣: ١٣ انظر ايضاً ٢ كو ٥: ٢١
(٣) مز ١٩: ٥ و٦ (٤) لانهُ وقت البدر يستحيل ان يكون كسوفاً طبيعيًّا
(٥) انظر لو ٩: ٣١

كان ايضًا ابن الله الحبيب المولود الوحيد

والامر الذي يزيل كل ريب في هذا التفسير لذلك الظلام هو كلمة يسوع الرابعة التي فاه بها في آخر الساعات الثلاث . في لغتهِ الارامية صرخ من وسط الظلام بصوت عظيم "الهي الهي لماذا تركتني" ؟ ليس لنا ان نتجاسر بالسؤال ولو فكرًا عما جرى بينهُ وبين الآب في تلك الساعات التي افرزتهُ عن البشر جميعًا وفصلت بينهُ وبين الجماهير المزدحمة. لكن اهمية هذا الصوت الكئيب ظاهرة في ان البشير مرقس مع اهمالهِ كل اصوات يسوع الاخرى على الصليب قد ذكر هذا الصوت

صراخهُ بصوت عظيم كان ليسمع عددٌ كافٍ من الناس ليعلموا جيدًا ويشهدوا انهُ تُرك من الآب في تلك الساعة. فيعلم العالم ان ذلك كان لاجل التكفير عن خطايا البشر . ولا سيما لان صلاتهُ اختلفت تمامًا عن كل صلاة اخرى قدَّمها ذُكرت لهُ . لم يصلِّ كعادتهِ "ايها الآب" او "يا ابتاهُ" بل "الهي الهي". اي انهُ يشعر بفاصل جديد وقتي بينهُ وبين الآب يمنع عنهُ حق مخاطبتهِ كابنهِ . وذلك افضل برهان لتغيير العلاقة في تلك الساعة بينهُ وبين الآب

هذه ساعة اتمامهِ الغاية التي ارسلهُ الآب لاجلها. وساعة اعظم تضحية قدَّمها. وساعة اشدّ احتياجهِ الى رضى الآب . فلو كان موتهُ كما يزعم البعض موت شهيد للدين والفضيلة لكان متمتعًا دون ادنى ريب بمعظم ذلك الرضى . فلِمَا تركهُ الآب في تلك الساعة ؟ وبالنظر الى مقام يسوع في الفهم والاستقامة لا يصدَّق انهُ ينسب الى الآب تركهُ ويقول ذلك لهُ في صلاتهِ ان كان الآب لم يتركهُ فعلاً . وهذا الصوت وهذا الكلام من وسط هذا الظلام هو التفسير الوحيد المعقول للآلام في بستان جثسيماني لما طلب ان تعبر عنهُ هذه الكأس "وصار عرقهُ كنقطرات دم نازلة على الارض" التي كان منطرحًا عليها في نصف الليل

بسبب المشابهة بين لفظة الهي واسم النبي ايليا في اللغة الارامية استنتج بعض الواقفين هناك انهُ يستنجد بالمذكور كعادة الناس ان يستنجدوا في الضيق بالانبياء . ويظهر ان هذا الصراخ فكّ اغلال الظلام الفلكي . فبزوال الألم الروحي عند انقشاع نور الشمس عاد الألم الجسدي بشدّة. فقال (وليس صرخ) "انا عطشان" (١) هوذا معطي ماء الحياة الذي قال للسامرية من يشرب من الماء الذي اعطيهِ انا فلن يعطش ابدًا (٢) يقول "انا عطشان" . لان عطشهُ جسدي والماء الذي يعطيهِ هو للروح

عند هذا ركض احد الحرّاس وملأ اسفنجة خلًّا ووضعها على قصبة وسقاهُ فاعترضهُ بعض قساة القلوب قائلين "اترك لنرى هل يأتي ايليا لينزلهُ ويخلّصهُ" . اما يسوع فرضي ان يمتصّ هذا الشراب المنعش للسبب الذي منعهُ عن الشراب المخدّر قبلاً . لانهُ قصد ان يسلّم روحهُ بكل ما يمكن من النشاط. فعند كلمتهِ هذه الخامسة تمّت نبوّة اخرى في السلسلة التي اقتطفنا منها سابقًا وهي القائلة "في عطشي يسقونني خلًّا" (٣)

شرب وقال قولاً خطيرًا وهو كلمتهُ السادسة "قد أُكمل" . اي اكمل أهمّ حوادث التاريخ البشري في كل عصورهِ . هو عمل الفداء الذي بهِ تمّت المصالحة بين الاله القدوس والبشر الخطأة . "لانهُ فيهِ سرّ ان يحلّ كل الملء وان يصالح بهِ الكل لنفسهِ عاملاً الصلح بدم صليبهِ" ... "وانتم الذين كنتم قبلاً اجنبيين واعداء في الفكر وفي الاعمال الشريرة قد صالحكم الآن في جسم بشريتهِ بالموت ليحضركم قدّيسين وبلا لوم ولا شكوى امامهُ" (٤) . قد أُكمل النظام الموسوي مع رموزهِ من كبيرها الى صغيرها وانتهى العهد القديم في العهد الجديد . "الاشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديدًا" (٥) قد أُكمل سير الاله المتأنس بين الناس . ومن الآن فصاعدًا لم يعد يخالط

(١) من الامور المشهورة في حوادث الصلب اشتداد ألم العطش (٢) يو٤:١٤
(٣) مز٦٩:٢١ (٤) كو١:١٩—٢٢ (٥) ٢كو٥:١٧

البشر كما كان يفعل . بل يظهر ظهورات متقطعة فقط في جسد مجدهِ الجديد امام تلاميذهِ الاوّلين . ثم بعد قليل يتوارى تمامًا عن ابصار العالم الى يوم مجيئهِ الثاني المجيد

رأينا ان كلمتهُ الرابعة "ايلي ايلي لما شبقتني" أعلنت بصوت عظيم الانفصال الوقتي الرهيب بينهُ وبين الآب . فبصراخ صوت آخر عظيم مثلهُ يُعلن الآن للجماهير زوال ذلك الانفصال تمامًا ورضاهُ التام بان يموت على الصليب . لانهُ يصرخ مصليًا " يا ابتاه في يديك استودع روحي". فأتمّ بهذه الالفاظ نبوّةً أُخرى[1] واظهر عود علاقتهِ مع الآب بكلمتهِ يا ابتاهُ .فبهذه الكلمة السابعة والاخيرة وبهذه العبارة المؤثرة التي كرّرها عددٌ غفير من تابعيهِ بعدهُ في ساعات الاحتضار) ودّع ابن مريم وابن الانسان خدمتهُ الارضية اليومية الاعتيادية بين الناس لينزل الى هاوية الموت هنيهةً

فعندها "نكّس راسهُ واسلم الروح". ففي موتهِ آية عظيمة اشار اليها قبلاً في قولهِ " انا اضع نفسي عن الخراف لآخذها ايضًا . ليس احد يأخذها مني . بل اضعها انا من ذاتي . لي سلطان ان اضعها . ولي سلطان ان آخذها ايضًا. هذه الوصية قبلتها من ابي"[2]. اي انهُ بفعل ارادتهِ فصل نفسهُ عن جسدهِ فقيل "اسلم الروح". لانهُ قد اتمّ عملهُ المطلوب . وهذا يتفق مع موتهِ السريع في مدة ست ساعات بعد صلبهِ . لانهُ عُلِّق على الصليب ساعة تقديم ذبيحة الصباح في الهيكل وأسلم روحهُ في ساعة تقديم ذبيحة المساء . والاختبار علّم اهل ذلك الجيل كالذين قبلهم ان مجرّد الصلب لا يميت في يومهِ

في ساعة تسليمهِ نفسهُ ارتجفت الطبيعة لموت رب الحياة. قيل ان "الارض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت" . وكان لتفتح القبور نتيجة عجيبة اذ "قام كثير من اجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامتهِ ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين". فهذه والمعجزات الأُخرى التي

(١) مز ٣١: ٥ (٢) يو ١٠: ١٥—١٨

حدثت عند خروجهِ من العالم تشبه التي حدثت عند دخولهِ الى العالم في انهُ لم تشترك فيها يدٌ او يد بشرية على الاطلاق . وهذا ما يزيد كثيرًا قوة شهادة هذه المعجزات لشخصهِ الفريد

ومن جملة مفاعيل هذه الزلزلة وما تبعها ان حجاب الهيكل انشقَّ من وسطهِ الى اثنين من فوق الى اسفل[1] . كان هذا الحجاب في وضعهِ الاصلي علامةً بان الرضى الالهي محجوب عن البشر حتى الكهنة منهم بسبب خطاياهم . وان السبيل اليهِ تعالى مُغلق في وجه الجميع . الاَّ ان رئيس الكهنة استُثني لتمثيلهِ الرئيس الاصلي الابن الحبيب . وكان ايضًا رمزًا لطبيعة يسوع البشرية التي كانت تحجب وتعلن طبيعتهُ الالهية في الوقت الواحد . فبتمزيق جسد يسوع على الصليب انفتح للبشر باب السماء . ولذلك لاق ان يتمزَّق ايضًا الستار في الهيكل الذي كان يشير الى ذلك الجسد[2] . وكان لشقّ الحجاب معنى كبير يشمل ايضًا زوال النظام الموسوي وطقوس الهيكل والكهنوت البشري والذبائح الحيوانية والرموز القديمة بناء على اتمام المرموز اليهِ[3]

كان مع الحراس الاثني عشر ضابط برتبة قائد مئة يدبر حركة صلب

---

(١) هذا الحجاب الذي انشقَّ كان ستارًا عظيمًا ثمينًا مطرَّزًا علوهُ عشرة اذرع يفصل قدس الاقداس الداخلي عن القدس . وكان يحجب عن ابصار البشر كافة الفعل الذي فيهِ كان يحلّ المجد الالهي المسمى عندهم الشكينا . وفيهِ تابوت العهد الذي لقداستهِ لا يُمسّ . ومما يسهل على المطالع المخلص تصديق خبر شقّ حجاب الهيكل كتابات اليهود التي تخبر بحدوث معجزة في الهيكل في نحو ٤٠ سنة قبل خرابهِ . اي فتح الباب الكبير فيهِ بدون يد بشرية وهو مقفول . ثم ان العتبة الكبيرة ايضًا انكسرت . هذه نتائج طبيعية للزلزلة التي يخبر الانجيل بحدوثها . ويوسيفوس يقول انهُ انطفأ بمعجزة السراج الاوسط والاهمّ من السرج السبعة في المنارة الذهبية وتشيتوس المؤرخ الروماني الوثني يشير الى حادث مرعب حدث في الهيكل في اورشليم في نحو هذا الوقت . والتلمود يقول ان هذه الآيات حسبت عندهم دليلاً نبويًا على خراب اورشليم والهيكل قريبًا . وقد ورد وصف الحجاب في خر ٢٦ : ٣١ لا ١٦ : ٢ و١٥ و٢ اي ٣ : ١٤ وعب ٩ : ٣ (٢) عب ١٠ : ٢٠ (٣) اش ٢٥ : ٧

الثلاثة[1]. لكن لا ريب انهُ مع جنودهِ قد اطَّلع على الظلم في معاقبة يسوع. لذلك كان للمعجزات التي حدثت بسببهِ كالظلام والزلزلة تأثير عظيم بخيفتهِ كما يخيف كل من كان مشتركًا في هذه الجريمة. ألا يخشون قصاصات الهية تسقط على رؤوسهم بسبب هذا الظلم؟ فقال البشير صريحًا انهم خافوا جدًّا. لكن مع خوفهم شعروا بان يدًا الهية كانت مع يسوع تبرهن انهُ ليس كالناس فمجدوا الله وشهدوا لصلاح يسوع. وفاق رئيسهم في شهادتهِ لانهُ فاقهم في ادراكهِ. وقال "حقًّا كان هذا الانسان ابن الله". فصار من الكثيرين الذين قال عنهم يسوع تكرارًا في وعظهِ انهم "سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون في ملكوت السموات وابناء الملكوت يُطرحون خارجًا"[2] والتأثير في الجمهور جعلهم ينصرفون الى محلاتهم وهم يقرعون على صدورهم عجبًا وتخشُّعًا. فبينما رؤساء شعب الله المختار يصلبون ابنهُ الوحيد يؤمن بهِ القائد الروماني الوثني

يسوع قد أسلم الروح وبعد ساعتين يبتدئ العيد العظيم. فيتيسر للرؤساء عذر لتجديد تعذيب يسوع يؤول ايضًا لراحة افكارهم. لان المراقبة الكافية في سبت العيد مستصعبة. فنراهم يطلبون من الوالي الجري حسب الاصطلاح الذي يُقصد بهِ تعجيل موت المصلوبين او منعهم عن الهرب ان أُنزلوا احياء. وهو كسر سيقانهم على الصليب. ونرى الوالي يلبي طلبهم ويأمر بذلك. لانهُ كالرؤساء لا يتصوَّر ان يموت احد في هذا النهار[3]. والرؤساء يستأنسون بان غريمهم العظيم يعامَل بعد موتهِ معاملة المجرمين السياسيين بعد صلبهم. اي ان جسدهُ يُنزَل ويُطرَح في الرُحَم لتفترسها الوحوش. او بالاكثر تُردَم بمزيد الاحتقار

(١) يسمى في التقاليد لغينوس (٢) مت ٨:١١ (٣) روى احد السياح في السودان حيث عادة الصلب موجودة الى الآن ان المصلوبين يعيشون غالبًا الى اليوم الثالث

لكن قانون خروف الفصح يمنع كلّيًا كسر عظم منهُ (١). واحدى النبوّات عن المسيح تقول ان عظمًا منهُ لاينكسر (٢). فكيف يصحّ هذا الرمز وكيف تتمّ هذه النبوّة بعد امر الوالي الذي ذُكِر؟ الجواب في ما جرى بعد ما نفّذ العسكر امر الوالي في اللصين واتوا الى يسوع فوجدوهُ قد مات. فاوقفتهم بدّالهية عن كسر عظامهِ

لكن لو تركوهُ هكذا لنقصت براهين موتهِ الحقيقي وهذا امرٌ مهمّ. لانهُ بعد حين قامت شيعة انكرت عليهِ القيامة "الحقيقية" مدّعية بانهُ دُفن في سبات طبيعيّ واستفاق في قبرهِ. فالعناية الالهية استدركت شكوكًا كهذه وأوجدت ما ينافيها تمامًا. فان نفرًا من هذا العسكر دُفع بفكر نجهلهُ طعن جنب يسوع بحربة. وفتحت هذه الطعنة جرحًا نعرفهُ عميقًا من قول يسوع بعد قيامتهِ لتوما "هات يدك وضعها في جنبي" ومن هذا الجرح "خرج دم وماء" (٣) ولاجل تحقيق هذا الامر المستغرَب اضاف البشير المخبر قولهُ "الذي عاين شهد وشهادتهُ حق. وهو يعلم انهُ يقول الحق لتؤمنوا انتم". ثم يستشهد بالنبوّة القديمة "سينظرون الى الذين طعنوهُ" (٤)

هذه خاتمة حوادث الصلب. ان الذي كان يجرّد لمسهِ يحوّل الاجسام المصابة بالامراض الكريهة والمميتة الى اجسام صحيحة قد حوّل ايضًا بلمسهِ صليبًا كريهًا موْلمًا معيبًا شعار اللعنة والتوحش الى موضوع الاكرام والاجلال — الى شعار التمدّن واللطف والحب والاشتياق والشرف والخلاص الابديّ. لما كتب بولس الرسول: "واما من جهتي فحاشا لي ان افتخر الاّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي بهِ قد صُلب العالم لي وانا للعالم" (٥) كاد ان يكون منفردًا في العالم في هذا الافتخار. اما اليوم فيزداد كثيرًا جيلاً بعد جيل عدد شركائهِ فيهِ

(١) خر ١٢: ٤٦ وعد ٩: ١٢ (٢) مز ٣٤: ٢٠ (٣) وضع البعض تعليلاً طبيًا لهذا الحادث لا يسعنا الخوض فيهِ (٤) زك ١٢: ١٠ (٥) غل ٦: ١٤

قال الرسول ان "يسوع قصد ان يذوق بنعمة الله الموت لاجل كل واحد"[١]. اجترع هو كأس الموت ليمتصّ السمّ الذي فيها ويسلّمها سليمة للمؤمنين ليصح قوله ان الذي يؤمن به لن يموت الى الابد[٢]. فالموت الذي كان اجرة الخطيئة[٣] تحوّل الى باب النعيم واخذ اسماء جديدة جميلة. وصار يسمّى ارتفاعًا ورقادًا ونومًا وانتقالاً وخروجًا وتجيدًا. وصار كل مؤمن يهتف مع الرسول: اين شوكتك يا موت[٤]. يسوع وحدهُ بالنظر الى موته وكما لانهُ يستطيع ان يفعل هذا التحويل بالموت عدوّ البشر. وقد جعل لسان حال المؤمن "لي اشتهاء ان انطلق واكون مع المسيح ذاك افضل جدًّا"[٥]

دبّرت العناية ايضًا ان يكون لمشير (اي عضو في المجلس الاعلى اسمهُ يوسف) بستان بقرب الجلجثة وقد نحت في احد صخورهِ قبرًا جديدًا استعدادًا لدفنهِ. هذا الرجل كان من بلد تسمى الرامة. فاما انهُ كان مستوطنًا في اورشليم. اولشدة تمسكهِ بنظير غيرهِ من اليهود ان يُدفَن في المدينة المقدسة اقتنى هذا البستان ونحت هذا القبر. فهذا الغني "الشريف الصالح البار" كان من امثال سمعان الشيخ وحنة النبية في انهُ "كان ينتظر ملكوت الله"

فتعرّف على يسوع وتبعهُ لكن سرًّا. لانهُ لم يكن جريئًا فخشي الحرم الكبير المعلَن على كل من يتبع يسوع او ينتصر لهُ. واستصعب العزل من وظيفتهِ واحتمال العار والاضطهاد. الاّ انهُ لم يرتدِ بالرياء. ولا وافق زملاءهُ في المجلس في حكمهم على يسوع. فاما انهُ لم يلبِّ الدعوة الى ذلك الاجتماع الشرير في صباح هذا اليوم المشؤوم. او انهُ حضر وعارض القرار الذي اتفقوا عليهِ دون ان يُظهر ايمانهُ بيسوع. بالنظر الى مقامهِ وغناهُ كان معروفًا ومكرّمًا عند الوالي. فلما عرف بموت يسوع ورأى تشتّت تلاميذهِ وخشي اهانة جسدهِ تجسّس "وتجاسر ودخل وتقدّم الى بيلاطس وطلب ان يأخذ جسد يسوع"

(١) عب ٢:٩ (٢) يو ١١:٢٦ (٣) رو ٦:٢٣ (٤) ١ كو ١٥:٥٦
(٥) في ١:٢٣

مع انهُ لم يتبع يسوع ظاهرًا ايام انتصارهِ فعل ذلك يوم انكسارهِ. فاثبت شرفهُ الحقيقي وصدق ايمانهِ. هان على بيلاطس ان يلبي هذا الطلب لكون متقدّمهِ عضوًا في المجلس الذي حكم على يسوع. ومع انهُ كان يرتشي في احكامهِ "وهب" الجسد ليوسف[1]. لكن هذا الوالي المدقّق تحقق اولاً موت يسوع خشية هياج الرؤساء والشعب عليهِ ان تعطّل قصدهم ان يميتوهُ. ويدقق اكثر لظنهِ ان الوقت غير كافٍ ليكون يسوع قد مات. فاستدعى قائد المئة الذي تولّى امر الصلب. ولما تأكد منهُ موت يسوع اصدر الامر للحرس العسكري بالسماح ليوسف ان يأخذ الجسد

يظهر ان يوحنا لازم الصليب ليعرف ماذا يصير فبحضورهِ هناك جاء يوسف بما اشتراهُ من الكتان النقي الثمين لاجل التكفين. وجاء معهُ محب آخر يماثلهُ في انهُ مشيرٌ غنيٌّ شريفٌ وتلميذٌ خفيٌّ ليسوع. هذا نيقوديموس الذي اتاهُ ليلاً في اورشليم قبل هذا الوقت بثلاث سنين وكلّمهُ يسوع عن الولادة الثانية من فوق[2]. اتى الآن حاملاً مزيج مرّ وعود للتحنيط نحو مئة منًا اي ما يقارب خمسة عشر رطلاً من الاطياب الثمينة. وهو ما يكفي لتحنيط جثة ملك. لا يكون مجيء شخصين كهذين دون خدم او مساعدين في العمل الشاقّ الذي يقصدانهِ. ولا شك ان يوحنا انضمّ اليهما في العمل

مات يسوع كمجرم حسب النبوّة لكنهُ دُفن باكرام كملك بواسطة غيرة هذين الشهمين. فصحّت النبوّة الاخرى انهُ "جُعل مع غنيٍّ عند موتهِ"[3]. بالنظر الى غنى يوسف لا بدّ ان يكون قبرهُ "مغارة كبيرة" في جانبها الناووس المعدّ لوضع الجسد. فيكونون قد اخذوا الجسد عن الصليب واتمّوا الرسوم

---

(١) ينصرف الفكر الى انسياء يسوع وتلاميذهِ وذعرهم بسبب ما يتوقعونهُ من اهانة الجسد الكريم بعد موتهِ كما سبقت الاشارة. ثم الى الانفراج العظيم الذي اتاهم بسبب تداخل يوسف الرامي في الامر (٢) يو ٣:٢ (٣) اش ٥٣:٩ ذكر الاطياب يرجع بالفكر الى القول في مز ٤٥:٨

اللائقة من غسل وتحنيط وتكفين داخل المغارة. والنساء الامينات لبثنَ واقفات في جوار المحل ينظرنَ الى بعض ما حدث ولربما بدون ان يرينَ عمل التحنيط(١)

وقت الاحتفاء به في اول الاسبوع دخل اورشليم على جحش لم يركبهُ احد قط. وعند دفنهِ في آخر الاسبوع نام في قبر جديد لم يُدفن فيهِ احد قط. وجذب اليهِ جديداً هذا المرفوع على الصليب في هذا اليوم الواحد اللصّ التائب وقائد المئة ويوسف ونيقوديموس رئيس اليهود. ففي كل آنٍ مَن ينظر بعين الايمان الى المسيح المصلوب يماثلهم في طرح الخوف والاستحياء جانباً والانتصار والخدمة علناً لخلاص نفوسهم. لم يخطر على بال يوسف ورفقائهِ كم كانت اهمية الحجر الكبير الذي دحرجوهُ وسدّوا بهِ باب المغارة قبل ان يبرحوا المحل احتراماً للسبت الذي كان يزحمهم(٢)

ولم يكونوا هم وحدهم الشهود لحقيقة دفن يسوع وموضعهِ. لان النساء اقترنَ وتحققنَ الدفن ومحلهُ وكيفيتهُ. خُصَّ منهنَّ بالذكر مريم المجدلية ومريم امرأة كلوبا. وهنَّ إنما جهلنَ الاطياب التي وضعها نيقوديموس بمزيد السخاء على الجسد المحبوب او انهنَّ لم يكتفينَ بذلك اذ لا حصة لمنٍّ فيها. لذلك بعدما استرحنَ يوم السبت حسب الوصية اعددنَ حنوطاً واطياباً لتجديد اكرام الجسد وتكميل التحنيط الذي صار بعجلة عند دفنهِ

لا بأس من تحويل النظر قليلاً من المحبين الى المبغضين. نرى ان الفروض المطلوبة من هؤلاء الرؤساء في ذلك السبت كثيرة ومدققة. ولا يستطيعون ان يهملوا منها حرفاً واحداً. ونحسب ان الذين يرونهم في

---

(١) يرجح ان هؤلاء الرجال الثلاثة الذين تحملوا تهيئة لمس الجثة اي النجاسة الطقسية فحُرموا بعض فوائد الفصح الداخل عليهم (٢) من جملة ادلة صدق اخبار البشيرين سكوتهم التام عن ذكر يوسف الرامي ونيقوديموس بعد هذا الحادث. فلو كانت رواياتهم ملفّقة كان لا بدّ من كلام آخر عن هذين الشخصين المهمّين بعد عملها الجميل

الهيكل في صباح هذا السبت في الاحتفالات المبهجة متحلّين بملابسهم الرسمية الفاخرة يلاحظون ان حركاتهم في خدمة الهيكل جدّية واصواتهم رنّانة فوق العادة . وهيئتهم هيئة المنتصر المبتهج . فيتبادلون التهانئ على نجاحهم في رفع هذه العثرة الكبيرة التي كانت تتصدّى لهم في سبيل استعباد الشعب ونيلهم العظمة العالمية . عماهم الروحي[1] منعهم عن فهم قصد الله في شق حجاب الهيكل امام عيونهم . والاّ كانوا ادركوا بطلان كل ذبائحهم وطقوسهم في ذلك النهار . لان الذبيحة الحقيقية الاصلية الدائمة التي تقدمت في اليوم السابق على الصليب قد ألغت كل ذبيحة سواها

يحسبون انهم افلحوا تمامًا في المهمة التي شغلتهم كثيرًا في هذه السنين الاخيرة واستراحوا نهائيًا من يسوع . لكن هل استراحوا حقًا كما يزعمون ؟ وهل تسكت ضمائرهم عن تعذيبهم لسنكهم دمًا بريئًا مخالفين اقوال الله لاسلافهم[2] ؟ كان ما شاهدوهُ وسمعوهُ من قرائن الصلب قد شوّش افكارهم لئلا يكون لكلام يسوع انهُ يقوم في اليوم الثالث صحّة . فقصدوا ان لا يتركوا واسطة تمنع قيامتهُ . لذلك لما انتهت الاحتفالات الفصحية دار الخبر بينهم ان رئيس الكهنة قد دعا الذين ارادهم من المتنفذين ليرافقوهُ الى دار الولاية

نتصوّر هذه الهيئة المؤلفة من عظماء اليهود ودخولهم دار الوالي لاجل مقابلة رسمية . ونتصوّر ارتياب الوالي في ما هو الغرض فوق المعتاد الذي ساقهم اليهِ في سبتهم العظيم . ثم نتصوّر ايضًا جلوسهم امامهُ وابتداء زعيمهم بالقول " يا سيد قد تذكّرنا ان ذلك المضلّ قال وهو حيّ اني بعد ثلاثة ايام اقوم . فمُر بضبط القبر الى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذهُ ليلاً ويسرقوهُ ويقولوا للشعب انهُ قام من الاموات . فتكون الضلالة الاخيرة اشرّ من الاولى "

لا يحتاج بيلاطس ان يسأل مَن الذي يعنونهُ "ذلك المضلّ" . لانهُ تأثّر من اصرارهم في النهار السابق على صلب يسوع . وقد لاحظ ان الدافع الى

(١) مت ١٥:١٤ (٢) أش ١١:١—١٥

ذلك كان الحسد . وبما انهُ لا يهتمّ لمسائل اليهود الداخلية وقد تكدّر منهم لاجل ما سبق ذكرهُ اجابهم باستخفاف "عندكم حرّاس . اذهبوا واضبطوهُ كما تعلمون"(١) . "فمضوا وضبطوا القبر بالحرّاس وختموا الحجر" . ويرجح انهم افهموا الحرّاس بان عملهم الخصوصي الذي وضعوهم هناك لاجلهِ هو ان يتمثلوا يسوع حالاً فيما اذا قام كما قال . وان حجتهم للوالي بخصوص سرقة الجسد لم تكن الاَّ حيلة لاجل اقناعهِ . لكن النتيجة كانت ان هذا العمل العدائي آل الى خير عظيم بعد فشل فاعليهِ التام في ما قصدوهُ

في يوم الجمعة الذي سبق من اولهِ في الليل الى آخرهِ عند الغروب يذكر الانجيل بالاسم قليلين فقط من تابعي يسوع . فمن رسلهِ بطرس والاسخريوطي ويوحنا . ومن المؤمنين بهِ سرًّا يوسف ونيقوديموس وربما سمعان القيرواني . ومن النساء امهُ واختها ومريم المجدلية وسالومة . الاَّ انهُ يقول ايضًا "كان جميع معارفهِ واقفين من بعيد ينظرون ذلك (اي صلبهُ) ونساء كثيرات كنَّ قد تبعنهُ من الجليل"

ظاهر الخبر ان هؤلاء بوجه الاجمال ما عدا يوحنا ومريم المجدلية ومريم الاخرى انصرفوا عندما حققوا ان سيدهم قد اسلم الروح . لكن لما دخل السبت وكان دفن الجسد العزيز قد تمَّ انصرف هؤلاء الثلاثة ايضًا . فيتبادر الى الذهن تشخيص احوال تابعي يسوع عمومًا في ذلك السبت المظلم . نعترف لهم بالامانة في حفظ وصية السبت العظيمة مع ما في ذلك من حرمانهم تقديم الخدمة الحبية والاكرام لرفات رئيسهم وسيدهم . وفي الوقت ذاتهِ نقدّر لهم مقدار اليأس الذي غرقوا فيهِ بعد دفن آمالهم وايمانهم في القبر المقدس . قد رأوا فوز اعدائهم بسندهم الوحيد . فكيف يثقون هم بدون سند شرّ هؤلاء الفائزين ؟ وهل يسلمون مع ضعفهم من الذين لم يسلم منهم ذاك الذي عرفوهُ ربًّا وابن الله المقتدر ؟ اذا خطف الذئب الراعي ذاتهُ فاي رجاء يبقى للقطيع ؟

(١) مت ٢٧: ٦٥ كان تحت امر الرؤساء فرقة من العساكر الرومانية

قد ادركهم اليوم الاسود الذي اشار اليهِ لما حاورهُ اليهود في اهمال تلاميذهِ الصوم اذ قال "سيُؤخذ العريس عنهم فحينئذٍ يصومون"(١). ولما أنبأهم في خطابهِ الاخير بانهم سيبكون وينوحون والعالم يفرح(٢). ولربما كان هذا اليأس وهذا الخوف عاملان مع حفظ السبت في تأخرهم عن زيارة القبر في بستان يوسف الرامي. ولا بدَّ من ان أُضيف الى هذه العوامل يأس آخر وأدهُ ستوطهم المعيب في الجبن والهرب والانكار والاختباء على رغم تحذير سيدهم من ذلك مرارًا. فقامت عليهم ضمائرهم تزيد يأسهم. وبسبب اليأس والخوف فقدوا البصر الروحي. والاَّ فانهم كانوا تذكَّروا ان معلمهم لم ينبئهم بموتهِ القادم مرَّةً الاَّ انبأهم بانهُ يقوم ايضًا في اليوم الثالث. فلما تمَّ على صورة عجيبة ما قالهُ لهم عن كيفية موتهِ مفصَّلاً لماذا لم يستبشروا ويتوقعوا تلك القيامة ايضًا؟(٣)

ثمَّ انهُ ليس في سبيلهم نور بالنظر الى المستقبل وافتكارهم بمصيرهم ومصير التعليم الذي تلقنوهُ من يسوع وقبلوهُ بدلاً من القديم الذي كانوا عليهِ. لان ليس في ذلك التعليم ما يرغب الناس في الانضمام اليهم والاصغاء الى كلامهم. في زمان معظم شهرة يسوع ومعجزاتهِ الخيرية نفر العموم من تعاليمهِ. فهل يمكن ان يقبلوها من تابعيهِ الضعفاء القاصرين بعد كل ما جرى لسيدهم عند صلبهِ كمجرم؟ وكيف يمكنهم ان يحيوا دينًا جديدًا لا يعدِ تابعيهِ في الحياة الحاضرة الاَّ بالخسارة والاضطهاد. ولا يقبل منهم الاَّ حمل الصليب وانكار الذات — دينًا يناوم كل الملذات البشرية التي يمكن الاعتراض عليها من الوجه الادبي

(١) مت ٩:١٥ (٢) يو ١٦:٢٠ (٣) روي ان يهوديين من اهل العلم والتقوى تمشيا بين انقاض المدينة المقدسة بعد خرابها. فندب احدهما هذا الخراب المحزن بينما كان رفيقهُ يضحك. فلما وبخ الاول الثاني على ذلك اجابهُ "اني اضحك لافتكاري بالمستقبل المجيد الموعود بهِ في ذات النبوَّات التي اطنت هذا الخراب. لانني من رؤيتي اتمام النبوَّات بالخراب اتيقن بان النبوة بالمجد الذي سيعقب هذا الخراب لا بدَّ ان تتمَّ ايضًا"

— دينًا ضيقًا صارمًا يصادر اقوى الاميال الطبيعية في الانسان. لا بدَّ من ان هبوط آمالهم في الحاضر كان على قياس سموّ ارتفاعها في الماضي. ولا يستبعد لو وُجد بينهم من ندموا على اغاظة رؤسائهم ومخالفة مشورة اهلهم وترك اوطانهم واشغالهم ليتبعوا الناصري. ومَن صدَّق بعض التصديق رأي الذين سمّوهُ "ذلك المضلّ"

يقف المفكر المخلص اليوم تجاه ذلك القبر المختوم ويعلم انهُ يُطلب منهُ ان يرجّح بين قيامة هذا الدفين او بقائهِ في القبر ليرى فسادًا نظير جميع الذين ماتوا قبلهُ وبعدهُ. وهذا المفكر يدري ان ليس من نبي حينئذٍ تستخدمهُ القوّة الالهية لاجل قيامتهِ كما جرى في سائر القيامات التي ورد خبرها في الكتاب. فان قام عليهِ ان يقوم دون واسطة بشرية. قال عند قبر لعازر "انا هو القيامة والحياة"[1] وأكّد لليهود ان لهُ سلطان ان يضع نفسهُ وان يأخذها ايضًا[2]. وان لبث في قبرهِ يكون قد صدق الذين صلبوهُ لما عيروهُ بانهُ لا يصلح مخلّصًا للعالم ما دام عاجزًا عن تخليص نفسهِ بنزولهِ عن الصليب. أخنوح وايليا انتقلا من الدنيا دون ان يريا فسادًا. لكن ليس بعد الخضوع لسلطان الموت كيسوع. وكل من مات ثمَّ قام عاد يومًا الى الموت والفساد كالثلاثة المذكورين في العهد القديم والثلاثة في زمان يسوع. فكيف ينتهي امر يسوع؟

(١) يو ١١: ٢٥ (٢) يو ١٠: ١٨

الفصل التاسع والاربعون

(مت ٢٨: ١ – ١٨ مر ١٦: ١ – ٨ لو ٢٤: ١ – ١٢ يو ٢٠: ١ – ١٠)

(المرصّع) ف ٤٩ (الزمان) الاحد في ٩ نيسان السنة ٣٠ م
(المكان) اورشليم

تفرّد يسوع العجيب . المقابلة بين معجزة ولادتهِ ومعجزة قيامتهِ . مقاصد كتبة الانجيل . قوانين التفسير . موتهُ الحقيقي . استعداد النساء . قيامتهُ والمعجزات المرافقة لها . ابلاغ الجدلية بطرس ويوحنا قيامة المسيح . ظهور الملائكة للنساء

قبل البحث في حوادث قيامة يسوع في اليوم الثالث حسب وعدهِ نحتاج الى النظر في مقام قضية القيامة لكي نعير هذا البحث الاهتمام الذي يستحقهُ

بعد الاخبار عن تفرّد يسوع العجيب عن غيرهِ من البشر في ولادتهِ اتت الاخبار عن تفرّدهِ ايضاً في سيرتهِ . ثم تلتها في الفصل السابق الاخبار عن تفرّدهِ في ماتهِ . لانهُ أقدم عمداً على موت الصليب . واقترن بموتهِ غرائب في الطبيعة نظير الحداد الذي لبسهُ الكون لما اظلمت الشمس ثلاث ساعات في رائعة النهار . وتزيق الطبيعة اثوابها حزناً عند زعزعة المسكونة في الزلزلة التي شقّت حجاب الهيكل المقدّس وشققت اكباد الصخور الصمّاء . واشتراك الهاوية السفلى في المناحة والبكاء اذ ذرفت بدلاً من الدموع اجسام موتاها لما تفتّحت القبور

ولكن لا ينضج ثمر هذا التفرُّد العجيب ما لم يُرى بعد مماتهِ ايضاً . لانهُ لو انطفأت حياتهُ الارضية بموتهِ مثل غيرهِ من البشر يُحرَم حتى من مقام الصالحين من انبياء ومصلحين ومعلمين . لانهُ كرَّر الإنباء بانهُ يقوم من قبرهِ في اليوم الثالث . فان لم يصدق في هذا يمسي كثير من كلامهِ ضلالاً وتضليلاً . لان الكتاب لا يبني على معجزة ولادتهِ من عذراء صحة التعليم المسيحي او تحقيق المغفرة والخلاص . لانها في طبيعتها صعبة الاثبات بل اصعب المعجزات في براهينها . لكن على معجزة قيامتهِ يتوقف الخلاص تماماً . ولذلك فاثباتها اسهل وبراهينها اكثر من كل معجزة سواها

الذين ينكرون حقيقة قيـــامتهِ والذين يشكُّون فيها يتشبثون بالاختلافات الظاهرة بين البشيرين في رواياتهم عن حوادث القيامة . وهذه الاعتراضات ابتدأت في القرن الثاني بعد المسيح (١) . غير ان المعترضين يختلفون في انتقادهم على اختلاف البشيرين . وقد أنَّب يسوع معترضي عصرهِ على مخالفتهم الواحد الآخر . وقد سبق الكلام في اول هذا الكتاب عن الاختلاف الذي ينفي التواطؤ والاتفاق الذي ينفي الاختلاق

وبما ان اخبار يسوع ليست مرتبة على نسق تاريخي تماماً عني البشيرون في تحقيق صحة التعليم المسيحي والتزموا الاختصار في رواياتهم فاورد كلٌّ منهم ما رآهُ ضرورياً وكافياً لاثبات التعليم الجوهري وأهمل ما بقي من الخبر الصادق . واكتفى ببعض ما اوردهُ غيرهُ دون تكرارهِ . وكرَّر ما حسبهُ يستلزم التكرار للاثبات . وقيامة يسوع من ذلك القليل الذي اعتنى الاربعة البشراء بتدوينهِ من بين كل حوادث حياة يسوع الارضية

وامعان النظر يبيِّن ان الاختلافات في الروايات الاربع سطحية فقط . لان

(١) قال احد المفسرين ان في تاريخ قيامة يسوع اختلافاً حسب الظاهر اكثر مما في اي جزء آخر من تاريخهِ . وهذا ينتظر حدوثهُ اذا اعتبرنا غرابة هذه الواقعة على حين غفلة (الاتفاق ٦١٨)

المعلوم ان " ما لا يُذكر كلهُ لا يُهمَل جلهُ ". فلنا هذا القول في الاختلافات. اذا حضر ملاكان او اكثر وتكلم احدهم فذكر بشيرٌ حضور الجميع وبشيرٌ آخر حضور المتكلم فقط. او اذا ظهرت الملائكة ضمن القبر وظهرت ايضاً خارج القبر فذكر بشيرٌ الظهور الاول فقط وبشيرٌ آخر الظهور الثاني فقط. او اذا ظهرت الملائكة واقفة ثمَّ ظهرت جالسة واخبر بشيرٌ عن الظهور الاول وبشيرٌ آخر عن الظهور الثاني. او اذا قال ملاك قولين وذكر بشيرٌ قولاً واحداً وبشيرٌ آخر القول الآخر. او اذا ظهر يسوع لامرأة واحدة وحدها ثم ظهر ايضاً لعدد من النساء ومرَّةً أُخرى لاثنتين منهنَّ. او اذا ظهر تكراراً لاحداهنَّ مرَّةً مع رفيقاتها ومرَّة أُخرى وحدها. وذكر كل بشير حادثة من هذه دون الاخرى فقد يحصل اختلاف في الرواية. ولكن هذا الاختلاف لا يُعدُّ تناقضاً يحطُّ في صحة تلك الاخبار المختلفة

وزد على ذلك ان انتقال الملائكة من حال الى حال ومن مكان الى آخر لا يقتضي له وقت كما مع البشر ولا يكون غالباً تحت مراقبة الناس. وان الاختلاف المشار اليه يخفّ كثيراً ان اتّبعنا اللغة الاصلية اليونانية واللغات الغربية المترجمة عنها في عدم وجود المثنّى واستعمال الجمع بدلاً منه. فالترجمة العربية تقول ركضتا بينما يقال في اليونانية ركضنَ اذ يجوز ان يكون اكثر من اثنتين[1]

---

(١) لنا في التاريخ شاهد شهير للاختلاف الذي ينشأ عن عظم تأثير المخبرين الصادقين في ايراد الخبر الواحد. ولا يخفى انه ليس من واقعة حربية ذكرت في التاريخ اشهر من حرب وُترلو التي فيها كسر الانكليز وحلفاؤهم شوكة نبوليون بونابرت الفرنساوي الذي كاد يومئذٍ ان يستولي على العالم باسره. فلما أُسر نبوليون واحضرهُ القائد المنتصر ولنكتون امام ملكهِ هنري الرابع (الذي انسحب من ساحة القتال جريحاً) سأل الملك عن ساعة اشتباك القتال بين الجيشين ليعلم مدة دوام المعركة. فقال نبوليون "عند الظهر" وقال ولنكتون "قبل الظهر بساعتين" وقال رفيقهُ الجنرال الفا "قبل الظهر بساعة". فهل خطر قط على بال امرٍ المنتقدين ان ينكر وقوع المعركة بسبب هذا الاختلاف في

ثم ان من الامور الجوهرية في المذهب المسيحي حضور يسوع الشخصي الدائم مع تابعيهِ . فهو طبعًا لا يكون حاضرًا كما وعد العالم ما لم يكن قد خرج حيًّا من قبرهِ وما لم يكن اعظم من بشر او ملاك . قال الرسول الفيلسوف بولس "ان لم يكن المسيح قد قام فباطل ايمانكم"(١) . فعلى قيامة يسوع اذًا يتوقف جوهر الديانة المسيحية

ان موتة الحنيفي قبل دفنهِ ثبت اكيدًا لدى خصومهِ الذين ختموا قبرهُ . وثبت لدى انصارهِ الذين كان موتهُ اصعب امرٍ عليهم . وكانوا يتمنون لو امكنهم ان ينكروا ذلك قائلين ان سيدهم لم يَمُت — ثبت موتهُ عندهم لدرجة جعلتهم لا يصدّقون قيامتهُ حتى بعد شهادات مكرّرة . لا بل حتى بعد ما وقف هو في وسطهم فظنّوهُ خيالاً . واخبار البشيرين المتعلقة بالقيامة خالية من التخيلات التي تحاول الإخبار عما جرى لروحهِ منذ بناء جسدهِ في القبر او تختص بكيفية التغيير الذي حصل لجسدهِ بين موتهِ وقيامتهِ او بكيفية عود جسدهِ الى الحياة وخروجهِ من القبر . فلو كان خبر القيامة ملفقًا او وهميًّا لما اقتصر على الامور الواقعة تحت امتحان قوة الحواس الصادقة . لان البشيرين لم يذكروا شيئًا الاَّ ما عاينهُ او سمعهُ شهود صادقون . فمن الملاحظات المهمة ان يسوع لم يخبر شيئًا عن موتهِ وقيامتهِ وكيفيتهما بعد حدوثهما . وان كل ما قيل فيهما هو خبر الآخرين

كان غروب شمس السبت بداءة اليوم الثالث بعد موتهِ فعُدَّ الليل كلهُ من اليوم الثالث حسب الاصطلاح القديم(٢) . اما القيامة فكانت قُبيل نهاية هذا الليل وبدون رؤية احد من البشر . لانهُ لا يوجد من يستحق ان يعاين التغيير المجيد الذي حصل لجسد يسوع المقدس

الرواية ؟ فكيف يحاول البعض افساد حقيقة قيامة يسوع لوجود اختلافات كهذه في اخبار

البشيرين (١) ١كو ١٥: ١٧ (٢) اصم ٣٠: ١٢ و١٣ و٢ اي ١٠: ١٠ و١٣ ومت ١٢: ٤٠ و٢٧: ٦٣ و٦٤ ويو ٢: ١٩

وخرج جسدُه من اكفانه دون رفعها فبقيت ملتفّة في مكانها كما كانت وهي محيطة بجسده. حتى انهُ ذُكر صريحًا ان المنديل الذي كان على رأسه وُجد ملفوفًا (لم يقل مطويًا). وتحرّر جسدُه من القيود الطبيعية فصار يظهر بغتةً دون ان يُرى له قدوم او ان تعيقهُ الحواجز الطبيعية. لذلك حقّ لنا القول انهُ خرج من القبر دون فتحه

وكسرّ كيفية قيامته سرُّ وجود روحه وعملها منذ اقامة جسده في القبر. يظنّ البعض ان هذا السرّ فُسّر في قول بطرس في رسالته عن كرازة يسوع "للارواح التي في السجن"[1]. لكن هذه الآية غامضة لا يعوّل عليها في تأييد هذا التفسير

اتفقَ النساء الامينات ان يأتينَ بالحنوط الذي اعددنهُ مساء الجمعة ويجتمعنَ باكرًا صباح الاحد عند القبر لتجديد التحنيط باتقان[2]. وكان هذا لظنهنّ ان يسوع باقٍ في قبره. فاهتمّ بهنّ مجلس السماء بناء على امانتهنّ وغيرتهنّ في اصعب الاحوال. فلم يكد يبتدئ هذا الاجتماع عند شقّ فجر اليوم الاوّل اي الاحد الّا سبقتهنّ الى القبر الخدمة الملاكية

كنّ قد شاهدنَ في ساعة الدفن الحجر الكبير الذي أُغلق به القبر فتحيّرنَ بكيفية دحرجته ليتمكّن من الوصول الى الجسد. "لانهُ كان عظيمًا جدًّا". لكنهنّ جهلنَ صعوبة أعظم جدًّا وهي فعل الرؤساء بعد مبارحتهنّ القبر. ولاريب انهُ لو اقتربنَ اليه بوجود الحرّاس لاعتبروهنّ آنيات لسرقة الجسد وعاملوهنّ بحسب النظام أقسى معاملة. ولو سُمح لهنّ بالاقتراب ماذا يصنعنَ بختم الحكومة على الحجر؟ لكن بما ان الصعوبة التي يعلمنَ بها لم تثنهنّ عن الواجب الحبّي ازال الله من امامهنّ ليس تلك فقط بل ايضًا ما هو اعظم منها كثيرًا مما يجهلنهُ. وهذه أُخفيت عنهنّ رحمةً بهنّ لئلا تمنعهنّ عن

(١) ١بط ٣:١٩ (٢) ذكر يوحنا مريم المجدلية فقط. وذكر متى معها مريم ام يعقوب (الاصغر) وذكر مرقس معهما سالومة وزاد لوقا يونّا والباقيات

تأدية خدمتهنّ الشريفة . أوَليس اكثر ما تحتبيه عنّا العناية الالهية (اذا لم نقُل كلّه) قد أُخفي رأفةً بنا ؟

فأُرسل ملاكٌ ليفعل ما لا تستطيعهُ النساء حتى ولو اجتمع معهنّ كل تلاميذ يسوع . ونزل ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليهِ . وحدث عند نزولهِ زلزلة عظيمة . فهذه مع دحرجة الحجر وهيئة الملاك الذي كان منظرهُ كالبرق ولباسهُ ابيض كالثلج أرعبت الحراس فارتعدوا وهربوا مذعورين . كأن الارض التي ارتجفت خوفًا عند مفارقة روح يسوع جسدهُ مساء الجمعة اهتزّت طربًا صباح الاحد عند رجوع الروح الى مسكنها المجدّد . وكانت هيئة الملاك البرّاقة ابتهاجًا بالقيامة المجيدة عكس اظلام الشمس في ساعات الصلب

قد سبق البيان ان يسوع لم يفتقر الى ازاحة حجر القبر لكي يخرج من بابهِ ولا يفتقر بعد قيامتهِ الى خدمة ملائكة . فمجيء الملاك كان لاجل النساء المفتقرات ليس فقط الى طرد الحراس وفك ختم الحكومة ودحرجة الحجر بل الى شهادة ملاكية ايضًا لحقيقة القيامة . وبما ان الملاك يقصد ايضًا ايناسهنّ ظهر لهنّ كشابّ جالس عن اليمين لابسًا حلّة بيضاء (١) . ودلّ القول ان الحيرة اخذتهنّ على ان المنظر كان بشريًا اكثر منهُ ملاكيًا وان بياض ثيابهِ لم يكن برّاقًا كما عندما رآهُ الحرّاس "وصاروا كاموات"

كان الحرس الاول على قبر يسوع مؤلّفًا من النساء الموالیات اللواتي ارغمهنّ دخول السبت المقدّس على ترك القبر وحراستهِ . وكان الحرس الثاني مؤلّفًا من جنود الحاكم الارضي المبغضين الذين أُقيموا من قبل رؤساء الكهنة ليمنعوا فتح القبر لئلا يخرج يسوع منهُ خلسةً . ثم انهزموا امام الحرس

(١) ان اتخاذ الملائكة صورة بشرية عند ظهورهم هو خير وسيلة للايناس وبيان محبة الله لجنس البشري وتكريمهُ اياهُ واتخاذهم هيئة لامعة وبيضاء فوق المعتاد ضروري ليُعرفوا انهم رسل القدير آتون من السماء

الثالث الذي ارسلهُ الحاكم السماوي من جنودهِ [1] لانهُ صاحب الامر ويهتم كل الاهتمام بهذا القبر . فارسلهم ليطردوا الحرس الوثني لئلا يدنسوا القبر بعد فتحهِ بدخولهم اليهِ ويعترضوا الزائرين المحبين . ولكي ينقضوا القبر ليحقق هؤلاء انهُ قد قام حقًا كما قال

ففي تدبير الرؤساء الذين قابلوا ضعف تلاميذ يسوع المحتقرين بالقوة النظامية المسلحة وأكدوا النجاح . ثمَّ في فشلهم التام في هذا التدبير صحَّ (مرَّة اخرى) كلام المزمور " تآمر الرؤساء معًا على الرب وعلى مسيحهِ *** الساكن في السموات يضحك . الرب يستهزئ بهم [2] . قصد اليهود بوضع الحراس ان يؤذوا يسوع وتابعيهِ ويعطلوا مشروعهُ . لكن الاله الذي يحصل لاسمهِ حمدًا حتى من غضب الناس [3] جعل هؤلاء الحراس الوثنيين ان يصيروا شهودًا لا يُعترض على شهادتهم بقيامة يسوع الحقيقية

على باب جنة عدن اوقف الله كروبيم دفعًا لدخول الخطأة الى الجنة . اما على باب قبر يسوع الآن فوقف ملاكان تسهيلاً لدخول المؤمنين جنة الفردوس السماوي بواسطة تثبيتهما ايمان المؤمنين بذلك الدفين

بعدَّ عود المسيح الى عالم الاجسام البشرية من الهاوية في عالم الارواح التي مضى اليها [4] بمثابة مجيء ثانٍ . فرافقت الملائكة هذا المجيء كالاوَّل الذي حدث ايضًا في هذه الناحية ذاتها . الاَّ انهم ظهروا ليس لاجلهِ بل لاجل الناس . ذُكرت خدمة الملائكة ليسوع مرتين فقط في حياتهِ . الاولى في برية التجربة بعد صومهِ الطويل وفوزهِ التام . والثانية في ساعة اشدّ آلامهِ في بستان جثسيماني بعد فوزهِ الثاني التام . لكنهم خدموا الآخرين مرارًا عند ولادتهِ وقيامتهِ وصعودهِ . ولا يُستبعد ان جوقًا غير منظور حام حول قبرهِ كما حام

---

(١) سمي الملاك في نبوة دانيال ساهرًا اي حارسًا دا ٤ : ١٣ (٢) مز ٢ : ٤
(٣) مز ٧٦ : ٤ (٤) عب ١ : ٦

حول سريرهِ في بيت لحم (١)

نهضت النساء للمجيء الى القبر والظلام باقٍ وسرنَ الى ان بلغنَ المكان عند طلوع الشمس وعيونهنَّ شاخصات الى القبر من بعيد (٢). ولم تكن ام يسوع معهنَّ لانها كانت في بيت يوحنا الحبيب تستقبل تعزيات من بنجراً من المحبين على زيارتها بمناسبة وفاة ابنها الشهير

اما مريم المجدلية فكانت المتقدّمة في زمرة النساء المتعبدات ليسوع . لان عظمة دَينها لمخلصها ولَّد فيها غيرة ممتازة. ولم تجد من الخدمة والاكرام ما يكفي ليعبّر عن شكرها القلبي للذي فكَّ أسرها القديم من نير سبعة شياطين . (فلو قدّر الفاترون في الدين دَينهم له كما قدّرته المجدلية لأبدل فتورهم وكسلهم في خدمة الدين بحرارة الشكر ومزيد الاجتهاد)

لما وقع نظر مريم على القبر ورأت الحجر مدحرَجًا عن الباب تبادر الى ذهنها سريعًا ان الجسد الكريم قد أُخذ إما من محب او من مبغض (والارجحية تُعطى للمبغضين). فكيف تطيق ان يهين المبغضون هذا الجسد حسب هواهم الوحشي ؟ بناء عليهِ رجعت راكضةً الى المدينة لتخبر العميدَين بطرس ويوحنا ومعهما على الارجح مريم ام يسوع في البيت. ولا عجب ان المجدلية خصَّصت هذا البيت اولاً لاجل استنجادها وتبليغها الواقع

يُلاحَظ الفرق بين يهوذا وبطرس . فالأوّل بعد سقوطهِ الهائل لم يَعُد الى رفقائهِ الرسل مع كونهِ ندم كل الندم على ما فعل . اما الثاني مع ان سقوطهُ يضارع الاوّل عاد عن ندمهِ الى رفقة محبي السيد الذي انكرهُ. فنراهُ

---

(١) تظهر الملائكة وتختفي فجأة اتباعًا للتعليمات الالهية لهم . وقد يوجدون فعلاً حيث لا يرون وقد يظهرون في المحل والوقت الواحد لبعض الحاضرين دون غيرهم

(٢) ان توفيق الخبرين المتعلقين بوقت مجيئهنَّ ليس بعيدًا ايضاً اذا حسبنا ان النساء اتينَ فرقتين الواحدة "والظلام باقٍ" والاخرى عندما "طلعت الشمس" او اذا حسبنا ان الظلام كان باقيًا لما نهضنَ لمجيء فلم يبلغنَ المكان الاَّ عند طلوع الشمس

الآن ملتصقًا بيوحنا رفيقهِ الخصوصي بين الرسل

حالما ابلغت المجدلية الرسولين خبرها المزعج بهذا الكلام: "اخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم اين وضعوهُ"[1] ركض الرسولان الى القبر مدفوعَين بمزيد المحبة والغيرة والاهتمام مع مزيد الكدر ايضًا[2]. وسبق يوحنا بطرس لكونهِ اصغر منهُ سنًّا وانشط جسمًا. وعند وصولهِ انحنى ليرى داخل القبر دون ان يدخل. وتبعهُ بطرس الحادّ الطبع العجول في القول والعمل. ولم يكتفِ بنظرةٍ من بعيد بل دخل القبر ليفحص بالتدقيق لعلهُ يجد سببًا يفسّر فقدان الجسد

فاثّرت قدوتهُ في رفيقهِ يوحنا. فدخل وراءهُ وفحصا معًا المكان ورأيا هيئة الاكفان الغريبة وبرهان اليد الالهية الظاهر في بقاء منديل الرأس منفصلاً عن الاكفان كما هي العادة في التكفين. وبعد المشاهدة "مضى بطرس متعجبًا في نفسهِ مما كان". "اما يوحنا فرأى وآمن". وصار بكر المؤمنين بالقيامة. لان بطرس لم يؤمن بعد. يوحنا آمن لكن بعد ان رأى الادلة الواضحة على كون غياب الجسد لم يكن مسببًا عن عمل بشري بل عن قيامة يسوع. وكان متوجبًا عليهما ان يؤمنا بدون ان يريا. لان النبوات في الكتاب عندهما وانباء يسوع المكرّر بموتهِ وقيامتهِ يكفيان سندًا للايمان. فالذي آمن اولاً اعترف عن نفسهِ وعن رفقائهِ انهم لم يكونوا بعد "يعرفون الكتاب". لذلك لم يهتدوا حالاً الى حقيقة القيامة

لاحظ يوحنا وبطرس ان هيئة الاكفان المرتبة جيدًا ومجرّد بقائها في القبر بينة كافية على ان عدم وجود الجسد لا يُعزى الى يد اثيمة او معادية. ويعلمان جيدًا ان ليس بين المحبين مَن أخذ الجسد من القبر. فانّ الاكفان

(١) اشارت بضمير الجمع الى رفيقاتها اللواتي تركنهنّ عند القبر المفتوح

(٢) لوقا البشير يذكر ذهاب بطرس الى القبر دون ذكر رفيقهِ يوحنا

(٣) لعلهُ ابى ان يتعرّض بدخولهِ للتنجس الطقسي

الغاية من ذكرها اي اقناع الرسولَين بان يسوع قد قام حقًّا ويقينًا

ان القبر الفارغ امر محسوس لا يقبل الريب . فالمبغضون يهتمّون ليفسدوا القول انهُ قام . فان اخذوا الجسد لا ينالون غايتهم الاَّ باظهارهِ والافتخار بان خصمهم يسوع كان حقًّا مضلاً . لان جسدُ الميت بين ايديهم . والمحبون لا يجدون سبيلاً الى اخذهِ . لان ضعفهم ويأسهم وختم الحكومة والحراس وسطوة خصومهم موانع كافية تحول دون ذلك . ولو فرضنا انهم تمكنوا من سرقة الجسد حسب تهمة اليهود لكي يدّعوا انهُ قام لكان اعترافهم (انهم لم يصدّقوا قيامتهُ) مستحيلاً . فهل يُعقل انهم يفعلون فعلاً لاثبات القيامة ثمَّ ينكرونها بعد وقوعها وشيوع خبرها كما فعلوا في اول الامر ؟

ثم رجع التلميذان الى محلهما . اما النساء فمكثنَ عند القبر ثمَّ دخلنهُ . وفيما هنَّ محتارات في امر فقدان الجسد ظهر لهنَّ الملاك فاندهشنَ . فلما رأى الملاك دهشتهنَّ طمأنهنَّ واظهر انهُ يعرف غايتهنَّ وان يسوع أتمَّ وعدهُ وقام . ثمَّ دعاهنَّ لينظرنَ الموضع الذي كان نائمًا فيهِ ملك المجد . وسمَّاهُ يسوع المصلوب وفي الوقت ذاتهِ سمَّاهُ الرب . وبينما هنَّ "خائفات ومنكسات وجوههنَّ الى الارض" ظهر لهنَّ ملاكان بثياب برَّاقة . ووبَّخاهنَّ لانهنَّ يطلبنَ الحيَّ بين الاموات[1] . وبدعوتهما اياهنَّ ان ينظرنَ الموضع الذي كان الجسد مضطجعًا فيهِ اعتبرا حاسَّة البصر كشاهد مهمّ لتحقيق المعجزة الناتئة . ثم امرهنَّ بالاسراع الى التلاميذ (مخصصين منهم الرسول الساقط الحزين بطرس) ليبشرنهم بقيامة سيدهم ويخبرنهم بانهُ يسبقهم الى الجليل وهناك يرونهُ حسب وعدهِ لهم[2]

فخرجنَ سريعًا من القبر وهربنَ من المكان بخوف من الجهة الواحدة

---

(١) يصح ان يوبخ ذلك التوبيخ عينهُ كل الذين يندبون موتاهم المؤمنين كأن ارواحهم مع اجسادهم في القبر مع انها تحيا عند الله (ادي في لوقا ٢٢٧)

(٢) مت ٢٦ : ٣٢ ومر ١٤ : ٢٨

بسبب هذه الظهورات الغريبة التي لاسوابق لها . وبفرح عظيم من الجهة الاخرى لان سيدهنّ حيًّا قام. وساقهنّ هذا الخوف مع هذا الفرح حتى ذهبنَ راكضات لابلاغ الخبر للتلاميذ سريعًا. يلاحَظ ان كل من سار في هذا الصباح كان بركض سواء كان من النساء المتقدمات في السنّ والمال والمقام او من الرسل الموقّرين . لان هيجان الافكار والقلوب كان عظيمًا جدًّا

لما خرج لعازر من قبرهِ بقوّة يسوع خرج بجسد الموت الذي مات فيهِ فلم يترك اكفانهُ في قبرهِ . لكن جسد يسوع الجديد المجّد لم ترافقهُ الاكفان من قبرهِ ولا ذُكِر بعدئذٍ من امرها شيء[1]. فاكفان يسوع تشبه صفحات تاريخهِ. نام فيها حينًا لكنّ الذين فتشوا عنهُ فيها لم يجدوهُ. لانهُ كان حاضرًا بينهم حيًّا غير منظور . والذين يفتشون عن يسوع في التاريخ كما عن سِيَر المشاهير القدماء لا يجدونهُ لانهُ حاضر بينهم حيًّا غير منظور والتاريخ لا يُريهِ كما هو بل تُريهِ عين الايمان فقط. ولا يعرف احد المسيح الاَّ باختبار حضورهِ المبارك معهُ شخصيًّا. وتجديد الاختبار ضروري لان الماضي منهُ لا يفي بالمطلوب. نرى ذلك في تلاميذ يسوع. لان اختبارهم بيسوع قبل موتهِ لم يفِ بالمطلوب بعد قيامتهِ واختبارهم الماضي صوَّرهُ لهم في قبرهِ . فاقتضى لهم اختبار جديد برؤيتهم اياهُ في جسد مجدهِ[2]

(١) الاخبار التقليدية تؤيد القول بانهُ لو كان الخبر ملفقًا لكان ولا بدَّ ورد ذكرٌ آخر لهذه الاكفان الثمينة من الكتان التي تقدمة يوسف الرامي ونيقودموس العظيمين

(٢) يعترف المجد الشهير الكاتب الالماني ستروس بعجزهِ عن ايجاد سبب معقول للنهضة المسيحية العظيمة التي عقبت صلب يسوع بوقت قريب. ومع انهُ درس هذا الموضوع بكل تدقيق وألف كتابًا شهيرًا علميًّا في حياة يسوع جرَّدهُ من كل تصديق للمعجزات كما جرَّدهُ من كل لمحة عن تفوّق طبيعة يسوع على البشرية عجز عن تقديم سبب معقول للنهضة المسيحية كما مرَّ . ولكن ما دام الانجيل يقدّم لنا سببًا كافيًا ومعقولاً بشرط تصديق القيامة . ويعجز المنتقدون عن ايجاد تفسير آخر لحادث التاريخ الشهير الذي هو نشوء الكنيسة المسيحية وانتشارها العجيب في كل العالم وفي ايام الرسل أفلا يجدر بكل مخلص ان يصدّق خبر القيامة بدون ريب

الفصل الخمسون

(مت ٢٨: ٩-١٥ مر ١٦: ٩-١١ يو ٢٠: ١١-١٨)

(المرصّع) ف ٥٠ (الزمان) الاحد في ٩ نيسان السنة ٣٠م
(المكان) اورشليم

ظهور يسوع للمجدلية اولاً . ظهورهُ الثاني للمريمين . اخبار النساء التلاميذ بقيامتهِ
رشوا الحراس ليقدموا تقريرًا كاذبًا . تحقيق القيامة بعد الموت الحقيقي
شك التلاميذ بقيامتهِ . الاعتماد على شهادة الحواسّ

كانت مريم المجدلية قد عادت الى القبر المقدّس بعد اخبارها التلميذَين . فاخذها البكاء الشديد عند باب القبر . وصحّ معنى اسمها (١) . وانحنت لتنظر لاوّل مرّة داخل القبر . فما كان اعظم عجبها لرؤيتها الملاكَين جالسَين وجهًا لوجه عند طرفَي القبر نظير الكروبَين اللذين كانا على غطاء تابوت العهد الرمز المهم في الهيكل القديم الى شخص المسيح (٢) . لم يُذكر انها دُهشت كغيرها او جزعت عند رؤية الملاكَين لان تأثير الحزن الشديد في فؤادها لم يترك للخوف مجالاً

اما سبب عدم ظهور الملاكَين لبطرس ويوحنا لما دخلا القبر فلعلّهُ كان

---

(١) اي مرارة (٢) كان على طرَفَي غطاء ذلك التابوت كروبان من ذهب واقفان وجهًا لوجه وجناحاهما كلٌّ منهما ممتدان نحو الآخر كانهما يحرسان الاقداس المخبوءة في التابوت

يُطلَب منها الايمان دون هذه الرؤية بالنظر الى الوسائط الممتازة للمعرفة والايمان التي حصلا عليها بمعية هذا المعلم . فلما سأل الملاكان مريم عن سبب بكائها اعادت كلامها للرسولَين . نراها في شدّة حزنها مثال الذين لقصر نظرهم يبكون وينوحون في ظروف موجبة حقًّا للسرور . لانها بكت لفراغ القبر . وكان هذا الامر اعظم داعٍ للسرور والابتهاج لو عرفت الحقيقة . فكم مرّة في حياتنا ندبنا امورًا حسبناها مصائب وهي بالحقيقة بركات

الظاهر ان رفيقاتها كنّ قد ابتعدنَ عنها وانها لم تعلم بظهور الملاكَين لهنّ . اما يسوع فكافأها على امانتها وشكرها الحبي بان اعطاها فوق طلبها كثيرًا جدًّا كعادتهِ مع محبيهِ . طلبت الجسد الميت لتكرمهُ . فنالت ظهورهُ حيًّا قبل ظهورهِ لاحدٍ غيرها . لانها لم تكد تجيب الملاك حتى سمعت ما جعلها تلتفت الى الوراء . فنظرت رجلاً بهيئة بسيطة حسبتهُ حارس البستان سألها (كأنهُ لا يعرفها) "يا امرأة لماذا تبكين ؟ مَن تطلبين" ؟ وقد سبق الانتباه الى خطة يسوع في مخاطباتهِ الشخصية . اي ان يستنطق قبل ان يعلّم

في هذا السؤال المزدوج بعض التبكيت لكون كلامهِ المكرّر عن قيامتهِ لم يرسخ في ذهنها . فلظنها ان صاحب البستان لم يشأ ابقاء الجسد في القبر الذي نحتهُ لنفسهِ . وانهُ امر بستانيهُ بنقلهِ اجابت على سؤالهِ انها مستعدّة ان تستلم الجسد وتجد لهُ قبرًا آخر مناسبًا . وربما حوّلت نظرها عنهُ منتظرة جوابهُ . لان هيئتهُ لم تكن كهيئة يسوع تمامًا مع انهُ يسوع . فنال لها "يا مريم" ربما بذات الصوت الذي ألفتهُ مدّة اتباعها اياهُ . هو الراعي الصالح الذي يدعو خرافهُ الخاصة باسمائها . وخاصتهُ تعرفهُ . فلما دعاها باسمها عرفتهُ والتفتت وكل عواطفها متيقظة . وقصدت ان تقبّل قدميهِ . ونادتهُ "ربوني" اي "يا معلمي"

اما يسوع فاوقفها عن هذه الحركة لكي يشعرها حالاً بالتغيُّر الكلي الناتج عن قيامتهِ . وان وجودهُ مع تلاميذهِ لا يكون اعتياديًّا كما في الماضي حتى

يجوز ان يتمسكوا بهِ جسديًّا واظهر لها سببًا بقولهِ "لاني لم اصعد بعد الى ابي"(١) اراد ان يفهمها ويفهم العالم بواسطتها ان التمسُّك بهِ الواجب والمهم هو التمسك الروحيّ لا الجسديّ . فعلى شعبهِ المسيحي ان يتعلم ذلك . وان لا يصرّ على التمسُّك بحضورهِ جسديًّا في العشاء الرباني . "لان الله روح والذين يسجدون لهُ فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا"(٢) . وان لا يطلبوا تمثيلاً خارجيًّا او حضورًا محسوسًا . وامرها ان تذهب حالاً وتبشّر تلاميذهُ بانها نظرتهُ قد قام وانهُ يصعد قريبًا الى الله ابيهِ (في طبيعتهِ الالهية) والههِ (في طبيعتهِ البشرية)

في امرهِ بالتبشير عند ظهورهِ الاوّل دليل على اهمية هذا الفرع من الواجب. اي ان ما نراهُ او نسمعهُ ونقبلهُ من الخير من عند الله علينا ان نعلنهُ للآخرين . امر بالتبشير ليس بقيامتهِ فقط بل ايضًا بصعودهِ العتيد. وشرَّف تلاميذهُ بلقب جديد دلَّ على لطفهِ وتواضعهِ. دعاهم قبلاً تلاميذهُ واصدقاءهُ واحباءهُ . اما الآن لاوّل مرَّة يدعوهم "اخوتي"

اخوة يوسف خانوهُ وباعوهُ الى مصر. فلما زاروهُ في مجدهِ كناني الملك وصاروا في قبضة يدهِ وكلمهم بصرامة ثم عرفوا انهُ يوسف ذابت قلوبهم خوفًا لظنهم انهُ يجازيهم على اساءتهم اليهِ . لكنهُ طمأنهم حالاً بقولهِ لهم "انا يوسف اخوكم . لا تتأسفوا ولا تغتاظوا" (اي على انفسكم لما فعلتم) . ويسوع يعلم ان الذين تركوهُ جميعًا وهربوا والذي انكرهُ يكونون في خطر اليأس والخوف

---

(١) اخذنا قول البشير مرقس ان يسوع ظهر اولاً لمريم المجدلية كما يفسّرهُ يوحنا فم الذهب والقديس كيرلس وغيرهما حسب معنى هذه العبارة الظاهر . اي ان ليس احد رأى يسوع بعد قيامتهِ قبل مريم في هذا الحادث . ويرتئي هؤلاء ان المريَين لم تكونا وحدهما في الزيارة الاولى للقبر وان المجدلية رجعت تخبر بطرس ويوحنا قبل ظهور الملائكة لرفيقاتها. اما المفسرون الذين يقدّمون ظهورهُ للنساء غير مريم على ظهورهِ لها فيأخذون قول مرقس بمعنى ان ظهورهُ لمريم كان اول الظهورات الثلاث التي اقتصر مرقس على ذكرها

(٢) يوحنا ٤: ٢٤

الشديد متى عرفوا انهُ قام من الموت وربما يعاملهم كما يستحقون . لذلك اراد ان يطمئنهم حالاً بهذا اللقب الجديد . "اخوتي"

والامر الاعجب ان هذا اللقب لا يصحّ الاَّ بمعنى روحيّ . فاعظم الحب الذي جعلهُ يحتضنهم كإخوة بالمعنى الروحي بعد كل ما صدر منهم مما ينافي هذه الاخوية الروحية لهُ . وما اعظم التواضع الذي فعل ذلك بعد ما حصل لهُ من التمجيد الجديد والترفُّع عنهم بالنسبة الى الماضي . الاَّ انهُ لم يمكنهُ ان يشملهم معهُ بصيغة الجمع ليقول اصعد الى ابينا والهنا . بل حافظ على التفرُّد بقولهِ "ابي وابيكم والهي والهكم" (١) . لان الله ابوهُ بالولادة روحيًّا كما قال في المزمور "انت ابني انا اليوم ولدتك" (٢) لكنهُ ابوهم بالتبني الروحي

ظهر يسوع ظهورهُ الثاني كالاوَّل ليس لرسلهِ ولا لرجال من تابعيهِ بل للنساء وهنَّ ذاهبات راكضات ليتممنَ وصية الملائكة ويبشرنَ التلاميذ بالقيامة (٣) . وبعد المثالة التي علَّمها لمريم وانضمام رفيقاتها اليها لم يرَ يسوع مانعًا من لمس قدميهِ بقبلة الاحترام مع سجودهنَّ لهُ . لكنهُ لم يسمح لمن باطالة السجود لان اتمام اوامرهِ السابقة بالتبشير التي كرَّرها الآن أهمّ من السجود (٤) .

فتمَّمنَ ذلك بإخبار الرسل الاحد عشر ومَن معهم إما وهم مجتمعون او على انفراد . ولأن بطرس ويوحنا قد اخذا البراهين الحسية بذاتها يجوز

---

(١) اشار الرسول الى ذلك بقولهِ "لان المقدِّس والمقدَّسين جميعهم من واحد فلهذا السبب لا يستحي ان يدعوهم اخوةً قائلاً أُخبر باسمك اخوتي وفي وسط الكنيسة اسبحك" عب ٢: ١١ و١٢ (٢) مز ٢: ٧ (٣) يحتمل من قول متى ان مريم المجدلية كانت معهنَّ . لكن هذا غير واضح اذا اضفنا اخبار البشيرين الآخرين ايضاً . لانهُ عندما نقرأ في العربية ان يسوع لاقاها وقال سلامٌ لكما صار القول اضطراريًّا عن اثنتين فقط . لكن في اليونانية لعدم وجود صيغة المثنى نقرأ لاقاهنَّ وقال سلامٌ لكنَّ مما يجوز اطلاقهُ على اثنتين او اكثر (٤) اراد يسوع ان يرجع التلاميذ الى اوطانهم ويشهدوا هناك بقيامتهِ قبل ان يكونوا في اورشليم لاجل حلول الروح القدس عليهم

استثناءهما من قول البشير انهم "لم يصدقوهنّ ولاسيما قولهنّ انهنّ قد رأين يسوع" بل نسبوا اليهنّ "الهذيان"

يُلاحظ كيف حوّلت العناية الالهية عدم تصديق الرسل الى اعظم بركة. لان ذلك اصبح من أهمّ البراهين الدامغة على صدق القيامة كما سبق القول. قال احد المفسّرين ان شكوك الرسل لم تزُل الاّ شيئًا فشيئًا عند توالي البراهين القاطعة. فشكّهم الاوّل يقوّي ثقتنا بشهادتهم بعد تيقنهم. شكّوا وقتًا قصيرًا لكي لا نشكّ ابدًا[1]. فالذين اصرّوا طويلاً على عدم التصديق لم يؤمنوا اخيرًا (بهذا الايمان الحار) ويجاهدوا ويخاطروا في نشر هذه الحقيقة الاّ كانوا قد أخذوا براهين قاطعة لاقناعهم ولمن يأتي بعدهم

طار صباحًا خبر قيامة يسوع على سلكين. سلك بشارة النساء المنعشة لمحبيه وسلك رواية الحراس المزعجة لمبغضيه. يظهر ان الحرّاس لما هربوا خوفًا لم يرجعوا الى المدينة لئلا يُعرف امرهم فيجازون على فتح القبر[2]. فلم يبلغوا رؤساء الجند والوالي. بل ذهبوا الى البرّ وارسلوا بعضًا منهم ليبلغوا بمزيد التحفّظ رؤساء اليهود. فاضطرب هولاء لخبر قيامة يسوع المرفوقة بالآيات كما اضطربوا سابقًا مع كل سكان المدينة لخبر ولادته الذي اتاهم به المجوس. فهل خافوا ان ينتقم منهم بقوته الجديدة؟ ام هل توقعوا هبوطًا عظيمًا في سطوتهم وكرامتهم وارباحهم. لانهم يظنون طبعًا ان يسوع يعود الى اكثر من اعماله السابقة بين الشعب. فان كان انحياز الشعب اليه سابقًا جعل الرؤساء يقولون "هوذا العالم قد ذهب وراءه" انظروا انكم لا تنفعون شيئًا" فماذا يكون من امره الآن؟

فبناء على انه لم يظهر الاّ لتلاميذه بعد قيامته ولم يجدوا له اثرًا بين عموم الناس يمكنهم التمويه على الشعب بانكار قيامته. ولكن بما انه لا يمكنهم الانكار في

(١) ادي في مرقس ٥٦١ (٢) نعلم ان الحرس الروماني اذا أخلّ بواجبات حراسته كان يجازى بالاعدام اع ١٢: ١٩

قلوبهم كم يكون غيظهم شديداً لفشلهم بعد كل ما فعلوا ليميتوهُ ويتخلصوا من تأثيرهِ . وبالاحرى لانهم لا يجدون سبيلاً لتجديد النبض عليهِ. لذلك طلب رؤساء الكهنة الشيوخ وعقدوا مجمعاً للتبصر في خبر الحراس وما يتأتى عنهُ . وقرروا ارشاءهم ليشهدوا على تلاميذ يسوع ثمّ على انفسهم شهادة زور

فنرى هؤلاء من ارباب الدين ينكثون بيمينهم المقدس بان يحافظوا على الوصايا والناموس. ولا يخجلون ان يعلّموا العسكر الروماني بل ان يرشوهم بمال كثير ليؤدّوا شهادة الزور هذه المزدوجة مخالفين الوصية التاسعة من وصايا الله العشر . وعند اعتراض الحراس بان اقرارهم بعدم الامانة لكونهم ناموا يوقعهم في اشد الخطر من معاقبة الوالي اياهم بالاعدام طمأنوهم بان نفوذهم مع الوالي يكفل سلامتهم فيما لو بلغهُ هذا الخبر . قد يعنون بذلك انهم لعلمهم انهُ يرتشي يرشونهُ ليغضّ الطرف عن زلتهم هذه

حقًّا متى علّم رؤساء الدين الالهي شعبهم ارتكاب المنكرات يتوغّل الشعب في المعاصي ويجلبون على رؤوسهم دينونة مخيفة . اظهر الرؤساء استعدادهم ليرشوا الحكام وهذه المرّة الرابعة لانهم رشوا يهوذا يوم الثلاثا ثمّ الشهود يوم الجمعة ثم الحراس يوم الاحد . فلو كان إقدام الناس على السخاء في الاعمال الخيرية يضارع ما يفعلونهُ في ارشاء الحكام لكان يجري الخير في البلاد انهارًا لا قطرات

وكم كانت غباوة الرؤساء وبساطة الحراس في تعليمهم اياهم ان يدّعوا بمعرفة ما حدث للجسد بينما هم نيام . وزادت خطيئتهم لان قيامة يسوع كانت بقوة الروح القدس ونسبوها الى السرقة[1] . فصار عملهم من نوع التجديف على الروح القدس نظير ما فعلوهُ لما نسبوا قوة يسوع في المعجزات الى رئيس الشياطين . وماذا يقال عن هؤلاء الذين كرّروا قولهم ليسوع انهم يؤمنون

(١) قال احد المفسرين ان مجمع اليهود قتل يسوع والآن حاولوا (بارشاء الحراس) قتل حقيقة قيامتهِ وهذا القتل اقطع من ذاك

بو ان اعظم آية من السماء . فاية آية من السماء يمكننا ان نتصوّرها اعظم من آية قيامتو وما رافقها من الآيات الفائقة ، واي هو اعظم ان ينزل عن الصليب وهو حيٌّ كما طلبوا منهُ او ان يقوم من القبر في اليوم الثالث بعد موتو ؟

لو كان الايمان متوقفًا على البيّنات لآمنوا لامحالة . لان البينات كانت متواصلة ومتزايدة مدّة الثلاث سنين حتى انتهت في اعظمها اي قيامتو . ألم يقُل يسوع في مَثَل الغني ولعازر ان الذين لا يؤمنون بواسطة موسى والانبياء لا يؤمنون ولو قام واحد من الاموات[1] ؟ فليس الايمان ثمر البينات وحدها لان الشياطين "يؤمنون (الايمان العقلي المتوقف على البراهين) ويقشعرُّون"[2] الايمان الذي بو الخلاص يتوقف على حالة **القلب** اكثر من حالة **الراس** . والمنطق وحدهُ مهما كان دقيقًا وصادقًا لا يوصل الى السماء . ليس في الاحتجاج الديني العقلي اكثر من التمهيد لنعل الايمان الحقيقي المحيي . فلا يتوهم صاحب الحجج الراهنة والبراهين الدامغة ان يربح النفوس بمجرّد الجدال مهما كانت معارفهُ سامية ولسانهُ طلقًا في البيان

الحراس ايضًا اخذوا بينات كافية للايمان . لكنهم ليس فقط لم يؤمنوا بل تواطأوا مع الرؤساء ليمنعوا العالم عن الايمان . اعطى يسوع اليهود البراهين السابقة الكثيرة ولا سيما المتعلقة بصليبو كمقدّمة لما في قيامتو من البرهان الباهر على طبيعتو الالهية ووظيفتو الخلاصية تحقيقًا لكونو مسيحهم . والذي ضاعف قوّة البرهان في قيامتو انباؤهُ اياهم بذلك قبلاً وتكرارًا مستشهدًا بآية يونان النبي . فبرفضهم اياهُ رفضوا الرجاء الوحيد الباقي لهم لكي ينالوا نصيبًا في المواعيد للآباء والانبياء . وبقتلهم اياهُ لم يقتلوا قتلاً عاديًا بل قتلوا مسيحهم وقتلوا معهُ كل الخير الذي كان لهم فيو كأُمّة

امّا اثبت البراهين لحقيقة قيامة يسوع فجاء في الحوادث التابعة صعودهُ

(١) لو ١٦: ٢١ (٢) يع ٢: ١٩

ولم تذكر في البشائر الأ تلميحًا . اي انهُ بعد صلبهِ بسبعة اسابيع فقط نرى رسلهُ يجاهرون امام الجموع المتجمهرة في اورشليم ذاتها بحقيقة قيامتهِ . ويبكتون الرؤساء صراحةً في مركز سطوتهم على قتل يسوع الذي اقامهُ الله من الاموات . ونرى الالوف يؤمنون حالاً بتأثير هذه المجاهرة وتأثير الآيات التي فعلها رسلهُ ونسبوها الى قوَّة سيدهم الذي قام من قبرهِ مجدَّدًا[1] . فلو كان تكذيب خبر القيامة ممكنًا لما استطاع الرسل تلك المجاهرة . ولو لم يقم يسوع حقًّا لما تجرَّأوا ان يتظاهروا

ثمَّ بعد وقت قصير ظهر يسوع على صورة عجيبة لألدّ خصومهِ اي لشاب من علماء الفريسيين خصَّص ذاتهُ لتعقُّب شرذمة المسيحيين وملاشاتها وهو شاول الطرسوسي الذي ظهر لهُ يسوع بعد قيامتهِ بزمان قصير . فآمن بهِ ايمانًا ثابتًا . حتى انهُ بعد تغيُّرهِ النجائي فاق الرسل الاصليين في الغيرة والنشاط والنجاح بالتبشير بيسوع وقيامتهِ . فعيَّنهُ الروح الالهي رسولاً صار يُعرَف باسم "بولس الرسول العظيم"

احتجَّ الفيلسوف اليوناني سلسوس في نحو السنة ١٧٠م ضد حقيقة القيامة مدَّعيًا ان يسوع لم يمت موتًا حقيقيًّا . ولولا الردّ على ضلالهِ الذي كتبهُ القديس اوريجنس أحد معاصريهِ المسيحيين لكان العالم نسي هذا العالِم وكتاباتهِ . وقد عدل العلماء المعارضون عن هذه الحجة السخيفة في انكارهم القيامة . لانهُ يُطلب من القائلين انهُ لم يمت بل وقع في سبات يبان معقول على كيفية خروجهِ من قبر مسدود بحجر كبير جدًّا ومختوم بختم الحكومة ومحروس بجنودها . ويُطلب منهم تفسير اختفائهِ عن العموم تمامًا وعن تلاميذهِ تدريجًا وهو الذي ملأت شهرتهُ كل البلاد . فكيف تمكن تلاميذهُ من الادّعاء بانهم عاينوهُ متغيرًا تمامًا واخيرًا صاعدًا الى السماء . ويُطلب منهم ان يبينوا اتفاق صفات

(١) تستحق هذه الاخبار نظرًا خصوصيًّا مدققًا انظر اع ١:١٥ و٢٢ و٣:١-٦ و١٢ و١٤ و٢٢-٢٧ و٢١ و٢٢

يسوع الادبية الممتازة مع حيلة كهنة لنشر خبر كاذب بموته وقيامته . فلا يقبل منصف القول بان القيامة ليست حقيقية بحجة ان الموت لم يكن حقيقيًا

ولا يُعقل ان الرؤساء المبغضين الذين قاسوا عناء شديدًا لاجل قتل يسوع يسكتون عن تلاميذ سرقوا الجسد ومكثوا في العاصمة اسبوعًا على الاقل بعد تلفيق الرؤساء هذه التهمة . ولا ان يسكتوا عن حراس اقاموهم ليمنعوا التلاميذ عن عمل كهذا الذي قالوا فيه انهُ "يكون ضلالةً اشرّ من الاولى"

ولو تجاسر تلاميذهُ فوق المعقول وتوفقوا فوق المأمول ماذا يربحون من سرقة الجسد ؟ لان من يصدّق قولهم بقيامة سيدهم لمجرّد فروغ القبر من جسدهِ ؟ وباي عين يجعلون قيامتهُ اساس وعظهم امام قاتليهِ وليس لديهم برهان الاَّ وجود القبر فارغًا ؟ هذا ولم يظهر منهم بعدئذٍ ضعف عقل او ركاكة تسوّغ اتهامهم بجهالة كهنة اي سرقة الجسد لكي يقولوا انهُ قام

ثم ان المحبين الذين يسرقون الجسد بوجود الحرّاس (على فرض نوم هؤلاء كما قال اليهود) لا يجرأون ان يبقوا في القبر فوق الدقائق الضرورية لاخذ الجسد . فلا يمكن ان يعتنوا برفع الاكفان عن الجسد ثم يضعوها ملفوفة بترتيب . واي عاقل يسلّم بانهم يسرقون الجسد ويتركون لاعدائهِ واعدائهم الاكفان الثمينة ؟ وكيف يرفعون حجرًا كهذا بدون ايقاظ الحراس ؟ وكيف يسرقون الجسد ثمّ يأتي قوّادهم من الرسل تصديق قيامتهِ وينسبون الهذيان الى النساء القائلات بها ؟ وسيأتي خبر عدم تصديقهم بعد البينات المكررة

وكيف يسرق التلاميذ جسدهُ ليلاً ويتوجه صباحًا النساء اللواتي كنّ في مقدّمة تابعيهِ وبعضهنّ والدات لبعض الرسل آخذات الحنوط الى القبر ؟

ثم ان الصفات والمبادئ السامية القويمة التي اشتهر بها تلاميذهُ سريعًا بعد موتهِ واستشهادهم دون تردُّد انتصارًا لقيامتهِ امور لا تتفق مطلقًا مع اتهامهم بحيلة كاذبة عظيمة لهذه الدرجة . فان من الاسباب الموجبة لهذه

الايضاحات إصرار اليهود من ذلك الزمن الى الآن على القول بان جسد يسوع سُرِقَ من قبرهِ . فتصديقهم هذه الخرافة الغير المعقولة يكون من باب العمى الروحي الذي وبخهم يسوع لاجلهِ

اما الظن ان الاعداء أخذوا الجسد من القبر حتى وُجد فارغًا فهو خطأٌ معقول في حينهِ . لان سلطتهم على الحرّاس وعلى ختم الحكومة ورجالها كافية لتمكنهم من هذا العمل . ومرامهم يسوقهم اليهِ . فالتلاميذ انقادوا في بادئ الامر الى هذا الخطإ . لكنهُ تفنّد سريعًا . لان غرض الاعداء لا يتمّ في سرقة الجسد ما لم يبرزوهُ للعموم حالاً ليبرهنوا ان يسوع كان حقًّا مضلاً اذ انهُ لم يقم كما قال

اما الفرض الآخر بان يسوع بات كغيرهِ في قبرهِ . وان خبر قيامتهِ وهمٌ تصوّرهُ مريدوهُ فغير معقول ايضًا بدليل تاكيد مريديهِ انهم لم يصدّقوا قيامتهُ الاّ بصعوبة كلية وبعد براهين متعدّدة . ولو صحّ الزعم الآخر ان التلاميذ اخترعوا خبر القيامة لكي يثبتوا بعض الاشارات النبوية في التوراة لما ورد في خبر القيامة انهم لم يفهموا الكتب . ولا سيما تلك الاشارات الاّ بعد ان رأوهُ حيًّا

ولو كانت القصة اختلاقًا لصوّر الرواة لامحالة ظهور يسوع لغير تلاميذهِ ليزيد برهان ما يدّعونهُ . ولما خطر لهم على بال ان يحصروا ظهورهُ بهؤلاء . لان المختلق الذكي لا يترك هذا الباب مفتوحًا . ونعلم من التاريخ ان هذا الانتقاد حصل باكرًا من اضداد المسيحية . اما الذين يقولون باستحالة المعجزات تمامًا فيضطرُّون طبعًا لانكار القيامة التي هي اعظمها

لكننا نعتقد ان الخبر الديني الوهمي وان كان قد يسود كثيرًا ويدوم طويلاً قبل اضمحلالهِ لا يمكن ان يفعل الافعال الخطيرة التي فعلها جيلاً بعد جيل خبر قيامة يسوع . ولو كان ممكنًا ان يطلع الوهم فلاح حقيقة القيامة لضعفت كثيرًا اهمية الفصل بين الحقيقة والوهم

والذين يفسّرون ان المخبرين بالقيامة لم يختلقوا الخبر . لانهم رجال صالحون صادقون لكنهم رأوا روّى ظنّوها حقيقة . يعرّضون تفسيرهم لقولنا السابق في مفعول الامور الوهمية حتى الرؤيا منها . امـا ان كانت الرؤيا صادقة فرأوا روحهُ بعد موته فلا يقل ذلك عجبًا عن رؤية جسده

لكن لا يُغفَل عن ان تحقيق قيامة يسوع لم يبتدئ بمشاهدة شخصه ليصح القول انهُ رؤيا . بل ابتدأ بالبرهان الحسي في فراغ قبرهِ . ومعلوم ان الرؤيا الوهمية تأتي الانسان طبقًا لتصوراتهِ في اليقظة . اما التصوُّر بقيامة يسوع فكان بعيدًا عن كل استعداداتهم السابقة . ونعود الى القول بان البشيرين لم يوردوا خبرًا من الاخبار التخيّلية بل اقتصروا على ما هو تحت حكم حاسات البصر والسمع واللمس . وبذلك ختموا على اهمية شهادة الحواس في الدين . نعلم ان الرسل ذواتهم فرضوا فرض الرؤيا لمّـا ظهر يسوع فالزمهم ان يلمسوهُ ويطعموهُ لكي يعرفوا ان ظنهم بانهُ خيال هو الوهم

كان الرسل في وعظهم يعودون الى حقيقة القيامة دون معجزة أُخرى كشهادة بان يسوع ابن الله وعلى تصديق القيامة يتوقف تصديق المعجزات كافةً . التي تهون كلها في معية القيامة . وقوّة قيامة يسوع التي اشتهى بولس ان يعرفها حق المعرفة[1] قائمة بحضورهِ الشخصي

(١) في ٣ : ١٠

الفصل الحادي والخمسون

(مت ٢٨: ١٦ ومر ١٦: ١٢-١٤ ولو ٢٤: ١٣ - ٤٩
ويو ٢٠: ١٩-٢١ ٢٤ واكو ١٥: ٥)

(المرصع) ف ٥١ و٥٢ (الزمان) الاحد في ٩ نيسان و١٦
ايار السنة ٣٠ م (المكان) اورشليم طريق عمواس — بحر طبرية

الظهور الثالث . الظهور الرابع . الظهور الخامس . شك توما الرسول . الظهور
السادس . السبت المسيحي . الذهاب الى الجليل . الظهور السابع .
الصيد العجيب . امتحان بطرس

كان ظهور يسوع الثالث لتلميذَين ليسا من رسلهِ المختارين . ويرجَّح ان في عدم ظهورهِ لرسلهِ اولاً وفي عدم ذكر ظهورهِ لوالدتهِ مطلقًا قصد خصوصي هو تخفيف خطر المبالغة في اكرام الذين لهم المقام الاوَّل في الكنيسة . وفي هذا الظهور الثالث ايضاح أجلى للتغيُّر الذي حصل لجسدهِ بموتهِ ثمَّ قيامتهِ فكلمة "ظهر" و"الهيئة الاخرى" تعبّران عن هذا التغيُّر . وعندنا قول الرسول بولس "يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني" (١)

فنقرأ انهُ "ظهر بهيئة أُخرى لاثنَين" من الذين كانوا معهُ وهما "منطلقان

---

(١) اكو ١٥: ٤٤

في ذلك اليوم الى قرية بعيدة عن اورشليم ستين غلوة اسمها عمواس"(١). يستنتج انهُ ظهر بغتةً ومشى وراءهما مسافة قصيرة. ثمَّ ادركهما وكلمهما فظنَّاهُ احد المسافرين. اذ لاشيء في هيئتهِ الظاهرة يذكّرهما بسيّدهما. لم يدركا انهُ كان معهما قبل ان رأياهُ وفقًا لقولهِ "حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم"(٢). وانهُ تراءى لهما لما شاء. كان حديثهما عنهُ فصارا من الذين قال النبي فيهم "حينئذٍ كلم متقو الرب كل واحد قريبهُ. والرب أصغى وسمع وكُتِب امامهُ سفر تذكرة للذين اتقوا الرب والمفكرين في اسمهِ ويكونون لي قال رب الجنود في اليوم الذي انا صانع خاصةً"(٣)

سألهما وهو يمشي معهما "ما هذا الكلام الذي تتطارحان بهِ وانتما ماشيان عابسَين"؟ يحتمل ان بعض عبوستهما نتج عن تعرُّض رجل لهما ظنَّاهُ غريبًا. بينما حديثهما في مصابهما الجسيم بسبب صلب يسوع وهذا كافٍ للعبوسة. سمعهما يردِّدان عبارات اليأس ثم الرجاء وبراهين الشك ثم اليقين حائرَين كيف يحكمان

نعترف لهما بصدق ايمانهما ومحبتهما ليسوع وجرأتهما ايضًا في اظهار علاقتهما معهُ لهذا الغريب في هذه الاحوال الحرجة. فعلى سؤالهِ اجاب احدهما كليوباس(٤) مستغربًا كيف ان انسانًا قادمًا من المدينة (حسب الظاهر) يجهل الموضوع الشاغل افكار الجميع وحديثهم. او يظن ان احدًا يهتم الآن بغير هذا الامر. فلما تجاهل رفيقهما (الجديد) في ما يشيران اليهِ اجابا انهُ "الامور المختصة بيسوع الناصري الذي كان انسانًا نبيًّا مقتدرًا في الفعل

---

(١) الستون غلوة نحو سبعة اميال اي سفر ساعتين ونيف على المشاة. موقع عمواس مجهول تمامًا الآن يوسيفوس يذكر قرية اسمها وبعدها عن اورشليم يوافقان ما قد ورد في الانجيل. ويرجح انها كانت في موقع قرية الخماسية او القبيبة (٢) مت ١٨: ٢٠

(٣) مل ٣: ١٦و١٧ (٤) اخطأ البعض في ظنهم انهُ كلوبا زوج مريم ام يعقوب ويوسي المذكور في يو ١٩: ٢٥ فالفرق في الاسمين ظاهر في الاصل اليونانيّ

والقول امام الله وجميع الشعب". فمن لا يغتاظ ويأسف على عمل رؤساء الكهنة الذين اسلموهُ لحكم الموت وصلبوهُ ؟

لما وجد كليوباس من هذا الغريب اصغاء وديًّا كشف له سرَّهما في قولهِ "نحن كنا نرجو انهُ هو المزمع ان يفدي اسرائيل". كانا كغيرهما ينتظران من المسيح متى جاء خلاصًا سياسيًّا . لان التاريخ اليهودي كان معظمهُ واعجبهُ حوادث الخلاص السياسي الذي نالهُ هذا الشعب بواسطة عظمائهِ كموسى ويشوع وداود وحزقيا وامثالهم . ثم اعترف كليوباس بان مرور ثلاثة ايام على صلب يسوع قد أيَّد يأسهم[1]. هل كان في كلامهِ للمسيح الى ما قالهُ يسوع تكرارًا عن انهُ سيقوم في اليوم الثالث ؟ او الى كونهم انتظروا في اورشليم الى ختام اليوم الثالث ولما لم يروهُ قام يئسوا وتوجهوا الى محلهم في الخارج ؟

اعترف كليوباس قائلاً "بعض النساء منا حيَّرننا اذ كنَّ باكرًا عند القبر. ولما لم يجدنَ جسدهُ اتينَ قائلات انهنَّ رأينَ منظر ملائكة قالوا انهُ حيٌّ . ومضى قوم من الذين معنا الى القبر فوجدوا هكذا كما قالت ايضًا النساء وأما هو فلم يروهُ" . فهل استخفَّا باخبار النساء لانهنَّ نساء ؟ ام استبعدا ان الملائكة تظهر وتبشر بان يسوع حيٌّ للنساء وليس لرسلهِ المنتخبين ؟ اولوالدتهِ المكرَّمة المكتئبة ؟

اقتضى ان يلقي يسوع عليهما تعاليمهُ قبل ان يستعلن لهما لئلا يهيج استعلانهُ عواطفهم عجبًا وفرحًا فلا يعود يمكنهما الصبر على كلامهِ او التمعُّن بهِ[2]. فابتدأ

---

(١) ظهر في كلامهِ كيف كان اصطلاح اليهود في حساب الايام . لان البعض يعترضون على الكلام النبوي القائل بان يسوع يكون في القبر كما كان يونان في جوف الحوت ثلاثة ايام حال كونهِ دفن في آخر يوم الجمعة وقام في اول يوم الاحد . فهنا شخصان يقولان صريحًا يوم الاحد ان ثلاثة ايام قد مرَّت على صلب يسوع مما يدل على ان اليهود كانوا يحسبون في حساب الايام اي جزء كان من اليوم كيوم واحد . توجد اشارة نبوية الى القيامة في اليوم الثالث في هو ٦ : ٢

(٢) يذكرنا هذا الحادث بيوسف بن يعقوب وهو احد

بالتوبيخ قائلاً "ايها الغبيان والبطيئا القلوب في الايمان" أهل الشكوك والانكار يصفون أهل الايمان بالغباوة لتصديقهم ما ورد في الكتاب . لكن يسوع يصف بالغباوة المنكرين والشاكّين لعدم تصديقهم ما ورد في الكتاب . فاي الفريقَين اولى بالحكم واي الحكمَين اولى بالثقة ؟ دعاهما يسوع غبيَّين لانهما لم يفهما الكتب النبوية التي أعلنت لزوم آلام المسيح قبل دخولهِ الى مجدهِ . فلو فهما الكتاب لعلما عند ما رأياهُ يتألّم انهُ لابد من ان يتمجّد ايضاً . افتكرا ان ما قاساهُ يسوع أفسد القول بانهُ المسيح . والحق ان ما قاساهُ هو شرط لازم لكونهِ المسيح . فلم يوبخهما لعدم تصديقهما النساء والملائكة والقبر الفارغ بل لعدم فهمهما وايقانهما بما في الكتاب الالهي اساس اليقين الثابت . ولانهما نسيا ان الانبياء صرّحوا بان طريق المجد تمرّ على الرفض والآلام والقبر(١)

لم يبدِ يسوع تعليماً عند ظهورهِ الاول والثاني . لكنهُ الآن يلقي تعليماً وافياً على هذَين المجهولَين في التاريخ الخارجين عن صفّ الرسل . ابتدأ من موسى وجميع الانبياء يفسّر(٢) لهما الامور المختصة بهِ في جميع الكتب . فلو سُئلنا ما هي اعظم خسارة من اقوالهِ التي لم تُحفَظ نجيب انها الشرح الذي فسّر فيهِ النبوات والاشارات والرموز المختصة بهِ في كل اسفار التوراة . ولاسيما المشيرة الى آلامهِ وموتهِ وكفّارتهِ . فما كان اعظم اندهاش هذَين في اثناء هذا الشرح مدة ساعتين مضتا كأنهما دقيقتان بسبب تلذُّذ كليوباس ورفيقهِ واستفادتهما . لان كتابهم التوراة صار دفعةً واحدةً كأنهُ كتاب جديد . وهذا المتكلم فتح ذهنَيهما للفهم واشعل قلبَيهما للشعور . وهذا الفعل المزدوج فعل روحهِ على الدوام في كل من يصغي اليهِ باخلاص اذ يترجم لفهمهِ اقوال الكتاب ثم يطبعها على قلبهِ . وصف كليوباس ورفيقهُ شعورهما بهذا الكلام "ألم يكن

الاشخاص الذين حُسِبوا رمزاً للمسيح فانهُ اخفى ذاتهُ عن اخوتهِ في بادئ الامر لاجل افادتهم ثم استعلن لهم تك ٤٥ : ١ — ٤

(١) قابل اشعياء ٥٣ ودانيال ٩ (٢) في اليونانية "يترجم"

قلبنا ملتهبًا فينا اذ كان يكلمنا في الطريق و يوضح لنا الكتب "؟

اخيرًا اقتربوا من قرية عمواس فودّعها كأنهُ قاصد ان يتقدّم الى مكان ابعد ان سمحا لهُ . فاوقفاهُ بقولهما " امكث معنا لانهُ نحو المساء وقد مال النهار". فقبِل دعوتهما ودخل ليمكث معهما . مكث معهما جسديًا هنيهةً ليحقق لهما انهُ يمكث معهما روحيًا على الدوام . لكن لما جلسوا على مائدة العشاء اتخذ مقام صاحب البيت لا مقام الضيف . لانهُ اخذ الخبز وبارك وكسر وناولهما . فانتبها . عند الجلوس اعتياديًا على مائدة الطعام يجب ان نذكر رياسة يسوع على موائدنا وانهُ هو الذي يعطي الجميع طعامهم في حينهِ [1]. فالشكر لهُ قبل تناول الطعام واجب مقدّس

لما انتبهت هذه الحركات مع شرحهِ العجيب في الطريق ومع هيبتهِ الشخصية انفتحت اعينهما فرأيا مسيحهما المفقود . فكان ردّ الفعل عظيمًا فيهما من اليأس الى الابتهاج. لكن حالما عرفاهُ اختفى عنهما . وفي تلك الساعة من المساء قاما وعادا الى اورشليم ليبشرا محبي يسوع اليائسين . ولو كان كل من يظهر لهُ يسوع روحيًا يسرع نظيرها ليبلّغ الآخرين الشهادة بفضلهِ ورحمتهِ الخلاصية ما كان اعظم البركة الحاصلة لهُ ولمن يسمع شهادتهُ

بينما كان كليوباس ورفيقهُ راجعين الى اورشليم في نور البدر ظهر يسوع ظهورهُ الرابع . لم يذكر من البشيرين غير لوقا هذا الظهور وهو يذكرهُ في هذا اللفظ الوجيز . " الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان " [2]. لذلك نجهل تمامًا مكانهُ وساعتهُ وكيفيتهُ وما دار فيهِ من الكلام بين المخلص وزعيم رسلهِ لكننا نرجّح ان المقصود منهُ ان يحقق بطرس على انفراد بناء حب يسوع لهُ وثقتهُ بهِ وقبولهُ توبتهُ على اثر سقطتهِ الهائلة ليسلم من خطر اليأس الشخصي بسبب هذا السقوط

---

(١) مز١٤٥: ١٥ (٢) يذكر بولس ايضًا هذا الظهور في قولهِ "بعد ذلك ظهر لصفا" ١ كو١٥: ٥

وفي مساء هذا اليوم المجيد اجتمع الرسل وآخرون معهم سرًّا خوفًا من ان يتعقبهم الرؤساء ليهلكوهم كما اهلكوا سيدهم . ولا سيما لان الخبر بان يسوع قام قد هيّج الرؤساء كثيرًا . فغلّقوا الابواب تحفُّظًا (١) . وكان توما الرسول غائبًا عن الاجتماع لاسباب مجهولة (٢)

في هذا الاجتماع قصّ بطرس عليهم خبر ظهور يسوع له . وفي اثناء ذلك قُرِع الباب . ولما عرفوا ان كليوباس ورفيقهُ على الباب قبلوهما . فوجد هذان ان المجتمعين يتحادثون في ان يسوع قام بالحقيقة وانهُ قد ظهر لبطرس . فاخبراهم "بما حدث في الطريق وكيف عرفاهُ عند كسر الخبز" . فيظهر ان بعض الحاضرين كانوا لا يزالون يشكُّون في حقيقة قيامتهِ و يفسرون ظهورهُ للمجدلية ثم للنساء ثم لبطرس انهُ وهمٌ . فقيل "انهم لم يصدّقوا ولا هذين"

ففي هذا الاجتماع مساء يوم قيامتهِ ظهر يسوع فجأةً ودون فتح باب لدخولهِ ووقف في الوسط وقال لهم "سلام لكم" . لم يقل "سلام عليكم" كأنهُ سلام خارجي زمني بل "سلام لكم" . لانهُ سلام داخليّ روحيّ يهبهُ هو لهم في وسط اسباب الجزع والاضطراب . وقد جاء ذكر هذا الركن من اركان ملكوت الله في خاتمة ترنيمة زكريا النبوية . وفي البشارة الملاكية عند ولادة يسوع . وفي التحية التي أمر تلاميذهُ ان يلقوها على كل بيت يدخلونهُ في تبشيرهم . وهو الارث الذي خلّفهُ لهم في خطابهِ الوداعي لما قال "سلامًا اترك لكم سلامي اعطيكم . ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا" (٣) . ثبّت لهم هذا الارث بموتهِ ثمّ قام ليلقيهم اياهُ بنفسهِ . فالسلام لفظة الاول في اجتماعهِ الاوّل بهم كهيئة . والآن يسكّن رئيس السلام (٤) اضطراب قلوبهم بقولهِ "السلام لكم"

---

(١) يرجح ان محل اجتماعهم كان العلية التي اكلوا فيها الفصح (٢) لا يستغرب قول لوقا "الاحد عشر" حال كون توما غائبًا ويهوذا قد مات . لان لقب الاثني عشر والاحد عشر كان يطلق على الهيئة الرسولية بقطع النظر عن كمال العدد (٣) يو ١٤: ٢٧
(٤) اش ٩: ٦

كما سكَّن سابقًا بكلمة اضطراب البحيرة . بهِ وحدهُ يحصل المؤمن على سلام مع الله[1] ومع ضميرهِ الذي يدينهُ[2] ومع البشر في المعاشرة اليومية وفقًا للوصية الرسولية "حسب طاقتكم سالموا جميع الناس"[3]

لكن الرسل لضعف ايمانهم لم يكونوا مستعدين لهذا السلام المقدَّم لهم . بل جزعوا وخافوا وظنوا أنهم رأوا روحًا. فنعذرهم لان هيئتهُ غير معروفة عندهم. كان ظهورهُ كل مرَّة بعد قيامتهِ بهيئة غير القديمة ضروريًا لاجل تحقيق التغيير العظيم الذي حصل لجسدهِ في قيامتهِ . فلا عجب ان الشخص الذي كان يظهر ويختفي فجأة ويظهر كل مرَّة بهيئة جديدة حيَّر التلاميذ جدًا

وبما ان يسوع كان يكلمهم كثيرًا بامثال والغاز يظهر انهم حسبوا كلامهُ عن موتهِ وقيامتهِ من هذا الباب . فلم يكترثوا لهُ كثيرًا. ولا اكترثوا لشهادة النساء . لانهنَّ اكثر عرضةً للاوهام . فلاسباب كهذه كان شكُّهم اقرب الى المعقول . وكان توبيخ يسوع اياهم لطيفًا . قال "ما بالكم مضطربين"؟ ونفى كونهُ خيالاً كما توهموا بسبب كيفية دخولهِ وتلطَّف بدعوتهم ليلمسوهُ قائلاً "انظروا يديَّ ورجليَّ[4] اني انا هو . جسُّوني وانظروا . فان الروح ليس لهُ لحم وعظام كما ترون لي . واراهم جنبهُ ايضًا"[5]

هذه مرَّة أخرى اكرم يسوع شهادة الحواس اثباتًا للحقيقة . وأيَّدها في أهمِّ القضايا اي قيامتهِ . حواسّ الانسان موهبة الهية لاجل قيادتهِ . فما تشهد بهِ حواسهُ صريحًا في حالة الصحة ليس لهُ ان يكذبهُ. وهذا لا ينفي الحقيقة الاخرى اي وجود عالم روحي فوق ادراك الحواس . فاليقين يتناول هذه ايضًا

لما رأى يسوع ان مزيد فرحهم حرمهم التصديق التام اضاف على ما سبق انهُ طلب طعامًا . ولما ناولوهُ من العسل والسمك المشويّ الجاهز لديهم

---

(١) رو ٥:١ (٢) في ٤:٧ وكو ٣:١٥ (٣) رو ١٢:١٨ (٤) المثقوبة على الصليب (٥) الذي طعنهُ العسكري بحربة

أخذ واكل قدامهم[1]. ثم فعل مع هؤلاء المجتمعين فعلهُ مع التلميذَين في طريق عمواس . لانهُ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب وذكّرهم بالنبوّات القديمة وبانباءاتهِ المكرّرة . فجاز الآن بعد تسكينهِ خوفهم ان يوبخهم على عدم ايمانهم وقساوة قلوبهم لعدم تصديقهم قول الذين كانوا قد نظروهُ بعد ما قام . ولا سيما لان شهادة هؤلاء كانت طبق اقوال الكتاب

وأكد لهم اهمية الكرازة باسمهِ بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الامم مبتدئاً من اورشليم وانهم يكونون شهوداً في كرازتهم لما عاينوهُ وسمعوهُ وتبقنوهُ . واعاد لهم وعدهُ بارسال الروح القدس الموعود بهِ ايضاً من الآب[2] . واوصاهم ان لا يبرحوا من اورشليم بعد صعودهِ قبل ان يلبسهم هذا الروح قوّة من الاعالي . ومع تكرار السلام سلّمهم وظيفتهُ في قولهِ "كما ارسلني الآب ارسلكم انا"

ثم نفخ وقال لهم "اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهُ تُغفَر لهُ ومن امسكتم خطاياهُ أُمسكت[3] . هذا هو الكلمة الذي كل شيء بهِ كان وبغيرهِ لم يكن شيء مما كان[4] . والذي بهِ ايضاً عمل الله العالَمين[5] . فكما نفخ في الانسان الاول نسمة الحياة الطبيعية نفخ الآن في هؤلاء اليائسين نسمة الحياة الروحية الجديدة

كرّس يسوع هذا اليوم الاول في الاسبوع بقيامتهِ ثم بظهوراتهِ الخمسة التي ذُكرت . فلا عجب انهُ تأسس عند تابعيهِ اعتبار فائق لهذا اليوم . لان فيهِ وضع نظاماً جديداً واساساً لكنيسة جديدة ولعالم جديد بمعنى روحيّ . وكرّسهُ عمداً ليكون على الدوام يوماً خصوصياً لتابعيهِ . كرّسهُ عوضاً عن السبت اليهودي الذي كان تذكار اتمام الخلق الطبيعي في فجر التاريخ البشري

(١) اشار بطرس فيما بعد في وعظهِ الى الاكل والشرب مع يسوع بعد قيامتهِ اع ١٠: ٤١
(٢) انظر ف ٤٤ (٣) انظر ف ٢١ (٤) يو ١: ٣ (٥) عب ١: ٢ انظر اف ١: ٩ وكو ١: ١٦

وجعل هذا اليوم الاول تذكاراً لاتمام الخليقة الجديدة في عمل الفداء. وما يؤيد هذا اليقين غيابهُ تمامًا عن تابعيهِ اسبوعًا كاملاً قبلما ظهر ظهورهُ السادس في الاحد الذي بعدهُ . ثمَّ أثبت هذا الاستبدال بسكبهِ الروح القدس لميلاد الكنيسة المسيحية يوم الاحد في عيد الخمسين . وقد اهتمَّ البشيرون كلهم بان يوردوا خبر هذا الظهور الخامس امام الرسل العشرة خلافًا للظهورات الاخرى

لما ظهر في الاحد الثاني ظهورهُ السادس كان التلاميذ داخلاً كما كانوا في المرَّة السابقة وتوما معهم . فجاء يسوع (كما في الاول) والابواب مغلقة ووقف في الوسط وحيَّاهم بذات الفاظ تحيتهِ الاولى . اما وجود التلاميذ في اورشليم بعد القيامة بثمانية ايام حال كون يسوع اوصاهم ان يسبقوهُ الى الجليل فلاتمام واجباتهم في اسبوع العيد . وبما ان ذلك يقربهم الى السبت الثاني أجَّلوا السفر البعيد الى بعد السبت . ثمَّ الى بعد الاحد وراءهُ الذي اتخذوهُ تذكارًا لقيامة يسوع[1]

الظاهر ان يسوع جاء بالاكثر في هذه المرَّة لاجل توما . لانهُ حالاً دعاهُ ليفعل حسب قولهِ لكي لا يكون غير مؤمن بل مؤمنًا . ونعلم جيدًا كيف عاند توما واصرَّ على عدم الايمان على رغم البراهين الكثيرة القوية التي اقنعت رفقاءهُ وكيف اشرط لاجل ايمانهِ ان يبصر أثر المسامير في يدَي سيدهِ ويضع اصبعهُ فيها . وان يضع يدهُ في جنبهِ المجروح بطعنة حربة الجندي الروماني. علم يسوع هذا كلهُ سواء اخبرهُ بهِ الرسل او عرفهُ بعلمهِ العجيب دون خبر . ومع هذا عاملهُ بكل رقَّة وتساهل . لان العلة في راسهِ لا في قلبهِ

لا نعلم هل خجل توما من كلام يسوع ونحَّى عن وضع اصبعهِ ويدهِ ام لا . انما نعلم انهُ حالاً طرح شكوكهُ في الهواء وصرَّح بايمانهِ التام . وفاق كل الذين سبقوهُ في الايمان قائلاً "ربي والهي" . انتقل دفعةً واحدة من مزيد

(١) يرى البعض ان توما أخَّرهم بسبب عدم ايمانهِ فقصدوا ان يعطوهُ فرصةً للتحقيق

الشك الى مزيد اليقين . لكن قبل ان تركهُ يسوع وبخّهُ ببيان افضلية الايمان الذي لا يتطلب العيان . لانهُ بعد العيان لا يعود الايمان ايمانًا . الايمان حسب تعريف الرسول هو "الثقة بما يرجى والايقان بامور لا ترى" (١) .

فالطوبى حسب حكم يسوع هي للذين آمنوا ولم يروا . وهذه مذخورة لجميع المؤمنين في كل الازمان . فلا يحسدنّ احدٌ اولئك الذين بنوا ايمانهم على رؤيتهِ . "اذ سبق الله فنظر لنا شيئًا افضل" (٢) . اي تطويبًا لم يُعطَ للذين شهدت لهم حواسهم بحقائق الدين الجوهرية

نمدح توما على طلبهِ البراهين الكافية قبل التسليم الكامل في قضية دينية جوهرية . لانهُ لا يجوز تعليق اليقين الديني على خيوط العنكبوت . ولا يكتفي الفهيم بانهُ تناول اليقين الديني من اسلافهِ لئلا يكون قد تناول الضلال . لان الضلال يتسلسل كما يتسلسل الحق . ولا يكتفي ان يتناول يقينهُ من علماء جيلهِ بدون ان يقف على البراهين التي يستندون عليها . يجوز القول ان الشك في الدين هو باب اليقين . لان الشك يؤدي الى الفحص . والفحص الى اليقين في ما يستحق اليقين . ولا يقين حقيقي الاّ بعد الفحص

فعلى مَ يوبّخ توما ؟ يوبّخ لتجاوزهِ الحد المعقول في اصرارهِ على براهين اكثر من الكافية . يوبّخ لاظهارهِ عدم الميل الى اليقين كأنهُ يطلب عذرًا يتذرّع بهِ لاجل الانكار . اخطأ توما في تشبثهِ بالبراهين الحسية كأنهُ يزدري بالمعنوية والروحية . فاذا كان لا يُذَمّ على اشتهائهِ ان يرى كما رأى غيرهُ يُذَمّ على عدم قبولهِ شهادتهم . ولو فعل القضاة في احكامهم فعل توما لاستحال الحكم في اي قضية كانت . لانهُ لم يُسمع في الزمان ان قاضيًا أصرّ على ان يرى بعينهِ ما رآهُ الشهود في دعوى تقدمت لهُ . ولو اقتدى الناس بتوما في ما فعل لبطل التبشير تمامًا وانطفأ انجيل المسيح واختفت الكنيسة المسيحية في مهدها

وكما ان الشك هو باب اليقين هو ايضًا باب الانكار . لان الشك

(١) عب ١١ : ١ (٢) عب ١١ : ٤٠

لا يبقى طويلاً حتى يتحوّل اما يقيناً او انكاراً . فالفهم المستقيم يبذل الجهد في فحص موضوع شكهِ ليصل الى اليقين او الى الانكار . لكن التدبر الذي يحوّل الشرّ خيراً متى شاء حوّل شكوك توما الى اقوى البراهين على حقيقة القيامة . لانها سببت ظهوراً سادساً ليسوع . وباقتناع هذا المصرّ على الانكار ما لم يحصل على براهين حسية لم يبقَ ريب في صحة ما اقتنع وجاهرَ بهِ فيما بعد

نرى حكمة يسوع في امرهِ تلاميذهُ ان يسبقوهُ الى الجليل حيث معظم القوم المؤمنين بهِ . فيحق لهؤلاء ان يسمعوا من مواطنيهم الرسل وخلافهم من رجال ونساء خبر آلام يسوع وموتهِ وقيامتهِ . أليست هذه الحوادث أهمّ عاقبة واثبات لكل التعاليم التي سمعوها من يسوع ايام تبشيرهِ في الجليل؟ فيوافق ان تعطى اولاً للجليليين وسائط الايمان التام بهِ . لانهُ مزمع ان يعيّن اورشليم محل خدمة رسلهِ بعد صعودهِ . وفيها لا في الجليل سيكون نجاحهم الممتاز . ثم انهُ يريد ان يظهر دفعةً واحدة لجمهور من المؤمنين بهِ . وهذا لا يتيسر لهُ الاّ في الجليل . ويريد ان يحضر رسلهُ ومن معهم الآن في اورشليم هذا الاجتماع . اما حكمتهُ في هذا التعيين فظاهرة لاسباب كافية . منها كون اثبات قيامتهِ في اورشليم سهل وفي الجليل صعب لبعدها عن محل حدوثها . وبهذا التعيين يقدّم للأمة اليهودية ورؤسائها فرصةً جديدةً بعد الكثيرة السابقة ليقبلوهُ كمسيحهم الحقيقي

فبعد ما اطاعوا امرهُ المكرّر ووصلوا الى الجليل ظهر لنخبة منهم ظهورهُ السابع بعد قيامتهِ . اما قول يوحنا ان هذه مرّة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذهِ بعد ما قام من الاموات فيعني انها المرّة الثالثة التي ظهر فيها لمجتمع من التلاميذ بقطع النظر عن ظهوراتهِ الاخرى الافرادية . وقد سبق القول ان في اللفظة "أظهر نفسهُ" اشارة الى حالتهِ الجسدية الجديدة التي جعلتهُ ان لا يُرى الاّ من الذين يقصد هو ان يروهُ

اختار مركز هذا الظهور شاطئ بحر الجليل الذي قدّستهُ قدماهُ

الطاهرتان اذ يتردد كثيرًا الى هناك . وهو أجمل موقع في الارض المقدّسة . واختار وقتًا حين وُجد في سفينة واحدة سبعة من افضل تابعيهِ الذين هم رجاء الكنيسة المسيحية الطفلة واعتماد العالم الى آخر الزمان . وهم سمعان بطرس بن يونا الملقب بطرس . ورفيقهُ الخصوصي يوحنا بن زبدي الملقب الحبيب . ويعقوب اخو يوحنا . وتوما الذي شُفي من مرض الشكوك . والخامس كان ذلك النبيل الذي قال عنهُ يسوع أوّل ما دعاهُ انهُ "اسرائيلي حقًّا لا غشّ فيهِ" اي نثنائيل او برثلماوس . اما السادس والسابع فلم يُذكرا بالاسم . والارجح انهما اندراوس وفيلبس

لما دعا يسوع الرسل في البداءة دعاهم ليكونوا صيادي الناس عوضًا عن صيادي السمك . وعلمهم بالقول والاختبار انهُ لا يعوزهم شيء من الحاجيات الزمنية متى تفرّغوا للتبشير باسمهِ[1] . وفي خطابهِ الاخير اوضح لهم ان كل من يجيهُ يحفظ وصاياهُ . فها كل المعدات اللازمة لممارستهم هذه المهنة الجديدة جاهزة لديهم . عندهم تعاليمهُ بتمامها وسيرتهُ الفريدة وآلامهُ وصلبهُ وقيامتهُ وظهوراتهُ لهم مرارًا بعد قيامتهِ . ومع ذلك نراهم الآن يعودون الى مهنتهم القديمة لعلّة المعاش . كأنهم نسوا فجأة كل ما تعلموهُ منهُ[2]

قادهم بطرس بقولهِ "أنا أذهب لأتصيّد" . فاجابوا "نذهب نحن ايضًا معك" . وذهبوا . غير انهم "في تلك الليلة لم يمسكوا شيئًا" . لم يعلموا ان العناية الالهية هي التي أمسكت عنهم النلاح حبًّا لهم لكي يضعف ميلهم الى علمهم القديم فيسهل تمسكهم بالجديد الذي سلمهم اياهُ . ولاظهار قوّتهِ العجيبة وتمهيد الطريق لان يتعلموا ان نجاحهم في الصيد الروحي كما في المساعي الزمنية ايضًا يتوقف على بركة السيد لا على سعيهم

لما مضى الليل ولم يأخذوا شيئًا سحبوا الشباك الى السفينة وتوجهوا نحو

(١) لو ٢٢: ٣٥ و٣٦ (٢) سجلنا في هذا التفسير نجدها في ما يلي وعلى الاخص في توثيب يسوع بطرس

البر عند بزوغ الفجر . فبينما هم على بعد نحو مئتي ذراع عن البر جاءهم صوت من شخص غريب واقف على الشاطئ يناديهم "يا غلمان ألعل عندكم إداماً"؟ لما أجابوهُ "لا" قال لهم ان يلقوا الشبكة الى جانب السفينة الايمن فيجدوا . ففعلوا لياقةً حسب اشارة هذا الغريب الذي تجاسر ان يعلمهم في حرفتهم لكن دون أمل بالنجاح . فكوفئوا بانهم لم يعودوا يقدرون ان يجذبوا الشبكة "من كثرة السمك"

يوحنا الحبيب لذكائهِ وحدسهِ وتذكُّرهِ المعجزة التي كانت على شكل هذه منذ ثلاث سنين في هذه البحيرة ذاتها[1] سبق الى ادراك الحقيقة ومعرفة سيدهِ المتخفي كما سبق في ركضهِ الى القبر[2]. فقال لرفيقهِ بطرس "هو الرب". ظهر في التلاميذ مفعول قيامة يسوع في انهُ بعد ان كان اسمهُ عندهم "المعلم" صار اسمهُ "الرب". صدَّق بطرس حالاً قول يوحنا . فائتزر بثوبهِ والقى بنفسهِ في البحر ليأتي الى يسوع . اخطأ في تركهِ السفينة ورفقاءهُ والشبكة الملآنة سمكًا . لان يسوع هداهم الى السمك ليجمعوهُ لا ليتركوهُ . واخطأ في تركهِ العمل على رفقائهِ واسراعهِ الى يسوع كأنهُ اوفر غيرة وحبًّا لهُ منهم . فرفقاؤهُ الستة الذين باماناتهم في العمل اظهروا احترامًا حقيقيًّا للذي افضل عليهم يُمدحون اكثر من بطرس . وبعد ما جرُّوا الشبكة مسافة المئتي ذراع . وداست اقدامهم الشاطئ تركوا الشبكة الملآنة في البحر ليقدموا واجباتهم لسيدهم

فنظروا عند ذلك "جمرًا موضوعًا وسمكًا موضوعًا عليهِ وخبزًا". لكن هيئة يسوع لا تزال مستغربة عندهم وموجبة للشك . فابتدأ بامرهِ لهم ان يقدموا من السمك الذي في الشبكة. فانتبه بطرس لغلطهِ واسرع كعادتهِ للعمل . وجذب الشبكة الى الارض . ولما أُحصي السمك وُجد عددهُ مئة

(١) ف١٦ (٢) يو ٢٠: ٤

وثلاثا وخمسين سمكًا كبيرًا فاندهشوا (١). علموا بشهادة ام العين ان هذا الغريب لم يسألهم اولاً "ألعل عندكم إدامًا"؟ لحاجة له. وعلموا من نجاحهم اهتمامهُ بصالحهم الزمني. ورأوا في هذا النجاح معجزة حقيقية. فحاروا جدًّا في امرهم. اشتهوا ان يسمعوا من فمهِ تاكيدًا انهُ الرب كما استدلُّوا. لكن خجلوا وخافوا من تبكيتهِ ان سالوهُ. وكانت عندهم سلامة الشبكة من التمزيق معجزة ثانية. ولا بد من انهم اخذوا في هذه الحادثة ذخيرة تفيدهم كثيرًا فيما بعد في علمهم الدائم اي صيد النفوس

يسوع عالم ان التعب كل الليل ثم الجوع قد اعياهم. فبحكمتهِ اهتم اولاً بحاجتهم الزمنية. فقال لهم "هلمُّوا تغدَّوا". وأخذ الخبز واعطاهم وكذلك السمك. وبعد ما تغدَّوا أعار بطرس التفاتًا خصوصيًّا ليعلم هو ويعلم رفقاؤهُ ان توبتهُ بعد سقوطهِ العظيم قد قُبلت وان مركزهُ الرسولي محفوظ عند سيدهِ. وكان هذا الالتفات مقرونًا بتوبيخ معنوي لطيف للجميع ولا سيما لهُ لتركهم صيد النفوس ليتبعوا صيد السمك

ثم عاد بهم بالفكر الى العلية في اورشليم وقت عشاء الفصح حين قال الجميع انهم لا يتركونهُ وقال بطرس منتخرًا "اني مستعد ان امضي معك حتى الى السجن والى الموت". "وان شكَّ (اي عثر) الجميع فانا لا اشكُّ. ولو اضطررت ان اموت معك لا انكرك". فهل صدق في افتخارهِ الحبي؟ وهل فاق رفقاءهُ في ساعة الامتحان الشديد الاَّ في سقوطهِ؟

كطبيب روحي يجرحهُ يسوع الآن ليشفيهُ. فسألهُ "أتحبني اكثر من هولاء"؟ اي اكثر مما يحبني رفقاؤك الرسل الذين مع انهم تركوني خوفًا لكنهم لم ينكروني (٢)؟ فاجابهُ على النصف الاول من سؤالهِ "نعم يا رب انت

(١) وتأثير ذلك ظاهر في ان يوحنا يذكر العدد تمامًا بعد ستين سنة

(٢) لو كان في سؤالهِ معنى هل تحبني اكثر مما تحب رفقاءك او مما تحب الاسماك اي الخيرات الزمنية لكان بطرس مضطرًا ان يؤكد ليسوع انهُ يحبهُ اكثر من هؤلاء. فمن

تعلم اني احبك". لم يقل "اكثر من هولاء". ولم يستعمل لنفسهِ الكلمة في المحبة التي استعملها يسوع بل كلمة اضعف اختارها تواضعًا ولياقةً (١)

يسوع يسأل عن الاساس قبل البناء وعن الاصل قبل الفرع. لذلك لا نسمعهُ يسأل بطرس عن اعمالهِ. ولا عن معارفهِ. ولا عن مقاصدهِ. بل عن اصل كل هذه واساسها اي حالة القلب. سألهُ عن شعورهِ الداخلي. لو سألهُ عن اعمالهِ لما نال بطرس غير الدينونة والخجل ولصمتَ عن الجواب. لان ظواهرهُ كانت معيبة. الانسان الذي ظواهرهُ الحسنة تخالف بواطنهُ السيئة يُعدّ مرائيًا. اما بطرس فكانت ظواهرهُ الشريرة تخالف بواطنهُ الصالحة. لذلك سيتبع الصلاح الخارجي ايضًا شرَّهُ الوقتي عن قريب

لكن لما كانت حالة القلب تستلزم اعمالاً تناسبها وتبرهنها لم يكتفِ يسوع بان يحبَّهُ بطرس. بل طلب منهُ العمل ايضًا. فقال لهُ "ارعَ خرافي". معيدًا لهُ بهذا الكلام الوظيفة الرسولية التي سقطت عنهُ بسقوطهِ. ومبدلاً صورة صياد النفوس بصورة راعي النفوس. لان هذا الرسول قد اخطأ ليس فقط في تركهِ صيد النفوس لاجل صيد السمك. بل ايضًا في تركهِ رعاية غيرهِ لاجل رعاية ذاتهِ. في هذه الوصية بالخراف (٢) نرى مثالة لجميع الرعاة الروحيين ان يبتدئوا في خدمتهم بالصغار كصغار السن وصغار النفوس كالفقراء والضعفاء واليائسين

ولاجل زيادة التأثير اعاد يسوع سؤالهُ تاركًا كلمة خرافي وقائلاً "ارعَ غنمي". فاخذ ذات الجواب الاول. نعلم ان بطرس في العلية كرَّر ثلاث مرات تكذيبهُ قول يسوع انهُ سينكرهُ. ثم كرَّر انكارهُ ثلاث مرات. فالآن يسوع يكرّر ثلاث مرات سؤال الامتحان. والمرَّة الثالثة جرحت بطرس اكثر. فحزن واجاب بانفعال طافح بالحب. "يا رب انت تعلم كل شيء انت

(١) هذا التمييز ظاهر في تركيب كلمة اكثر من هولاء في جوابهِ تنضح صحة تفسيرنا

(٢) الكلمة اليونانية المترجمة "خراف" تعني الحملان الصغيرة

تعرف اني احبك " واخذ مرّةً ثالثةً الوصية السابقة. فآخر سؤال نعلم ان يسوع قدّمهُ لبشر كان " أتحبني " ؟ لان المحبة أعظم اركان الدين واعظم ما في العالم[1]. هي تكميل الناموس[2] ورباط الكمال[3]. لان المحب لا يمكن الاّ ان يطيع الهًا بحبهِ. ولا يمكن ان يفعل الاّ الخير لقريبهِ المحبوب. ثم شجع يسوع بطرس بتاكيدهِ لهُ انهُ سيعوّض في آخر حياتهِ عن سقوطهِ باستشهادهِ في سبيل الايمان[4]. ولما قال لهُ اتبعني مشى يوحنا وراءهما. فلما رآهُ بطرس تطفل حسب عادتهِ وسأل يسوع ماذا يريد ان يفعل يوحنا. فاسكتهُ قائلاً " ان كنت اشاء انهُ يبقى حتى أجيء فماذا لك ؟ اتبعني انت ". في قول يسوع " ان كنت اشاء انهُ يبقى " يُظهر سلطانهُ على الحياة. وهذا ليس لانسان بشريٍ محض. اما التلاميذ فاخذوا قول يسوع بمعنى ان يوحنا لا يموت. واخطأوا في ذلك. والارجح ان يسوع يشير الى مجيئهِ لاجل دينونة الامة اليهودية في خراب اورشليم. ويوحنا هو الوحيد بين رسل يسوع الذي نعلم انهُ عاش الى ما بعد ذلك الحادث المخيف. يختم البشير يوحنا كلامهُ في براهين قيامتهِ الحقيقية بقولهِ عن نفسهِ " هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا. ونعلم ان شهادتهُ حق "

---

(١) ١ كو ١٣ : ١٣ (٢) غل ٥ : ١٤ (٣) كو ٣ : ١٤ (٤) ثمّ ما انبأهُ بهِ يسوع ان صدقت اخبار التقديس اوريجانوس وغيرهِ ان بطرس مات صلبًا كسيدهِ. لكن يطلب منهُ تواضعًا صُلب منكسًا. نقرأ صدى وصية يسوع لهُ في ما كتبهُ وهو شيخ للشيوخ نظيرهُ في الكنائس. قال " ارعوا رعية الله التي بينكم نظارًا. لا عن اضطرار بل بالاختيار. ولا لربح قبيح بل بنشاط. ولا كمن يسود على الانصبة. بل صائرين امثلة للرعية. ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون اكليل المجد الذي لا يبلى (١ بط ٥ : ٢ و ٤)

الفصل الثاني والخمسون

(مت ٢٨: ١٧ – ٢٠ مر ١٦: ١٥ – ٢٠ لو ٢٤: ٥٠ – ٥٣
اع ١: ٤–١٢ اكو ١٥: ٦ و٧)

(المرصّع) ف ٥٢ (الزمان) نيسان وايار السنة ٣٠ م
(المكان) اورشليم جبل الزيتون

الظهور الثامن . اقوال يسوع العظيمة واتيانها قيامته . اهمية التبشير . الظهور التاسع . ظهوراته حُصرت في المؤمنين . قوّة القيامة . الظهور العاشر . كلام الوداع . صعودهُ الى السماء . موجبات فرح رسلهِ . مجيئهُ الثاني . لائحة تعاليمهِ . هباتهُ المجيدة . بينات عظمتهِ

ان اهم ما ورد بخصوص ظهورات يسوع بعد قيامتهِ قول البشير لوقا في كتابهِ الثاني انهُ "اراهم ايضًا نفسهُ حيًّا ببراهين كثيرة بعد ما تألّم . وهو يظهر لهم اربعين يومًا . ويتكلم عن الامور المختصة بملكوت الله"(١). قضى يسوع في اوّل خدمتهِ اربعين يومًا في مصارعة ابليس في البرية . والآن يقضي اربعين يومًا يتردد ويظهر لتلاميذهِ بيانًا لانتصارهِ الاخير على ابليس . وليسهل لهم ولجميع المؤمنين فهم حضورهِ معهم روحيًّا على الدوام

ومن اهمّ ظهوراتهِ الظهور الثامن . وهو ايضًا الثاني والاخير في وطنهِ الجليل. لم يَرِدْ خبرهُ الاّ في رسالة الرسول بولس الى كنيسة كورنثوس في بلاد اليونان . قال "بعد ذلك ظهر دفعةً واحدةً لاكثر من خمسمئة اخ اكثرهم

(١) اع ١: ٣

باقٍ الى الآن . ولكن بعضهم قد رقدوا"[1] . وقول متى "ولما رأوه سجدوا له . لكن بعضهم شكّوا"[2] يلائم هذا الظهور اكثر من غيره . فمع انهُ يستنتج من عبارتهِ ان هذا الشك يُعزى الى الرسل نقول ان ذلك غير معقول بعد ذهابهم الخصوصي الى الجليل لملاقاة يسوع . وبعد كل ما اخذوهُ في اورشليم من البراهين القوية قبل ذلك . فبما انهُ يجوز اتخاذ قول متى مشيرًا الى هذا الاجتماع الكبير نفضل التفسير الذي يعزي الشكوك المحكى عنها الى افراد من الخمسمئة اخ الذين اشار اليهم بولس الذين لم يشاهدوا لهُ ظهورًا آخر . وشك هؤلاء معقول بالنظر الى التغيير الكلي في هيئة يسوع الخارجية البشرية ممّا صعّب التصديق بانهُ هو[3]

اجتماع خمسمئة اخ في وقت واحد دليل على نجاح ليس بقليل . والثناء هؤلاء في احد جبال الجليل حسب تعيين سابق كان ضروريًا ليتمكن عددٌ كهذا من مشاهدتهِ دفعةً واحدةً . وفي خبر هذا الاجتماع اوضح دليل على حقيقة قيامة يسوع . لانهُ يحتوي على كلامٍ فاه بهِ لتلاميذهِ يستحيل اختراعهُ على فرض عدم قيامتهِ . واننا لم ننسَ بعد افكار التلاميذ الصبيانية في ما مضى . وخور عزيمتهم بعد صلب سيدهم . مع دوام آمالهم باكوت زمني يسعدهم . فلا يحتمل ان هؤلاء يستنبطون اقوالاً سامية كالتي وردت في هذا الخبر ينسبونها كذبًا او وهمًا الى يسوع ؟ وعلى فرض ان هذا الكلام صدر عن تصوُّراتهم فاية غاية لهم ان يضعوهُ في فم يسوع بدلاً عن بيان الصدق والإقرار بالترقية الفكرية والروحية التي تجدّدت فيهم ؟ وهل يمكن ان ننسب اليهم غباوة عظيمة لهذه الدرجة انهم يصوّرون كلامًا مبهمًا كهذا الكلام ويعزونهُ الى متكلمٍ لا يزال جثة هامدة في قبرهِ ؟

---

(١) ١كو ١٥: ٦ (٢) مت ٢٨: ١٧ (٣) سافقهم تلك الشكوك الى التحقيق . فلم يتركوا لنا شكًا في صحة قيامة يسوع كما لو سلّموا بدون فحص بكل شيء بريدون صحتهُ (اري في مت ٤٢٦)

فلننتبه الى بعض هذه الاقوال القوية . "دُفع اليَّ كل سلطان في السماء وعلى الارض" . فاي جنون يُنسب الى كاتب يقول ان شخصاً صُلب باهانة فائقة امام جماهير من كل انحاء العالم ينوهُ بكلام كهذا ؟ ثم "فاذهبوا الى العالم اجمع وتلمذوا جميع الأُمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" . معلوم ما هو تعليم اليهود ومشربهم منذ القديم في انهم يتشبثون بالانفراد عن غيرهم من الأُمم . ويحصرون الدين وفوائدهُ في جماعتهم ويحتقرون كل الشعوب الاخرين دينيًّا

فكيف يُنسب بحق الى هؤلاء الصيادين اليهود هذا القول في الذهاب الى العالم اجمع وتلمذة جميع الامم ؟ وهل يتصوَّر احد ان رجالاً بسطاء وفقراء ومضطهدين وهم من تبعة اصغر شعوب العالم واحقرها آنئذٍ يحلمون ان يُخضعوا جميع الشعوب لسطوة سيدهم والايمان بهِ ؟ وهل يُعقل ايضًا ان اشخاصاً كهؤلاء يستنبطون تعليمًا مبنيًّا على معرفة طبيعة الاله الواحد في ثلاثة اقانيم بينما هذا لم يُذكَر في تعاليمهم اليهودية ؟ وعلى فرض ان اعتبارهم يسوع جعلهم يقرنون اسمهُ في التعميد مع اسم الآب فمن اين أتوا باسم الروح القدس ايضًا ؟

لكن اعظم ما فاه بهِ من الكلام واقواهُ دعامةً للقيامة قولهُ "ها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر . مَن آمن واعتمد خلص . ومن لم يؤمن يُدَن" . فاذا كان لم يَقُمْ لايمكن ان يكون معهم . وان كان معهم حقًّا فلا يبقى ريب في قيامتهِ . فبما ان حضورهُ معهم لا يكون الاَّ روحيًّا اراد ان يحققهُ لهم بواسطة علامات ظاهرة للحواس في السنين الأُولى بعد اختفائهِ اي بواسطة معجزات يعطيهم ان يفعلوها . ومتى دوَّنوا خبرها في تاريخ صادق يكفي ذلك شهادة للعالم فيما بعد . ولا يعود يلزم تجديدها جيلاً بعد جيل

لذلك وعدهم ان "هذه الآيات تتبع المؤمنين . يُخرجون الشياطين باسمهِ . ويتكلمون بالسنة جديدة . ويحملون حيَّات . وان شربوا شيئًا مميتًا لا يضرُّهم . ويضعون ايديهم على المرضى فيبرأُون" . لذلك كانت الآيات التي صنعها

الرسل فيما بعد باسمهِ اثباتًا كافيًا لكل ما ورد في هذا الخطاب الذي تأيَّدت فحواهُ على صورة عجيبة ظاهرة في التاريخ القديم ودالَّة على نجاح غير منتظر مطلقًا وبكاد لا يصدَّق . لان هذه الزمرة الضعيفة نشرت التعليم المسيحي في اكثر البلدان الراقية بوقتٍ قصير جدًّا . وانضمَّ ملايين من الامم الى الكنيسة الجديدة . فاخبار هذا النجاح الصادقة تعضد كثيرًا القول بالقيامة الحقيقية وبنسبة هذه الاقوال القوية الى يسوع ذاتهِ

الكلام في هذا الخطاب الوداعي لتلاميذهِ في الجليل مرتبط بعضهُ ببعض ارتباطًا فلسفيًّا متينًا . لان قولهُ انهُ صاحب السلطان في السماء وعلى الارض يحتاج الى برهان . فبَعِد ان يعطي البرهان في الآيات التي يجريها بواسطة المؤمنين بهِ . وفي الوقت ذاتهِ تنتقر هذه الآيات الى مسبِّب قادر ان يجريها . وهذا يستدعي حضورهُ معهم كل الايام . فهذه القضايا الثلاث تستلزم كلٌّ منها الاخرى وتثبت الواحدة الاخرى باتفاقها . ويسوع لا يقدر ان يمكّن رسلهُ من فعل الآيات بحضورهِ معهم وان يكون صاحب سلطان كهذا ما لم يصعد الى السماء بعد قيامتهِ ويجلس عن يمين العرش في الامجاد السماوية

يتبين من ظهورات يسوع بعد قيامتهِ انهُ لا يريد الصعود من اعماق الهاوية التي نزل اليها في عملهِ الخلاصي الى سموّ مجدهِ الالهي في السماء دون ان يمرَّ على الارض في جسد قيامتهِ المجَّد ليؤكد لتلاميذهِ انتقالهُ هذا ودوام عنايتهِ بهم وحبهِ لهم . ولكي يسلّمهم عملهُ ليتمموهُ . فهل وُجد بين هؤلاء شخص يضاهيهِ في الحكمة والقوة الروحية ليستنبط كلام هذا الخطاب ؟

أمرُ يسوع تلاميذهُ ان يبشروا العالم بانجيلهِ أمرٌ عموميّ ودائم يطلق على كل فرد من تابعيهِ . على انامهم هذه الوصية يتوقف وعدهُ لهم بانهُ يكون معهم كل الايام . لا يوجد عمل بشري اشرف وأسمى واجزل جزاء من هذا العمل التبشيري . لكن النجاح الذي وعد تلاميذهُ بهِ في تبشيرهم يتوقف على فعل الاقنوم الثالث في الاله الواحد . هو الروح القدس الذي عليهِ الاعتماد في

الاعمال الروحية ولاسيما بعد اختفاء الاقنوم الثاني المتأنس عن ابصار البشر

لذلك اوصى يسوع رسلهُ في هذا الاجتماع "ان لا يبرحوا من اورشليم بل ينتظروا موعد الآب". قال "اما انتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الايام بكثير. ليس لكم ان تعرفوا الازمنة والاوقات التي جعلها الآب في سلطانهِ. لكنكم ستنالون قوّة متى حلّ الروح القدس عليكم. وتكونون لي شهودًا في اورشليم وفي كل اليهودية والسامرة والى اقصى الارض"(١). ختم البشير متى كتابهُ بهذا الخطاب الذي جاء تأييدًا للاسم يسوع الذي ذكرهُ في اول بشارتهِ — اسم عمانوئيل الذي تفسيرهُ الله معنا. ويختم مرقس بعدهُ كتابهُ بكلام في الآيات التي رافقت الرسل بعد صعود سيدهم واثبتت جلوسهُ عن يمين الله واثبتت ايضًا كلام كرازتهم

اما الظهور التاسع فكان ليعقوب الرسول وحدهُ. وبولس فقط يتبثنا بهِ(٢). فالمطالع النبيه يلاحظ ان ظهوراتهِ كافةً (بعد قيامتهِ) حُصرت في تابعيهِ المؤمنين. وهذا الحصر في محلهِ. لانهُ يعلم ان ظهورهُ لخصومهِ لا يأتي بهم الى الايمان. قال مرّةً "ان لم يصدّقوا موسى والانبياء ولا ان قام واحد من الاموات يصدّقون"(٣). البرهان الحسي لا يكفي لمسّ القلب وتوليد الايمان بالامور الروحية. مثال ذلك ان الرؤساء علموا يقينًا بواسطة الحرّاس الذين استخدموهم بان يسوع حيًّا قام. لكنهم لم يؤمنوا. فيسوع لا يعمل عملاً عقيمًا. لا يظهر للذين لا يرجى منهم الايمان والشهادة لقيامتهِ فيما بعد. تكلم بطرس واضعًا في الحصر الذي نحن في صددهِ لما وعظ في بيت القائد الروماني في قيصرية. قال "هذا اقامهُ الله في اليوم الثالث واعطى ان يصير ظاهرًا ليس لجميع الشعب. بل لشهود سبق الله فانتخبهم. لنا نحن الذين

(١) مع اننا نرجح ان هذا الكلام بكليتهِ كان في الاجتماع الجليلي لا يمكن الجزم بذلك. لانهُ يجوز ان بعضهُ قيل على جبل الزيتون قبل صعودهِ (٢) ١كو١٥: ٧ يرجح انهُ يعقوب بن حلفى المسمى الاصغر او الصغير (٣) لو١٦: ٣١

أكلنا وشربنا معهُ بعد قيامتهِ من الاموات . واوصانا ان نكرز للشعب ونشهد بان هذا هو المعيَّن من الله ديَّانًا للاحياء والاموات "(١)

ولا يستثنى من هذا الحصر في ظهوراتهِ ظهورهُ الاعظم والاهم الذي حدث بعد صعودهِ لما ظهر للشخص الذي ذكرناهُ سابقًا المتنزِّع لمقاومتهِ . (نعني شاول الطرسوسي) . لانهُ قاد هذا المبغض حالاً وفجأةً الى الايمان بهِ(٢) . ولهذا الظهور الاخير فائدة جلّى هي نفي الاعتراض ان الذين تصوَّروا هذه الظهورات ورووا اخبارها هم محبُّوهُ سابقًا وتصوَّروها بسبب شدَّة حبهم لهُ وتمسكهم بهِ . وان شهادتهم شهادة مغرضين لهُ(٣) فليست ثابتة . فالقيمة العظمى لظهوراتهِ قوَّمها لاجل اثبات حقيقة قيامتهِ الامر الذي لا يمكن المبالغة في اهميتهِ بين كل قضايا اليقين المسيحي

ومن الامور الحرية بالذكر سكوت الانجيل تمامًا عن والدة يسوع بعد ساعات صلبهِ الى ما بعد صعودهِ . لانهُ بين الاسماء الكثيرة التي ذكرت من الذين شاهدوهُ في اثناء الاسابيع الستة بين قيامتهِ وصعودهِ لم يَرِد ذكرها مطلقًا

موت يسوع والحوادث المتعلقة بهِ اطفأت في التلاميذ آمالهم السابقة بالملكوت الزمني . لكن قيامتهُ أحيت وجدَّدت هذه الآمال . فلنا في سؤالهم في هذا الوقت برهان آخر لحقيقة قيامتهِ . اذ سألوهُ "يارب هل في هذا الوقت تردُّ الملك لاسرائيل "؟ فكان جوابهُ لم بيان خطإهم في السؤال مع بيان ماهية الآمال التي يجوز لهم بل يجب عليهم احياؤها . هي الآمال بالقوَّة الروحية التي تكفل لهم النجاح في عملهم الجديد كشهود ليسوع المخلص . علمهم ايضًا ان

(١) اع ١٠: ٤٠—٤٣ (٢) لم يُذكر هذا الظهور في البشائر . بل في سفر الاعمال للبشير لوقا . ثم في رسالة للذي ظهر يسوع لهُ اع ٩: ٣—٧ ١كو ١٥: ٨و٩

(٣) يلاحظ ان المنتقدين في العصر الرسولي ثم في العصور بعدهُ لم يقدِّموا هذه الحجة عند انكارهم القيامة كما يفعل المنتقدون المتأخرون

يبتدئوا بالقريب في تبشيرهم . ولكن لا يقفوا عند هذا الحدّ بل يمتدّوا فيهِ الى اقصى الارض

ليس عبثًا ان صباح القيامة تسمّى عند المسيحيين "صباح النور". لان اعظم نور رآهُ العالم ابرق عند ما قام من قبرهِ ذاك الذي قال "انا هو نور العالم"(١). والحق ان قبر المسيح المفتوح منبع عظيم للنور الروحاني. وضياع محلّهِ الحقيقي بدلاً من ان يُضعف هذا النور الحقيقي يقوّيهِ(٢)

فالشعاع الاول من هذا النور ما سبق شرحهُ اي تثبيت مجيء يسوع من السماء واكمال عملهِ الخلاصي وتحقيق صلاحيتهِ كابن الله وابن الانسان لان يكون المخلص الكافي والوحيد لبني البشر

والشعاع الثاني انارة القبر المظلم سابقًا حتى يزول رعبهُ من قلوب المؤمنين . نزل يسوع الى القبر امامنا لنستأنس نحن عند نزولنا وراءهُ. قال مرّة "ليس العبد افضل من سيدهِ"(٣). فما ذاقهُ سيدنا قبلنا لا نرتجف من ذوقهِ . لذلك نادى رسولهُ "اين غلبتكِ يا هاوية ؟ قد أُبتلع الموت الى غلبة"(٤). وقد سبق الكلام في امتصاص يسوع سمّ الموت ليسلمنا اياهُ سليمًا . وفي الاسماء الجميلة التي تستعمل كناية عن الموت . ولنا في كلام الرسول بيان مهم لعمل يسوع في هذا الباب لانهُ قال عنهُ انهُ اشترك مع البشر "في اللحم والدم لكي يبيد بالموت ذاك الذي لهُ سلطان الموت اي ابليس ويعتق اولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية(٥)

والشعاع الثالث تحقيق قيامة المؤمنين بالمجد . لان قيامة يسوع مثال وعربون لذلك . وبهذا المعنى يسمّى "البكر من الاموات"(٦). لانهُ اول من مات وقام لكي لا يعود الى الموت

---

(١) يو ٨:١٢ (٢) تعتقد بعض الفرق المسيحية خطأً بفيضان نور ظاهر للعيان سنويًا في الحمل المزعوم قبرًا للمسيح (٣) مت ١٠:٢٤ (٤) ١ كو ١٥:٥٤ و٥٥
(٥) عب ٢:١٤ و١٥ (٦) كو ١:١٨ و١ كو ١٥:٢٠

والشعاع الرابع كون قيامتهِ مقدّمة لصعودهِ في جسدٍ ممجّد ليجلس الى الابد كابن الانسان وابن الله عن يمين العرش الالهي في السماء يمارس عملهُ الشفاعيّ وينير بمجدهِ الباهي الديار السماوية[1]. فلا عجب اذا كتب الرسول العظيم العالم والمبشر الغيور بولس الى الكنيسة في قصبة فيلبي انهُ يحسب "كل شيء خسارة ونفاية لكي يعرف قوة قيامة يسوع المسيح"[2]

والشعاع الخامس تعزية الحزانى الذين يموت اعزّاؤهم ممّن لهم الحق بالطوبى القائلة "طوبى للاموات الذين يموتون في الرب منذ الآن. نعم يقول الروح لكي يستريحوا من اتعابهم. واعمالهم تتبعهم"[3]. لان هؤلاء الحزانى لهم ايضًا الطوبى الاخرى "طوبى للحزانى لانهم يتعزّون"[4]. كان المسيحيون في زمان الرسل والآباء يلبسون الابيض عند موت ذويهم اشارةً الى مجد قيامتهم العتيدة ويحسبون يوم موت المؤمن يوم ميلادهِ ومن جملة اعمال المسيح المجيدة التي وعد ان يجريها مع المؤمنين مسح كل دمعة من عيونهم. فبالنظر الى قيامة المؤمن المؤسسة على قيامة يسوع يقول مع الرسول "لان لي الموت هو ربح"[5]

بعد ان كفت ووفّت ظهوراتهُ الغايات المقصودة وكمل العمل الذي كان يستدعي وجودهُ جسديًا وظاهرًا بين الناس هيأ رسلهُ للفراق الجسدي النهائي[6]. فبعد عودهم الى اورشليم اطاعةً لامرهِ ظهر لهم واخرجهم الى بيت عنيا اي الى محلٍّ في جبل الزيتون في خراج هذه القرية[7]. وهناك رفع يديهِ وباركهم. ثم انفرد عنهم وارتفع وصعد الى السماء وهم ينظرون واخذتهُ سحابة عن اعينهم"

صعد من على الجبل والرسل يشخصون الى السماء. فبينما هو منطلق وقف امامهم ملاكان بهيئة رجلين بلباس ابيض وقالا لهم. "ايها الرجال

(١) رو٨:٣٤ (٢) في ٣:٨-١٠ (٣) رؤ١٤:١٣ (٤) مت ٥:٤
(٥) في ١:٢١ (٦) يو١٦:٢٠ (٧) اع ١:١٢

الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء ؟ ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموهُ منطلقًا الى السماء". حينئذٍ سجدوا لهُ لانهُ زاد يقينهم بوحدتهِ مع الله فجاز بل وجب عليهم السجود لهُ

ثم رجعوا من الجبل الى المدينة بفرح عظيم . وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله . رجعوا بفرح عظيم على رغم خسارتهم الجسيمة في فقدهم حضور يسوع جسديًا معهم . فرحوا لان عمل سيدهم الخطير قد كمل . وفرحوا لانهُ سلَّمهم عملاً يتبع عملهُ ويؤيدهُ . وارسلهم كما ارسلهُ الآب . وفرحوا لتاكيدهِ لهم انهُ يكون معهم كل الايام . وفرحوا لانهُ وعدهم بقوة كافية ليكونوا شهودهُ الى اقصى الارض

وكان من اعظم الاسباب الموجبة للفرح حينئذٍ بشارة الملاكين برجوع سيدهم ثانية الى العالم . تكلم يسوع بهذا المعنى ملمًّا وتكرارًا . لكن الارجح ان تأثير هذا الكلام في رسلهِ كان ضعيفًا نظير تأثير كلامهِ عن موتهِ وقيامتهِ. فجاء قول الملاكين بغاية الضرورة والمناسبة في ساعة افتراقهِ عنهم . ومن أهمّ المواضيع لكنيسة المسيح الآن موضوع مجيئهِ الثاني بالمجد . هذا رجاء الكنيسة العظيم . قد أُخفي عنّا الوقت الذي يجيء فيهِ . ولا يجوز الجزم بتفاصيل مجيئهِ متى جاء . لان الكلام الحرفي لا يُفصَل عن الكلام المجازي في النبوات المختصة بمجيئهِ . ومع ذلك فان صلاة المؤمنين الامناء المنتبهين الى وصايا سيدهم هي التي وردت في آية خاتمة الانجيل . "يقول الشاهد بهذا نعم انا آتي سريعًا. آمين تعالَ ايها الرب يسوع"(١)

وبعدهُ خرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة . لان سيدهم بسط فوقهم من عرشهِ السماوي بساط حمايتهِ ولم يسمح لاعدائهِ واعدائهم ان ينفعلوا بهم في تلك الايام كما فعلوا بهِ . ومع اننا لا نعلم ماذا حفظوا وماذا نبذوا من اصطلاحات العبادة اليهودية في ترددهم

(١) رؤ ٢٢: ٢٠

الى الهيكل نعلم انهم قدّموا أهمّ التقدمات والذبائح المرضية لله اي تقدمات الروح المنكسرة وذبائح الحمد والشكر(١)

ولكي لا يُظنّ ان هذه الاخبار هي كل ما يهمّ في تاريخ يسوع . قيل في خاتمة البشارة الرابعة " واشياء أُخر كثيرة صنعها يسوع ان كُتبت واحدة واحدة فلست اظن ان العالم نفسهُ يسع الكتب المكتوبة ". هذه نهاية اخبار هذا الشخص الفريد الالهي مدّة وجوده ظاهرًا على الارض

كان لقبهُ المعروف بين الناس " المعلم ". في سنيهِ الثلاثة ونصف وهو يمارس وظيفتهُ كان عملهُ الاكثر والاعظم ليس المعجزات بل التعليم

علّم ان الاله الواحد الذي هو روح يتخذ نحو البشر نسبةً ابويّةً تحملهُ بحبهم على رغم شرورهم . وان الاصل في الدين ليس ما يعملهُ الانسان اطاعةً وارضاء لله بل ما يعملهُ الاله للانسان وما يهبهُ لهُ حبًّا . علّم ان ليس لاعمال بشرية مهما حسنت ان تحوّل فاعلها خلاص النفس. لان الخلاص يعطى فقط بالايمان بالذبيحة التي قدّمها يسوع لما قدّم نفسهُ . وان قيمة الدنيا وكل ما فيها زهيدة جدًّا بالنسبة الى الصلاح الحقيقي والرضى الالهي . وان الدين لا يقوم بالطقوس والفرائض الخارجية ولان هذه مهما كانت حسنة وضرورية ليست سوى الثوب الخارجي اللائق للدين. لان جوهر الدين داخلي وروحي محض(٢) ومركزهُ الحقيقي في القلوب لا في الابدان حتى ولا في العقول. وان الرياء في الدين اي التظاهر بما ليس في القلب من متعلقات الدين هو اكره جميع انواع الشر لديهِ تعالى . وان العشارين والخطأة اقرب الى ملكوت السموات من رؤساء الدين ومعتبريهِ متى كانوا مرائين . وان خدمة الانسان لبني جنسهِ هي علّة عظمتهِ الحقيقية وحجة اكتسابهِ الرضى الالهي في الدنيا والآخرة . وان الاكرام ليس للتشامخ بل للتواضع . وان الاصل في كتاب الوحي هو

(١) مز ٥١:٤ و٥٠:٢٣ و١٦:٥١ و١٧ (٢) لو ٢١:١٧

روح كلامه لا حرفه وان التقاليد البشرية لا تجوز اضافتها الى التعاليم الالهية كقانون يربط الضمير

انجيل يسوع المسيح هو لكل العالم والى كل الايام حتى انقضاء الدهر . ليس هو مجرّد خبر عن امور ماضية وشخص غائب كغيره من اخبار العظماء بل هو اعلان بخلّص حاضر وبامور حالية تهمّ كل انسان كما تهمّه حياته . ففوق ضجيج اعظم انواء الحياة يسمع المؤمن صوت هذا العظيم قائلاً "لا تخف انا هو الاوّل والآخر الكائن والذي كان والذي يأتي وها انا حيٌّ الى ابد الابدين"(١) ثق يا بنيّ انا قد غلبت العالم"(٢) بحسب ايمانك ليكن لك"(٣) ويشعر بلمس يديه القادرتين ويعلم ان لمسها يمنحه الشفاء والحياة لانه يعرف من معرفته الحياة الابدية (٤) . ومن اهمّ نتائج درس سيرة يسوع المسيح المعرفة التي تتولد في المطالع بان كثيرًا من القياسات البشرية لا نصحّ فيه . فيشعر بان هذا الخروج عن تلك القياسات ينجم لزومًا عن طبيعته الاخرى الالهية الحقيقية

ينال المؤمن من رفيقه "عمانوئيل" السلوى في زمان الوحشة والفرج في زمان الضيق . والتشجيع في ساعة الخوف . والتحذير في ساعة التجربة . والتوبيخ في ساعة السقوط . والتنشيط في ساعة العمل . والهدى والتدريب في ساعة الحيرة والشك والقصور . والمغفرة في ساعة التوبة . والمديح في ساعة الانتصار

بعد سماعنا شهادة بشائر الملائكة حول سريره ورؤيتنا شهادة نجم المجوس لعظمته وفتح السموات لاجل ظهور الحمامة السموية عند الاردن ومجيء الصوت من السماء المعلن مقامه عند الله والخدمة الملاكية عند التجربة في البرية . وهيئته اللامعة المجدّة وزيارة النبيّين الشهيرَين من السماء وصوت الآب ثانية لابنه الحبيب على جبل التجلي . والصوت الثالث الالهي في دار

(١) رؤ ١: ٨ و١٨ (٢) يو ١٦: ٣٣ (٣) مت ٩: ٢٩ (٤) يو ١٧: ٣

الميكل في اسبوع الآلام والخدمة الملاكية في بستان جثسيماني . واظلام الشمس وتزلزل الارض وشقّ الصخور وفتح القبور في الجلجثة . والزلزلة الثانية التي افزعت الحراس . والملاك الذي دحرج الحجر عن باب القبر وظهورات الملائكة المكرّرة حول القبر . وظهوراته العشرة بعد قيامته . ثم سهولة صنعه معجزاته طول ايامه ووفرة عددها وبهجة اسلوبها وكمالاته الادبية والروحية ثم صعوده المجيد الى السماء في مركبته السحابية وجلوسه عن يمين الله. بعد مشاهدتنا هذه كلها نفهم فاتحة يوحنا البشير لما كتب "في البدء كان الكلمة وكان الكلمة الله *** والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده كما لوحيدٍ من الآب مملوًّا نعمة وحقًّا"

في تعاليم يسوع الازلية الاساس والابدية القرار وتأثيرها الفائق الوصف. في حبه الصبور المتفاني ولطفه الحنون المتسامح كما في غضبه الحادّ الصالح وتوبيخه المرّ الصادق. في احتماله العجيب المتناهي من محبيه ومبغضيه حتى الترك الوقتي من ابيه . ثم في انتصاره التام على كل المكائد العدوانية وكل القوى الجهنمية وكل ذلك لخلاص الجبلة البشرية نرى الاساس الكافي لخاتمة البشارة ذاعها لما كتب يوحنا "واما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم اذا آمنتم حياةٌ باسمه"

(١) يو ١:١ و١٤

فهرس المواضيع

تمهيد

الزعامة المسيحية . فحص بيلاطس يسوع وتبرئتهُ اياهُ . صلاح يسوع يثبت ما يقولهُ . الصلاح البشري يستدعي الاعتراف بالقصور . كمال يسوع . المقاومات للمذهب المسيحي . تمحيص الكتاب المقدس . القصد من هذا الكتاب . ملخص وصف شخصية يسوع . المحبة اساس الدعوة المسيحية . درجات المحبة . مقام المحبة في الدين صفحة ٧ — ١٢

الفصل الاول

مقدمات البشائر الاربع . شخصية مرقس وبشارتهُ . شخصية لوقا وبشارتهُ . شخصية يوحنا وبشارتهُ . تناقم الضلال في انكار لاهوت يسوع المسيح . مقدّمة بشارة يوحنا الممتازة . شخصية متى وبشارتهُ . نسب يسوع المسيح البشري . ١٢ — ٢١

الفصل الثاني

الظهورات الملاكية . زمان البشارة لزكريا وظروفها . زكريا واليصابات . هيرودس الكبير وشرورهُ . ظهور جبرائيل لزكريا . شك زكريا وقصاصهُ .

حبل اليصابات العجيب . الكهنوتان اليهودي والمسيحي. اتمام النبوّات في المسيح. اندثار النظام الموسوي عقيب ظهور المسيح ٢٢ — ٣٣

الفصل الثالث

بشارة الملاك لمريم . مقام العذراء السامي . شعورها عند البشارة . حيرة يوسف . بشارة الملاك له . اخذهُ مريم الى بيتهِ . زيارة مريم لاليصابات . سلام اليصابات . تسبحة مريم البهيجة . احوالها الخارجية الوضيعة . ولادة يوحنا . تسبيحة زكريا ٣٤ — ٤٦

الفصل الرابع

وصف اورشليم والهيكل. ولادة يسوع . ظهور الملائكة للرعاة. حوادث سهول بيت لحم . زيارة الرعاة . تقديس درجة الطفولية . ختان يسوع . تقديمهُ في الهيكل وتطهير مريم . مباركة سمعان الطفل . احتفاء النبيّة حنة بهِ . ادلّة عظمة شخصهِ ٤٧ — ٥٨

الفصل الخامس

اهتمام قوّات الشر بولادة يسوع . قدوم المجوس من المشرق الى اورشليم وتأثير ذلك . النجم الذي ظهر لهم وما يتعلّق بهِ. زيارة المجوس الطفل في بيت لحم . رجوعهم على غير طريق اورشليم . الهرب الى مصر وتشييعهِ . غيظ هيرودس وقتلهُ اطفال بيت لحم . العود من مصر والاستيطان في الناصرة. الغرائب التي حفّت بطفوليتهِ . المختفون بولادتهِ . ملء الزمان ٥٩ — ٧١

الفصل السادس

السكوت الغريب عن حوادث سني يسوع الاولى . النظر في طبيعتهِ

الالهية والبشرية . زيارتهُ اورشليم وهو ابن اثنتي عشرة سنة . بقاؤهُ في المدينة دون علم ذويهِ . مريم ويوسف يفتشان عنهُ ويجدانه . تفسير جوابهِ . السكوت عن اخبارهِ مدة ٢٩ سنة . مناسبة الناصرة لاجل نشوئهِ فيها ٧٢ — ٨٤

الفصل السابع

ظهور المعمدان المتنبأ عنهُ . عملهُ في الوعظ والتعميد . انباؤهُ بالمسيح الذي يعمد بالروح القدس . مجيء يسوع ليعتمد منهُ . رضوخ المعمدان بعد التمنع . المعنى في اعتمادهِ . حلول الروح القدس بهيئة ظاهرة وصوت من السماء . اشتراك الثالوث الاقدس . اقنومية الروح القدس ٨٥ — ٩٩

الفصل الثامن

شخصية ابليس . الداعي لتجربة يسوع . خطة المجرّب . المقابلة بين تجربة آدم ويسوع . صوم يسوع . التجربة الاولى . تجربتهُ كابن الانسان . معاني هذه التجربة . التجربة الثانية ومعانيها . التجربة الثالثة ومعانيها . نتائج انتصارهِ على ابليس ١٠٠ — ١١٤

الفصل التاسع

عود يسوع من البرية الى مقرّ المعمدان . النسك . وفد الفرّيسيين وشهادة المعمدان . انحطاط الكهنوت وتقدُّم الكتبة والفريسيين . شهادة المعمدان الثانية . تلمذا يسوع الاولان . حمل الله . جمالهُ الشخصي . تجديد تلاميذ آخرين . شهادة نثنائيل العظمى . شهادة يسوع الاولى لنفسهِ ١١٥ — ١٢٧

الفصل العاشر

شرح في المعجزات اجمالاً . العرس في قانا الجليل . مشرب يسوع في

الافراح . مداخلة مريم أمهِ . معجزتهُ الاولى تحويل الماء خمرًا . ادلة صدق هذه المعجزة . النظر في استعمال الخمر . تكريمهُ الزواج . مقام مريم أمهِ . اخوتهُ في الجسد ١٣٨ — ١٤٠

الفصل الحادي عشر

الخلل الديني في زمن يسوع . ابتداء عملهِ كمصلح في كبار القوم . طردهُ الباعة من الهيكل . خدمتهُ الاولى في اورشليم . اعتراضات الرؤساء . الغضب الذي يكون فضيلة . نقيجة الاستخفاف الديني . نتيجة حب المال . عملهُ بخفيات الناس ١٤١ — ١٥١

الفصل الثاني عشر

زيارة الرئيس نيقوديموس يسوع . خطاب يسوع الاول وموضوعهُ الولادة الثانية . ملكوت الله حياة داخلية . القضايا الجوهرية في هذا الخطاب . المعمودية . انصرافهُ من اورشليم والتعميد بواسطة تلاميذهِ . الجدال في التطهير . تلاميذ المعمدان . يسوع عريس الكنيسة . شهادة المعمدان الرابعة . سجن هيرودس المعمدان . انصراف يسوع من اليهودية ١٥٣ — ١٦٤

الفصل الثالث عشر

اليهود والسامريون . مرور يسوع في السامرة وجلوسهُ على بئر يعقوب . مجيء المرأة السامرية لتستقي . توقير النساء . محاورتهُ مع هذه السامرية عن ماء الحياة الذي يعطيهِ هو . روحانية الله والعبادة الحقيقية . ايمان المرأة بهِ وبكلامهِ وغيرتها على مواطنيها . كلامهُ مع تلاميذهِ في الطعام الخفيّ . الحصاد الروحي في سوخار . حوادث الآبار في الكتاب ١٦٥ — ١٧٦

الفصل الرابع عشر

جولان يسوع الاول في الجليل وكلامهُ الاول في التبشير . شفاؤهُ ابن خادم الملك في كفرناحوم . ايمان خادم الملك وبيتهِ بهِ . عودهُ الى الناصرة حيث قدَّم عظتهُ الاولى امام جمهور . تعجب اهل وطنهِ ثم غيظهم ومحاولتهم قتلهُ . انتقالهُ من الناصرة وسكنهُ في كفرناحوم ١٧٧ – ١٨٧

الفصل الخامس عشر

دعوة يسوع اندراوس وبطرس ويوحنا . حكم الدين على العلاقات العائلية . اخراجهُ روحًا نجسًا وهو يعظ في كفرناحوم . السكن الشيطاني في زمن يسوع . شفاء حماة بطرس . حوادث الازدحام والشفاء . شهادة الشياطين لهُ . العلاقة بين الخطايا والامراض . منعول الايمان في شفاء الامراض . اختلاء يسوع للصلاة وجولانهُ للتبشير والشفاء ١٨٨ – ١٩٩

الفصل السادس عشر

البرص وتطهير مصاب بهِ . امانة يسوع لمذهبهِ اليهودي . معاملة الابرص عند اليهود . عجيبة صيد السمك . ترك التلاميذ الاربعة صيد السمك واتباعهم يسوع . شفاء مفلوج . غفران الخطايا . اتهام الرؤساء اياهُ بالتجديف وجوابهُ على ذلك ٢٠٠ – ٢١٢

الفصل السابع عشر

دعوة متى . العشارون واعتناء يسوع بهم . قصد يسوع في التفتيش عن الضالين . بحثهُ في الصوم . الاصول في الصوم الحقيقي . تشبيه يسوع بالعريس . العتيق والجديد . التطرُّف في الطقوس ٢١٤ – ٢٢٦

الفصل الثامن عشر

تعليم يسوع في امر السبت . ثقل نير اليهود المتعلق بالسبت . شفاء المقعد عند بركة بيت حسدا . القضاء الالهي وحرية الانسان . اعتراض اليهود وجوابهُ على ذلك . وحدة الآب والابن . الحياة بالابن ٢٢٧-٢٤١

الفصل التاسع عشر

قطف السنابل في السبت . وضع السبت واصول حفظهِ . شفاء ذي اليد اليابسة . الهيرودسيون . تمسك الشعب بيسوع وتكثيرهُ الشفاء . شهادة الشياطين لهُ . اختيارهُ اثني عشر رسولاً ٢٤٢ – ٢٥٥

الفصل العشرون

الوعظ على الجبل . صفات ابناء الملكوت . تأثيرهم كالملح والنور . تثبيت نظام الملكوت . ايضاح روح الناموس . الصدقة . الصلاة مع الصلاة الربانية . الصوم . الكنز الباقي . عناية الله . النهي عن دينونة الآخرين . فاعلية الصلاة . القاعدة الذهبية . من ثمارهم تعرفونهم . العاقل والجاهل ٢٥٦ – ٢٧٢

الفصل الحادي والعشرون

ابراؤهُ غلام قائد المئة . اصول الشفاعة . يأتون من المشارق والمغارب . اقامة ابن ارملة نايين . اصطلاحات اليهود في المآتم . ارسالية المعمدان الاخيرة . الشكوك في الدين . جواب يسوع بالافعال لا بالاقوال . تعظيم يسوع المعمدان . توبيخه المدن الثلاث . دعوتهُ المتعبين ٢٧٣ – ٢٨٧

الفصل الثاني والعشرون

دعوة سمعان الفريسي يسوع . دهن المرأة التائبة قدميهِ بالطيب .

مثل المديونين . المحبة ثمر المغفرة . خدمة النساء وفضيلة العطاء . اتيان اهلهِ ليمسكوهُ كمختلّ . شفاؤهُ اعمى اخرس مجنون . اتهام الفريسيين اياهُ بالاشتراك مع الشيطان . دينونة الفريسيين لاجل التجديف على الروح القدس وتعريف هذا التجديف . الاصلاح يبتدئ في القلب قبل العمل . طلب الفريسيين آية . اعطاؤهُ اياهم آية يونان النبي . اقرباء يسوع الحقيقيون ٢٨٨ — ٣٠٠

الفصل الثالث والعشرون

مثل الزارع واقسام سامعي الكلمة . مثل زوان الحقل . مثل نموّ الزرع الخفي . مثل حبة الخردل وازدياد الملكوت . مثل الخميرة ومنعول اهل الملكوت . تفسير مثل الزوان . مثل الكنز المخفى . مثل اللؤلؤة الحسنة . مثل الشبكة . الاصول الصحيحة في تفسير الامثال ٣٠١ — ٣١٠

الفصل الرابع والعشرون

سلطان يسوع على الطبيعة والمصائب . المقابلة بين يسوع وبونان في النوء . تسكينهُ النوء في بحر الجليل . سلطانهُ على الشياطين والتجارب الداخلية . اخراج الشياطين من مجنونين في جدرة . اهلاك قطيع الخنازير . غلط اهل جدرة الجسيم . انواع الطلب وانواع الاستجابة ٣١١ — ٣٢٣

الفصل الخامس والعشرون

اقامة ابنة يايرس من الموت . شفاء نازفة الدم . فتح اعين اعميين . شفاء اخرس مجنون . الرفض الثاني في الناصرة . الجولان الثالث في الجليل . ارسال الاثني عشر للتبشير ٣٢٤ — ٣٣٧

الفصل السادس والعشرون

هيرودس انتيباس . هيرودياً وانتقامها من المعمدان . وليمة هيرودس وقطع رأس المعمدان . مضي يسوع مع تلاميذهِ الى عبر البحر . اشباع الخمسة الآلاف في بيت صيدا بوليباس . المقابلة بين وليمة هيرودس ووليمة يسوع . قصد الجموع اقامتهُ ملكاً ٢٢٨ — ٢٥١

الفصل السابع والعشرون

المشي على الماء . ارتعاب الرسل ومشي بطرس على الماء . خطاب يسوع للجموع في خبز الحياة . ارتداد كثيرين عنهُ . الاكل بأيدٍ غير مغسولة . تمسُّك اليهود الفارغ بالتقاليد وتوبيخهُ اياهم على شر الرياء . ماهية الطهارة والنجاسة ٢٥٢ — ٢٦٥

الفصل الثامن والعشرون

ذهاب يسوع ورسلهُ الى البلاد الفينيقية . شفاؤهُ ابنة مجنونة هناك . شفاعة الرسل والقديسين . ايمان والدتها العجيب بعد امتحان يسوع اياها شديداً . رجوعهُ الى العشر مدن . شفاؤهُ أصمَّ اعقد هناك ٢٦٦ — ٢٧٥

الفصل التاسع والعشرون

اشباع الاربعة الآلاف . التحذير من خمير الفريسيين . شفاؤهُ اعمى بيت صيدا . اعتراف بطرس الشهير في مَن هو يسوع . مفاتيح ملكوت السموات . الكلام في مقام بطرس الحقيقي . ماهيَّة السلطان الرسولي . انباء يسوع الاول بموتهِ وقيامتهِ . اعتراض بطرس على ذلك وتوبيخ يسوع اياهُ . كيفية اتباع المسيح ٢٧٦ — ٢٨٩

الفصل الثلاثون

التجلّي على الجبل . ظهور موسى وايليّا وحديث يسوع معهما بخصوص موته العتيد . الصوت من السماء . الفوائد الناجمة عن التجلّي . فشل الرسل التسعة في محاولتهم اخراج الروح النجس . نزول يسوع والرسل الثلاثة من الجبل واخراج الروح الشرير ٣٩٠ – ٤٠٢

الفصل الحادي والثلاثون

المعجزة لايفاء الجزية . مثالة في التواضع . العثرات وتجنبها والويل لمسببها . يسوع جاء ليردّ الضالين . تحذيرهُ من احتقار الصغار . قانون المسامحة الاخويّة . تصريحهُ بحضورهِ الدائم مع تلاميذهِ . مثَل العبد الظالم والنهي عن الحقد ٤٠٣ – ٤١٤

الفصل الثاني والثلاثون

عيد المظالّ وصعود يسوع اليهِ . عدم ايمان اخوتهِ بهِ . تعليمهُ في الهيكل . طلب اليهود قتلهُ . ايمان كثيرين بهِ . مناداتهُ بالماء الحي . ارسال الفريسيين خدّامًا ليمسكوهُ ومدافعة نيقوديموس . الاتيان اليهِ بامرأة أُمسكت في زنًى . فتحهُ لها باب التوبة والرجاء . خطابهُ في الشهادات التي لهُ . دينونة الذين يبغضونهُ . الحرّية الروحيّة ٤١٥ – ٤٢٥

الفصل الثالث والثلاثون

ترك الجليل نهائيًّا . رفض السامريين اياهُ وطلب يعقوب ويوحنا الانتقام منهم . الذين قصدوا اتباع يسوع عبثًا . ارسال السبعين للتبشير وتدريبهم . توبيخهُ المدن الثلاث ثانيةً . رجوع السبعين وتهلّل يسوع . الناموسي الذي قام ليجربهُ . مثل السامري الصالح . مَن هو قريبي ٤٢٦ – ٤٤١

الفصل الرابع والثلاثون

يسوع في بيت عنيا . فتحهُ عينَي اكمه . اوهام بخصوص المصائب . المحاورة مع اليهود بخصوص هذه المعجزة . مقابلة يسوع الاكمه وتثبيت ايمانهِ . طرد اليهود هذا الرجل من المجمع ٤٤٢-٤٥٤

الفصل الخامس والثلاثون

الرعاة الامناء والرعاة الغير الامناء . يسوع الراعي الصالح . عيد التجديد . الحديث في الصلاة . اخراج شيطان من اخرس . اتهام يسوع بالاشتراك مع الشياطين . الويلات على مائدة الفريسي . جوابهُ للناموسي ٤٥٥ – ٤٦٧

الفصل السادس والثلاثون

التحذير من روح الفريسيين . شرّ الرياء . مثل الغني الغبيّ . عناية الله تنفي الهمّ . الاستعداد والسهر . الامانة والخيانة في الوكيل . ذبح الجليليين في الهيكل . شفاء المنحنية في السبت . الباب الضيّق والتحذير من هيرودس . ابراؤهُ المستسقي . الاتضاع والارتفاع . الاحسان . العشاء العظيم والاعذار . تقدير الصعوبات ٤٦٨ – ٤٨١

الفصل السابع والثلاثون

معاملة يسوع الفريسيين والعشارين . الفرق بين الفرقتين . التفاف العشارين حولهُ . تذمّر الفريسيين . مثل الخروف الضالّ . مثل الدرهم المفقود . مثل الابن الضالّ وكيفيّة رجوعهِ الى بيت ابيهِ . الغفران وتأثيرهُ . الابن الاكبر وفعل الحسد فيهِ . الفريسيون والعشارون ايضاً ٤٨٣-٤٩٦

الفصل الثامن والثلاثون

مثَل وكيل الظلم . مثَل الغني ولعازر . المسامحة . لا فضل في اتمام الواجب . مرض صديقهِ لعازر . الرأي المسيحي في الموت . مجيء يسوع الى بيت عنيا . يسوع هو القيامة والحياة . بكاؤهُ عند القبر . اقامتهُ لعازر . ايمان كثيرين بهِ وغيظ الرؤساء من ذلك . مؤامرتهم على قتلهِ . مشورة قيافا ونبوءتهُ ٤٩٧ — ٥٠٩

الفصل التاسع والثلاثون

تطهير العشرة البرص . اتيان الملكوت . الفريسي والعشّار . سُنّة الطلاق . مباركة الاطفال . الرئيس الشاب الغني . مثَل فعلة الكرم — انباؤهُ الثالث بموتهِ وقيامتهِ . طموح امرأة زبدي وابنَيها . اعميا اريحا . زكّا العشّار وضيافتهُ وتغييرهُ . الوصول الى بيت عنيا والعشاء والدهن بالطيب . المؤامرة على لعازر ٥١٠ — ٥٢١

الفصل الاربعون

دخولهُ اورشليم راكبًا . احتفاء الجموع بهِ . بكاؤهُ على اورشليم . تيبيسهُ التينة الغير مثمرة . تطهيرهُ الهيكل ثانية . كلامهُ في قوة الايمان ٥٢٢ — ٥٣٤

الفصل الحادي والاربعون

السؤال عن السلطان . مثَل الابنَين . مثَل الكرّامين . مثَل عرس ابن الملك . السؤال عن الجزية . السؤال عن القيامة . الوصية الاولى والعظمى . المسيح ابن داود وربهُ . الويلات على الكتبة والفريسيين والتحذير منهم . فلسا الارملة ٥٣٥ — ٥٤٧

الفصل الثاني والاربعون

طلب اليونانيين . خطاب يسوع في الهيكل . الذين آمنوا والذين لم يؤمنوا . انباؤهُ بخراب الهيكل . علامات مجيئهِ — وجوب السهر . العبد الامين والعبد الرديء . مثَل العشر عذارى . مثَل الوزنات . الفصل بين الاشرار والاخيار يوم الدين . مؤامرة الرؤساء على قتل يسوع . معاهدة الاسخريوطي معهم على بيع سيدهِ ٥٤٨ — ٥٥٩

الفصل الثالث والاربعون

الاستعداد للفصح . المشاجرة . غسل الارجل . عشاء الفصح . عواطف يسوع . الخائن وخروجهُ . العشاء الرباني . الاستحالة . اهمية سفك الدم . الوصية الجديدة . الانباء بانكار بطرس وتشتت التلاميذ وشكهم ٥٦٠-٥٧٦

الفصل الرابع والاربعون

خطاب يسوع الوداعي . مقامهُ . وعدهُ بالروح القدس . سلامهُ . هو الكرمة . الثبات فيهِ . المحبَّة الاخويَّة . عداوة العالم . فعل الروح القدس . حزن الرسل . صلاتهُ الشفاعيَّة . الخروج ليلاً . الصلاة والآلام في جثسماني . ماهيَّة الكاس . تسليم يهوذا اياهُ والقبض عليهِ . قطع اذن ملخس . هرب التلاميذ ٥٧٧ — ٥٩١

الفصل الخامس والاربعون

اخذهُ الى حنان وقيافا واستجوابهما اياهُ . قوانين المحاكمة . محاكمتهُ امام المجمع . الحكم باعدامهِ . الاستهزاء . انكار بطرس وتوبتهُ . احضارهُ ثانيةً امام المجمع . ندم يهوذا وانتحارهُ والمقابلة بينهُ وبين بطرس ٥٩٢ — ٦٠٧

الفصل السادس والاربعون

اخذهُ الى بيلاطس الوالي . فحص بيلاطس وتبرئتهُ الاولى . تبرئتهُ الثانية . ارسالهُ الى هيرودس وارجاعهُ الى بيلاطس . تبرئتهُ الثالثة . باراباس اللص . حلم امرأة بيلاطس . تبرئتهُ الرابعة . تحويل بيلاطس المسؤولية عن نفسهِ . تسليمهُ للعسكر . تكرار الاستهزاء بهِ . تبرئتهُ الخامسة . الحاح الجموع باطلاق باراباس وصلب يسوع . تسليمهُ لليهود ليُصلَب . تجديد الاستهزاء بهِ واخذهُ للصلب ٦٠٨ – ٦٢٣

الفصل السابع والاربعون

اصطلاحات الصلب . تسخير سمعان لحمل الصليب . حنان النساء عليهِ . موقع الصلب . تقديم الخل . كلمتهُ الاولى على الصليب . صلبهُ بين لصَّين . عنوانهُ على الصليب . اقتسام ثيابهِ . الاستهزاء بهِ . اللص التائب . كلمتهُ الثانية على الصليب ٦٢٤ – ٦٢٧

الفصل الثامن والاربعون

كلمة يسوع الثالثة من على الصليب . الظلمة . كلمتهُ الرابعة . ماهيَّة الكاس . كلمتهُ الخامسة . كلمتهُ السادسة . ماذا قد أُكمل . كلمتهُ السابعة . المعجزات عند صليبهِ . النساء . تسليم الروح . شهادة قائد المئة . طعن جنبهِ . الانزال عن الصليب . يوسف الرامي ونيقوديموس . الدفن . ضبط القبر . يأس التلاميذ ٦٢٨ – ٦٥٣

الفصل التاسع والاربعون

انفراد يسوع العجيب . المقابلة بين معجزة ولادتهِ ومعجزة قيامتهِ . مقاصد

كتبة الانجيل . قوانين التفسير . مونهُ الحقيقي . استعداد النساء . قيامتهُ والمعجزات المرافقة . ابلاغ المجدلية بطرس وبوحنّا . ظهور الملائكة للنساء ٦٥٤ – ٦٦٤

الفصل الخمسون

ظهور يسوع للمجدليّة اولاً . ظهورهُ الثاني وكان للرسلين . اخبار النساء التلاميذَ بقيامتهِ . رشوة الحرّاس ليقدموا تقريرًا كاذبًا . تحقيق القيامة بعد موت حقيقي . تشكيك التلاميذ بقيامتهِ . الاعتماد على شهادة الحواس ٦٦٥–٦٧٥

الفصل الحادي والخمسون

الظهور الثالث . الظهور الرابع . الظهور الخامس . شك توما الرسول . الظهور السادس . السبت المسيحي . الذهاب الى الجليل . الظهور السابع . الصيد العجيب . امتحانهُ بطرس ٦٧٦ – ٦٩١

الفصل الثاني والخمسون

الظهور الثامن . اقوال يسوع العظيمة واثباتها قيامتهُ . اهمية التبشير . الظهور التاسع . ظهوراتهُ حُصِرت في المؤمنين . قوة القيامة . الظهور العاشر . كلام الوداع . صعودهُ الى السماء . موجبات فرح رسلهِ . مجيئهُ الثاني . لائحة تعاليمهِ . هباتهُ المجيدة . بيّنات عظمتهِ ٦٩٢ – ٧٠٢

فهرس الآيات

فصل	متى	مرقس	لوقا	يوحنّا	صفحة
١	١:١–١٧	١:١	١:١–٤و٢:٢٢–٣٨	١:١–٥و٩–١٤و١٦–١٨	١٢
٢			١:٥–٣٥		٢٢
٣	١:١٨–٢٥		١:٢٦–٨٠		٢٤
٤			٢:١–٣٨		٤٧
٥	١:٢–٢٢		٢:٣٩و٤٠		٥٩
٦			٢:٤١–٥٢		٧٢
٧	١:٢–١٧	١:٢–١١	١:٣–١٨و٢١و٢٢	١:٦–٨و١٥	٨٥
٨	١:٤–١١	١:٩–١٣	١:٤–١٢		١٠٠
٩				١:١٠–١٥	١١٥
١٠				٢:١–١٢	١٢٨
١١				٢:١٢–٢٥	١٤١
١٢	٤:١٢	١:١٤	٤:١٤	٣:١–٤:٤	١٥٣
١٣				٤:٥–٤٢	١٦٥
١٤	٤:١٢–١٧	١:١٤و١٥	٤:١٤–٣١	٤:٤٣–٥٤	١٧٧

فهرس الآيات

فصل	متى	مرقس	لوقا	يوحنّا	صفحة
١٥	١٨:٤—٢٠ ٨:١٤—١٧	١:١٦—٢٩	٤:٢٢—٤٤		١٨٨
١٦	١:٨—٤و١:٩—٨	١:٤٠—٢:١٢	١:٥—٢٦		٢٠٠
١٧	٩:٩—٧٠	٣:١٤—٢٢	١:٢٧—٢٩		٢١٤
١٨				١:٥—٤٧	٢٢٧
١٩	٢٢:٤—٢٥و١٠:٢ ٤و١٢:١—٢١	٢:٢٢—١٩:٢	١:٦—١٩		٢٤٢
٢٠	١:٥—٢٩:٧		٢٠:٦—٤٩		٢٥٦
٢١	٥:٨—١٢و١١:٢—٢٠		٧: —٢٥		٢٧٢
٢٢	٢٢:١—٥٠	١٩:٢—٢٥	٢٦:٧—٢:٨و١٩—٢١		٢٨٨
٢٣	١:١٢—٥٢	١:٤—٢٤	٤:٨—١٨		٣٠١
٢٤	١٨:٨و٢٢—٢٤	٣٥:٤—٢٠:٥	٢١:٨—٢٩		٣١١
٢٥	١:٩و١٨:٩—١١:١و١٣:٥٤—٥٨	٣١:٥—٤٢و١:٦—١٢	٤٠:٨—٦:٩		٣٢٤
٢٦	١:١٤—٢٢	١٤:٦—٤٦	١٩:٢و٢٠و٧:٩—١٧	١:٦—١٥	٣٣٨
٢٧	٢٤:١٤—١٥:٢٠	٤٧:٦—٢٢:٧		١٦:٦—٧١	٣٥٢
٢٨	٢١:٥—٢١	٢٤:٧—٣٧			٣٦٦

فهرس الآيات

فصل	متى	مرقس	لوقا	يوحنّا	صفحة
٢٩	١٥:٢٢–١٦:٢٨	٨:١–٩:١	٩:١٨–٢٧		٢٧١
٣٠	١٧:١–٢٢	٩:٢–٢٢	٩:٢٨–٤٥		٢٩٠
٣١	١٧:٢٤–١٨:٣٥	٩:٢٢–٥٠	٩:٤٦–٥٠		٤٠٢
٣٢				٧:١–٨:٥٩	٤١٥
٣٣	٨:١٩–٢٢,١٩:١و٢	١٠:١	٩:٥–١٠:٢٧		٤٢٦
٣٤			١٠:٢٨–٤٣	٩:١–٤١	٤٤٢
٣٥			١١:١–٥٤	١٠:٢٢–٤٢	٤٥٥
٣٦			١٢:١–١٤:٢٥		٤٦٨
٣٧			١٥ ١–٢٢		٤٨٢
٣٨			١٦:١–١٧:١٠	١١:١–٥٤	٤٩٧
٣٩	١٩:٢–٢٠:٢٤,٢٦:٦–١٢	١٠:٢–٥٢و١٤:٢–٩	١٧:١١–١٩:٣٨	١١:١٢–٥٥:١١	٥١٠
٤٠	٣١:١–٢٢	١١:١–٢٦	١٩:٣٩–٤٨	١٢:١٢–١٩	٥٢٢
٤١	٢١:٢٢–٢٩:٢٢	١١:٢٧–١٢:٤٤	٢٠:١–٢١:٤		٥٢٥
٤٢	٢٤:١–٢٦:٥,٢٦:١٤–١٦	١٢:١–١٤:١و٢و١٠و١١	٢١:٥–٢٨و٢٢:١–٦	١٢:٢٠–٥٠	٥٤٨

فهرس الآيات

فصل	متى	مرقس	لوقا	يوحنا	صفحة
٤٣	٢٦:١٧–١٩و٢١–٢٥	١٤:١٢–٢٥و٢٧–٢١	٢١:٢٧و٢٨و٢٢:٢–٢٨	١٢:١–٢٨ ١ كر١٩:٢٤و٢٥	٥٦٠
٤٤	٢٦:٢٦–٥٦	١٤:٢٦و٢٢–٥٢	٢٢:٢٩–٥٢	١٤:١–١٨:١٢	٥٧٧
٤٥	٢٦:٥٧–٢٧:١و٢–١٠	١٤:٥٢–١:١٥	٢٢:٥٤–٧١	١٨:١٢–٢٧	٥٩٢
٤٦	٢٧:٢و١١–٢١	١٥:١–١٥	٢٢:١–٢٥	١٨:٢٨–٤٠	٦٠٨
٤٧	٢٧:٢٧–٤٤	١٥:٢٠–٢٢	٢٢:٢٦–٤٢	١٩:١٦–٢٤	٦٢٤
٤٨	٢٧:٤٥–٦٦	١٥:٢٢–١٦:١	٢٢:٤٤–٥٦	١٩:٣٥–٤٢	٦٣٨
٤٩	٢٨:١–١٨	١٦:١–٨	٢٤:١–١٢	٢٠:١–١٠	٦٥٤
٥٠	٢٨:٩–١٥	١٦:٩–١١		٢٠:١١–١٨	٦٦٥
٥١	٢٨:١٦	١٦–١٦:٤	٢٤:١٢–٤٩	٢٠:١٩–٢٢:٢ ١ كو١٥:٥	٦٧٦
٥٢	٢٨:١٧–٢٠	١٦:١٥–٢٠	٢٤: ٥–٥٢	أع ١:٤–١٢ ١ كو١٥:٦و٧	٦٩٢

فهرس المواضيع

مرتبة على الحروف الهجائية

تنبيه : قد اصطلحنا على الاكتفاء بالضمير بدلاً من اسم يسوع لانهُ هو الموضوع الرئيسي والشامل في هذا التأليف

وقد وضعنا جدولاً للامثال تحت حرف الميم وجدولاً آخر للمعجزات تحت حرف العين

ا	صفحة
ابليس . شخصيتهُ	١٠٠ و١٠١
" اعمالهُ	٥٩ و٦٠
" " نقضها	٥٩
" يدهُ في المحن	٢١٥
ابن الله	١٤
آثارهُ المادية — اخفاؤها	٦٢٢
الاحد — ابدال السبت بهِ	٢٤٥
اخوتهُ	١٣٩ و١٤٠ و٤١٨
آدم — مقابلتهُ مع يسوع	١٠٤ و١٠٥
آدم وحوّاء	٥٩
التاريخ	٨٦—٨٨
اسمهُ — كرامتهُ	٤٠٧
آلامهُ — برهان مسيحيتهِ	٥٨٣—٥٨٥
آلامهُ الروحية	٦٣٥
الام . اهتمام الله بهم	١٨٣

ا	صفحة
التأنّس	١٨
اليصابات — حبلها العجيب	٣١
" زيارة مريم لها	٤١
" تسبحتها	٤٣
الاهل . تفضيلهم عليهم	٤٨٠ و٤٨١
اورشليم — بكاؤهُ عليها	٥٢٧ و٥٣٠
" خدمتهُ الاولى فيها	١٤٦
" دخولهُ اليها راكباً	٥٢٣ و٥٢٤
" زيارتهُ الاولى اياها	٧٦—٨٤
" شفقتهُ عليها	٤٧٧ و٥٤٥
" وصفها	٤٨ و٤٩
" انباؤهُ بخرابها	٥٢٧—٥٣٠
الايمان والعيان	٦٨٥
" والاعمال	٤٤٧
" في القلب اكثر من الراس	٦٧١
الإيمان الكبير بن بهِ	٥٠٨

صفحة

ب

الباب الضيق والواسع ٤٨٠
باراباس اللص ٦١٤
" تفضيله على يسوع ٦١٥
" قصته ٦٢١
بارتيماوس ٥١٧
برج سلوام ٤٧٣
البرص — وصفه وشريعته ٣٠٠و٣٠٥
" تطهير العشرة ٥١١
الابرص وتطهيره ٣٠١ — ٣٠٥
البشائر. فوائحها ١٣ — ٣٠
البشيرون — كيفية كتاباتهم ٦٥٥
بشريته (انظر الازدواج في طبيعته) ٧٤و٧٥
التبشير — ارسال الرسل ٢٣٤
" اهميته ٦٩٥
بطرس — اعترافه الشهير به ٢٨١ و٢٨٢
" تلمذه له ١٢١
" توبته ٥٩٩
" الحديث معه بعد القيامة ٦٩٠
" الانباء بانكاره سيده ٤٧٤ و٤٧٥
" انتهار يسوع اياه ٢٨٧
" انكاره سيده ٥٩٨
" رئاسته ٢٨٥
" تطويب يسوع اياه ٢٨٢
" مشيه على الماء ٢٤٤
" المقابلة بينه وبين يهوذا ٦٠٦
بكاؤه عند قبر لعازر ٥٠٥
" على اورشليم (انظر اورشليم)
البلايا ومعناها (انظر الرزايا)

ب صفحة

بنوة المؤمنين لله ٤٦٤
ابتهاجه ٥٦٦
بولس — ظهور يسوع له ٦٢٣
بيت عنيا — مجيئه اليها ٤٤٣—٤٤٤
" " " " ثانية ٥٠٢
" " العشاء فيها ٥١٩
بيت لحم ٥٣
بير يعقوب ١٦٦
الآبار في العهد القديم ١٧٦
بيلاطس يسلمه للصلب ٦٢٢
" محاكمته ٧ و٨ و٦٠٨ و٦٠٩
" يصرح ببراءته ٧ و٨ و٦١٠
" يكرر الحكم ببراءته ٦١١
" تصريحه الثالث ببراءته ٦١٤
" " الرابع " ٦١٦
" " الخامس " ٦٢٠
" يجعل المسؤولية على الرؤساء ٦١٧
" اجتهاده لاطلاقه ٦٢١
" حلم امرأته ٦١٥

ت

التعيين — دعوته اياهم ٢٨٧
التتلمذ وشروطه ٢٨٨
التلاميذ الاولون ١٢٠ — ١٢٦
التلاميذ (انظر الرسل)
" رجوعهم عنه ٢٥٨
" الاربعة — دعوتهم ١٨٩ و١٩٠
" الانباء بتشتتهم ٥٧٦
" هربهم عند مسكه ٥٩١
" يأسهم بعد الصلب ٦٥٠و٦٥٢

ت صفحة

التقليد ووصايا الله ٢٥٩
توما – شكهُ ٦٨٤ و٦٨٥
التينة الغير مثمرة . تهيئها ٥٤١
تيطس يحاصر اورشليم ٥٢٨ و٥٢٩

ث

الثالوث ٩٨
الثبات فيهِ ٥٧٩
الثمر الجيد والردي ٢٧١
ثيابهُ – اقتسامها ٦٢٢

ج

مجيئهُ الثاني ٤٧٠ و٥٥٢ و٥٥٤
جبرائيل الملاك ٢٨–٣٠
الجبل – الوعظ عليهِ ٢٥٦–٢٧٢
جثسيماني – صلاتهُ فيها ٥٨٢
" اكتئابهُ فيها ٥٨٤
الجدريون – يرفضونهُ ٢٢١
التجديد ١٥٩
التجديف – اتهامهُ بهِ ٤٦٢
الجرأة في الدين ٤٠٧ و٤٣٠ و٤٤٠
تجربتهُ ١٠٦ – ١١٤
تجربتهُ الاولى ١٠٦ – ١٠٩
" الثانية ١١٠–١١٢
" الثالثة ١١٢–١١٤
الجزية–السؤال الاحتيالي عنها ٥٢٨ و٥٢٩
جسدهُ ماكل حق ٢٥٧
" دحض القول بسرقتهِ ٦٦٢
الجسد – اهتمامهُ بتجيرهِ ١٩٧
الجليل – بداءة خدمتهِ فيها ١٧٧
" الجولان الاول فيها ١٧٧ و١٧٨

ج صفحة

الجليل الجولان الثاني فيها ١٩٨ و٩٩
" " الثالث " ٢٢٤
" تركهُ اياها نهائيًا ٤٣٦
الجليليون – ذبحهم ٤٧٢ و٤٧٣
التجلي ٢٩٠–٢٩٦
جمالهُ الشخصي ١٢٢–١٢٤
مجمع اليهود (انظر محاكمة)
الجموع تقصد المناداة بهِ ملكًا ٢٥٠
" تحنُّ بان يُصلب ٦٢٢
الجندي – طعنهُ اياهُ بحربة ٦٤٦
الجنازة عند اليهود ٢٧٨ و٢٧٩

ح

حب المال ١٥٠ و٤٦٩
المحبة – مقامها في الدين ١١ و١٢
" للهِ ٣٧٦ و٣٧٧
" ثمر الغفران ٢٩٠ و٢٩١
" الاخوية ٢٢١ و٢٢٢
" للقريب ٤٤١
الحجر على قبرهِ ٦٥٨ و٦٥٩
الحرّاس عند القبر ٦٥٠
" رشوهم ٦٧٠
الحرم اليهودي ٤٥١
الحرية والقضاء ٢٢٢
" الروحية ٤٢٥
الحواس – شهادتها ٦٨٢
الحصاد الروحي – اقترابهُ ١٧٥
احصاء النفوس ٤٨ و٥٠
حضورهُ الدائم ٤١٢ و٦٥٧
الحقد – النهي عنهُ ٤١٤

ح

	صفحة
الحكم على يسوع – احالته الى بيلاطس	٦٠٢
" الثاني اليهودي عليهِ	٦٠٠
المحاكمة عند اليهود – اصولها	٦٠١ و٦٠٢
" " رئيس الكهنة	٥٩٣–٥٩٤
" امام المجمع	٦٠٠–٦٠٢
" " بيلاطس (انظر بيلاطس)	
" " هيرودس (انظر هيرودس)	
الاستحالة	١٢٦ و٥٧١ و٥٧٢
حمل الله	١٢٠
حماة بطرس – شفاؤها	١٩٥
حنة النبية	٥٨
الحياة بالابن	٢٤٠

خ

خاتمة الانجيل	٧٠٢
خادم الملك – شفاء ابنهِ	١٧٩ و١٨٠
" " ايمانهُ مع بيتهِ	١٨٠
خاصتهُ لم تقبلهُ	١٦٠
خبز الحياة – خطابهُ فيهِ	٢٥٦–٢٥٨
خطاتهُ	٥٥ و٥٦
خراب الهيكل (انظر الهيكل)	
" اورشليم (انظر اورشليم)	
الاخرس المجنون	٢٢٢
خطابهُ الوداعي	٥٧٧ و٥٧٨
" في خبز الحياة	٢٥٦
" في مجمع الناصرة (انظر الناصرة)	
الخطأة – اهتمامهُ بهم	١٧٠
الخطيئة – غفرانها (انظر غفران)	
" جنون	٢٢٥

خ

	صفحة
الخطيئة – التطهير منها	٥٦٤
" علاقتها مع الامراض (انظر البلايا)	
" التي لا تغفر (انظر الروح القدس)	
مخلص	١٤ و١٤٦
الخل يقدَّم لهُ على الصليب اولاً	٦٢٠
" " " ثانية	٦٤٢
الخلل الديني (انظر الدين)	
الخمر – تحويل الماء اليها	١٢٤–١٢٦
" البحث في استعمالها	١٢٦–١٢٧
الخمسة الآلاف – اشباعهم	٢٤٤–٢٤٧
خمير الفريسيين – التحذير منهُ	٢٧٨
الخنازير – دخول الشياطين فيها	٢٢٠
الخوف – النهي عنهُ	٤٦٩

د

داود – المسيح ابنهُ وربهُ	٥٤٢
داود وجلجثا	١٠٥
الدفن – اصطلاحات اليهود فيهِ	٢٧٨ و٢٧٩
دفن جسدهِ	٦٤٩
الدم – اهميتهُ في الدين	٥٧٣
دمهُ مشرب حق	٢٥٧
دهن قدميهِ بالطيب	٢٠٩
الدين – اركانهُ	١٥٩
" الخلل فيهِ	١٤١
دينونة الآخرين – النهي عنها	٢٧٠

ذ

المذهب المسيحي ومؤسسهُ	٩

ر

الراعي الصالح	٤٥٧–٤٦١

ر	صفحة
رجوع كثيرين عنهُ	٢٥٨
الرزايا	٤٤٤ و٤٧٣
الرسل (انظر التلاميذ)	
» اسماؤهم	٢٥٣–٢٥٤
» اختيارهم	١١٥ و١١٩ و٢٥٠ – ٢٥٥
» ارسالهم للتبشير	٢٢٤
» رجوعهم من التبشير	٢٤٢
» سلطانهم	٢٨٣–٢٨٤
» مشاجرتهم	٤٠٢ و٥٦٣
» شفاعتهم	٣٦٩
» فشلهم في قيصرية فيلبس	٢٧٧
» توصيتهُ اياهم	٢٢٥
رشو الحراس	٦٧٠
الرعاة – البشارة لهم	٥٣–٥٤
» زيارتهم الطفل	٥٤
» مهنتهم	٥٤ و٥٥
الرعاة الامناء وغير الامناء	٤٥٥ و٤٥٦
رفقاء يسوع في جولاتهِ	٢٩٣
روحانية الله	١٧٣
الروح القدس – اقنومهُ	٩٩
» التجديف عليهِ	٢٩٥ و٩٦
» حلولهُ على يسوع	٩٧ و٩٨
» عملهُ متى جاء	٥٨٠
» الوعد بهِ	٥٧٨ و٥٨٠
الروح النجس – اخراجهُ	١٩١ و١٩٣
رومية – اتساع مملكتها	٤٨
الرؤساء مؤامرتهم عليهِ	٥٠٩ و٥٥٧
» يتهمونهُ بالتجديف	٢١١
» دينونتهم	٢٨٥
» يكررون الرشوة	٦٧٠

ر	صفحة
رئيس الكهنة – اخذ يسوع الى دارهِ	٦٠٣
الرئيس الغني	٥١٣ و٥١٤
الرياء	٢٦٣ و٢٦٤ و٤٦٩
ز	
زبدي – طلب امرأتهِ وابنيها	٥١٦
الزعامة المسيحية	٧
زكا وضيافتهُ ليسوع	٥١٨ و٥١٩
زكريا – بشارة الملاك لهُ	٢٤–٣٠
» تسبحتهُ	٤٥
زمن يسوع – الخلل الديني فيهِ	١٤٣ و١٤٤
الزمان – ملؤهُ	٧٠ و٧١
الزواج – تكريمهُ	١٢٧
الازدواج في طبيعتهِ	٧٣–٧٥
س	
سالومة اخت هيرودس	١٦٧
السامرة – مرورهُ فيها	٦٦
السامري الصالح	٤٣٩ و٤٤٠
السامرية – المحاورة معها	١٦٧–١٧١
السامريون يؤمنون بهِ	١٧٥
» يرفضونهُ	٤٣٦–٤٣٨
» واليهود	١٦٥ و١٦٨
السبت – البحث في امرهِ	٢٣٨–٢٤٥
» الشفاء فيهِ	٢٤١
» استبدالهُ بالاحد	٢٤٥ و٦٨٣
السبعون ارسالهم وتدريبهم ورجوعهم	٤٢١–٤٢٣
السخاء (انظر العطاء)	
السكن الشيطاني	١٩٣–١٩٤
تسليمهُ الروح	٦٤٣
سلامهُ	٥٧٨

ص	صفحة
السلام المسيحي	٦٨١ و٦٨٢
سلطانهُ — السؤال عنهُ	٥٢٥ و٥٢٦
سلطانهُ على الطبيعة	٤١٦–٤١٨
„ على المصائب والتجارب	٤١٦–٤١٨
السلطان الكنسي	٣٨٣–٣٨٤
سلوام (انظر برج)	
المسامحة	٤١٣
سمعان الابرص	٥١٩
„ الشيخ	٥٧ و٥٨
„ (انظر بطرس)	
„ الفريسي	٣٨٨
„ القيرواني	٦٢٦
السنابل — قطفها في السبت	٣٤٣
سنوهُ الاولى — السكوت عنها	٧٢ و٧٣ و٩٣
„ احوالهُ فيها	٨٣–٨٤
السهر الروحي	٤٧٠ و٤٧١ و٥٥٣
سوخار — ايمان اهلها	١٦٥ و١٦٦
السياسة — علاقتها مع الدين	٥٣٩

ش

اشباع الخمسة الآلاف	٣٤٤–٣٤٨
„ الاربعة الآلاف	٣٧٦ و٣٧٧
المشاجرة بين الرسل	٥٦٣
شخصيتهُ في الدين	١٠ و١١
الشريعة القديمة والجديدة	٣٥٧ و٣٦٥ و٣٦٦
الشعب — تمسكهُ بهِ	٣٤٩
الشفاء — كثرتهُ	٣٤٩
الشفاعة	٣٧٥ و٣٦٩
الاتشفاق بسببهِ	٤٥٠ و٤٥٩
الشكوك في الدين	٣٤٣

ش	صفحة
الشكوك في الدين — البحث فيها	٦٨٥
الشكر على الطعام	٣٤٨
الشهادات لهُ	٣٣٩ و٣٤٠
شهادة فائد المئة	٦٤٥
شهادة يسوع لنفسهِ	١٢٦ و١٢٧
شهود الزور	٥٩٥
الشياطين (انظر السكن الشيطاني)	
„ اتهام اليهود اياهُ بها	٣٩٣ و٤٦٤
„ (انظر المعجزات)	
الشيطان — شهادتهُ ليسوع ١٩٣ و١٩٤ و٣٤٩	
„ مطرود يعود	٣٩٨

ص

المصائب خيرها	١٨٠ و٤١٦
„ علاقتها مع الخطايا	٤٤٥
الصدقة — الكلام فيها	٣٦٧
الصدوقيون	٩١ و٣٧٧
„ سؤالهم عن القيامة	٥٤٠
الصعوبات — حسبانها	٤٨١
الصعود	٦٩٩
الصغار — الاعتناء بهم	٤١٠
„ تسبيحهم	٥٢٢
„ (انظر الاولاد)	
الصلاة	٣٦٨ و٤٦٣
„ استجابتها المتنوعة	٣٢٢
صلاتهُ	١٩٨
„ الشفاعية	٥٨٠ و٥٨١
„ في جثسيماني (انظر جثسيماني)	
صلاحهُ	٨ و٩
مصلح	١٤٢

ص صفحة

صلبهُ — تسليم بيلاطس اياهُ ٦٢٢
" طلب اليهود ذلك ٦٢٢
" المضي به اليهِ ٦٢٥
" اصطلاحاتهُ ٦٢٦ و٦٢٧
" " اصلها ٦٣٠
" موقعهُ ٦٣٩
الصليب — سمعان يحملهُ ٦٣٦
" العنوان فوقهُ ٦٣٦
" اسباب رزوحهِ تحتهِ ٦٣٥
" الانزال عنهُ ٦٤٧
الاصم الاعقد ٢٧٤ و٢٧٥
الصوت الاول من السماء ٩٨
" الثاني " ٢٩٥
" الثالث " ٥٤٩
الصوم ٢٢٢ و٢٢٣ و٦٧٤
صوم يسوع ١٠٥ و١٠٦
صيد السمك العجيب ٢٠٧

ض

ضبط قبرهِ ٦٥٠ و٦٥١
الضالون — سؤالهُ عنهم ٢١٦

ط

طبيب روحاني ٢٢٠
طبيعة البشرية (انظر بشريتهُ)
" الالهية (انظر لاهوتهُ)
الطريق الضيقة والواسعة ٢٧١
الطعام الروحي ١٧٤
طفوليتهُ ٤٧
الطفولية — تقديسها ٥٥
الطلاق — سنتهُ ٥١٢

ط صفحة

طالوا اتباعهِ ٤٢٩ و٤٣٠
الطمع (انظر حب المال)
الطهارة والنجاسة (انظر نجاسة)
تطهيرهُ الهيكل (انظر الهيكل).
التطويبات ٢٥٩—٢٦٤
الطيب — دهن قدميهِ ٢٧٨ و٢٨٠ و٥٢٠

ظ

الظلمة ساعة الصلب ٦٤٠ و٦٤١
ظهورهُ الاول بعد قيامتهِ المجدلية ٦٦٦
" الثاني للنساء ٦٦٨
" الثالث لبطرس ٦٨٠
" الرابع للتلميذين ٦٧٧
" الخامس للعشرة ٦٨١
" السادس للاحد عشر ٦٨٤
" السابع للسبعة ٦٨٧
" الثامن للخمس مئة ٦٠٣
" التاسع ليعقوب ٦٩٦
" العاشر (للرسل اجمعين) ٦٩٩
" الحادي عشر ليولس ٦٩٧
ظهوراتهُ — حصرها في المؤمنين ٦٩٧

ع

العائلة والعلاقات الدينية ١٣٩ و١٩٠
العالم — عداوتهُ لهُ ولتلاميذهِ ٥٧٩
العبادة الحقيقية ١٧٣
العثرات تجنبها ٤٠٨ و٤٠٩ و٤١١
المعجزات اجمالاً ١٣٨ و١٣٩
" الرحمة فيها ٢٩٤
الابرص — تطهيرهُ ٣٠١—٣٠٤
البرص العشرة — تطهيرهم ٥١١

ع	صفحة
المعجزات — شفاء المقعد	٣٣٠–٣٣٤
ابن الارملة في نايين	٢٧٨–٢٨٠
التينة — تيبسها	٥٣١
الجرية — ايفاؤها	٤٠٣ و٤٠٤
حماة بطرس — شفاؤها	١٩٤ و١٩٥
المرأة المنحنية "	٤٧٤ و٤٧٥
تحويل الماء خمرًا	١٢٤–١٢٦
خادم الملك — شفاء ابنه	١٧٩
اخراج الشياطين من المجنون	٣١٩–٣٢١
الروح النجس في كفرناحوم	١٩١
المستسقي — شفاؤه	٤٧٨
تسكين النوء	٣١٢–٣١٤
اشباع الخمسة الآلاف	٣٤٤–٣٤٧
" الاربعة الآلاف	٣٧٦ و٣٧٧
الشيطان الاخرس الاصمّ	٣٩٧ و٤٠٠
" الاخرس المجنون	٣٣٢
" الاعمى والاخرس	٣٧٣
" الاخرس	٤٦٤
الاصمّ الاعقد — شفاؤه	٣٧٤ و٣٧٥
صيد السمك العجيب	٢٠٧
" " " بعد القيامة	٦٨٨
المعجزات عند موته	٦٤٣ و٤٤
اعميا كفرناحوم	٢٢١ و٢٢
اعمى بيت صيدا	٢٧٨
اعميا اريحا	٥١٧
المفلوج — شفاؤه	٢٠٨–٢١١
اقامة ابنة يايرس من الموت	٢٢٤–٢٢١
" لعازر (انظر لعازر)	
قائد المئة — شفاء غلامه	٢٧٤–٢٧٧

ع	صفحة
المعجزات — اعطاء البصر للاكمه	٤٤٦–٤٥٤
المرأة الفينيقية — شفاء ابنتها	٢٦٨–٢٧١
" النازفة الدم	٢١٦ و٢٢٧
المشي على الماء	٢٥٢ و٢٥٣
ملخس — شفاء اذنه	٥٩٠
اليد اليابسة — شفاؤها	٢٤٦ و٢٤٧
الاعذار	٤٧٩ و٤٨٠
العذراء (انظر مريم)	
الاعتراف به	٢٨٩
" داب الصالحين	٨ و٩
العرس في قانا	١٣٠–١٣٦
العريس — تشبيه يسوع به	١٦٢ و٢٢٥
العسكر — تسليم يسوع له	٦١٨
عشاء الفصح	٥٦٥
العشاء الرّبّاني — روحه	٥٧١
العشارون	٢١٥ و٢١٦ و٤٨٢ — ٤٨٥
التعليم — امينه	١٦١
العطاء	٤٧٠ و٤٧٩
العظمة الحقيقية	٤٠٦
عظامه — سلامتها من الكسر	٦٤٥ و٦٤٦
علمه بالمخبّات	١٥٠ و١٥١
عماده	٩٤–٩٧
المعمودية	١٦١
عناية الله	٢٦٩ و٤٧٠
العنوان فوق الصليب	٦٢٦
تعييره على الصليب	٦٢٤
عيد التجديد — حضوره فيه	٤٥٩–٤٦٠
" المظال " "	٤١٦ و٤١٧
" الفصح — الاستعداد له	٥٦٠ و٥٦١

صفحة

غ

غسلة ارجل التلاميذ ٥٦٣
الغسلات اليهودية ٢٦٣
الغضب الذي يكون فضيلة ١٤٩
الغفران ٣٠٩ و٣١٣ و٣٩٠
» يولد المحبة ٣٨٩ و٣٩٠
الغني — صعوبة دخوله الملكوت ٥١٣ و٥١٤
غيظ الروساء ٥٠٨ و٥٢٦

ف

الفرح — مشرب يسوع في امره ١٣١ و١٣٣
الفردوس ٦٣٧
تفرّده ٦٩ و٦٥٤ و٦٥٥
الفريسيون يطلبون آية ٢٩٧ و٣٧٧
» يرسلون خدّامًا ليمسكوه ٤٣٠ و٤٣١
» احتقارهم العشارين ٤٨٣ و٤٨٤
» تجديفهم ٩١ و٢١١
» انحذير منهم ٣٧٧ و٤٦٧ و٤٦٨
» توبيخه لهم ٤٦٥ و٤٦٦ و٥٤٣ و٥٤٤
» سؤالهم عن الطلاق ٥١٣
» وقدهم للعمدان ١١٦
فرائض الدين ٢٦٧
الفصح الاخير — عشاؤه ٥٦٥
» — الاستعداد له ٥٦١
» (انظر عيد)
فقره ٤٣٩
المفلوج — شفاؤه ٣٠٨ — ٣١٠
فلسا الارملة ٥٤٦
فيرونيكا — قصتها ٦٣٨

ف

صفحة

فيلبوس الاسكندري ١٧
فينيقية — زيارة يسوع اياها ٣٦٧ — ٧١

ق

القاعدة الذهبية ٢٧٠ و٢٧١
مقامه ٥٧٧
قانا الجليل ١٢٩ — ١٣٦
قائد المئة عند الصليب ٦٤٥
» » شفاء غلامه ٣٧٣ — ٧٧٠
قبره — ضبطه ٦٥٠
» رفع الحجر عنه ٥٠٦
القبض عليه ٥٨٩
تقدمه في الهيكل ٥٦ و٥٧
القربان ٣٦٤
القرعة على ثيابه ٦٣٣
القريب — معاملته ٤٤٠ و٤٤١
القضاء الالهي ٢٣٣
المقعد عند بركة بيت حسدا ٢٣٠ — ٢٣٤
التقاليد تعظيم اليهود اياها ٣٥٩ و٣٦٠
قيافا مشورته على قتل المسيح ٥٠٩
» عدم صلاحيته للحكم ٥٩٦
قيامته — انباؤه الاول بها ٢٨٦
» » الثاني » ٤٠١
» » الثالث » ٥١٦
» انكارها ٦٥٥
القيامة — محاورة الصدوقيين بها ٥٤٠
» هو القيامة والحياة ٥٠٤
قيامته — الاختلاف في الروايات ٦٥٦
» بيناتها ٦٧١ و٦٧٣
» مثبتة بشهادة الحواس

ق صفحة

قيامتهُ — قوَّتها ٦٩٨
قيصرية فيلبس ٤٧٩

ك

الكاتب وسوَّالهُ ٣٤١
كآبتهُ ٥٦٦
الكاس — ماهيتها ٥٨٥ و٦٤١
الكتاب المقدس — تخميصهُ ٩
الكتبة — نشوؤهم ١١٨
" توبيخهُ اياهم ٤٦٦ و٥٤٣ و٥٤٤
الكرمة الحقيقية ٥٧٩
كفرناحوم — مجمعها ٢٧٤
" — استيطانهُ فيها ١٨—١٨٧
اكفانهُ ٦٥٨ و٦٦٣ و٦٦٤
كلامهُ الاول في التبشير ١٧٨
الكلمة الازلي ١٧
" تأنسهُ (انظر التأنس)
كلمة الله — ثبوتها ٤٧ و٤٨
الكلمة — اقسام سامعيها ٣٠٣
كلمتهُ الاولى على الصليب ٦٣٣
" الثانية " ٦٣٦
" الثالثة ٦٣٩
" الرابعة ٦٤١
" الخامسة ٦٤٢
" السادسة ٦٤٣
" السابعة ٦٤٣
كمالهُ ٩
الاكمه — شفاؤهُ ٤٤٦—٤٥٤
الكنز الباقي ٢٦٩
الكنيسة — السلطان فيها ٣٨٤

ك صفحة

كهنوتهُ ١١٨ و١١٩ و١٦٠
الكهنوت اليهودي ٢٢ و٢٣ و١١٧ و١١٨
" " والمسيحي ٢٢ و٢٣ و١١٩

ل

اللص التائب ٦٣٥ و٦٣٦
اللصان على جانبيهِ ٦٣١
لعازر — مرضهُ ٥٠١
" المؤامرة عليهِ ٥٢١
" اقامتهُ من الموت ٥٠٧
لوقا — شخصيتهُ وبشارتهُ ١٥

م

ماء الحياة ١٧١ و٤٣٠
الماء — تحويلها خمرًا ١٢٤—١٢٦
المال — حبهُ (انظر حب)
متى — دعوتهُ ٢١٤ و٢١٥
" شخصهُ وبشارتهُ ١٨
" ضيافتهُ ليسوع ٢١٩
" صلاحهُ ٢١٨
الامثال عمومًا ٣٠١ و٣٠٢ و٣٠٩
قواعد تفسيرها ٣٠٩
مثل الابن الشاطر ٤٨٨—٤٩٦
" الابنين ٥٢٦
" البنَّاءين الحكيم والجاهل ٢٧٢
" التينة الغير مثمرة ٤٧٤
" حبَّة الخردل ٣٠٥
" الخراف والجداء ٥٥٥ و٥٥٦
" الخروف الضال ٤١٠ و٤٨٥ و٤٨٦
" الخميرة ٣٠٦
" الدرهم المفقود ٤٨٧

م	صحة
مثل المديونين	٢٩٠
" الزارع وتفسيره	٣٠٣
" الزرع النامي في الخفاء	٣٠٥
" الزوان وتفسيره	٣٠٤
" السامري الصالح	٤٣٦–٤٤١
" الشبكة	٣٠٨
" الصديق في الليل	٤٦٤
" العبد الامين والعبد الردي	٤٧١
" العبد الظالم	٤١٣
" عرس ابن الملك	٥٢٧
" العشاء والمعتذرين	٤٧٩ و٤٨٠
" العشر عذارى	٥٥٤
" العنبي الغبي	٤٧٠
" الغني ولعازر	٤٩٩
" الفريسي والعشار	٥١٣
" الفعلة في الكرم	٥١٥
" القاضي الظالم	٥١١
" الكرامين الاشرار	٥٢٧
" الكنز المخفى	٣٠٨
" اللؤلؤة الكثيرة الثمن	٣٠٨
" الامناء	٤٩٧
" الوزنات	٥٥٤
" الوكيل الامين والخائن	٤٧١
" الوكيل المخال	٤٩٧ و٤٩٨
مجمع اليهود يحاكمهُ ويحكم عليهِ	٥٩٣–٥٩٩
" " " " ثانية	٦٠٠–٦٠٢
المجوس زيارتهم	٦٠–٦٤
محاكمتهُ (انظر اليهود وبيلاطس وهيرودس)	

م	صحة
المدن الثلاث – توبيخها	٢٨٦
" العشر – زيارتهُ اياها	٣٧٣
المرأة في الدين	٤٦
الامراض وشفاؤها	١٩٦ و١٩٧
المرأة الزانية	٤٢٢ و٤٢٣
" المنحنية	٤٧٤ و٤٧٥
مرثا – يسوع في بيتها	٤٤٣
مرقس – شخصيتهُ وبشارتهُ	١٣ و٩٤
مريم امهُ – البشارة لها	٢٤–٣٧
" " لم يذكر ظهورهُ لها بعد قيامتهِ	٦٩٣
" " البحث في امرها	١٢٣–١٤٣
" " مقامها	٢٥–٢٨ و١٢٨
" " زيارتها للبصابات	٤١
" " تسبحتها	٤٢ و٤٣
" " احوالها الوضيعة	٤٣
" " تطهيرها	٥٧
" " يرفض مداخلتها	١٣٣ و١٣٤
" " نفي شفاعتها	١٣٨
" " بتوليتها	١٣٩ و١٤٠
" " اهتمامها بها وهو على الصليب	٦٣٨ و٦٣٩
مريم اخت لعازر تدهن قدميهِ	٣٥٠
" المجدلية – ظهورهُ لها	٦٦٦
" " زيارتها للقبر	٦٦١
تمسك الشعب بهِ	٣٤٩
المسح ابن داود وربهُ	٥٤٣
" – معنى الاسم	١٤
مصر – الهرب اليها	٦٤ و٦٥
" الرجوع منها	٦٨
منعمة بشارة متى	١٨

م	صفحة
مقدمة بشارة مرقس	١٤
„ „ لوقا	١٥
„ „ يوحنا	١٧
مخمس قطع اذنهِ	٥٩٠
الملائكة — ظهورهم لزكريا	٢٤
„ „ للرعاة	٥٢ و٥٣
„ „ عموماً	٢٢
„ „ لمريم العذراء	٢٤—٢٧
„ „ ليوسف	٢٩
„ „ لزكريا (انظر زكريا)	
„ — تخدمهُ	١٠٢
„ — تخدمهُ في زمنهِ	٦٦٠
الملاكان يظهران للنساء	٦٦٨
ملكوتهُ — روحي داخلي	١٥٨ و١٥٩
„ قصد اقامتهِ ملكاً	٢٥٠
„ اتيانهُ	٥١١
„ صفات ابنائهِ	٣٠٩—٣٦٣
„ كيفية مجيئهِ	٥١١
ملكوت السموات — مفاتيحهُ	٢٨٣ و٢٨٤
الملوك في يد الرب	٤٨
ملءُ الزمان	٧٠ و٧١
ملكيتهُ	١٦٠
مونهُ — الانباء الاول بهِ	٢٨٦
„ „ الثاني „	٤٠١
„ „ الثالث „	٥١٦
„ ليس كشهيد	٦٣٨
„ كفادي	٦٣٩
„ حقيقي	٦٥٧ و٦٧٢
الموت — رأيهُ فيهِ	٥٠٣

م	صفحة
الموت — راي المسيحي فيهِ	٦٤٧
ن	
الناصرة — الاسقيطان فيها	٦٨ و٦٩ و٨٣ و٨٤
„ وطن يوسف ومريم	٤٧
„ خطابهُ في مجمعها	١٨٠—٨٣
„ رفضهُ الاول فيها وتركهُ اياها	١٨٤ و١٨٥
„ رفضهُ الثاني فيها	٤٣٣
„ محاولة اهلها قتلهُ	١٨٣ و٨٤
الناموس ايضاح روحهِ وحفظهُ	٣٦٥ و٣٦٧ و٤٣٦
„ تثبيتهُ	٣٥٧
الناموسي — جواب يسوع لهُ	٥٤١
ناموسي يعترض عليهِ	٤٦٦
النبوات بهِ	٢٢
بنوتهُ	١٥٩
نثنائيل	١٢٥ و١٢٦
النجاسة والطهارة	٣٦١—٣٦٥ و٥٦٤
نجم المجوس	٦٣
أنساباهُ — اغلاطهم	٢٩٣
„ الحقيقيون	٢٩٩
„ يحسبونهُ مخذلاً	٢٩٣ و٢٩٣
النساء يخبرنَ التلاميذ بقيامتهِ	٦٦٩
„ توقيرهنَّ	١٦٨ و١٦٩
„ الغيورات	٢٩٣
„ يذهبنَ الى القبر	٦٦١
„ حنوطهنَّ عند صلبهِ	٦٢٧
„ استعدادهنَّ للتحنيط	٦٥٨
نسبهُ في متى	١٨
„ „ لوقا	١٩—٢١
النسك — البحث فيهِ	١١٦

ن

	صفحة
النظام الموسوي — انحلاله	٢٢
النفس — قيمتها	٣٨٩
نيقوديموس — زيارته ليلاً	١٥٣—١٥٥
" مدافعته في المجمع	٤٣١
" يشترك في دفنه	٦٤٨

ه

الهرب الى مصر	٦٤و٦٥
الاستهزاء به عند بيلاطس	٦١٨
" عند هيرودس	٦١٢
" " اليهود	٥٩٧
" تجديده	٦٢٢
" على الصليب	٦٢٤
الهم ممنوع	٢٦٩
هيرودس الكبير والمجوس	٦٠—٦٢
" عائلته	٢٢٩
" شروره	٢٥ و٢٦ و٦٥ و٦٦
" قتله الاطفال	٦٥
" آخرته	٦٦و٦٧
هيرودس انتيباس	
" قتله المعمدان	٢٢٨—٢٤٢
" يطلب قتل يسوع	٤٧٦
" يحاكمه	٦١٢و٦١٣
الهيرودسيون	٢٤٨
" — السؤال الاحتيالي	٥٢٨
هيرودياً	٢٤٠و٢٤١
الهيكل — انباؤه بخرابه	٥٥١
" — خرابه	٤٧٢ و٥٢٩
" — تطهيره الاول	١٤٥—٤٨
" — تقدمة يسوع كطفل	٥٦ و٥٧

ه

	صفحة
الهيكل — تطهيره الثاني	٥٢٢ و٢٢
" — شق حجابه	٦٤٤
" — وصفه	٤٩
" — قوله في نقضه	١٤٧—١٤٩

و

الواجب — لا فضل في اتمامه	٥٠١
وحدة الآب والابن	٢٢٨ و٢٢٩
وداع يسوع	٥٧٧ و٥٧٨
وصايا الله والتقليد	٢٥٩ و٢٦٠
الوصية الاولى والعظمى	٥٤١ و٥٤٢
" الجديدة	٥٧٤
التواضع — مثالة فيه	٤٠٥ و٤٠٦ و٤٧٨
الوعظ على الجبل	٢٥٦—٢٧٢
" — تأثيره	٨٩
الاولاد (انظر الاطفال والصغار)	٤٠٦
الولادة الثانية	١٥٦—٥٨
ولادته والاحتفاء بها	٥٠ و٥٩ و٦٩ و٧٠
وليمة هيرودس ومقابلتها	٢٤٩
" الفريسي	٤٧٨
الويلات على الفريسيين والكتبة	٥٤٣—٥٤٤

لا

لاهوته	٢٠ و٢١ و٧٤ و٢٢٩
" — انكاره	١٦
" (انظر الازدواج في طبيعته)	
اللاوي في المثل	٤٢٨

ي

يايرس	٢٢٤—٢٢١
يوحنا بن زبدي — اتيانه الى القبر	٦٦٢

	صفحة
يوحنا — تلمذهُ	١٢٢
يوحنا المعمدان — ارساليتهُ الاخيرة	٣٨١—٨٣
" عظمتهُ	٣٨٤ و٣٤٣
" إنباؤهُ بمجيء المسيح	٩٣ و٩٤
" سجنهُ	١٦٣
" ظهورهُ	٨٥
" تاريخ ظهورهِ	٨٦—٨٨
" شهادتهُ امام الوفد	١١٦ و١٣٠
" " الجديدة	١٦٣
" شهادة يسوع لهُ	١٦٣ و٣٨٤
" تعميدهُ وكرازتهُ	٨٨—٩١
" المقابلة بينهُ وبين يسوع	٩٠ و١٢٣
" قتلهُ	٢٤١
" كرازتهُ	١٦١
" نسب يسوع	٩٣
" ولادتهُ	٤٤
اليهود — يطلبون قتلهُ	٤١٩ و٤٦٣ و٥٠٩
" مستقبلهم كشعب	٢٣
اليهودية — انصرافهُ منها	١٦٣ و١٦٤
يهودي — يسوع يهودي امين	٣٠١

	صفحة
يهوذا الاسخريوطي — بيعهُ سيدهُ	٥٥٦ و٥٥٨
" دخول الشيطان فيهِ	٥٦٩
" تسليمهُ سيدهُ	٥٨٦—٥٨٩
" الانباءات بانهُ سيسلمهُ	٥٦٧ و٥٦٨
" المقابلة بينهُ وبين بطرس	٦٠٦
" ندمهُ وانتحارهُ	٦٠٤—٦٠٧
" انتقابهُ	٣٥٤ و٣٥٥
يوحنا ابن زبدي شخصهُ وبشارتهُ	١٥—١٧
" زيارتهُ القبر مع بطرس	٦٦٣ و٦٦٤
يوسف رجل مريم	٣٦ — ٤٠
يوسف — رجوعهُ الى الناصرة	٦٩
" ظهور الملاك لهُ	٣٩
" ليس أبا يسوع	١٩ و٢٠
" سفرهُ الى بيت لحم	٤٨
يوسف الرامي يأخذ جسدهُ	٦٤٧
اليوم الاخير	٥٥٣—٥٥٤
" الثالث الاصطلاح فيهِ	٦٧٨
اليونانيون يطلبون ان يروا يسوع	٥٤٨ و٥٤٩
يونان — آيتهُ	٣٩٧
" مقابلتهُ مع يسوع	٣١٥

جدول اصلاح غلط

وقع بعض الاغلاط في الطبع لم نرَ بدًّا من الاشارة اليها

وجه	سطر	غلط	صواب
٨	٢٣	(٢)	(٣)
١٣	١١	المأخوذ عن	المتفق مع
١٦	١٢	افسد	افسد في
"	٢٢	بده	بده
١٩	٢٢	اثنين	اثنتين
٣٠	١٠	كلة	كلو
٣٥	١٨	(١)	(٣)
٤٤	٨	فالى	فالى اي
٤٨	٣	بة	بهِ
٥٩	٢	على طريق	على غير طريق
٦٥	٥	لنعدُ	لنَعُد
٦٩	٩	قرائنها	قرائنها
٧٠	١٨	اليونانيه	اليونانية
٨١	٢	كرامًا	اكرامًا
٩٨	١٢		وكان صوت من السماء قائلاً "انت ابني الحبيب الذي بهِ سررت" ثم تحقيقًا لايمان المعمدان "هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت"
١١٢	٢١	خدمة	خدعة

وجه	سطر	غلط	صواب
١١٥	٣	الاولى	العظيمة
١١٦	١٤	نظره	نظر
١١٩	١٨	كلامة	كلامهُ
١٢١	٥	المخصة	المختصرة
١٢٤	٢٠	معناهُ	معناها
١٤٥	٣	السرور	الشرور
١٤٦	١٧	الشاب الذي	شابٌّ
١٤٧	٤	المعجزات	المعجزة
١٥٧	٧	يصيّر	يصيران
١٦٧	١٩	٢مل ١٧:٣٤:٤١	٢مل ١٧:٣٤-٤١
١٧١	١٦	وان كانت	لان
١٧١	٢٣	حزو ١:٤٧	حز ١:٤٧
١٨٨	١	ويوحنا	ويعقوب ويوحنا
١٩٧	٣	اعظمها	من اعظمها
٢٠١	٤	المرض الوحيد الوراثي الذي	مرض وراثي ينتقل
٢٠٦	١٣	صعد	اصعد
٢١٨	١٨	قائمة	قائمة
٢١٩	٢٣	افكارهم	انتقادهم
٢٢٣	٢٥	اف ٢٢:٥-٢و٣	اف ٢٢:٥-٢٣
٢٤٥	٢١	اي	هي
٢٤٧	٨	بغضب	بغضب حزينًا
٢٥٩	١	ظهورها	ظهوره

وجه	سطر	غلط	صواب
٢٦٨	١٥	اللهُ	اللهَ
٢٧٢	٨	ويكوك	يكون
٢٧٣	١	لو ١:٨	لو ١:٧
٢٧٦	١١	نعني	نفي
٢٨١	١٦	لا عجب	لا عجب ان
٢٨٧	١	يسوع	يسرع
٢٨٨	٩٠	في	في قبول
٤٠٣	١٨	لاكن	لان
"	١٨	فلا	لكنهم
٤٠٦	٦	هذه ذلك النمو	ذلك النمو
"	٢٠	نظير	انظر
٤١٦	٨	البخار	البحار
٤٢١	٦	الالهي	الالهي هوان
٤٢٣	٥	فاذا	فاذ
٤٢٧	١	معهُ	منهُ
٤٥٢	١	٢٥٢	٤٥٢
٤٦٠	١٢	محاكمتهم	محاكمهم
٤٦٣	١١	ونبههم	ونبّههم
٤٧٣	١٢	سكيبوبولس	سكيثوبولس
٤٨٤	٥٠	كتابكم	كتابتكم
٤٩	٥	المثل	ممثلي
	١٠	القديسين	القديسون

وجه	سطر	غلط	صواب
٤١١	٧	لانعقيد	تعقيد
٤١٩	٦	برهانًا لصدقو	برهان صدقو
٤٣٦		لو ١٠: ٢٤–٤٧	لو ١٠: ٢٧
٤٤٠	٦	برهنا	برهنة
٤٤٣	وجه	٤٤٥	٤٣٥
٤٥١	١٧	(١)	(٤)
٤٥٦	١٨	عند صعودهم	الذين صعدوا
٤٦٢	١٩	طبيعيو	طبيعتو
٤٦٤	١	النبوّية	البنويّة
٤٦٧	١	ونبهم	ونبّهم
٤٧٨	٣	اجتراع	استنهام
٤٧٩	٢٤	فيو	فيها
٤٨٣	١٦	اكثرهم شرًا	شرّهم
٤٨٤	١٦	وخالفهم	خَلَفَهم
٤٨٧	١٥	والكنسية	والكنيسة
٤٩١	١٨	لا	لم
٤٩٣	٢٣	محيت	محوت
٤٩٥	١٩	والفريسيون	والفرّيسيين
,,	١٩	او	و
٤٩٧	٩	وطلب	فيُطلَب
٥٠٠	٦	تعوّض	تعوّض عن
٥٠٢	١٠	لها	لها

وجه	سطر	غلط	صواب
٥٠٦	١٢	ينظر	بنتظر
٥٠٨	٢٢	سينوزا	سپينوزا
٥٠٩	١٧	(٢)	(١)
٥١٠	٤	العشاء	العشاء
٥١٥	١١	اوّلون	اوّلين
٥١٦	٢٤	او رياسة	رياسة او
٥٢٣	٢٠	(١)	(٧)
٥٤٠	٣	مستندين	مستعدّين
٥٤٣	٢٣	وهو ظاهر	ظاهر
٥٦١	٤	(١)	
٥٧١	٧	يأخذونهُ	يأخذوهُ
"	٧	ويخصصون	ويخصصوا
٥٧٤	١٥	لمّا	ان
٥٩٠	١٦	إليّ	الى
٥٩٧	٧	أستر	أسترُ
"	١٤	(١)	(٢)
"	٢٣	وحز	اومز
٥٩٨	٦	لمجرد	مجرد
٥٩٩	٥	كل	كل ذي
"	٢٣	(٢)	(١)
٦٠٣	٣	اضطر	اضطرار
٦١٨	٧	خرابها	خرابها(٢)

وجه	سطر	غلط	صواب
٦٣٥	٢	وشرنة	وشهرنة
٦٤٢	١٨	الايمان	الامر
٦٤٣	٤	تخنلط	تتحد
٦٤٣	١٢	نكّى	نكّس
٦٤٥	١٣	فيقيسر	فينيسر
٦٤٦	١	(٣)	(١)
"	٢	(٤)	(٣)
"	١٤	الذين	الذي
٦٦٣	٧	يدخل	يدخل(٢)
٦٦٨	٣	اخوتي	اخوتي(١)
٦٦٩	١٢	القبر(١)	القبر(٢)

فورد ،جورج
القول الصريح في سيرة يسوع المسيح
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES